



أيًا كان العقل الذي بدأ منه عالم المصريات الكبير "دونالد ريدفورد" في كتابه هذا، وأيًا كانت مركزياته المسبقة التي ورثها عن ثقافته السائدة؛ فلقد قادته المعلومات التي بذل جهداً دءوبًا في سبيل توثيقها، ومنهجه العلمي الصارم، إلى الاعتراف، على سبيل المثال، بأن قصة "الخروج' التي وردت في العهد القديم من الكتاب المقدس، أصبحت بمثابة نموذج أصلى للخلاص ورمز للتحرر وجوهر الجواهر بالنسبة إلى ديانة عالمية كبيرة، إلا أنها، مع ذلك، أكثر الأحداث الرئيسية في تاريخ بني إسرائيل مراوغة" كلما حاول المؤرخ الإمساك بتفاصيلها. ويضيف أن هذه الحادثة وقعت، كما يذهب الافتراض في مصر. ومع ذلك، فالمصادر المصرية لا تعرف عنها شيئًا، بل ولا مصادر الحضارات المعاصرة في المنطقة بأسرها من بابلية وحيثية وميتانية... إلخ، ويقر بأن الأسيويين استفادوا من/ونقلوا عن التطور التقني في مصر منذ المملكة القديمة. ويستدل على ذلك من المكانة البارزة التي أفردها المجمع المقدس في فينيقيا لإله يدعى "توت"، وهو ليس سوى إله الحكمة والكتابة عند المصريين القدماء. ويقول إن "بيبلوس" كسبت من مصر المملكة القديمة مكاسب أكبر في مجال تكنولوجيا الهندسة والتصنيع؛ فلقد كانت الثورة التكنولوجية المصرية سريعة وشاملة خلال عصر بناة الأهرامات. ولا يجد العالم الكبير مفرًا من الإقرار بأن العالم المأهول - وقت ذاك، أي خلال الأسرة الثامنة عشرة - "سجد عند أقدام مصر".



مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة

المركز القومى للترجمة

تأسس في أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور

مدير المركز: أنور مغيث

- المدد: 598/2

- مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة

دونالد ریدفورد

- بيرمى قنديل

- الطُّبعَّة الثَّانية 2015

هذه ترجمة كتاب:

Egypt, Canaan and Israel in Ancient Times By: Donald B. Redford

Copyright © 1992 by Princeton University Press Arabic Translation © 2015, National Center for Translation No part of this book may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical including photocopying, recording or by any information storage retrieval system, without permission in writing from the Publisher

All Rights Reserved

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥ ٤٥٢٤ فاكس: ١٥٥٤ د٢٧٢ El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.

E-mail: netegypt@netegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

مصر وكنعان وإسرئيل

فىالعصرالقديمة

تاليف: دوناند ريدفورد

ترجمة: بيومى قنديل



بطاقة الفهرسة إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشئون الفنية

ريدفورد، د**ونال**د

مصد وكتعان وإسرائيل في العصور القديمة / تأليف: دونالد ريدفور. ترجمة: بيومي قنديل!

القاهرة: المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٥

۷۷۸ ص ؛ ۲۶ سم

١ - العالم القديم - تاريخ

(أ) قنديل، بيومى (مترجم) (ب) العنوان

41.

رقم الإيداع ٥١٨٥ / ٢٠١٥ الترقيم الدولى 3-0160-978-978-978 I. S. B. N-

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العسربي وتعريف بها، والأفكار التي تتضمنها هسي اجتهادات أصحابها في ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

الحتويات

7	مقدمة المترجم
17	تمهید
19	تقايم
	الجزء الأول – مصر والمشرق من عصور ما قبل التاريخ إلى الهكسوس
25	الغــــمـل الأول: القرى والمخيمات ونهوض عملاق
61	القصصل الثاني: مصر العليا ومصر السفلي والبلاد المسورة في أسيا
95	القصمل الشالث: واعجباه! ها هو الأسيوى النسيس
119	الفيصمل الرابع: مصر وأسيا خلال الملكة الوسيطة
163	القيصل القيامس: الهكسوس في مصر
	الجزء الثاني - الامبراطورية المصرية في آسيا
205	القسميل السيادس: توسيع حدود ممين
301	القصصل السطيع: إمبراطورية المملكة الحديثة
329	القسميل الإفارين والمناور
	الجزء الثالث - الهجرات الكبرى
365	القصصل التساسع : مجئ شعوب البحر
201	القيميان المراف والمراف والمراف والمراف والمراف والمراف والمراف والمرافع والمرافع والمرافع والمرافع والمرافع والمرافع

الجزء الرابع - مصر والممالك العبرية

433	القصل الحادى عشر: مصر والملكة المتحدة
479	القصل الثاني عشر: مصر وإسرائيل في عالم أشور
	النصل الثالث عشر: مسئلة التاثير المسرى على إسرائيل الملكة:
557	وهم أم حقيقة ؟
605	النصل الرابع عشر: أربعة تقاليد رئيسية عن الأصول
665	اللميل القامس عشر : مصر وسقوط «يهودا»
729	ملحة اللمجاد والأشكال

مقدمة المترجم

يعد هذا الكتاب الذي بين يدى القارئ الكريم الثاني في سلسلة الكتب التي أنوى نقلها إلى اللغة العربية في مصر، العالم الكبير تونالد ريدفورد بعد أخناتون.. ذلك الفرعون المارق الذي أسرني بمنهجه وموضوعه والمعلومات الجديدة التي توصل إليها العالم الكبير. إذ أعاد بناء المعابد الأربعة التي كان أخناتون أن أمين – حوتب الرابع، عاشر فراعنة الأسرة الثامنة عشرة قد ابتناها وسهدمها عصر الإصلاح بعد رحيل أول من دعا إلى الوحدانية في تاريخ البشرية. وغني عن الذكر أن هذه الأسرة تمثل العصر الذهبي للحضارة المصرية، فهو العصر الذي شمل فيه السلام المصرية،

ويعد ريدفورد أحد أعظم علماء المصريات في النصف الأخير من القرن العشرين، ومعرفته بمصر وثيقة. فلقد ترأس مشروع معبد أخناتون في الفترة من ١٩٦٥ حتى ١٩٧٥، وهو المشروع الذي انتهى، بعد مجهود جبار إلى إعادة بناء معابد أخناتون الأربعة: قرص – الشمس اهتدينا إليه و "بيت حجر "البينبين" و "ثابتة تلك هي أثار قرص – الشمس إلى الأبد" و مبجلة تلك هي أثار قرص – الشمس إلى الأبد" و مبجلة تلك هي أثار قرص الشمس إلى الأبد نظريا، أي عبر تصوير كتل التلاتات وقصها استهداء بالمناظر التي تحملها الجداريات ولصقها، باستخدام الإمكانيات التي وفرتها تقنية الكومبيوتر. كما كان أحد شمانية علماء قدموا لمؤتمر المصريات الدولي الثامن الذي انعقد في القاهرة في الفترة من ٢٨ مارس/برمهات إلى ٣ أبريل/ برمودة سنة ٢٠٠٠ إنجازات علم المصريات خلال القرن العشرين، كما أشرف بصفته رئيسًا للتحرير على موسوعة أوكسفورد لمس القديمة".

وكتاب "مصر وكنعان وإسرائيل في العصبور القديمة" يغطى مساحة شاسعة تمتد من العصير البين - جليدي الثالث والعصير الجليدي الرابع والأخير، أي منذ ما يتراوح

بين مائة وخمسين ألف سنة مضت حتى تدمير أورشليم على أيدى نبوخذ نصر في سنة ٨٦، ق.م. ومعنى القول إن الكتاب يبدأ من نقطة يفتقر العالم ألذائع الصيت إلى التخصيص فيها: الآثار أي ما قبل التاريخ المدون. ويمضى بنا حتى يضسرب في أعماق تخصيصه: حضارات الشرق الأوسط القديم، أي التاريخ المدون. لكنه يبذل محاولة جادة كي يسير كما ينبغي لعالم مثله، بخطى شديدة الحذر، فيما لم يتخصيص فيه وفيما تخصيص فيه على حد سواء، تاركا الحقائق الموضوعية والوثائق المحصة كي تقوده وتقودنا معه إلى نتائج حتمية، لا مناص من القبول بها، مهما خدشت عواطفنا أو اجترأت على ما نرى فيه من بديهيات راسخة. ولكن السؤال يظل قائما:

فى الفصل الأول الذى حمل اسم "القرى والمخيمات ونهوض عملاق" يتوقف المؤلف أمام ما يسميه إحدى أهم الغرائب فى القصة الطويلة الحضارة الإنسانية على سطح المعمورة، ويقصد بذلك "التناقض الصارخ بين مصر فى الألفين الرابع والثالث قم، من ناهية وبين مصر الأخرى التى عرفناها عقب ذلك مباشرة، فيما تركه لنا مطلع عصر بناة الأهرام. فمع أن بضعة أجيال وحسب تفصل بينهما إلا أن فرقًا شاسعًا على مستوى التطور المناظر، مجتمعيًا وسياسيًا، ينهض بين هذه وتلك. ويتسامل المؤلف كيف يتأتى لنا أن نفسر هذه القفزة الهائلة؟

وفى محاولة الإجابة عن سؤاله، يمضى إلى القول، استنادا إلى آخرين: "إننا لا نحسب أنفسنا مخطئين إذا قررنا ما يلى: قدف عايل مساعد، فيما بين ٢٢٠٠ ق.م. و ٢٢٠٠ ق.م. على وجه التقريب والأولى مجموعة من العوامل، قرية العصر الحجرى الحديث في محسر إلى مدارج التاريخ، لكن سيادته لا يبحث عن هذا العامل أو هذه العوامل في الداخل، سواء كان هذا الداخل هو مصر ووادى النيل أو أفريقيا، بل يبحث عنه في الخارج، وعلى وجه محدد في أسيا الغربية، يقول:

لا شك أن الإنسان احتل شيمال أفريقيا على امتداد مئات الآلاف من السنين. ورغم أن نماذج الهيساكل العظمية التي اكتشفت من العصسور الحجرية القديمة،

الموغلة فى القدم قليلة للغاية، إلا أن نقطًا لا تعد ولا تحصى، وتجمعات ليثية أى حجرية من العصور الصجرية التالية قد اكتشفت سواء فى الصحارى أو على امتداد ضفاف النيل".

ويمضى إلى القول:

ت يتمثل أحد الأسئلة البارزة التي تقلق مضاجع الذين يؤرخون لمصر فيما قبل التاريخ في هذا السوال: متى حدث ذلك التغيير الأساسى في الاقتصاد البشري من التقاط الطعام إلى إنتاج الغذاء في شمال شرق أفريقيا؟ هل كان ذلك التغير محليًا أو أن سكان وادى النيال البدائيين انتفعوا باستيراد حرفة الفلاحة من خارج واديهم ؟ -

ويجيب:

يجب علينا أن نعـ ترف في هذا الصدد بأننـا لم نهتد بعد إلى معلـومات معلبة لا يرقى إليها شك عن تلك الحقبة الحاسمة التي تمتد إلى نحو ستة آلاف سنة ق.م. في وادى النيل. وترانا ندخل ذلك العحصر المعتم كي نجد "السبيلين" الذين يرجعون إلى عصر ما بعد الحجري – القديم وقد توطنوا بصورة راسخة في الوادي ، ونخرج منه كي نقابل تجمعات زراعية حجرية حديثة قائمة هنا وهناك في سائر الأصقاع على وجه التقريب في مصر. ويعد اقتصاد هذه القرى الصغيرة خليطًا غريبًا من وسائل فلاحة متقدمة نسبيًا ، وقد سادت على قاعدة من التماس القوت خلال قنص الحيوانات البرية وصيد الأسماك، وهـو الأمر الذي يبدو معه على وجه التقريب وكأن الزراعة قد جلبت من الخارج إلى قناصين – لقاطين لم يبرهنوا إلا على عدم اكتراثهم بوصولها.

يتمثل الموطن الأمثل لاستئناس القمح والشعير والأغنام والمواشى فى ذلك النوع من الأراضى التى تكسوها الأشجار، مما يعرفه البحر المتوسط ونقابله فى الهلال الخصيب، وهو الأمر الذى أيده علم الآثار فى الوقت الحاضر. فأقدم مجتمع بشرى معروف نرى أنه مر بعملية بناء اقتصاد يقوم أولا على التقاط منظم الحبوب البرية،

ثم إنتاجها خلال الاستزراع ، كان يوجد في فلسطين والضفة الغربية وابنان في الفترة التي تمتد ما بين عشرة آلاف وثمانية آلاف سنة ق.م. وهذه الثقافة أطلق عليها مؤرخو ما قبل التاريخ اسم الثقافة "الناتوفية"، نسبة إلى الموقع الذي ترجع إليه، ويقع شمالي "أورشليم" تماما، وتعد نتاجا لفصيلة بشرية دقيقة الجسم تتميز برءوس مستطيلة، مما نستطيع باطمئنان أن نصفه كر إنسان عاقل … وعندئذ نستطيع أن نتحدث عن نوع من إنتاج الغذاء وعن اقتصاد يعتمد على فلاحة الأرض في المراحل الأخيرة من الفترة "الناتوفية".

إذا ما استشعر المرء ضرورة أن يفسر شيوع مثل هذه التغيرات الكبرى مثل استحداث الزراعة بنظرية "الانتشار" فلسوف يغدو يسيرا عليه أن يسلم جدلاً بارتشاح تدريجي لهذا النوع من الاقتصاد إلى الخارج انطلاقا من موطئه الأصلى في جنوب المشرق خلال الألف الثامن ق.م.

إلا أننا نقابل بعض المصاعب بالنسبة لمصر. وذلك ليس راجعًا وحسب إلى أننا نواجه فجوة يصل مقدارها إلى ثلاثة آلاف سنة، ولكن أيضا إلى أننا عندما نصادف مواقع راجعة إلى المصر الحجرى بعد الألف السادس ق.م. فإن المصدر الذي نستقى منه معرفتها (أي مصر) بالزراعة، يجب أن نبحث عنه، حسبما يزعم، في الجنوب والمغرب، عوضاً عن الشمال الشرقي. والحقيقة أن التدفق الديموجرافي (= السكاني) العام، وهو ما قد نستطيع رسم خطوطه البيانية خلال توزع مواقع العصر الحجري الحديث في وادى النيل وتسلسلها عبر الزمن، سوف يبدو كسهم ينطلق من الجنوب باتجاه الشمال وتأتي الصلة الأفريقية البارزة الكثرة الغالبة من السمات الأولى الثقافة في العصر الحجري الحديث في مصر متمشية تمامًا مع النمط المرسوم. ونذكر في هذا الصدد، وعلى سبيل المثال، الرءوس المستطيلة والتعود على صنع المشغولات من العاج والتباهي بالأرداف الثقيلة وصنع أواني الفخار وزخرفتها. ومع ذلك لا يكاد العقل يصدق ألا تكون فلسطين التي لا تفصلها عن وادى النيل أكثر من مائة وستين كيو متراً قد لعبت دوراً إلى هذا الحد أو ذاك في وصول قدر ما من الدراية بالفلاحة كيو مصر. (التأكيد من عندى – المترجم)

هنا أرى ضرورة أن نترقف قليلاً أمام هذا الآراء التى أفصح عنها العالم الكبير، ولسوف أكثف ما أريد قوله ردا على سيادته فى خمس نقط وحسب، وبادئ ذى بدء يأسف المرء للصمت الذى لا يزال الدليل الأثرى يلزمه فى هذه النقطة التى تعود إلى ما - قبل - التاريخ رغم الصاجة الماسة إليه فى عملية الاستدلال سواء عند إثبات فرضية ما أو نفى نتيجة ما واضحة الإقحام، ولكننا نرجو أن تعوضنا فصاحة الدليل اللغوى، إلى هذا الحد أو ذاك، عن صمت الدليل الأثرى، ولو أنه صمت، فيما نأمل، مؤةت بظروف البحث العلمى فى المنطقة :

ا - كيف يتفق الارتشاح التدريجي الذي يقول به العالم الكبير - حسب نظرية الانتشار - لنوع من الاقتصاد يقوم على استحداث الزراعة إلى الخارج أي إلى مصر من موطنه الأصلى في جنوب المشرق مع سيادة أسماء الحبوب وعلى رأسها "القمع" - راجع جداريات مقبرة "كاجمني" في "سقارة" - عوضًا عن المنطة، والفواكة وبينها "التون" الذي أصبح "التين" بوجب قواعد الإمالة اللغوية و "التوت" و "الرمان" والزهور وفي مقدمتها "الورت" الذي أصبح "الورد" عندما أطاعت الكلمة قانون تصول المهموس Voiceless إلى المجهور Voiceless في لسان المصريين قدامي ومحدثين على حد سواء؟ (قارن: رفت - رفد، تمغة - دمغة، تانتيلا - دانتيلا.. إلخ).

٢ - كيف يعزى العالم الكبير إلى ذلك الارتشاح المفترض من غرب أسيا قدرة المصريين القدماء أو جانبًا منها في أقل تقدير، على الانتقال من التقاط الطعام إلى إنتاج الغذاء اعتمادًا على الزراعة دون أن يحوز دليلاً ماديًا واحدًا تحت يده على نقل المصريين القدماء أولئك لتقنية محددة تساعد في عمليات الرى في بيئة تعتمد على رفع مياه نهر النيل وفروعه مثل الشادوف أو الطنبور أو الساقية، ولم يجد في جعبته سوى وجود "العديد من الأختام الاسطوانية الشكل التي ترجع صناعتها إلى بلاد الرافدين، بالإضافة إلى نماذج عديدة تحمل شواهد على استلهامها لوادى الرافدين (ص ١٨ من بالإضافة إلى نماذج عديدة تحمل شواهد على استلهامها لوادى الرافدين" (ص ١٨ من النص الأصلى) وغنى عن الذكر مدى التأثير "العظيم" لتلك الأختام الوافدة من غرب أسيا، كأية من أيات الحضارة الآسيوية الغربية التي وفدت إلى أرض "إيزيس" أسيا، كأية من أيات الحضارة الآسيوية الغربية التي وفدت إلى أرض "إيزيس" أو الأرضين" في إنتاج غذاء المصريين القدماء! أما إذا سلمنا بأن هذه الأختام تثبت قيام صلة بين هاتين البقعتين الجغرافيتين فإنها تترك في نفس الوقت، سهم التأثر مفتوحاً

أمام أكثر من احتمال: أن يكون التأثر خارجًا من مصر، ما لم نكن ضحية تحيز مسبق بأن بلاد الرافدين كانت أرقى من بلاد مصر أو أن يكون مارا بهذه البقعة أو تلك وحسب أى قادمًا من طرف ثالث. ومعنى القول إن وجود الأختام الأسطوانية الشكل في مصر لا يحسم القضية المطروحة ، وبالتالي فإنها لا تحتم بحد ذاتها ورود التأثر في مجال الزراعة على وجه التحديد إلى مصر من غرب أسيا.

آقام جدودنا القدما، منذ عصر الإمبراطورية أو الملكة القديمة مقياساً لنهرهم العظيم أسموه "بير-حابى" أى بيت الإله "حابى" إله النيل، يقول عالم المصريات الألمانى الشهير "زيته" عنه، إنه كان قائمًا عند جزيرة "الروضة" (حاليًا). ويقول البعض إنه كان قائمًا عند "حلوان" ويقول أخرون عند "هيلوبوليس" (= أون) ولكن اتفاقًا يجمعهم بأن المقياس كان قائمًا فى زمام "منف" التى كانت تعد وقت ذاك أول مديرية الى أى تقنية أجنبية، سواء من بلاد الأختام أو غيرها من بلدان العالم القديم والأولى أقوامه الذين كانوا واستمروا لأوقات طويلة لاحقة فى طور الترحال، فى الوقت الذى كانت فيه مصر قد بلغت أرقى ذرى الاستقرار وبالتالى الحضارة الإنسانية كما عرفها العالم المفول وقت ذاك. وليس أدل على ذلك من ميل المصريين إلى نسبة الشخص إلى الأرض، مثال "م - حب" أى الحبناوى نسبة إلى إقليم "حبن"، واسمه الكامل هو "حور - إم - حب" الذى اختتم الأسرة الثامنة عشرة أو بدأ الأسرة التاسعة عشرة، عوضاً عن نسبة الأرض إلى الشخص، مثال: "أور - كلدان" أى مدينة الكلدانيين.

٤ -- كيف يملك عالمنا الكبير كل تلك المعلومات الموثقة حول الصلة الوطيدة بين المصريين والأفارقة أى بين المصريين القدماء وقارتهم أفريقيا، بل ويغامر بسردها أمام ناظرى القارئ الكريم: الرءوس المستطيلة وصنع أوانى الفخار وزخرفتها والتباهى بالأرداف الثقيلة .. إلخ، ومع ذلك يخلص من هذه المعلومات إلى هذا القول:

ومع ذلك لا يكاد العقل أن يصدق ألا تكون فلسطين التى لا يفصلها عن وادى النيل أكثر من مائة وستين كيلو مترًا قد لعبت دورًا إلى هذا الحد أو ذاك في وصول قدر من الدراية بالفلاحة إلى مصر".

ويكتفى بوصف تلك المعلومات بأن أصحابها يزعمونها، فى حين أن سيادته يعرف، ولا ينبغى لمثله ألا يعرف، أن المعلومات تستجيب إما التسليم أوالتشكيك، ولكنها لا تفهم السخرية منها أو من أصحابها، فالسخرية ليست حجة وليست حجة مضادة.

والآن: ترى إلى أى شىء استند عالمنا الكبير فى صوغ هذه النتيجة الضخمة التى تفتقر إلى قدمين قويتين؟ وما هو ذلك العقل الذى لا يكاد يصدق ألا يكون لفلسطين، وتحديدا شمالى "أورشليم" القريبة من وجهة نظره دور أو آخر فى استحداث حرفة الفلاحة فى مصر، إلا أن يكون "عقلا" وقع فى هذه اللحظة بالذات فى أسر المركزية الفلاحة فى مصر، إلا أن يكون "عقلا" وقع فى هذه اللحظة بالذات فى أسر المركزية السامية Semito-Centrism وهى نفس المركزية التى تكمن وراء تأكيد سير "والاس بادج فى مقدمة كتابه المعنون "اللغة المصرية: دروس مبسطة": وعول المعارية إلى المصرية الذى يقوم على علامات صورية "إلى مصر من شمالها الشرقى أو أواسط أسيا على أيدى بعض الغزاة". وهو قبول رد عصر من شمالها الشرقى أو أواسط أسيا على أيدى بعض الغزاة". وهو قبول رد عليه مواطنه أى مواطن "بادج" سير "ألان جاردنر" صباحب "النحو المصريون عليه مواطنه أى مواطن "بادج" سير "ألان جاردنر" صباحب "النحو المصريون القدماء صورها فى نسقهم ذاك مصرية صميمة وليس بينها نباتات أو طيور أو حيوانات من خارج البيئة الطبيعية المصرية"، وهو الرد الذى لم يترك مجالاً بعد ذلك أو حيوانات من خارج البيئة الطبيعية المصرية"، وهو الرد الذى لم يترك مجالاً بعد ذلك لا كورية أخر فى هذه النقطة.

٥ – أما كان الأجدر والأكثر منطقية أن يؤثر أولئك "الناتوفيون" الذين يضعهم "ريدفورد" شمالى "أورشليم" تمامًا في الألف الشامن ق.م. أحفادهم اللاحقين فينقلوا إليهم حرفة الفلاحة التي توصلوا إليها قبل أن يحملوها إلى "قناصين – لقاطين" في مصر عبر مائة وستين كيلو مترا في ذلك الزمن القديم الذي كان لا يزال يجهل وسائل نقل سريعة وفعالة. ثم وهذا هو الأدهى: هل لم يبرهن هـؤلاء القناصون – اللقاطون حقًا وصدقا إلا على عدم اكتراثهم بوصولها؟

إذن ما هو السر في أن تحكى الأساطير المقدسة التي أنشاها أحفاد 'الناتوفيين' من الأسيويين الفربيين عن المجاعات إثر المجاعات في غرب أسيا، وأن تمضي هذه

الأساطير كى تقول إن الجياع لم يتخذوا سوى مصر قبلة لهم باستمرار فى سبيل إطفاء جوعهم دون بلاد الأختام؟

ولكن إذا كان الأمر كذلك فما هو سر احتفالي بالكاتب والكتاب، على نحو ما يتضح من انكبابي على نقله إلى اللغة الرسمية في مصر والبلدان المحيطة؟

جوابا على هذا السؤال أقول:

يتميز العالم الكبير "ريدفورد" بميزات أساسية يكاد ينفرد بها بين زملائه أود أن أوجزها فيما يلى:

أولاً: لا يهمل المعلومات التي تعارض وجهة نظره بل ويحيل القارئ إلى مصادرها الأولى في هوامشه وتعليقاته، أي أنه لا ينتقى من المعلومات ما يؤيد وجهة نظره وحسب. وزراه يقول على سبيل المثال:

"ولكن "بيبلوس" (التي تقع عند نقطة أقرب كثيرا إلى "شمالي "أورشليم" من مصر) كسبت من مصر مكاسب أكبر في مجال التكنولوجيا الهندسية والتصنيع. فلقد كانت الثورة التكنولوجية المصرية سريعة وشاملة خلال عصر بناة الأهرامات. وتعكس التقاليد الشفاهية اللاحقة، بصورة لا تخطئها أذن، هذه الحقيقة. فبعد ألف وخمسمائة سنة، أي في القرن الحادي عشر ق.م. رددت الروايات أن أميراً "بيبليا" (نسبة إلى "بيبلوس") اعترف لمعوث مصرى أن ("أمون" ملك الآلهة في المملكة الحديثة خلق كل البلدان، ولكنه خلق ها، وحسب، بعد أن خلق أرض مصرر التي جئت منها، إلا أن المهارات الفنية انتشبرت من هناك حتى وصلت هذه الأرض التي أقف عليها الآن،)

وفي موضع أخر يقول:

"لقد أفرد المجمع الإلهى الفينيقى مكانة بارزة لإله يدعى "توت"، وهو ليس سوى إله الحكمة والكتابة عند قدماء المصريين الذي عرفوه باسم" جحوتى "ثم "تحوتى ثم "توت" ويقال إن إله الحرف عند الكنعانيين "كوثر" كان يتخذ مقره في "حوت – كا بتاح" أي "منف" (ص ٤٠٨ من الكتاب الأصلى).

ثانيًا: لا يشتط في صوغ نتائجه، بل يلزم الحذر بل والتردد باستمرار عند الرصول إلى نتيجة محددة وفي أحيان ليست بالقليلة نجده يترك السؤال الذي حاول تقديم إجابة عليه مفتوحًا. ومعنى القول إن العالم الكبير لا يركب رأسه مثلما يفعل شخص مثل عمانوئيل فيليكوفيسكي هو ومريدوه ومنتحلوه حتى من أبناء جلدتنا، ولا يلوى مثله عنق الحقائق كي يخدم غرضا ما، كما إنه لا يخلط بين الأنساق المرفية ولا يسعى إلى توظيف العلم كي يفسر مفردات الأساطير، بل يستنكر ذلك بصراحة لا لبس فيها ولا غموض، وإذا كنا نختلف معه فإننا نختلف مع عقله وليس مع ضميره. فالعالم يغربك خطيئة.

ثالثًا: لا يمتدح بنى إسرائيل إلا لأسباب قوية، لا يملك أحد سواء أكان مناصرًا أو معاديا لهم أن يفلت من الإقرار بقوتها. فإذا قال إن "دستورهم" كان ديمقراطيًا، نظرا لأن الشريعة الموسوية تقضى بتحرير العبيد كلية في السنة السابعة من رسوفهم في الأغلال، فليس هناك في ظنى من يستطيع أن يخلص إلى نتيجة أخرى خلاف النتيجة التي خلص إليها العالم الكبير ويظل محتفظا بنزاهته وعدالته. وأحسب ألا نكران هناك في أن النزاهة والعدالة قيمتان مطلقتان.

وهذا هو الموقف نفسه الذي يملى على العالم الكبير أن يقول باطمئنان عن قصة "الفروج":

لقد أصبحت بمثابة نموذج أصلى للخلاص ورمزًا التحرر وجوهر الجواهر لديانة عالمية كبيرة. ومع ذلك فهى تظل بالنسبة للمؤدخ أكثر الأحداث الرئيسية فى التاريخ الإسرائيلي مراوغة كلما حاول الإمساك بتفاصيلها، فمن المفروض أن هذه الحادثة وقعت في مصر، ومع ذلك فالمصادر المصرية لا تعرف عنها شيئا" (ص ٤٠٨ من الكتاب الأصلى).

وفي الفصل المادي عشر نراه يقول:

"يجد كاتب هـذه السطور من الصعب عليه أن يقبل زواج الملك سليمان من ابنة فرعون وهو الزواج الذي تحكى عنه أسفار التوراة بصفته واقعة تاريخية." (ص ٢١١ من الكتاب الأصلي).

خلاصة القول: إن العالم الكبير "بونالد ريدفورد" بحقفظ بدرجة عالية من الموضوعية سواء في مدحه أو نقده، وتلك درجة من النزاهة بل والشجاعة مما يجدر أن نحمده الكاتب والكتاب في أن واحد ويوفر سببًا قويًا لنقل الكتاب إلى اللغة العربية.

إيضاحات :

- نحوت نحو رسم الأسماء المصرية القديمة مورفوميًا على هذا النحو: «حود إم حب» عوضًا عن "حود محب" التي تحتاج من القارئ أن يفهم كي يقرأ وليس العكس وكذلك "أحموسي" الذي يعنى "ابن القمير" بدلاً من "أحمس" الشائعة بين الناس . وهلم جرا
- اجات إلى رسمين لاسم «الفلسطينيين هذا الرسم المعتاد ورسم أخر هو "فالاسطينيون" وذلك مقابل Philistines أى الفلسطينيين الذين قدموا من جزر بحر أيجة ، قبل أن يتساموا أى يصبحوا ساميين في أرض "كنعان"

شرح لوحتى الغلاف:

اللوحة العلوية:

رتل من الأسرى الآسيويين الذين جلبهم إلى مصر "خنوم - حوتب" الثالث ناظر القبائل الشرقية . ويشير النقش فوق رءوسهم إلى أن الرتل يضم ٣٧ أسيراً بالإضافة إلى قائدهم الذي يسير في المقدمة ويدعى "إبشنا" . وقد ظهر المنظر في مقبرة "خنوم-حوتب" الثالث في مقابر "بني حسن" بالضفة الشرقية لنيل محافظة المنيا ، وترجع اللوحة إلى المملكة الوسيطة .

اللوحة السفلية :

تصور وصول عائلة أسيوية إلى مصر، "مقابر بني حسن" الأسرة الثانية عشرة .

تمهيد

يعد هذا العملة الذي بين يدى القارئ بشكل عام، عرضاً شاملاً للعلاقات بين مصر وأسيا الغربية من أقدم العصور حتى تدمير مدينة "أورشليم" في سنة ٥٨٦ ق.م . ومثلما هو الحال في حالات أخرى مماثلة من التسجيل، يجمد النشر وجهة نظر معينة من الناحية الزمنية، في حين أن تقارير جديدة كانت قد وصلت حول موضوعات كان المؤلف قد اقتنع في خريف سنة ١٩٨٩ بأن عرضه لها كان، بصفة عامة، دقيقًا . واقد بذل المؤلف جهداً في سبيل تضمين الإضافات الأكثر أهمية إلى المناقشات الجارية على صفحات هذا الكتاب، ولكنه سها، حتمًا، عن بعضها.

يستحق عدد من الأشخاص منى شكراً من أعماق الفؤاد العون الذى منحوه المؤلف: زوجتى سوزان لما قامت به من أعمال جرافيكية ورسم الخرائط، وجى. ممفورد، وإس. شوبيرت، وبى. سودتكه لنسخ المخطوط ويحثه الببليوجرافى المتنوع، والعديد من الزملاء انصائحهم الحصيفة، بينهم كل من جيه.إس. هو لاداى، وجى. إى. أورين، وإس. أهيتوف، ودبليو. مرنان، وإى. أر. شولمان، وجى. دبليو. أاستروم، وجيه. فان. سيتيرز. واسوف يجفل كل هؤلاء، ولطى على ثقة من ذلك، إذا كان هذا الامتنان ليعنى أنهم مسئولون عن أى رأى بسطته هنا، واذلك فإننى أسوق تقديرى الحار إلى طلاب لا ينبغى له أن يفهم على هذا النحو. وأخيراً فإننى أسوق تقديرى الحار إلى طلاب الحلقات الدراسية والمحاضرات، ممن يتعذر تسميتهم فرداً فرداً، الذين حاضرتهم على المتداد السنوات العشر الأخيرة، وذلك لأنه بدون النقاش الساخن داخل حجرات الدراسة لا تزدهر الدراسات العلمية.

تقديم

تحمل الرقعة التي تصل مساحتها إلى ١٣ ألف كيلو متر مربع التي تقع شمال سيناء، وتفصل بين إسرائيل الحديثة والأردن عن دلتا وادى النيل، بصفة مستمرة المؤلف (دونالد ريدفورد) ثلاث ذكريات متميزة مغروسة بصفة دائمة في وعيه. ترجع الأولى منها إلى يوم ٦ يونيو / بؤونة سنة ١٩٦٧، عندما حالت أنباء الصباح المفزعة بينه وبين الصعود، في أخر لحظة، إلى متن الطائرة المتجهة إلى القاهرة بعد أن كان قد حصل على تصريح من السلطات لدراسة النقوش الوجودة على المناجم المصرية القديمة في سيناء. والذكرى الثانية عبارة عن رحلة لا تنسى في نفس السنة، عبر "غزة" و خان يونس" على امتداد ساحل البحر المتوسط في طريقنا لدخول مصر من جهة الشرق. أما الذكرى الأخيرة فتأتى من ليلة أثقل الحر هواء ها بعد ذلك بثماني سنوات، حيث قضيتها ساهرًا حتى بزوغ الفجر،على سطح البيت الذي يقيم فيه قائد قوات الأمم المتحدة في محدينة "الإسماعيلية"، كي أراقب صعود نجم "سيروس" قوات الأمم المتحدة في محدينة "الإسماعيلية"، كي أراقب صعود نجم "سيروس" و الشعرى اليمانية) قبيل شروق الشمس على الأفق الشرقي السيناء.

ولعله من المثير للاندهاش أن رقعة الأرض في شمال سيناء، لم تكن هي التي تركت، عند التذكر الأولى، ذلك الانطباع الذي لا يمحى. فمرأى كثبان الرمال المنحدرة المتموجة تحت أفق غائم في غبش الضباب ليس مما يعلق طويلاً بالذهن، فعلى النقيض من الجبال المهيبة في جنوب سيناء أو ساحل البحر الأحمر من جهة مصر، نجد أن تلك الكيلومترات المائة والخمسين التي تقوم بين مدينة "بورسعيد" و "غزة" مبهمة الملامح وغير جذابة. ونستطيع أن نتفهم تمامًا إذا ما صادف المسافر بين مصر وفلسطين الانحدار البطىء لذلك الشريط الساحلي غير المريح وأثر، عوضاً عنه، طريق البحر، وقد يتصور المرء أن البدو وحدهم هم الاكثر تأهيلاً، فيما يبدو، لاجتياز رمال سيناء.

ومع ذلك تناقضت طبيعة شمال سيناء مع أهميتها في العصور القديمة ومع ضرورة استخدامها كممر عبور، فهنا لا نجد أنفسنا على الدرب الذي يوصل إلى إقليمين محليين هما مصر والمشرق وحسب، بل أيضًا وبصفة أكثر خصوصية على القنطرة التي تربط بين قارتين كبريين: أسيا وأفريقيا . ومنذ عصور ما قبل التاريخ السحيقة كان المهاجرون والقوافل والجيوش والحجاج والهاريون يعبرون هذه القنطرة وقل العتبة في كلا الاتجاهين، حاملين معهم السلع والأديان والثقافات. ولقد انتقلت عبر هذا المر الضيق، ذهابًا وإيابًا، الأشياء والأفكار التي ترجع إلى مسافات بعيدة تصل في بعدها إلى أفريقيا السوداء وسهوب روسيا والشرق الأقصى، تاركة أثارًا لا تخطئها عين، ليس على دروب العبور وحدها بل وكذلك على السكان المقيمين على هذا المعر ذاتهم.

ورغم ذلك فهؤلاء السكان يتمتعون بأصول تثير الإعجاب فى حد ذاتها. ففى وداى النيل ظهرت قبيل سنة ٢٠٠٠ ق.م. أول دولة – أمة فى العالم تزينها كافة مظاهر الرقى التى تميز الحضارة. وفى غضون القرون الأربعة الأولى من بزوغها إلى النور، ضربت ثقافة قومية بجنورها فى أعماق تربتها، عبرت عن نفسها على صعيد الآداب والميتافيزيقا وصاحب ذلك معمار كامل الأركان رفيع الستوى لا يزال أعجوبة العالم حتى اليوم.

كان الدوام والثبات أبرز العلامات التي تميز حياة المصريين القدماء: تغيرت اللغة والكتابة والديانة والأيقونات التي عرفتها حضارة وادى النيل هذه خلال العصر المسيحى بدرجة أقل مما كان متوقعًا من بداياتها الأولى قبل ذلك بثلاثة آلاف سنة، فلقد بدت مملكة الأرضين غير قابلة للتغيير". ولكن الأمر كان خلاف ذلك على الجانب الأخر. فهنا، حتى وحدة البلاد، على المستوى الجغرافي أو السياسي، ظلت أملاً لم ير النور إلاّ لمامًا. ولقد أطلق المصريون عليها اسم "ريتينو" أو خارو" وأسماها السوريون خلال الألف الثاني ق.م. "كنعان" والعبرانيون "إسرائيل"، أما اليونانيون والرومان اسم "فلسطين" Palestina ، إلاّ أن "الأرض المقدسة" استمرت على امتداد القرون بلادًا لا تكشف عن وحدة متأصلة أو أصالة ثقافية. فلقد كانت حقًا عتبة، المالما شهدت تناضحًا (انتشارًا بالتنافذ الغشائي – المترجم) عرقيًا على امتداد خمسة آلاف سنة

من التاريخ المدون؛ تتحرك دخولاً وخروجًا، تجمعات متعددة من أربعة أركان الدنيا، كى تقيم فيها لمدة وجيزة. ولقد أحضر كل منها سرمات ثقافية جديدة وأفكارًا تنشد الذيوع، ولكن أقلها رضى بالاستمرار فى البلاد كثقافات راغبة فى التكامل مع ثقافة المكان.

كان المجتمعان القائمان على جانبى هذه العتبة التى تفصل بين قارتين – واستمرا – متباينين بصفة أساسية على المستوى الثقافي إلى الحد الذى يحول دون أى استعارة جوهرية يقوم بها أحدهما من الآخر، ودع عنك قيام أى توفيقية ثقافية بينهما. وعلى نحو ما كان المصريون ليصوغونها، استباقًا لمقولة للشاعر الإنجليزى المشهور "رديارد كبلنج": "الشرق شرق والغرب غرب"، فسيقان البردى لا تنمو في الصحراء ولا يزدهر الصبار على ضفاف النيل. وعلى نطاق أوسع برهنت حدود سيناء على صعوبتها كمعبر سواء للسلع أو الأفكار التي تأتى من مناطق أبعد. وقد تكون كل من "بابل" و "بيبلوس" قد وقفت كمفترق طرق أمام عبور (= ترانزيت) القوافل من البحر المتوسط إلى "البنجاب"، ولكنننا لا نستطيع أن نقول نفس الشيء أبدًا عن "برية إله القمر: سين"؛ وذلك لأن مصر احتفظت لنفسها، بصورة ناجحة، خلال الشطر الأكبر من الآلاف الأربعة وذلك لأن مصر احتفظت لنفسها، بصورة ناجحة، خلال الشطر الأكبر من الآلاف الأربعة التي يغطيها هذا الكتاب بنوع ما من دور "حارس السويس" Wacht am Suez

ومع ذلك كان السكان الذين تفصل بينهم سيناء يعون بوجود جيرانهم على الجانب الأخر، ولم يكن في وسع حضور الأخرين إلا أن يؤدي إلى تقاعل ما حتى ولو عمل الطرفان على تجنب أي اقتباس قد يقوم به أحدهما من الآخر. وقد تكون مصر وأسيا قد نظرت كل إلى الأخرى بنوع ما من التوجس والريبة اللتين سعتا، بصورة واعية، نحو الحيلولة دون أي تفاعل متبادل، ولكن الأمر لم يخلُ مع كل ذلك من انتقال مؤثرات متميزة.

يهدف هذا الكتاب الذى بين يدى القارئ أول ما يهدف إلى التاريخ بصفة استقرائية وسع الإمكان لطبيعة ومدى العلاقة التي قامت بين مصر والمناطق القريبة من أسيا الغربية خلال الفترة التي يغطيها هذا العمل وتمتد لأكثر من ثلاثة إلاف سنة، كما يهدف ثانى ما يهدف، إلى استقصاء الأسباب التي قد تكون قابلة للاستخلاص استنادًا

إلى الأدلة التي لا تزال قيد البقاء. وتكشف المقارنة مع الجهود السابقة في هذا المجال عن أن هذه المحاولة محقوفة بخطر حاد : هناك "سلا" (= مسخرة خطرة على الجانب الإيطالي من مضيق مسينا - المترجم) وهناك أيضًا "كاريبديس" (= دوامة قبالة ساحل صقلية شخصها القدماء كإحدى الوحوش الإناث - المترجم)، وبينهما يدير الباحث دفة بحثه. فليس مطروحًا بحال من الأحوال أن يسمح تحيز مسبق لصالح نوع من "الجامعة المصرية" Pan Egyptianism أو موقف يقوم على مبدأ "إسرائيل - أولاً" بأن يفرض على الأدلة أن ترقص على نغمته. وإذا حدث، على سبيل المثال، أن تركت أعمال الحكمة المصرية آثارًا عميقة على الأدب العبرى أو أن جاء أقدم دستور" عبراني "ديمقراطيًا"، فإن ذلك ينبثق في ظل بسط المقائق أو طرح النموذج. إذ يلزم المرء ألا يتحول إلى محام ينافع عن شعب قديم يشكل تاريخه وثقافته النسق الذي يحمله ذلك المرء.

أما التاريخ فموضوع لا نستطيع مناقشته باستفاضة في هذا الكتاب، ولكننا لا نستطيع تفادي بضع كلمات في إطار شرحه. فبالنسبة الفترة التي تصل حتى مستهل الأسرة الثامنة عشرة، نقابل اختلافًا جوهريًا بين الدارسين – ولقد وفر عدد من الوسائل (بينها كربون – ١٤) مؤشرات لا تزال تواصل الاقتراب باستمرار، ومع ذلك فالجدال لا يزال محتدمًا حول الملكة الحديثة وإن كان على نطاق أضيق. وهذا الكتاب يتبع ما يسمعي بالتأريخ العالي (يرتقي معه الفرعون تحوت – موسى الثالث العرش في سنة ١٠٥٤ ق.م.) مع أننا بتنا متأكدين الأن من أن إجماع العلماء يفضل التأريخ المالتوسط أو الأدني (فيرتقي بموجبه نفس الفرعون العرش في سنة ١٩٤٠ أو ١٤٧٩ ق.م. على التوالي)(١). أيًا كان الأمر، ف "التأريخ عن طريق الإجماع بستحضر نماذج على التوالي) الماضي، إلا أن الاختيار الحالي التواريخ العالية يوفر إطارًا تقليديًا، وإن كان مؤقتًا لتأريخ الملكة الحديثة، وهو تأريخ قابل التعديل، كلية، نتيجة للاكتشافات التي قد مأتي بها المستقبل.

P. Ahström, "High, Middle or low?" in acts of an International colloquium on Ab- (1) solute Chronology held at the university of (Gothenberg, 1987).

الجنزء الأول

مصر والمشرق من عصور ما قبل التاريخ إلى الهكسوس

الفصل الأول

القرى والخيمات ونهوض عملاق

تتمثل إحدى أهم الغرائب في القصة الطويلة للحضارة الإنسانية على سطح المعمورة في التناقض الصارخ بين مصر في الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد وبين مصر الأخرى التي عرفناها عقب ذلك مباشرة، فيما تركه لنا مطلع عصر بناة الأهرام. فمع أن بضعة أجيال وحسب تفصل بينهما، إلا أن فرقًا شاسعًا على مستوى التطور المناظر، مجتمعيًا وسياسيًا، ينهض بين هذه وتلك. فعلى النقيض من وادى الرافدين (بجلة والفرات) حيث يكشف المجتمع الإنساني على امتداد آلاف السنين في عصور ما التاريخ عن تطور رأسي بمعدل ثابت لا يتغيّر، وحيث تبشر المعابد في مدينة أوروك "Uruk بروائع القرون السومرية، قفزت مصر ما بين عشية وضحاها، من العصر الحجري، بروائع القرون السومرية، قفزت مصر ما بين عشية وضحاها، من العصر الحجري، على نحو ما كانت عليه، إلى حضارة حضرية نسبة للحضر أي المدن، تامة الريش: على نحو ما كانت عليه، إلى حضارة حضرية نسبة للحضر أي المدن، تامة الريش: على المبانى العالية محل أكواخ الطين والأولى الأخصاص، وأزاحت إدارة مدنية سلطة شيوخ القرى. وملأت بؤرة جديدة راقية من التنظيم الإنساني، الفراغ الذي لم يكن يعرف سوى المشيخات بين الحين والآخر: جلس ملك – فرعون على عرش مصر.

كيف يتأتى لنا أن نفسر هذه القفزة الهائلة quantum leap ؟

لطالما انطرح هذا السؤال إلا أنه لم يتلق أى إجابة شافية. وقد تحتاج مشكلتنا هنا، بطبيعة الحال، إلى أدلة كافية. إذ يستمر ما قبل التاريخ المصرى، رغم خضوعه لبحث مكثّف منذ الحرب العالمية الثانية، في الكشف عن أدلة متفرقة حول بعض المناطق، والضن بأى دليل بشأن "فجوات" ضخمة، الأمر الذي يحول بيننا، بصفة إجمالية، وبين التوصل إلى قوانين عامة في هذا الصدد. ومع ذلك فإننا لا نحسب

أنفسنا، على وجه الإجمال، مخطئين إذا قررنا: فيما بين ٣٣٠٠ و ٣٢٠٠ قبل الميلاد على وجه التقريب قذف عاملُ مساعدُ وبالأولى مجموعة من العوامل، قرية العصر الحجرى إلى مدارج التاريخ^(١).

العصر الحجرى في مصر وفلسطين:

لاشك في أن الإنسان احتل شمال شرق أفريقيا على امتداد مئات الآلاف من السنين. ورغم أن نماذج الهياكل العظمية التي اكتشفت من العصور الحجرية القديمة، المعظة في القدم قليلة العدد للغاية، إلا أن نقطًا لا تُعد ومراكز لا تُحصى، من العصور الحجرية التالية قد اكتشفت سواء في الصحاري أو على امتداد ضفاف النيل. واقد مكن الفحص الدقيق لهذه الآثار إلى جانب السجلات المحفوظة سواء لحيوانات تك العصور أو ظروفها المناخية، الدارسين من رسم الخطوط العمومية الطبيعة العامة لمجتمع العصر المجرى القديم وبيئته الطبيعية. وفي غمار هذه العملية، صوبوا الآراء الخاطئة التي كان دارسون سابقون قد أفصحوا عنها، وهي الآراء التي ظلت حتى وقت قريب تسيطر على نظرة غير المتخصصين إلى أفريقيا فيما قبل التاريخ (٢).

يعد نهر النيل الحديث سليل نهر قديم يرجع إلى ما قبل التاريخ ! وبالتحديد إلى أصول ضاربة في العصر "البلايستوسيني" Pleistocene أي الجليدي الأخير، وكان ذلك النهر قد نحت حوضه في الهضبة الصخرية الواقعة في شمال شرق أفريقيا قبل ذلك العصر بما يصل إلى خمسة ملايين سنة (٢). وخلال الخطوات الأربع الواسعة التي خطتها قشرة الجليد على وجه نصف الكرة الشمالي خلال المليون سنة الأخيرة، كانت التنبذبات المصاحبة لذلك في كمية المطر على المنطقة، مسئولة عن سلسلة الارتفاعات والانخفاضات المتاوية، الواحدة إثر الأخرى في جريان النهر، ونستطيع تمييز هذه الارتفاعات والانخفاضات اليوم بثماني حواف واضحة لوادي النيل، وهي الحواف التي يكشف عنها عدد مماثل من "المساطب" في الجروف الصدرية التي تمتد حتى يكشف عنها عدد ماثل من "المساطب" في الجروف الصدرية التي تمتد حتى الصحراء الشرقية وتلك الغربية، وعلى المصاطب الثلاث الأقل انخفاضا، وكل مصطبة منها تحدي الضفاف القديمة للنهر وقعت الفيضان؛ عثرنا على أقدم أدوات

صنعتها يد بشرية في وادى النيل. ولقد أمدتنا المصطبة السادسة من أعلى، أي عندما يتراوح الارتفاع بين ٢٤ و ٢٧ مترًا عن المستوى العالى لمفيض الفيضان floodplain ، بمجاميع من البلط (جمع بلطة) اليدوية الخشنة، من النوع الكمثري الشكل، المعروف بأسم الأخيلي Acheullian، الذي نصادف على امتداد رقعة واسعة تشمل أوروبا ومعظم شمال أفريقيا وأسيا؛ ويرجع تاريخه في العادة إلى العصر الـ بين - جليدي" interglacial الثاني⁽¹⁾ ورغم أن مصير لا تقدم لنا إلاً عنوبًا محدودًا في هذا الصدد ؛ إلاً أن الاكتشافات التي وقعنا عليها في مناطق أخرى في أفريقيا تشير إلى أن نوعًا شبه بشرى والأولى كبُشرى humanoid الإنسان منتصب Homo erectus هو الذي يقف وراء صنع هذه الأدوات، أما المصاطب الأشهد انخفاضاً (٩ أمتار وما يتراوح بين ٣ و ٤ أمتار) فتكشف عن أدوات ترجع إلى العصر الحجري القديم الأدني،، وهي الأدوات التي تشكُّل فيها الشظايا المسنونة رأس دبوس، وكانت تُستخدم في أغراض متنوعة، بما في ذلك التركيب في الرءوس المقنوفة(٥). وعود على بدء، إذا كان لنا أن نحكم استنادًا إلى مكتشفاتنا خارج تخوم مصر؛ فإن ثقافة العصر الحجرى القديم الأدنى كانت نتاجًا قام به النوع الفرعي من الإنسان العاقل Homo sapiens ، وهو النوع المعروف على نطاق عام باسم "النياندرتالي" Neanderthal ؛ ويعزو العلماء فترة ازدهاره في غالب الأحيان إلى نهاية العصرال بين - جليدي" الثالث والرابع (وهس الأخير) أي نحو ما يستراوح بين مسائة ألف إلى خمسسين ألف سسنة ق.ح. (قبل الحاضر Before Present أي قبل سنة ١٩٥٠).

شهد الانصسار النهائي للجليد عند حوالي عشرين ألف سنة ق.ح. زيادة في سرعة التطور الثقافي للمجتمع الإنساني. فلقد لحق الفناء بالإنسان – النياندرتالي في أورويا – لظروف لا يبدو أن هناك من يبدو واثقاً من ماهيتها – وفي نهاية المطاف وجد الإنسان العاقل نفسه بمفرده في الميدان. وغدا "طقم الأدوات" الذي اهتدي إليه الإنسان البدائي أكثر عدداً وتنوعاً. وبدأت أساليب جديدة في تنفيذ التصنيع بما في الإنسان البدائي أكثر عدداً وتنوعاً. وبدأت أساليب جديدة بمنفيذ التي لجأ إليها ذلك صنع الأنصال وصقلها، في الحلول محل الوسائل الأقل تقدماً التي لجأ إليها الإنسان في الماضي، وحازت الفنون الزخرفية أهمية جديدة بصفتها أحد الأشكال التي تلجأ إليها الجماعة خلال التعبير عن ثقافتها.

ليس واضحاً تمامًا المدى الذى بلغته مشاركة مصر فى الابتكارات التى عرفتها أوروبا فى عصر ما بعد الحجرى القديم epipaleolithic . ولو أن عمليات التنقيب ظلت تكشف بصورة متزايدة خلال العقود الماضية فى وادى النيل عن مواقع لمخيمات ترجع إلى الحقبة الواقعة فيما بين ١٦ ألف سنة إلى نحو ٩ ألاف سنة ق.م. لتجمع يعيش على القنص والصيد المكثفين (سواء الحيوانات البرية أو الاسماك). ومثل هذه الثقافة التى تُعرف باسم "السيبيلية" sebilian "تكشف عن انخفاض ملحوظ فى أحجام كافة الأدوات التى صنعت فى معظمها من شكف أدخلت عليها الأيدى الصانعة فى مرحلة لاحقة مقابض لإحكام الإمساك بها كى تصبح "أدوات مركبة" (ميكروليثية) microliths ورغم أن "السيبيليين" كانوا شبه مستقرين، واكتسبوا قبيل نهاية هذه الحقبة أى ما بعد العصر الحجرى – القديم قدرًا من المعارف حول استئناس الحيوانات، ما بعد العصر الحجرى – القديم قدرًا من المعارف حول استئناس الحيوانات، الا أنهم ظلوا بصفة أساسية داخل نطاق تقاليد القنّاصين – اللقّاطين، تلك التي عرفها العصر الحجرى القديم.

يتمثل أحد الأسئلة البارزة التي تقض مضاجع الذين يؤرخون لمصر فيما قبل التاريخ في هذا السؤال: متى حدث ذلك التغير الأساسى في الاقتصاد البشرى من التقاط الطعام إلى إنتاج الغذاء في شمال شرق أفريقيا؟ هل كان ذلك التطور محليًا أم أن سكان وادى النيل البدائيين انتفعوا باستيراد حرفة الزراعة من خارج واديهم؟ ودع عنك السبب الذي دفع الإنسان البدائي الذي عرفته تلك الحقبة إلى ابنكار وسائل جديدة لإقامة أوده: تقلص احتياطات الحيوانات البرية، زيادة ما في عدد السكان، انكماش الرقعة التي يعيش عليها؟ يجب علينا أن نعترف، في هذا المصد، أننا لم نهتد، بعد، إلى معلومات صلبة لا يرقى إليها شك عن تلك الحقبة الماسعة التي تمتد من نحو تسعة ألاف إلى سنة ألاف سنة ق.م في وادى النيل. وترانا ندخل هذا العصر علم عد المحبري القديم لعتم كي نجد السيبلين الذين يرجعون إلى عصر ما بعد الحجري القديم حديثة Dark Age كي نجد السيبلين الذي ونخرج منه كي نقابل تجمعات زراعية حجرية حديثة المحافزي المغيرة خليطًا غريبًا من وسائل فلاحة متقدمة نسبيًا وقد سادت على هذه القرى الماس القوت خلال قنص الحيوانات البرية وصيد الأسماك، وهو الأمر الذي قاعدة من التماس القوت خلال قنص الحيوانات البرية وصيد الأسماك، وهو الأمر الذي

يبدو معه على وجه التقريب وكأن الزراعة قد جُلبت من الخارج إلى قنّاصين - لقًاطين، لم يبرهنوا إلا على عدم اكتراثهم بوصولها(٧).

يتمثُّل الموطن الأمثل لاستئناس القمح والشعير والأغنام والمواشي في ذلك "النوع من الأحراش الذي يعرفه حوض البحر المتوسط ونقابله في الهلال الخصيب (٨) وهو الأمر الذي أيُّده علم الآثار في الوقت الحاضر، فأقدم مجتمع بشرى معروف، نرى أنه مر بعملية بناء اقتصاد يقوم أولاً على التقاط منظُّم الحبوب البرية، ثم على إنتاجها خلال الاستزراع، كان يوجد في فلسطين والضفة الغربية ولبنان في الفترة التي تمتد ما بين عشرة ألاف وثمانية ألاف ق.م^(٩) وهذه الثقافة التي أطلق عليها مؤرخو ما قبل التاريخ اسم "الناتوفية" natufian ، نسبة إلى الموقع الذي ترجع إليه، ويقع شمالي "أورشليم" مباشرة، تعد نتاجًا لفصيلة بشرية دقيقة الجسم ، تتميَّز برءوس مستطيلة -dolichoce phalic ، مما نستطيع أن نصنفها باطمئنان كـ "إنسان عاقل" Homo sapiens . ولقد مارس أولئك "الناتوفيون"، مثلهم في ذلك مثل قبائل "البانتو" الأفريقية الحديثة، خلع الأسنان القواطع، وكانوا يرتدون، فيما هو واضح، جلود الحيوانات، ويلبسون في بعض الأحيان غطاء رأس مصنوع من القواقع، ورغم أن هؤلاء الناتوفيين كانوا مضطرين إلى انتهاج حياة الهجرة بصورة جزئية، نظرًا لارتحالهم طلبًا للقنص في البر والصيد في الماء، إلا أنهم عرفوا إلى هذا الحد أو ذاك مستوطنات دائمة، تركُّزت حول الكهوف أو قامت على قمم التلال قرب البنابيم. وكانت بيوتهم تتكون في الغالب من أكواخ مستدمرة يتراوح محيطها ما بين ثلاثة إلى ثمانية أمتار، ومبنية من الحجر المتوفر في بيئتهم، ومسقوفة على وجه الاحتمال بفروع الشجر. وكان الحجر مستخدمًا على نطاق واسم في صنع الأدوات في سائر التقاليد الميكروليثية microlithic التي تماثل تقاليد "السيبيليين" حيث كانت الأنصال والرءوس الهلالية الشكل التي يسهل قذفها، شائعة الاستعمال. كما استُخدم العظم في صنع الدبابيس والمخارز ومنسانير الصيد. أما المحار (وقد جُلُب بعضه من البحر الأحمر) فلأضم واستُخدم كحلى للزينة. وفي الوقت الذي استمر فيه القنص في البر والصيد في الماء يقومان بدورهما كوسيلتين رئيسينيتين الكسب القوت، إلا أن الصلاية ومدقّة الصلاية وصوامع التخزين والشراشر (جمع شرشرة) تشير إلى أن "الناتوفيين" عرفوا حصد الحبوب ومارسوه. غير أن هذه الأدلة لا تبرهن، بطبيعة الحال، على أنهم اكتشفوا البستنة horticulture أو استأنسوا الحيوانات؛ أو أن هذا الاكتشاف وذلك الاستئناس كانا ماضيين على مدارج التطور بينهم؛ ولكن هذين الاسلوبين كانا قد تم التوصل إليهما، ما في ذلك شك، بحلول الألف الثامن ق.م. مع إقامة أول مواقع لبلاد دائمة. وعندئذ نستطيع أن نتحدَّث عن نوع من 'إنتاج الغذاء' وعن اقتصاد يعتمد على فلاحة الأرض في المراحل الأخيرة الفترة 'الناتوفية' في فلسطين.

المصرى وقراه:

إذا ما استشعر المره ضرورة أن يفسِّر شيوع مثل تلك التغيّرات الكبرى في المجتمع البشري مثل استحداث الزراعة بنظرية "الانتشار" diffusion ؛ فلسوف يغدو يسيرًا عليه أن يسلِّم جدلًا بارتشاح تدريجي لهذا النوع من الاقتصاد إلى الخارج انطلاقًا من موطنه الأصلى في جنوب المشرق خلال الألف الثامن ق.م . فهل قدُّمت هذه المنطقة نموذجًا مثالبًا لبداية العصر الحجري الحديث Neolithic في سوريا والأناضول و"زاجروس"؟ سنؤال لا يزال رهن البحث، إلا أننا نقابل بعض المساعب فيما يتعلق بمصر. وذلك ليس راجعًا وحسب إلى أننا نواجه فجوة يصل مقدارها إلى ثلاثة آلاف سنة في المكتشفات الأثرية، ولكن أيضًا إلى أننا عندما نصادف مواقع راجعة إلى العصير الحجري الحديث بعد الألف السادس ق. م. فإن المصدر الذي نستقي منه معرفتها بالزراعة، حسيما يُقال، يجب أن نبحث عنه في الجنوب والغرب عوضًا عن الشمال الشرقي(١٠) والمقيقة أن التدفق الديموجرافي (السكاني) العام، وهو ما قد نستطيع رسم خطوطه البيانية خلال توزُّع مواقع العصير الحجري الحديث في وادي النيل وتسلسلها عبر الزمن، سوف يبدو كسهم ينطلق من الجنوب باتجاه الشمال. وتأتى الصلة الأفريقية الواضحة للكثرة الغالبة من السمات الأولى للثقافة في العصير الحجرى الحديث في مصر، متمشية تمامًا مع ذلك النمط المرسوم؛ ونذكر في هذا الصدد وعلى سبيل المثال: الرءوس المستطيلة، والتعود على صنع المشغولات من العاج، والتباهي بالأرداف الثقيلة وصنع الأواني وزخرفتها(١١). ومع ذلك لا يكاد العقل يصدُّق ألاّ تكون فلسطين التي لا يفصلها عن وادى النيل أكثر من مائة وستين كيلو متراً قد لعبت دوراً إلى هذا الحد أو ذاك في وصول قدر ما من الدراية بالفلاحة إلى مصر(١٢).

إلاً أننا نستطيم بحلول الألف الخامس ق.م أن نتحدث عن عصر حجري حديث في وادى النيل. إذ يبدو أن التجمعات الصغيرة التي تعيش على فلاحة قشرة الصخور أو طرح الأنهار قد شقت طريقها باتجاه الشمال على امتداد الزمن (ما لم تكن عمليات مسح وتنقيب غير منهجية قد حرفت الأدلة عن دلالاتها)(١٢) وكان كل تجمع من تلك التجمعات يتكون من عدد محدود من أكواخ/أخصاص البوص المدهوكة بالطين، والمحاطة بنوع ما من المتاريس الواقية. ورغم أن قوالب الطوب المستوعة من الطين جرى استحداثها حوالي منتصف الألف الرابع في الفترة الأمراتية(١٤) Amratian ؛ لكنها لم تُستخدم على نطاق واسع إلاّ بعد ٢٥٠٠ ق.م . أي مع الخطوات الملحوظة التي خطتها إلى الأمام حضارة "جرز"، وعلى المنوال نفسه، نجد عددًا من الأدلة بامتداد معظم الفترة التي يغطيها العصر الحجرى الحديث على زيادة عدد السكان والتوسع بيطء في إقامة المستوطنات(١٥٠)، ولكن المستوى العام للثقافة ظل مستوى تجمع يعتمد على فلاحة بدائية إلى حد ما، ولا يزال مشدودًا بقوة إلى اقتصاد القنص أي اقتصاد الماضى. ولما كان الإنسانَ مفطورًا على مقاومة التغيير والتجديد وانبثاق أفكار جديدة حتى تجبره الضرورة القاهرة على قبول ما يقاومه؛ وكان الناخ في وادى النيل صحيًّا والأسماك وحيوانات القنص متوفّرة بصورة زائدة، فلم يستشعر سكان الوادي فيما قبل التاريخ دافعًا قويًا يحفِّزهم إلى تحويل اقتصادهم إلى اقتصاد زراعي يقوم على العمل الشاق(^(١٦).

غدت دراسة ماضى مصر فى فترة ما قبل التاريخ أى تلك الفترة التى تشمل العمر الحجرى الحديث خلال الألف الخامس والرابع ق.م واقعة إلى حد كبير داخل نطاق اختصاص مؤرخى ما قبل التاريخ ممن يحوزون دراية واسعة بعلم الإنسانيات (الأنثربولوجيا) وتمتد اختصاصاتهم لتشمل مساحة أعرض كثيرًا من ذلك. وهدا هو ما ينبغى أن يكون عليه الأمر، ولو أن موضوع هذا الفصل يغتنى كثيرًا بالتطرق إليه. ومع ذلك فلعلماء المصريات Egyptology وظيفة منا أيضًا. فبعد فحص المظاهر المادية للثقافة المصرية فى العصر الحجرى الحديث خلال أعمال التنقيب والمسح، وبعد رسم نماذج models انشوء المجتمعات المركبة والقارنة بينها، يظل هناك عدد من الأسئلة المهمة، قد يستطيع اللغوى على وجه الاحتمال أن يسهم فى الإجابة عليها. ما الذى نستطيع أن نسوقه من حديث حول الحكومة وانتنظيم الاجتماعي لتلك التجمعات

التى أنتج أبناؤها تلك الأدوات التى عرفها العصر الحجرى الحديث؟ هل كان تنظيمًا فعالاً؟ وهل كان أبناء تلك المجتمعات قادرين على إشباع حاجاتهم؟ ما نوع السلوك الذى سلكه هذا التجمع أو ذاك مع التجمع المجاور؟ هل نعرف شيئًا عن المعتقدات الدينية لذلك العصر؟ أسئلة من هذا القبيل لا تستطيع أن تجد أجوبتها خلال فحص الأثار التى وصلت إلى أيدينا وحسب، فالسجلات المدونة ضرورية كذلك في التوصل إلى أجوبة شافية. وفي ظل غياب السجلات المعامرة، يجد المرء نفسه مضطراً إلى أن يستنطق الوثائق اللاحقة التى يبدو أنها تصف المؤسسات الأساسية للمجتمع القديم، وذلك لأن مصر بلغت في العصر الحجرى الحديث وضعاً مستقراً كان من شائه أن يوفر أساساً لقيام مجتمع مصرى لكل العصور، على هيئة تعتمد على الفلاحة، كانت هي الوطن والموطن الأصلى الفلاح المصرى منذ خمسة ألاف سنة ق.م. وحتى اليوم(١٧).

وعندما كشف اختراع الكتابة الهيروغليفية – وكان ذلك بُعيد الألف الثالث ق. مالستار عن لغة مصرية، شاعت فيها كلمات عديدة تصف المستوطنات البشرية، كل
مستوطنة منها في أدق دقائقها "نويت" Neywet التي يترجمها المترجمون عادة إلى
مدينة، وهي تعنى في حقيقة الأمر مجموعة من الأكواخ / الأخصاص المجدولة من
البوص والمحاطة بنوع ما من المتاريس الواقية. و "ديمي" Demy بلدة، وهي مشتقة
من جذر يعني "لس" وتشير إلى الموضع الذي ترسو عنده السفن على ضفة النهر،
و "إيهع" Ehy التي تومئ إلى تعريشة تهجع تحتها الحيوانات المستأنسة و "يات" Yat
و "واحة" Wahyet وهذه تعنى بالمصرية القديمة قبيلة أو عائلة، وتنطبق على الأكواخ/
و "واحة" Wahyet أن نستشف الأسباب الرئيسية التي حدت أولئك الأقوام إلى التجمع على
المنوانات المستأنسة، والنقل وشحن المنتجات، والوقاية من خطر الفيضانات العالية
وضرب المخيمات المنشنة كي تأوي إليها جماعات (القنص).

هناك كلمة قديمة أخرى تدل على نوع من التوطنُّ هى مقعد أو مقام ، وخصوصنًا لإله؛ ولقد أكد علم الآثار بالإضافة إلى السجلات المنقوشة على أهمية أضرحة التعبد والتبرك في مستوطنات ما قبل التاريخ (١٨). وينبغي على المرء أن يتخيلُ – وتستطيع

عمليات التنقيب التي جرت في "هيراكونبوليس" أن تمدُّنا الأن بصورة ملموسة في هذا الصدد - ضريعًا بسيطًا مبنيًا من مواد خفيفة (بوص - فروع شجر - خشب)، بسقفه المحدُّب وقرون الحيوانات التي تبرز من واجهته. مثل هذا الضريح ليس مكانًا صالحًا الأداء شعائر العبادة للإله وحسب، بل وكان مركزًا إداريًا ويؤرة تنعقد فيها الأسواق والاحتفالات المحلية، وكان الساكن المقدس للضريع - وقد يكون في الأصل أحد أسلاف القبيلة(١٩) - إله البلدة(٢٠)، وحامى ومولى كل الذين يقيمون في المستوطنة أو المناطق الملاصقة لها مباشرة. وكانت دائرة نفوذه تمتد لتشمل سائر النطاق الذي يضم مصالح التجمع ككبل، وبالتالي كان ذلك الإله هو خيالق الدنيا ومؤسس البلدة و (حافظ الخصوبة) وإله الموتى والقائد في الصروب. في نفس الوقت، وعلى مشارف الضريح وعلى صبار عال كان يرفرف شريط من القماش أصبح في وقت لاحق بمثابة العلامة الهيروغليفية التي يُكتب بها لفظ "الإله"، وكذلك "رمز" الإله ، كما جرى رفع شيء ما أو حيوان ما، يرتبط بذلك 'الإله' برابطة قد تكون واهية، كي يراه الجميع(٢١). وبدأت هذه الرموز التي تميِّز، على ما يبدو، وفي غالب الأحيان تجُّمع ما قبل التاريخ، بالإضافة إلى إلهه أي إله هذا التجمع، في الانتشار خلال الفنون الزخرفية المرحلة الأخيرة من العصر الحجرى الحديث أي المرحلة الجرزية (نسبة إلى "جرز") التي امتدت من سنة ٣٣٠٠ حتى ٣٠٥٠ ق.م.

يصعب علينا أن نحدد طبيعة الآليات التي حكمت تلك التجمع المبكرة. إلا أن بعض المقابر بلغت، قرب نهاية المرحلة الجرزية، في الحجم قدراً يكفي لافتراض وجود مسيخة أي رئاسة للتجمع Chiefdom. وتتحدث النصوص التاريخية الأولى عن كبار أو شيوخ على مستوى الأقاليم، الأمر الذي قد ينطوى على إشارة تأسلية (أي استرجاع لأصول قديمة) إلى رؤساء القبائل المستقلين الذين عرفتهم عصور ما قبل التاريخ (٢٢). وهناك علاوة على ذلك، بعض الأدلة على وجود مجلس أو هيئة (تضم على وجه الاحتمال كبار السن أو الشيوخ) الذين يستطيعون التصديق على اختيار الشيخ الجديد التجمع (٢٢). ويذهب بعنض العلماء إلى أن اللقب القديم الذي أصبح يعنى عملى مصر العليا " ويذهب بعنض العلماء إلى أن اللقب القديم الذي يُنطق إنسى " ويعنى حرفيًا "اللي – بتاع – نبات – السوت ". بينما يرى علماء الذي يُنطق إنسى" ويعنى حرفيًا "اللي – بتاع – نبات – السوت ". بينما يرى علماء

أخرون أن اللقب يدل على حاكم يملك الأرض كما يملك حق التصرف فيما تغله (٢٤). ومع ذلك هناك أدلة على أن مساحة ما من الأرض على الأقل كانت مملوكة في عصور ما قبل التاريخ على المشاع، ويجرى تخصيصها وتوزيعها على أبناء التجمع في مواسم البذار (٢٥). وفي سائر الأحوال هناك علاقة وطيدة بين حاكم هذا التجمع أو ذاك وبين خصوبة التربة عبر فاعلية نهر النيل، وهذه العلاقة تبدو متوطنة في مصر القديمة، الأمر الذي يعد إرثًا انتقل إليها من الطبقة الأفريقية التحتية التي تقوم عليها حضارة مصر (٢٦).

لم ينج من صروف الظروف سوى عدد قليل الغاية من المستوطنات التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وهى المستوطنات التي عثرنا عليها في حالة تسمح انا بالتنقيب عنها في يسر. ولما كانت المساحة الأكبر من الدلتا قد رُدمت فيها المنخفضات بالرسوبيات، وتلك المواقع المتناثرة في مفيض الفيضان عصية بالمثل على الوصول إليها، صار لزامًا بالتالي على المرء أن يصرف ذهنه إلى الجبانات التي تحظى بدرجة أفضل من الصون والحفظ، في مسعاه وراء أدلة من الثقافة المسادية (الأدوات) وتلك المعنوية أو الروحية كالمعتقدات الدينية، فمن ثلاث مجاميع معينة من المعتقدات الجنائزية، حقًا منفصلة الواحدة عن الأخرى، وإن كانت أطرافها متصلة، كل طرف بالأخر، نستطيع أن نستشف بعض المعتقدات وعددًا من المارسات. ففي إحدى هذه المجاميع لاحظ العلماء أن السماء تملك على البدائيين أفئدتهم، إذ رأوا في النجوم كائنات مبجلة، حملت رءوس بشر، وحازت أرواح طيور، خلال رفعهم الراحلين من أسلافهم إلى قبة السماء. كما يثبت توجيه جثمان المتوفى، عند الدفن، نحو الشرق، أيضاً، انشغالاً بأخرة سماوية، يحدوه الأمل في البعث مع شروق الشمس (٢٧).

في وإدى النيل جذبت الصحراء الغربية الشاسعة، التي تلوح أمام الأنظار باستمرار بصفتها المطرح الذي "يموت" (جنس "الشمس" مذكر في اللغة المصرية القديمة) فيه الشمس كل مساء، انتباه الأهالي، وكان ذلك أمراً طبيعيًا، فهنا تقوم مملكة الموتى في الغرب، وأصبحت كلمة "الغربي" كناية رقيقة عن "الميت"، وانفصلت الجبانات عن الأحياء، وأقيمت في غالب الأحيان، وإن لم يكن بصفة دائمة، بأي حال من الأحوال، في أطراف الصحراء، وإنطوى الموت بالتالي، على رحلة من منازل الأحياء

إلى بيبوت الأمبوات. وقد اختطت مملكة الموتى، فى واقع الأمر، فى هذه القفار الصحراوية غير المطروقة، وهنا فى العراء لا تسود سوى الغرائز "الكلابية" ابن آوى أو الكلب أو الذئب. إذ تستطيع الأعين أن تقع باستمرار على مثل هذه الحيوانات نوات الأربع خلال مسعاها، خلسة، وسط المقابر وعلى امتداد الصحراء، أو اهتدائها، فيما يبيو، إلى طريقها حيث لا وجود هناك لطرق مطروقة. وبالتالى، فليس هناك ما يدعو للاندهاش إذا كان لأحد هذه الحيوانات الكلابية من نوات الأربع أن يصبح بمثابة إله مدينة الموتى الرئيسي وحامى حمى الموتى وقائد خطاهم إلى الغرب، وذلك في مصر الوسطى على وجه الخصوص، حيث تبرز الصحراء الرملية المنخفضة من أرضية الوادى بدرجة من التدرع. والأسماء شفافة تكشف ما وراءها خينتي – يامنتو أي "أول الغربيين"، و "وبب – واوت" أي "فاتح الطريق" أو "حامل الشعلة" ، و "نوبو" أو ("أنوبيس" كما نطقه اليونانيون)، وهو "سيد الأراضي العالية" أي "الجبانة" (١٨). عندما ظهرت الملكية الفرعونية إلى النور اعتمدت بثوة في استعاراتها على الرمزية التي ينطوى عليها الاسمان الأول والثاني (١٢).

أما في الدلتا حيث ينفتح المدى على مستنقعات وجزر وأرض سبخ واطئة، فلقد الهم عنصران أخران الأفكار التى تدور حول الموت. وانطوى العنصر الأول على الدفن داخل البلدة وبالتحديد على ربوتها – فحافة الصحراء موغلة في البعد – في ظل حماية الإله المحلي للبلدة. وهنا كانت العلاقة التي تربط أبناء العائلة هي التي تستحوذ على كامل الأهمية. ولما كان الأب هو رب البيت، فلقد صار لزامًا أن يظل، حتى بعد وقاته، مع عائلته، وبالتالي أصبح الدفن تحت أرضية البيت وحفظ الجثمان، يجريان بصورة منتظمة. ووقع على كاهل الابن الأكبر واجب القيام على خدمة الأب ودعوته بصفة يومية إلى وجبة القربان، وهو دور أصبح في وقت لاحق بمثابة تنظيم رمزى للملكية (٢٠٠). وذهب معتقد أخر إلى تحويل الموتى إلى هذه الجزيرة أو تلك من "الجزر" النائية التي ونهب معتقد أخر إلى تحويل الموتى إلى هذه الجزيرة أو تلك من "الجزر" النائية التي يستعصى الوصول إليها، من تلك التي كانت الدلتا تضم كثيرًا منها وسط المستنقعات في العصور القديمة، أي نوع من الـ "أفالون" Avaion (جزيرة في شمال غرب إنجلترا يعتقد أنها موطن أسطورة الملك "أرثر") ، يُسمّى "حقل السمار".

الانتقال إلى مجتمع مركب في مصر وفلسطين:

ليس واضحًا تمامًا المدى الذى بلغه أى تأثير للبلدة - التى وصفنا التو بصورة تخطيطية أو كروكية بنيتها واقتصادها وديانتها فى وادى النيل – باعتبارها نموذجًا يُحتذى، على البلدان المجاورة. إلا أن مثل هذا التائير، بالنسبة لفلسطين، على الأقل لم يكن ليتجاوز، طوال العصر الحجرى الحديث، درجة ضئيلة.

تكثيف ثقافة فلسطين وسوريا، في الفترة التي تمتد من الألف الثامن حتى الألف السادس، على وجه التقريب، ق.م أي ما يُسمى بالعصر الحجرى الحديث السابق على المتشاف الفخار Pre-pottery Neolithic ، عن تطور مطرّد في أساليب الفلاحة بما في المتثناس الحيوانات والاستقرار في بلاد دائمة. مثل هذه النقلة السكانية التي يُمكن أن تكون قد حدثت بصفة جزئية مع بدء الجفاف في المشرق، تعد واحدة من أهم التغيرات التي دخلت على أسلوب الحياة في تلك الفترة. وبينما قدَّمت احتياجات الفلاح والقناص وسدانة الآلهة في مصر، السبب الأول التلاقي في تجمعات بشرية، إلا أن الدفاع في المشرق كان، فيما يبدو، على رأس الأولويات في تفكير السكان. فكانت أريحا ، وهي مستوطنة تضم حوالي ألفي نفس، وواحدة من المستوطنات الأكثر إيغالا أمتار، وتتخلله أبراج الملاحظة (لوحة رقم ١)(٢١). وتؤيد الأدلة اللغوية أن الدفاع كان شغلهم الشاغل. فرغم أن لغات المشرق تحمل سمات عميقة تعود لمرحلة شبه بدوية في إطار تطور مجتمعي – حقًا الكلمة الأكثر شيوعًا في اللغة الأكاية لـ مدينة هي علو الافتدر من صبيغة الجمع لكلمة تعنى "خيمة" (٢٦) – إلا أن تسميات أخرى المستومئنة من جذور تعنى بصورة أساسية "يحصنًن".

وعندما لجأت النصوص المصرية المدونة، بعد سنة ٢٠٠٠ ق، م إلى وصف المدن في فلسطين، أطلقت عليها اسم "وونوت" وتعنى "الأحواش المحصنة" (٢٦٠). وبينما تقوم التحصينات بحماية الإنسان من خطر الحيوانات المفترسة، إلا أن حجم أسوار "أريحا" يتعذر فهمه إلا أن يكون دفاعًا ضد الأخطار التي تشكلها تجمعات بشرية أخرى.

لا تشترك مصر مع فلسطين على المستوى الثقافي إلا في أقل القليل خلال الشطر الأقدم من العصر الحجرى الحديث. إذ يبدو أن هناك نوعًا من عبادة الأسلاف، تقوم عليه أدلة من الألف السابع ق. م. ويتجلى في العبادة الغامضة للجماجم (أ٢). وفيما عدا ذلك نجد مدافن فقيرة وزرية، كما أن توجيه الجثمان أو وضعه لا يكشفان عن أي سمة خاصة. وهناك أدلة على وجود بعض التجارة مع "النقب"، ولكن الأسر لم يمتد، كما يبدو واضحاً، إلى الدلتا. والحقيقة أن الجدب المتزايد الذي غزا الجنوب مع الألف السادس ق.م. أجبر السكان على هجران كثير من المستوطنات الفلسطينية، وخلال الألف التالي أي الخامس ق.م. انكمشت فلسطين حتى صارت مجرد إقليم ثقافي من أقاليم سوريا(٢٥).

ولكننا قد نستطيع في مصر، ومع الآثار الأولى للعصر الحجرى الصديث في الفيوم حوالي ٤٥٠٠ ق.م. (٢٦) أن نقيم سياقًا يقودنا دون انقطاع عبر ما يُسمَّى بالعصر الكالكوليثي Chalcolithic (أي النحاسي – المجرى) إلى مدرج التاريخ حقًا لا يزال هذا السياق غير محدد المعالم بدقة كبيرة، وغير موثق بصورة فائقة، وذلك عند مقارنته بالسياقات المماثلة في غرب أسيا، ولكن مجرى السياق مرسوم بصورة مقنعة إلى حدِّ ما وإذا فحص المرء السجل الحالي لهذه القرون الخمسة عشر، وعينه على التقدم من الأشكال الأبسط إلى الأكثر تعقيدًا، فلسوف يذهله السكون الأولى للحضارة في مصر طوال القرون الاثنى عشر الأولى، ثم التسارع المثير في القرون التالية في التطور المجتمعي، الذي يقذفنا بقوة ويصورة مفاجئة في قلب أكثر الدول المعاصرة تركيبًا ورُقيًا. وهنا تفرض علينا هذه الدراسة أن نطرح سؤالين نراهما أساسيين بالنسبة لها: ما الذي سبب هذه السرعة الاستثنائية في التطور الاجتماعي والسياسي؟

حقيقة الأمر أن هناك، فيما يتعلق بمصر، عددًا من النماذج التي طُرحت لتفسير انبثاق وازدهار المركب الفرعوني، ولكن ما من نموذج منها حظى بقبول واسع النطاق بشكل خاص، وتكمن المشكلة في أن الأدلة في كل حالة على وجه التقريب، أو على الأقل في بعض أجزائها، لا تنسجم من النموذج المطروح، فأولئك الذين يضعون كل تركيزهم على التقدم الذي أحرزه المصريون في تقنيات الري(٢٧)، بصنفته العامل الحقاد سوف يجدون أنفسهم مضطرين الآن إلى الإقرار بأن الري على نطاق واسع أعقب قيام الملكية،

والتقنيات المحسنة في هذا المجال جاءت مصاحبة لها على أبعد تقدير (٢٨). وأولئك الذين محتجون بأن الملكية الفرعونية ظهرت كنتيجة للغزو الذي قام به عرق أسمى يعتمد الوراثة في الحكم dynastic race في أواضر عصور ما قبل التاريخ لمصر، وهو عرق فرض نفسه على السكان الأصليين (٢٩)، سوف يتعين عليهم أن يعيدوا النظر في حججهم، وذلك لأن التشعب العرقي للمصريين إلى فريقين يعود إلى فترة أقدم كثيرًا من الفترة المرزية (١٤) ذاتها، أي تلك التي تعود إلى مطلع عصور ما قبل التاريخ. أما المؤرضون الاقتصاديون الذين يرون أن الطاقة التي تولدت عن الصدام بين اقتصادين كانت بمثابة الشرارة التي أدت إلى "الانفجار" الفرعوني، فلسوف يضطرون، في سبيل التأكد من صحتها، إلى مواجهة الوعي الذي كسبناه في الوقت الحاضر بالتعقيد الذي ينطوي عليه الأمر، فلقد استمرت في الوجود فترة طويلة اقتصادات القنص والرعي والفلاحة، بل وتداخلت فيما بينها في وادى النيل (١٤).

يطرح ملمح من ملامح المدى المصرى، وهو ملمح رصده كثيرون، واكن ما من أحد منهم قدره حق قدره، في ضبوء غرضنا الراهن، تناقضًا ملصوطًا الوهلة الأولى مع المشرق، وفي نفس الوقت يقدم مفتاحًا قيمًا نحو حل اللغز الذي أفصح عن نفسه للتو، أعنى النهر ذاته. فالنيل لا يقدم نفسه وحسب كممر عبور يُسرع بخطى المسافر حيث تكفى مدة لا تتجاوز ثلاثة أسابيع أو شهرًا على الاكثر لقطع المسافة التي تصل إلى ألف كيلو متر بين الشلال الأول ورأس الدلتا - بل ويفرض أيضًا على ساكنى ضفتيه رؤية الدنيا، أعرض وأروع. ولقد وسمّعت منذ زمن بعيد إمكانية نقل السلع خلال طرق موغلة في الطول تحت حماية سلطة واحدة أماد الخيال المصرى. وفي العصور التاريخية صار عرفًا من الأعراف وجوب الإسراع "بالصبوب من منطقة إلى أخرى خلال أوقات الجفاف عبر وسيط واحد هو شيخ رئيس. ولقد حاز هذا الشيخ الرئيس الذي ينتمي، على وجه الاحتمال، إلى ناحية فقيرة من نواحي البلاد، مكانة عالية ونفوذًا واسعًا خلال حنكته الإدارية. وكان لحاكم الناحية أن يفخر بقدرته على ضبط وتسهيل مرور المعادن والمواد الغذائية والكماليات إلى دائرة نفوذه، وحتى الأهالي كانوا يتدفقون من أبعد أصقاع الوادى إلى الدائرة الخاضعة لإدارته نظرًا لجاذبية شخصيته وحسن من أبعد أصقاع الوادى إلى الدائرة الخاضعة لإدارته نظرًا لجاذبية شخصيته وحسن سياسته للأمور. وما كان النجاح أو الاعتبار اللذان يحوزهما شيخ رئيس بالنسبة لشيخ سياسته لشيخ رئيس بالنسبة لشيخ

رئيس آخر ليعتمدا، بالضرورة، على مجرد التوازي - وإحد لواحد - مع توفر مخزونات المواد الغذائية في إقليمه. حقًّا يزهو وادى النيل، في مصر الوسطى من "أبيدوس" حتى القاهرة بأعرض مفيض فيضان وبأوسم رقعة، بالتالي، قابلة الزراعة، ومع ذلك فإن الشريط الفقير نسبيًا من الوادي، فيما بين "أسوان" و "أبيدوس" هو الذي أمد مصر بالشيوخ - الرؤساء الذين حوَّلوا أنفسهم إلى العائلة المالكة للأسرة الأولى(٢٠). فهناك في ذلك الجنوب البعيد نجد خلال الألف الرابع مراكز معينة وقد بدأت في التفوق على مستوطئات أخرى سواء على مستوى الحجم أو الأهمية السياسية؛ وكان كل مركز من تلك المراكز يقع في منطقة يمكن فيها التحكم في مفيض فيضان، سلس العنان في وقت الدميرة، وحيث يسهل بصورة نسبية وجود سهل قريب، عملية التحكم في ممر العبور(٤٢). وتقع "أبيدوس" فيما أصبح يعرف في وقت لاحق بالمديرية الثامنة في الوجه القبلى، وبالتحديد عند مدخل واد جاف أو طريق يقود إلى واحة "الداخلة" في الصحراء الغربية. أما 'نقادة' فكانت واقعة على بعد حوالي ثلاثين كيلو متراً شمالي مدينة "الأقصر" الحديثة، على الضفة الغربية النهر قبالة الطرف الغربي، مباشرة لوادي 'الحمامات' الذي يوفِّر منفذًا مريحًا إلى البحر الأحمر عبر الصحراء الشرقية(11). ولقد نمت مدينة "هيراكونبوليس" Hierakonpolis في منتصف الطريق بين "الأقصير" و "أسوان"، هي الأخرى عند مدخل مفيض قديم، يربطها مع دروب الواحات في الصحراء الكبرى(٤٥). وكانت "هيراكونبوليس" بين تلك المدن الثلاث هي التي حققت الفوز، إلا أن روح المساومة التي لا يستغنى عنها المتعهدون أو مباشرو الأعمال كانت مضفورة في الفوز: غدت "أبيدوس" ، مع ذلك، مكانًا مفضلاً لملوك "هيراكونبوليس" سواء لسكناهم أو لمثواهم الأخير(٤٦). وارتقى إله "أش" Ash (أو "سيت") الذي يتقمص الفنزير البرى كي يصبح الإله الحامي للوجه القبلي.

كان اتساع الرؤية وكل ما نتج عنه، مما وهب الوجه القبلى القدرة على القيادة، غائبًا في الوجه الشقيق أي في الدلتا. فالمدى هنا منخفض ومنبسط، وفروع نهر النيل ورياحاته عديدة، أما المحراء فبعيدة لا تصل إليها عين. وتنظيم السكان المحليين صعب، فنجد المرء متشبئًا بـ قاعدة البيت. وتتمثّل الوسائل الرئيسية العيش في صيد الأسماك وقنص الطيور وتربية المواشى ورعى الماعز، ولكن انتشار النحل جعل إنتاج العسل ممكنًا.

وكان البشنين والبردى والأعشاب العطرية متوفِّرة بغزارة، وفي نفس الوقت زرع الفلاحون الكروم على الضلع الغربي للدئتا وساحل البحر المتوسط. ولقد أجبرت المستنقعات المحيطة، التجمعات المجاورة على اللجوء إلى الأراضي المرتفعة وينيت البلاد على "الجزر" أو على "كثبان الرمل" التي تكثر على الضلع الشرقي للدلتا. وفي كل مكان، فيما عدا رأس الدلتا، أدت المستنقعات والمجاري المائية إلى عزل التجمعات، الواحد عن الآخر وتعزيز روح الاستقلال والاعتماد على الذات ومحدودية الأفق. وفي ظل هذه الظروف أصبح توحيد الوجه البحري غاية في الصعوبة على المستوى السياسي إلى الحد الذي حال دون انظراح فثل هذا الهدف بأي صورة مقبولة على الخيال.

ومع ذلك، وعلى غرار ما حدث في جنوب الوادي، برزت ثلاثة تجمعات في أواخر الألف الرابع عند فجر التاريخ المصرى يقع اثنان منها على الضلع الغربي الدلتا: "بوتو" Buto التي كانت واقعة في أقصى الغرب، على فرع رشيد على بعد ٢٤ كيلو مترًا جنوبي ساحل البحر المتوسط(٤٠٠). و "صايس" Sais التي تقع على بعد ٢٠ كيلو مترًا جنوبي "بوتو" على نفس الفرع(٤٠٠). وكانت كلتاهما قد ظلتا حتى القرن التاسع عشر ق.م منطقتين محصورتين وسط المستنقعات، وتتزايد الأدلة على وجود بيئة تغص بالبرك والمستنقعات هناك كلما رجع المرء إلى مصادر أقدم، وتقع "منديس" Mendes بالبرك والمستنقعات هناك كلما رجع المرء إلى مصادر أقدم، وتقع "منديس" للسرقي الدلتا، على بعد حوالي ١٠٠ كيلو مترات شمال – شرقي القاهرة، وحوالي ٥٥ كيلو مترا جنوبي البحر المتوسط(٤١)، ولكن ما من تجمع من هذه التجمعات الثلاثة قفز إلى موقع السيادة على غيره من التجمعات حتى أواخر هذا الالف (الرابع)، رغم أن "بوتو" كانت تتمتع بتفوق الموقع. ولقد خضع موقعا "بوتو" و "منديس" التنقيب في العصر الحديث، وتنظر" منديس" مزيداً من عمليات التنقيب في المستقبل القريب، إلا أن المستويات "صايس" في عصور ما قبل التاريخ موغلة في العمق تحت المستوى الراهن.

كان الوضع في فلسطين مناقضًا لما كان عليه الحال في الوجه القبلي في مصر وحتى في الدلتا؛ فانبثاق ونمو تجمعات تستطيع هناك، بصورة واضحة، بسط سيطرتها على مساحات واسعة كان أمرًا مستحيلاً. فالجبال تقسم الأراضي إلى مناطق محصورة – وديان، مرتفعات، سهول، سواحل – وهو الأمر الذى حال، بالتالى بون تطور أى تجمع إلى ما هو أبعد من كانتون . وكنتيجة تلقائية أصبح النمو السكانى محدودا ، ولم تحقق تركيبة الحكومة والمجتمع أى شىء أبعد من المستوى الجنينى. وعلاوة على ذلك فإن اجتياز ممرات العبور في غرب آسيا كان أشد صعوبة مما هو الحال مع النيل، كما أن السيطرة على شرائط طويلة من تلك المرات كان أمرا في حكم المستحيل. وأدى ذلك إلى ما يلى: رغم مشاركة المجتمع الإنساني في فلسطين لنظيره في مصر في أساس واحد هو القرية الزراعية، فإن المجتمع الأول لم يستطع مشاركة الثاني في التطور المستمر إلى كيان أكبر، وبالتالي لم يمر على خاطره مفهوم الدولة القومية".

لكننا لا نستطيع الاكتفاء بإرجاع نشوء المجتمعات المركبة لحتمية جغرافية على هذا النحو، إذ يبعو أن هناك عوامل إضافية كانت تعمل عملها في مصر، وهي العوامل التي يتعين علينا أن نتقصاً ها بالتوقف لمدة قصيرة عند آخر ثقافة تنتمي لعصر ما قبل التاريخ أقصد الثقافة الجرزية (٥٠).

تمتد الثقافة الجرزية ثلاثة قرون من حوالي ٢٤٠٠ إلى ٢٠٥٠ ق.م، وفقًا لاختبارات الكربون - ٤ (١٠). وتكشف هذه الفترة عن وجود مجتمع واقتصاد متقدمين بما لا يقاس مع كل ما سبقهما. ويرى البعض أن لهذه الثقافة علاقات مع الوجه البحرى الذى شهد على وجه الاحتمال ولادتها، رغم أن عمليات التنقيب في الدلتا لا تزال في بواكيرها الأولى، وليس في وسعنا أن نقول شيئًا مؤكدًا بعد حول الموضوع. وسرعان ما انتقلت تلك الثقافة جنوبًا حيث نجد مستوطنات جرزية على امتداد الوادى من الفيوم حتى ميراكونبوليس، رغم أنها عجزت، عندما نتوغيل جنوبًا في النوبة، عن اقتلاع الثقافة الأمراتية Amratian الأقدم عهدًا والاكثر بدائية (٢٠٠). ولكن الأدلة تنهض هنا ولأول مرة في تاريخ مصر على زيادة ملحوظة في عدد السكان؛ المستوطنات كبيرة، بل ويصل قوام بعضها إلى خمسة ألاف شخص (٢٠)؛ وأحيانًا نجدها محصنة، ويتكون من بيوت مستطيلة الشكل، ومبنية بقوالب الطوب الأخضر والخشب. واحتل وتتكون من بيوت مستطيلة الشكل، ومبنية بقوالب الطوب الأخضر والخشب. واحتل القدماد الصيد وقت ذاك وبكل تأكيد، مكانة أقل أهمية، في وقت صارت فيه الفلاحة التي تعتمد على ري محدود توفر معظم المتياجات السكان من المواد الغذائية.

ويكشف التجمع الثقافي الجرزي عن صناعة متقدمة تستخدم الهجر، تراجعت فيها السكاكين ذات الحدين في الشبوع أمام السكاكين الرفيعة والجميلة ذات الأنصال المتموجة، ورءوس العصبي ورءوس البلط ورءوس السهام التي تشبه الأزاميل، وأصبح النحاس الذي اهتدى إليه الإنسان في نهاية الألف الخامس ق.م. يُطرق وقت ذاك بدرجة معقولة من المهارة للاستخدام كمطارق وأزاميل وخناجر وفئوس وحراب ورءوس بلط أوحت بها خصائص الحجر، بينما استُخدم الذهب والفضة واللازورد والخزف بكميات صغيرة في صنع أبوات التجميل. إلاّ أن أشد ما يخلب الأبصار كان الفخار الجرزي المصنوع من المرك الصحراوي (تراب كلسي طيني) والمزخرف بالأصباغ الحمراء الداكنة. وكانت الزخارف قد أصبحت، وقت ذاك، أكثر تنوعًا بصورة كبيرة عن مثيانتها في الفترة 'الأمرانية' الأقدم عهداً، وغدت 'الموتيفات' لأول مرة عبارة عن مناظر مستوحاة من الواقع الحياتي المعاش. إذ نرى شتى أنواع الحيوانات التي عرفها المدى فيما قبل التاريخ: مدفوف النعام وقطعان الأبقار والثيران وأسراب الطيور والتماسيح والسفن بقمراتها والبيارق والرجال السائرون والنساء الراقصات. وأخذت أشكال الفخار تحاكي في بعض الأحيان نماذج أصلية مصنوعة من الحجر: الزلم الأسطوانية الشكل بمقابضها الأنبوبية والجرار المزدوجة والجرار حيوانية الشكل التي تصور أفراس نهر وأفيالاً وطيوراً وأسماكًا.

الصلة الآسيوية:

كانت تغيرات كبرى، كما هو واضح جلى، رهن الانبثاق فى مصر خلال الفترة الجرزية، ولا أرانا مخطئين فى وصفها بالطاقة المحركة التى صاحبت نشوء النظام الملكي، لقد سبق لنا أن استعرضنا العامل الجغرافي الذي عمل عمله في العملية، ولكن كانت هناك عوامل أخرى أيضًا، ولقد استحضر بعض الباحثين انخفاض نسبة تساقط الأمطار خلال العصر الحجرى الحديث شبه المطير Subpluvial كي يفسر الزيادة التي طرأت على تركز السكان خلال الفترة الجرزية(١٥). وقد تكون للزيادة السكانية صلة ما بالضرورة التي فرضت استنباط أساليب رى جديدة(٥٠).

أيًا كان الأمر، إلا أن الحقيقة التي لا يرقي إليها شك تتمثّل في أن الفترة الجرزية تكشف عن ملامح ثقافية عديدة لم تأت كنتائج لتطور محلى، بل ونعلها تحمل كافة السمات التي تشير إلى أنها وفدت من الخارج بصورة مفاجئة (٢٠) فلقد ظهرت إلى الوجود الأختام الأسطوانية الشكل، المعنوعة سواء من الخشب أو الحجر (٧٠). وسارت حرفة طرق النحاس، وكما سبق أن رأينا، خطوات واسعة إلى الأمام على معيد التقنية. واستخدمت قوالب الطوب الممنوعة من الطبئ في أنماط أكثر رقيًا من الأبنية، نستطيع أن نقول عنها بصدق إنها أثار خالدة. وصارت الأبراج والشرفات والأسطح المسررة بدخانيةها المتقنة الصنع على شكل كوي عمويية في نطاق والأسطح المسررة بدخانيةها المتقنة الصنع على شكل كوي عمويية في نطاق ما يستطيعه للهندس المعماري وقت ذاك (٨٠). وسادت أشكال فخارية جديدة، لا سوابق لها بوادي النيل، في ذخائر الفترة الجرزية (٢٠). ومضى الحبُّار وقت ذاك إلى تصنيع الأواني من أصلب الأحجار (٢٠). وخرجت من محجره رءوس العصى الكمثرية الشكل وظهرت مجموعة فخمة من الموتيفات الفنية الجديدة والغربية في إبداعات فنان الخطوط. وشملت هذه المؤتيفات صفوفًا طويلة من الحيوانات، وضواري تنهش فرائسها، وحيوانات عجيبة بأعناق طويلة ملتفَّة حول بعضها البعض، وأحد الأبطال فرائسها، وحيوانات عجيبة بأعناق طويلة ملتفَّة حول بعضها البعض، وأحد الأبطال يفصل بين سنورين، وأسرى يُضربون بالعصى حتى الموت.

يرجع الفضل إلى عمليات التنقيب التى قام بها الألان فى وركا" warka بالعراق والفرنسيون فى إيران فى أننا استطعنا العثور على نظائر مقنعة لمعظم هذه الملامح الجديدة الثقافة الجرزية، فى ذلك الصقع من أصقاع آسيا الغربية الذى سادته ثقافة "أوروك" المتأخرة التى نشات فى بلاد الرافدين ميزوبوتاميا "Mesopotamia ثقافة "أوروك" المتأخرة التى نشات فى بلاد الرافدين ميزوبوتاميا أثر هذا التطور الثقافى الذى حدث سواء فى وادى دجلة والفرات أو جنوب غرب إيران (١٢٠)، وهو التطور الذى أنتج هذه الأشكال و الموتيفات ، على امتداد قرون من النبو المحلى، فيما يفتقر التطور المناظر فى مصر إلى سوابق عليه. وبالتالى فإن قليلين هم الذين سيمترضون على المنتجة التى نسعى، بجلاء، إلى التوصل إليها حول وصول أفكار ومنتجات تنتمى لبلاد الرافدين إلى مصر بصورة مفاجئة نسبيًا (١٣٠).

ولكن ثلاثة أسئلة، في هذا الصدد، تطرح نفسها فورًا: كيف – بمعنى عن طريق من أو بأي وسيط – جُلبت هذه الأفكار والمنتجات إلى وادى النيل؟ ما السبيل الذي سلكته؟ ما العلاقة، إذا كانت هناك علاقة من أي نوع، تلك التي قامت بين وصول التأثير من بلاد الرافدين وانبثاق الملكية الفرعونية؟ قد لا تلقى هذه الأسئلة المحيَّرة أجوية شافية لسنوات طويلة، ولكن الاكتشافات الأخيرة توحى ببعض الاحتمالات التي يسيل لها اللعاب.

نستطيع أن نضيً النطاق المحتمل الأجوية باستنباط بعض النتائج الواضحة: أولاً، وعلى نحو ما أشار الكثيرون، فالمصريون – بصرف النظر عن الكيفية التى عرفوا خلالها النماذج الأصلية الآسيوية – لم ينسخوها بصورة حرفية، بل كيُفها في بيئتهم الفاصة. فالأختام، ورغم أنها حملت أحيانًا، مثلما هو الحال في بلاد الرافدين، "إمضاءات" دالة على أصحابها، إلا أنهم ساقوها أيضًا كي تعمل كعناصر بارزة في المشاهد الجنائزية. ومثل تلك "الموتيفات" التي تصور بطلاً يسيطر على حيوانين مفترسين عدَّلها المصريون بإحلال عناصر مصرية محلها (في هذه الحالة تماسيح) (١٠). أما المعاولات الأولى نحو الكتابة في وادى دجلة والفرات، وبينما يُحتمل أن تكون قد أمدت سكان وادى النيل بمفهوم ما، إلا أنها لم تؤثر بحال من الأحوال على نشوء الكتابة الهيروغليفية (١٠). وفي المحل الثاني يبدو واضحًا أن في طوعنا أن نسقط أي فرضية تطرح أي وسيط نُقلت تلك الأفكار خلاله. فلقد عُثر على المديد من الأختام الأسطوانية الشكل التي ترجع صناعتها إلى بلاد الرافدين في حقيقة الأمر في مصر، ودع عنك، تلك النماذج العديدة التي عبرهن على الاقل على وجود منتجات من صنع لوادى بجلة والفرات.

إلا أن المشكلة لا تزال قائمة: هل أقام أفراد من سكان وادى الرافدين اتصالاً ما بأنفسهم مع وادى النيل، ووصلوا بأشخاصهم إلى هنا، أم أن طرفًا ثالثًا قام بدور الوسيط؟ رغم أنها حجة تنطلق من عالم الصمت، إلا أنه من العسير أن نعثر على مثل ذلك "أطرف الثالث". حقًا قد نلتمس في إحدى تلك الامتدادات الإقليمية لثقافة "وروك - جمدت - نصر" في شمال سوريا، نقطة "قفز" إلى الشوط المصرى من الطريق،

ولكن ذلك ليس على وجه التحديد طرفًا ثالثًا، وهناك نقطة أخرى يجدر التأكيد عليها. فرغم أن "الموتيفات" الفنية، وخصوصًا تلك المستخدمة في الفنون الزخرفية الثانوية تغرى بالتقليد على أماد طويلة دون أن يتطلب الأمر اتصالاً مباشرًا، فلعله من الصعب أن نتصور كيف يتأتى لحرفة متخصصة مثل معمار الطوب الأخضر الذي عرفته الفترة الجرزية أن يفد إلى مصدر على أيدى أي شخص لم تقع عيناه على هذا الأسلوب المعماري في موطنه في وادى دجلة والفرات. ونستطيع أن نسوق حجة مماثلة فيما يتعلق بالزي وطريقة تصفيف الشعر – النقبة وعصبة الرأس واللحية – اللذين عُرفا عن "بطل" "جمدت – نصر" الذي ظهر على مقبض سكينة جبل العرق Gebel-el Araq عن "بطل" قصول في بلاد الرافدين.

إذا كان أفراد من وادى دجلة والفرات أو من أقاليم مجاورة تتمتع بنفس ثقافته (٦٧) قد أقاموا اتصالاً مباشراً مع مصر، فالعجب يتملك المرء: ما الذى جذبهم إلى وادى النيل وما الطريق الذى سلكوه؟

طرح بعض الباحثين مستودعات الذهب في الصحراء الشرقية كمصدر للجذب، حقًا كانت تقادة التي تقع على شاطئ النيل عند مدخل وادى الحمامات أسمى في العصور قبل التاريخية: بلدة الذهب (١٨). لكن من المشكوك فيه، على ما يبدو، أن يكون استخراج الذهب قد وصل إلى مستوى مكثّف خلال العصور الجرزية. ولما كان التحول من بلاد صغرى إلى مراكز حضرية ضخمة في بلاد الرافدين القديمة (١٩) مرتبطًا بالتحول من الاعتماد في مصادر العيش من الصيد إلى إنتاج الحبوب، فإن المرابيسال عما إذا كانت تجارة الحبوب هي التي فجرت الطفرة في الاتصال. ومع ذلك كانت بلاد الرافدين تعتمد على الذات، بكل تأكيد، في هذا المجال. وعود على بدء: سبق أن رأينا أن الانتقال التدريجي للناس والبضائع والأفكار في وادى النيل قبل الفترة الجرزية اتجه من الجنوب إلى الشمال، وبالتالي شكّل النيل ممرًا استطاعت المنتجات المشرقية أن تنتقل بصورة سريعة ويسيرة إلى البحر المتوسط والشمال الشرقي. الأفريقية أن تنتقل بصورة سريعة ويسيرة إلى البحر المتوسط والشمال الشرقي. هل هناك ما أغرى سكان أوروك بطرق هذا المر (الترانزيت) الآخذ بالازدهار الذي يسمح بمرور السلم، والأقرب إلى مصادرها؟

ظلت حيرة مماثلة تحوم باستمرار حول تحديد الطريق أو الطرق التي استُخدمت في إقامة الاتصال مع مصر. ولقد ارتأى "بترى" Petrie مذ وقت طويل أن الثقافة الجرزية انبثقت في الصحراء الشرقية (٢٠٠). وبينما لم يعد هذا الرأى يلقى قبولاً من أحد الأن، إلا أن توفّر مؤشرات على حضور ابلاد الرافدين في "نقادة" و"ميراكونبوليس" أوحت ابعض الدارسين بوجود طريق بحرى ينتهى عند مدينة " القصير" على ساحل البحر الأحمر، ويوصل إلى وادى "الحمامات" و "قفط" و "نقادة". وتشتمل هذه المؤشرات على "موتيفات" ترجع إلى بلاد الرافدين، وظهرت على مقبض سكينة قيل إن المنقبين عشروا عليها في منطقة "جبل العرق"، وفي منظر مرسوم داخل مقبرة في عشروا عليها في منطقة "جبل العرق"، وفي منظر مرسوم داخل مقبرة في من العاج والصلايات من موقع "ميراكونبوليس"، وخصوصاً السفن الغريبة. وهذه من العاج والصلايات من موقع "ميراكونبوليس"، وخصوصاً السفن الغريبة. وهذه السفن كانت تحمل تشابها صارحاً مع أشكال السفن المعروفة من الأختام التي ترجع إلى "أوروك" و"جمدت - نصر"؛ ومن شبه المؤكد أن طريق وادى "الحمامات" الذي يمكن أن يكون بحارو مثل تلك السفن قد سلكوه كان من المعروف أن كثيرين كانوا قد ارتادوه في أواخر عصور ما قبل التاريخ والحقب الموغلة في القدم (لوحة رقم ٢)(٢٠٠).

ومع ذلك هناك عدد من المؤشرات التى تحدونا إلى التطلع نحو الشمال بدلاً من الشرق في بحثنا عن نهاية الطريق الذي حمل ثقافة وادى دجلة والفرات إلى شمال أفريقيا(٢٠). على أن المهارة الزائدة في طرق النحاس قد تؤيد وجود ألفة أكبر مع مصادر هذا الخام في الشمال وفي سيناء(٤٠). أما الفضة فيبدو أنها وفدت بالضرورة من هضبة الاناضول في ظل افتقار مصر إلى رواسب منها(٢٠). وتكشف علامات معينة في الكتابة الهيروغليفية، مما قابلناه لأول مرة عند نهاية الحقبة الجرزية عن تجذر غريب في الأفق اللغوى لمتحدث باللغة السامية (في موطنه في المشرق)(٢٠). أضف إلى ذلك أن الكلمة المصرية التي تعنى: "غرب" تحمل تشابهًا قويًا مع الكلمة السامية الغربية لد اليد اليمني"، وهو الأمر الذي ينطوى على توجه من الشمال إلى الجنوب.

ولكن المشكلة ظلت تتمثل حتى الأونة الأخيرة فى أنه نظراً لعدم خضوع أى موقع فى الدلتا للتنقيب، فلم يبد أى دليل وشيك الظهور من ذلك الصقع يستطيع أن يشى بعنفوان الغارات القادمة من بلاد الرافدين، إذا ما اتضحت ضرورة أن يكون الطريق الشمالي هو الطريق الذي نبحث عنه، ولو أن أثار فلسطين لا توفر في هذا الصدد،

إلاً أدلة يكتنفها الالتباس على أحسن تقدير. فطوال العصر الحجرى الحديث لا يبدو أن قام اتصال ملموس بين مصر وفلسطين. وخلال أواخر العصر الحجرى الحديث وأوائل العصر الكالكوليثى أى الحجرى – النحاسى ارتكزت فلسطين على ثقافة متخلفة نوعًا ما لا تتمتع مع الشمال إلا بأقل درجة من الاتصال، ولا تملك سوى أقل القليل كى تمنحه لمصر (٢٧). وحتى فى الطور الرئيسي للعصر الكالكوليثي فى فلسطين أى الطور الفاسولياني Ghassulian (منتصف الألف الرابع ق.م) ظل الاتصال مع وادى النيل واهيًا (١٨٠). واستمر ذلك كذلك حتى النصف الأخير من هذه الحقبة وأوائل العصر البرونزي الأول (الذي يتعاصر مع الأسرة الملكية الأولى) حيث توحى الخطوات التي خطتها صناعة المعادن والتشابهات في صناعة الفخار بزيادة الصادرات الفلسطينية إلى مصر (٢٠١). وفي نفس الوقت تكشف الأسطوانات والأختام التي تتشابه مع ما تنتجه منطقة "جمدت – نصر" عن بدء اتصال تجاري مع الشمال أي شمال مصر (١٨٠). وبحلول منتصف الأسرة الأولى، عندما أخذت الاتصالات الفلسطينية في التزايد مع مصر، تلاشت الأدلة على وجود واردات إلى مصر من بلاد الرافدين (١٨).

وإذا ألقى هذا الدليل ظلال الشك على وجود ممر بعيد عن السواحل عبر أراضى فلسطين، فإن طريقًا بحريًا يطرح نفسه بقوة أكبر. فخلال الحقبة التاريخية التى تبدأ على أقل تقدير فى القرن السابع والعشرين ق.م، بل ومنذ أماد موغلة، دون شك، فى أعماق العصور القديمة، تمتّع الفراعنة بعلاقات تجارية رسمية مع مدينة بيبلوس عاليوس Byblos على الساحل الفينيقي (انظر الفصل الثاني). وينتصر التشابه بين الأدوات المصنوعة التى عرفتها الحقبة الجرزية وبين مجاميع الأدوات فى مدينة "بيبلوس" الأدوات المصنوعة التى عرفتها الحقبة الجرزية وبين مجاميع الأدوات فى مدينة "بيبلوس" (١٨٠). لصالح قيام صلة تجارية، عن طريق البحر بكل جلاء، بين الدلتا و "بيبلوس" (١٨٠). ولقد أنهت عمليات التنقيب التى قام بها الألمان فى الأونة الأخيرة فى منطقة "بوتو" تحت إشراف فاندرفاي" van der way النقاش فى الموضوع على وجه التقريب. فلقد تحت إشراف فاندرفاي فى شمال غرب الدلتا على بعد أربعة وعشرين كيلو متراً من البحر المتوسط، مستويات قبل تاريخية تتصل على صعيد صناعة الخزف بـ عموق Amuq فى شمال سوريا. أضف إلى ذلك أقماع الصلصال الملونة، التى ظهرت إلى النور، وهى من نفس النوع الذى كان يستخدم فى "أوروك" فى بلاد الرافدين لتريين واجهات من نفس النوع الذى كان يستخدم فى "أوروك" فى بلاد الرافدين لتريين واجهات من نفس النوع من الفسيفساء. وإذا كان موضع موغلٌ فى أعماق الدلتا مثل "بوتو" على العابد، كنوع من الفسيفساء. وإذا كان موضع موغلٌ فى أعماق الدلتا مثل "بوتو" على المعابد، كنوع من الفسيفساء. وإذا كان موضع موغلٌ فى أعماق الدلتا مثل "بوتو" على الموتوت" على الديرون الفسيفساء. وإذا كان موضع موغلٌ فى أعماق الدلتا مثل "بوتو" على الموتوت على الفسيفساء. وإذا كان موضع موغلٌ فى أعماق الدلتا مثل "بوتو" على الموتوت على الفسيفساء. وإذا كان موضع أله فى أعماق الدلتا مثل "بوتو" على الموتوت على الديرون الموتوت على الموتوت على الموتوت على الموتوت على الفسيفساء. وإذا كان موضع أله فى أعماق الدلتا مثل "بوتو" على الموتوت على الموتوت على الموتوت الموتوت الموتوت على الموتوت الموتوت على الموتوت الموتوت الموتوت الموتوت على الموتوت ا

صلة بسوريا وأعالى الفرات، فإن ذلك أمر يؤيد بقوة، ليس وجود طريق شمالى، بل وأن يكون هذا الطريق بحريًا كذلك^(٨٣). (شكل رقم ١)

ورغم أنه قد يكون من السابق لأوانه أن نتوصل إلى نتيجة فى هذا الشأن، إلا أن الأدلة على وجود صلة بين مصر ووادى الرافدين أكثر كثافة وتحديدًا مما تستطيع احتماله نظرية تقول بوجود صلة تجارية عابرة ومتقطعة. إذ يبدو أن هناك، إلى جانب السلع التجارية، عنصرًا بشريًا من أصل أجنبي، ينبغى البحث عنه فى النسيج السكانى لمصر خلال الحقبة الجرزية، دون أن يستهدف هذا البحث إنعاش نظرية "عرق الأسر الفرعونية" التي تلفظ أنفاسها الأخيرة، ولكن ينبغى علينا أن نحرص على ألا نخطئ فهم أدلتنا أو نتجاهل وزنها الحقيقي.

الملكية الفرعونية:

كان للاضطراب السياسى والاختمار الثقافى اللذين نستشعرهما على نحو يكتنفه الفموض فى مصر عند اقتراب الحقبة الجرزية من نهايتها، أن يوسع ويعظم شأن ظاهرة سياسية تتمتع بالاستقرار وطول البقاء. وقد وجدت هذه الظاهرة تجسيدها فى مخلوق بشرى يقوم بدور يستطيع نقله إلى مملكة القداسة. ولعل التآليه فى هذا الإطار، واضع فى الألقاب التى حملها وحجم السلطة التى تبوّاها. حقًا كان فى الأصل شيخ – رئيس و ذاك الذى ينتمى لنبات السوت ، ولكنه أصبح الآن تجسيداً له حورس الإله – الصقر. وكان فى وقت من الأوقات حاكمًا لتجمع يحيطه سور، ولا يحتاج إلا إلى الفطنة الدبلوماسية والحنكة الإدارية، وها هو يغدو الآن سيد حرب ناجعًا تمكن بعصاء من بسط سيادته على وادى النبل بنسره حتى رأس الدلتا. وتشير أسماء بيقي أو الألقاب التى انصدرت إلينا) إلى نصر دموى: حورس – هنا – كى – بيقي ، و حورس – يقاتل ، و حورس هو ثعبان الكوبرا، وحورس يقطع الرأس (١٤).

لم تكن الظاهرة الجديدة، بطبيعة الحال، سوى الملكية المقدسة أي حكم إله^(٨٥). وعلى نحو ما ظهرت في مبتدئها - وكان انبثاقها وتبلورها في آثار مشهودة سريعين -

تأسست تلك الظاهرة على طبقة تحتية Soubassement أفريقية عريضة لا تخطئها عين (٨٦). مع استعارات بارزة بنفس الدرجة من أماكن أخرى. وكان الملك/الفرعون . المسرى مرتبطًا بصورة وثيقة، منذ البدء، بخصوبة النيل وأرض مصر، فهو يضمن، شخصياً، هذه الخصوبة، ومجرد قدومه إلى "بحيراته ... بالغيطان والمروج الخضراء ... يجعل الحشائش والأعشاب تنمو على الضفاف (PT 508/9) (متون الأهرام ٨٠٥-٩) وخلال الموت ينتصر على الفساد والفوضي، ومثلما فعل 'أوزيريس' الذي يعد تجسيدًا القبر، يواميل إكساب التربة والنهر بتدفقه الباعث على الحيوية؛ وابنه وخلفه على العرش 'حورس' الجديد أنزل الهزيمة بالفوضيي: "ست"؛ وانتقم لـ والده، وبمساعدة أمه "إيزيس" (كما نطق اسمها اليونانيون) أعاد لوالده وجودًا في دنيا أخرى (٨٧). وعلى غرار ما هو الحال في كل مطرح أخر في أفريقيا، فالأسلاف، ككتلة واحدة أي ككل، وليس شجرة عائلة معينة ومحددة، هم الذين يُعوَّل عليهم في تجذبر مفهوم الملكية الذي كان قد نهض التر، في الماضي السحيق، وفي لحمة نسيج الجماعة. إذ إن الفرعون/الملك لم يكن مجرد شخص قفز كي يقبض على زمام الحكم، بل الوريث الشرعى لأسلافه، و'أكبر الكبار' ومحبوب الآلهة. ويجتمع سائر أبناء الجماعة من أعلاهم إلى أدناهم شأنًا، بالإضافة إلى "أرواح" الأسلاف وألهة البلدة والمقدسين المطين عن بكرة أبيهم كي يسبغوا رضاهم على تجسيد الإله - الملك / الفرعون ثم يعودون إلى الاجتماع في جلسة خاصة في أوقات متفرقة خلال حكمه الحالي كي يعيدوا تأكيد رضاهم^(۸۸)،

ولكن إذا كانت سمات الملك/ الفرعون الأفريقية هي أشد ما يخلب منا الأبصار، فإن هناك مهمات وسمات رمزية توغل بنا في أعماق هذا المجال. ففي أواخر الحقبة الجرزية، وعندما استكمل أو كاد شيخ / رئيس "هيراكونبوليس" النائية توسيع مملكته حتى بلغت حدودها رأس الدلتا، شرع بصورة واعية بالذات في ارتداء غطاء رأس خاص كرمز ظاهر لمكانته. وكان هناك تاج مفتوح من أعلى أخضر اللون (وفي وقت لاحق أحمر) معروفًا منذ وقت طويل على امتداد الوادي، وسرعان ما صار متعارفًا عليه (بصورة متكلفة) كالتاج الذي يرمز لحكم الدلتا. ولكن الغطاء القومي لرأس الملك/الفرعون كان مستطيل الارتفاع بصلي الشكل أبيض اللون، ويوجد تاج مناظر له

في المستويات الموظة في القدم في منطقة "سوسة" (١٩٩) في بلاد الرافدين، وفي سبيل تأكيد وإشاعة قسوة النظام ونزعته الحربية إلى حد لا يطيق وجود أي منافسين، لجأ الملك/الفرعون إلى عدد من "الموتيفات" والرموز المحددة، ويعيد إعدام الأسرى إلى الأذهان بقوة نظائر مماثلة في بلاد الرافدين (١٩٠). و "موتيف" النصر الفذ، أي منظر الضرب على الرأس، الذي أكسبته لوحة "نارمر" شهرة واسعة، قفز فجأة في سائر الذخائر الفنية في الأسرة الأولى، إلا أن لهذا المنظر نظيراً سابقًا عليه في "سوسة" عند مستوى طبقة و (١٩٠). أما "الموتيفات" التي تشتمل على أسد ينهش شوراً ويسحق خصماً، وسواء ظهرت على بيارق فيما يدل على تقسيمات إقليمية جديدة (كالمراكز أو المديريات) أم كإشارات التبشير بقدوم ميمون، ينبغي فهمها كلها على أنها أشكال للملك/الفرعون (لوحة رقم ٣) نجد لهذه "الموتيفات" هي الأخرى نظائر عريقة لها على امتداد الشرق الأدنى، لكنها ظهرت، بصورة مفاجئة، نسبياً في مصر مع نشأة الملكية.

كانت الملكية تمثّل، رغم الآثار التى تهفّرت عن جنورها المتباينة، مفهومًا جديدًا، وكان مؤسسوها يفكرون فى صور جديدة، فاعتبارًا من نقطة بدء راهنة أدت فيها المقتضيات المناخية إلى زيادة ملموسة فى تركز السكان، ولم تفرض على شيخ القبيلة أن يتحايل على المشاكل بحلول مؤقتة وحسب، بل وأن يصبو أيضنًا إلى المستقبل الذهبى الذى يتحكم فيه فى حركة النقل والانتقال لمسافات أبعد، وكانت مؤسسة الملكية الوليدة قد تشبعت بالهدف، واندمغت بـ المصير الواضح السيطرة المتنامية باستمرار على الموارد. وجاءت النوية والدلتا فى المرحلة التالية (٢٠)، ووراءهما – ولم لا ؟ – ليبيا وسيناء والمشرق. (لوحة رقم ٣).

تقدم لنا التغيرات السكانية في مصر في أوائل الأسرة الأولى تناقضاً صارخاً مع فلسطين، فلقد حول المصير الواضح لـ "ربيب حورس" Protégé of Horus الجماعة إلى "أمة": كانت مصدر عبارة عن بلدة زراعية جرى توسيع نطاقها كي تلائم الشكل السياسي الجديد (٢٠). وفي سبيل النجاح وجد أولئك المشاركون في إحراز النصر وتوجيه التنظيم أنفسهم مضطرين إلى النمو عددياً مع الزيادة العددية للجماعة، واقتضى التحكم يوماً بيوم في "بلدة" لا يُستطاع الوصول إلى أطرافها في بحر يوم

واحد إلى الرسل والمندوبين المقيمين ومسئولي النقل؛ وتطلُّب تطبيق الإجراءات الالزمة هيئة من المستخدمين، ومضيفًا لإطعام وإيواء هؤلاء التابعين الجدد، واحتاج الشيخ الرئيس منتجين للأغذية وموردين لها، وموظفى خدمات. أما في المشرق ويلاد الرافدين، فلقد ظهرت المدينة أو المتروبول (= العاصمة الكبرى) في أي دولة إلى الُوجود بصورة بطيئة وخلال نمو تلقائي نتيجة لظهور سوق يجرى خلاله تبادل المنتجات، ووجود عوامل اجتماعية ظلت تعمل عملها على امتداد القرون؛ ولكن المتروبول في مصر التي أطلق عليها اسم "الحصن الأبيض" (وفي وقت لاحق "منف")(١٤). فظهرت إلى الوجود بصورة مفاجئة، وخلال الإرادة الواعية لفرد فذ، ونتيجة لضرورة سياسية. وتمثُّل الأساس الذي قامت عليه في تركز قوة العمل: أحواش واسعة تحيط بها أسوار مشرشرة من الطوب الأخضر، لتوفير الحماية لمجاميع العمال النين يحتاج إليهم النظام الجديد(٩٥) (شكل رقم ٢). ووفَّر مقر الملك/الفرعون بؤرة لعدد دائم النمو من المكاتب، وأسفرت عبادة الأسالاف عن قيام عدد دائم التزايد من المنشات الجنائزية، بل وبلاد الشعائر التي يقطنها سبنة مقيمون. وفي عبارة موجزة، ضربت مدينة إله"(٢١) ، بكل معنى الكلمة، بجنورها في شريط يمتد طوله إلى أربعين كيلو مترًا من الوادي، ويستند إلى رأس الدلتا. وهو أمر لم يشهد أحد، سواء في مصر ذاتها أو المشرق له شبيهًا من قبل. وشعرت فلسطين بالانجذاب الذي تولُّد عن حب الاستطلاع، ولكن مصر كانت، هي الأخرى تتطلع إلى ما وراء الحدود، كيف ووفق أي شروط، ركِّز المصريون نظرتهم على فلسطين؟ هذا ما سوف نراه في الفصل التالي.

الهوامش

(١) للاطلاع على أعمال عامة حول ما قبل التاريخ المسرى انظر:

- J. Mellaart, The Earliest Civilizations of the Near East(London, 1965); idem, The Neolithic of the Near East(London, 1975); W.C. Hayes, Most Ancient Egypt (Chicago,1965); M.Hoffman, Egypt before the Pharaohs (New York, 1979); J.L.de Cenival, L'Egypte avant les pyramides (Paris, 1973); V. Gordon Childe, New Light on the Most Ancient Near East (London, 1953);f.Debono, in J.Ki-Zerbo, ed, General History of Africa(London,1981), 634-55; D.A.E.Garrod and J.G.D. Clark, CAH (1971)70-89 أما الذين يريبون قائمة كاملة بالمصادر في هذا الصدد فينبغي عليهم أن يرجعوا إلى
 - A Bibliography of Egyptian Prehistory (New York, 1985) : في (K.R.Weeks)
 - P.E.L.Smith, Scientific American 235(1976), 30-38. (Y)
- C.B.M.McBurney, The Stone Age of North Africa (Harmondsworth, 1960), 122; (7) W.C. Hayes, JNES 23(1964);78;R.Said and F.Yosri,BIE 45(1986),1-30.
- F.Bordes, The Old Stone Age (London, 1968), 64-76; D.Gilead, World Archaeology 2 (£) (1970),1-11;P.M.Vermeersch et al.,Paleorient 4 (1978),245-52.
- K.S.Sandford, Palaeolithic Man and the Nile Valley in Upper and Middle Egypt (6) .41, Vandier, Manuel d'archeologie égyptienne (Paris, 1952), (Chicago, 1934). لـ;(Vandier, Manuel d'archeologie
- R.W.Fairbridge,Kush 11 (1963),98ff.; K.W.Butzer and C.L.Hansen,Desert and (1) River in Nubia (Madison, Wis., 1968); K.W. Butzer, Environment and Archaeology (Chicago, 1971),553;J.Mellaart,The Neolithic of the Near East (London,1981), 264; F. Hassan, in L.G. Freeman, ed., Views of the past (The Hague, 1978), 153-76.
- (٧) ينبغي أن نضع في المسبان أن القول الذي يذهب إلى أن المستنقعات كانت منتشرة خلال العصبور قبل التاريخية في وادى النيل و وقع على كاهلَ السكان أن يجففوا تلك المستنقعات ريمراوها إلى أراضٍ زراعية (McBurney,Stone Age,142) أصبح الآن مجافيًا للصواب. .Cf :K.W.Butzer, Buil Soc Geog Égypte 32(1959),47 كان نطأق المستنقعات والبرك الدائمة ممدودًا للفاية بل وكان تافهًا لا ينبه له على وجه التقريب، حتى خلال عصور المستوطنات الأولى. وكان الشطر الأعظم من السهل يتكون من أحواض يغمرها الفيضان بصفة موسمية مثاما هو الحال اليرم" . Idem,Environment and Archaeology,601
 - Butzer, Environment and Archaeology, 547 (A)

- (٩) إذا أراد القارئ معرفة المزيد عن مؤلاء الناتوفيين فعليه بالاطلاع على:
- D. Garrod, The Natulian Culture (London, 1957); K.M.Kenyon, Advancement of Science 26(1969-1970), 1-17; Mellaart, The Earliest Civilization of The Near East, 22-32; idem. The Neolithic of the Near East, 28-38.
 - (١٠) غزيد من المعلومات حول الدرب الغربي انظر:

K.W.Butzer, Early Hydraulic Civilization in Egypt (Chicago, 1976),

ولزيد من العارف حول الفرطوم في العصور المجرية الرسيطة انظر:

B.Trigger,in Ancient Egypt, A Social History (Cambridge, 1983), 16; Cf. also Clark, CAH I (1971), 34ff; R.Derricourt, JNES 30 (1971), 1-9

(١١) للاطلاع على مزيد من الأعمال التي تتناول التدفق من الجنوب إلى الشمال، انظر:

McBurney, Stone Age,128,161;R.Solecki,Kush 11(1963)k70;E.Strouhal,Journal of African History 12(1971),1-9.

J. M. Renfrew in P. Ucko and G. W. Dimbleby, Domistication and Exploitation of (\Y) Plants and Animals (London, 1969) ,149ff.; Trigger, Ancient Egypt ,17ff.

- Trigger, Ancient Egypt ,10. (۱۲)
- M. Hoffman, JNES 39 (1980), 119-39. (\£)
- Butzer, Bull Soc Geog Egypt 32 (1959); idem, Environment and Archaeology, (%) 602.
- (١٦) حول هذه المقاومة للتغيير، الأمر الذي أدى إلى نشوه اقتصاد مختلط يجمع بين قنص الحيرانات ومبيد الأسماك وفلاحة الأرض خلال العصر الحجري الحديث في مصر، انظر: W.C. Hayes, JNES 23 (1964), 226; K.A. Wittfogel Oriental Despotism (New Haven, Conn., 1957) 19;Trigger,Ancient Egypt,20.
 - (۱۷) حول التمدين في مصر القديمة انظر: .(1977) B.J. Kemp, Antiquity 51
 - Hoffman, Egypt before the Pharaohs, 307. (\A)
 - H. Goedicke, JSSA 16 (1986), 57-62. (\4)
- K. Sethe, Urgeschichte und älteste Religion der Ágypter (Leipzig, 1930), 3ff.; on (Y-) the nature of the local god in Ancient Egypt

حول طبيعة الإله المجلى في مصير القديمة انظر:

see E. Hornung, Conceptions of God in Ancient Egypt (Ithaca, 1982), 70-74.

(٢١) طبيعة الارتباط تختلف من مكان لأخر ما بين التماثل التام إلى الصلة الواهية بين الرمزين المقدسين اللذين ينتميان لوضعيتين مستقلتين. انظر:

H.Frankfort, Ancient Egyptian Religion (New York, 1948), 3-29; Sethe, Urgeschichte, 6-7; S. Schott, Hieroglyphen (Mainz, 1950), 15ff.; J.Assmann, BN(1980), 46ff.

والشعارات المقدمة تشمل الحيوانات (كالبقرة والأسد والثور والتمساح) والطيبور (كالصفر وأبو منجل والنسر) والحشرات (كالجمران والحريش أم أربعة وأربعين والنباتات (الجميز والبوانات) والدفل) والأشياء غير المية (الجماد) (= كالعامود والأوتاد) ولا يزال رمن النقاش ما إذا كأن في انتشار مثل هذه الشعارات دليل على وجود مرحلة طوطمية أقدم في تطور الديانة المصرية. W. Helck, Untersuchurgen zu den Beamtentiteln des Ägyptischen Alten Reiches (۲۲) (Glückstadt, 1954), 51.

وفي الأزمنة التاريخية حافظ المصريون على هذا اللقب كى يطلقوه على الحكام الأجانب. Cf. The "corporation" and the "council" of Heliopolis, and its role in the Old king- (۲۲) dom:

حول "الجمعية" والمجلس" في "أون" (= هيليويواس) ودورهما في المملكة القديمة، انظر: A. Anthes, JNES 18 (1959), 192-94.

See E. Otto, WO 1 (1947-1952), 445; H.Goedicke, Die Stellung des Königs im (Y£) alten Reich (Wiesbaden, 1960), 17-37; E.J. Baumgartel, The cultures of Predynastic Egypt (Oxford, 1960), 2:142-43; idem, JEA 61 (1975),28-32.

- J.G. Griffiths, The Conflict of Horus and Seth (Liverpool, 1959), 147-48. (Yo) Baumgartel, predynastic Egypt, 2:152-53; Trigger, in Weeks, Egyptology and (YN) the Social Sciences, 51-52.
- J. Cerny, Ancient Egyptian Religion (London, 1952), 16; Otto, WO 1 (1947- (YY) 1952), 434; I.E.S. Edwards, The Pyramids of Ancient Egypt (Harmondsworth, 1962), 34; the circumpolar stars, "they that know not destruction," particularly fascinated the ancients.

تلك النجوم "التي لا تعرف الهلاك" خلبت لب القدماء على وجه الخصوص.

S. Schott, Bemerkungen zum ägyptischen pyramidenkult (Cargo, 1950), 142; H. (YA) Kees, Ancient Egypt: A Cultural Topography (London, 1961), 25.

W.Heck, Ar Or 20 (1952), 83; J.G. Griffiths, The Origins of Osiris and His Cult (Y1) (Leiden, 1980), 166.

Schott, Pyramidenkult, 142,162-64; A. Scharff, Das Grab als Wohnhaus in der (T.) ägyptischen Frühziet (Munich, 1947); see H.Kees, in S.A.B.Mercer, The Egyptian Pyramid Texts (New York,1952),124-127; J.Settgast, Untersuchungen zu altägyptischen Bestat-tungsdarstellungen (Glückstadt,1963),114.

- K. Kenyon, PEQ (1960), 1-21; idem, Digging Up Jericho (New York, 1957), (T1) 65-76.
- G. Buccelati, Cities and Nations of Ancient Syria (Rome, 1967), 40-41 (۲۲) انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب.

- Mellaart, The Neolithic of the Near East,61-62. (Y1)
 - Ibid., 67-69. (Ta)
- A. J. Arkell and P.J.Ucko, Current Anthropology 6 (1965), 145-65. (TT)
 - (۳۷) حول الري انظر:

W.Schenkel, Die Bewasserungsrungsrevolution in alten Ägypten (Mainz, 1978); Butzer, Early Hydraulic civilization; in D.Schmandt-Besserat, ed., Immortal Egypt (Malibu, Calif., 1978), 13-18.

(٢٨) حول ما يسمى بالثورة الحضرية، انظر:

V.Gordon Childe, Man makes himself (London.1936),157-201;idem,New Light,98ff.; J.Wilson,The Burden of Egypt (Chicago,1951),29ff.;cf.the remarks of Butzer in Environment and Archaeology,603-4.

- R. Engelbach, ASAE 42 (1943), 193-221; D. E. Derry, JEA 42 (1956), 80-85; W. (71)
- B. Emery, Archaic Egypt (Harmondsworth, 1962),38-40.

(٤٠) انظر: `

A.C.Berry, and P.J.Ucko, Man, n.s. 2 (1967), 551-68; Trigger, Ancient Egypt, 12-13.

- Kees, Ancient Egypt: A Cultural Topography, ch.1. (٤\)
- (٤٢) بلاحظ "تريجر": Trigger في كتابه "Ancient Egypt" أن لمفيض الفيضان بدئًا من "أبيدوس" وصاعدًا باتجاه الجنوب أحواضًا طبيعية أصنغر، الأمر الذي يجعل الري أسهل مما هو عليه كلما هبطت باتجاه الشمال.
 - K. Bard, JARCE 24 (1987), 81-94. (£Y)
- W.M.F. Petrie and J. E. Quibeli, Naqada and ballas (London, 1896); J.J. Castil- (££) los, JSSEA 11 (1981), 97-106.
- W. Kaiser, MDAIK 16 (1958), 183-92; B. Adams, Ancient Hierakonpolis (£o) (Warminster, 1974); idem, Ldà 2 (1977), 1182-86

وهول الاسكتشافات الجديدة، انظر:

M.Hoffman, Expedition 18 (1976),32-41; idem, Anthropology 4 (1980),51-70.

Cf. B. J. Kemp, JEA 52 (1966), 21. (٤٦)

ولكن هناك احتمالاً بئن تكون "هيراكونبوليس ربما خسمت هى الأخرى مدافن ملكية.

Idem,JEA 59 (1973),36ff.

(17) للاطلاع على مزيد من الأعمال حول "بوتو" انظر:

H.Altenmüller,LdÄ 1 (1975), 887-89, D.B.Redford.

- J. Baines and J. Malek, Atlas of Ancient Egypt (london, 1980), 170. (£A)
- (٤٩) انظر .(٤٩) E.S.Hall and B.V.Bothmer, eds., Mendes, 2vols. (Warminster, 1976-1980)

- C.Aldred, Egypt to the End of the Old Kingdom (London,1965),36-42; (**)
 E.J.Baumgartel ,CAH 1(1971),ch.9; J.Eiwanger,in J.Assmann,ed.,Problems and
 Priorities in Egyptian Archaeology (London,1987),81-104.
 - Butzer, Early Hydraulic Civilization,7; idem,JNES 44(1985), 306 (61)

ويبدر أن بداية الأسرة الأولى تقع في فترة قريبة من سنة ٢٠٥٠ ق.م.: انظر في هذا الصدد: F.A.Hassan and S.W.Robinson,Antiquity 61(1987),125.

B.Trgger, History and Settlement of Lower Nubia (New Haven, Conn., 1959), (oY) 68-72.

- Butzer, Environment and Archaeology, 602. (oY)
- Hoffman, Egypt Before the Pharaohs,309-10.(at)
- Wilson,Burden,29 ff.:Wittfogel, Oriental Despotism, 16ff.;E.Boserup, The Conditions of Agricultural Growth (Chicago,1965),11.
- (٥٦) من بين الكم الضفم من الأدب الذي يدور حول هذا الموضوع، يستطيع المرء أن يرجع إلى ملخصات تؤدى الغرض في هذا الباب من قبيل:

H.Frankfort, The Birth of Civilization in the Near East (Bloomington, Ind., 1951); Baumgartel CAH 1(1971), ch.9; W.S.Smith and W.K. Simpson, The Art and Architecture of Ancient Egypt (Harmondsworth, 1981); Trigger, Ancient Egypt; Aldred, Egypt, 31ff.

- A. L. Kelly, JSSEA 4 (1973), 5-8. (oV)
- (٨٨) للاطلاع على مثل هذه العمارة في "هيراكونبوليس" انظر:

K.R. Weeks, JARCE 9 (1971-1971), 29-33; W.A. Fairservis, Jr., The Hierakonpolis Project, vol.3 (Poughkeepsie, N.Y., 1986).

H. Kantor, in R. Ehrich, ed., Relative Chronologies in Old World Archaeology (a4) (Chicago, 1965),fig.2.

- A.Lucas, JEA 16 (1920), 200-212. (1.)
- (١٦) للاطلاع على تعاصد الفترة المتأخرة من حضارة "أوروك" (في العراق) مع العضارة الجرزية (في عصر) و "جمدت نصر" مع الأسرة الفرعونية الأولى إنظر:

F.Hassan and S.W.Robinson, Antiquity 61 (1987),125.

- LeBretton, Iraq 19 (1957), 79- 124. ("\Y)
 - (٦٣) انظر الأعمال التي ورد ذكرها في:
- P. Amiet, La glyptique mésopotamienne archaique (Paris, 1961), sealing R (%) (I am indebted to Mrs. Ferrie for drawing my attention to this example).
- M. V. Pope, Antiquity 40 (1966), 17ff.; E. S. Meltzer, in P. A. Kolers et al., eds., (%) processing of visible Language (New York,1980), 2:43-66; W. Schenkel, GM 52

(1981), 83-95; W. Helck, in P. Posener-Kriéger, ed., Mélanges Gammal eddin Mukhtar (Cairo, 1985), 1:395-408; idem, Untersuchungen zur Thinitenzeit (Wiesbaden, 1987), 138-43.

ينبغي أن نائحظ أن مبدأ الكتابة المقطعية الذي يقف وراء القلم المسماري غير معروف في تطور القلم المسرى.

- H. kantor, in Ehrich, Chronotogies, 10; A. Kelley, JSSEA 4 (1973),5-8. (73)
 - (٦٧) في حقيقة الأمر تأتى بعض أفضل التناظرات من إيران:

Le Bretton, Iraq 19 (1957),79-124; E.Heinrich,Die Tempel und Heiligtümer in alten Mesopotamien (Berlin,1982),1:38.

- H. Heinrich Kleinfunde aus den archäischen Temtelschichen in Uruk (Berlin, (٦٨) 1936), 11; Trigger, Ancient Egypt, 39.
 - J. Makkay, Iraq 45 (1983), 1-6. (٦٩)
 - Petrie, JRAI 31(1911), 250; (۷۰)
- W.Davis, in R.Robertson, History of African Archaeology (London, 1990),277-78.

 W. Kaiser, MDAIK 16 (1957), 189ff.; H. Case and J. C. Payne, JEA 48 (1962), (V\)
 11; J. C. Payne, JEA 59 (1973), 31-35.
- Cf. A. Scharff, SBAW (1942), 3, 23,; E. J. Baumgarted, Ar Or 20 (1952), 281; S. (VY) Yeivin, Polotsky Festschrift (Jerusalem, 1964),27.
- W. F. Albright, The Archaeology of Palestine (Harmondsworth, 1949), 72; E. (YT) Anati, Palestine before the Hebrews (New York, 1963), 354; Trigger, Ancient Egypt, 39; W. M. Davies, JSSEA 11 (1981), 21-27.
 - Baumgartel, Cultures, 1:42. (Y1)
 - Ibid., 2:14-18; A. Lucas, JEA 14 (1928), 313ff. (Vo)
- للعلامات الهيروغليفية التي تُكتب بها كلمات 'عين رأذن ريد' قيم صوتية تتماثل مع جنور في اللعادات الهيروغليفية، إلا أن الكلمات المصرية لهذه الأطراف الثلاثة مختلفة تمام الاختلاف. K.Sëthe,ZĀS 50 (1907),91ff.;E.Otto, WO 1,no. 3 (1948),144;see D.B.Redford, in B.Bryan,ed., Festschrift for Hans Goedicke (Baltimore,1991),forthcoming.
 - K. A. Kenyon, Archaeology in the Holy Land (london, 1979), 49-50. (VV)
 - Ibid., 63;cf. H. Kantor, JNES 1 (1942),177;J. Kaplan, IEJ 9 (1959),134-36. (YA)
- Kantor, in Ehrich, Chronologies, 6-9; B. Hannessy, The Foreign Relations of (Y4) Palestine during the Early Bronze Age (London, 1967), 26-35; R. Amiran, Ancient Pottery of the Holy Land (New York, 1970), 22-35; O. Bar Yussef, IEJ 27 (1977), 65ff.; W. S. Smith and W. K. Simpson, Art and Architecture of Ancient Egypt² (Harmondsworth, 1983), 433, n. 27.

- Albright, Palestine, 71; Kenyon, Holy land, 80. (A-)
- G. E. Wright, The Bible and the Ancient Near East (New York, 1965), 100, and (AN) 130, n. 46; Kantor, in Ehrich, Chronologies, 11-14.
- O'Connor, Cambridge Encyclopedia of Archaeology, 131; M. Saghieh, Byblos in (AY) the 3rd Millennium B. C. (Warminster, 1983), 129.

(۸۲) انظر:

J.Leclant,Orientalia 55 (1986),242-43;56 (1987),301-2: T.von der Way,MDAIK 43 (1986),241-57;

وهول انتشار الثقافة السومرية في شمال سوريا خلال الألف الرابع ق.م. انظر: J.Oates,Babylon (London,1086), 29 and n.1;

وحول ديموجرافية (الطبيعة السكانية) الدلتا انظر:

Redford, in Bryan, Goedicke Festchrft.

(٨٤) حول الأسماء الملكية للأسرة الأولى انظر أحدث عمل له:

Helck, Thinitenzeit 115-18

أما بالنسبة للأعمال الأقدم لـ: "هيلك": Heick فبوسع المرء بل و يتعين عليه، على وجه الاحتمال، أن يتحفظ على عدد من ترجماته.

- (٨٥) بين أفضل الأعمال التي تدور حول النظام الملكي في مصر القديمة يجدر بالمرء أن يرجع إلى ما يلي:
- W. Barta, Untersuchungen zur Göttlichkeit des regierenden Königs (Munich, 1975); H.Brunner, Universtas 11(1956)k797-806; H.W.Fairman, in S.H.Hoole, Hooke, ed., Myth, Ritual and Kingship (Oxford, 1956), 74-104; H.Frankfort, Kingship and the Gods (chicago, 1951); H.Goedicke, Die Stellung des Königs im allten Reich (Wiesbaden, 1960); J.P.Lauer, BIFAO 55 (1956), 153ff.; G.Posener, De la divinité du pharaon (Paris, 1960).
- Cf. E.L.R. Meyerowitz, Divine Kingship in Ghana and Ancient Egypt (Lon- (A1) don,1960).
 - AV) انظر: Griffiths,Origins of Osiris ، انظر:
 - (٨٨) حول "الأسلاف" انظر:
- D.B.Redford in Pharaonic King-lists,Annals and Daybooks (Toronto.1986),137-140 and passim. (في مواضع مختلفة من النص الذكور).
- Amiet, La glyptique mesopotamienne, no. 282; Heinrich, Temple und Hei- (A9) ligtümer, 1;38.
 - Quibell, Hierakonpolis, 1:pls. XI;XII, no.4-6;XV. (٩-)

- Le Bretton,iraq 19 (1957), fig.18,no.4. (41)
- (٩٢) كانت عملية ضم مصر السفلى، الدلتا عنوة، ممدودة استغرقت وقتاً طويلاً، ومن الخطأ البين أن نتصور حدوثها دفعة واحدة على نحو ما يوحى لوح "نارمر":

W.Kaiser, ZÄS 91(1964), 86ff.

- Otto.WO 1 (1947),445-46. (97)
- K.Zibelius, Ägyptische Siedlungen nach Texten der alten Reiches (Wiesba- (%) den,1978),39-42.
- (٩٥) "هووت" (Hwt) حظيرة وفي وقت لاحق "حـوش" (نو طبيعـة جنائزية في الفيالب). وعن هذه الكلمة، انظر:
- H. Jacquet-Gordon, Les noms des domaines funéraires (Cairo,1962) M.Atzler, CdE 47(1972),17ff, A.Badawy, Laà 2 (1978),194-203.
 - Cf. "(Divine) Falcon-town" as a designation of the residence:PT 417 a. (41)

الفصل الثانى

مصر العليا ومصر السفلى والبلاد المسوَّرة في آسيا

تغص الفنون التى عرفها أواخر عصر ما قبل – التاريخ والأسرة الأولى بشخصيات، على هيئة "موتيفات" مقولبة Stereotyped نوعًا ما راجت فى النوق العام فى ذلك الوقت، وقامت بدور "المغلوبين". وأدى الدافع اللاواعى لتصروير مثل هؤلاء الأعداء على هذا النحو الشائن تمامًا، والفاقد لكل اعتبار، إلى تصوير دائم لشخص أشعث، عريان فى غالب الأحيان، بصرف النظر عن هوية وطنه (۱). وبالتالى صار من الصعب فى معظم الأحيان أن ينفذ البصر خلال حاجز التنميط كى يحدد المرء أى شعب أجنبي ذاك الذى يريد الفنان تسجيل هزيمته (۲) ولا يتبدل الأمر، إلا عندما يرى الفنان أن يضمن المنظر عدة الحرب أو الشعارات الخاصة (۲)، أو أن يشرح المعورة التى يرسمها بوضع "اسم" (المغلوب)، فعندئذ وحسب ندرك أننا فى حضور هذا الأحنى أو ذاك.

يرجع الفضل إلى مثل تلك الشروح مع ثبات التصوير طوال الملكة القديمة، في أننا نستطيع على وجه التقريب أن نصف الرجل الآسيوى الذي عاش في أوائل الألف الثالث ق.م بأنه شخص ملتع نو شعر مضفور تجمعه عصابة رأس كي تتركه ينسدل خلف أذنيه. أما زيه الرئيسي فعبارة عن نقبة تصل من خصيره حتى ركبته (١). ولكنه كان يلبس على وجه الاحتمال، عباءة أثقل أو فروة شاة في فصل الشتاء (٩).

فلسطين خلال المملكة القديمة:

قد توحى هذه التصاوير المتفرقة التى لا تتسم بأى قدر من الود تجاه الآسيويين بأن فلسطين كانت متخلفة، ولا تنطوى إلا على أهمية ضئيلة، غير أن الصورة التى تمدنا بها الأثار تصحح لنا هذا الانطباع الزائف. حقًا تقع مستويات أوائل العصر البرونزى في معظم تلال فلسطين عند أعماق منخفضة للغاية تحت الطبقات التى ستفصى في غالب الأحيان ستفصى في غالب الأحيان الخضاعها الفترات اللاحقة الواحدة على الأخرى، إلى الحد الذى يستعصى في غالب الأحيان إلى الجهود المنسقة التى قام بها باحثون معاصرون من أمثال أر. عميران R. Amiran إلى الجهود المنسقة التى قام بها باحثون معاصرون من أمثال أر. عميران Kathleen Kenyon وأر. جوفنا R.T. Schaub وأر. تى . شوب R.T. Schaub وراست W.Rast من بريطانيا، وببليو. ديفر W. Dever وأر. تى . شوب B.Hennesey وبيلو، راست B.Hennesey من أننا أصبحنا الآن في وضع أفضل كثيرًا كى نقيًم طبيعة تلك المستوطنات التى في أننا أصبحنا الآن في وضع أفضل كثيرًا كى نقيًم طبيعة تلك المستوطنات التى قامت في فلسطين وأن نتمعًن في السكان والعوامل الاقتصادية (شكل رقم ۲)(٢).

وينبغي أن نشير، في هذا الصدد، إلى أنه على الرغم من أن فلسطين في مطلع العصر البرونزي كانت تتمتّع، بكل جلاء، بدرجة من الرخاء تعادل ما تمتّعت به في وقت لاحق خلال أيام الازدهار في الإمبراطورية الرومانية، وذلك رغم أن عدد السكان كان يُقدّر وقت ذاك بما يصل إلى مائة وخمسين ألف نسمة، وبلغ عدد المستوطنات المكتشفة نصو تسعمائة مستوطنة. إلا أننا لا نستطيع توصيف المجتمع أو الاقتصاد في ذلك الوقت أي إبان العصر البرونزي بأنه "حضري". فلم تتجاوز مساحة أوروك التي بلغت عشر هكتاراً، وهو الأمر الذي يتناقض بشكل صارخ مع مساحة أوروك التي بلغت أربعمائة هكتاراً في وادى الرافدين أو مساحة "منف" التي وصلت إلى خمسة كيلو مترات مربعة في مصر. والحقيقة أن تلك التجمعات التي قامت في فلسطين لا تعد "مدئا" بحال من الأحوال، بل ولعلها لا تزيد على بلاد مسورة، يستطيع السكان الريفيون أن من الأحوال، بل ولعلها لا تزيد على بلاد مسورة، يستطيع السكان الريفيون أن منسحبوا إليها متي أحدق بهم الخطر.

غير أن فلسطين تكشف، رغم هذا التحفظ، عن دلائل ملحوظة على وجود سكان أثرياء ومفعمين بالحيوية، يتمتّعون بحياة تنظّمها مجالس بلدية وتجارة دولية جيّدة. وكان السكان موزعين بالتساوى، إلى هذا الحد أو ذاك، بين السهول والمرتفعات، مع وجود أعلى كثافة فى وادى الأردن ووادى "جزريل" والسهل الساحلى الشمالى. وكان السكان مركزين فى حوالى عشرين بلدة كبرى، يعيش فيها نحو نصف إجمالى السكان، وتقوم مقام النويات التى يدور فى فلكها عدد أكبر كثيراً من القرى والكفور الصغيرة. ولقد بدت هذه القرى والكفور ملتفة داخل محيط لا يبعد أكثر من مسيرة يوم عن المستوطنة الكبرى أو (الأم)، وهذه حقيقة قد تؤيد افتراض وجود هيكل سياسى يقوم على سلسلة من الكانتونات شبه المستقلة. وكانت كل بلدة كبرى محصنة، بصورة بعوم على سلسلة من الكانتونات شبه المستقلة. وكانت كل بلدة كبرى محصنة، بمسورة وكانت بعض هذه الأسوار تصل فى السنّعك إلى عشرة أمتار، وتحيط بها منصات منحدرة ومستطيلة أو شبه مدورة. وفى الداخل كانت البيوت والمبانى العامة التى تستند مربعة أو مستطيلة أو شبه مدورة. وفى الداخل كانت البيوت والمبانى العامة التى تستند الى نوع "الحجرة الواسعة"، المستطيلة مخططة فى العادة، وفقًا لنمط منتظم، وهوالامر الذى ينم عن وعى بالتخطيط العمرانى.

وبينما تقوم شواهد على نطاق واسع على الثقافة المادية لفلسطين في مطلع العصر البرونزي، وأصبحت الآن معروفة على نحو جيد، فإننا لا نستطيع أن نقول إلا القليل، إذا كان عندنا أصلاً ما نستطيع قوله في هذا الصدد، عن الحياة السياسية أو الاجتماعية أو الدينية للبلاد. فلم تظهر حتى الآن أي نصوص محلية إلى النور، ولعل البحث لا يزال دائراً حول أي نوع من أنواع الكتابة قد استُخدم في هذه المنطقة، وما إذا كانت تلك المنطقة قد عرفت الكتابة أصلاً في ذلك الوقت. وبناء عليه فالبحث عن معلومات ذات بال في هذا الشئن، يجب أن يتجه بحكم الضرورة نحو كتابات الثنوي المبلكة القديمة في مصر، على ما هو عليه ذلك الأدب من ضعف نسبي.

الهوية العرقية للفلسطينيين في مطلع العصر البرونزى:

تُرى من يكون أولئك الأجلاف غير حليقى الذقون الذين يعيشون "فيما ما وراء المنود" على نحو ما كان عليه الأمر، أولئك الذين يقيمون فى هذه البلاد المسوَّدة فى جنوب المشرق(٧)؟ ما هى اللغة التى كانوا يتحدثونها؟ إلى أى عرق كانوا يزعمون أنهم ينتمون؟ ما هو الاسم الذى أطلقه عليهم المصريون؟

يحظى السؤال الأخير على الأقسل بإجابة جزئية، إذ نستطيع أن نرى، قبيل سنة ٢٠٠٠ ق.م عندما رفع ظهور نسق الكتابة الهيروغليفية النقاب عن تاريخ المنطقة، أن الأسماء التى أطلقها المصريون على جيرانهم الشماليين نابعة من الملاحظة الشخصية والدعاية التى تحط من شأن الأخر، والمعرفة الجغرافية والوعى اللغوى. فلقد نسبوا هؤلاء الشماليين إلى أزياء الجلود(؟) التى رأوهم يرتدونها. وهكذا أطلقوا عليهم أسماء من قبيل " لابسى المنزر" أو المئزريين أو أصحاب عقدة الكتف" نسبة إلى الطريقة التى كانوا يلجؤن إليها فى تثبيت صديرى مصنوع من الجلا فى غالب الأحيان بواسطة سير يعقدونه فوق أكتافهم، ونظرًا إلى نزعتهم البغيضة فى اللجوء إلى استخدام القوس والسهم فى كسب قوتهم، فلقد كانت تسميتهم ب " القواسين" أو رجال القوس" ملائمة أيضاً. ونتيجة العداوة التى يضمرونها تجاه قوات التجريدات المصرية وعمليات السلب والنهب التى يقومون بها بين الحين والآخر عبر الحدود مع مصر، أطلق المصريون عليهم مصطلح "الأسيويون المتوحشون"، وهو مصطلح يقترب فى دلالاته وارتباطاته من المصطلح الشائع فى أيامنا هذه: "الإرهابيون"، ولما كانوا يهبطون من جهة الشمال، فلقد ظهر واضحاً بين المصريين وصفهم ب" الشمالين"، ولكن نتيجة لإقامتهم فيما وراء شبه فلقد ظهر واضحاً بين المصريين وصفهم ب" الشمالين"، ولكن نتيجة لإقامتهم فيما وراء شبه فلقد ظهر واضحاً بين المصريين وصفهم ب" الشمالين"، ولكن نتيجة لإقامتهم فيما وراء شبه فلقد ظرح اسم" أولئك الذين يعيشون على الجانب الأخر الرمال" نفسه.

وهناك اسم آخر أكثر إثارة للاهتمام، وهو اسم يساعد، بالصدفة، في الرد على أسئلة تدور حول لغة وعرق أولئك الذين عاشوا في أوائل العصر البرونزي، أقصد: "عامو" التي ينطقها الطللاب المصدثون (في الغرب) لعلم المصريات "آمو"، وذلك لأن حرف العين يعد صوتًا جافًا حنجريًا حلقوميًا، تعرفه اللغات السامية الغربية (واللغات الحامية كذلك) وتجهله تمامًا اللغات الأوروبية، وكان نفس الصوت معروفًا

في اللغة المصرية القديمة، وإن كان أقسل جفافًا. أما "الألف" الذي بُرمز له بهذه العلامة ، وهو حرف بلعومي تعرفه معظم اللغات التي تبدأ كلمات معينة فيها بصائت vowel فلقد استخدمه المصريون بصورة ثابتة في تمثيل المرف الأسيوي الغربي العميق Dark ، أو ربما اللهوى (نسبة إلى لهاة) أي: ا وكان يُستخدم بصورة متبادلة من الناحية الصوتية معه، ووجود مثل هذا الحرف اللهوى ا في اللهجات السامية الغربية في الألف الثالث ق.م أمر أثبتته الآن اللهجة "الإبلاتية" eblaite التي أكتشفت في الأونة الأخيرة لشمال سوريا (وتمثلها اللوحات Tablets التي عثر عليها المنقبون الإيطاليون في "تل مردخ"(^) وهى اللهجة التي ظهر فيها الفعل العام alakum ويعنى "ذهب" على هذا النحو ayakum، وبالتالى ينبغى علينا أن نبحث عن كلمة سامية غربية، يكون المصريون قد سمعوها على سبيل الافتراض على ألسنة الآسيويين أنفسهم، تشتمل على هذا السياق من الحروف الساكنة "ع - ل - م"، ومثل هذا البحث ليس عسيرًا، إذ إن معظم اللغات السامية كالفينيقية والأوجاريتية والأمورية والعبرية تشترك كلها في هذا الجذر: "علمُو" (alamu)، ويعنى "شاب" أو بصفة أكثر عمومية، اسم النوع "الإنسان"، بمعنى "البشر". ولعله من الواضع الآن أن فلسطينيي مطلع العصر البرونزي استخدموا هذه الكلمة في الدلالة على أعضاء جماعتهم. فكانوا "البشر" و "الناس" بنفس المعنى الذي يتسم بالمركزية العرقية الضيقة الأفق، ذلك الذي احتفظ خلاله كثير من الشعوب البدائية (على سبيل المثال 'الأميرينديانيين' Amerindians) باسم النوع ذاك للدلالة عليهم دون سواهم من يني الإنسان.

الصلات المصرية مع آسيا في الحقبة القديمة:

لا تخطئ العين الأدلة التي تقوم على انضراط المصريين في شيئون فاسطين وسوريا خلال الأسرتين الأولى والثانية (١). ففي الشذرات التي وصلت إلينا من حوليات حكم الخلفاء المباشرين الفرعون "مينا"، كثيرًا ما يقابل المرء بابًا خاصًا مثل "قمع الأسيويين" أو "المرة الأولى لقمع الشرق"، كحدث دال ينسبون إليه سنة ما (١٠٠). وكانت "الموتيفات" الفنية تضم في بعض الأحيان، شخصًا أجنبيًا أشعث الشعر يرتدي مئزرًا ومقيدً الذراعين، ويحمل فوق رأسه شرحًا رسمه الفنان بالعلامة الهيروغليفية المجردة

التى ترمز لـ 'أسيا'. وتؤيد الشواهد الأثرية الأدلة المستقاة من النصوص المكتوبة. فالمقابر التذكارية التى تعود إلى الأسرة الأولى فى 'أبيدوس' قذفت إلينا خلال التنقيب بنماذج واضحة من الفخار ترجع إلى أوائل العصر البرونزى عند مستوى حقبة (EBII)، كما تشهد على استخدام الأخشاب اللبنائية فى بناء تلك المقابر(١١).

على أن الصورة ليست أقل وضوعاً على الجانب الآسيوى، إذ نعثر على الفخار المصرى منتشراً على نطاق واسع في مختلف أرجاء النقب وفلسطين الجنوبية في حقب (EBII). واقد ظهرت إلى النور، بصورة ليست نادرة، أنية تعود إلى ورش ملكية، وقد نُقش عليها الاسم الحورى (نسبة إلى الإله حورس) للفرعون. كما عثر أيضاً على سدادات الصلصال التي تقفل الجرار، وقد خُتمت بختم مصرى، بل ووصل الأمر حداً ذهب معه البعض إلى أن أساليب تشييد مستلهمة من المعمار المصرى، سواء بالطوب الأخضر أو الحجر، قد ظهرت في بعض المواقع (١٢).

ولكن العديد من الأسئلة تظل تشرئب إلى أجوبة رغم الاتساق الظاهر للأدلة. إذ يبدو أن الآثار التي خلّفها المصريون وراءهم ترسم دائرة نفوذ مقصورة على الطريق الساحلي بين غرب الدلتا وإقليم غيزة الكبرى و "شيفيلاه "شيفيلاه "Shephelah الجنوبية و "النقب حول أراد" Arad وما غربها. ترى ما العوامل الجغرافية التي تعاونت في سبيل تحديد مثل هذا الشريط؟ هل جاء التواجد المصرى في هذا الشريط رداً على غارة مسلحة أم أن الأمر لم يتجاوز اتصالاً سلميًا ألهمته إمكانيات قيام تجارة مزدهرة؟ أي تجريدة، سواء أكانت سلمية أو عسكرية، عبر صحراء سيناء كانت تكلف مبالغ طائلة، فمن الذي كان يقوم بالدفع؟ هل نحن بإزاء مشاريع تمولًها الخزانة الملكية أم قوافل تجارية خاصة؟ ثم ما الذي جذب المصريين؟ خصوصاً وأن الأراضي التي حدينا معالمها التو لا تنطوى اليوم على غني خاص، فهل هل كانت تلك الأراضي وقت ذاك منطقة عبور لأراض أبعد؟ وكيف استقبل السكان المحليون المفاتحات المصرية في هذا الشأن؟ هل قاوموا التهديد المصرى (وهو الأمر الذي يفسر ظهور "موتيفات" المعارك والأسرى) أم أنهم رحبوا بالوصول الدوري للنموذج الأصلي لقطارات الرحمة المعارك والأسري) أم أنهم رحبوا بالوصول الدوري للنموذج الأصلي لقطارات الرحمة "Well's-Fargo" Wagons

طرح هذه الأسئلة عمل أسهل بما لا يقاس، من الإجابة عليها. فمجرد وجود فخّار أجنبى أو أساليب تشييد أجنبية فى موقع معين لا يعنى، بالضرورة، أن أجانب وصلوا إلى هناك. إذ يمكن للسلع أن تُحمل مع العائدين إلى ديارهم، كما تستطيع المهارات أن تنتقل خلال الذين قضوا بعض الوقت بعيدًا عن أوطانهم وفى احتكاك مع أجانب، وهوالأمر الذي يوفّر إمكانية أن يتعلموا منهم، ومن جانب آخر لا تستطيع الأختام التي ظهرت على مؤن عُبّت وأرسلت بصورة رسمية من مصر أن تشير إلى أى شيء آخر سوى وجود مبادرة مصرية الإلهام.

أما أن يكون الإقليم الذي يضم فلسطين الجنوبية وسيناء قد جذب المصريين فأمر لا نزاع فيه، فالشواهد الأثرية التي نجت من عوادي الدهر تشير على نحو شديد البروز إلى منطقة سيناء الجنوبية، الفنية بالفيروز والنحاس حيث كان المصريين أن ينفقوا، على امتداد ما يقرب من ألفى سنة اعتباراً من نهاية الربع الأول للألف الثالث ق.م، طاقات هائلة في تعدين ونقل مثل هذه المعادن (٢٠٠). ولقد عاقوا من الأهمية على حرية الوصول لمناطق التعدين في وادى المغارة (= وادى الكهوف) إلى حد الاستعداد لتحييد السكان المحليين أو التجمعات المجاورة في "كنعان" الجنوبية بأي وسيلة في وسعهم، من اجتذابهم إلى صفوفهم في أوقات السلم أو طردهم بالقوة العسكرية عندما يلجأنن إلى التمرد: تغطى حوائط هذا الوادي لوحات مهيبة منحوتة في الصخور الحية (غير المنقولة) كي تذيع الحقيقة التي تقول إن الإله الكامل سي — نفرو" أو "ساحورع" أو إيزيري قد أخضع كل البلدان الأجنبية" و"قهر كل رجال أسيا المتوحشين". ويوجه الجسم العملاق المرسوم للإله — الفرعون، وهو يخطو خطوة واسعة نحو شخص ويوجه الجسم العملاق المرسوم للإله — الفرعون، وهو يخطو خطوة واسعة نحو شخص أجنبي منبطح أرضاً كي يكيل له ضربة قاصمة، إنذاراً إلى كل من يشبه ذلك الشخص أبخبي بأن مصر لن تسمح بأي تدخل يعرقل عملياتها التعدينية(١٤).

إلا أن الأدلة تكف مع التوغل شمالاً، عن الظهور بصورة منقوشة (سواء أكانت مكتوبة أو مرسومة)، ويتعين، والحال هكذا، الاعتماد بدرجة أكبر على الآثار. ولقد برهن المسح الذي قام به البروفيسور "أليعازر أورين" Eliezer Oren، من جامعة "بن جوريون" (۱۵) به "النقب" لساحل سيناء على وجود طريق مطروق بشكل جيد بين شرق ابن جوريون "(۱۵) في مصر. ومن هذه الدلتا ومنطقة "رفح" و"غزة الكبرى" خلال الأسرة الملكية الأولى في مصر. ومن هذه

البقعة تمتد سلسلة من المواقع، تقوم عليها أدلة من الأدوات المصرية الصنع، من الشرق حتى "بير سبع"، وبلك عبارة عن شريط من الأرض القاحلة والشحيحة الموارد، التي تعجز عن توفير الماكل أو المشرب لأحد، ولعله من المؤكد أن مواقع مثل "عين بير" Ein Beer ، ورغم وجود أدلة على وجود اتصال وثيق مع مصر (١٦)، استنادا إلى أختام سدادات الصلصال، على نحو ما مر بنا، لا يمكن أن تكون الوجهة الأخيرة التي قصدتها القوافل التي خرجت من وادى النيل، كما لا يمكن أن تكون المطرح الذي انطلقت منه الرحلات التي توجهت إلى الدلتا. ولا يمكن أن تكون أكثر من محطات على امتداد طريق، جرى التخطيط له منذ البداية، كي يربط مصر مع القوة السياسية الكبري في "النقب"، أقصد مدينة "أراد" الضخمة.

تقع مدينة "أراد"، هذه، على تل يشب سيرج الصصان في منطقة "النقب" الشرقية التي تنصدر بصورة ناعمة، على بعد نحق ثلاثين كيلو متراً شرقى "بير سبع" (المحة رقم ٤)(١٧). ورغم افتقار المنطقة إلى عين ماء واحدة قريبة، إلا أن مخططى البلدة أقاموا المستوطنة بصورة حاذقة، بمساعدة خزانات المياه، في موقع يمكنهم من اقتناص كل قطرة من مياه الأمطار والسيول. وكانت بلدة 'أراد" التي ترجع إلى الحقبة رقم (EBII)، تلك التي نقب عنها "أر. عميران" خلال الستينيات، تحتل مساحة تصل إلى تسعة هكتارات، ويسورها حائط من الحجر يبلغ سمكه ٢,٤ مترًا ومحيطه ألف و ١٧٠ مترًا. وتبرز أبراج شبه مستديرة على مسافات تتراوح بين عشرين وخمسة وعشرين متراً من الواجهة الخارجية للسور. وكان مخططو البلدة الذين صعموها بصورة منتظمة يعون مدى أهمية الاعتبارات الدفاعية والحاجة إلى حياة حضرية منظمة. وكانت البيوت مجمعة في "جُزر" حول نطاق خارجي، بينما كانت المباني العامة مجمُّعة هي الأخرى، ولكن في الوسط. وكانت تقوم على بعد مسيرة نهار واحد من "أراد"، ما لا يقل عن عشرين قرية تابعة، الأمر الذي يشير إلى وجود تنظيم سياسى، وسيطرة فعالة البلدة، وكانت هذه القرى توغل في امتدادها حتى تصل جنوبًا في سبناء الشرقية، ويقدم وجود أنواع متعددة من الخزف المصرى والأدوات المصنوعة في مصر في سائر مستويات الإقامة، دليلاً على أن الأمر انطوى في الصقيقة، على قيام تجارة أو نوع من تبادل البضائع بشكل أو بآخر بين مصر و "أراد" قبل تدمير البلدة على أيدى عدو مجهول.

مع نهاية حقبة الظا، التي تتزامن على وجه التقريب مع سقوط أراد (١٨) دخل تغير على العلاقات بين مصر وأسيا، ولم يعد الطريق الساحلي أو سلسلة المواقع التي تمتد في فلسطين الجنوبية والنقب ، تشكل الأهمية الأولى عند الفرعون، وبدأت بؤر جديدة كالأهمية الثقافية والاستغلال التجارى، ولو أنه يجب علينا أن نقر بأن ذلك حدث بصورة تدريجية، تحتل مقدمة الصورة أي رأس الأولوبات عند المصريين (١٩٩).

تناظر حقبة التحوُّل هذه، بشكل عام، الأسرة الثانية في الإطار التقليدي التاريخ المصرى (٢٠). وبينما يظل محل بحث ما إذا كان عصبيان مسلح قد حدث إثر وفاة "قاعا" أخر فراعنة الأسرة الأولى، إلا أن خلفاءه المباشرين كانوا قادرين، فيما يبدو جليًا، على تمسميح أي خلل يكون قد لحق بالملكة المصرية خلال ركود الدورة الدموية، وإذا كأن لنا أن نحكم على الأمور من حجم الصروح الجنائزية وبالتالى أثاثاتها المفترضة، فإنهم يكونون قد تمكنوا من الحفاظ على استمرار درجة عالية من الرخاء. ولكن بعد فرعون فذ يدعى وينيج Weneg ، إذا كان هذا حقًّا هو اسمه المنحيح - إذ تحول هذا الاسم في وقت لاحق، نتيجة لخطأ واسع الشيوع في نسخ قائمة الملوك المصريين إلى واج --نيس" Wadj-nes في الملكة الحديثة وإلى "تلاس" Tias في العصور اليونانية(٢١) ... ظهر فيما يبدو شاغل للعرش، تقسوم على وجوده أدلة قوية في النقوش المعاصدة، ولكن قائمة الملوك أغفات ذكره، وهو سيت: بريبسين * Seth : Peribsen ، الذي يبدو، بوضعه الخنزير البرى، حيوان الإله "ست"(٢٢) فوق الـ "سريخ" Serekh ، حيثما كان لصقر تصورس أن يوضع، قد أقام دليلاً على حدوث تغيُّر رئيسي ما في الأساس اللاهوتي الذي تستند إليه الملكية. وفي ظهل التناقض الأسطوري بين "ست" و حورس (۲۲) يميل المرء إلى تفسير ذلك التغيُّر الرمزى في ضوء شرخ عنيف من نوعٍ ما في النسيج الاجتماعي - السياسي لمصر، وأيًّا كان الأمر، يجد المرء نفسه مضطَّرًا إلى الإقرار بعدم وجود دايل ملموس من حكم "بريبسين" على أنه شهد اضطرابًا أو عصبيانًا. والمقبقة أن الأختام التي ظهرت على الجرار ونقوش هذه الجرار نفسها تدل على أن مصر استمرت تتلقى منتجات البلدان الأجنبية، وربما من بينها "كنمان"، وأن حجم تلك المنتجات الواردة كان ضخمًا إلى الحد الذي اقتضى تعيين موظف إداري خاص سمى 'ناظر البلدان الأجنبية (^{٢٤)}. غير أن ما أعقب ذلك، قد يدعم الظن الذي راودنا في البداية. فلقد جمع أحد خلفائه، وقد يكون ذاك الذي خلفه مباشرة: "خع سيخيم" Kha' Sekhem كلاً من حيوان "سيت" وصقر "حورس" فوق "السريخ" الخاص به، فيما يشير إلى إجراء مصالحة بين الإلهين، وسرعان ما عدل اسمه كي يصير "خع – سيخيم – وي – نب – وي – حوتب – إمف" ومعناه: "القويان أشرقا، الإلهان ("حورس" و "ست") تصالحا فيه "(٢٥).

كيف انعكست مشاكل السياسة الداخلية في مصر على علاقاتها مع فلسطين في ذلك الوقت؟ هذا أمر غير واضح. واكن قد لا يكون خلواً من كل مغزى، أن خطوط الاتصال الأجنبي والتجارة دخل عليها مع نهاية الأسرة الثانية بكل تأكيد تغير ملحوظ. إذ أصبحت أرض المناجم في سيناء الآن وأكثر من أي وقت مضى، بمثابة محمية الدولة المصرية تحرص عليها كل الحرص، وهُجر الطريق البرى الذي يمر عبر سيناء و "النقب". مما ينطوى على مغزى أعمق، على وجه التقريب، بالنسبة العلاقات التجارية البعيدة المدى ذلك الذي ورد في الحوليات الملكية ونجا بالمعدفة من عوادي الزمن، ويرجع الى نهاية حكم (ضع - سيضيم - وي) بشأن سنة معينة، حددت بإشارة مقتضبة هي (بناء سفن)، وهي إشارة لا تخطئها عين إلى إسطول بحرى(٢٦).

ترى هل يكون من باب الصدف أن (خع - سيخيم - وى) هو أقدم ملك مصرى نعثر على اسمه في موقع "بيبلوس" على الساحل الفينيقي(٢٧)؟

مصر و بيبلوس:

تقع مدينة "بيبلوس" على لسان جبلى صغير، يبرز فى البحر المتوسط على بعد حوالي اثنين وأربعين كيلو متراً شمالى "بيروت" (٢٨). وإلى الشمال مباشرة من المدينة قدمت فجوة ضحلة فى الساحل، مرفأ فى العصور القديمة، ولكن الركام طمره فى أوقات لاحقة. أما المدينة ذاتها، وكما كشفت عنها عمليات التطهير التى قام بها الفرنسيون تحت إشراف بى. مونتيه P.Montet ، وفى وقت لاحق إم. دونان M.Dunand ، فكانت تحتل مساحة لا تزيد عن خمسة هكتارات (٥ , ١٢ فدان)، وكانت، اعتباراً من

مستوى حقبة (اااظا) محاطة بسور متين البنيان. وداخل هذا النطاق المسور تمركز التوزيع الاستيطانى حول معبد سيدة "بيبلوس" أى "بعلات جبل"، وهو لقب "عشتارت" المحلية، وحول بحيرة مقدسة. وبينما تمتع أقطاب هذا التجمع البشرى بالسكن فى بيوت واسعة فى مواقع ممتازة تطل على البحر من جهة الغرب، أقام بقية السكان فى منازل صغيرة مكدسة بعضها بجوار البعض الآخر على جانبى شوارع ضيقة ملتوية.

وكما هو الحال عند هذه الناحية من ساحل المشرق، تأخذ سلسلة الجبال اللبنانية الضخمة والشاهقة التي تبلغ أقصى ارتفاع لها على بعد أربعين كيلو متراً باتجاه الشرق، في تضييق الشريط الساحلي، وبالتألي تجبر السكان أو تكاد، على التطلع نحو البحر. ولكن هذه السلسلة الجبلية تمكنهم، أيضًا، من الوصول، بسهولة إلى غابات الأرز الشاسعة التي تغطى سفوح الجبال. (اللوحتان رقميٌ ه، ٦) ورغم اختفاء غابات الأرز هذه الأن بصفة كاملة على وجه التقريب من جراء عمليات التحطيب أي قطع الأخشاب غير المقيدة بأي ضوابط، تلك التي استمرت حتى القرن العشرين وتوغلت الخطاء، إلا أن هذه الغابات وفرت أخشابًا ممتازة سواء لبناء السفن أو تشييد المباني، واستمرت لوقت طويل تجتذب، لهذا السبب عينه، أنظار الدول المجاورة. (ويقال إن البطل شبه الأسطوري جاجامش الذي عرفته بلاد الرافدين، ذاك الذي يرجع أصله التاريخي ومبعث الإلهام لأسطورته إلى أواخر الألف الرابع ق.م، قد تكفل بالقيام برحلة استكشافية إلى غابة الأرز هذه)(٢٠). ولقد سيطرت "بيبلوس" خلال الألف الثالث على ذلك القطاع من الساحل الذي يوفر أسهل طريق للوصول إلى تلك الغابات، على ذلك القطاع من الساحل الذي يوفر أسهل طريق للوصول إلى تلك الغابات، وبالتالي، فلا عجب ولا تعجب إذا صار أبناء بيبلوس "البيبليون" بحارة مهرة وتجار أخشاب حاذقين.

ترى متى قام الاتصال بين مصر و بيبلوس على وجه التحديد؟ هذا أمر مجهول ولكن تاريخ ذلك الاتصال يرجع، بالضرورة، إلى عهد موغل فى القدم فى حقيقة الأمر فالتقاليد الشعبية فى بيبلوس تتباهى بالاعتقاد بأنها أقدم مدينة فى المالم، أسسها الإله إيل ، رئيس المجمع الإلهى (البانثيون) الكنعاني، وقد توصلت عمليات التنقيب التي قام بها الفرنسيون فى هذا الموقع إلى طبقة ترجع، حقًا، إلى العصر الحجرى الحديث (النيوليثى Meolithic)(، وأدى ظهور دولة فرعونية على ضاف النيل،

يتملكها الحرص على تخليد وجودها ومنجزاتها في معمار هائل الأبعاد إلى زدع دوح التعطش عند الحكام المصريين إلى مواد بناء جيدة، ولم يكن هناك بطبيعة الحال مصدر أخر لخشب الأرز الجيد سوى 'بيبلوس'، ولقد استخدم المسريون، دون شك، أخشاب "بيبلوس" في بناء مقابرهم في الأسرة الأولى، كما وردت إشارات أيضًا إلى منتجات عرضية مثل زيت الأرز والراتنج (٢١). وأصبحت هذه التجارة منتظمة، وصار طريق البحر مامونًا بين داتا النيل وبين بيبلوس ، إلى الحد الذي كانت إحدى الكلمات الممدرية التي تعنى سفينة مخر المحيط هي مركب بيبلوس، أي سفينة من ذلك النوع الذي يستطيع أن يمخر الماء المالح حتى يصل إلى الساحل اللبناني(٢٢). واستطاع المصريون، على ما هم عليه من كفاءة عالية في بناء السفن، أن يتعلموا من البيبليين (أبناء بيبلوس) أساليب جديدة في هذه الصناعة، ولقد اعترف المصريون بالدين الذي علق في أعناقهم: لقد وُهبت "حتحور" سيدة "بيبلوس" مهارة صنع المجاديف(٢٦). ولكن "بيبلوس" كسبت، بالمقابل، أكثر كثيرًا من مصر في ظل الملكة القديمة في حقل تكنواوجيا الهندسة والتصنيع، فلقد كانت الثورة التكنواوجية المصرية غاية في السرعة والشمول خلال عصر بناة الأهرام، وقد عكست التقاليد الشعبية بصورة لا تخطئها العين هذه الحقيقة في أوقات لاحقة. فبعد مرور خمسة عشر قرنًا، أي في القرن الحادي عشر ق.م اعترف أحد أمراء "بيبلوس" ، فيما ورد في قصنة مأثورة، لمبعوث مصدري على هذا النصو: " لقد خلق "أمون" (ملك الأرباب في المملكة الصديثة) كل البلدان، ولكنه لم يخلقها إلا بعد أن خلق مصر التي جنت منها، ولقد انداحت المهارات التكنواوجية من هناك حتى وصلت حيثما أقف الأن (٢٤). ولقد أفسح المجمع الإلهى الفينيقي مكانًا بارزًا إله يدعى "توت" Taut ، الذي لا يعدو كونه إله الكتابة عند المصريين: "تحوت". وتردد أن إله الحرف عند الكنعانيين "كوثر" Kothar مقراً مستقراً في" حاوت - كا - بتاح " أي "منف" عاصمة مصر (٢٥).

ولقد اتضع الآن كيف أثرت التكنوارجيا المصرية منذ ذلك الوقت المبكر على
بيبلوس خلال عمليات التنقيب، فلقد ظهرت أساليب معينة في فن البناء مستقاة من
مصد في معمار المعابد في "بيبلوس" خلال الألف الثالث ق.م. كما كيف البيبليون
موتيفات مصرية مثل أفاريز (جمع إفريز) الحيات الناشرة للاحتياجات المحلية.
(اللوحة رقم ٧).

وجدير بالذكر أن العلاقات الوطيدة التي أقامتها مصر مع بيبلوس لم تنجم عن غزر مسلح، ولكنها ارتكزت على المصلحة الذاتية المستنيرة والاحترام المتبادل، ولكننا لا نستطيع أن نقول ذلك بصفة دائمة عن السياسة الفارجية للفراعنة. ولعل تعاملات فرعون مصر مع بيبلوس وإلى حد ما مع سائر المدن الأخرى سواء في فلسطين أو سوريا خلال الملكة القديمة كانت قد قامت، كنموذج للعادة القديمة، قدم العصور، في منح العطايا لكل من المعبد (الإله) والقصر (الشيخ – الأمير) بغرض ضمان استمرار النفوذ والحظوة بين أنداد. ولقد أوضحت الدراسات الاجتماعية – الاقتصادية في الأونة الأخيرة لما يسمى ب الاقتصادات البدائية أن مثل تلك التبادلات للعطايا والهدايا على مستوى رأس الدولة كانت جزءاً لا يتجززاً من سياسة حصيفة تستهدف خلق مناطق نفوذ عن طريق إقامة خطوط من الالتزامات المتبادلة(٢٦). ولقد فصلت المصادر المصرية مثل هذه السياسة خلال الإشارة إليها بصفتها كرماً ملكياً لا ينقطع يهدف إلى مكافأة أولئك الذين يشربون من مياه جلالته ، أى أولئك الذين يدينون بالولاء لمصر (٢٧)، كما برهنت تلك الممادر، بجلاء، كم هي مطلوبة تلك العطايا من وجهة نظر أخلاقية ومنظور ديني ودع من جانب فرعون يهب قرابين سخية لـ إله في أرض بعيدة يبجله شعبها (٢٨).

كان مثل هذا الموقف على وجه التحديد تجاه الساحل المشرقي وما وراءه هو الذي شكل جوهر القرارات التي اتخذتها الدولة في محسر في هذا المجال. فلم يتوان أي فرعون على وجه التحديد، بدءًا بالفرعون خع - سيخيم - وي عن إرسال شيء ما، يحمل نقشًا باسمه، كهدية من جلالته لضريح (سيدة "بيبلوس") أي الإلهة الحامية للمدينة (٢٩). وقد عُرف كل من "مين - كاو - رع" من الأسرة الرابعة، و "أوناس" والأولى "ونيس" من الأسرة الخامسة و "بيبي" الأول من الأسرة السادسة، إلى حد كبير، بالقرابين المهداة، من ذلك النوع، واسم "بيبي" الأول، وكذلك سلفه "خف - رع" معروفان الآن أيضاً خلال النقوش التي تحملها أواني المرمر التي يعثر عليها المنقبون بين الحين والأخر، أيضاً خلال النقوش التي تحملها أواني المرمر التي يعثر عليها المنقبون بين الحين والأخر، في منطقة إبلا" Ebia في ساحل لبنان (١٠٠). أما بالنسبة لفلسطين، فيستطيع المرء أن يستشهد بالمرمر المصرى الذي ظهر في حفائر "إيت - تل" أو التل" على بعد سنة عشر كلو مترًا شمالي "أورشئيم" (= القدس). (اللوحة رقم ٨) فهنا، وعلى ربوة معضرية رائعة أقام شيخ - أمير مجهول من العصر البرونزي عاصمة تمركزت حول قلعة، حوائطها مبنية أقام شيخ - أمير مجهول من العصر البرونزي عاصمة تمركزت حول قلعة، حوائطها مبنية

بالحجر وممحرة بالجبس، وأحواشها تحفها الأعمدة. ويسور كل ذلك حوائط ضخمة مبنية بأحجار كبيرة غير متناسقة الأحجام على الطراز المعروف باسم السيكلوبى Cyclopean، وهوالأمر الذي يحيل الموقع إلى حصن منيع، حقًا تشير الألفة التي يبديها البناؤون هنا عند تعاملهم مع الحجر، بصورة كاملة، إلى قرب التل النسبي مع مصر. ولكن وجود أوان مصرية في هذا الموقع يشير إلى ما هو أبعد من ذلك، هل يكون ذلك الشيخ – الأمير المحلى للمدينة قد مد سيطرته إلى المرتفعات الجنوبية؟ وهل يجوز لنا أن ندرجه ضمن أولتك الذين يشربون من مياه الفرعون (١١)؟

لم يصل إلى علمنا ما إذا كان المصريون خلال الملكة القديمة قد احتفظوا بمقر إقامة دائم لهم في "بيبلوس". حقًا تظهر أسماء مصرية شخصية بين الحين والآخر على السلم المنقوشة: "نفر - سيشم - رع"، كاتب النجارين الملكيين (المصريين) ترك وراءه مائدة قرابين في "بيبلوس"، وأحد أفراد طاقم البحارة الذين كانوا على متن مركب "خوفو" فقد رأس بلطة قرب مصب نهر "أدونيس". ولكن الأمر لا يحتاج من أي منهما أن يكون مقيمًا في "بيبلوس".

غير أن مصر عرفت 'بيبلوس' في القرون الأخيرة من الألف الثالث ق.م. حق المعرفة في واقع الأمر، حتى واو لم يكن فيها المصريين مستعمرة دائمة، إذ إنها كانت بالنسبة المصريين: 'كبنى' (Kbny) (٢٤). أي المدينة الرئيسية لبلاد 'نجاو' (Megaw) التي تأتيهم منها الأخشاب. كما أنها كانت أيضًا بالنسبة المصريين بمثابة بوابة إلى رقعة شاسعة من الأراضى الجبلية التي تتدرج في انحدارها نحو الصحراء، وهي الرقعة التي سمع الصريون السكان المطيين يسمونها "قيديم" أي الشرق، وهو الاسم الذي أطلقوه في رقت لاحق على موقعهم الجغرافي. وكانت المدينة مسورة بمتاريس ضخمة، وهو الأمر الذي لم يكن مجهولاً بالنسبة لهم. وبناء عليه نرى المصريين يتحدثون عن "قلعة بيبلوس" (٢٤). وكان الأمراء البيبليون المحليون، وعلى النقيض من حكام المشرق الأخرين، مفتونين بمصر التي خطبت ودهم إلى الحد الذي جاهدوا في وقت لاحق كي يبدوا "عشاقًا" لمصر، وتباهوا بقدرتهم على حفر النقوش بالخط الهيروغليفي (١٤).

وعلى مستوى الديانة والعبادات تمتعت كلٌ من مصر و بيبلوس باتفاق فريد، وإن لم يكن بارزًا للعيان، في الاهتمام والتأويل، ولكن الأمر يقتضى منا، كى نستكشف ذلك بصورة أكثر اكتمالاً أن ننقب في حقل الأساطير الذي ينطري على قدر كبير من الإثارة والمراوغة في نفس الوقت.

اتفاق في الأسطورة:

قد يظهر رب آسيوى، بصورة عارضة، في المجمع الإلهي (البانثيون) المصرى، و "تُستعار" بصورة واعية إلهة مثل (حتحور "بيبلوس") التي تتسم بـ "تمصير" جزئي، إلا أن العبادات والمجامع الإلهية والأساطير في مصر وفي آسيا الغربية ظلت في معظمها، متميزة الواحدة عن الأخرى في ملامحها الخارجية (منافع). إذ يبدو أن "الإله البطل" المعروف باسم "بعل"، وهو "رب الأرباب" دون منازع قد انبثق من الجبال التي تهطل عليها الأمطار في سواحل المشرق، وبالمقابل فإن الإله "خبرى" أو الجعران قد ظهر إلى النور، كما تذهب، في حقيقة الأمر، أساطير الخلق عند المصريين، من طبقات الطمى التي تنشأ عن فيضان النيل. ويبدو أن الأساطير تتكيّف مع الأماد والمناخات التي تولد فيها، كما أن العبادات المختلفة تقوم في ظل مجتمعات مختلفة بصورة ملحوظة.

وإذا ترك هذا القول إيحاء ما بأن ديانات الشرق الأدنى التى عرفتها العصور القديمة لم تتمتع بأى عنصر مشترك، فإن المرء يستحق النصبح عندئذ بالتريث. فلقد أشار بعض الدارسين منذ وقت طويل إلى عناصر التشابه اللافتة للنظر بين "أوزيريس" وعبادته، وبين الإله "الذى يموت وينهض من الموت" في الأساطير الكنعانية. ثم ألم يكن كلاهما إلهين لم "الخصوبة"، ويرتبطان بمثل تلك التذييلات التابعة كالشجيرات والأشجار المزهرة، أو الروابي و"الأماكن المرتفعة" بشكل عام أو أعمدة العبادة أو حيوانات المراعي؟ ألم يُقتل كلاهما، غيلة، ثم انتصرت لكليهما قرينة ما إلهة أخلصت لكل منهما الحب؟ ألم يكن حتى الاسم: "أوزيريس" متصلاً بجذر سام اشتق منه "أزير" وكذلك الصور" نفسه؟ وجاءت النظرية الناتجة التى أدت هذه الملاحظات إلى انبثاقها على

درجة من السهولة في تقريرها والتبسيط في نظرتها حدًا تمكن معه كاشفو التزييف بكل يسر، من إثارة حشد كبير من الاختلافات، بعضها، على الأقل، رئيسى بين الإلهين وبين عباداتهما كذلك. ولم يعد بين طلاب علم الديانات المقارنة سوى قلائل ممن يجرفئن على طرق الموضوع، حيث باتوا يفضلون التركيز على الطابع المحلى والأدوار المحلية لكل إله على حدة (٢٠١). ومع ذلك فالمرء لا يستطيع إلا أن يستشعر بعض القلق إزاء ما يراوده من احتمال أن نكون قد ترمينا بالطفل الرضيع مع الماء الذي حممناه فيه . حقًا تقابلنا في الأساطير تشابهات، إذا كان المقصود بذلك بنية الحبكة في خطوطها العريضة أو الأدوار التي تنطوى عليها هذه الحبكة الدرامية. ولكن هل لمثل هذه التشابهات التي نصادفها بين الثقافات التي تحتل مناطق متجاورة على الساحل الشرقي للبحر المتوسط أي مغزى؟

تقع ظاهرة الصراع الكونى بين الأرض والبحر، الطقس اللطيف والعواصف فى مركز القلب من أساطير المدن البحرية فى المشرق فى العصور القديمة. واتساقًا مع ميل الإنسان إلى أنسنة بيئته المحيطة والامتثال لوحيها عن طريق خلق رواية محبوكة، تحوّلت أكثر الظواهر الطبيعية إثارة فى شرق البحر المتوسط إلى موتيف فى حبكة روائية، فيغزو وحش هائع وغامض وشرير البر، إلا أنه يلقى مقاومة على هيئة بطل أكبر من البشر العاديين، تقف كل قوة الفضيلة الأساسية وراءه. ويمكن لهذا النمط البسيط أن تدخل عليه تعديلات عديدة، اعتمادًا على النتيجة التي يسفر عنها الصراع، وهوية الشخصيات الثانوية، أو السياق الذي تستخدم فيه القصة، بل ويمكن لمكان وقوع ألحدث الشنيع أن ينتقل إلى البر، حيث يصبح الوحش هو "لموت". ولكن النقطة التي يتعين أن نؤكد عليها، في هذا الصدد، تتمثل في أن العقدة الدرامية الأساسية كانت في الأصل حيلة "محايدة"، وليست بالضرورة وسيلة تعليلية تهدف إلى تبيان علة الخلق أو هذه الظاهرة أو تلك من ظواهر الطبيعة (٢٤).

وتظهر هذه القصة في شكلها الكلاسيكي في أساطير شمال سوريا، التي وصلت إلينا في أفضل صورة لها خلال أرشيفات أوجاريت (٤٨). إذ نقابل هنا، في نصوص ترجع إلى أواخر العصر البرونزي، وإن كانت مستقاة من مواد تعود إلى عدة آلاف من السنين السابقة، قصة "يم"، أمير البحر، وهو عبارة عن وحش جشع ظل يفرض سطوته

على الآلهة ويتحرق شوقًا إلى الإلهة الجميلة "عشتارت"، حتى أنزل "بعل" به الهزيمة. وفي "موتيف" مواز يُستدرج "بعل" إلى "جخنوق" مائى موغل في البعد خلال رحلة صيد، وينقض عليه الرحش "موت" ويقتله هو وأتباعه. ويلقى "موت"، بدوره سوء المصير على أيدى وليفة "بعل" أي الصبية "عنات" التي تكيل ضربات موجعة لـ "موت"، ثم تمضى كي تعيد الحياة، على ما يبدو، لزوجها المنكوب.

وعلى هذا النحو تتطلب أدوار العقدة الدرامية ثلاث شخصيات رئيسية: الوحش والبطل والوليفة، ولكن بينما نجد في 'أوجاريت' أن "عنات' و عشتارت' مرتبطتان بالبحش: "يم"، إلا أن وظيفتهما ليست رئيسية أو محورية. وإذا توغلنا جنوبًا، مع ذلك، في المدن الساحلية جنوبي نهر "الكبير" Eleutheros ، فإننا نجد أن الإلهة سمتع بمكانة سامية في العبادة بين الأهالي إلى الحد الذي ينسحب معه زوجها في غالب الأحيان، إلى زاوية السلبية. ففي "بيبلوس" التي أمدتنا بمعظم الأدلة المتوافرة عن المنطقة في العصور القديمة نرى أن "بعلات" سيدة المدينة تقف بكل جلاء، كأقوى أعضاء للجمع الإلهي المحلى. وينطوى لقبها الشائع، بطبيعة الحال، على "عشتارت"، وقد تحوَّلت بموجب الاستعمال المصرى إلى "حتحور"، إلا أنه يصعب علينا بدرجة أكبر أن نعيِّن شخصية وليفها "بعل" المحلى، وعلى أي حال طابق المصريون بينه وبين إلههم "شا - حر - إف" (= "الذي على بحيرته") الذي يتخذ هيئة التمساح، وقرنه اليونانيون، بعد ذلك بالفي سنة بـ "هرقل" أو "هيراكليس" Herakles . ولكن اسمه المحلى كان ينطق، بالتأكيد، في عصر بناة الأهرامات على نحو قريب من "هي - عتول" الذي يعنى المجد للحى". والشائع أن الأسماء المقدسة كانت تستبدل في الحديث اليومي بالقابها وصفاتها التي تدور حول معانيها نظرًا لحرمتها، (وهذا هو ما يفسر، في واقع الأمر سيادة اقب "بعل"، وفي حالة البطل - الإله الخاص بـ " بيبلوس "، مال "سيادته"، بمرور القرون، إلى أن يجد لنفسه تعبيرًا في الكلمة الشعبية الدارجة التي تعني "سيد" وأعنى بها "أدون" التي صبيغ منها الاسم الكلاسيكي "أبونيس "(٤٩).

يحتل الصراع بين البطل والوحش مكانًا بارزًا في عبادة 'بيبلوس'، ولكن الأسطورة هنا تكشف عن اختلافات مهمة عن تلك التي كانت شائعة كلما توغلنا شمالاً في "أوجاريت". حقًا يخوض "أدونيس" الحرب ضد "البحر"، ولكنه يلقى حتفه ويتعين

على وليفته أن تعيده إلى الحياة، وتذهب الرواية الأكثر انتشارًا للأسطورة، وهي الرواية التي تنقل مجمل الأحداث إلى مسرح البر، إلى أن خنزيرًا بريًا أحمر يقتل الإله خلال عملية صيد، وهو الأمر الذي ترتب عليه جريان النهر المحلى (نهر إبراهيم) بالدماء بصورة موسمية. ولقد امتد تأثير عبادة 'بيبلوس' والأساطير المرتبطة بها على المدن والأقاليم الواقعة على الساحل إلى الجنوب مباشرة. فعرفت "صيدا" بطلها "إشمون ' Ashtronome والوحش ' أشترونوم' ' Ashtronome كما عرفت ' صور" بطلها ملقارت والوحش ' أشترونوي' Ashtronome أما ساحل فلسطين فلقد عرف ' بعل " متحدة قناع ' بيرسيوس' Perseus في العصور الكلاسيكية و "كيتس" الوحش.

وتركز مصادرنا على "موتيف" آخر، في أساطير المدن الواقعة جنوبي "بيبلوس"، وهو موتيف" نابع من الصراع بين البطل والوحش، ويتمثل في قصة البحر الشبق الذي يوجه شهوته نحو الإلهة ذاتها، وليفة "بعل" فيطاردها دون هوادة، حتى يضطرها في بعض الأحيان إلى الانتحار، ومثل هذه القصية تشكل الأساس الذي تقوم عليه الأسطورة السائدة في "أبيك" Aphek في الجبال التي تطل على "بيبلوس"، حيث قفزت أفروديت" أو (عشتارت) في البحيرة المقدسة وتحوات إلى سمكة كي تنجو من مخالب الوحش ("أوروبا" والثور) تخفي الوحش أو (عشقارت) وفي "صور" حيث تروي المصادر الكلاسيكية قصة ("أوروبا" والثور) تخفي في ثناياها قصة أقدم عن إلهة حملها البحر بعيدًا واغتصبها، وفي "يافا" ملاهير، عودًا على بدء ، ميلوبراما "أندروميدا – كيتس – بيرسيوس" إلى قصة محلية أقدم تعتمد نفسس النمسط الأساسي (١٠٠)، وتقفيز "أتارجاتيس" الي قصة محلية أو "ديرسيتو" الصحة، وهناك أدلة على أن رواية مماثلة تصور ابنًا كان ليعثر عليها في أن رواية مماثلة تصور ابنًا كان ليعثر عليها في أساطير "غزة".

وإلى هذه النقطة نكون قد كشفنا النقاب عن موتيفين دراميين يتصل أحدهما بالآخر، وإن كانا مختلفين: المعركة بين بطل ووحش تنتهى بانتصار البطل، ومطاردة الوحش للإلهة، وهوالأمر الذي يؤدي في غالب الأحيان إلى معجزة دينية. وكلا الموتيفين يتطلبان ثلاثة أدوار درامية: البطل الأول وهو الوحش ثم الوحش الثاني: الإلهة الوليفة، ثم ابن الإلهة.

وتجد المعسركة التى نشبت بين البطل والوحس فى موقعها "الكلاسيكى" (فى الأساطير الأوجاريتية) عند مصب نهر العاصى Orontes بشمال سوريا ما يوازيها، إن لم نقل روايات مشتقة منها، فى أساطير العديد من الثقافات المجاورة. ففى بلاد وادى الرافدين يظهر نمط العقدة الدرامية كتفسير تعليلى للخلق فى الصراع بين مردوك Marduk إله بابل و تيعامات Ti'amat وحش الفوضى (٢٥). وتعرف الأساطير الكلاسيكية الأسطورة السورية الشمالية جيدًا فلقد اختار اليونانيون مصب نهر العاصى وساحل سليسيا cilicia المجاورة لأحداث روايتهم الخاصة للأسطورة بعد تحويل بعل "بعل" إلى "نيوس" والبحر إلى "تيفون" Typhon المتوحش (٢٥).

ومما ينطوى على مغزى أعمق بالنسبة لما نقوم به حاليًا من استقصاء أن "موتيف" البطل - الرحش موجود أيضا" في مصر، وقد تخفي في طبقة تحتية، كما هو الحال، في الفكر الأسطوري، خلف أساطير أكثر انتشارًا. وعلى غرار ما هو قائم في كل مكان آخر تستخدم القصة في إطار سرد عملية الخلق أو التدشين (= البدء). واقد تلقى الفرعون "ميري – كا – رع"، في القرن الحادي والعشرين ق.م. نصيحة من والده بأن "يسهر على رعاية بني الإنسان، حملان الآلهة، لأنه (أي الإله الخالق صنع السماء والأرض وفق ما يشتهي البشر، وفرض الخضوع على وحش الماء. وخلق نسيم الحياة حتى يتنفسوه، إذ إنه أبرأ بني الإنسان، أولئك الذين خرجوا من صلبه، على صورته)(10). وفي غالب الأحيان يقوم الإله - الشمس أو أحد أتباعه بدور البطل، والتلميح، ولو أنه عابر، يشير إلى أساطير نموذجية أصلية من ذلك النوع التدشيني بصنورة مبهمة. وبناء عليه فإن فقرة تشير إشارة سريعة إلى "قانهم أتوم" الموجود في سلسلة ظهر التعبان "نهيب ـ كان" Neheb-Kau الذي يضمع حدًا للمسراع في "أون" (= هيليوبوليس)، وتصف فقرة أخرى "أتوم" على أنه "هو الذي أخمد ثورة الغضب في السماء، والصراع في "أون" خلال المعركة الكبرى"(٥٥) . وتلقى هذه المعركة مزيدًا من الوصف باعتبارها تقع "شمال غرب بيت الثعبان "إس-عوس" Es-'os عندما يكون "رع" قد حولً نفسه إلى نمس يصل طوله إلى ستة وأربعين ذراعًا كي يصرع "عبيب" أو "أبوفيس" (كما نطقه اليونانيون) في سـورة غضبه (٥٠١). إلا أن قمـص الخلق في مصير لم تستخدم بشكل عام موتيف البطل – الوحش، ويتمثل الاستعمال الأكثر انتشارًا لهذا 'الموتيف' في تعليل كسوف الشمس: 'عبيب' الذي يكمن بصفة دائمة في مياه النيل السماوي مترقبًا القارب الشمسي جوبه بالبطل ست الذي يشرع رمحه أثناء وقوفه على مقدمة القارب(٥٧).

إلا أننا نستطيع، مع ذلك، أن نقارن إحدى الأساطير المصرية، مباشرة، بذلك الدور التَّلاثي الذي نقابله في جنوب المشرق، وعلى وجه التحديد "الوحش - الإلهة -الابن"، وبتك هي الدورة التي تتخذها القصة في تناولها لهروب "إيزيس" إلى مستنقعات الدلتا(٥٨). فلقد اضبطرت "إيزيس عقب موت زوجها "أوزيريس" على أيدى "ست"، إلى الهرب إلى مستنقعات الدلتا طلبًا للنجاة بحياتها وحياة طفلها "حورس"، وفي "بوتو" على وجه الخصوص، في شمال غرب الدلتا، ثم في "باميت" في الشرق تكتسب طابعًا رعوياً. فيرقد الطفل حورس" أو الصقر - الطفل في مخبئه في عش مجدول بينما تراقب أمه 'إيزيس' تصركات الوحش 'ست' أو الخنزير البرى الذي أصابه الهياج، ويقدم المتوطنون في المستنقعات كل ما في وسعهم من حماية عن طيب خاطر إلى الأم الملتاعة ويساعدونها في حسراسة طفلها إدجو Edjo "الخضسراء" (الكسويرا) ، و جبات Djebat أي "البلشون" أو "مالك الحزين"، و "سخمت - حور" البقرة. وعلى النقيض من الأسطورة المائلة في "يافا" و"عشقاون" و"غزة" حيث تهدف هناك إلى تقديم أساس منطقى للعبادة، فالجوهر الإنساني لدورة "بوتو" يمد الكل الأسطوري بطابع أكثر إيجابية إلى حد كبير. ولم يستطع الوحش، رغم محاولاته العديدة، أن يقبض على 'إيزيس'، أو يلحق الأذي بابنها "حورس"، فموتيف البطل - الوحش مضاف إلى الكل، وينتهى إلى انتصار المق: يضرج "حورس" من "بوتو" ناضحًا كي ينزل الهزيمة بـ "ست^{-(٥٩)}.

وهكذا فإن دورة "بوتو" في موطنها الذي يقوم في الأصل في الطرف الشمالي للدلتا، ولا يبعد كثيراً عن ساحل البحر المتوسط، تشترك مع المراكز الحضرية في الساحل الجنوبي للمشرق في مجموعة من التنميطات الأسطورية. ورغم أن القصص المصرية لا تستلهم بيئة بحرية على نحو حاسم، إلا أن الموتيف واحد بشكل واضح. ومع ذلك يتعين علينا ألا ننسى الطابع البسيط الغاية العقدة في هذه القصص إلى جانب الوعي المتبادل، كل بالأخر، والاتصال بين هذا وذاك خلال التجارة والترحال،

اللذين تمتعت بهما التجمعات السكانية حول سواحل المشرق وسواحل أفريقيا منذ الأزمنة السحيقة. والحقيقة أننا ننزلق إلى الوراء إلى عصر ما قبل التاريخ إذا حاولنا التوصل زمانيًا ومكانيًا إلى النقطة الأصلية التى انبثقت منها القصة. وهذه محاولة لا طائل من ورائها. وحتى أو تكفل حكواتى موهوب بتحويل العاصفة التى تجلد الساحل إلى صراع بين بطل ووحش فإن مراكز عديدة العبادة في غضون ذلك تكون قد هضمت وغيَّرت وجمًّلت وشذَّبت هذا التراث المشترك، دون أن تعى في الغالب، بديونها لمؤلف موغل في القدم، إلى الحد الذي يمكن لبحثنا هذا معه أن يغرق في نوع ما من أنواع التقييم الذي يتوقف عند الشكل لروايات متباينة لنفس القصة. ويكفى في هذا الصدد، أن نقول إن مصر والشرق، كانا، بطريقة نادرًا ما أدركاها ، وريثين مشتركين، منذ خمسة آلاف سنة ، لعملية إبداع قوية وجوهرية في مجال الحكى الأسطوري الذي لا يزال يحيا ، بصورة أو بأخرى ، معنا حتى اليوم.

الأراضى الأجنبية تخضع للفرعون:

شهدت الأسرة الثانية خلال أفول نجمها واحدة من أعظم نقط التحول في التاريخ المصرى: الخضوع النهائي للعناصر المناوئة في الدلتا والتوحيد الذي لا ينكر أصله المركب للبلاد تحت ظل ملكية فرعونية. ففي غضون جيل واحد من زحف الفرعون "خع - سيخيم - وي" الذي سجل زحفه نحو النصر بعبارة مقتضبة، على ٤٨ ألف شمالي قتيل (١٠٠)، ارتفع أول نموذج لذلك الرمز الهائل الحجم الذي سيستمر دليلاً منذ ذلك الحين وحتى الأبد على الملكية المطلقة لمصر الموحدة: الهرم الملكي (١٠٠). (لوحة رقم ٩)

ولقد بدا أن الوحدة الحديثة النشأة قد أطلقت كافة الطاقات الحبيسة للأمة الشابة – فالشكل الهرمى الذى بدأ بالبناء التجريبى الذى يتكون من ست مصاطب، وبناه المهندس والطبيب الذى ألهه المصريون فى وقت لاحق: "إى – إم – حوتب" للفرعون ورسر" من الأسرة الثالثة، مر بصورة سريعة بمراحل عديدة من التطور حتى بلغ بعد ٥٧ سنة وحسب من وفاة "روسر" ذلك الشكل الهرمى المصقول الوجه الذى ننسب إليه

المصطلح اليوم. فالحقيقة أن الفترة التي انقضت من نوسر إلى خف ـ رع (في الأسرة الرابعة) وتبلغ حوالي ١٥٠ سنة، مر شكل الهرم خلالها، بتطور سريع ومتعاظم على مستوى الكتلة والارتفاع والوظائف. فمن ارتفاع لا يزيد على ٢٦ مترًا خلال حكم الفرعون "روسر" وصل الشكل إلى ارتفاع شاهق يبلغ ١٥٧ متراً تحت ظل حكم "خَوفَن"، ومِن قاعدة متواضعة نسبيًّا لهرم "زوسر" ١٢٦ × ١١٠ مترًّا زادت أبعادها إلى ٢٣٢ مترًا مربعًا أيام "حوفو" كما قُصد من الموقع والمحيط العام حول الهرم كليهما أن يحملا رسالة إلى الناس والآلهة على حد سواء بديمومة الفرعون ومركزيته سواء في هذا العالم أو العالم الآخر، ويرسم هرم "زوسر" المدرج لنفسه صورة ظلية silhouetted على صفحة السماء عند مشارف الصحراء مباشرة، فوق "منف" الحاضرة الملكية المركزية ومقر إقامة جلالته، حيث لا يخفق أي مواطن في رؤيته ولا يخطئ في تقدير مغزاه. وارتفع هرم "حُوفو" الهائل الحجم إلى حافة الصحراء عند النقطة بالتحديد التي ينداح فيها نهر النيل في الدلتا، في رمز ملائم لسيطرة الفرعون المطلقة على شطرى مملكته. كما ترمز مجموعة المباني التي أقيمت حول هرم "روسر" على المستوى الأيقوني والتخطيط إلى وحدة البلاد، وفي نفس الوقت تحى ذكرى العيد الثلاثيني (اليوبيل)(٦٢)، وهو عبارة عن احتفال يُنصب الملكية وتجديد الشباب ويشير المعبد الرئيسي الهرم، الذي بدأ منذ حكم خوفو يأخذ تصميمًا قياسيًا، إلى الفرعون المتوفى الأوزيري الذي استمر بصفته "إلهًا عظيمًا" يحكم رعاياه في العالم السفلي(٦٣).

إلا أن الهرم يمثل بالنسبة لنا أكثر من مجرد بلورة لرموز جديدة وعدة أيقونات وتطور سريع في أساليب التشييد. فالهرم رمز مرئى على ثورة في معرفة كيفية إدارة مجتمع إنساني وتنظيم قوة العمل، وهو في نفس الوقت مؤشر على البيروقراطية (بالمعنى المحايد للمصطلح) المزدهرة التي فرضتها مركزية الدولة المتمثلة في شخص الفرعون، على مدينته ومقر إقامته الآخذة بالنمو.

تشتمل غالبية المصادر المدونة وإلى حد كبير، التى تعود إلى الملكة القديمة على قوائم تضم ألقاباً ووظائف متنوعة عثر عليها في النقوش التي حملت سيراً ذاتية في المقابر الخاصة (١٤٠). واستناداً إلى هذه القوائم نستطيع أن نعيد بناء هيئة مدنية ضخمة يخلب تنظيمها الفائق الألباب. فبعد الفرعون مباشرة ونائبًا عنه يقف من يشبه

"الوزير الأكبر" وقل رئيس الوزراء الذي يتولى مسئولية كافة المصالح أو "مكاتب المقر الملكى" باللغة المعاصرة وقت ذاك، وكان هناك ما يمكن لنا أن ندعوه بوزارتي الزراعة والثروة الحيوانية، ووزارة الخزانة التي تضم، ضمن ما تضم، "البيت" المزدوج للذهب والفضة" ومستودع "الكماليات الملكية" وشونة الحبوب، ووزارة الدفاع أو "بيت السلاح" بالإضافة إلى طاقم سكرتارية مع أرشيفات مستقلة (بيت الدفاتر والمراسيم)، إلى جانب عدد من المكاتب الأخرى والهيئات التي لا نكاد نعرف عن وظائفها إلا نذراً يسيراً.

ونستطيع أن نستنتج أن تلك الوزارات المعنية بالتجنيد والتدريب والتنظيم لقوة العمل عرفت الازدهار والتضخم خالال عصر الأهرامات (٦٥) ولقد قامت عمليات التجنيد على عقيدة تذهب إلى أن جميع المصريين مدينون باداء الخدمة للدولة، والافتراض المرتبط بذلك بأن كل الأسرى الأجانب فقدوا كل حق كانوا يملكونه في وقت سابق في الاختيار الحر. وبناء عليه كان في وسع "بيت الفرعون" أو أي مكتب آخر من مكاتب المقر الملكي (١٦)، أن يجند المصريين لأعمال التشييد والسخرة وأعمال الفلاحة أوحتى الأشغال الشاقة، كما كان في طوع الدولة أن تدفع الأسرى الأجانب إلى الخدمة العامة متى شاحه. وكانوا يؤدون خدماتهم تحت رعاية وزارة الأشغال العامة، وكانوا يقسمون إلى فرق من أحجام مختلفة (وغالبًا إلى مجاميع تضم كل مجموعة عشرة أنقار)، ويخضعون لإشراف نظأر من المقر الملكي، وعلى غرار ما هو الحال مع خدمة الكهان أو خدمة طاقم العاملين بالقصير، كانت الجموع التي تقوم بأعمال غير ماهرة في مشاريع التشييد تخدم في أربعة أقسام، كل قسم منها يعمل طوال ثلاثة شهور في السنة، وهو الأمر الذي يسمح، بالتالي للشطر الأعظم من الفلاحين أن يعودوا إلى غيطانهم كي يقوموا بأعمال المراثة والبذار والحصاد(٦٧). وخلال العمل الصالح الحكومة، كانت قوة العمل تلك، التي جلبت من مختلف بقاع مصير، تمنح المسكن والمنكل والملبس على نفقة الدولة، وتتوفر لدينا أدلة تشبر إلى أن هؤلاء العمال كانوا يتلقون أيضًا خدمات طبية (١٨). وكانت معايير النجاح في مشاريع التشبيد تتمثل في السرعة والإتقان. ويزعم أحد المسئولين أنه اقتطع من المحجر مائدة من المرمر لتقريب القرابين ونقلها من المحجر إلى موقع العمل، لمسافة تبلغ ٢٩٠ كيسل مترًا في بصر ١٧ يومًا لا غير. ويتباهى مسئول آخر بأنه نجع فى تعويم أعمدة من الجرانيت (على متن طوافات) المعبد الجنائزى للفرعون فى رحلة تصل إلى ٩٥٠ كيلو مترًا فى غضون سبعة أيام لا أكثر (١٩٠)؛ ويحتج أحد المشرفين على إحدى فرق الحجَّارة فى رسالة خطية على إجراءات إعادة تجهيز عماله، وهو ما كان يجرى بصفة شهرية: "خادمكم الأمين (فى إشارة مهذبة إلى شخصه) اعتاد على قضاء ٦ أيام كاملة فى المقر الرئيسى مع فرقته حتى تصرف لهم الملابس المقررة، وهو الأمر الذى يعطل سير العمل الذى يتولى مسئوليته خادمكم الأمين، لأن ما يخصم من حصة هذه الفرقة من العمل مقابل استلام ملابسها لا يزيد عن عمل يوم واحد (٧٠٠).

تؤرخ الأدلة المتوفرة لدينا الآن لتدفق أعداد غفيرة من الأجانب إلى خلية النحل هذه التى تشتغل فى عمليات التشييد اعتباراً من أواخر الأسرة الثالثة (١٧). وسسرعان ما أصبحت قوة العمل الرخيصة هذه هى ما كانت مصر تتوقعه من البلدان المجاورة، إلى جانب الغنائم والهبات المفروضة والهدايا والمواد الأولية فى إطار الالتزامات التى قدرتها الآلهة على تلك البلدان لمصر. وسعت الدولة المصرية إلى ضمان إمدادات منتظمة، دون أن يأتى ذلك من خلال إقامة بنية تحتية إمبريالية تفرض الخضوع بصفة دائمة على البلاد الأجنبية، بل من خلال الترهيب وخلق منطقة نفوذ وحسب. فنظراً لأن البلاد الأجنبية تتبع الفرعون تماماً مثلما تفعل مصر ذاتها، والفرعون يدوس على الشعوب الأجنبية المسماة بصورة جماعية "الأقواس التسعة" وكذلك يدوس على المصريين أيضاً. فالمصريون يركعون، وكذلك الأجانب أمام الإله – الفرعون. (شكل رقم ٤)(٢٧).

وكان في وسع مصر أن تضمن جلب السلع والأنفار الذين تحتاج إليهم من وراء حدودها خلال أكثر من وسيلة واحدة (٢٧). فكان في طوع المصريين أن يتاجروا مع السكان المحليين أو ينغمسوا، في ذروة قوتهم السياسية، في تبادل الهدايا معهم. وكان في إمكانهم أيضًا أن يفصحوا بصريح العبارة عن أنهم يتوقعون من الحكام المحليين تقديم الهبات "بصورة طوعية، وإلا جروا على أنفسهم غضسب مصر. وإذا أخفقت كل الوسائل، فإن الدولة المصرية قد تلجأ إلى إرسال تجريدة عسكرية إلى خارج الحدود. وواقع الأمر أن الفروق غائمة. فالتجريدة التي يرسلها المصريون إلى الخارج تشكل "قافلة"، أوقعنا اضطرارها في بعض الأحيان إلى خوض غمار القتال، في التعود

على إطلاق اسم 'الجيش' عليها. ولكن هذه 'القافلة' قد لا تضطر إلى القتال إذا انطوى الأمر على عملية تعدينية أو صفقة تجارية، وعندئذ يمكن أن تستخدم في نقل السلع التي تتوفر تحت أيديها، أيًا كانت، على الأكتاف. وكان "حاملو ختم الإله" وهذا مصطلع يرتبط، في الغالب، بقادة التجريدة، يصطحبون معهم "قوات" إلى البلاد الأجنبية، ولكن وظيفة هذه القوات لم تزد، في العادة، عن رفع علم مصر و"تهدئة" روع السكان المحليين، وفقًا للتعبير المعاصر في ذلك الوقت(١٧). ولقد أشار المصريون، بقدر ما من المكر، فيما يشعر المرء، إلى أنهم " يزرعون الخوف من حورس" في البلاد الأجنبية (٥٠). وكان الاعتماد على السكان المحليين افلسطين في حمل مواردهم الطبيعية، بالإضافة إلى المنتجات والخدم إلى الفرعون ك" هدايا"، أقل تكلفة بما لا يقاس. وقد حدد إلى المعربون أيامًا معينة على مدار السنة، يكون دخول مثل هذه "الهبات" فيها إلى مصر المصريون وصول مثل هذه القرابين التي يقربونها عن طيب خاطر. ومع ذلك كانت بعض القوافل المصرية وعدد من السفن المصرية تضرج من مصر لمصاهبة جالبي بعض القوافل المصرية وعدد من السفن المصرية تضرج من مصر لمصاهبة جالبي

لعل المعلومات المتوفرة لدينا عن المملكة القديمة أقل من تلك التى بحوزتنا عن الحقب اللاحقة حول الكيفية التى كان يحصلون خلالها على قوة العمل الأجنبية. وكان الأسرى الذين عادت بهم التجريدات العسكرية من البلدان الأجنبية يشكلون نسبة كبيرة من الأجانب المقيمين في مصر خلال عصر بناة الأهرامات (كما سبق أن ذكرنا)، ولكن جميع هؤلاء الأجانب لم يكونوا بكل تأكيد من الأسرى. ومن المؤسف أن الحوليات التى نجت من عوادى الظروف ووصلت إلى أيدينا لا ترفق، بصفة دائمة، دخول الأجانب العائدين مع هذه التجريدة أو تلك، بأى إيضاح حول الكيفية التي جلبوا بها إلى مصر. ومع ذلك يبدو من المحتمل أن سكان فلسطين وسوريا كانوا لا يحتاجون إلا إلى قدر لا يذكر من الإكراه، على نحو ما كان عليه الحال في المهود اللاحقة الأفضل ترثيقًا، كي يقتنعوا بنقل محال إقامتهم إلى ضفاف النيل وتقديم خدماتهم الفرعون. فلقد كان لمصر تأثير المغناطيس على جيرانها في سائر المصور. وبالنسبة لأناس مثل أوائك لمصر تأثير المغناطيس على جيرانها في سائر المصور. وبالنسبة لأناس مثل أوائك

الحصاد، وخطر المجاعة الذي يحوم باستمرار فوق الرءوس، كان استقرار إنتاج مصر من الحبوب، ووفرتها الزائدة، والثراء الذي تتمتع به مصر في مخزوناتها من الأسماك والطيور وحيوانات الصيد، ليستعصى على المقاومة. فمن الأفضل أن يعيش المرء "عبدا" ممتلئ البطن في مصر من أن يموت من الجوع "حرًا" في سهوب آسيا الجرداء، وسواء أكان قد نزح بمحض إرادته، أو باعه شيخ قريته، أو وقع في الأسر، عودًا على بدء، في ميدان القتال، فإن من المشكوك فيه ما إذا كان أي شخص من الآسيويين الذين نراهم محمولين على متن سفن مصرية قد أسف لمصيره ذاك.

لا تستطيع الأدلة المتوفرة على الصفقات التجارية والهدايا الدبلوماسية الطابع أن تطمس الصقيقة التي تقول إن المصريين استطاعوا، بل ولجأوا في مرات عديدة إلى القوة السافرة في تحقيق غاياتهم في فلسطين. ونجد أنفسنا أيضنًا في موضع يمكننا من تقرير ما يعد على وجه التحديد مثار النزاع، عندما يعترض أحد طريق المندوبين المصريين أو يقتلهم، أو عندما "تتمرد" الولايات الآسيوية بعد تلقى التشجيع من جانب قوى خارجية مخربة، أو عندما يتأخر وصول الهبات المتوقعة، عندئذ كانت مصر ترد بإجراء تأديبي. والنصوص التي وصلت إلى أيدينا من الملكة القديمة، التي تتناول المُوضِوع حاسمة في هذا الصدد ولا تحتمل معنيين. فالفعل الأكثر شيوعًا في الاستعمال هو "قمع" في إشارة إلى القتال المبيت، والأعداء "نبحوا" أو "أجبروا على الفرار" أو "رُقُّعوا"، والذين بقوا على قيد الحياة منهم حصلوا إلى مصد كأسسرى، وعلى سبيل العقاب والعبرة لمن يعتبر، كانت المدينة المتمردة تدمر عقب الاستيلاء عليها، أما الأسوار المبنية بالطوب الأخضر فكانت " تسهدم" بالفئوس بصفة منتظمة. وتشير المصادر بين الحين والأضر إلى إشعال النار في بعض المدن. ويتم ذلك كله في سياق قانوني، تومئ إليه أفعال من قبيل "أخمدنا" و"أنزلنا العقاب"، وتعكس شطف التماثيل التي تصور أسرى راكعين، وتخرج إلى النور خلال عمليات التنقيب في معابد الأهرامات التي ترجع إلى أواخر المملكة القديمة، "موتيف" إعدام أسرى، وتتوفر لدينا أدلة من النصوص المدونة على استنزال اللعنات في إطار شعائري على الشعوب الأجنبية(٢٦).

يتمثل أكثر التقارير التي وصلت إلى أيدينا تفصيلاً لتجريدة عسكرية إلى فلسطين في ذلك التقرير الذي ورد ضمن بيان السيرة الذاتية للمدعو ويني، وهو شخصية بارزة، خدم فى وظيفة حكومية إبان حكم كل من الفراعنة "تيتى" و "بيبى الأول" و "ميرى - ن - رع" بالأسرة السادسة (القرن الرابع والعشرين ق.م) (١٠٠٠). وكان الاختيار قد وقع على "وينى" - الذى لم يكن أكثر من (أحد رجال الحاشية الملكية) وأحد المشرفين على السوق الملكى لمنتجات البساتين - لقيادة التجريدة العسكرية، نظراً لأنه كان، كما يخبرنا هو بلسانه، "أكفأ فى رأى جلالته من أى شخص أخر سواء من حكامه أو وكلائه أو موظفيه ولم يورد النص التالى أى سبب لإرسال التجريدة، سوى تلك الإشارة المبهمة إلى وقوع تمرد، ولكن الأمر لم يكن ليحتاج إلى أكثر من ذلك نظراً لأن النص كان للاستهلاك المحلى. فالقارئ المصرى كان ليسلم بأن الأسيويين أساءوا السلوك:

"عندما اعتزم جلالته تأديب الآسيويين الذين يقيمون على الجانب الآخر الرمال، أعد جيشًا من عشرات الألوف من المجندين الذين يأتون من الوجهين القبلى والبحرى. وقد أوفدنى جلالته على رأس هذا الجيش. ولم يتول قيادة أولئك المقاتلين سواى، رغم أن وظيفتى لم تتعد الإشراف على السوق الملكى لمنتجات أصحاب البساتين. وكان الحتيارى لهذه المهمة راجعًا إلى الدقة التي أديت بها عملى خلال أداء مهام وظيفتى، وكان من نتيجة ذلك أن أحدًا لم يتعارك مع زميل له، ولم يسرق أحد رغيفًا أو صندلاً من مسافر، ولم يسلب أحد جلبابًا من بلدة ما، ولم يستول أحد على عنزة من شخص ما. ولقد قدت قواتى عبر طريق الحصن الشمالي" (؟) خلال " بوابة إي – إم – حوتب" في منطقة حورس رب الصدق ..."

وعاد هذا الجيش سالمًا، بعد أن سحق أولئك الذين يعيشون على الجانب الآخر للرمال!

عاد هذا الجيش سالمًا بعد أن محق مدنهم المحصنة!

عاد هذا الجيش سالمًا بعد أن اجتث أشجار فاكهتهم وتكعيبات عنبهم!

عاد هذا الجيش ساليًا بعد أن أشعل النار في كافة مساكنهم(؟)

عاد هذا الجيش ساليًا بعد أن ذبح قوات العدو بعشرات الألوف!

عاد هذا الجيش سالمًا، ومصطحبًا أعدادًا غفيرة من القوات التي رفعت السلاح في وجه المصريين كأسرى حرب!

وقد أثنى على جلالته ثناء فاق كل الحدود، وكلفنى جلالته بقيادة هذا الجيش فى خمس مناسبات متتالية كى أخضع بلاد أولئك الذين يعيشون على الجانب الآخر للرمال كلما رفعوا راية العصبيان، ولقد قمت بالمهمة التى أوكلت إلى خير قيام، الأمر الذى جعل جلالته يمتدحنى بصورة فاقت كل الحدود،

ثم أفادت تقارير بوجود مثيرى شغب وقلاقل بين أوائك الأجانب الذي يقطنون في أرض "أنف الغزال" (٢٨) وبناء عليه أبحرت على متن سدفن نقل بقواتى، ورست على الشواطئ خلف مرتفع جبلى شمالى بلاد الذين يعيشون على الجانب الآخر للرمال. ومع أننى احتفظت بنصف قواتى على الأقل بعيدًا عن ميدان القتال، إلا أننى رجعت قابضًا على الأعداء جميعًا، وقمت بذبح مثيرى الشغب والقلاقل بينهم".

تتميز كافة السير الذاتية الخاصة بمثل ذلك الطابع النموذجي الذي يجمع بين العماس والسذاجة والزهو، وهي السير التي نقشت بها المقابر المصرية في كافة العصور، ويصبح لزامًا على المؤرخ أن " يخفض" بصورة تلقائية درجة القوة والنجاح الذي يدعى المتحدث أنهما ميزتا أعماله. ومع ذلك، فهناك في حالة "ويني" هذه نقطتان مهمتان لا تستطيع تلك البلاغة أن تشوههما وهما: أولاً: أن التمرد احتاج من مصر أن ترسل تجريدة عسكرية ضخمة العدد. ثانيًا: أن الأسيويين حققوا نجامًا في تعردهم استدعى تكرار مثل هذه الخطوة خمس مرات. وفي ضوء الأحداث الجسام التي سرعان ما كانت لتضع نهاية مثيرة لمطلع العصر البرونزي Early Bronze Age قد نسمح لانفسنا أن نطرح بعض الأسئلة الأساسية. هل تعكس التجريدة التي قادها "ويني" بداية النهاية في فلسطين؟ ومن هم يا ترى: "مثيرو الشغب والقلاقل" الذين تسللوا إلى صفوف أولئك الأجانب؟ لن تكون الأجوبة على وجه الاحتمال قريبة المنال. ولكن السعى في إثر مثل علمات الاستفهام هذه ينطوي على أهمية حيوية مع ذلك. ففي غضون قرن ، لا أكثر ، كان لكل من مصر وفلسطين أن تعانيا انهياراً كاملاً على المستويين الاقتصادي والسياسي معًا.

الهوامش

- Cf.B.G.Trigger, in M. Görg,ed., Festschrift Elmar Edel (Bambergk1979), 409ff. (1)
- Cf.the repetive slaughter of the prisoners:J.E.Quibell.Hlerakonpolis (London, (Y) 1900),1:pl.XV,nos.1,2,4.
- Cf.the "phallic sheath" and feather, both indicative apparently of Libyans: (٢) J.Capart, Primitive Art in Egypt (London,1905), 100,fig. 70;W.B.Emery, Great Tombs of the First Dynasty (Cairo,1949) ,1;60,n.565.
- W.M.F.Petrie, The Royal Tombs of the First Dynasty (London,1900) ,1:pl.17 (30); (£) L.Borchardt,Das Grabdenkmal des Königs Sa-hu-re (Berlin,1913),2:pl.13.
- M.Saghieh, Byblos in the Third Millennium (Warminster,1983) ,fig, 7B, pl.33; (o) P.Matthiae, in Studies in the History and Archaeology of Jordan (Amman, 1982), 1:79ff.

(١) انظر على وجه الخصوص في هذا الصيد كلاً من:

R.Amiran, in J.A.Sandars,ed., Near Eastern Archaelogy in the twentieth Century (New York,1970),83ff.,idem, in Biblical Archaeology Today (Jerusalem, 1985.; M.Brochi and R.Gophna,BASOR 253 (1984),41ff.;P.W.Lapp,in Sandars,Near Eastern Archaelogy,101ff.; W. Rast,Scripta Mediterranea (1980),: 1:5ff.; R.T. Schaub,in Studies in the History and Archaeology of Jordan 1:67ff.R.de Vaux,CAH 1(1971),232ff.

- See. D.B.Redford,JARCE 23(1986),125-32, for detailed discussion (لنقاش تفصيلي) (٧)
 - See G. Pettinato, The Archives of Ebla (New York, 1981). (A)
- M.Wright, BA 48 (December 1985), 240ff.; Also see Redford, JARCE 23 (1986), (1) 125-32.
 - (١٠) حول الحوايات المسرية أنظر:
- D.B.Redford, Pharaonic King-lists, Annals and Day-books (Toronto, 1986), 86ff.
- W.S.Smith and W.K.Simpson: The Art and Architecture of Ancient Egypt (Har- (\\)) monds worth,1983), 35 ff.

- W.F.Albright, The Archaeology of Palestine (Haremondsworth, 1949), 76; (\Y) J.B. Hennessey, The foreign Relations of Palestine during the Bronze Age (London, 1967), 73; R.Gophna and D.Gazit, Tel Aviv 12 (1985), 9 ff.
- The Inscriptions of Sinai : و التى تحمل عنوان A.H. Gardiner و A.H. Gardiner و ۱۲) ثعد دراسة كل من A.H. Gardiner و الدن سنة ۱۹۵۲ ۱۹۵۵ و کذلك دراسة :R. Giveon المفنونة: ۱۹۵۸ و کذلك دراسة :The Impact of Egypt on Canaan (۱۹۷۸) اه وما بعدها.
 - (١٤) حول منظر الضرب على الرأس في الفن المصرى انظر:

H.Schaler, WZKM 54 (1957), 168 ff.

- E. Oren, IEJ 23 (1973), 198 ff. (\o)
- R. Gophna, Atiqot 11(1976), 5. (\\\)
- R. Amiran, IEJ 23 (1973), 241-42; idem, IEJ 24 (1974), 257-58; idem, in M.Avi- (\V) yonah ed. Encyclopedia of Archaeology Sites in the Holy Land (Jerusalem, 1975) 1:74ff., idem, in Biblical Archaeology Today, 108 ff.
- F.A. Hassan and S.W. Robinson, Antiquity 61 (1987),127;on the fall of Arad, (\A) see R. Amiran, IEJ 36 (1986),74-77.
- W.Rast, Scripta Mediterranea 1 (1985),5; Hennessey, Foreign Relations, 73-74. (۱۹)
 (۲۰) لم تحظ الأسرة الثانية إلا بأقل اهتمام في الأنب التاريخي، نتيجة لندرة الأدلة الأثرية والنصوصية بصفة جزئية على الأقل:
- Cf.E. Drioton and J.Vandier, L'Egypte (Paris, 1962), 142-43; W.B.Emery, Archaic Egypt (Harmondsworth, 1962), 91ff.; I.E.S. Edwards, CAH³ I (1971), chap. 11; W. Kaiser, ZÄS 86 (1961), 46ff.; A. H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs (Oxford, 1961), 415ff.
- W. Helck, Untersuchungen zu Manetho und den ägyptischen Königslisten (Y1) (Berlin, 1956), 13.
- (۲۲) حول تقديس حيوان 'سيت' الذي يتمثل، في العادة، في فصيلة منقرضة من الغنازير، انظر: P.E. Newberry,Klio 12 (1912),397ff.,idem,JEA 14(1928), 211ff.; S.Donadoni, MDAIK 37 (1981), 115 ff.,
 - وحول الإله نقسه انظر:
- J.G. Griffiths, The Origins of Osiris and his cult (Leiden, 1980); H.Te Velde, Seth, God of Confusion (Leiden, 1967).
- (٢٣) لنظر كتاب "جريفيث" في الهامش السابق. و كانت النظرية التي مساغها بشكل مفصل "بي.إيي. نيويبري" في كتابه " "Ancient Egypt(1922" في ص ٤٠ و ما بعدما بشأن "ست-التمرد" قد وجدت ردًا عليها، في نهاية المطاف ساقه جيه. جي جريفيث في كتابه "لمصات من مصر القديمة". [Glimpses of Ancient Egypt [Warminster,1979]

وحول "بريبسين" Peribsen انظر أبضيًا:

Edwards, CAH3 1 (1971),chap.11; J.F.Garnot,BIE 37 (1956), 317 ff.; J.P. Lauer, BIFAO 55 (1956),162-63.

- P. Lacau and J.-P. Lauer, La pyramide à degrés (Cairo, 1959), 4:77, no.205 (₹٤) (Cf. also pl. 18, nos. 87, 93;5: No. 274; T. E. Peet, The Cemeteries of Abidos (London, 1914), 1: pl. 10.
 - (٢٥) حول "هَاع سيخيم وي" انظر: Edwards,CAH3 1(1971),chap.11 .
 - Palermo Stone, recto V, (Y3)
 - . J.C. Darnell,GM 83 (1984),17 ff : محول التعبير، انظر:
 - P. Montet, Byblos et l' Égypte (Paris,1928), 271. (YV)
- Cf. Ibid., Passim; P. Montet, Kêmi 1 (1928), 19 ff.; H. Goedicke, MDAIK 19 (YA) (1963), 1ff.; S.H. Horn, Andrews University Seminary Studies 1 (1963), 52 ff.; P.E. Newberry, JEA 24 (1938), 182 ff.; M. S. Drower, CAH³ I (1971), chap. 17; S. Herrmann, ZĀS 82 (1957), 48 ff.; K. Sethe, ZĀS 45 (1908), 7 ff.; M. Saghieh, Byblos in the Third Millennium (Warminster, 1983); W. A. Ward, JESHO 6 (1963), 1ff.; Griffiths, Origin of Osiris, 28ff.; O. Tufnell and W. A. Ward, Syria 43 (1966), 165 ff.
 - ANET², 82 ff.; G. Roux, Ancient Iraq (Harmondsworth, 1966), 115-16. (Y4)
 - Drower, CAH3 I (1971), chap. 17. (٢٠)
- Ibid.; S. Tawfik, GM 30 (1978), 79; J. Strange, Caphtor/Keftiu: A New Investiga- (TV) tion (Lieden, 1980), 71ff.
- Ch. Boreux, Études de nautique égyptienne (Cairo, 1925), 462; T. Säve- (۲۲) S?derbergh, The Navy of the 18th Egyptian Dyansty (Uppsala, 1946), 12, 48-49; P. Montet, Kêmi 13 (1954), 63 ff.; 16 (1962), 86-87; A. B. Lloyd, JEA 58 (1972), 272 ff.
- CT I, 262b; A. Altenmüller, Synkretismus in den Sargtexten (Wiesbaden, 1975), 133. (YY)
 - (٣٤) من تقرير 'وينامون' ١٩:٢ -٢٢
- H. W. Attridge and R. A. Oden, Jr., Philo of Byblos. The Phoenician History (To) (Washington, D.C., 1981), 72, n. 6; Il Aqhat v, 20 ff.; T. H.Gaster, Thespis (New York, 1961), 161, 164-65.
- C. Zaccagnini, Lo scambio dei doni nel Vicino Oriente durante i secoli XV-XIII. (٢٦) (Rome, 1973); M. Liverani, Three Amarna Essays (Malibu, Calif., 1979), 21ff.
 - W. Westendrof, GM 11 (1974), 47 ff. (YY)
 - Shipwrecked Sailor, 147-49; D. B. Redford, JEA 67 (1981), 174-75. (YA)

(۲۹) انظر: ،

Montet, Byblos et L'Egypte; on Hathor, "Mistress of Byblos", see Ibid., pl.28:11, p.35; M. Chehab, Bulletin de la Musée de Beyrouth 22 (1969), 1ff.; R.Stadelmann, Syrisch-Palästinensische Gottheiten in Ägypten (Leiden, 1967), 97; J.G.Griffiths, Plutarch's De Iside et Osiride (Cambridge, 1970), 326; C.J.Bleeker, Hathor and Thoth (Leiden, 1973), 72-73.

P. Matthiae, Craibl (1978), 229,230-31,fig.20; idem, in Studies in the History and (£·) Archaeology of Jordan, 1:89, fig. 22; G.S. Mattiae, studia ebiaiti (Rome, 1979), 1:33 ff.; (Rome, 1981), 4:104, fig. 14.

(٤١) حول 'التل' (تورانيًا: 'عاي') انظر:

J.A.Callaway, The Early Bronze Age Sanctuary at Ai (et-Tel) (London,1972); Avi-Yonah, Encyclopaedia of Archaeological Excavations in the Holy Land.1:36 ff.

(٤٢) النقل القديم إلى القلم الهيروغليفي لكلمة: Gubla الكنمانية: 'جبـل' الذي كان بمثابة اسم

W.F. Albright, The Vocalisation of Egyptian Sylfabic Orthography (New Haven, Conn., 1934),60;Z.S.Harris,A Grammar of the Phoenician Language (New haven, Conn.,1936),93;Koehler-Baumgartner,1:166.

اللغة المصرية القديمة لا تعرف حرف اللام إلا في بعض لهجاتها و هسب، و كان الناقل إلى هذه اللغة في العصور المبكرة يضع "نون" نظير كل "لام" يقابلها في لغة أجنبية.

- Wntt Kbn: J.Leclant, Orientalia 23 (1954), 73; P.Montet, Kêmi 16 (1962), 80. (£7)
 - (٤٤) انظر الفصيل الرابع في هذا الكتاب.
 - (٤٥) انظر على رجه الخصوص:

D.B. Redford, "The Sea and the Goddess" in S.Groll.ed., Studies in Egyptology presented to Miriam Lichtheim (Jerusalem, 1990),824-35.

(٤٦) حول عبادة "أوزيريس" واشتقاقها المزعوم من أسيا الغربية، انظر:

A. Scharff, Die Ausbreitung des Osiriskultes in der Frühzeit und während des Alten Reiches (Munich, 1948,8; S.A.B. Mercer, The Religion of Ancient Egypt (London, 97 ff.; Griffiths, Origins of Osiris.

(٤٧) انظر:

O. Kaiser, Die mythische Bedeutung des Meeres in Ägypten, Ugant und Israel (Berlin, 1959); A.y. Collins, The Conflict Myth in the book of Revelation (Missoula, Mont., 1976), 57 ff.; Cf.T.H.Gaster, Thespis² (New York, 1961), 153ff.; Attridge and Oden, Philo of Byblos, The Phoenician History, 76-77, n.29.

(٤٨) :.ANET2, 129 ff.; انظر أنضاً الملاحظة السابقة.

- (٤٩) حول 'حاتحور' البيبلية (نسبة إلى 'بيبلوس') انظر:
- Griffiths, Origins of Osiris, 33; C.J. Bleeker, Hathor and Thoth (Leiden, 1973, 72-73; hey-t3w, see PT 518, Goedicke, MDAIK 19 (1963), 1ff.; on
 - رحول آيونيس انظر:
- B. Soyes, Byblos et les fêtes des Adoneis (Leiden, 1977); N. Robertson, HTR 75 (1982), 313 ff.
 - Soyez, Byblos, 30 ff.; M.Astour, Hellenosemitica (Leiden, 1965), 116, n.1 (o ·)
 - (۱۵) حول "بوروبا" انظر:
- W. Buhler, Europa, Ein Überblick über die Zeugnisse der Mythos (Munich, 1986); Astour, Hellenosemitica, 128 ff.; R.B. Edwards, Kadmos the Phoenician (Amestrdam, 1979), 79, n.73; on Andromeda, see H.J. Rose, in OCD2, 63-64.
 - J. Jacobsen, JAOS 88 (1968),107-8. (aY)
 - Hesiod, Theogony, 12.82ff.; Apollodorus, 1.41-44. (aT)
- W. Helck, Die Lehre für Merikare (Wiesbaden, 1977), 83-84; M. Lichthem, (£) Ancient Egyptian Literature (Berkeley, Calif., 1976), 1:106-7.
- PT229; G.Daressy, ASAE 11 (1911), 188; 18 (1918), 116; Gasten, Thespis², (oo) 141, 152; A.W.Shorte, Jea 21 (1935), 43; K. Mysliewic, Studien zum Gott Atum (Hildesheim, 1978), 1:92 ff., 124.
 - (٦٦) bid (المرجع السابق).
- E. Hornung, Conceptions of God in Ancient Egypt (Ithaca, N.Y., 1982), 158-59. (V)
- A. Klassens, A. Magical Statue Base (Socie Behague) in the Museum of (oA) Antiquities at Leiden (Leiden, 1952); R.T. Rundle-Clark, Myth and Symbol in Ancient Egypt (london, 1957), 186ff.; A.Massart, MDAłK 48 (1957), 172 ff.
 - (٩م) انظر: D.b. Redford,BES 5 (1983),67 ff .
 - F.W. Green and J.E. Quibell, Hieraonopolis (London,1900), 1; pl.39-41. (1-)
- (١١) الأنب الذي يتنابل هذا الموضوع بلا حصر، وغير منتظم، بصورة مخجلة، في البراعة الاكاديمية ولكننا نجد بين أفضل الأعمال في هذا الشأن ما يلي:
- D. Arnold,LdÄ 5 (1984),1ff.;I.E.S.Edwards, The Pyramids of Egypt² (Harmondsworth, 1971);A.Fakhry, The Pyramids² (Chicago,1969);L.V.Grinsel, Egyptian Pyramids (Bristol,1947); J.-P.L auer, Les Pyramides de Sakkarah (Cairo,1977); V.Maragioglio and C.Rinaldi, L'architecttura delle piramide Menfite (Turin,1962).
- نستطيع أن نجد أحدث بيبلوجرافيا حول الأهرامات، هرمًا هرمًا عند "سميث" و "سيمبسون": Smith and Simpson,Art and Architecture of Ancient Egypt²

- S. Schott, Bemerkungen zùm altägyptischen Pyramidenkult (Cairo, 1950), ("\") 133 ff.; K.Martin, LdÄ 5 (1983), 782-90.
- H. Junker, Pyrmidenzeit (Zurich,1949) 118 ff.; R. Anthes, JNES 18 (1959), (\T) 169 ff.; Griffiths, Origins of Osiris, 44 ff., 173 ff.
- W. Helck, Untersuchungen zu den Beamtentiteln des ägyptischen Alten Reiches (\\\^\epsilon\)
 (Glückstadt, 1954); K. Baer, Rank and Title in the Old Kingdom (Chicago, 1960);
 N. kanwati, Government Reforms in Old Kingdom Egypt (Warminster, 1980);

حول الإدارة في المملكة القديمة، انظر:

Idem, The Egyptian Administration in the Old Kingdom (Warminster, 1977), N. Strudwick, The Administration of Egypt in the Old Kingdom (London, 1985).

Cf. Amold, in LdÅ 5 (1984), 1-4. (%)

H. Goedicke, Königliche Dokumente aus den alten Reich (Wiesbaden, 1967), (11) fig.5.

H. kees, Ancient Egypt, A Cultural Topography (London, 1961),55. (NY)

N. 70; P. Ghalioungui, Tlagic and medical science in Ancient Egypt : انظر (٦٨) (London, 1963), 65.

- Urk I, 107-8; H.G.Fischer, JEA 61 (1975), 33 ff. (٦٩)
- B.Gunn, ASAE 25 (1925), 242 ff.; A.H.Gardiner, JEA 13 (1927), 75 ff. (V-)
- D.B. Reford, Scripta Mediterranea 2 (1981), 8-9; Idem, JARCE23 (1986), 136 ff. (Y\)
 - Redford, JARCE 23 (1986) NN. 80-83. (VY)
 - (۷۳) انظر: A Ben-Tor, JESHO 29 (1986),1-27
- . هي الأفضل. G.E. Kadish لا تزال العجة التي ساقها (shtp) فيما يتعلق بمعنى الفعل (٧٤) لا تزال العجة التي ساقها G.E. Kadish فيما للفضل. JEA 52 (1966), 29 ff.
 - Redford, Scripta Mediterranea 2 (1981),6-7. (Va)
 - (٧٦) حول السجناء المقيدين من المعابد الجنائزية للمملكة القديمة، انظر الآن:
- M. Verner, RdE 36 (1985), 145 ff.;
- وحول تصوص اللعن انظر: ,G. Posener,Cinq figurines d'envoûtement (Cairo,1987) . حيث يستطيم القارئ أن يجد ببليوجرافيا (قائمة بالمراجم) كاملة.
- A.K. Grayson and D.B. Redford, Papyrus and Tablet (Engelwood Cliffs, N.J., (VV) 1973) 45-48; Cf. also Litchtheim, Literature, 1:18 ff.; Wilson, in ANET², 227-28; H. Goedicke, RSO 38 (1963), 187 ff.; B. Couroyer, RB 78 (1971), 558-59; J. Osing, Orientalia 46 (1977), 165 ff.
 - (٧٨) مطرح مجهول يقم على ساحل المشرق، يترادف أحيانًا مم سلسلة جبال الكرمل.

الفصبل الثالث

"واعجباه ! ها هو الأسيوي الخسيس !"

وسط الرمال المتحركة في جنوب "سقارة"، حيث تقوم الجبانة الشاسعة للعاصمة المصرية "منف"، يقف مجمع هرم الفرعون "بيبي" الثاني، أخر فراعنة مصر الملكة القديمة (حوالي القرن الثالث والعشرين ق.م.)، وأطول الفراعنة حكمًا في التاريخ إذ الستمر يحكم ٩٤ سنة. ورغم ما فعلته عوادي الظروف، إلا أن المجمع خضع في الاثينيات القرن التاسع عشر لعمليات تنقيب دقيقة قام بها جي. جاكيه G. Jequier وهي العمليات التي كشفت عن تصميم معماري وتخطيط وظيفي يقتفيان بدقة فائقة أثر تقاليد الملكة القديمة، التي استمرت تتبلور على امتداد خمسة قرون (١)، ف معبد الوادي" الذي يقع على قناة تتصل بالنيل توفر إمكانية الوصول إلى المعبر المألوف، الذي يقود في صعوده إلى هضبة الصحراء التي يقف عليها الهرم ومعبده. وهنا في الدفن حملت مومياء الفرعون العجوز، بعد استعادة قدراتها البدنية عن طريق يوم الدفن حملت مومياء الفرعون العجوز، بعد استعادة قدراتها البدنية عن طريق الطقس السحري المعروف باسم "فتح الفم". وأودع الكهنة والسدنة التابوت في غرفة الدفن، ووضعوا مختلف أنواع الأطعمة والأدوات الجنائزية في غرف التخزين، وقربوا الاضاحي الأولى اروح فرعونهم الراحل في المعبد المتاخم للواجهة الشرقية الهرم. وهكذا يكون قد جرى تشغيل الجهاز البالغ الإتقان، المسمم خصيصًا لضدمة الفرعون المؤفى طوال الأبده.

ولما كانت هذه الإجراءات خاضعة التقاليد، فكذلك كان التخطيط والمعمار وتصميم "بيبى" وهو الاسم الرسمى لمجمع هرم "بيبى" الثانى، وكان في ذلك مقتفيًا أثر النماذج التي كسبت الجلل خلال مرور الأزمنية. وقد يكون المهندسون المعماريون قد استغنوا عن البازلت لصالح البناء بالحجر الجيرى

الذى يسهل عليهم أكثر الحصول عليه، واستبدلوا الأعمدة الأنيقة ذات الشكل البردى أو النخيلي بالخوازيق الخشنة، إلا أن معبد الهرم يكشف، مع ذلك، عن عظمة منشودة لقرعون – إله يرحل كي يحكم مملكة جديدة في العالم السفلي.

ويضم الهرم نفسه، في حقيقة الأمس، نواة سهلة التشييد من الدقشوم تكسو واجهتها طبقة من الحجر الجيرى الفاخر كي تعطى الهرم شكله الخارجي، ولكن حجمه (٧٨ مترًا مربعًا) ومنظره الخارجي يمكن مقارنتهما بصورة مُرضية بالأهرامات الاثنى عشر أو نحو ذلك، التي سبقته خلال الأسرتين الخامسة والسادسة: وكلها محشوة بالدقشوم ومكسوة بقشرة فاخرة. وعلى نحو ما صار أحد الأعراف السائدة منذ عهد الملك "أوناس" (والأولى "ونيس") من الأسرة الخامسة، كانت غرفة الدفن منقوشة بأعداد غفيرة من الرقي والترانيم والشعائر الدينية التي تشكل في مجموعها "نصوص الأعرام"، وهي عبارة عن مجموعة من النصوص الدينية التي تستخدم بصفة رئيسية في طقوس عبادة المعبد لمساعدة الفرعون في العالم السفلي (٢).

انهيار الدولة القديمة:

عندما ارتفع في بادئ الأمر كل من هرم "بيبي" الثاني ومعبده على الهضية الفربية، لم تكن هناك أي سحابة عالقة في أي أفق من الآفاق، وكانت قواف الفرعون لا يزال في وسعها أن تسافر إلى أي منجم أو محجر يقع عليه الاختيار، وكان قادة القوافل يعودون بأسراب الحمير من الجنوب، وهي محملة بكل المنتجات الأفريقية العجيبة. وكانت العطايا المنثورة لا تزال تقدم باسم الملك في أماكن موغلة في البعد (٢).

وكانت جبانة سقارة مستمرة في الزهو بمقابرها الخاصة الواسعة ذات الأشكال المستطيلة (يسميها الأهالي حالياً مصاطب نظراً التشابه الذي يجمعها مع المصاطب التي يقيمها الفلاحون أمام أبواب بيوتهم في القري)، وكانت كل مقبرة منها تغطى بمناظر مزخرفة أو جدارية تصور حياة صاحبها وإنجازاته وأماله في أخرته (1). وكانت المراكز الإقليمية قد شرعت منذ وقت طويل في نحت مقابرها في الصخور الحية أي تلك التي

لم تنقل من أماكنها الطبيعية في الوديان التي تمتد حتى الصحراء، وهي المقابر التي كانت مومياوات "وجهاء الدائرة" وموظفي الناحية التابعين للإدارة الملكية تستقر فيها وسط مظاهر أبهة محلية لا تتجاوز حد محاولة متواضعة لتقليد مظاهر الأبهة الحقيقية في العاصمة (٥). وكانت معظم مناطق الدفن هذه مزدهرة عندما وصل الفرعون "بيبي" الأول إلى العرش، واستمرت طوال النصف الأول من حكمه تقذف إلينا بتلك السير الذاتية التي تغص بالفضر، واعتدنا أن نربط بينها وبين الملكة القديمة. ولا يثير علو شأن فنون نحت الأحجار وطرق المعادن، وهي الفنون التي تعد بصفة دائمة، بمثابة رمز لاستقرار المجتمع، في بدايات حكم الفرعون أي دهشة عند أحد: ونماذج الجداريات المستقاة من المعبد الجنائزي للفرعون لا تقل إمتاعًا من الناخية التكنيكية عن أي أعمال فنية أخرى دخلت حيز التنفيذ خلال الأسرة الخامسة أو السادسة.

إلا أن هذه الصورة تغيرت بصورة جذرية بحلول الربع الأخير من حكم الفرعون 'بيبي" الثاني إذ توقفت القوافل إلى المناجم والمحاجر. وعندما كانت تغامر قافلة ما بالسفر إلى الخارج، كانت تجد سكانًا محليين لم يعودوا يخشون بأس مصر: ذبح المتمردون من رجال القبائل النوبيين قائد إحدى تلك القوافل واضطر ابنه إلى دفع فدية لقاء استرداد جثمان أبيه منهم، واغتال الأسيويون قائدًا أخر على ساحل البحر الأحمر(٦). وسقطت الإدارة الملكية في وهدة السلبية، ويرجع تاريخ أخر نص مدون من حكم الفرعون بيبى إلى السنة السابعة والستين(٧). ويصور الفولكلور الشعبي في أوقات لاحقة "بيبي" كشخص مترف وربما" محب لبني جنسه من الرجال، وهذه من الصفات المستهجنة من وجهة نظر المصريين القدماء (٨). والحقيقة أنه كان موضع احتقار على وجه الاحتمال بالفعل إبان حياته: شهد النصف الأخير من سنوات حكمه، وعلى النقيض من النصف الأول ميلاً من جانب النبلاء نحو التخلي عن الألقاب المرتبطة بالمعبد الملحق بهرمه(١). وتكشف الأدلة الأثرية المعاصرة عن أن العاصمة "منف" أصابها العوز على عهده حتى إن الأهالي لم يكن في وسعهم أن يتحملوا أكثر من الدفن في مصاطب صغيرة مبنية من الطوب الأخضر، أما زخرفة مدافنهم فكانت أمرًا بعيدًا عن قدراتهم المادية (١٠). ولم يكن في مقدور مسئول على مستوى عال يصل إلى رتبة وزير أن يجد لنفسه مدفئًا سوى مقبرة مغتصبة من صاحبها الأصلى(١١). والحقيقة أن النسق الدقيق القديم للترقى أوالصعود في السلم الوظيفي الذي يدعم النظام الذي يقوم عليه المجتمع

في الملكة القديمة كان أخذًا، على ما يبدو، في الانهيار والألقاب التي ظلت منذ فجر الزمان مقصورة على الملكة أصبحنا نجدها مضافة، بشكل صفيق، إلى ألقاب السيدات اللواتي ينتمين إلى عامة الشعب. وحمل كل شخص لقب "محسوب الفرعون"، واغتصب رجال ونساء (١٢) عديدون رتبة "الوزير" الرفيعة (١٢).

مندمت العواقب القدماء بما لا يقل عن ذلك شناعة. ورغم أن الأدلة المعاصدة تَخيُّب ظنوننا، إلا أن التقاليد التي انصرت إلى العصور التالية، المعروفة باسم قوائم الملوك تنقل إلينا ما قد نرى فيه صورة دقيقة إلى حد معقول، على الأقل فيما يتعلق بالانطباع العام الذي نستشفه. فـ "لائحة تورينو" Turin Canon (حوالي ١٢٥٠–١٢٠٠قم)، وهي لانحة الملوك الصادقة التي وصلت إلينا من مصر القديمة(١٤). تورد سبَّعة أسماء عقب ذكر "بيبي" الثاني : ميري - ن - رع ، و"نيتوكرتي"، و "نفر - كا" الطفل و"نفر" و "أبا"، واسمين آخرين مفقودين في غضون فترة حكم لا تزيد في مجموعها عن عشر سنوات إلا قليلاً. ولكن ناسخ اللائحة وجد في مصادره فجوة تصل إلى ست سنوات، ولكنه حاز من الأمانة العلمية ما جعله يدوِّن ذلك(١٥). إلا أن هذه الفجوة تجد ما يملؤها مما يسمى بلائحة "أبيدوس" الملكية، وهي قائمة بأسماء الملوك مرتبة في سياق تاريخي، في إطار شعيرة تقريب القرابين للأسلاف الملكيين(١٦). فهذه اللائحة تورد بعد "بيبي" الثاني ثمانية عشر اسمًا غلوك لم يعمروًا طويلاً بحال من الأحوال، في عروشهم، إذ إن ولايتهم لم تكد تمتد بهم جميعًا لأكثر من عشرين سنة، ويقول "هيرونون" المؤدخ والرحالة اليوناني إن 'بيبي' الثاني خلفه مينتسبوفيس Menthsouphis الذي لم يستمر في العرش إلا أكثر قليالاً من سنة واحدة، ثم قتل في إحدى مؤامرات القصدور، ولكن شقيقته "نيتوكريس" أو "نيتي وكيرتى؟" Nitokerty أخذت ثاره من الذين تأمروا عليه بجمعهم في قاعة واسعة لوليمة كما بدا لهم الأمر ثم أغرقتهم جميعًا بواسطة سد استخدمته في تصويل مياه النيل(١٧). ويقوم "مانيتو" Manetho (المؤرخ المصرى الذي كتب تاريخه حوالي ٣٠٠ ق.م. باللغة اليونانية)، بعد ذلك بقرنين من الزمان أي في القرن الثالث ق.م، بتوسيع نطاق تقاليد لانحة الملوك اعتمادًا على مصادر ذات مسحة فولكورية. ويقول "مانيتو" في هذا الصدد، "وبعد ذلك تولت أسرة سابعة مقاليد الحكم، وقد شملت سبعين ملكًا ثم أعقبتها أسرة ثامنة ضمت سبعة وعشرين ملكًا ^{-(۱۸)}.

قد تبدو هذه الروايات متضاربة، إلا أنها تعطينا انطباعًا عن الحقيقة ذاتها: شهدت مصدر غداة رحيل بيبى الثانى سقوطًا في فوضى سياسية. حقًا تلزم السجلات المعاصرة الصمت، إلا أن العواقب واضحة. في غضون جيل واحد لا أكثر، جلبت عائلة الملوك المنفية (نسبة إلى منف".) التي كانت قد تربعت في سدة الحكم لما يصل إلى ألف سنة، على نفسها الفزى والعار بكل ما في العبارة من معنى، واختفت غير مأسوف عليها. وكانت القلاقل عند تلك النقطة قد أخمدت بصفة مؤقتة إثر اعتلاء "بيت أختوى" سدة الحكم في "هيراكيوبولس" Herakeopolis ولقد منع "أختوى" من وخلفاؤه السبعة عشر، الذين ينحدرون من طبقة النبلاء، مصر نظامًا دام قرنًا من وخلفاؤه السبعة عشر، الذين ينحدرون من طبقة النبلاء، مصر نظامًا دام قرنًا من الزمان، جرى العرف على تسميته الأسرتين التاسعة والعاشرة. ولكن قبضتهم على مصر الموحدة لم تدم طويلاً، إذ انفصلت مديريات مصر في أقصى الجنوب، في أعقاب سنة ٢١٤٠ ق.م كي تلتف حول زعامة مدينة "طيبة" ألتي بزغت إلى الوجود بشكل مفاجئ، وشكلت فيما بينها دولة متمردة في الجنوب.

فى ظل غيبة أدلة معاصرة من ذلك النوع الذى يستطيع المؤرخ الاقتصادى أن يعتمد عليه، والفجوة التى تبلغ أربعة ألاف سنة التى تقصل بيننا وبين الحدث، فلسوف يبدو من باب ذروة الغرور الأخرق أن نتخيل أن فى طوعنا أن نقترب، مجرد اقتراب، من تحديد الأسباب التى أدت إلى انهيار المملكة القديمة. إلا أن حقائق معينة تقف بارزة بصورة لا تخطئها العين. أولاً: لعله من الواضح تماماً أن بلاط "منف" فى أواخر عهد "بيبى" الثانى لم يُحسن تدبير عائدات الدولة التى بلغت يوماً ما أحجاماً هائلة. ولقد نتج العوز الذى حاصر رجال البلاط، والتدهور الذى لحق بالفنون (وهذا راجع إلى العجز عن تمويل ورش الفنانين والصرفيين المهرة ؟)، بصورة مباشرة عن الظروف القاهرة التى وجد الفرعون نفسه فيها. ثانياً: لعله من الواضح تماماً أيضاً أن شخص هذا الفرعون لم يستطع، على الأقل فى أخريات أيامه، أن يفرض الاحترام الذى كان يعتقد فى استحقاقه. ثالتاً: بصفة عامة، وعلى سبيل النقيض من الفجوة التى قامت فى يعتقد فى استحقاقه. ثالثاً: بصفة عامة، وعلى سبيل النقيض من الفجوة التى قامت فى شغل جبانة "منف" منفن أمزامنى الزراعية على امتداد فترة الركود.

ولعل تعليل انهيار اقتصاد النظام الفرعوني أصبعب ما في الأمن، فيزعم البعض أن تكاليف تشييد مثل تلك الصروح الهائلة 'غير الاقتصادية' مثل أهرامات الجيزة أمياب النولة بالشلل(١٩). ولكن هناك فاصلاً يصل إلى اثنى عشر جيلاً بين "مين - كا --رع Menkaure (= منقرع) وبين 'بيبي الثاني، ولا تكشف هذه الفترة عن أي تضاؤل في حجم الرخاء. ولم يكن تشييد هرم "بيبي" الثاني بأكثر كلفة، إلى هذا الحد أو ذاك، من تشييد هرم 'أوسر - كاف' قبل ذلك بثلاثة قرون. وفضالاً عن ذلك فالأهرام لم تكن أفيالاً بيضاء أو رزايا في ثياب هدايا. فلقد كانت نقطة محورية لمعبد واتجمع الكهنة الذين يشكلون فيما بينهم وحدة اقتصادية، تملك أراضى زراعية، وتنتج ثروات عينية في شكل أطعمة ودواجن ومواشى وسلع مصنعة، وفي ظل نظام تحدد إعادة التوزيع على أسس مرمية شكل اقتصاده، عوضاً عن السوق، يكون انتشار مثل هذه العقارات مفيدًا عوضًا عن جلب الفسرر، وعود على بدء، يخبرنا أخرون أن الوقف الدائم للأراضي المزروعة لمعابد الأمرام، والمنح المستمر لهذه الأراضي لرجال البلاط المقربين، ولمراكز العبادة في الأقاليم، شكل استنزافًا واضحًا للخزانة الملكية. وإذا كان الأمر كذلك، وإذا يسمح لهده العملية أن تستمر دون رابط أو ضابط، فإن المرء لا يستطيع إلا أن يستنتج أن المكام ومستشاريهم كانوا جميعًا بلهاء. ولا يحتاج المرء ذكاء متوقدًا كي يدرك أن الاستمرار في استقطاع قطم أراضي من أملاكه لن يبقى على شيء تحت يديه في نهاية المطاف. ولكن هناك أدلة على أن النظام كان يسمح بحيازة قطعة الأرض من جانب ذرية الشخص الذي حصل عليها في الأصل، وبالتالي كان يتجنب الحاجة حتى إلى توزيع مزيد من الأراضي (٢٠). ومع ذلك، وإلى حد ما، وخصوصًا في إقليم منف والدلتا، قد يكون صحيحًا أن انتشار طقوس عبادة الأسلاف والألهة الرسميين قد عهد بمساحات كبيرة من الأراضي، التي ملك، عليها الفرعون يومًا الحق المطلق في التصرف إلى مؤسسات تتمتع بشكل متزايد بالاستقلال الذاتي.

ترفع الإمكانية الأخيرة احتمالات الضعف المتفاقم لنظام حقوق التصرف في "الملكية" من كافة الأشكال، وهي التي نستطيع أن نتخيل أن الأسرة الرابعة كانت تتمتع بها في بدايات حكمها بصورة كاملة غير منقوصة. كيف حدث ذلك؟ وهل جرى خلال عمل دؤوب لعوامل اقتصادية حتمية أم خلال قصر النظر والتخطيط الردي،؟

يصبح هذا السؤال ملحًا عندما نتطرق لمشكلة مواثيق الحصانة (٢١). فبينما نجد مصطلح "الميثاق" بمعنى "الوثيقة القانونية (٢٢) منتشرًا بل وسائدًا في نصوص المملكة القديمة فيما يتعلق بكافة أصناف الأدوات القانونية، فإن الشكل الخاص الذي نعرض له الآن هو المرسوم الملكي، الذي ينسخ ويختم في حضرة الفرعون، ويصدر لصالح معبد أو جماعة بحق الإعفاء. ويموجبه يكون سعيد الحظ قد أصبح معفيًا من دفع الضرائب أو أداء المعمل القسري، ويكفينا نعوذجان اثنان لتصوير المضمون والهدف من وراء ذلك. أصدر الفرعون " نفر - إبر - كا - رع" (حوالي ٢٥٢٠ - ٢٥٠٠ق.م) مرسومًا من ذلك النوع إلى "حم - وير"، وكان كبير الكهنة بأحد الأقاليم، لصالح المعبد في "أبيدوس":

"أداء الشعائر لإلهه في المعبد حيث يقيم، وترميم المعابد حيث تقام فيها تلك الشعائر. وهي معفاة حتى أبد الآبدين بأمر فرعون مصر العليا والسفلي: "نفر- إير - كا - رع وعلاوة ذلك لن يكون هناك أي ميثاق يتعارض مع هذا المرسوم فيما يتعلق بسائر خدمات المعابد (٢٣).

ويعد نحو قرنين من الزمان أصدر الفرعون "بيبي" الأول مرسومًا مشابهًا لصالح بلدتى المهرم، اللتين تتبعان الأملاك الجنائزية الخاصة بسلفه البعيد "سي - نفرو" من الأسرة الرابعة: "أمر جلالتي بإعفاء هاتين البلدتين إلى أبد الأبدين من تقديم أي عمل للقصر، ومن أداء أي شغل قسري لأي جهة من جهات المقر الملكي إلى أبد الأبدين، ومن الشغل القسري بأمر أي شخص كان إلى أبد الأبدين (٢٤).

يطرح هذا السؤال نفسه: هل جات هذه المراسيم كمنح بلا استحقاق أم أنها كانت محاولات لتصويب أخطاء؟ هل كان الفرعون "بيبى" الأول، وكما ألمح البعض، يحاول شراء تأييد طبقة كهنوتية كانت قد اكتسبت في الآونة الأخيرة نفوذًا متزايدًا؟ أيا كان الدافع، أخذت مثل هذه المراسيم تكثر مع اقتراب المملكة القديمة من نهايتها. فنجد بين الواحد والثلاثين مرسومًا المعروفة تسعة منها ترجع إلى حكم الفرعون "بيبى" الثاني، وثلاثة عشر تعود إلى حكم ملوك الأسرة الثامنة الذين لم يعمروا في العرش طويلاً. ويلوح العيان هنا أننا عثرنا على مفتاح رئيسي، وإن لم يكن غير واضح الا بصفة جزئية وحسب، السبب الذي يقف وراء الانهيار الاقتصادي، إذا استطعنا أن

نفسره بصورة صحيحة. والحقيقة المؤكدة أنه إذا كان حكم " بيبى" الثانى قد منح مثل هذه الإعفاءات على نطاق واسع، فإن النتيجة الخالصة لن تعدو الانكماش الحتمى لقاعدة الضرائب.

ومثل هذا الانكماش يمكن أن ينطوى على التفسير الوحيد للعوز الذى حل بالبلاط. وقد يتمثل عامل مساعد آخر في الاستقلال المتنامي للمسئولين الملكيين، الذين أصبحوا يقيمون الآن بصفة دائمة في الأقاليم، التي سنحت لنا الفرصة كي نذكر جباناتها المحلية في وقت سابق. ورغم أنهم خصيصوا مساحة بارزة في مجاميع ألقابهم لتلك الألقاب التي تشير إلى صلتهم بالعائلة المالكة، وفقًا التقاليد العريقة، فإن سيرهم الذاتية تشي بروح من الاستقلال كانت مجهولة في نقوش جدودهم، ففي ظل سيطرة أقل قليلاً من مطلقة على مصير جابي الضرائب المحلية (الذي لم يزد عن مجرد مندوب تابع للقصر في الأسرة الرابعة ومطلع الأسرة الخامسة، واستمرت إقامته هو وعائلته بل ومثواه الأخير في "منف") لم تكن الأسرة السادسة في وضع يمكنها من الاعتماد على عائدات تضارع تلك التي كانت تأتي إلى بلاط " خوفو" أو "خفرع" (٥٠).

يذهب رأى خلاب إلى أن فقر مصر فى نهاية الملكة القديمة يرجع إلى الظروف الطبيعية البيئية أكثر مما يرجع إلى الاقتصاد والإدارة. فلقد زادت احتمالات وقوع المجاعات فى أواخر الأسرة السادسة وأوائل الفترة الانتقالية الأولى، ويبدو أن انخفاضاً طاربًا على معدل تساقط الأمطار والفيضان السنوى لنهر النيل قد أصاب شمال أفريقيا، وتبع ذلك قحط Dessication متزايد عند اتجاه الألف الثالث إلى نهايته (٢٦).

وهناك من يفترض عوامل أخرى وراء انهيار المملكة القديمة، غير أنها لا تستأثر إلا باهتمام أقل. هل بلغ اعتماد مصر المملكة القديمة على "التجارة الخارجية" حداً جعل الاضطرابات التى وقعت فيما وراء حدودها الشمالية والجنوبية، والعداء المتزايد من جانب جيرانها تسفر عن نقص حاد في وصول السلع المطلوبة (٢٧). وربما انطوى الأمر على مشكلة سكانية واجهت فراعنة الأسرة السادسة، فما هي حقيقة تلك "المدن الجديدة" التى ظهرت في الألقاب في الأسرتين الخامسة والسادسة، وهل لهذه المدن أي ملة بتغيرات سكانية ما (٢٨) خصوصًا وأننا نسمع، مع اقتراب المملكة القديمة من نهايتها، عن فرار السكان من مركز (= Township) لمركز آخر (٢١)، وعن فساد واعتقالات (٢٠) هل كان ذلك من السمات العادية في تلك العهود؟

قد يكون من المثير للاهتمام أن نعرف ما إذا كان المصريون في الماكة القديمة التي كانت شمسها آخذة في الغروب قد استشعروا أي وقع لأي من هذه العوامل التي تطرقنا إليها في عرضنا الحالى. يذهب الاحتمال إلى أنهم لم يفعلوا. فأدب الفترة الانتقالية الأولى لا يلزم الصمت إزاء عزى الأسباب إلى المثالب القومية وحسب، ولكنه ينحو بصفة أساسية نحو إيجاد التبرير. ويستمرئ ذلك الدفاع النفسي الخالد: المسألة ليست إخفاقاتنا بل نتائج العوامل الخارجية، وذلك عندما يحاول شخص ما أن يلقى باللوم على الفرعون أو حتى على الإله ذاته (٢٦)، كما نتردد، بصورة مساوية، الإشارات إلى الغارات التي يقوم بها الأجانب من وراء الحدود.

وقت ذاك كانت مصر الملكة القديمة قد أمنت منذ وقت طويل حدودها الشمالية الشرقية. ونحن نعرف القلاع وقوادها، التي أنشئت هناك من خلال النقوش التي وصلت إلينا (٢٢). وتشي ألقاب من قبيل القيم على المعلومات السرية القادمة من نقطة دخول الأجانب (٢٢). بالقلق إزاء من أو ما يستطيع أن يأتي عبر الحدود. وفي مملكة السماء حارب حتى الألهة نيابة عن مصر الذود عن حدودها الشرقية (٢١).

ولكن انهيار السلطة المركزية يقود بالضرورة، وفق نمط متكرر في المسيرة الطويلة التاريخ المصرى، إلى وقوف الحدود دون حراسة، وتسلل الأجانب دون ضابط أو رابط إلى داخل البلاد. وينعكس، اعتباراً من نهاية الملكة القديمة، الضغط البشرى للأسيويين الناجم عن ذلك الوضع في النصوص. وتتحدث نسخة متنفرة من تصوص الأهرام عن بوابة الكبش التي ردت كيد "الفنضو" Penekhu ربما في إشارة إلى العمالات شن الأجانب الغارات على شرق الدلتا (٢٥). وكان الشعور بالإحباط وفي نفس الوقت اللجوء إلى التفاخر سمتين من سمات تلك العصور: يتباهى أحد الموتى بقوله "الخوف منى يمتد إلى أجواز السماء. وقدرتي على ذبح أعدائي تخلع قلوب الفنخو (٢٦). وتوضح التقريعات التي يصبها الحكيم العجوز "إيبو – وير" puwer والتعاليم التي يتلقاها "ميري – كا – رع" Merikare ، بما لا يدع مجالاً للشك، أن مجاميع الأسيويين يتلقاها "ميري – كا – رع" تعاليهم الميا تسللهم إلى الدلتا. واكتنا تستطيع أم يصادفوا، في أعقاب الانهبار أي مقاومة خلال تسللهم إلى الدلتا. واكتنا تستطيع وليس سبباً لها.

نهاية فلسطين العصر البرونزى الأول:

يمدنا السجل الأثرى بصورة واضحة لنهاية طبقة رقم اللقا . فالمواقع المحلية في الضفة الغربية أو على الأقل في الشطر الأكبر منها لم تستمر قيد البقاء كمستوطنات حتى المرحلة الانتقائية اللاحقة من العصر البرونزي الأول حتى العصر البرونزي الوسيط (طبقة رقم الله - (EBIV- MBI) ، وفي وسعنا أن نرصد تحركًا بشريًا من تلال كبيرة محصنة إلى أخرى أصغر. وتتوفر لدينا أدلة على وقوع بعض التدمير، ولكن في كثير من الحالات (حسبما يقال) يحق للمؤرخ ألا يستخدم في هذا الصدد أكثر من مصطلح الهجر عوضًا عن التدمير. وفي طبقة رقم الم U.B. لا تكشف سوى الضفة الغربية، وأجزاء من وادى الأردن، وفي وقت لاحق منطقة "النقب" عن مستوطنات محدودة، وبينما نلاحظ وجود استمرار ثقافي واضح بين طبقة رقم الو (EBI) ، إلا أن تغيرًا ملحوظًا كان قد دخل على اقتصاد المجتمع. فبدلاً من مجتمع طبقة رقم اللاقا نصف الصناعي الذي يستطيع أن ينخرط في نوع من التجارة الدولية، لم يبق أي شيء سوى نزعة رعوية خشنة تسبود المجتمع وتحتل في إطارها تربية الأغنام والماعز حجمًا أكبر نزعة رعوية خشنة تسبود المجتمع وتحتل في إطارها تربية الأغنام والماعز حجمًا أكبر

لعله من الثابت لأقصى درجة أن الأسباب الكامنة وراء هذا الانهيار مركبة على غرار تلك التى استشفناها وراء الانهيار في مصد. ولقد تهاوت الفرضية الأقدم بوجود عامل خارجي في شكل جماعة غازية ترجع لأصول عرقية دخيلة، أعنى تظرية الأموريين (٢٨)، بعد التدليل على أن طبقة رقم االظظ وما جاء في أعقابها يشكل استمراراً ثقافيًا وأن القادمين الجدد للزعومين لا أثر لهم سواء على مستوى الآثار أو النصوص، أما وجهد عامل خارجي قادم من الجنوب على هيئة غارات تأديبية قام بها للصريون فافتراض لم يعد، هو الآخر، يلقى قبولاً من جانب علماء الآثار الذين يهتمون بفلسطين خصوصاً وأنهم مقتنعون بأننا نقف إزاء عمليات هجر لا تدمير لمدن طبقة رقم اللقاق .

تنتمى الأسباب التى تستحق النظر فى الوقت الحالى، عوضبًا عن كل ذلك، إلى التغيرات البيئية والاجتماعية والسكانية (٢٩). فعلى غرار ما حدث فى شمال شرق أفريقيا، قد يكون تغير مناخى ما قد حمل تصحرًا Dessication متزايدًا إلى فلسطين،

وهو الأمر الذي أفضى إلى تفشى المجاعة وربما الوباء. وإلى جانب كل ذلك يستطيع البعض أن يقترح أيضاً الإنهاك الذي حدث الموارد الطبيعية والفساد السياسي.

يتفوق هذا النهج الجديد في تناول المشكلة في عمق بصيرت، بما لا يقاس، على النظرية القديمة التي تتسم بالسذاجة بشأن وقوع عزو أموري ولكن ميلاً يظل قائمًا نحو النظر إلى هذا الدليل بصورة منعزلة. ويادئ ذي بده، يقع العديد من الافتراضات في الوقت الراهن فيما وراء مملكة الإثبات، وربما ستبقى أي تلك الافتراضات، هناك بصفة دائمة. فلا يملك أحد أي دليل على أن المدن الفلسطينية عانت من فساد سياسي، أو أن المجاعة والوباء قد أحدقا بها إلى درجة زائدة عن الحدود. أما بخصوص إنهاك الموارد الطبيعية، فلقد ظهرت الآن أدلة مقنعة على ذلك، ولكن السؤال عما إذا كان هذا الموارد المنبعية، فيدو أنه أسفر عن إحداث بعض الأثر على سواحل المشرق، ولكن نوع هذا الأثر على سواحل المشرق، ولكن نوع هذا الأثر على وجه الدقة لا يزال بحاجة إلى التحديد.

يبدو لى أن مجموعة فريدة من الأدلة تستحق قدرًا أكبر من إمعان النظر. فالانقطاع فى التقاليد الحضرية عند نهاية طبقة رقم EBI معروف بصفة رئيسية من أواسط فلسطين وسوريا ومنذ البداية، ظلت حتى الضفة الغربية دون تأثر (٤٠). وهنا ويذلك دخلت المنطقة بعد تحديدها على وجه الدقة، داخل نطاق النفوذ المصرى. وهنا يجب علينا أن نعين أماكن العديد من الأعمال العدوانية المطلقة العنان التى وجدنا أدلة على وقوعها قرب نهاية المملكة القديمة. ويعكس نص وينى Wenny سياسة صارمة من جانب الفرعون بيبى الأول فى تبوير مساحات شاسعة من الأرياف التى تنعم بالرخاء فى أسيا، وبحلول عهد بيبى الثاني أصبع تدمير قلاع أسيا بمثابة وشم بالرخاء فى أسيا، وبحلول عهد بيبى الثاني أصبع تدمير قلاع أسيا بمثابة وشم الهدم بعد الإغارة، أى أن الأمر لم يكن مجرد اندلاع الحرائق سواء أكانت عرضية أم الهدم بعد الإغارة، أى أن الأمر لم يكن مجرد اندلاع الحرائق سواء أكانت عرضية أم المقصودة. وقد يكون من أفدح الأخطاء أن ننكر أن اتساع نطاق الاقتصاد غير الحضرى والأولى الرعوى القائم على الترحال، في فلسطين فيما – بعد طبقة رقم EBIII قد يرجع إلى حملات التأديب التي قامت بها القوات المسلحة المصرية.

مصر وفلسطين في الفترة الانتقالية الأولى:

يبدر تقسيم التاريخ إلى فترات أو حقب زمنية عملاً مصطنعًا، وإطلاق التسميات والمصطلحات أمر يولع به المدرسون، ولكن تحديد مصطلح ملائم ونقطة تقسيم بالنسبة للمصور التي نتناولها بالنقاش يعد أمرًا غاية في الأهمية. ومصطلح الفترة الانتقالية قد لا يرضي به كثيرون (ومنهم المؤلف الحالي)، ومع ذلك نجده يجسد حكمًا قيميًا Value judgment يعتنقه عديدون، ويناظر فترة قابلة التعريف بحدود يمكن التحقق منها في التجرية الإنسانية.

تصدم التقسيمات الراهنة للتاريخ الأثرى لفلسطين مع كل ذلك، المرء لطابعها الجزافي الخالص، وذلك بالتحديد لأنه بات من الثابت الأن أن استخدام نعوت من قبيل "كالكوليثي" (= نحاسي- حجري) ، "برونزي"، "حديدي"، ولو أن هذه النعوت كانت موفقة يومًا ما في مطلع تاريخ النسق، أصبح بعيدًا كل البعد عن إصابة الهدف المنشود من ورائه. فالبرونزي لم يدرج في الاستعمال على نطاق واسع إلا في "العصر البرونزي المتأخر" ، و "الحديدي" في "العصر الحديدي الثاني" غير أن هذه المتناقضات محتملة، في حالة واحدة تتمثل في اكتساب المصطلح لقدر من الرسوخ يفرض على كافة الدارسين الجادين أن يستقروا عليه.

ومع ذلك أفصح الدارسون عن استياء واسع النطاق إزاء التقسيمات الداخلية المصر البرونزي (٢٠). ولقد أثبتت الاستكشافات الأثرية التي جرت فيما بين الحرب العالمية الأولى والثانية بشكل قاطع أن فلسطين شهدت، اعتبارًا من نهاية الحقبة قبل التاريخية في مصرحتى نهاية العقود الأخيرة على وجه التقريب المملكة القديمة، ازدهار ثقافة محلية تطورت بشكل متصل Continuum مع تأثير خارجي محدود واقد أطلق العلماء على هذه الفترة مصطلح مطلع العصر البرونزي الأول والثاني والثالث تحت تأثير دبليو. إف.أولبرايت W.F.Albright إلى حد كبير، وعلى نفس المنوال، سيادت ثقافة استقرار في فلسطين، اعتبارًا من لحظة معاصرة على وجه التقريب الواسط الأسرة الثالثة عشرة في مصرحتي حملات الغزر التي قامت بها الأسرة الثامنة عشرة، وهي الثقافة التي نستطيع التعرف على ملامحها خلال الأدوات المصنعة (ومعظمها من الخزف) والعمار، بصفتها انبثاقًا الإلهام فردي متميز وتطور

محلى السمات. ويطلق 'أولبرايت' على هذه الفترة التي تمتد أربعة قرون اسم 'منتصف العصر البرونزي الثاني" .A.B.C ، إلا أن الفترة المتداخلة مع هذه الفترة طرحت مشكلة خاصة، دون أن يتمكن العلماء من التوميل حتى تاريخه إلى إجماع ما في هذا الشأن. فلقد اكتشف "أولبرايت" خلال متابعته لأبحاثه في "باب الضرة": Bab edh-dhra شرقى البحر الميت، وفي تل بيت ميرسيم جنوب غربي "أورشليم" حقبة / طبقة أسماها: EBIV ، وهي الحقبة/الطبقة التي شهدت تدهورًا في الثقافة الحضرية ومبيلاً نحو شبه البداوة مع نهاية الألف الثالث ق.م.، بالإضافة إلى حقبة أخرى أطلق عليها اسم MB1 تعاصر الأسرة الثانية عشر في مصر) وهي حقبة سادتها ثقافة بدوية بشكل كامل، باستثناء الحياة الحضرية في المدن. ومع ذلك أشار العلماء في الأونة الأخيرة إلى الخطأ في تسمية هذه الحقبة MBI على اعتبار أنها تنطوي على ثقافة مقحمة ولا تعد بحال من الأحوال مرحلة مبكرة سبقت الحقبة MBII وعلى المنبوال نفسه نجد أن الحقبة EBIV في الوقت الذي تنحدر فيه على المستسوى التكويني morphological من الحقبة EBIII إلا أنها تمثل سقوطًا في البداوة (من جانب الناجين ؟) كما تشارك بقدر ما مشترك مع المرحلة التالية وهي MB . ولقد انطوى حسم حالة البلبلة هذه، في الآونة الأخيرة، على ميل نحو جمع المرحلتين EBIV و MBI معًا تحت عدد من العناوين 'الفترة الانتقالية' EB-MB1 (كينيون Kenyon) أو MB1 (مازار Mazar) أو 'الفشرة الانتقالية في العصسر البرونزي" (لاب Lapp ، وكشافي Kochavi) وأخيرًا EBIV,a,b,c (ديفر Dever).

وإذا كان مثل هذا الجمع قد حاز اتفاقًا عامًا بين العلماء، فإن التأريخ الحاسم الذي يرسم حدود هذه الفترة التي نعرض لها حاليًا بالنقاش لم تسنح له فرصة ممائلة. فعلماء الآثار الذين يشتغلون على فلسطين وقبرص وجزر بحر "إيجة" يعتمدون، نظرًا النقص في نطاق زماماتهم الضاصة في قوائم الملوك وسبجلات التأريخ، والملاحظات المدونة حول ظواهر لا تضن بتواريضها، على التاريخ المصرى المؤرخ بصورة دقيقة نسبيًا. وفيما يتعلق بالحالة الراهنة، يحتدم النقاش حول الوقت الذي حل فيه الاستقرار الذي تكشف عنه طبقة العلم ، في ضوء التأريخ المصرى الأدق: هل حل خلال الأسرة الثانية عشرة (حوالي ١٩٩١ - ١٧٨٧ ق.م.) أم الأسرة الثالثة عشرة (حوالي ١٩٩١ - ١٧٨٧ ق.م.)

لا يسمح لنا المكان بالتوسع في تناول الأدلة الأثرية المستقاة من فلسطين على إعادة إقامة المدن أو تطور التحصينات التي عرفها العصر البرونزي الوسيط Middie Bronze Age في هذه المرحلة إلا أن نستعرض بشكل عابر الأدلة المنقوشة المستقاة من الأسرة التاسعة حتى الأسرة الثانية عشرة التي تتصل ليس بالمصالح العسكرية والاقتصادية لمسر في أسيا الغربية وحسب بل وبصورة المجتمع في هذه المنطقة كذلك.

نملك بالنسبة القرنين اللذين أعقبا نهاية المملكة القديمة ثلاثة مصادر كبرى، تعكس فيما بينها الحقيقة من جهة، والرؤية المصرية للآسيويين على حدود مصر الشرقية وداخل الدلتا من جهة أخرى، وتتمثل هذه المصادر الشلاثة في: تقريعات "إيبو - وير" أو الحكيم العجوز وتعاليم "ميرى - كا - رع" ونبوءة "نفرتى" (13). وقد كتبت الوثيقة الأخيرة من هذه الوثائق الثلاث وعهد "أمين - إم - حات" (حوالي ١٩٩١ - ١٩١١ق م.) في ذهن كاتبها، وبالتالي فإنها تنتمي بالضرورة إلى مطلع الأسرة الثانية عشرة، إلا أنها تسعى إلى وصف الأوضاع السابقة على مجيء النظام الجديد.

تنتمى أقوال "إيبو – وير" إلى أدب "الرثاء" المصرى الذى اكتسب شيوعًا واسعًا في الملكة الوسيطة وحياز في أوقيات لاحقة منزلة الأدب الكلاسيكي إلى هذا الحد أو ذاك (٥٠). وينتمى هذا النوع الأدبى على وجه بالغ التحديد إلى مجال الإنشاء والتقاليد الشفاهية رغم أن سيادة التقاليد التحريرية في مصر القديمة جعلت مثل هذه الأقوال تحرز قدرًا من القداسة في شكلها المدون (٢٠). وترجع كافة النسخ المحررة لأقوال "إيبوه وير" التي وصلت إلى أيدينا إلى المملكة الحديثة، ولكن هناك فقرة مقتطفة منذ وقت طويل يصل إلى الأسرة الثانية عشرة لدمجها في تعاليم "أمين- إم حات"، ويشير المحيط التاريخي للفقرة، على نحو واضع، إلى الفترة الواقعة بين عهد الفرعون "بيبي" الثاني وبين وصول الأسرة الحادية عشرة إلى السلطة، فيما يتعلق بصياغتها ورموزها الخاصة (١٤). وتتكون المقطوعة الأدبية، رهن الحديث، من مناجاة ذاتية طويلة يقوم بها رجل حكيم هو" إيبو – وير" في شكل شعرى (يغص بأدوات شحذ الذاكرة مثل مكرار الحروف في مطالع الألفاظ وحروف الروى والقوافي في أواخرها)، وتصف المقطوعة الحالة التي يرثي لها التي آلت إليها البلاد في ظل الآلام التي أعقبت الفرضي والثورة.

وقرب نهاية المقطوعة يحسول الشاعر غضبه ضد "السيد الأبدى" (الإله الشمسى) الذي يبدو أنه إنما كان يتوجه بخطابه إليه، وينهى مقطوعته بنقد لاذع يستهدف موقف اللامبالاة الذي يتخذه الإله القادر.

لا يركز إيبو – وير" في نهاية الأمر على الخطر الآسيوى ضد مصر، إلا أنه يشير في الواقع إلى تسللهم داخل البلاد نتيجة لضعف الحكومة. "واعجباه! يشحب الوجه لمرأى القواس وقد تربع في البلاد. والفساد تفشى في كل شبر منها، وافتقرت البلاد إلى رجال الأمس" (٢-٢). "واعجباه غالت الصحراء على الوادى الأخضر، ودب الفراب في المراكز townships وتسلسل شعب أجنبي من شعوب الأقواس التسعة إلى مصر" (٢-١) "واعجباه! لم تعد الدلتا بأسرها بعيدة المنال فالشعوب الأجنبية تتمرغ في خيراتها ." (٤، ٥-١) "الناس (= المصريون) يهربون... ولا يجدون ما يأوون إليه سوى الخيسام التي ينصبونها كما يفعسل البدو" (١٠، ١-٢) "البدو يقفون على شحوب الأجنبية" (١٥، ١-٢) "البدو يقفون على أحوال البلاد، هذه البلاد التي حظيت في يوم من الأيام باحترام كافة الشعوب الأجنبية" (١٥، ١-٢)

يقال إن الفرعون "أختوى" الثالث والد الفرعون "ميرى – كا – رع" في الأسرة العاشرة هو الذي ألف "سفر التعاليم" الذي كان القدماء ليصنفوه تحت باب "سيبوى" بمعنى "الحكمة (١٨) بينما نجد أن معظم النماذج المتوفرة من هذا النوع الأدبى ترتدى شكل الدردشة الأبوية مع أحد أبنائه حول كيفية شق طريقه المفاص في الحياة، ونراه يسدى إليه نفس النصائح البراجماتية التي نجد مثيلاتها في أوقات لاحقة في سفر "الأمثال" بالعهد القديم وكتيب "دال كارنيجي" ميرى – كا – رع" تتميز بأن كلاً من الأصدقاء وتؤثر فيمن حولك". ولكن نصائح "ميرى – كا – رع" تتميز بأن كلاً من الناصح والمنصوح ملك، وهو الأمر الذي يجعل نصائح "ميرى – كا – رع" تقترب، مراراً وتكراراً من أن تكون حديثاً ميكيافيللي الطابع حول تسيير شنون الحكم، وفي غالب الأحيان نرى الوائد يتكئ على تجربته الخاصة، وهو ميل يسعد قلب المؤرخ وفي غالب الأحيان نرى الوائد يتكئ على تجربته الخاصة، وهو ميل يسعد قلب المؤرخ بشأن فترة تضن بالنصوص التاريخية المدونة. وفي إطار إمعان النظر في المخاطر المتعددة التي تكتف أمن الملكة، نرى "أختوى" ينتهز الفرصة كي يركز حديثه في نهاية المعددة التي تكتف أمن الملكة، نرى "أختوى" ينتهز الفرصة كي يركز حديثه في نهاية المطاف على الأسيويين في عصره:

الشرق غنى بقواسيه ... ولكن انظر تلك الأراضى التى خربوها وقد تحوات الآن إلى بنادر عامرة تغص بالكثيرين من أبناء الحضير. (ص ص ١٨٦-٨٨). لنتحدث الآن عن القواس! وإعجباه، ذلك الآسيوى الخسيس! يلحق السوء بذلك المطرح الذى يضمه، حيث يفتقر إلى الماء وتغطيه الأحراش، والمدقات التى تقود إليه وعرة من جراء الجبال التى تحيط به. وهو لا يستقر في مكان واحد، ولكنه يضطر إلى التشرد بسبب العوز، عابرًا الأراضى سيرًا على قدميه. وتراه يخوض الحروب منذ أيام حورس الأولى بون أن ينزل الهزيمة بأحد، وبون أن ينزل به أحد هزيمة نهائية حتى الآن. فهو لا يعلن الحرب ولا يحدد يوم القتال، مثله في ذلك مثل اللص الخارج على القانون في عصابة تحترف الإجرام . ولكن طوال عمرى كله! وكلما اقتربت من ديار أولئك القواسين، وجدتهم يعيشون منعزلين خلف الأسوار، وكل حصن فتحته، عدت وأحكمت إغلاقه عليهم وعلى هذا النحو جعلت أبناء الدلتا يقمعونهم، ولقد أخذت أمتعتهم وسقت عليهم وعلى هذا النحو جعلت أبناء الدلتا يقمعونهم، ولقد أخذت أمتعتهم وسقت مواشيهم كفنائم. لا تشغل بالك كثيرًا بأمرهم! فالأسيوى لا يعنو كونه تمساحًا يتمدد على ضفة النهر، قد يخطف إحدى الفرائس من الطريق غير المطروق، لكنه لا يجرؤ على القنص في مرافئ المدن الماموة بالسكان. (ص ١٩-٩٨)

لعل هذا هو خير وصف عرفه الأدب المصرى الرعاة الذين يحيون حياة الترحال فى أسيا الغربية. ورغم أن الأمتعة والقطعان لا تنقصهم، إلا أنهم يتنقلون بصفة مستمرة وخاضعون بصفة دائمة للفقر والعوز. والأسيوى مدمن على القتال وعصى فى نفس الوقت على الإخضاع نتيجة لأساليب المراوغة التي لا تلتزم بأى أعراف أو تقاليد عند القتال، إلا أن الأسيوى، مع ذلك، ليس إلا قاطع طريق على نطاق صغير، تستطيع الحصون المزودة بالرجال والمراكز الحضرية الماهولة بالسكان أن تلقى بالرعب في قلبه.

أما نبوءة "نفرتى"، التى تلتزم بتقاليد الكتابة الأدبية في عهد "سنوسرت الأول" بصفتها قطعة من الدعاية السافرة، فتضم التنبؤ بقدوم "زمن القلاقل" في ختام الفترة الانتقالية الأولى واستعادة الملكية مع الأسرة الثانية عشرة (٢١). والقطعة من ألفها ليائها مكتوية بلسان الرجل الحكيم (الذي قد يكون شخصًا تاريخيًا أو لا يكون)، ومؤدخة بتاريخ أقدم يرجع إلى عهد الفرعون "سى – نفرو" من الأسرة الرابعة، وعلى هذا الأساس

تكون هذه القطعة الأدبية قد حفظت لنا صورة حية لواقع الأمور في مصر والمناطق للجاورة من أسيا خلال العقود الأخيرة من الألف الثالث ق.م.:

"تدبر (أي "نفرتم") ما يمكن أن تصبير إليه الأمور في البلاد، واستدعى إلى ذهنه أحوال الشرق. وكنيف يمكن للأسيويين أن يأتوا بجبروتهم، جالبين الرعب إلى قلوب أولئك الذين يكونون قابضين على مناجلهم في مواسم الصصاد، وكيف يمكن لهم أن يسرقوا الأبقار، أزواجًا، من تحت "ناف" (= نير) المحاريث (١٧-١٩). واسوف يضم طائر أجنبي أفراخه في أحراش الالتا، عندما بيني عشه قرب أبناء الحضر. واسوف يعطف عليه هؤلاء الناس ويفتحون له صدورهم في فقره المدقع. (Pet T--Y1)... كل الأشياء الجميلة اختفت وها هي البلاد ترقد مهيضة الجناح يفترسها البؤس بسبب انتشار أولئك الأسيويين المتخمين في سائر أرجاء البلاد. ولقد ظهر الأعداء في الشرق واسوف يهبط الأسيويون على مصر. وتقع حصونها تحت الحصار حتى عندما بكون العون قريب المنال، وإن تلقى حامياتها بالاً: فلسوف يرفعون سلَّم الحصار على الجدار في كحل الليل، ويقتحمون الحصون ويعيرون المتاريس بينما يكون الناس (= المصريون) مستغرفين في النوم. واسوف يقول أحدهم: فالأذهب لأستريم، ولو أن الواجب يفرض على أن أظل يقظًا . واسوف تهبط الحيوانات البرية من مواطنها في الصحراء كي تشرب من ماء نهر مصر، ونظرًا لأن أحدًا لن ينهض لدفعها بعيدًا فلسوف تستريح وتنتعش على ضفافه. (٣١-٣٧)... لن يسمح أحد للأسيويين بهبوط مصر، إذا طلبوا الماء كما يطلبه الشحانون كي يسقوا قطعانهم. (Pet. 11–17).

تتشابه سمات ذلك الآسيوى الذي يصوره "نفرتي"، في بعض جوانبها، مع الوصف الذي ورد في التعاليم التي تلقاها من ناصحه الفرعون "ميرى – كا – رع" قبل ذلك بمائة سنة على وجه التقريب. فالآسيوى لا يزال هنا يتميز بالاعتماد على قطعان الأنعام في كسب قوته، ولا يزال متعطشاً إلى الوصول إلى مصادر المياه في الدلتا كي يسقى قطعانه. ويظهر تزلف الآسيوى كإحدى السمات التي تعرف عنه. ولكنه أصبح يسقى قطعانه. ويظهر تزلف الآسيوى كإحدى السمات التي تعرف عنه. ولكنه أصبح يهبط مصر الآن، وعلى النقيض من أسلافه على هيئة قوة مقاتلة، تغير على الزارع وتسرق المواشي، بل وتستقر وتتمتع بمواخاة السكان الأصليين لها. وإذا كان لنا أن نفهم القسم الثالث المترجم فهمًا صحيحًا، فإن الآسيوى ذاك يكون قد أتقن فن ضرب الحصار خلال الحرب. واسوف يكون للأدلة المستقاة من "نفرتي" قدر من الأهمية في وقت لاحق عند مناقشتنا للحرب الأهلية التي سبقت الأسرة الثانية عشرة.

السياسة العدائية للأسرة الحادية عشرة:

لم يزعم والد الفرعون "ميرى – كا – رع" أبدًا أنه شن حربًا ما في أسيا، رغم كل التباهي الذي أعرب عنه باستعادة حرمة الحدود الشرقية لمصر، والمناظر المرسومة على جدران المقابر المعاصرة لا تشير لا تصريحًا ولا تلميحًا، إلى وجود أسيويين داخل مصدر: وبالتالي يكون الصواب قد حالفنا على وجه الاحتمال، في الاستنتاج الذي توصلنا إليه بأن "نظام هيراكليوبوليس" Herakleopolitan regime اضطر، لعدم توفر الافضل: raute de mieux ، إلى قصر اهتماماته داخل نطاق بيئته المصورة.

إلا أن كل ذلك تغير بانهيار هيراكليوپوليس Herakleopolis ففى سنة ٢٠٥٠ق.م على وجه التقريب أنزلت مملكة "طيبة" المتمردة فى الجنوب، الهزيمة تحت قيادة فرعونها "مونتو – حوتب" الأول(٥٠) بقوات الأسرة العاشرة ودمرت العاصمة "هيراكليوپوليس" ثم أعادت توحيد مصر تحت ظل الأسرة الحادية عشرة وعندنذ وجدت الطاقات المكبوتة لأراضى الجنوب المقاتل، ولو أنه كان متخلفًا، متنفسًا لها فى استئناف الغارات التأديبية فى اسيا اقتفاء للخطوط السياسية التي رسمها وسار عليها فراعنة الملكة القديمة.

ويبدو أن الأدلة التى تنهض على متابعة هذه الخطوط السياسية تحت ظل الفرعون "مونتو - حوتب" الأول تتزايد بشكل مستمر من سنة لأخرى. فنحن لا نملك تحت أيدينا، وحسب، مناظر قمع الرءوس، الأقرب إلى التقليد والتقولب، ويظهر فيها الفرعون وهو يلوح بدبوس الرمى ضد البلاد الأجنبية الشرقية" وهذه شهادات قد يشك البعض في صحتها (٥٠) على أحسن تقدير، ولكننا نحوز كذلك إشارات محددة، بعضها ملكى وبعضها أخر غير رسمى إلى عمليات عسكرية في أسيا. إذ يشير صادود (= لوح) غير كامل يرجع إلى بلادة "دير البلاص" الواقعة إلى الشمال مباشرة من "طيبة" إلى بلاد "قيديم" ووقع المائية في نقش يتضمن سيرته الذاتية: مولاى له العمر والرخاء والعافية، أرسلني كي أعد جيشًا كي نقمع أولئك الذين يعيشون على الجانب الآخر الرمال، وفي وقت لاحق يلمع إلى شجر الأرز الذي يغطي سفوح الأرز (٢٥). ويضمتُن "أنتيف" المعال مائي الفرعون في مقبرته منظرًا رائعًا لمعركة نهرية،

وحصاراً لحصن (١٠). ورغم أن المنظر يفتقر إلى أى نص مكتوب يصاحبه، إلا أن الواضح أن المهاجمين مصريون، بينما نجد جنوداً أسيويين يدافعون من متاريس مرتفعة. لكن المرء قد يكون ميالاً، في ضوء إجماع الشواهد الأثرية والسجلات المدونة على أن فلسطين في الطبقة / الحقبة رقم ١١٤٧ لم تعرف سوى مجتمع بدوى يعتمد على الترحال، إلى خفض وزن زعم "أنتيف" الذي وصلنا مصوراً في مقبرته: ألم يكن رجلاً عسكرياً؟ وألم يكن المنظر من ذلك النوع الشائع وقت ذاك المصار؟ ومن جانب أخر استمرت سوريا وأجزاء من الساحل الفينيقي والضفة الغربية المتمات عن عدد كاف تضم بعض المراكز الحضرية، ويكشف المنظر المرسوم في مقبرة "أنتيف" عن عدد كاف من التفاصيل المستغربة التي تلقى بظلال الادعاء الذي يذهب إلى أن المنظر لا يخرج عن كونه تقليداً النموذج متقول.

ولعل الدليل الأكثر كشفًا يتمثل في ذلك النقش الذي شخبطه شخص يدعى "تيهيمو"، وهو مرتزق نوبي، ترك لنا قصة حياته منقوشة على الصخر في "أبيسكر" جنوبي أسوان (٥٠). ويقول النص المنقوش: (هذا اوح – صادود أقامه "تيهيمو" للمرب على عهد في سنة دحر البلاد الأجنبية. وهي السنة التي بدأت فيها أتوجه إلى الحرب على عهد أنيب – هيبيت – رع" (أي "مونتو – حوتب" الأول) في إطار الجيش، عندما قدم جلالته إلى "بوهين (٢٠) Buhen فأبحر ابني بصحبتي للقاء الفرعون الذي تجول في سائر أرجاء البلاد، وقد وضع نصب عينيه أن يذبح الأسيويين في جمتي "، ثم أبحر المل يقصد الفرعون؟) في اتجاه الجنوب مع مسرى الرياح.) ويغض النظر عن التباهي الذي لا يخلو من طرافة خاصة بتحقيق الفوز بمفرده ودون عون من أحد، فإن المرء يرى لزامًا عليه أن يستنتج أن قصة حياة "تيهيمو" تنطوي على وصف رصين نسبيًا لحملة لزامًا عليه أن يستنتج أن قصة حياة "تيهيمو" تنطوي على وصف رصين نسبيًا لحملة تاريخية في آسيا تحت قيادة الفرعون "مونتو - حوتب" الأول. وأكن أين تقع "جعتي" تلك؟ سوال يطرح العديد من المشاكل. ولكن نسخ الاسم يوحي بشكل أصلي هو ZIS-R-TI مروبيًا البيام باسم زيص – ر – تي(!). ولعل مما يبعث على الاهتمام أن هناك موقعًا معروفًا لدينا باسم زيص – ر – تي(!). ولعل مما يبعث على الاهتمام أن هناك موقعًا معروفًا لدينا باسم زاريثان" Zarethan في وادي نهر الأردن (٧٥).

الهوامش

- (١) حول مجمع هرم الفرعون "بيبي" الثاني انظر:
- G. Jequier, Le monument funéraire de Pepi II (Cairo, 1936-1941).
 - (٢) حول تصوص الأهرام انظر بين مراجع أخرى:

J.H.Breasted, The Development of Religion and Thought in Ancient Egypt (New York, 1912): R.O. Faulkner, The Ancient Egyptian Pyramid Texts (Oxford, 1969); H. Altmüller, Die Texte zum Begrabnisritual in den Pyramiden den alten Reiches (Wiesbaden, 1972); W.Barta, Die Bedeutung der Pyramiden Texte Für die verstorbenen könig (Munich, 1981).

- CF. P. Montet, Byblos et L'Egypte (Paris, 1929), nos, 56, 58. (7)
 - (٤) حول "سقارة" انظر:
- J. Baines and J.Malek, Atlas of Ancient Egypt (London, 1980), 142 ff.
- E. Driolon and J. Vandier, L'Egypte (Paris, 1962), 226; N. Kanawati, The Egyptian (o) Administration in the old Kingdom (Warminster, 1977).
 - Urk,134.136 ff. (%)
 - Urk I, 174. (V)
 - G. Posener, RdE 11(1957), 119 ff. (A)
 - Kanawati, JEA 63 (1977), 60, n.5. (1)
 - Drioton and Vandier, L'Egypte,221-22. (\+)
- W. Helck, Untersuchungen zu den Beamtentiteln des ägyptischen Alten Reiches (۱۱) (Glückstadt, 1954), 142.
 - J.Malek, JSSEA 10 (1980), fig.2. (\Y)
- On Spst-nsw, see D. Meeks, Année Lexicographique (Paris, 1980), 1:368; (\tau) Cf.also Jequier, Monument funéraire, 2:pl.90; H.G. Fischer, JAOS 76 (1956), 99-100.
- (١٤) بردية محفوظة حاليًا في متحف مدينة تورينو الإيطالية وكان القنصل دروفيتي قد عثر عليها في سنة ١٨٢٧ في إحدى المقابر في طيبة الغربية.

Editions:G.Farina, II papiro dei (Rome,1938);A.H.Gardiner, The Royal Canon of Turin (Oxford,1959).

- D.B. Rectford, Pharachic King-lists, Annals and Day-books (Toronto, 1986) ,12 ff. (10)
 - Ibid.,18 ff. (\7)
 - Herodotus, 2.100. (\V)
 - W.G. Waddell, Manetho (London, 1940), 54-55 (\A)
 - J. Wilson, The Burden of Egypt (Chicago, 1951), 98. (14)
 - H. Kees, Ancient Egypt, A Cultural Topography (London, 1961), 63. (T.)
- H. Goedicke, Königlische Dokomente aus dem Alten Reich (Wiesbaden, 1967). (*\)
- H. Goedicke, JNES 15 (1956), 30; P. Posener-Krieger, Les Archives du temple (YY) funéraire de Nefercirkare-Kakai (Cairo, 1976), 2;479.
 - Goedicke, Königliche Dokumente, 23, fig. 2. (۲۲)
 - Wilson, Burden, 99. (Y£)
- H. Fischer, JAOS 74(1954), 26; idem, Dendera in the Third Millenium B.C. (Locust (Ye) Valley, N.W., 1968), 12; N.Kanawati, Governamental Reforms in the Old Kingdom (Warminster, 1930).
- B. Bell, AJA 75 (1971),1ff.;K.Butzer,Early Hydraulic Civilization in Egypt (Chica- (٢٦) go,1976),23-29.
 - Wilson, Burden, 100, 108. (YV)
 - Ld A,2 (1987),153. (YA)
- Cl.N.de G. Davies. The Rock Tombs of Deir el-Gabrawi (London, 1902), 2:pl.25: (۲۹)

 "لقد أعدت تعمير البسلاد (جمع بلدة) المخلفات سكانيًا بمواطنين من المراكز الأخرى، وأرائك الذين كانوا منذورين للعمل كارقاء هناك جعلت إقامتهم في المراكز"
 - Cf. Urk 1,233; P.Berlin 8896 (P.C.Smither, JEA 28 (1942),16 ff). (Y-)
 - (٣١) كما فعل الحكيم العجوز: "إيبو وير":
- Cf. M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature (Berkeley, Calif., 1976), 1:149 ff., G. Fecht, Der Vorwurf an Gott in den "Mahnworten des Ipu-wer" (Heidelberg, 1972).
 - D. B. Redford, JARCE 23 (1986), 133 and n. 84. (TT)
- H. Kees, Nachrichten Göttingen (1933), 590; on hry sst³, see D.B. Redford, (**Y) JSSEA 15 (1985),42.
 - Redford, JARCE 23 (1986), 133 and n. 86. (Y1)
- Faulkner, The Ancient Egyptian Pyramid Texts. Supplement, 63; CTI, 302c; (Ye) E. Edel, ZAS 102 (1975), 36; J. Lectant , SAK 2 (1984), 458.
 - CT III, 394 f-g. (YN)

S. Richard, BASOR 237 (1980), 12; W. Dever, Ibid., 38; R. Cohen and W. (TV) Dever, BASOR 243 (1981), 57 ff. Dever, in Biblical Archaeology Today (Jerusalem, 1985),113 ff.; W. Rast, ibid., 155-56; P. Gerstenblith, The Levant at the beginning of the Middle Bronze Age (Philadelphia, 1983), 117.

(۳۸) انظر:

e.g.P.W.Lapp,in J.A.Sandars.ed.,Near Eastern Archaeology in the Twentieth Century (New York),116 ff.

Richard, BASOR 237 (1980), 25; W. Dever, BASOR 210 (1973), 37ff.; idem, in (74) Biblical Archaeology Today, 123.

Dever, BASOR 237 (1980), 52; Idem. in Biblical Archaeology Today, 129; Rast, (£.) Ibid., 155-56; P. Matthiae, Studies in the History and Archaeology of Jordan (Amman, 1982), 1:90.

- Redford, JARCE 23 (1986), 139. (£\)
 - Gerstenblith, the Levant, 2-3. (£Y)
- Cf. J.M. Weinstein, BASOR 217 (1975), 10-11; Gerstenblith, The Levant, 101-8. (17)
 - (٤٤) للاطلاع على الببليرجرافيا التي تتصل اتصالاً وثيقًا بالموضوع انظر:

Wilson In ANET,414,441,444; Lichtheim, Literature,1:98,139150; W.Helck, Die Lehr für könig Merikare (Wiesbaden,1977), 1; idem,Die Prophezeiung des Nfrty (Wiesbaden,1970),1-2;H.Goedicke, The Protocol of Neferyt (Baltimore,1977) 1ff.,; R.J.William, JAOS 101(1981),1ff.

التسميات الخاصة الواردة من ابتكارات العلماء المحدثين نظرًا لفقدان الألقاب التي عرفها القدماء.
Egyptian nhwt : H. Grapow, Sprachliche und the Schriftliche Formug (٤٥)
ägyptischer Texten (Glückstadt, 1936), 60, n.29; constrast H. Goedicke, The report about the Dispute of a Man with His Ba (Baltimore, 1970) 183.

(٤٦) انظر دراستي القادمة:

Oral Tradition and the Scribe in Ancient Egyptian Historiology.

(٤٧) تعرضت لهذا التاريخ بالنقاش في موضع أخر:

CI, King-lists, 144, n.69. Van Seter's date in the Second Intermediate Period (JEA 50[1964], 13-23) has long since been rejected

وكان التاريخ الذي اقترحه "فان سيتر" في فترة الانتقال الثانية قد واجه الرفض منذ رئت طويل. (٤٨) حول "الحكمة" انظر:

M.V. Fox,ZÄS 107 (1980),120 ff.;E. Homung and O. Keel,Studien zu altägyptische Lebenslehren (Göttingen,1979);R.J. Williams, in J.R.Harris,ed.,The legacy of Egypt (London,1971),257ff.; Idem,JAOS 92 (1972),215 ff.;Idem,JAOS 101(1981),1-19.

- (٤٩) حول المردود الدعائي للفرعون "سنوسرت" الأول انتثر:
- G. Posener, Literature et politique dans l'Egypte de la XIIe dynastie (Paris, 1956).
 - (٥٠) مع لقب نيب هيبيت رع . حول تنويعات أشكال الأسماء التي تبناها هذا الفرعون انظر:
- D. Arnold, MDAIK 24 (199),33 ff.; H. Goodicke, JSSEA 12 (1982),157-58.

وهول تاريخ سقوط "هراكليويولس" انظر:

F.Gomàa, Agypten während der Ersten Zwischenzeit (Wiesbaden, 1980), 157.

- (٥١) حول الجداريات و النصوص التي ترجع إلى "جبلين" و "طبية" و "دندرة" انظر:
- W. Schenkel, Memphis, Herakleoplis, Thoban (Wiesbaden,1964), 209-10, 21216 ff.; J.J. Clère and J. Vandier, Textes de la première period intermédiaire (Brussles, 1949), 36 ff.
- H. G. Fischer, Inscriptions from the Coptite Nome (Rome, 1964), pl. 37; Schen- (•Y) kel, Memphis, 214 ff.
 - W. C. Hayes, JEA 35 (1949), pl. 4; Schenkel, Memphis, 242-43. (aT)
- 'J. Leclant, Orientalia 34 (1965), 185-86, figs. 8-11; Keel, VT 25 (1975), 419, fig. 1. (02)
 - Redford, JARCE 23 (1986), 129, n. 41. (00)
 - (٥٦) المركز الإدراي المصرى الرئيسي عند الجندل الثاني.
 - Josh. 3:16; cf. Jud. 7:22. (aV)

القصل الرابع

«دُوْس البلاد الأجنبية» مصر وآسيا خلال الملكة الوسيطة

لا تزال الفترة التي تعتد لأربعة قرون على وجه التقريب، وتقع بين النصر الذي أحرزه الفرعون مونتو – حوتب الأول ومجيء الهكسوس تشكل إحدى أشد الفترات غموضًا في مجال العلاقات الأجنبية الذي يحاول هذا الكتاب التطرق إليه، فعلى النقيض من فترة الإمبراطورية التي تلت هذه الفترة، فإن المملكة الوسيطة والفترة الانتقالية الثانية لم تخلفا لنا من الأدلة التي تتمتع بقيمة عالية سوى أقلها. وحتى الأحداث التاريخية فلا يزال يلفها الضباب، أما السياسات والدوافع الكامنة وراءها في موضوع في غالب الأحيان لحض التخمين. فحالة بحوثنا التاريخية في هذه الفترة لا تزال ابتدائية إلى الحد الذي يغيّر فيه نشر نص يحمله لوح/صادود، في غالب الأحيان الصورة التي لدينا بصفة كاملة، أو على الأقل، يبدو أن مثل هذا النشر سيفعل الأحيان الصورة التي لدينا بصفة كاملة، أو على الأقل، يبدو أن مثل هذا النشر سيفعل ذلك، ولما كانت هذه هي الحالة، مسار لزامًا على المرء أن ينقل خطاه، خطوة خطوة خذر الزلل، وأن يشحذ ملكاته النقدية في سبيل التوصل إلى تحليل مقبول للعلاقات التي قامت بين مصر وفلسطين خلال هذه الفترة.

الحرب الأهلية:

تعرضت الأسرة الحادية عشرة، التي ينتمي إليها الفرعون مونتو محوتب الأول لنهاية فجائية في غضون خمس عشرة سنة من رحيل ذلك الفرعون المجيد. ولكن لم ننج من عوادي الظروف أي رواية متماسكة للنكبة التي نزلت بها، إلا أن الشذرات المتفرقة من القرائن تتفق إلى حد كاف على تأبيد الافتراض الذى يذهب إلى نشوب حرب أهلية مدمرة.

ولعله يبدو واضحاً أن الضربة القاصمة أصابت الخليفة التاني للفرعون "مونتو - حوتب" الأول أعنى الفرعون الفذ أنيب - توى - رع الثالث، الذي لم ينلهر اسمه، بما لا يخلو من مغزى، سواء في قائمة الفراعنة أو قوائم الأسلاف الذين تقرب إليهم القرابين(١). ولم نعرف عنه شيئًا، بصفة أساسية، إلا من المحاجر، وخصوصاً محاجر وادى الحمامات. وهذه محاجر جديرة بالاعتبار لأعدادها وأحجامها وبراعة تنفيذ الأعمال فيها.

وقد انصب هدف البعثة الموقدة على قطع الأحجار، وهو أمر روتيني، لنحت التوابيت، لا ينطوى على أى جديد أو مستغرب، إلا أن النقوش تنهى إلينا، أن "مين" إله الجبال والهضاب أحب "ابنه" الفرعون حبًا جمًا إلى الحد الذي صنع من أجله معجزتين متاليتين انطوت الأولى(٢) على:

"حضور غزالة عشر"، وكانت تتقدم رأسًا باتجاه العمال الذين يشتغلون أمام ناظريها دون أن تتلفت، على عادة الغزلان، وراءها، حتى وصلت إلى هذا القطاع النبيل من الجبل، بل وهذه الكتلة على وجه التحديد، وبينما كانت هذه الكتلة لا تزال ملتحمة بأمها الصخرة... وضعت هذه الغزالة وليدها عليها بينما وقف جيش الفرعون ينظر إلى ما يدور".

ولم يكتف الإله "مين" بهذه المعجزة حيث عاد كى يصنع معجزة أخرى:

انكشفت قوة مذا الإله وتجلت قدرته أمام أعين الشعب: هبطت الأرض المرتفعة حتى صارت بحيرة، وطف ماؤها على الحجر الصلا. فلقد عثرنا على بنر فى قلب الوادى، تبلغ مساحته عشرة أذرع (حوالي خمسة أمتار)، وكان مملومًا بالماء حتى حوافيه، وظل نقيًا صافيًا لم تعكره الغزلان، وبعيدًا عن متناول رجال القبائل من ساكنى الجبال. وقد مرت عليه البعثات التى أرسلها الملوك القدماء فى سابق الأوان، دون أن تلحظه عين، أو يجذب نظر أحد. ولم يكشف عن نفسه إلا لجاذاته دون سواه "().

هاتان أعجوبتان، ما فى ذلك شك، تكفيان لإثارة إعجاب الشعب، ولكنها ما كانت لتحظى بالتسجيل على هذا النحو، لو لم يرغب فى ذلك قائد البعثة أمين – إم –حات. والمستغرب فى الأمر أنه يظهر فى ثنايا أحد النقوش بصورة أشد بروزًا وفى عبارة أشد انثيالاً فى امتداح الذات من أى قائد لأى بعثة أخرى سابقة أو حتى لاحقة فى نقوش الوادى(1).

فى ضوء مثل هذا المثال العالى فى الحصافة الإدارية والاستقامة الخلقية كرئيس الوزراء، فإن المرء ليعجب: لماذا لم يعتزل الفرعون "مونتو - حوتب" الحكم ببساطة، ويسلم زمام السلطة لهذا الرجل الذى يعد ذراعه الأيمن. وإذا ما وجد "أمين - إم - حات" زمام السلطة فى واقع الأمر وعلى نحو سريع فى يديه فإن ذلك ليضفى على العبارة التى ورد ذكرها قبل قليل جدية أكبر مما تبدو عليه. والحقيقة أن المرء يستشعر بالفعل فى نقوش وادى الحمامات وجود موقف لا تقدم له النصوص المكتوبة تفسيراً كاملاً. فلماذا الإصرار على المعجزات؟ ولماذا يحوز "أمين - إم - حات" كل هذا الحضور؟ هل يقتضى الغرض المرصود للحملة تجنيد أيد عاملة من كافة أنحاء مصر؟ ورقم عشرة آلاف رجل ضخم بكل تأكيد، ويزيد زيادة كبيرة عما قد يتطلبه قطع ونقل عدد لا ينكر من الأحجار التى كان "أمين - إم - حات" بريدها.

ولكن "أمين " م - حات" لم يكن الوحيد الذي يقوم بأداء مهمات في الخارج بالنيابة عن الفرعون " نيب - توى - رع". ففي تاريخ غير معروف خلال نفس العهد " توجه الجنرال المسئول عن الأراضى العليا كالهضاب والجبال وقهرمان القصر (= مدير المراسم) إلى "الحمامات" على رأس "جيش" من مائة وثلاثين فردًا (بينهم أطفال إلى جانب البالغين) جرى تجنيده من مصر الوسطى(٥). وفي السنة الأولى من حكم "نيب-توى-رع" أرسل قائد القوات الأجنبية والقهرمان "شيد- بتاح" بن "أنتيف" إلى "وادى الهدى" في الجنوب(١).

ومرة أخرى ومن محجر أخر، هذه المرة محجر المرمر في "حاتنوب" تأتينا مجموعة من النصوص الأكثر إيحاء حتى عن ذلك، إذ تؤرخ لاستثمارات الكونت (= النبيل) "نهرى" Count Nehry وولديه كاى Kay و "تحوت ـ ناخت"(٧). وتحمل النقوش تواريخ

تقع بين السنة الخامسة للحكم والسنة الثامنة، ورغم أن هذه النقوش تُنسب إلى حكم النبيل "نهرى" نفسه إلا أن الأحداث التي تتناولها وقعت، دون شك خلال الفترة الانتقالية من الأسرة الحادية عشرة إلى الثانية عشرة (^)، ويصف " نهرى". الذي كان مدير Nomarch المديرية الخامسة عشرة نفسه بـ "الفشر": braggadocio الذي كان شائعًا في السير الذاتية في ذلك العصر (^). على هذا النحو:

"النبيل، ضابط العرشين" كبير الأنبياء، نبيل مقاطعة Nome الأرنب (أى المديرية الضامسة عشرة) "محسوب" الفرعون، كبير الجنوبيين ... شجاع القوم، الذى ينتظر الجميع وصوله، قوى الزند، وبود المعشر، الذى يطلبه الفرعون يوم ائتلاف المجلس، والذى تتعم سائر البلاد بكل سياسة تصدر عن اسانه!".

وتفاخر نقوش الرجال الثلاثة بمشاركة كل منهم في الصراع الحاد الذي دار خلال فترة من الخمول والتراخى في النظام الملكي، ويسجل "نهرى" واقعة غريبة تحداه فيها الفرعون (١٠٠). "صف جنودك على جبهة القتال! انظر، أنا أيضًا على خطوط المعركة! ولكنني كنت حصنًا منيعًا خلال القتال في "شيديت - شا" Shedyet-sha التي هرع الجميع لنجدتها... وسباقًا الكل، من أنقذ (مدينته في يوم الرعب) التي هرع الجميع لنجدتها... وسباقًا الكل، من أنقذ (مدينته في يوم الرعب) إثر تحميس بيت الفرعون"، ولكن "كاي" كان أكثر تحديدًا حتى بالنسبة لذلك، فهو يزعم (١٠٠)، في ظل مسئوليته عن تعبئة ميليشيات هيرموبوليس (١٠٠ الأشمونين) "جندت شبان المدينة الذين أصابهم الدور حتى يزيد حجم قواتها، فلقد انسحب المطلوبون الخدمة إلى صفوف الأهالي ولزمو) بيوتهم ولم يزحفوا طوال فترة الرعب التي مرت ببيت الفرعون". وعود على بدء (١٠٠). "قمت بتدريب المجندين من الشبان الصغار السن وخضت الحرب إلى جانبي سوى خدمي، اتحدت ميدجاي Mediay و واوات " wawat مع الجنوبيين والأسيويين وأرض الجنوب والدلتا ضدى. ولكنني برزت للعيان. فلقد مع الجنوبيين والأسيويين وأرض الجنوب والدلتا ضدى. ولكنني برزت للعيان. فلقد تحقق النجاح، نظراً لأن مدينتي وقفت إلى جانبي دون خسائر".

يستطيع المرء أن يتصور، خلال ظلال المبالغات اللفظية حربًا أهلية شهدت، ضمن أشياء أخرى، وقوف مديرية صغيرة بمفردها وكأنها وقعت في فغ، أمام القوات

الحكومية: (بيت الفرعون). ولكن هذه المديرية تحالفت لحسن حظها مع الجانب الذي تحقق له الظفر. حقًا قد تدفعنا مبالغات كاي إلى الابتسام، ولكنه مما يلفت النظر أنه يضع الآسيويين بين مناونيه، وبصورة ضمنية بين حلفاء بيت الفرعون.

على أن النصوص التى تركها وراءه أمين – إم – حات بعد استيلائه على العرش كمؤسس الأسرة الثانية عشرة، وكذلك نصوص الحاشية التى تحيط به شديدة الغموض، ولا تقدم لنا عونًا ذا بال فى استكناه السبب الكامن وراء ذلك الصراع الذى نشب. إلا أن "أمين – إم – حات: الأول يصف استيلاءه على السلطة لابنه "سنوسرت" الأول (٢٠١) فى شهادة ظهرت لنا بعد وفياته، فى إحدى المقابر على النحو التالى (١٠١) قد وصلت فى تجوالي حتى جزيرة "إليفانتين". ومضيت فى الاتجاه المضاد حتى بلغت مستنقعات الدلتا. ووقفت على تخوم البلاد وعاينت أعماقها. وأخضعت الأسود واصطدت التماسيح. وقمعت أبناء واوات ، ووضعت يدى على ميدجاي" Medjay وفرضت على الأسيويين أن يقوموا بالأعمال الدنيا" (١٠٠)، وبعبارة أخرى وصل شخصياً وفرضت على الأسيويين أن يقوموا بالأعمال الدنيا" (١٠٠)، وبعبارة أخرى وصل شخصياً إلى أقصني حدود البلاد وبالتالي استولى عليها وجرد مشتملاتها، وبصفته عنصراً عملاقاً من عناصر الطبيعة والمجتمع الإنساني في نفس الوقت فلقد أخضع الحيوانات البرية والأجانب المتوحشين سواء في الشمال أو الجنوب، وهذا لا يزيد ولا يقل عن القيام بالدور المنتظر من الفرعون الطيب: ولكننا لا نستطيع أن نعصر هذه العبارات كي بالدور المنتظر من الفرعون الطيب: ولكننا لا نستطيع أن نعصر هذه العبارات كي نستخرج منها أي وقائع تاريخية (١٠).

على أن هذه الفقرة من السيرة الذاتية لذلك الـ خنوم - حوتب البارز الذى شارك في الحرب الأهلية لا تقدم لنا إلا عونًا ضعيلاً (١٧). إذ يقول خنوم - حوتب الذي عين في وقت لاحق نبيلاً (= "كونت" Count) على قسم إدارى صغير في المديرية السادسة عشرة من الوجه القبلي:

"جلالة سيدى له طول العمر والرخاء والعافية ملك مصر العليا والسفلى "ستيب - إيب - رع Sehtepibre ، بن رع "أمين - إم - حات" الأول. ليحيا إلى أبد الآبدين! عيننى مستخدمًا (؟) ... وأبحرت معه إلى مصر العليا (؟) على متن أسطول صغير يتكون من عشرين سفينة مصنوعة من أخشاب الصنوبر. ثم عاد جلالته بعد أن أشاع

الطمأنينة في البلاد وأخضعها على امتداد الضفتين. وكبح الجنوبيون شرورهم. وتقهقر البدو الأسيويون، ووضع القوانين للبلاد، ونالت المناطق الأجنبية نفس معاملة الضفتين ... واستقر الأهالي في مواطنهم واطمأنت الملكية [مع الحية] على جبهة سيدها.

وبصرف النظر عن الإشارة إلى تعيين "خنوم - حوتب ومشاركته، وإلى الأسطول الذي يضم عشرين سفينة، فإن النص يحتوى على ما يتوقعه المرء من ملاحظات لا نفع وراءها: استتب الأمن في البيلاد، وقُمع الأجانب، ولزم الأهالي "حدودهم" وقيامت الملكية على قدميها مرة أخرى، وفي عبارة واحدة، عادت "ماعت": أي النظام والصدق والعدل (= الأصول) إلى الدخول في الطبيعة وفي المجتمع الإنساني. إلا أن هذا النص لا يقدم لنا أي دلائل، من أي نوع، تهدينا إلى معرفة شخصية الخصم الرئيسي لد "أمين - إم - حات" Amenemhat أو التعرف على الصقع الذي وقعت فيه المعركة من أصقاع البلاد، وأن يخرج الأمر عن تعليل النفس بالتمني إذا افترض لهذه المعركة موقعًا في شمال شرقي الداتا، أو رصد اهتمامًا أوليًا من جانب المصريين بالطريق إلى بيبلوس" (١٨).

خلاصة القول إلى هذه النقطة من البحث ويشكل موجز: الأدلة التي سقناها تفتقر لحد مؤسف إلى التفصيل إلى جانب أنها أخمدت أنفاس حقيقة ناصعة لصالح تصور عقلى مقولب وفي نفس الوقت مربح. لكن في وسعنا أن نستشف من خلال لغة النص: قدرة غير عادية يحوزها المسئولون نوو النفوذ على حشد قوة عمل (كبيرة) في مطلع حكم نب - توى - رع - مونتو - حوتب " Nehry "نب - توى - رع - مونتو - حوتب " الإرهاب" الذي ارتكبه بيت الملك أو الفرعون، وحرب أهلية انحاز خلالها انتهازيون من أمثال نهرى "الإرهاب و "مونتو - حوتب" إلى جانب "أمين - إم - حات " Amenemehat، وقد كوفئوا في وقت لأحق بمنصهم أطيانًا زراعية، ومعركة كبرى في مكان يدعى "شيد يت" Shedyet وقد شارك فيها مرتزقة أجانب إلى جانب المصريين، وحملات تأديبية في اتجاه الشمال وأخرى في اتجاه الشمال الذي أحرزه.

ولم يبد الدور الأسيوى في كل ذلك كبيرًا، على الأقل خلال هذا الدليل الذي أوردناه. ولكن نصوصاً إضافية توفرت الآن، الأمر الذي يلقى ضوءاً مختلفاً اختلافاً يسيراً على الموضوع. أشرك "أمين - إم - حات بعد مرور عشرين سنة أى في زهوة النظام الجديد ولأسباب غير واضحة ابنه الذي سيحمل في المستقبل اسم سنوسرت الأول في الجلوس على العرش كشريك في حكم مصر. وخلال السنوات العشر التي استمرتها هذه المشاركة في الحكم، كان هذا الوريث المحتمل الصغير السن قد عقد العزم بالقعل على تنفيذ برنامج خاص ابناء المعابد (١٠١). وفي السنة الثالثة من هذه المشاركة أعلن سنوسرت أنه سوف يجدد معبد "أتوم ويبني قصره في أون" (= هليوبوليس). ويحلول السنة التاسعة من هذه المشاركة، كان قد حول اهتمامه نحو الجنوب. وفي تلك السنة - وفقاً لما يخبرنا به نقش أعاد الفرعون "أمين حوبت" الثالث في الأسرة الثامنة عشرة نسخه - عقد "سنوسرت اجتماعاً لبلاطه، ورغم أن باقي النص مفقود، إلا أنه أعلن عزمه، على وجه الاحتمال، أن يبني معبداً لم "أمون" في "طيبة". وفي وقت قريب من ذلك الوقت لابد أن تكون قد وقعت الزيارات التي قام بها الفرعون إلى مناطق أبعد في الجنوب، وهي الزيارات التي نقشت خلالها النقوش في "تود" (٢٠) و "اليفانتين" (٢١) في الجنوب، وهي هذين الموقعين كانا نهبًا للإهمال، حتى صارا مجرد أطلال.

ولا يسترك لنسا مضمون النقوش أدنى شسك فى أن الملك / الفرعون يعلق تبعة ما حدث على دور الأجانب. كما لا تترك لنا الإشارات التى وردت إلى "المسلطب" (أى سفوح لبنان الجبلية) وإلى "الآسيويين" أى شك حول الذين كان يقصدهم الملك /الفرعون، وتقدم جسامة المقاب مؤشراً إلى الخطورة التى ارتاها "سنوسرت" فى مجمل الأمر.

ولكن متى حدث كل ذلك؟ ما هو الوضع الذى سمح للآسيويين أن يعيثوا فسادًا وتقتيلاً في مصر؟ ولما كان "سنوسرت" يصف، على نحو جلى، حالة عامة من التدمير، شهدها في مطلع مشاركته في الحكم، فإن الحادث لابيد وأن يكون معروفًا في وقت ما قبل توليه منصبه. والواقع أنه يتعين علينا أن نفترض مرور سنوات، وليس مجرد شهور، كي نفسر عمليات التخريب التي فاقت الحدود والآبار المردومة والقنوات الطامية وما أشبه، ولا نستطيع إلا أن نميل إلى أن نرى في الصور الحية التي وردت في كلمة الملك /الفرعون النتائج التي أسفرت عنها الحرب الأهلية. ولقد ألمح "نفرتي" Neferty كما سبق لنا أن رأينا إلى انتهاك حرمات الحدود وتطويق وتدمير القلاع وألمدن؛ وها هو نص "تود" Tod يشير إلى أن الآثار بلغت من الفظاعة حدًا جعل عملية إعادة البناء

تلتهم موارد الدولة طوال سنوات عديدة. وإذا كان "سنوسرت" الأول لا يزال مشغولاً على هذا النحو ومهمومًا إلى هذا الحد الملحوظ، كذلك، بأعمال النهب والسلب التى قام بها الأسيويون، فإننا نقف، بحسرة، على أهمية صفحة من صفحات التاريخ التى يبدى أننا فقيناها تمامًا.

الربتينو متاع لك أسوة بكلابك (٢٢):

ذهب الأثرى والباحث فى الكتاب المقدس، الموهوب دبليو، إف أولبرايت W.F.Albright قبل أكثر من خمسين سنة إلى أن (فراعنة الأسرة الثانية عشرة طمحوا إلى، وفى غالب الأحيان بسطوا سيادتهم المطلقة على فلسطين وفينيقيا، ومدوا نفوذهم بعيداً إلى أوجاريت : Ugarit و قطنة "Oatna" وظل متمسكا بعد ذلك بثريع وعشرين سنة برأيه الذي يقول بـ "غزو فراعنة طيبة" الذين ينتمون إلى الأسرة الثانية عشرة لـ" فينيقيا (٢٤).

قد يحتج هذا أو ذاك بأن أولبرايت ينحو نحو تبنى موقف لغرض خاص عام قبل توفر كافة الأدلة المطلوبة، وفي هذه الحالة كان من السهل أن نشير إلى ندرة، إن لم نقل، انعدام المواد المصرية المستقاة من السياقات الفلسطينية في تلك الحقبة المعاصرة للأسرة الثانية عشرة (٢٦). فتماثيل النبلاء المصريين التي ترجع إلى الملكة الوسيطة، واكتشفت خلال عمليات التنقيب في فلسطين يمكن أن تقيم الدليل بصورة يسيرة ومقنعة على أنها شُونت في مناطق اكتشافها أثريًا بعد صنعها بعدة عقود وربما بعدة قرون، وبالتالي لا تصلح دليلاً على احتلال مصر لفلسطين (٢٧)، وعلاوة على ذلك فإن قراءة متمعنة في النصوص التاريخية التي تعود إلى الأسرة الثانية عشرة لا تكشف قراءة متمعنة في النصوص التاريخية التي تعود إلى الأسرة الثانية عشرة لا تكشف إلا عن دليل وحيد تكتنف الشكوك على حملة عسكرية في آسيا الغربية، أعنى الحملة التي فدها الفرعون "سنوسرت" الثالث (١٨٧٨–١٨٤٢ق.م) ضد بلاد "سيكمني" Skmni (تعرف عادة باسم "سيخيم" أو "شكيم" (Shechem) التي ذكرها أحد جنود "سوبك خو" عادة باسم "سيخيم" أو "شكيم" (Shechem) التي ذكرها أحد جنود "سوبك خو" عادة باسم "سيخيم" أو "شكيم" الفارجية الفرعون "سنوسرت" الأول "سوف يضع أدلى بها "سنوهي" حول السياسة الخارجية الفرعون "سنوسرت" الأول سوف يضع أدلى بها "سنوهي" حول السياسة الخارجية الفرعون "سنوسرت" الأول "سوف يضع أدلى بها "سنوهي" حول السياسة الخارجية الفرعون "سنوسرت" الأول "سوف يضع

يده على البلاد الجنوبية، وإن يحفل بالبلدان الشمالية (٢٩) فإن الأمر الذي يبدو مؤكدًا أن الأسرة الثانية عشرة أدارت ظهرها، بصورة متعمدة، لأسبا الغربية.

ومع ذلك فإن الأدلة المتزايدة تشكل نغمة شاذة فيما وطنا النفس على أن نرى فيه لحنًا متناغمًا. فالفرعونان كلاهما وكذلك عموم الأهالي يرفلون جميعًا في النعوت التي تستند إلى انتصارات مزعومة على الآسيويين في سنوسرت الأول "هو الذي تخضع له كافة البلدان (٢٠٠) و قاطع رقب أولئك الذين يقطنون في آسيا (٢٠١). ويطلق مونتوحوب وزير سنوسرت الأول وأمين خزانته على نفسه لقب ذلك الذي أدخل رعبه (أي رعب الفرعون) في قلوب الأجانب، وأخرس أولئك الذين يعيشون عبر الرمال (٢٢) و مونتو أم حميت Montemetet ، الجنرال "هو الذي أشاد به الفرعون أمام نبلائه المعمد الأعداء الأسيويين، متمردي البلدان الشمالية (٢٠١) ويصف نسو مونتو (٤٠١) الجنرال العظيم الذي يرأس كافة البلاد كيف قضي في أواخر حكم أمين إم حمات الأول على أصحاب القوس المتوحشين، وبالتحديد أولئك الذين يقطنون عبر الرمال فلقد همت القيال حكم "أمين إم حمات" الثالث يتباهي قائد قوات الصدمة (كيلا الطرقات (٥٠١) وخلال حكم "أمين إم حمات" الثالث يتباهي قائد قوات الصدويين (كيلا نقول الصاعقة) التابع لـ أمين إم حمات الثالث يتباهي قائد قوات الصدويين (٢٠١) وبعد ذلك بنحو ثلاث وأربعين سنة ادعي "بتاح – وير" أنه أخضع "أسيا له أي لذلك وبعد ذلك بنحو ثلاث وأربعين سنة ادعي "بتاح – وير" أنه أخضع "أسيا له أي لذلك الذي يجلس في قصره "(٢٠١).

وإذا جاز لنا أن نتشكك في صدق أولئك المتحدثين في ضوء عباراتهم الزاعقة الرنين الفائقة الحماس فإن فقرات أخرى معينة ذات طبيعة عارضة لا تستهدف تمجيد الذات تميل إلى تأكيد شهادتهم. فتأتى من إحدى المقابر التي ترجع إلى حكم "أمين-إم حات" الثاني أو سنوسرت" الأول (القرن التاسع عشر ق.م) لوحة مرسومة لماشية مع تعريف شارح يقول: "ماشية الأسيويين التي سيقت إلى مصر على سبيل [...](٢٨) وتبدأ مقطوعة أدبية ترجع إلى الملكة الوسيطة وتنتمى إلى النوع المعروف باسم "الخطابة"(٢٩) على هذا النحو: في بداية الحديث الذي ساقه كاهن الإلهة "سخمت" ويدعى "رنسو- نب" Rensoneb عند عودته من سوريا في معية المشرف العام على أمناء الخزائن "سينيب - تفي" Senebtify وبالإضافة إلى ذلك نجد الوثائق الإدارية

التى يرجع تاريخها إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر ق.م تشير بشكل عرضى إلى الأسيويين، رجالاً ونساء الذين يُستخدمون فى شتى الأعمال فى المعابد والبيوت الخاصة كخدم ويوابين وراقصين (١٤). وفى إحدى المرات نجد بينهم رئيس قبيلة (٢٠) ويحمل معظمهم أسماء مصرية منتطة، ومركبة فى غالب الأحيان على اسم 'بتاح' كما لو كانت 'منف'، مقر عبادته، تشكل نوعًا من 'دار تخليص' النازحين الأسيويين. ويكشف أحد جداول نوبات العمل فى "عزبة خاصة يضم سبعة وسبعين اسماً مقروءًا (من أصل خمسة وتسعين اسماً) أن ثمانية وأربعين شخصًا على الأقل كانوا من الأمورين، معظمهم من الإناث (٢٠).

لا يستطيع أحد أن ينحى جانبًا هذا الدليل. فمن جانب تشير تلك النعوت بشكل صريح، إلى أنه من حق الفرعون أن يعاقب أسيا وأن يستغلها، وتقوم فى ذات الوقت كشاهد على أنه، هو وأتباعه، قاموا بذلك، ومن جانب أخر تكشف المراجع العابرة فى وثائق التعامل التجارى عن وجود نوع من الغنائم فى مصر إلى جانب عدد من الأنفار ممن يتوقع المرء أن يأتوا إلى مصر خلال مثل تلك التجريدات.

ويقدم نقش جديد ومهم يرجع إلى سقارة جرى نشره فى سنة ١٩٨٠ (13) دعمًا كاملاً للاتجاه الذى شرع النقاش يأخذه عند هذه النقطة، كما يلقى فيضًا من الضوء على ما كان المصريون يريدونه حقًا من أسيا، والنهج الذى سلكوه فى الحصول عليه. ولقد فقد النقش، بحالته الراهنة، بدايته ونهايته، وبالتالى غاب عنا الهدف الذى أستهدفه الكاتب/النجات وراء نسخ هذا النقش مرة أخرى. ولكن لا يخامرنا سوى أقل شك فى أننا نقف أمام مقتطف أصلى ومسهب من دفتر اليومية الخاص بقصر الفرعون(10). وقد نقل النقش إلى الحجر، وقد تكون الأحداث التى وقعت فى سنة المعجزات Annus mirabilis قد بلغت من الأهمية وقت ذاك حدًا جعل إذاعتها على هيئة نصب تذكارى أمرًا، اعتبر، مستساغًا.

ويبدأ النص في الحالة التي حفظ عليها، بسجل لقرابين الاحتفال والعطايا التي تنم عن التقوى (بتفويض ملكي دون شك) إلى الفرعون المتوفى "سنوسرت" الأول بما في ذلك تمثال مهيب للفرعون "أمين - إم - حات" الثاني وموائد قرابين وصناديق بمحتويات من أوازم عبادة الفرعون أسنوسرت الأول في المعبد الجنائزي لـ تيتي (١٠٠٦). ثم ترد بعد ذلك العبارة الموجازة: 'أرسل الجيش إلى خنتى - شأي 'Khentishe (أي الساحل اللبناني). ويسجل العمود التالي إرسال الجيش مع قائد قوات النخبة وقائد الجيش كي يسهدموا "يوايس" في أسيا [...] ثم يتلو ذلك قيد بالهبات المرفوعة إلى الإله "مونتو" وإلهة أخرى ثم يأتى بعد ذلك وصول النوبيين والأسيوبين بالجزية (13-XTII) ثم يأتي مدخل وصول الجيش الذي أرسل إلى مصاطب الفيروز. ما الذي أحضروه... (قائمة بالسلع، بعضمها بأعداد هائلة). يعقب ذلك قائمة بعطايا العبادات التي تشمل عددًا من القطع المعمارية الطابع لأحد معابد الفرعون "سنوسرت" الأول(٢١) ثم يأتي المدخل الذي يقول: " قدوم المتضرعين إلى "تمبايو"، وقد جلبوا معهم: الرصاص و ٢٣٨ سبيكة [... (×+١٦). وصول قوات الصدمة التي أرسلت كي تدمر مدن "يواي" ١٣٩٥ و "ياسى" القوات من هاتين المدينتين عادت بهم هذه القوات من هاتين المدينتين الأجنبيتين: ألف و ٥٥٤ أسير أسيوى بالإضافة إلى النحاس الأحمر- مع - الخشب(٤٨) وبلط الحرب وعشرة سيوف محدية (١١). ٣٣ خنجرًا ١٢ سكينًا (؟) و ١١ ... وتستمر القائمة حتى تضم سبائك نحاس وسكاكين سلخ ورماح وسبائك ذهب ودفوقًا ولازورد وأحجاراً كريمة وفخارًا أسيويًا. "(عسودة الجيسش) الذي أرسل إلى "خنتي - شي Khenty-she في عشر سفن. وما جلبه: فضة ١٦٦٥ وحدة [... ×+١٩)...] ذهب (؟) ٤٨٨٢ وحدة، نحاس ١٥,٩٦١ وحدة ... " ويتبع ذلك سجل مستفيض بمفردات السلع، وكلها مدونة بكميات وفيرة تشمل المأكولات والأحجار الكريمة والزبوت والأشجار والأسلحة المصنوعة من النماس (والمطعمة بالذهب أو الفضة أو العاج) والسفن والنبيذ والأخشاب العالية الجودة، وتسجل الأعمدة الباقية من النص وقائع نزهة ترفيهية يقوم بها الفرعون وبلاطه إلى الفيوم، ومكافأة الضباط الذين قادوا تلك التجريدات العسكرية، وبدء الدخول (على ما يبدو) في سنة جديدة من حكم الفرعون "أمين - إم - حات" الثاني.

يصعب علينا، مهما قلنا، أن نبالغ فى تقدير الأهمية التى تنطوى عليها هذه الوثيقة. فلقد رفعت النقاب على حين غرة، على نحو ما حدث، عن الأسرة الثانية عشرة فنرى بلاطًا وحكومة واسعى الثراء وراسخى القدم وشديدى الفعالية وقادرين على إنفاذ إرادتيهما، ليس داخل البلاد وحسب بل ووراء الحدود كذلك. أضف إلى ذلك أن المرء

يستشعر ميلها أى هذه الأسرة نحو القسوة ففي غضون سنة واحدة أرسلت تجريدات شبه عسكرية بأحجام ملح وظة، لتأمين مصادر كل من سيناء (المصرية) ولبنان، كما بعثت بحملتين تأديبيتين إلى ثلاثة مواقع أسيوية، ووصل المقهورون بجزيتهم على أكتافهم من "كوش" وربما من أسيا كذلك. وكانت كمية المنتجات والمعادن والسلع التي غنمها المصريون هائلة، وحتى أعداد الأسرى كانت كبيرة بشكل ملحوظ، رغم أن عدد الأسلحة (الذي قد يومئ إلى أعداد القتلى الذين سقطوا من الأعداء خلال المعارك) يبدو متواضعًا وبذلك لم يعد بوسع الدارسين أن يزعموا أن الملكة الوسيطة لم تهتم بأسيا: لقد اتضح الآن، عبر أدلة غزيرة، أن فراعنة الأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة، القتفوا أثر أسلافهم من فراعنة الملكة القديمة، في النظر إلى أسيا الغربية والمشرق بالذات، كممتلكات خاصة يحوزون حق استغلالها إلى أقصى ما يستطيعون.

من جانب آخر لعله من الواضح بنفس الدرجة، أننا لا نستطيع الحديث عن

إمبراطورية بالمعنى الرسمى، حقًا كانت الألقاب التى تنطوى على الاستعمار والاحتلال والهيمنة العسكرية معروفة منذ الملكة الوسيطة، ولكن هذه الألقاب ظهرت بصفة رئيسية على الساحة النوبية. ولكن قرارًا سابقًا كانت الأسرة العاشرة قد اتخذته تجاه الشمال: أن تبقى على الخط بمعنى أن تستمر على أهبة الاستعداد، ففى تلك العهود كانت المدن على الحدود الشرقية للدلتا مأهولة بالسكان ومحصنة بالقلاع فى محاولة لحمايتها من الغارات التي يشنها الأسيويون عليها بين الحين والآخر (٥٠٠). ومع صعود الفرعون "أمين - إم - حات" الأول إلى سدة الحكم، أقيمت قلعة جديدة، في وادى طميلات "طريق حورس"، التي تقع في تلك البقعة الجرداء من الصحراء بشمال شرق الطرف الشرقي للدلتا (٢٠٠). حيث يقيم "قائد ... يتولى مسئولية دورية الحدود"، وهي عبارة عن فصيلة من رجال البوليس مكلفة بمراقبة القفار المجاورة (٢٠٠). ولكن أحدًا لم يبذل أي محاولة لفرض أي مراقبة دائمة على التجمعات التي تقيم فيما وراء سيناء.

وفى طوعنا أن نقول ذلك باطمئنان نظرًا لأن الدليل الذى نستطيع استنتاجه من مسمت الوشائق فى هذا المجال مقنع، وتتضافر نقوش كثيرة تركها أناس عاديون، مع النص الصولى Annalistic الذى تطرقنا إليه للتوكي تبدد أي شك حول وجود

المسريين والغرض من وجودهم فيما وراء حدود الدلتا. فهناك النقابون "النين يجوسون خلال البلاد (اف) في بحثهم عن المناطق التي تضم أراضيها معادن أو منتجات مما قد ينطري على نفع ما للفرعون وفي أعقابهم تسير القوات شبه العسكرية كي تفتح الأراضى الأجنبية وتجوس خلال كافة البلاد"(٥٥)، وتدوس أقدامها البلاد الأجنبية باسم سيد الأرضين في مهمات لحورس القصر، تتمثل في قمع البلدان الأجنبية (٥٦) ثم جاء أمناء خزائن الإله (الفرعون) ومستشاروه (٧٥) مع جيوش من الفنيين، 'يقودون أعدادًا غفيرة في أرض غريبة ... ويصلون إلى أقاصي البلاد الأجنبية سيرًا على الأقدام ويطأون الوديان الوعرة(٥٨)، كي يعودوا بالأحجار الكريمة لجلالته (٥١). أو ببساطة "لإحضار ما تتوق نفسه إليه (٦٠). وفي بعض الأحيان تصل إلى أيدينا، وخصوصًا من السياقات الأثرية المعاصرة للأسرة الثالثة عشرة، جعارين نسيها بعض أعضاء تلك التجريدات(٦١)؛ حامل أختام الفرعون لشئون الوجه البحرى، وهو لقب يحمله قادة التجريدات، كبير كبراء القاعة، وهو لقب غريب تلقُّب به نوع من الوكلاء التجاريين للمعابد ومدير القصر وكاتب الجيش (أو التجريدة)(٦٢) ومدير المراسم ورئيس العشرات في الوجه القبلي (أي خولي العمال)، وأعضاء طاقم الماكم (أو المائدة) (أى ربابنة السفن الملكية). وتلك هي رتب الضباط والمستولين التي عثرنا عليها مع التجريدات التي أرسلت في سبيل التعدين أو التجارة أو قطع الأحجار سواء في النوبة أو الصحراوات أو شبه جزيرة سيناء، ولكن ما من رتبة من هذه الرتب تشير إلى أي وظيفة مرتبطة باحتلال دائم من النوع الإمبريالي.

وحيثما فشل الاستغلال في ظل الإرهاب لجأ الفرعون إلى استزراع الاصدقاء. واستتبع ذلك نوع من سياسة تقديم الهدايا بشكل متبادل على ذلك المستوى العالى الذي نصادفه بصفة رئيسية بين ملوك الشرق وهو الأمر ألذى تشير إليه ألقاب حملها مسئولون ملكيون من قبيل "ذاك الذي يصطحب أثار جلالته إلى الأراضى النائية"(١٦). وقد ظهرت تلك الهدايا رهن الحديث، في الواقع، خلال عمليات التنقيب في المشرق، وبصفة رئيسية في المدن السورية المهمة: "إيبلا " abba و "أوجاريت" و "قطنوم" و "بعلبك" و "بيلوس" و "بيروت"(١٤). وبينما ترجع بعض تلك الأشياء الثمينة إلى عمليات السلب والنهب التي قام بها الحكام الهكسوس من مصر(١٥)، فإن العبارة الصريحة التي وردت

على لسان "سنوهى" تكشف عن أن هذه العادة كانت شائعة منذ بداية الأسرة الثانية عشرة (٢١). والواقع أن هناك أدلة تكفى لتصبوير جولات وصولات الرسل المصريين فى ربوع المشرق. وعندما وصل "سنوهى" إلى مرتبة شيخ كبير فى منفاه الاختيارى وسط بدو فلسطين، استطاع أن يزهو بأن "الرسول الذى يتوجه شمالاً أو جنوباً من أو إلى المقر المصرى دأب على أن يستريح قليلاً فى مقر إقامته (١٧). و غصت كافة البلدان بأعداد وفيرة من عدائى (رسل) الفرعون "سنوسرت الأول (١٨)، وبلغت مهنة الرسل حداً من الشيوع جعل من المكن أن يسخر أحدهم من مخاطرها على هذا النحو: " قد يوصى الرسول الذى يتوجه فى مهمة ما إلى خارج البلاد، بمنقولاته لأبنائه نتيجة لرعبه من الضوارى والآسيويين (١٩٠).

من حياة الوير إلى حياة الحضر

فلسطين بتحت ظل الأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة:

ترى ما نوع الأرض التى عرفت باسم "ريتينو" Retenu التى وجه فراعنة مصر نحوها اهتمامًا نشطًا اعتبارًا من سنة ٢٠٠٠ حتى ١٧٠٠ ق.م؟ على نحو ما رأينا قبل قليل ادعى كل من الجنرال "أنتيف" Antef و "نسو – مونتو" Nessumentu أنهما دمرا مستوطنات حصينة فى ذلك الصقع من أصقاع آسيا الذى قادا إليه التجريدة تلو التجريدة، ويكتب نص "أمين – إم – حات" الذى وصل إلى أيدينا من "سقارة" أسماء الأماكن داخل أشكال بيضاوية مشرشرة. الأمر الذى يشير إلى مستوطنات مسورة تحميها الأبراج. وهناك ترجمة شبه مقنعة لفقرة فى "نفرتى" قد توحى بأن سكان آسيا النربية المتاخمين لصر، كانوا قد أنقنوا مع مطلع الأسرة الثانية عشرة فنون فرض الحصار. وقد يؤيد كل ذلك الرأى الذى يذهب إلى أن القرنين العشرين والتاسع عشر ق.م شهدا، مرة أخرى، ظهور سكان مستقرين حضريين ولكن هل تتمتع الأدلة فى هذا المجال بالاتساق من أولها إلى أخرها؟

تكشف الصورة الأثرية التي فحصناها من قبل(٧٠) عن مجتمع أو تجمع فلسطيني خلال القرنين الأخيرين من الألف الثالث، وقد ضربه التحول على أيدى أقوام يجهلون الاستقرار ويعيشون على الترحال. ويبدو أن منشأ هذه الثقافة يعود إلى سهوب أو براري ضفاف نهر الأردن Transjordan حيث أسفر التغلغل الثقافي والسكاني في الاتجاهين الغربي والجنوبي عن انتقال السكان إلى جنوب فلسطين و النقب (١٧) وبينما أعالت منطقة 'النقب' منذ ذاك الحين فصاعدًا تجمعًا أكبر قليلاً مما كان عليه الحال في وقت سابق، إلا أنها ظلت، مع ذلك، منطقة بدوية غير جاذبة nonnucleated ، وهو الأمر الذي لم يؤد إلى عملية استقرار (٧٢). وتكشف لنا عمليات التنقيب التي قام بها وليم ديفر" William Dever في "بير ريسيزيم" Bir Resisim ، الرضع الذي كانت عليه على وجه التحديد خلال أيام حقبة/طبقة رقم EBIV . فلقد عثر العلماء هنا على نحو ثمانين كهخًا منتظمة في خط منحن، ومعدة لتوفير المبيت، على أساس فصلي فيما يبدو، لقبيلة صغيرة لا يزيد تعدادها عن خمسة وسبعين شخصًا، ويعيشون على الفلاحة الجافة (أي على الأمطار) والرعى وقليل من التجارة(٧٠). ولابد أن معظم أراضى فلسطين وجنوب سوريا كانت موطئًا لمثل أولئك الرعاة شبه البدو الذين يتجولون حول التلال التي تخلفت عن الدمار الذي لحق بمدن مطلع العصير البرونزي دون أن يفكروا بالمرة في الاستيطان المستقر. وكانوا إذا ما عادوا، في واقع الأمر، بصفة دورية إلى مدن الماضي، فإنهم لا يعودون إلا في فصل الصيف كي يدفنوا موتاهم في المقابر التقليدية التي أضفى عليها مرور الزمن بعض القداسة، في قبور أسطوانية الشكل عميقة الغور تقود إلى الحجرات المنحوتة في الصخور. فهنا، استودعت جثث مشوهة أو وسعد أبطال مزودون كل منهم بخنجر كي يستخدموه في الدفاع عن أنفسهم في العالم الآخر(٧٤). وكانت أنيتهم من الفخار الفشن، وكانت من صنع أيديهم المجردة .ومحززة ببعض نقوش الزينة التي غالبًا ما كانت ترتدى أطرًا Calciform وتدور حول مقابض الحوافي(٧٠). وعلى النقيض من ذلك، ، فإن معرفتهم مع ذلك باستخراج المعادن كانت، لدهشتنا، متقدمة. وإذا كان لنا أن نحكم استنادًا إلى الرسومات الملونة في مقبرة "بني حسن" الشهيرة فلسوف يلوح لنا أن عشائر محدودة العدد كانت ترتحل حاملة الكور والسندان كي تتكسب على وجه الاحتمال من هنا ومن هناك نظير أعمال

اللحام والسمكرة، خصوصًا إذا ما استدعى المرء إلى ذهنه الكينيين Kenites الذين ورد ذكرهم في أوقات لاحقة في "التوراة" (٢٦). على أن مخابئ سبائك النحاس والأسلحة (البيضاء) بغية إعادة صبها، مما وصل إلى أيدينا خلال الاكتشافات الأثرية التي ترجع إلى تاريخ طبقة رقم EBIV-MBI تؤيد تمامًا الأدلة المستقاة من النقوش (٢٧).

وتعزز قصة "سنوهي" في المنفي، التي أشرنا إليها سابقًا، الصورة الأثرية إلى الحد الذي يصل إلى الكمال(٧٨). في "سنوهي" المسئول المتوسط الرتبة الذي يعمل في خدمة الملكة هرب في الوقت الذي اغتيل فيه 'أمين - إم - حات' الأول إذ اعتقد أنه سيجرد من حماية القانون في ظل الصرب الأهلية التي استشعر وقوعها، لا محالة، في أعقاب الحادث. وقادته قدماه في هرويه باتجاه الشرق نحو تخوم الدلتا ثم مر بالحصن الحدودي ليلاً ووجد نفسه وقد توغل في سيناء، ويقول: واصلت رحلتي في غبش المساء وعندما أطل الشيعاع الأول للنهار؛ كنت قد بلغت بيتين Peten وملت كي أستريح على جزيرة في "الأسود العظيم"(٧٩). واستبد بي العطش، وذبل جسمي وتشقق حلقى، فقلت لنفسى: "هذا هو طعم الموت!" ثم تمالكت نفسى ولملمت أطرافي، فلقد وصل إلى أذني خوار المواشي، ولمحت على حدود الشوف بعض الأسيويين. وتعرُّف عليُّ شيخهم (٨٠) الذي كان قد سبق له زيارة مصر وأخذ "سنوهى" ينتقل من تجمع لآخر بعد أن أنقذته ضرية الحظ تلك، مصعدًا نحق الشمال: سلمتني البلاد، بلدًا لأخر، وانطلقت في طريقي إلى "بيبلوس" ثم قفلت راجعًا إلى "كدم" Kedem حيث قضيت سنة ونصفًا. وطلبني "نينشي" Nenshi بن عامو Ammu حاكم "ريتينو" العليا وقال لي: اسوف تسعد بإقامتك معى، فاسوف تسمع أنناك لغة مصر!" ولقد أبلغني بذلك لمعرفته بطباعي. وكان قد سمع أنني على درجة كبيرة من البراعة. وكان المصريون الذين يقيمون معه قد أدلوا بشهادتهم إليه عنى.

ويبدو واضحًا أن سنوات الصراع المدنى في مصر دفعت كثيرًا من المصريين إلى المنفى في المشرق حيث شكلوا جالية وثيقة العرى.

قام 'نینشی' Nenshi بتزویج کبری بناته له 'سنوهی' وأسکنه فی رقعة من الأرض تابعة القبیلة. وهکذا عاش حیاته کشیخ بدوی وسرعان ما اکتسب الغنی

والصيت وصار معدودًا بين أشهر الأغنياء. ولكنه لا يكشف لنا عن عدد السنوات التى قضاها في التصارح، إلا أنه يقول إنه رأى أيناءه بعد أن شجوا عن الطوق وصاروا يافعين، وأصبح هو رئيسًا لعدد من العشائر، وهو الأمر الذي يعنى بالضرورة أن إقامته هناك امتدت لعدة عقود من السنين.

غير أن هذا النجاح ذاته الذي حققه أثار حفيظة البدو المحليين:

وحدث أن قدم رجل وافر القوة من "ريتينو" كي يتحداني في خيمتي. وكان في وطنه بطلاً لا يضارع، أنزل الهزيمة بكافة منافسيه. وقال لي إنه يعتزم منازلتي، متصوراً أنه سيغلبني مضمراً في طوية نفسه، بناء على نصح أبناء قبيلته، أن يستولى على ماشيتي كفنائم، وكان أن عقد 'نينشي' Nenshi اجتماعًا معي، فقلت له إنني لا أعرف ذلك الرجل. ولم ألتق به من قبل. ولم أكن، في واقع الأمر، مرتبطًا معه بعلاقة تسميح لى أن أجوس بين مخيماته. أوليس حقًّا وصدقًا أننى لم أطرق يومًا بابه، أو حتى عبرت ربوعه؟ ترى هل هو الكره، لا غير، الذي نجم عن رؤيته لي أؤدى ما تكلفني به من مهام..." وكان أن شددت قوسى، أثناء الليل، ومرنت نفسى على إطلاق سهامى وأشرعت خنجرى وجلوت أسلحتي، ومع انبثاق الضوء الأول للنهار، حضرت "ريتينو" بعد استنهاض قبائلها، واحتشد أكثر من نصف سكانها كرجل واحد. وانصب الاهتمام كله على هذا النزال. اقترب ذلك البطل منى بينما كنت واقفًا رهن الانتظار. فاقتربت حتى صرت في مرمى يمينه. احترقت القلوب قلبًا قلبًا. وتأوه الرجال والنساء من أجلى. وانقبضت القلوب إشفاقًا على. وقال قائلهم: أليس هناك رجل أخر قوى يستطيع منازلته؟ ثم التقط درعه وبلطته ومالاً ذراعه (إبطه) من الحراب. والآن وبعد أن راوغت حرابه وجعلت سهامه تخطئني وتمر عن يميني وعن شمالي واحدًا إثر الأخر، دون أن تصيبني حمل على، إلا أنني عاجلته بسهم من قوسى استقر في عنقه. فانكفأ على أنفه في صرحة مدوية. وعندئذ أجهزت عليه ببلطته وأطلقت صيحة القتال التي كنت أذكرها، على ظهره بينما جأر الأسبويون فردًا فردًا. وما كان منى إلا أن حمدت إلهي "مونتو" Montu في الوقت الذي ناح عليه خلاته. إلا أن الارتياح الواضح الذى يروى به بطلنا الفخور بنفسه مغامراته، لم يستطع إخفاء شوقه إلى العودة إلى مصر. وكان من الجلى أن "سنوهى" كان عليل الحنين إلى الوطن فلقد سنال أسئلة على جانب كبير من الحذر، وأرسل ما يشبه قرون الاستشعار في كافة الجهات وبعث بالخطابات. وفي نهاية الأمر رد عليه الفرعون "سنوسرت" الأول شخصيا: بالطبع يستطيع "سنوهى" أن يعود إلى الوطن، فلم يكن قد صدر عنه خطأ كي يحتاج إلى غفران. وكان مكانه في مصر محفوظًا في خدمة الملكة، وليس ضمن شرائح الموظفين العموميين الذين لزموا درجة وظيفية غفلت عنها الآلهة.

وبناء عليه أعد "سنوهى" العدة للعودة. واستقبله عند الحدود المصرية وفد حمله مصعداً مع نهر النيل حتى المقر الملكى فى "إيتى - تووى" (يشت حاليًا)، حيث كان الفرعون "أمين-إم-حات" قد شيد عاصمته، ولكن الوساوس ظلت تستبد بالرجل تجاه سلامة نية القرعون. أيكون الأمر مجرد خدعة لإغرائه بالعودة إلى مصر ثم الزج به فى السجن أو حتى إعدامه؟ حقًا تعد رواية "سنوهى" للقائه مع الفرعون تحفة رائعة من الوصف النفسى البالغ الحساسية:

استدعونى عند الفجر وأخذ عشرة رجال بأتون ويروحون كى يقوبوا خطاى داخل القصر. انحنيت حتى كادت جبهتى تلمس الأرض بين تماثيل أبوالهول بينما كان الأمراء الصغار يقفون فى إحدى الشرفات التى تعلو رأسى. وقادنى رجال البلاط إلى القاعة الواسعة ووجهونى إلى الأجنحة الخاصة. وجدت جلالته جالسًا على العرش العظيم فى مقصورة من الإلكتروم، وسرعان ما انبطحت على بطنى، لم أعد أعرف نفسى فى حضور جلالته. إلا أن هذا الإله خاطبنى بلطف. لكننى كنت أشبه برجل اختطف فى وحشة الليل: فارقتنى روحى وارتجفت أطرافى. وبدا وكأن قلبى لم يعد فى جسمى! وعندئذ قال جلالته لأحد رجال البلاط: ارفعه عن الأرض. واسأله أن يتحدث معى "ثم قال جلالته" اسمع! لقد وصلت إلى هنا بعد رحلة هروب طوفت بك فى البلاد الإجبية. وهاجمتك الشيخوخة. وتمكن منك الضعف والوهن. ومثوى جثمانك ليس أمرًا هيئًا. وما كان للبدو أن يتولوا أمر دفنك! لا لا ما كان ذلك ليحدث قط!... أنت لا ترد على من يناديك باسمك فهل تخشى عقابا؟ فأعطيت إجابة أشبه بإجابة رجل خائف: على من يناديك باسمك فهل تخشى عقابا؟ فأعطيت إجابة أشبه بإجابة رجل خائف: ماذا قلت يا مولاى لى؟ إنها يد الإله ليس إلا. انظر إننى فى حضرتك، وحياتى بين يديك.

ولتفعل ما تشاء. عندئذ سمح جلالته فأدخل رجال البلاط الأمراء الصغار. وقال جلالته للملكة: انظرى! هذا هو "سنوهى" وقد حضر إلينا أسيويًا، من صنع البدو!. فنطلقت الملكة صيحة عالية وتصايح الأمراء الصغار معًا، وقالوا لجلالته: إنه ليس "سنوهى" الذي نعرفه. يا إلهى المتعالى! ولكن جلالته قال: لا إنه في الحقيقة هو.

تمد قصة أسنوهي"، وسواء أكانت من نسبج الخيال أو لم تكن(٨١)، الأسرة الثانية عشرة بتحفة رائعة من أدب الدعاية. فرغم الاضمطراب والتشرذم اللذين خلقتهما الحرب الأهلية، كانت مصر لا تزال وطنًا لكل المصريين: عودوا إلى أرض الوطن أيها المنفيون من منفاكم، كل الخطأيا مغفورة! ولسوف يجلب الإخلاص للفرعون/الإله والعمل في خدمته السعادة والرخاء. فالفرعون يتحلى بالصبر والفطنة والغفران كما أنه بعرف كيف يرعى رعاياه. وهو ليس مطبوعًا على الانتقام. فلنتعاون جميعًا على دفن الماضي ولنعمل سبويًا في تناغم في سبيل وطن أعظم وأسعد. في ضوء الهدف الصالى الذي نستهدفه تشحب هذه الروح الخلقية البادية للعيان عند مقارنتها بالصورة الصادقة المفصلة التي يرسمها الراوي، دون قصد منه، لفلسطين في النصف الثاني للقرن المشرين ق.م. فـ سنوهى لا يشير إلى أي مدينة، اللهم سوى بيبلوس خلال رحلاته الواسعة النطاق. فحيثما توجه في أرجاء فلسطين وسوريا الداخلية أو وادى "البقاع" Coele-Syria لم يصادف سوى زمر من البدو الرحل الذين يقيمون في الخيام أو داخل أحواش مسورة (٨٢)، ويرعون قطعانهم ويغزون بعضهم البعض الآخر. وكانت الحيوانات المستأنسة عندهم الأغنام والأنمام والماعز والصمير، ولو أن الأنعام كانت بالنسبة لهم أهم تلك الحيوانات قاطبة (٨٢)، وبالتالى احتل الكلأ والأبار منزلة عالية لا يعرفها سوى البدو في حياة العشيرة(٨٤)، واشتمل غذاء الجماعة على لحوم الأبقار والدجاج وفرائس الصيد البرى والألبان والضمور (٥٥). وهذه الخصور تثبت إلى جانب ذكر أشجار الفاكهة (٨٦) أن تلك العشائر عرفت نوعًا ما من أنواع زراعة البساتين. ورغم هذا الدليل على فلاحة الأرض، بالإضافة إلى الفلاحة الجافة المحدودة التي تقوم عليها شواهد من تجمعات طبقة رقم EBIV ، إلا أن القنص البرى أو قنص الحيوانات ظل وسيلة رئيسية من وسائل المعيشة (AV) وكانت تلك العشائر تدفن موتاها في جلود الأغنام، وتقبرهم في مقابر سطحية يحيط بها سور واطئ، وهذه عادة كان المصريون ببغضونها (٨٨). وكان التنظيم السياسى بدائيًا متخلفًا ويسير وفقًا للقراعد القبلية. فالقبائل القبلية تقسم إلى عشائر والعشائر بدورها إلى عائلات (() و و الفعل الذي تشير به لغتهم إلى دور الشيخ / الرئيس إزاء ناسه: دسر "يعنى "أن يقمع وأن يخمد وأن يكبت"، يعكس بصورة حية الطابع البسيط غير المركب لوظيفته (()).

ولقد برهن علم الآثار على أن هؤلاء الأقوام حازوا خبرة واسعة في تصنيع أسلحة عالية الجودة، ويشير وجود أسلحة في قبورهم إلى أنهم كانوا مولعين إلى حد كبير بالحرب. وتؤكد جولة النزال الشهيرة التي خاضها "سنوهي" ضد بطل "ريتينو" حقيقة أن الأعراف القبلية كانت توفر قناة مشروعة لحسم مثل هذه "الخناقات" ولا يخلو من مغزي، أن تكون الأسلحة التي يعول عليها "سنوهي"، هي نفس الأسلحة التي كشفت عنها عمليات التنقيب ودراسات النقوش: القوس (pdt) والخنجر (ps gsw) والرمح والبلطة (11).

حقًا رحب أشباه البدو أولئك بـ "سنوهى" وغيره من المنفيين في العيش بينهم، إلا أن العداوة الأساسية ظلت قائمة على ما هي عليه بين الفلاح المصرى المستقر والفلسطيني الذي يعتمد على حياة الترحال في عصر طبقة رقم BBIV ويلخص "سنوهي" طبيعة هذه العلاقة بصورة بليغة على هذا النحو: "ليس هناك بين القواسين من يؤاخى أحد سكان الدلتا. فمن ذا الذي يستطيع استزراع كدية بردى على قمة حيل؟ (١٣)

يبدو أن الشك تبدد الآن، أو كاد، على ضوء هذا الدليل الساطع، في أن المجتمع الذي أصبح يعرف باسم EBIV-MBI ظل محصوراً بشكل ثابت في فلسطين حتى نهاية القرن العشرين ق.م. فهل نستطيع أن نستمد أي دليل من أي مصدر مصرى حول اللحظة التي انتهت فيها فلسطين من حياة الترحال وبدأت فيها حياة الاستقرار؟

نلاحظ في هذا الصدد أن المعلومات المتوافرة عن القرن التاسع عشر قم أي فترة حكم كل من "أمين-إم-حات" الثاني و"سنوسرت" الثاني والثالث و "أمين-إم-حات" الثالث أكثر استعصاء على التطرق إليها، كما أنها تسمح بنشوء تفاسير متعددة. ورغم الحوليات الغنية بمحتوياتها، التي تركها لنا "أمين - إم - حات" الثاني، إلا أنه لا يزال

غير واضح أى نوع من الاقتصاد ذاك الذى كان سائدًا وقت ذاك بين الآسيويين، فيما عدا موقعين محصنين أو ثلاثة مواقع اجتذبت اهتمام حملة مصرية استكشافية. واكن مدينتين صغيرتين محصنتين لا يصنعان مجتمعًا حضريًا بصفة كاملة. وقد ظل الباحثون ينظرون في غالب الأحيان إلى عائلة شيخ "أبشا" Absha التى تضم سبعة وثلاثين فردًا، وقامت بزيارة المديرية السادسة عشرة بمصر العليا خلال حكم الفرعون "سنوسرت" الثانى (١٨٩٧–١٨٨٧ق م. على وجه التقريب) (١٣٠) على اعتبار أنها تمثل، بصورة نمونجية، بدو العصر البرونزى الوسيط، ولكن الصواب يجانبنا، أو يكاد، إذا قبلناها كممثلة لنمط الحياة الذى كان سائدًا في فلسطين في ذلك الوقت. فمثل تلك العائلة تستطيع بنفس الدرجة من السهولة أن تمثل محيطًا اجتماعيًا ينتمى إلى مجتمع أكثر حضرية (١٤٤).

ويتمثل المصدر الأعلى قيمة حول علاقات مصر بأسيا خلال أواخر المملكة القديمة فيما يسمى بـ تصوص اللعن التي لابد وأن يرجع تاريخها إلى ما يتراوح بين ١٨٥٠ و ١٧٥٠ ق.م، وهذه النصوص تعد عمالاً من أعمال السحر التي تستهدف إفناء الأشخاص والأشياء التي يشكل وجودها تهديدًا للقرعون أو لمصر. ويصبور الطقس الذي نعنيه هنا الفرد في الطين المحروق أو الحجر أو الخشب، المنقوش منه وغير المنقوش أو بكتابة الأسماء على الأوعية الفخار، وكانت صيغة اللعنة تتلى، دون شك، ثم يكسر الوعاء(١٥٥). ويمدنا كل معبد من معابد الأهرامات الكبرى، على وجه التقريب، خلال المملكة القديمة بشطف من تماثيل المجانب مكبلين بالقيود (نوبيين أو أسميويين)، ولكن ما نشر حتى الأن لم يتجاوز بضعة أجزاء حول تلك النقوش (نوبية)(٩٦). وفيما يتعلق بالأسرة الثانية عشرة ومطلع الأسرة الثالثة عشرة لم يصل إلى أيدينا سوى أربع قطع تتمل بصورة أو بأخرى بالموضوع: تماثيل صغيرة من حلوان، ومن مطلع الأسرة الثانية عشرة (لم تصلنا أي أسماء أسيوية)(١٧)، وصلت إلى أيدينا تماثيل صغيرة وفضاريات من حصىن نوبي يسمى "ميرجيسا" Mirgissa ، يرجع تاريخه إلى وقت ما يقع بين ۱۹۰۰ و ۱۸۵۰ق.م.^(۱۸) وفخاريات أخرى جرى شراؤها من السوق وانتهى المطاف بها حاليًا في "براين" بألمانيا، وهي ترجع إلى حكم "سنوسرت" الثالث أو أوائل حكم أمين - ام - حات (١٩١) بالإضافة إلى تماثيل صغيرة أخرى مصنوعة من الصلصال عثر عليها المنقبون في "سقارة"، واستقرت الأن في "بروكسل" عاصمة بلجيكا، ويرجع تاريخها إلى جيل أو جيلين بعد الأواني التي تحتفظ بها "برلين"، وهو الأمر الذي يعني أنها ترجع إلى وقت أو آخر خلال النصيف الأول من القرن الثامن عشر ق.م.(١٠٠).

قد يكون في طوعنا أن نقيم البنية الأساسية لهذه النصوص بصورة أفضل خلال إمعان النظر في المجموعة التي تحتفظ بها منها "برلين". ففي هذه المجموعة نجد حول كل من النوبة وأسيا (وكذلك الأمر بالنسبة لليبيا رغم أن النص موجز) الفقرات التالية:

- (1) قائمة بأسماء الشيوخ/الأمراء، ويسبق كل اسم منها هذا اللقب: شيخ كذا (موقع جغرافي) وكافة الأتباع الذين في معيتهم.
- (ب) جملة عمومية الطابع تشمل كافة النوبيين والأسيويين. وتأتى بعد هذه الجملة قائمة بعدة أماكن (١٠١).
- (ج) جملة أخرى عمومية الطابع تعدد وظائف متنوعة: "رجالهم الأقرياء وعداؤوهم يضمرون التأمر والذين ينتوون رفع السلاح، والذين يعتزمون التمرد في سائر أرجاء هذه المبلاد". وبينما تميل الجمل العمومية والوصفية إلى الثبات على امتداد الزمن (١٠٢١)، الأمر الذي تعكس معه، فيما يبدو، نموذجًا أصليًا يرجع إلى مطلع المملكة القديمة، فإن قائمة القسم (أ) تكشف عن درجة ملموظة من السلاسة. وتحوز نصوص أميرجيسا " Mirgissa ستة قيود للقسم (أ) مع ذكر ثلاثة أسماء لمواقع جغرافية (عنقي ذكرت أربع مرات) مع ذكر خمسة قيود للقسم (ب) مع ذكر خمسة أسماء لأماكن جغرافية ثلاثة منها مستخرجة من القسم (أ)، وتكشف نصوص براين عن واحد وثلاثين قيدًا للقسم (أ) مع ذكر خمسة عشر اسمًا لمواقع جغرافية. بينما يحوز منها تقع في القسم (أ). وتقدم مجموعة "بروكسل" خمسة وستين قيدًا للقسم (أ)، تعدنا الستون قيدًا الأولى منها بالقطع المنتظر والمعلومات التشخيصية المقسم (أ)، تعدنا مع ذكر خمسة وخمافية، وتخص القيود الخمسة الأخيرة في المقسم (ب)، وهو الأمر الذي يرفع العدد إلى أحد عشر قيدًا بصفة إجمالية مع سبعة أسماء لمواقع جغرافية، بينها ثلاثة تقع في القسم (أ).

يجدر بنا، قبل المضى قدمًا، أن نضع في حسابنا ما يلي: يستهدف هذا التمرين أن يبطل بأعمال السحر، المكاند والمؤامرات ومحاولات التمرد أو شن الحرب التي قد يقدم عليها أي شخص على ظهر الكرة الأرضية، بمن في ذلك المسريون أنفسهم. ولما كانت تلك الأعمال من أعمال السحر، فلسوف تستخدم بالدرجة الأولى في الحالات التي يكون فيها العمل المباشر (البوليسي أو التأديبي أو العسكري) مستحيلاً، بمعنى، عندما يكون المتمرد المحتمل بعيدًا، من الناحية المادية، عن نطاق السلطة القانونية للفرعون(١٠٢). ولسوف يستخدم ذلك الطقس ضد أي شخص أو أشخاص لا تكون الدولة واثقة من ولائه أو ولائهم، أي أناس لا "يشربون من مياه الفرعون"، وهو الأمر الذي يعنى على وجه التقريب، كافة سكان أسيا فيما عدا 'بيبلوس' ويتوجه اهتمام أولئك الذين يقومون بذلك الطقس بصورة واضحة، نحو الأشخاص دون الأماكن": مضمون النصوص الخاص بأسماء المواقع الجغرافية يفيدنا، وحسب، في التعرف على الأشخاص وتحديد محل إقامتهم، وهناك، بالتالي، احتمال لأول نظرة، بأن قائمة الأشرار المحتملين سوف تكون شاملة عوضًا أن تكون انتقائية (١٠٠١). وأخيرًا، لما كان أشخاص معينون هم الذين يستأثرون بالبؤر الرئيسية للاهتمام، فلسوف يقاوم القسم (i) أي اتجاه إلى الانحدار إلى نموذج مقواب يعاد إنتاجه على امتداد العديد من الأجيال، وبالتالي فإننا لا نتوقع أن نصادف أي أشكال تعبيرية بالية ومهجورة في القسم (أ)(١٠٥) رغم ظهور الطابع المحافظ للتعبير هنا وهناك بوضوح في الأقسام ذات الطابع العمومي، وتضم أشياء من هنا ومن هناك.

ودغم أنه أصبح الآن مؤكداً أن أوانى (طاسات) براين ومجموعة "ميرجيسا" لا ترجع إلى أكثر من جيل إلى جيلين قبل التاريخ الذى تعود إليه تماثيل "بروكسل" الصغيرة الحجم، وتتسم باختلافات تميز عدد وترتيب الأماكن في المجموعتين فضلاً عن العلاقة التي تربط الأفراد الذين وردت أسماؤهم بتلك الأماكن. فمن ناحية، هناك زيادة مذهلة في عدد الأماكن المذكورة، من خمسة أماكن، وحسب، في "ميرجيسا" إلى أكثر من ستين مكاناً في مجموعة "برلين". ومن ناحية أخرى، نجد في كل من "ميرجيسا" و "برلين" أن العديد من الشيوخ/الأمراء Chiefs مرتبطون باسم مكان واحد منفرد، ولا أقل من ثلاثة في ست حالات. وفي نصوص "بروكسل"، مع ذلك، نجد أن كل مكان

مرتبط بشيخ/أمير واحد (١٠٠١). وبالإضافة إلى ذلك ففى أوانى "برلين" نرانا نفتقر، على ما يبدق، إلى أى ترتيب جغرافى لسياق الأماكن: ف" رحوب" فى " الجليل" تتبعها مباشرة. أشناه في غرب "يهودا" (١٠٠١). و "أرقاطة شيمالى "بيبلوس" تسبق عشقاون " Ashkelon . ولكن نصبوص "بروكسيل تصنف أسيماء الأماكن وفقًا له "الإقليم"، ما لم تُصنف في سياق مذكرات الرحالين.

راودت البعض منذ مدة طويلة ظنون قوية بأن مجموعتى النصوص، التى تفصل بينها مدة ملحوظة، تضمر فى ثناياها حقائق تاريخية أو مجتمعية (١٠٠٨). وقد تركز النقاش حول هذا السؤال: لماذا تضاعف عدد الأماكن ثلاث مرات خلال المدة التى انقضت بين مجموعة "برلين" ومجموعة "بروكسل"؟ لا يستطيع الأمر أن يعكس مجرد وعى المصريين المتجدد والمتنامى بالجغرافيا السياسية لفلسطين وجنوب سوريا: فالأدلة التى استعرضناها للتو تكشف جميعها وبون استثناء عن ألفة وعلاقة حميمة فى التفاصيل (خلال المناوشات الحربية المتكررة) مع المناطق القريبة فى غرب أسيا.

يتعين علينا أن ننطلق من حقيقة بارزة في عملية التحقيق: عندما كتبت نصوص "براين" كان التعويل على التعرف على هوية شيخ/أمير معين عن طريق "محل إقامته "براين" كان التعويل على التعرف على هوية شيخ/أمير معين عن طريق "محل إقامته الفرعون "سنوسرت" الثالث، كان المصريون قد عرفوا مشيخات/إمارات Chiefdoms الفرعون "سنوسرت" الثالث، كان المصريون قد عرفوا مشيخات/إمارات خلال عدد محدود من الأماكن، حيث جرى تعريف الأفسراد على هذا النصو: "شيخ أو أمير"، هذا المكان أو ذاك (رغم أن ذاك قد يكون تبسيطًا شديدًا من جانب مصر). وفي الوقت الذي كتبت فيه نصوص "ميرجيسا" Mirgissa ، تشير أربعة أسماء لأماكن جغرافية إلى مواقع على ساحل البحر المتوسط "بيبلوس" و "أولازا" Shutu وعلى وجه الترجيح " عنقى" و "مجر" مساحل البحر المتوسط "بيبلوس" و "أولازا" Shutu أما أواسط فلسطين فلم يرد لها ذكر. وهذا الأمر يكمل الصورة التي نستطيع استناجها من النصف الأول لحكم الأسرة الثانية عشرة كما تبدت خلال النصوص المتدت إلى الساحل، وإقامتهم لصلات ما مع بدو الضفة الغربية، وتجنب القطاع المتدت إلى الساحل، وإقامتهم لصلات ما مع بدو الضفة الغربية، وتجنب القطاع الأوسط المخافل من السكان في قلب البلاد. ونجد في بيان أسماء المواقع الجغرافية،

في نصوص براين أربعة أسماء تعد، بكل تأكيد، مناطق ساحلية، وهي: أرقاطة و عشقلون و أولازا وثلاثة أسماء بحرية على وجه الترجيح عنقى ، و مجر و صعبة (١٠٠) ومن بين الأسماء الباقية، التى أمكن التعرف عليها، يبدو عندنا اسم أخر هو اسم عام الضفة الغربية: "شوتو"، واسم أخر هو اسم بلدة في غرب "الجليل وهي "رحوب" واسم ثالث هو اسم لإحدى المناطق غربي "يهودا" وهو "أشناه"، وهناك اسم أخر في الهضبة الواقعة في أواسط الجنوب وهو "أورشليم" وهناك اسم خامس على وجه الاحتمال لموقع شرقى آبارون "Barrun في فينيقيا" (موتارا) Mutara على وجه الاحتمال لموقع شرقى آبارون أسماء الأسماء الباقية، فيصعب علينا أن ونظراً لأننا لا نستطيع التعرف، بصورة مؤكدة، على الأسماء الباقية، فيصعب علينا أن نرجم بوجود فجوأت واسعة في توزيع أسماء الأماكن، ولكن ما من اسم من هذه نرجم بوجود فجوأت واسعة في توزيع أسماء الأماكن، ولكن ما من اسم من هذه الأسماء يمكن أن يوضع شمالي منابع نهر "العاصي" أو شمالي وادي نهر "الكبير". وهذا يعني : أننا نتعامل مع نفس المجال العام للمصالح من جانب مصر، على نحو طويلة بلغت قرنين.

قد يشير عدد من المؤشرات إلى أسماء المواقع الجغرافية التى استخدمت كأسماء المؤاليم Regions بدلاً من البلاد الصغيرة. فالعلامة الهيروغليفية: ورقة نبات البوص مكررة ثلاث مرات تسبق العديد من الأسماء، وهي العلامة التي يمكن استخدامها أحياناً لتمثيل (السابقة = preformative) – ى – في اللغة السامية الغربية. ومع ذلك ففي الأسماء رهن الحديث، نجد مع ذلك أنها لا تمثل صيغة التمني precative للفعل، ولكن يبدو أن هذه الأسماء تشير إلى مورفيم منفصل إبي ": "و"، (۱۲۱) بمعني "سواحل" ولكن يبدو أن هذه الأسماء تشير إلى مورفيم منفصل إبي ": "Ethe, 31 بمعني "سواحل" (أو نواحي) كذا، وهو استعمال لنوي مألوف في اللغة العبرية التي كتبت بها "التوراة". وبناء عليه فإننا نجد لدينا "ساحل إقليم "صعبة" sapa (زيته Sethe, 31) وساحل/ إقليم الذروة "زيته" (Sethe, F. 9,13) وبومي اسم موقع أخر إلى انتشار أسماء المشيخات أخرى، ورغم أن أسماء المواقع رهن الحديث، ليست سوى مدن دون منازع، نجد أن أخرى، ورغم أن أسماء المواقع رهن الحديث، ليست سوى مدن دون منازع، نجد أن الاهتمام يتركز، على نحو ما هو مقرر بصورة صريحة، على السكان الريفيين للمناطق المجاورة: قبائل "بيبلوس" (Sethe, F.2) وجميع آسيويي "أولازا" (Sethe, F.3) Ullaza) وساحل إقليم الذروة (Sethe, F.9,13) وجميع آسيويي "أولازا" (Sethe, F.9,13).

لا مناص، على وجه الترجيع، من التسليم بالنتيجة التي يقودنا إليها البحث بأن فلسطين التي تناولتها مجموعة ميرجيسا – برلين Mirgissa- Berlin ليست سوى منطقة من الجيوب الريفية التي لا تضم إلا مدنًا صغيرة أو محدودة الأهمية. و سكان هذه المدن الصغيرة أي الحضريون معروفون، ولكنهم يهبطون إلى المرتبة الأدنى أو يكادون . (Sethe, F.16). وعلى النقيض من ذلك نجد أن مصر تألف تقسيم هذا المجتمع الريفي (الآسيوي) إلى مناطق، حقًا لا تخضع لترتيب منطقى، ولكن بالترتيب العرضى الذي ربما يكون ممثلوها قد ظهروا وفقه في حضرة فرعون مصر. فإحدى الطرق التي تقوم أدلة قوية عليها، ويجرى خلالها احتكاك مباشر أو وجهًا لوجه بين الحكومة المصرية والشيوخ الآسيويين تتمثل خلال استدعائهم للمثول أمام البلاط المصري (۱۱۱).

عندما كتبت نصوص بروكسل، من جانب آخر، لم يشر أي كاتب إلى أي مسئول أجنبي، سواء أكان شيخًا أو خلاف ذلك دون تعريفه باسم المكان الذي جاء منه، وهذا يعني في الغالب (وإن لم يكن دائمًا)(١١٥) اسم مدينة مسغيرة أو بلدة Town. وتعرف نصوص "بروكسل" وجود "قبائل" Clans يتشكلون، على وجه الترجيح، من البدو الرحل، ولكنهم كانوا محصورين في مدينة "ميديان" Midian (كوشو Kushu)(١١٦) أو في الساحل الفينيقي(١١٧). أما الباقي فالترتيب يكتسب مغزاه من نقطة الانطلاق التي تبدأ منها قائمة بالرحلات itineraries . محطات الرحلة: السهل الساحلي الجنوبي و "شيفيلاه" Shephelah (e.55) . والطريق الجانبي من السهل الساحلي عبر "سيخيم" إلى "بيلا" في وادى الأردن، (٥٠٤-) ، والسهل الذي يحيط بـ "حيفا" وشرقى "الكرمل" (e.9-14)، والدرب الذي يمسر خيلال شيمسال وادى الأردن إلى "البيقياع" (e.15-20)، ودرب يخترق الضفة الغربية (e.25-29) ، وأعالى نهر "العاصي" ودمشق (e.30-34) والساحل الفينيقي (38-e.35). وانطلاقًا من هذه النقطة تلقى القراءات العسيرة، وأسماء المواقع الجغرافية المجهولة، بظلال الشك على أي تفسير، ولكننا نصادف بين القيود (= المداخل)، المعسروفة بصسورة مؤكدة إلى هذا الحد أو ذاك كلاً من "أورشليم" (e.45) و "أكـــو" e.59) Lakish " و "شامخونا" e.55) Shamkhuna) و" لاكيــش (e.59) و و ثيبت - شيمش Beth-Shemesh (e.60) . على أن المناطق التي تغطيها مجموعة تماثيل figurines "بروكسل" هي، بصفة أساسية ذات نفس المناطق التي تغطيها نصوص برلين ، ولكن السكان مقسمون هنا ومتميزون خلال مشيخات مستقلة الواحدة عن الأخرى،

كما يبدو أنهم كانوا في تزايد مستمر، وبالإضافة إلى ذلك فهم موزعون في مستوطنات قامت العيان على امتداد الدروب routes التي تربط مصر بالشمال والشرق، وهو نمط مختلف إلى حد ما مما نستطيع ملاحظته في النميوص الأسبق زمنًا. وتعكس نصوص (مواد material) بروكسل زيادة في رقعة الترحال على امتداد محود شمالي جنوبي، وبالتالي، تعين مواقع مستوطنات دائمة على امتداد ممرات العبور (= الترانزيت).

وتحتوى نصوص اللعن Execration Texts على بعض الأدلة على وجود اقتصاد ومجتمع المسيخات التى تضمها هذه النصوص في قوائمها، وفي الوقت الذي صيغ فيه قسم التعميم، كشفت الإدارة والوظائف الاجتماعية التي استطاع كاتبها أن يضعها في قوائم، عن مجتمع صغير بدائي تستند فيه المكانة الاجتماعية للفرد على مدى القرب من شيخ/أمير المشيخة وحجم الثقة التي يوليها إياه (١٨١٨) ويضعنا استخدام مصطلع تخت الذي يعنى: ترجل مفتول. بطل في قلب مجتمع "سنوهي" وهو مجتمع قبلي يعتمد على الترحال، تمامًا مثلما يفعل مصطلع "كونفدرالية" (١١١١)، وحتى تعبير العدائين يستحضر إلى الذهن الوسيلة الأعمق أساسية والأشد بدائية من وسائل المواصلات (١٠٦٠). ومع ذلك نجد في نصوص "بروكسل" أن هذه المصطلحات والتعابير أضرى في وقت سابق، وأقصد في هذا الشأن على وجه التحديد: "الحضريون" أخرى في وقت سابق، وأقصد في هذا الشأن على وجه التحديد: "الحضريون" أخرى في وقت سابق، وأقصد في هذا الشأن على وجه التحديد: "الحضريون" المستوطنات وحسب على امتداد ممرات العبور، ولكنها تشهد أيضاً على نشوء اقتصاد يقوم على الاستقرار (= نقيض الترحال) ويعتمد على الزراعة.

يبدو ألا مهرب أمامنا من التوصل إلى هذه النتيجة الناصعة: تشكل نصوص "مرجيسا" Mirgissa و برلين مجموعة مختلفة في جوهرها عن نصوص "بروكسل"، ولكنها تعكس بصفة أساسية صورة نفس عالم طبقة/حقبة اظلا ، تمامًا مثلما تفعل قصة سنوهي إلا أن نصوص "بروكسل" تشهد، من جانب أخر، على نمو التجارة على امتداد ممرات العبور (= الترانزيت) الشمالية – الجنوبية، وعلى استقرار السكان المصاحب لذلك وهم السكان الذين أمكن التعرف عليهم أثريًا بصفتهم سكان طبقة/حقة ABBIA (۲۲۲).

الممالك الكيرى في المشرق:

انهارت إمبراطورية أور الكبرى في جنوب بابل Babyionia (نحو ١٠٥٠–١٥٠١ق،)،

تلك الإمبراطورية التي ضمت إلى مناطق نفوذها معظم آسيا الغربية، في أواسط القرن العشرين ق.م، وعلى أنقاضها نهضت مجموعة من الدويلات العسكرية التي ورثت نفوذها في المنطقة وكانت الطبقات الحاكمة، بل ومعظم السكان في هذه الدويلات نقوذها في المنطقة عربية تسمى بصفة عمومية الأمورية ، ولكن في الوقت الذي كان في وسعهم أن يتطلعوا إلى الوراء على مرحلة مبكرة من تطورهم عندما كانوا يعيشون حياة خشنة بدوية في السهوب السوزية (الإستبس)، فإنهم كانوا وقت ذاك وعلى امتداد أجيال عديدة قد تعرضوا لمؤثرات الثقافة الأكدية (١٢٠١). ولكن التركيز التاريخي في وادي الرافدين (= ميزوبوتاميا) كان منصباً على دويالات إيسان الاها و الارسا للمعتال العالمية و أيشنونا من أواسط الفرات و آشور في أعالى حجلة ، وتمثلت العملية و خانا عادلخلي الذي استمر حتى الحكم البابلي بحلول سنة ، ١٧٥ ق.م.

وفى فلسطين وسوريا أيضاً كانت التجمعات "الأمورية" على طريق الصعود بحلول منتصف القرن التاسع عشر قسم. فكانت "يامخد" Yamkhad التى ارتكزت على "حلب بشمال سوريا فى نظر معاصريها أقوى المالك "الأمورية" بأسرها. وقد حظيت باحترام كل من "زمرى - ريم" ملك "مارى" و "حمور - ابى" ملك بابل ولقد امتلك أحد ملوكها، وهو يريم - ليم" أسطولاً ضم خمسمائة سفينة تجارية، جابت ثغور "الفرات وتدخلت بصورة فعالة فى سياسات وادى الرافدين. ونظراً لوقوع "يامخد" عبر الطرق التجارية الكبرى، فلقد استطاعت أن تفرض مكوساً على التجارة القادمة من أعماق الغرب حتى قبرص ويحر "إيجة" إلى أعماق الشرق حتى إيران (١٢١). أما "قطنوم" Qatanum المتى تمتعت بموقع لا نظير له فى أعالى نهر "العاصى" فى قلب سوريا، وهو موقع يوفر لها فى الوقت نفسه منفذاً على البحر المتوسط خلال وادى نهر "الكبير"، فكانت قوة كبرى إلى الجنوب من "يامخد". ولقد يسر لها موقعها الجغرافي أن تصبح شريكاً وطيد

الصلة بعملكة "مارى" فى أواسط نهر الفرات: فكانتا تقومان بعمليات عسكرية مشتركة بين الحين والآخر، وأزدهرت التجارة بينهما وبلغ الأمر حد سوق مواطنى "مارى" لقطعانهم كى ترعى فى سهول "قطنوم (١٠٥١). وسيطرت حازور (= حاصور) على جنوب سوريا وشمال فلسطين من موقعها الفريد فى أعالى وادى الأردن. وأخذت ترسل الرسل إلى مارى و "بابل" و" أو جاريت"، وامتدت تجارتها إلى المغرب حتى بلغت بحر "إيجة". وقد يكون فى وسعنا أن نقف على بعض الأهمية التى حازتها عن طريق الحجم النسبى لشحنات القصدير الواردة إليها من مارى": عشرة ميناس minas إلى مدينة "موزونيم" سورونيم" سلاملة التى وردت فى "يشوع" عالمالك المالك) إنما وتجرى على هذا النحو ("حازور" كانت تقف فيما مضى على رأس كل تلك المالك) إنما تنبع من ذكرى أصابها الشحوب للأهمية التى حازها الموقع فى العصر البرونزى الوسيط (١٢٠).

تنبع الصورة التى ترسمها المصادر النصوصية المكتوبة التى انحدرت إلينا عن مارى" و ألالاغ و بابل والمواقع الأخرى المماثلة التى وفرتها الأراشيف، من السجل الأثرى الذى يتسم بالشمول ويثير الإعجاب. فعلى أثر طور اظلا بفقره وسكانه المتناثرين من البدو الرحل الذين يعرفون بالمراوغة والمناورة، جاء ميلاد طور ثقافى جديد، لم ينحدر من طور طبقة رقم اظلا فالطور رقم الظلا يمثل إنخال ثقافة تحتفظ بصلات ملحوظة بالشمال إلى المشرق(٢٢٠). ولعل أبرز السلع هى تلك التى تسمثل فى مجاميع الأوانى الخزفية التى تقف دليلاً على المدى الذى بلغته فنون التجميل والصقل التقيق التى دخلت على منتجات الدواليب السريعة الدوران. وتشير المقابض المثنية والقواعد المدببة والصلصال الفاخر، كلها، إلى تحرر تام من أسر الماضى. كما تكشف الصور الجانبية الموجودة "الجؤجؤية" الشكل عن نماذج أصلية أو قوالب صب مصنوعة الصور الجانبية الموجودة "الجؤجؤية" الشكل عن نماذج أصلية أو قوالب صب مصنوعة من المدن (١٢٨). ويقدم وجود أسلحة متقدمة تعزيزاً للافتراض الذى يذهب إلى حيازتهم لهارات ما في عمليات التعدين: البلط البرونز ذات الحد الأشبه بمنقار البط المعاح ذات التحاويف، والخناجر المضلعة والسيوف المحدبة، كل ذلك يقوم مقام أدلة ساطعة (١٢٨).

وتنعكس الميول الواوعة بالحرب الدويلات التي ورثت الدولة الأمورية، خير ما تنعكس، في المعمار المدنى لطبقة/حقبة MBIIA و B (الوحة رقم ١٠). وفي سبيل استيعاب زيادة جديدة في السكان- تشير التقديرات إلى أن سكان فلسطين في طبقة/حقبة MBIIA بلغوا مائة ألف نفس، وفي طبقة/حقبة MBIIB وصلوا إلى ١٤٠ ألف نفس- أتسعت كردونات المدن وفي طبقة/حقبة MBIB هذه بدأ عمــل التحصينات حولها^(١٢٠). والمستوى الأخير يكشف عن نعطين رئيسيين: فعلى التلال المتراكمة كانت القمم تبني نحق الخارج عن طريق حشق مصطنع في الطبقات، أما السطح المنحدر فكان "يُليس" عندئذ أو مزلِّط (= برصف بالزلط أو الحجر)، وفي السفح كان البناؤون يقومون بتكسية معكوسة من الحجر مع بناء مجرور للصرف الصحى. وفي مستوطنات جديدة قامت أحواش مستطيلة واسعة مسوِّرة بمصاطب من الركام تحيط بها خنايق تملأ بالماء. وكانت البوابات ذات الأبراج التي يتخللها العديد من الطاقات على محور واحد تظهر العيان من مواقع متعددة. وليس في وسبع هذه الاحتياجات الدفاعية الجديدة إلا أن تشير إلى استحداث تكتيكات جديدة في فنون الحرب في منطقة ما في الشرق الأوسط، على أن الزيادة في استخدام ممرات العبور في المشرق والسياسات غير المستقرة التي، صاحبت ذلك الاستخدام بتطلبان استحداثها في مستوى طبقة/حقبة MBIIB لفلسطين. ويقترح البعض من وقت لأخر أن استقدام الحصان والعنطور Chariot (= العجلة الحربية) من الشمال والشمال الشرقي وما استتبع ذلك من ثورة في الأعمال الحربية المتحركة سابقان تاريخيًا لظهور هذا النوع من المعمار الحربي(١٣١). ولكن الحصان كان لا يزال في "ماري" Mari في أواضر القرن الثامن عشر ق.م بمثابة اكتشاف جديد، أما احتمالات استعماله في ذلك الوقت فأمر لا يزال محل شك، وبينما تشير نصوص مارئ إلى 'أمورية' في سوريا كمنطقة لتربية الخيول (١٣٢). إلا أن مدافن الخيول الفعلية كانت نادرة قبل الأسرة الثامنة عشرة(١٢٢). وهناك عامل حفاز أشد ترجيحًا في عملية استنباط تكنيكات دفاعية جديدة يتمثل في "آلة الحصار" التي ظهرت في أواسط بلاد الرافدين، ووصل بها الصوريون إلى درجة الإتقان بل والكمال. وتقوم شواهد قوية على وجود كل من الآلة الحربية المعروفة باسم "كبش الحرب" Yasibu (ياشبو باللغة الأكدية) وبرج الحصار dimtu (ديمتو)، وإزاءهما يبدو أن المنحدر المائل نهض كوسيلة دفاع لا مفر منها^(١٣٤).

وبينما يرسخ عند المرء انطباع واضبح الملامح بأن فلسطين وسوريا الجنوبية دخلتا بحلول نهاية مستوى طبقة/حقبة MBIIA ، بصورة نهائية في نطاق الدويلات الأمورية المولعة بالحرب في الشمال والشرق، وبالتالي انساقت إلى تبنى موقف أشد عنوانية تجاه مصير، فإن مدينة/دويلة مشرقية واحدة تستثنى نفسها من هذا التعميم، ألا وهي 'بيبلوس' التي تمتعت، كما سبق لنا أن رأينا، بعلاقات ودية مع مصر لالف وخمسمائة سنة. وبينما سقط الساحل السوري الشمالي في أيدي "يامخد" Yamkhad، (١٣٥) ورغم أننا نجـد "بيبلوس" ذاتهـا في سنة ٢٠٠٠ ق.م على وجـه التـقريب وقـد انضــمت إلى مقاطعات الأسرة الثالثة العظيمة في "أور" Ur")، إلا أن غياب رئيسها بارز في "نصوص اللعن"، لكن الفجوة في مصادرنا تحول بيننا وبين التعليق على المدينة خلال الشطر الأكبر من حياة الأسرة الثانية عشرة، ولكن بصعود "أمين-ام-حات" الثالث إلى العرش عادت "بيبلوس" إلى دائرة نفوذ (= حظيرة) مصر، ولا تزال سلسلة تضم تسع مقابر منحوتة في الصخر، تتحفنا بأدوات جنائزية مصنعة، رغم ما عانته من نهب، تفيدنا بنفس عدد حكام المدينة، الذين ينتمون فيما هو واضبع إلى نفس العائلة. ولعله مما يبعث على الدهشة أن كل أولئك الحكام التسعة على وجه التقريب اختاروا، في وقت أو في آخر أن يحتفلوا بذكراهم خلال التدوين وذلك باستخدام القلم الهيروغليفي الذي أنبثق على ضعاف النيل. كما ظهرت أسماء الآلهة المصرية والقابها في تلك النقوش الموجزة، وينهض دايل على وجود نوع ما من ترنيمة مصرية، وحتى الجداريات المصرية الطابع، وجدت من الفنيين المحليين من يحاول نحت مثيلاتها(١٣٧). ولكن الأكثر إثارة تلك الألقاب التي اختار أولئك الحكام أن يطلقوها على وضعهم السياسي: "إيرى راعت" و "حاتى عا" ، التي نترجمها في العادة إلى "الأمير الوراثي" و"النبيل" وبينما ينطوي اللقب الأول على مؤشر مهذب وإن كان شائعًا لرابطة عمومية تجمع حامله مع نخبة أو صفوة وراثية، فإن اللقب الثاني لقب وظيفي ينطبق على وظيفة غير وراثية يؤديها حاكم ينوب عن الفرعون في حكم هذه المستوطنة أو تلك. وفي الوقت الذي أنعم المصريون باللقب على حكام "بيبلوس"، كان اللقب في طريقه، حقًّا وصدقًا، لأن يغدو أكبر قليلاً من عمدة مدينة صغيرة". أكان لـزامًا على الحكام البيبليين أولنك، عند ارتقائهم مناصبهم أن يتوجهوا، كل على حدة، إلى بلاط الفرعون كي يجتازوا إجراءات رسمية لإضفاء هذا اللقب عليهم؟ أم أنهم لم يفعلوا سبوى استعارة المصطلح - اللقب بصفته أقرب مقابل للقب محلى؟ مع حاكم "بيبلوس" المعروف باسم "أنتين" Antin نكون قد وصلنا إلى مرحلة جديدة في تاريخ المدينة. إذ يشير اقب حاكم الحكام الذي حمله (بالهيروغليفية) إلى مكانة مرموقة، ترد بإسهاب في أرشيفات "ماري" حيث يرد أيضًا ذكره، أي ذكر هذا الحاكم (١٢٨). والمقابر من ٦ حتى ٩ في الجبانة الملكية، التي أعقبت ازدهاره أي ازدهار أنتين"، وهي تقع بين أكبر وأفضل هذه المجمسوعة من المقابر تجهيزًا (١٢٩) فإذا افترضنا أنها تغطى عددًا مساويًا من الأجيال التي يتراوح الجيل منها بين عشرين وخمس وعشرين سنة، تبدأ في النصف الأخير من القرن التاسع عشر قم، فإننا نكون قد انحدرنا إلى منتصف القرن السابع عشر ق.م. إذا كان لنا أن نصل إلى ختام هذه السلسلة المتصلة. ويأتينا نص (هيروغليفي) منقوش على جرة من إحدى المقابر المتأخرة، وهو أمير ينطوي على أهمية نسبية يقول: "حاكم أجنبي" (="حقا-خاسوت") (١٤٠٠) وهذا لقب سوف نالفه عما قريب.

الهوامش

- D.B.Redford, Pharaonic King-lists, Annals and Day-books (Toronto, 1986), 15; (\) termed Montuhotep IV by Von Beckerah: LdA 4 (1982), 69-70.
- J.Couyat and P. Monlet,Les inscriptions hiéroglyphiques et hiératiques de Ouadi (Y) Hammamat (Cairo,1912),no.110.
 - Ibid,no. 191. (Y)
 - Ibid,79-81 (no.113). (£)
 - lbid,no.1. (*)
- A.Fakhry, The Inscriptions of the Amethyst Quarries at Wadi el-Hudi (Cairo, (7) 1952),19fl. (figs.14-17).
 - R.Anthes, Die Felseninschriften von Hatnub (Leipzig, 1929).nos.16-26. (V)
- (A) ارتفعت حرارة النقاش في الماضي حول التاريخ الدقيق لكل من "نهري وكاي"، ولكن الحقيقة أن النابت على وجه التقريب أنه يتعين علينا أن نضع تاريخ ازدهارهما قبيل صعود الفرعون "أمين- إم-حات" الأول، انظر المناقشات البارزة التي شارك فيها كل من:
- R.Anthes,ZAS 59 (1924),100-108; R.O.Faulkner, JEA 30 (1944),61-63; E.Blumenthal, Altorientalische Forschungen 4(1976),35-62; W.K.Simpson,LdA 2 (1977),1043-45; and specially H.O.Willems, JEOL 28 (1985),80-102.
 - Anthes, Felseninschriften, no. 20. (1)
 - Ibid.,no.25:6-12. (\.)
 - Ibid., no.24:2ff. (11)
 - lbid., no.16:4-8. (\Y)
- See W.Helck, Der Text "Lehre Amenemhets 1 für seiner Sohn" (Wiesbaden, (\nabla); 1969); Lichlheim, Ancient Egyptian Literature (Berkeley, Calif. 1976), 1: 135-39.
 - Helck, Text, 68-78. (\ \ \ \)
 - For the last expession see the literature in Ibid,79,n.a. (%)
- W.A. Ward, Egypt and the East Mediterranean World 2200-1900 B.C. (11) (Beirut, 1971),67.
- P.E.Newberry, Beni Hassan (London, 1893), 1:pl.44; Urk VII, 12; J.H. Breasted, (\Y) Ancient Records of Egypt (Chicago, 1906), 1:sec.465.

W.A.Ward,Index of Egyptian Administration and Religious Titles of the Middle (\A) Kingdom (Beirut,1982),66.His reading I{met} (JEA 55 {1969}, 215-16) is wrong; the text has Sm³w,"Southland".

على أن قراءته "met" خاطئة ففي النص كلمة 'شماؤو" التي تعني 'أرض الجنوب".

- See W.K.Simpson, LdA 5 (1984),890-99. (14)
- W.K.Simpson,LdA 5 (1984,898,n.15;W.Helck, in Agypten,Dauer und Wandel (Y+) (Mainz,1985),45-52;D.B.Redford,JSSEA 17(1987),36-55.
 - W.Schenkel, MDAIK 31 (1975), pl.33(a); W.Helck, MDAIK 34(1978), 69ff. (Y1)
 - Sinuhi B.223. (YY)
 - JPOS 15 (1935),221."(YY)

ويطبيعة الحال كان "أوابرايت" حريصاً على أن "يبرز الحقيقة التي تقول إن التنظيم الإمبراطوري للإمبراطوري الحديثة..." للإمبراطورية الوسيطة كان بكل تأكيد مفككًا للغاية بالقارئة مم معارسات الإمبراطورية الحديثة..."

- BASOR 155 (1959), 33. (YE)
- Cf.his views on MB 1 Meggiddo as an Egyptian fortress:BASOR 168 (1962), 39. (76)
 - J.M.Weinstein, BASOR 217 (1975), 1-16. (۲٦)
 - W.Helck,UF 8 (1976),101-14. (YV)
- See now J.Baines in M.Görg,ed,Form und Mass (Wiesbaden,1987),43-61. (YA)
 - Sinuhi B71-72. (۲۹)
- A.H.Gardiner and J.Cemy The Inscriptions of Sinai (Oxford,1952),no.64(pl.19). (**)
- E.Blumental, Untersuchungen zum ägyptischen Königtum des mittleren Reiches (۲۱) (Berlin,1970),1:229.
 - Cairo 20593 verses 10-11. (TY)
- J.J.Jansen, Ar Or 20(1952),442-45; D.Dunham, Second Cataract Forts, vol.1: (۲۲) Semna Kummeh (Boston, 1960), 59, pl.90, fig. 4(2).
 - D.Wildung, MDAIK 37(1981),506,fig.2. (T1)
 - K.Sethe, Ägyptische Lesestücke (Leipzig, 1928), 82, lines 12-15. (To)
 - Couyat and Montet, Inscriptions, 48, no. 43, pl. 13. (Y1)
 - Gardiner and Cerny, Sinai, p. 18, no. 54. (TV)
 - A.M.Blackman, The Rock Tombs of Meir (London, 1915) pl.4. (TA)
 - MDt, literally "word, discource" (T1)

كُلمة: مدت بالمسرية القديمة تعنى 'نطق، لفظ، حديث' وحول هذا الشكل الأدبى انظر:
G.Posener,RdE 6(1951),46-47.

G.Posener,MDAIK 25 (1969),101ff. (£.)

- L.Borchardt, ZÄS 37(1900), 98. (£1)
- W.Wreszinki, Aegylische Inschiften aus dem Königliche Hofmusem in Wein (£Y) (Leipzig, 1906), 27, no.32.
- W.C. Hayes, A Papyrus of the Late Middle Kingdom in The Brooklyn Museum (ET) (Brooklyn,1955), 87-109; W. F. Albright, JAOS 74(1954), 222-32.
 - S. Farag, RdE 32 (1980),75ff. (££)
 - On daybooks, see D.B. Redford, LdÅ 6 (1986), 151-53; idem, King-lists. (٤٥)

ويوازى النقش الحالى على وجه التحديد فى الأهمية دفتر يومية: بلاغ لقصر الفرعون أمين - إم - حات الثانى وصرف السلع وتقسيم الغنائم ومستلزمات العبادة على مراكز عبادات الأسلاف وتوزيع المكافات وتققد رجال البلاط ... إلخ.

- Kheperkare. (£7)
- (٤٧) للتعرف على أسماء الأماكن في النص، انظر:

W,Helck,GM 109 (1989),27-30.lw³s is New Kingdom Alse (E.Edel,Orientalia 48 [1979], 82-85);1³sy seems to be Alashiya (Cyprus); for Trnp³w cf.lbr at Ugarit (C. Gordon, Ugaritic Handbook [Rome,1956],no.2643).

- (٤٨) المدخل (القيد) العام للأسلحة التي سيرد ذكرها فيما يلي مفردات مصنعة من المعدن ومزودة بمقابض من الخشب وذاك هو المقصود.
 - (٤٩) المقصود حرفيًا هو "أدوات حصاد" كما يوضح لنا المخصص.
 - (٥٠) حول 'تل الضبعة' في فترة الانتقال الأولى انظر:

M.Bietak, Avaris and Pi-Ramesse (London, 1981), 290.

رحول أدرار طرق أختري انظر: .9 (1962) H.Kees MDAIK 18 وحول أدرار طرق أختري انظر: .9

وحول بناء وتعمير البلدة الحدودية المحصنة الواقعة عند "عزبة رشدى" بالسكان على عهد الفرعون "أمين - إم - حات" الأول انظر: .14-133(1959) S.Adam ASAE 56

كانت أثل الرتابة في أوادى طوميلات محصنة بالفعل، كما هو واضع، خلال الأسرة العاشرة. وحول وزن حجر البشب الخاص بأنيب كار-أختوى انظر:

W.M.F.Petrie, Hyksos and Israelite Cities (Lndon, 1928), 32, p. 32A.

Mentioned in Neferty 9 W. Helck, Die Prophezeihung des Nfr. tj. (Wiesbaden, (+1) 1970].56) and Sinuhe B 16,

يمكننا أن نتعرف عليها في "ثل الرثابة"، انظر:

(F.Gomaa,Die Besiedlung Ägyptens wwarhend des Mittleren Reiches (Wiesbaden,1987),2:129-30.

On the "Ways of Horus," see Gomaa, Besiedlung, 224-25. ()

Sinhue B 242. (07)

Smntyw: see H.G. Fischer, GM 84(1975), 25ff.; K.J.Seyfried, GM 20 (1976), (o.£) 45ff.; the epithet is taken from the Tod texts of Senwosert I.

رهذا اللقب مأخوذ من نصوص تود": Tod التي ترجع إلى الفرعون "سنوسرت" الأول. Couyat and Montet, inscriptions, 48.pt. 5,no.17;pl. 13, no. 43; Gardiner and (هه) Cerny, Sinai , pl. 18, no.54; pl. 22, no.88.

Cairo 20278 (smsw, a "retainer"); Gardiner and Cerny, Sinai, pl. 36, no. 118 (a (o'l) Treasurer).

- lbid., pl. 51, no. 140. (eV)
 - Ibid., pl. 18, no. 54. (oA)
- lbid., pl. 85, no. 405. (64)
- Ibid., pl. 18 no. 51; cf. pl. 22, no. 101 A. (%)
 - R. Giveon, Tel Aviv 7 (1980), 179ff. (71)
- R. Dunand, Les fouilles de Byblos (Paris, 1939), 1:no. 3594 (pl. 129, p. 246). (٦٢)
 - Cairo 20086. (٦٢)
 - (٦٤) حول 'إلبا': Elba انظر:

G.S.Matthiae,Studi eblaiti 1 (1979),119ff;G.Matthiae,Antike Weit 13(1982),14ff, (Hetep-ib-ra); For Ugarit see W.A.Ward, Orientalia 30(1961),130(Senusert-onkh);P-MVII,395 (Amenemhet III);For Qatanum,see P-MVII,392 (Amenemhet III's daughter);For Ba'albek,see J.Von Beckerath ,Unterschungen zur politischen Geschichte der zweiten Zwischenzeit in Ägypten (Glückstadt,1965),250 (Sobekkhotpe VI);For Byblos,P.Montet,Byblos et L'Egypte (Paris,1929) no. 610,611,614(Amenemhet III and IV); For Beirut,see BMQ 2 (1937),87pl 58a (Amenemhet IV).

- W. Helck, UF 8 (1976), 101ff. (%)
- B 175-76: "Then His Majesty sent to me with presents from the King, that he (11) might gladden the heart of yours truly, like the ruler of any foreign land."

ثم أرسل إلى جلالته بالهدايا من جلالة الملك حتى يبهج صميم فؤادك، تمامًا مثل أي حاكم لبلد أجنبي".

- Sinuhe B 94-95, (NY)
- Blumenthal, Untersuchungen, 199. (NA)
- W.Helck, Die Lehre des Dw3 -Hijj (Wiesbaden, 1970), 2:xvia. (14)
 - (٧٠) بصفة عامة للاطلاع على مناقشات أقدم أنظر بين أخرين:

K.Kenyon,CAH 1(1971),chap.21;J.Van Seters,The Hyksos,A New Investigation (New Haven,Conn.,1966),9ff.;also the notes that follow.

W.Dever,BASOR 210(1973),58ff.;S.Richard, BASOR 237 (1980), 22;W. Dever (VV), BASOR 237(1980),36,38-39;idem.in Biblical Archaeology Today (Jerusalem,1985),123,127.

B.Mazar,IEJ 18(1968),68,n.7:Dever,BASOR 237 (1980),48-49;T.L. Thompson, (YT) The Settlement of Sinai and the Negeb in the Bronze Age (Tübingen,1975),20.

Dever,in Biblical Archaeology Today, 1117ff.;see also Basor 237(1980),57- (YY) 58;L.K.Horwitz,BASOR 275(1989),15-25.

K.M.Kenyon, Archaeology in the Holy Land (New York, 1979), 121-36; S. Git- (V£) tin, Erets Israel 12 (1975), 46ff.; W.Dever, Erets Israel 15 (1981), 22ff.

R.Amiran, Ancient Pollery of the Holy Land (New York,1970),80-89. (Ye)

(٧٦) حول رسوم "بني حسن" انظر:

Newborry, Beni Hassan, 1:pls.28,30-31; D. Kessler, SAK 14 (1987), 147-66.

W. Dever and H. Tadmor, IEJ 26 (1976) 163ff.; Dever,in Biblical Archaeology (VV) Today,117.

Translated ANET, 18-22;Lichtheim,Literature,1:222-35;see in particular A.F. (VA) Rainey, The World of Sinuhi, Israel Oriental Studies 2 (Jerusalem,1973), 368 ff.R.Parent, L'Affaire Sinouhe (Paris,1982).

(٧٩) يبدر أنه إقليم "البحيرات المرة".

(٨٠) ربما تكون "ميتين" Min تعنى: الدليل الذي يقود الآخرين عبر معالم الطريق.

(٨١) يكشف النص عن بعض معالم نقش موسع على "صادود/لوح أو تقرير بيوجسرافي. وبين أكثر المعالجات لقصة "سنوهي" حداثة انظر:

J.Assmann,in M.Görg,ed.,Fontes ataque Pontes (Wiesbaden, 1983), 18ff.; J.Baines, JEA 68 (1982),27ff.;P.Derchain,RdE 22(1970),79ff.;idem,GM 87 (1985), 7ff.;G.Fecht,in F.Junge,ed.,Studien zu Sprache und Religion Ägyptens (Göttingen,1984), 465ff., J. Foster, JSSEA 12 (1982), 881ff.; H.Goedicke,J ARCE 21(1984),197ff.; idem,RdE 35 (1984), 95ff.; A.Herrmann,OLZ 48 (1953),101ff.

For stockades,see Sinuhe B 115,146,201;for tents see B. 110,145. (AY)

Sinuhe B 103,144,147,240. (AT)

Cf.Sinuhe B 102. (ለ٤)

Sinuhe B 87-92. (Ae)

Sinuhe B 241;Thompson,Settlement, 64. (AN)

Sinuhe B. 89-91. (AV)

Sinuhe B 198. (M)

- Sinuhe B 92-94,200. (A1)
 - Sinuhe B 93-94. (1.)
- Sinuhe B 127-28,135,140. (41)
 - Sinuhe B 121-22. (9Y)
 - See n. 76. (9Y)
- (٩٤) لقد قدموا في حقيقة الأمر من "شوتو" Shutu التي عومات كه "شيث" التوراتية التي وردت في سفر العدد ٢٤: ١٧ وانظر:
- S.Ahituv, Canaanite Toponyms in Ancient Egyptian Documents (Leiden, 1984), 184.
- S.Schott and K.Sethe,ZĀS 63 (1928),101-3;L.Borchardt,ZĀS 64 (1929), 12-13; (٩٥) وإلى جانب الأعمال المذكورة في الهوامش التي ستلى رأسنًا انظر حول نصوص اللعن:

W.F.Albright, BASOR 184 (1966), 26-35;A.Alt,Kleine Schriften zur Geschichte des Volkes Israel (Munich,1959), 3:49-71;A.Goetze, BASOR 151 (1958),28-33; H.B. Huffmon, Amorite Personal Names in the Mari Texts (Baltimore,(1965); W.L.Moran, Orietalia 26 (1957), 339-45; G.Posener,LdÄ 1 (1972), idem,in Studien zu Sprache und Religion Ägyptens,1:613-18; J.Vercoutter, CRAIBI. (1963), 97-102; S.Yeivin.Antigot 2 (1959), 155ff.

J.Leclant, RdE 21 (1969), 55-62; M.Verner,RdE 36 (1985),145-52; A.M. Abu- (1) bakr and J.Osing,MDAIK 29 (1973),97-113.

G.Posener, Cinq figurines d'envoûtement (Cairo, 1987), 16; (N)

وللاطلاع على قائمة ملائمة لمثل هذه النصوص التي يعرفها المؤلف انظر صفحات من ٢ حتى ٦

J. Vercoutter, CRAIBI. (1963), 97-102; G. Posener, Syria 43 (1966), 277-87; (AA)

لما كان حصن "ميرجيسا": Mirgissa قد بنى فى وقت لا يسبق صعود الفرعون "أمين – إم – حات الثانى إلى سدة الحكم، فإن هذه النصوص تستطيع على وجه التقريب أن ترجع إلى ما قبل الربع الثانى من القرن التاسع عشد، بل و يمكن أن تعود إلى الوراء إلى مطلع عهد الفرعون "سنوسرت" الثالث:

K.Zibelius,LdÄ 4 (1982),144-45.

K. Sethe, Die Achtung feindlicher Fürsten, Volker und Dinge auf altägyptischen (11) Tongefasscherben (Berlin, 1926);

وللإطلاع على ملخمن وأفر حول هذه المناقشة الجارية حول التاريخ والتفسير، انظر: T.L.Thompson, The Historicity of the Patriarial Narrative (Berlin,1974); 98-113.

G. Posener Princes et pays d'Asie et de Nubie (Brussels,1940), (\...)

(١٠١) تهدف إلى أن تغطى، إلى هذا الحد أو ذاك نفس الأماكن كما هو الحال في القسم ٨.

لا كانت تنتج إلى هذا الحد أو ذاك النموذج: Vorlage القياسي و ليست بالتالي 'جارية في الاستعمال' و لكنها عبارات مقولبة : catchall. فهي تفقد كل قيمة كانت لتحوزها لأي حجة تدعو لاستخدام محتوى أقسام "التعميم" في الإيحاء بوجود فجوات و عدم انضباط في القائمة الخاصة: A.

(Thompson, Historicity, 116). Brussels e.64 lists "All the Chiefs of 'Anaqi

(كل رؤساء "عنقى")، وذلك لأن نمط هذا القسم كان، ببساطة، يتطلبها - وهى موجودة بالفعل في أميرجيسا" في E.6 وينبغي أن يفهم من ذلك أن المصريين كانوا يعرفون في ذلك الوقت عن وجود رؤساء أكثر عددًا المطرح، مع أنهم لم يذكروا في القائمة رقم E.36 سوى رئيس واحد فود.

(۱۰۲) قد يعنى هذا أن المصريين الذين وردت أسماؤهم بين المتملين المحتملين لم يكونوا موجودين داخل مصر بل في الخارج و تضم قصلة "سنوهي" بطبيعة الحال و ساثر النموص التي تعود ترجع إلى الملكة الوسيطة شاهدا فصيحا على انتشار ظاهرة النفي. و النصوص التي تعود إلى مصطبة سين - وسرت - عنع في "ليشت" التي اعتزم نشرها الراحل جي. بوزنر"، في الله C.Hoelzl, The South Cemetray at Lisht. The Mastaba of Senwosret-ankh (forthcoming)

(على رشك الصدور) يبدو أنها تستهدف المصريين بالدرجة الأولى باللعن، ولكن الألقاب نادرة، كما أن النصوص لا تذكر شيئا عن أماكن الضحايا ولو بالتقريب. أيمكن أن يكونوا هاربين؟

(١٠٤) من شم جاء إدراج 'كل الكلمات الشريرة وكل حديث شرير وكل تعويذة شريرة وكل مفهوم شرير وكل مؤامرة شريرة وكل مسرير وكل زمجرة شريرة وكل شيء شرير وكل مؤامرة شريرة وكل صراع شرير وكل زمجرة شريرة وكل خيء شرير وكل جاء أفاءة شريرة. ويرى توميسون في كتابه (Historicity,114) أن هذه النصوص إنما تعكس الهموم التي يحملها المصريون بشأن فلسطين عوضا عن تقديم وصف موضوعي شامل لفلسطين بحد ذاتها ، وهذا الرأى ينطوي على نصف المقيقة : هذه الهموم تحمل طبيعة من ذلك النوع الذي يجعل القائمة تقترب، في مجملها، من حد الشمول. أما الثغرات هذا وهناك فيمكننا في حقيقة الأمر أن نجد لها، في معظم الأحوال، تفسيرًا أو أخر: فالرؤساء الأجانب، على سبيل المثال، قد يكونون لا معيب عليهم، الأمر الذي يختلف عن جيويهم القبلية (مثلا: بيبلوس).

Contra Thompson, Historicity, 107. Note how orthography Keeps pace with the (1.0) times, e.g. in the spelling of Kush :Posener, Cing figrines, 23; idem, Princes, 48.

(١٠٦) من بين التفسيرات المطروحة نجد تفسير 'آلت': (37, [1941] Alt (ZDPV 64 (1941)) من بين التفسيرات المطروحة نجد تفسيمات إقليمية في نصوص 'بروكسل'، و هي التفسيرات التي لم تلاحظها نصوص 'برلين'، وهذا التفسير لا ينطوي على جاذبية خاصة كما يبدو عليه عند النظرة الأولى. حقا تميز نصوص 'بروكسل' أحيانا (رغم أن ذلك لا يحدث في غالب الأحيان كما تقضى الفرضية) بين 'العليا' و 'السفلي' و 'الشمالية' و 'الجنوبية'، إلا أن هذه مصطلحات مصطنعة - ولنلاحظ انعدام وجود صفات من قبيل 'شرقية و 'غربية - جرى إدراجها لتفسير قوائم متعددة.

Josh. 15:43; on the identification see S. Yeivin, Eretez Israel 4 (1953), 37; (\\v) note that this place-name is also found on a seal of the second Intermediate Period: G. Martin, Egyptian Administrative and Private Name Seals (Oxford 1971), pl. 27:25 (306).

For a resume of the problem, see Thompson, Historicity. (1.4)

(١٠٩) قورنت "عنقى" بحق مع "عنقيم" الواردة في "التوراة":

Koehler Baugartner, 3:813 (references);

ومن المرجع أنها نقع على امتداد الساحل الجنوبي من "غزة" حتى "أشدود"، انظر: Alt, Kleine Schriften, 3:52).

وحذف حرف "المين" في بعض الأحيان يرجع إلى ضعف صوت "العين" في اللغة المصرية بصورة أكبر من حالة هذا الحرف الحنجرى في اللغة الكنمانية. ويمكننا أن نساوى بين "مجر": Mgr على نحو قابل للتصديق و بين الكلمة التي تعرفها اللغة الغربية السامية للدلالة على كلمة "كهف".

(۱۱۰) قورنت 'صبابة' مع اسم مكان جرى التعرف عليه بعد ذلك بالف سنبة جنوبي 'غـزة' أي 'Alt, Kleine Schriften, 3:52,n.3

وعلى نحو مؤكد لا يتصل اسم المكان هذا و لا اسم "يسب - ار" Ysp-3r الذي تعرف الملكة المديثة بما ورد في قصة "يوسف" التوراتية من قريب أو بعيد، انظر:

R.Weill, Journal Asiatique (1937),37-38, 54-55; O.S.Wintermute, 2:981.

Ahtiuv, Canaanite Toponyms, 146. (111)

(١١٢) استعمال ورقبة البوص الثبلاثية كان معسروفًا بالفعسل في رسم الصائت المسرّدوج "aye" في اللغة للصرية القديمة، انظر: عبد المنعم أبو بكر و :

J.Osing, MDAIK 29 (1971),107, 109;

وحول "الجزر والسواحل" الكنعانية انظر:

Koehler-Baugartner,1:37; Z.Harris, A Grammar of Phoenician (New Haven, Conn., 1936), 76;R.S.Tomback, A Comparative Semitic Lexicon of the Phoenician and Punic Languages (Missoula, Mont., 1978), 12-13;

ولقد زعم البعض وقوعها ضمن أسماء-أماكن "إبلا" (أي اya-pu) "سواحل أيافا": M.Dahood,in G.Pettinato, The Archives of Ebla.New York,1981}

إلا أن هذا الزعم يظل عرضة للشك.

(۱۱۳) .Cf. Num. 33:22 (قارن سفر العدد ۲۲:۳۳).

Sinuhe 8 25-26, cf. 73-75; Redford, King-lists, 108. (111)

(١١٥) يمكننا على نحو قابل للتصديق أن نؤول في نصوص 'بروكسل' ما لا يقل عن ١٤ اسما من الأسماء التي وردت فيها كأقاليم أو تضاريس طوبرجرافية.

E. 50-51; W. Albright, BASOR 83 (1941), 34,n.8. (111)

- E.616-4, F.2; or the mountainous hinterland, reached only from the coast. (\\Y)
- (۱۱۸) هذا هو الاستنتاج الذي نخلص إليه من استعمال كلمة: mhnk أي 'التابع الأمين'، انظر: D.Meeks,Année Lexicographique (Paris,1982), 3:129.
 - Sinhue B 109-14. (114)
 - In foreign parts even Pharaoh had recourse to "runners" see p.82 above. (\Y-)
- (١٢١) ح ز- س م (بمعنى قاطعو العشب) قارن في اللغة الأكادية: hussusu بمعنى "يكسر ويقطع" و sammu بمعنى "عشب"، انظر:

CAD,4:131;

وهذا الجذر منحدر أيضا في اللغة المصرية (القديمة) قارن حز" بمعنى يقتل باستخدام سكينة أي يُذبح و حزار أحد أنواع النباتات إلغ انظر:

Wb III; D.Meeks, Année lexicographique (Paris, 1982).3:224.

(۱۲۲) عرفت الحقبة رقم MB IIA ، خلال السنوات الخمس عشرة الأخيرة تبكيرا في التأريخ، بما لا نستطيع وصدفه بأقل من مذهل، كي تبدأ حوالي ٢٠٠٠ ق.م.، وهو الأمر الذي أصبع مقبولاً الآن بصفته ركنا إيمانيا أو يكاد، انظر:

W.G.Dever,in J.A.Sanders,ed.,Near Eastern Archaeology in the Twentieth Century (New York,1970),132-63;idem in F.M.Cross,ed.,Magnalia Dei: The Mighty Acts of God (New York,1976),3-38;P.Gertenblith, The Levant at the Beginning of the Middle Bronze Age (Winona Lake,Ind.,1983),101ff.;

ومع ذلك ترتكز الحجة باكملها على التأريخ المتوسط الذي يقتضى رفعا للتواريخ بما يزيد على نصف قرن، وهو أمر غير مقبول استنادا إلى الأدلة المستقاة من مصر. و ينبغى من واقع قصصنا لهذه الأدلة التي توفرها مصر أن يكون واضحا أن ثقافة الحقبة رقم MBI (إذا ما استعملنا المصطلح القديم) على الثقافة التي تفتقر إلى الاعتماد على الاستقرار، ظلت الأدلة تترى على وجودها طوال القرن العشرين دع عنك القرن التاسع عشر. ولكن هذا ليس المجال الذي نستطيع خلاله مواصلة النقاش في للوضوع.

· (١٢٢) حول مشاكل المصطلح وتعيين الهويات التي تنشأ نتيجة لإطلاق اسم MAR.Tu (Amurru) على الساميين الشماليين - الغربيين، انظر:

I.J.Gelb,JCS 15 (1961),29;Thompson,Historicity,68lf.;Gerstenblith,Levant,123ff.; وسواء أكان الحكام الوراثيون من الأموريين قد تحولوا كى يصبحوا أكبي الطابع : Akkadianized أم لا فإنهم قد صروا بكل تأكيد، بتجربة "الارتفاع إلى سدة الحكم". وحول جذور "لارسا": Larsa ، على سبيل المثال، بصفتها قبيلة و مشيخة أمورية سالفة، انظر:

M.B. Rowton, JNES 32 (1973), 214.

In general on Yamkhad, see H. Klengel, Geschichte Syriens (Berlin, 1965), (\Y\xi\) 1:102ff.; (Berlin 1970), 3:142ff.; for the famous letter from Ibalpiel to Zimri-lim, see G. Dossin, Syria 19 (1938), 117; for Yarim-lim's fleet, see G. Dossin, Syria 33 (1956) 63ff.; on its trade, see J.-R. Kupper, CAH³ II, pt.1 (1973), 18-19.

Klengel, Geschichte Syriens, 2:98ff. (176)

On Hazor, see A. Malamat, JBL 79 (19600, 12-19; idem, in Sandars, Near (\Y\) Eastern Archaeology, 164-77; idem, IEJ 21 (1971)31-38; idem, in M. Liebeau and P. Talon, ed., Reflets des deux fleuves (Louvain, 1989), 17-18; H. Limet, Archives royales de Mari (Paris, 1986), 25: no.43.

Cf. B.Mazar, I EJ 18 (1968), 69FF.; R. Amiran, Anadolus 12 (1968),559-62; (\tau\tau) there is no reason however, to postulate an invasion from the north (Van Seters, The Hyksos, 32, 38ff.) or even "considerable population movements" (W.Ward, UF 8 [1976], 353). The role played by trade and transit corridors is itself considerable: Gerstenblith, The Levant, 109ff.

Amiran, Pottery, pls. 25.27,33,35; Kenyon, Archaeology, 163f., figs.36,37; Ger- (\YA) stenblith, The Levant, chaps. 4-5.

Gerstenblith, The Levant, 89-100. (171)

(۱۲۰) حول تقدير تعداد السكان انظر:

M.Broshi and R.Gophna, BASOR 261 (1986),73-90.

(١٣١) حول جلب المصان و العربة الحربية إلى الشرق الأدنى، انظر:

M.Littauer and J.H.Crouwel, Wheeled Vechicles and Ridden Animals in the Ancient Near East (Leiden,1979);R.Drews, The Coming of the Greeks (Princeton, N.J.,1988), 74-93;

وهول الحصان في مصير، انظر:

J.Ledand, Syria 37 (1960), 17-18; L. Storock, LdA 4 (1982), 1009-13.

B. Landsberger, JCS 8 (1954), 56; Gelb, JCS 15 (1961), 41 ff. (171)

(177) يتحدى دفن الحصان فى "بوهين" (J.Lecland ,Orientalia 31{1962}127) أى تأريخ من جراء أساليب التنقيب التي استخدمت فى الموقع، انظر: (3-Drews,The Greeks,102) أما أن يكون هناك دليل غير مباشر على وجود العجلة الحربية عند بدء حكم الهكسوس فى مصر: (50.W. Helck,J nes 37 {1978}, 337-40).

فهذا أمر لا يزال مطروحًا على بساط البحث.

Y.Yadin, BASOR 137 (1955), 23ff.; P.Parr, ZDPV 84 (1968), 18ff.; G.R.H. (\Y\xi\) Wright, ZDPV 84 (1968) 1ff.; for the appearance of these engines in Mesopotamia, see Kupper, CAH³ II, pt. 1 (1973), 5; A. Goetze, Iraq 25 (1963), 128.

(١٣٥) 'أوجاريت' بصفتها تابعة لـ 'يامخد'، انظر:

F.M.Tocci,La siria nell'eta di Mari (Rome, 1960).69ff.

E.Sollbereger, AFO 19 (1960), 120ff.; A. Malamat, in Assyriological Studies in (۱۲٦) Honor of Benno Landsberger (Chicago, 1965), 373, n.43.

(١٣٧) حول المقابر الملكية في بيبلوس انظر:

P.Montet, Monuments Piot 27 (1924),1-29; idem,Byblos et L'Egypte,146ff.; On the Byblian dynasty oh the Period,see K.A.Kitchen,Orientalia 36 (1967), 39-54,W. Helck, Die Benziehungen Ägyptens zur Vorderasien² (Wiesbaden,1972), 63-67, on epithets, see Montet, Kêmi 16 (1962), 95-96;17(1964), 62ff.

Montet, Kêmi 16 (1962), 96, fig. 6; W.F.Albright, BASOR 99 (1945), 10-18. (\YA)

Montet, Byblos et L' Egypte, 205ff. (174)

Ibid., 208, no. 826. (\£.)

النبصل اختامس

الهكستوس في مصر

"توتيمايوس" Tulimacus. خلال حكمه، ولسبب ما لا أعرف عنه شيئًا، حلت بنا صاعقة إلهية، فعلى حين غرة زحف غزاة من جهة الشرق ينحدرون من أصول عرقية يكتنفها الغموض، وكلهم ثقة في إحراز النصر ضد بلادنا. واستطاعوا اعتمادًا على إعمال أقصى درجات الجبروت، التفوق بسهولة كبيرة، على حكام البلاد، فأضرموا النيران دون رحمة، في مدننا، وسهدموا معابد الآلهة، وعاملوا كافة الأهالي، أبناء مصر بعدوانية وقسوة، حيث ساقوا بعضهم إلى المذابع وقادوا زوجات وأطفال البعض الآخر إلى أسراق العبودية. وفي نهاية المطاف نصبوا أحد عناصرهم في منصب ملك مصر باسم ساليتيس "Salitis . وقد اتخذ هذا الملك الأجنبي مقر عرشه في "منف"، حيث شرع في جباية الجزية من الوجهين القبلي والبصري، وفي إقامة الحاميات حيث شرع في جباية الجزية من الوجهين القبلي والبصري، وفي إقامة الحاميات العسكرية وراءه حيثما حل، في أكثر المواقع تميزاً. وعلاوة على كل ذلك قام بتحصين شرق البلاد، فلقد تكين بأن الأشوريين، الذين أخلوا يكتسبون مزيداً من القوة والمنعة، صوف تستبد بهم الشهوة ذات يوم ويهاجمون "مملكته".

ولقد أسس في مديرية "صايس" مدينة اختار لها موقعًا ممتازًا للغاية شرقى الفرع البوياسطى Bubastis لنهر النيل وأطلق عليها اسم "آباريس" (= أواريس) Avaris نسبة إلى تقليد ديني قديم. ففي هذا المطرح أعاد بناء الأسوار الضخمة وحصنها، ونصب هناك حامية بلغ قوامها أكثر من ٢٤٠ ألف جندي مدججين بالسيلاح كي يحموا حدوده. وأضد يذهب إلى هناك كل صيف كي يدفع بالجرايات إلى الجنود من ناحية ويسنع إليهم ومن ناحية أخرى كي يدويهم بعناية نائلة على أعسال المزاورات حتى يلتوا بالرعب ني أفئدة القبائل الأجنبية.

"مانيتق"(") "إيجيبتياكا" فقرة رقم ١٤٢-٧٥-٧٩-٢

هكذا تكلم المؤرخ المصرى الذى عاش فى القسرن الشالث ق.م (وكستب تاريخه باللغة اليونانية) فى فقرة نجت لحسن الحظ من الضياع بعد أن استشهد بها بتوسع In extenso أفلافيوس يوسيفوس فى أواخر القرن الأول بعد الميلاد. وكان يوسيفوس هذا يضمر غرضًا شخصيًا فى رده على الكاتب المصرى "أبيون" Apion المناهض الميهود، ولكن يبدو، مع ذلك، أنه أورد نص "مانيتو" بأمانة كاملة. ولعل قدراً من الغموض قد نتج من استخدام كلمة eobscure (= مبهم) فى ترجمة الكلمة اليونانية: المعرض التي التبعيد والأن وصف الغزو الذى قام به المصر كما نتج أيضًا عن استخدام "مانيتو" لمصطلع "هكسوس" الذى يبدو على وجه الاحتمال، وكانه يشير إلى مفهوم عرقى gentilic وهو الأمر الذى قاد إلى البحث فى وجود "عرق" غامض برز بصورة مفاجئة على الأفق المصرى ثم اختفى تمامًا بعد ذلك وجود.

ناس ينتمون إلى عرق خسيس:

إلا أن الاجتهادات في هذا الصدد شرعت تترى منذ العصور الكلاسيكية ذاتها. إذ يشير "يوسيفوس" إلى أن البعض يطلق عليهم اسم "العرب"، وهذا قول ليس عصياً على التفسير كما كان المظنون من قبل. فالاسم مشتق وحسب من الاستخدام المستمر لـ "بلاد العرب" أي الـ East عند الكتاب الكلاسيكيين الدلالة على الأقاليم الأكثر قرباً للحدود "الشرقية"، تلك التي كانت معروفة خلال العصور الفرعونية بصفة عمومية باسم "البلدان الشمالية" وعلى وجه التحديد فلسطين وسوريا(۱). ويشير "يوسيفوس" نفسه، الذي يتحدث بصفته يهدوديا، إلى الهكسوس باعتبارهم "أسلافنا"، وهذا قدل غريب لا ينطوي إلا على نصف الحقيقة ولسوف نعود إليه بالتحليل في وقت لاحق(١).

^(*) رسمت اسم المؤرخ المصرى الذي كتب تاريخ مصر باليهنانية على هذا النحو «مانيتو» كما ورد في الأصل المصرى القديم ، وايس دمانيتون» كما هو شائع . (المترجم)

في ظل المكتشفات الحديثة والبحوث المعاصرة بدأت الاجتهادات الرامية إلى الوقوف على هوية الهكسوس تنعكس خلال أكثر من تيار في الدراسات الأكاديمية. ولقد أسفر اكتشاف مدينة "بوغاز - كوي" عاصمة "الحيثيين" في أسيا الصغري، مما أعاد بالتالى بناء تاريخ شعب كان ليظل مجهولاً، لولا ذلك، على نحو سريع، عن الاقتراح الذي يذهب إلى أنهم هم الهكسوس في حقيقة الأمر(٢). ولكن المسريين كانوا يعرفون 'الحيثيين' إلى حد معقول، وكانوا يشيرون إليهم في كتابتهم، بصورة أمينة وثابتة باسم "خاتى"، وعلاوة على ذلك لم يكن هناك ـ ولا زلنا نفتقر إلى - أي دليل من أى نوع على أن الحيثيين لعبوا أى دور في القرن السابع عشر قء خارج تخوم منطقة نفوذهم المحدودة التي يحدها نهر هاليس Halys. ومع ذلك استمرت الاجتهادات الرامية إلى العثور على مرشحين لحمل اسم الهكسوس فيما وراء جبال "طوروس" فلقد عشر "أولبرايت" في نسص حيثي على زعيسم لـ "عمان ماندا" Umman Manda، وهذا مصطلح غامض طالما استخدم في الإشارة إلى قبائل شبه بدوية كانت تقطن شمال بلاد الرافدين، واسم ذلك الزعيم هو 'شا - لو - تى ' Ča-lu-tl وهو اسم سرعان ما قارن "أولبرايت" بينه وبين 'ساليتيس' Salitis أول ملوك الهكسوس في القائمة التي وضعها مانيتو (١). وأفصح أخرون عن تثبيت نفسى، باستخدام الهكسوس المزعوم الحصان والعجلة الحربية، وبالتالي عززوا اجتهادًا يقول بأن الهكسوس ليسوا سوى عناصر هندو-أوروبية، وهي العناصر التي كانت قد فرضت نفسها، بحلول القرن السادس عشر ق.م كنخبة حاكمة سادت على السكان الأصليين لبلاد الرافدين(٥). ولقد شهدت السنوات الأخيرة اقتراحًا آخر يرى أن الهكسوس ما هم إلا الحوريين، وهم عبارة عن سلالة محلية حازت قدرًا من الاحترام(١). ولكن ما من أحد استطاع أن يسوق دليلاً على وجود أعداد ضخمة في القرن السابع عشر ق،م من الحوريين في المناطق التي تمتد فيما بين بالاد الرافدين وبين مصدر ويبدو الآن أن وصولهم إلى سوريا وفلسطين قد حدث على وجه اليقين، /بعد/ غزو الهكسوس(٧).

غير أن هذا البحث المحموم ليس سابقًا الأوانه وحسب، بل و متشبتًا بأراء خاطئة منذ البداية. والحقيقة أن الكلمة اليونانية àannah لا تعنى أكثر من تخسيس، قدر ، وهي ليست سوى ترجمة الكلمة المصرية إخ صى " أى وضيع"، وهو الوصف الذي تطلقه النصوص المصرية في كافة الفترات على الشعوب الأجنبية. والكلمة على هذا النحو

لا تنطوى على اعتراف بالجهل بل بالازدراء، وعلاوة على ذلك، فالهكسوس لفظ لا يشير إلى "عرق" gentilic بأى حال من الأحوال، ولكن الأمر كما تشهد عليه أمثلة عديدة تعود إلى الألفين الثانى والشائث، تحريف يونانى للاسم العام الذى يطلق على أى "حاكم أجنبى" في اللغة المصرية القديمة "حقا – خاسوت" وهو الاسم الذى يعنى على وجه التحديد "حاكم البلاد الأجنبية" وبالتالى فهو ينطبق على نظام الحكم دون الشعب(^).

نستطيع الآن أن نتحقق بسهولة من الهوية الحقيقية للهكسوس عن طريق فحص مجموعتين (=جسمورين) من الأدلة: الأثرية واللغوية ولسوف تسنح لنا فرصة فى وقت لاحق كى نمعن النظر بصورة أكثر قربًا فى السجلات الأثرية. ولكن يكفينا فى الوقت الماضر أن نقول إن الحفائر الأخيرة فى مثل تلك المواقع التى ترجع إلى الهكسوس فى شرق الدلتا ك "تل الضبعة" و "تل المسخوطة" كشفت عن ثقافة مقحمة (على ثقافة المصريين) لا يختلف خرفها وسائر عادياتها (مشغولاتها) على أى وجه من الوجوه عن الثقافة المصاصرة سواء افلسطين أو فينيقيا عند مستوى حقبة طالظاً أما الصورة اللغوية فغاية فى الاتساق. فالنصوص المصرية التى تعود إلى عصر حروب التحرير ومطلع الأسرة الثامنة عشرة تطلق على الغزاة اسم "العامو" أى الناطقين بلغة عددًا من أسمائهم الشخصية قد ظهرت فى الأختام ونصوص التدشين، وهى نصوص عددًا من أسمائهم الشخصية قد ظهرت فى الأختام ونصوص التدشين، وهى نصوص فلا مراء أننا أمام أسماء شخصية (أعلام) تعود إلى إحدى اللهجات السامية الغربية، ولا مراء أننا أمام أسماء شخصية (أعلام) تعود إلى إحدى اللهجات السامية الغربية، فكل هذه الأسماء، فيما عداراثنين لا غير، تكشف عن اشتقاق من لهجة سامية غربية، وليس بينها اسم واحد يشير إلى الانحدار من لغة الحربين.

يظل من الصعب أن نهتدى بصورة أكثر تحديدًا إلى الموطن الذى نشأت فيه الأسرة التى يدعوها "مانيتو" بالخامسة عشرة. و فى هذا الصدد قد يميل بنا الولع بالإنه الجبلي إلى تحبيذ مرتفعات فلسطين أو لبنان مقابل "النقب" و "شيفيلاه" أو سوريا الداخلية، ولكن هذه لا تحظى بأكثر من الحد الأدنى من الأهمية. ولقد شهدت الآونة الأخيرة انجذاب الانتباه إلى التشابه فى المستويات الأشد انخفاضًا للهكسوس، التى كشفت عنها الحفائر فى "تل الضبعة" بين الأوانى" المحلية فى "تل اليهودية" والأوانى المماثلة فى "بيلوس" (٩). ويستطيع المرء أن يعود بذاكرته فى هذا الصدد إلى

الملاحظة التي أبداها "المؤرخ" المسيحي "أفريكانوس" (القرن الثاني بعد الميسلاد) عند نسخه مرجزًا لتاريخ مانيتو" بأن الهكسوس تدفقوا من "فينيقيا" (١٠). ولكن هؤلاء الأخيرين تطلق عليهم اللغة المصرية في مرحلتها الديموطيقية أي على زمن "مانيتو" بصفة دائمة اسم (الخارو)، وهذا مصطلح يشير إلى رقعة أوسع من الشريط الساحلي الضيق الواقع شرق البحر المتوسط شمالي "حيفا"، وهي رقعة تطابق على وجه المعموم فلسطين التي نعرفها وسوريا الجنوبية. وقد نجد أنفسنا مضطرين في الوقت الصاضر كيلا نرضي لأنفسنا بأقل من هذه الحدود العريضية، ألا نتوغل شمالاً إلى أبعد من سلسلة الجبال اللبنانية أو جنوباً إلى أقرب من مرتفعات "يهودا".

خزو النكسوس لمصر:

إذا تطرقنا للسؤال الذي يقول: كيف تأتى للهكسوس أن يبسطوا سيطرتهم على مصر، فإننا نكون قد خرطنا أنفسنا في نقاش مفعم بالحيوية والخصوبة. حقًّا بدأ مانيتر في ضبط الإيقاع بالإصرار على وقوع غزو، إلا أن المرء يستطيع أن يحاججه بسهولة، في هذا الصدد، بأن الأحداث الأقرب زمنًا إلى عصره من فترة الهكسوس تركت تأثيرها عليه. فالغزو إثر الغزو مما لم يبق حجرًا على حجر في مصر من غزو الأشوريين (٦٧١، ٦٦٦، ٦٦٣، ق.م) إلى غزو البابليين (٦٠٠، ٦٧ه ق.م) وغزو الفرس (٥٢٥، ٣٤٣ ق.م) خلق وعيًّا ما وأيقظ توقعًا بأن المخربين إنما يظهرون، على حين غرة، في الأفق الشمالي، وعلى هيئة جيش غاز(١١). ويبدو أن مصدر مانيتي، الذي يعود على وجه الاحتمال إلى القرن الرابع ق.م رأى في الهكسوس نموذجًا أصليًا prototype لكافة الأقوام التي اجتاحت مصر في أوقات لاحقة، ونسب إليهم، دون استحقاق، نفس الغرض الذي توخاه غيرهم في إحداث الخراب في مصر، وهو الأمر الذي وضع جدارة مانيتى كمصدر موضع الشك، ومن هنا جاز لنا أن نعيد صوغ وجهات نظرنا على نحو مختلف، وفي هذا الصدد، تقدم بردية متحف "بروكلين" والملاحظات التي مر ذكرها بإيجاز في الفصل السابق دليلاً ناصعًا على أن مصر شهدت خلال الأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة وجود جالية أسيوية كبيرة العدد تمتهن الأعمال الدنيا، وكانت قد هبطت إلى محسر أو بالأولى نقلت إليها من جراء الصروب التي خاص المصريون

غمارها في البلدان الأجنبية. ورغم أننا لا نملك شيئًا يشير إلى أن هذه الجالية الأسيوية - أو هؤلاء الأقوام الأسيويين - كانت أشد كثافة في شرق الدلتا عنها في أي بقعة أخرى في مصر، إلا أن المنطق السليم يجعلنا نفترض أن دفاعات الدلتا تضعضعت في ظل الضعف التدريجي الذي لحق بالسلطة الملكية، الأمر الذي جعل من اليسير على مجموعات متزايدة من البدو الرحل أن تعبر الحدود كي تستقر في الوجه البحرى، ورغم أن الخطوة التالية في المحاججة تستند إلى حد كبير إلى منهج الاستدلال، فإن المرستطيع أن يرسو على أنه بمرور الوقت نمت الجالية الأسيوية في شرق الدلتا إلى الحد الذي زادت في العدد عن أهل البلاد الأصليين من المصريين أنفسهم. وإذا ما اقتنع المرء بذلك، فإن الفرضية التي تذهب إلى حدوث غزو تكون غير ضرورية: تبوأ الهكسوس السلطة في البلاد على هيئة استيلاء سلمي، كما يتكشف عنه الأمر، من الداخل عن طريق عنصر عرقي كانت أعداد أفراده قد أصبحت تشكل أغلبية السكان (٢٠).

والآن هذه الحجة، التى يُشار إليها بصفتها حجة سبق الإقرار، إلى حد كبير، بصحتها، رغم أن أنصارها جاهدوا باستبسال في سبيل إيقافها على قدميها بأدلة هزيلة، تنطوى على عدد من المثالب الخطيرة.

الأول: الادعاء الذي يذهب إلى أن مجيء الهكسوس صحبه دمار فظيع ايس جديدًا على عصر "مانيتو" ولكنه يعود إلى مطلع المملكة الحديثة. فالفرعون "كاموسى" الذي أسهم في تدشين حروب التحرير يتحدث عن "مصر التي دمرها الآسيويون" (١٦). وتعيد "حتشبسوت" ولم يكن قد مضى نصف قرن، إلى الأذهان أن "المجموعات البدوية" التي قدمت ضمن الهكسوس قد دمرت ما كان المصريون قد بنوه (١٤). ولا يتعين علينا أن نعزو السلب والنهب اللذين تعرضت لهما الآثار على نطاق واسع في منطقة "منف" وتشتيتها في مساحة امتدت حتى "أباريس" أو "أواريس" (وفي وقت لاحق "تانيس") إلى مناطق موغلة في الاتجاه الشمالي في المشرق إلا إلى الغارات التي قام بها على وجه الترجيح الهكسوس(١٠٥). ولكن ذلك ليس – في إطار الأخذ والرد – سلوكًا منتظرًا من أقوام نتَّقفوا بثقافة المصريين عن طريق الإقامة الطويلة الأمد داخل حدود مصر، فبينما تمصرت كلية الجماعات الأجنبية الأخرى بطول الإقامة في مصر، مثل الليبيين، فبينما تمصرت كلية الجماعات الأجنبية الأخرى بطول الإقامة في مصر، مثل الليبيين، فلي المكسوس طوال القرن الذي

قضوه فى سدة الحكم فى مصر "أسيويين" كما ظل ملوكهم فى نظر المصريين "حكامًا أجانب" أو "أمراء ريتينو". وهذا أيضًا ليس مما ينبغى لنا أن ننتظره من مجموعة عرقية أقامت لمدة طويلة داخل حدود مصر.

ثانيًا: ليس هناك أي تأثير، من أي نوع لمجرد وجود الأسيويين قبل مسعود الهكسوس إلى سدة الحكم، على طبيعة الانقلاب السياسي الذي انبثقت عنه الأشرة الخامسة عشرة أو الهكسوس. فحقًا كان هناك يونانيون في مصر قبل الأسرة البطلمية وعرب قبل سنة ٦٤١ ميلادية وبريطانيون قبل معركة "التل الكبير"، ولكن الاستيلاء على الحكم الذي قيام به البطالمة والعرب والبريطانيون، على التوالي، شكُّل، مع ذلك، غزواً عسكريًا على نفس النهج إلى هذا الحد أو ذاك. و هناك نقطة أخرى تحتاج إلى تأكيد، وهي النقطة التي تتعلق بالعلاقات الاقتصادية السائدة بين الوافدين الجدد. حقًا كانت مصس تعرف منذ وقت طويل تسلل الرعاة الرحل عندما وقعت حصون الحدود فريسة الإهمال، ولكن هؤلاء المتسللين لم يتجاوزوا "أعدادًا محدودة"، الأمر الذي شكل مصدرًا للإزعاج دون أن يتفاقم إلى تهديد المدن(١٦١). ولم يمثل هؤلاء بكل تأكيد، الدعامة الرئيسية التي يحتاج إليها انقلاب ما، ولا مجاميع من أسرى الحرب مثل تلك التي تشهد على وجودها النصوص التي وصلت إلى أيدينا من الأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة. ولكن المرء إذا نحى جانبًا الحجة التي تستند إلى مجرد الوجود في مصر لعناصر أجنبية قبل فترة الهكسوس، فإن الدعوى الصحيحة ظاهريًا تسقط. بقى علينا أن نفسر المواقع الكبرى مثل "تل الضبعة" و "تل اليهودية" و"المسخوطة" حيث انزرعت جاليات كنعانية حضرية تنتمى على وجه التحديد إلى العصدر البروندزي الوسيط(١٧). وهذه الجاليات لم تتشكل، بكل تأكيد، خلال التسلل المتقطع ولكن خلال النزوح في مجاميم كبيرة على هيئة كتل سكانية كانت قد دخلت في المرحلة الحضرية.

وكان ليطفئ عطشنا أن يكون فى وسعنا أن نتحدث عن مستويات من الدمار المكثف فى ذلك العصر، تقوم عليه أدلة مستقاة من الاستكشافات الأثرية، إلا أن الأمر ليس على هذا النحو. فكثير من مواقع الدلتا خضعت للفحص قبل أن يصل علم الآثار (الأركيولوجيا) إلى مستواه العلمى الذى أصبح عليه اليوم، فى حين أن البعض الآخر من تلك المواقع إما أنها طمست بصورة نهائية طبقاتها التى ترجع إلى المملكة الحديثة

تحت منسوب عال للمياه الجوفية، وإما أنها تكشف عن فجوة فى إعمارها من جانب السكان، وحتى "أباريس" (= "أواريس") ذاتها، تلك التى أصبحت، بكل تأكيد، "تل الضبعة" الصديثة لم يدع "مانيتس بالمرة فى تاريضه أنها تعرضت النهب، ولا تكشف الاستكشافات إلا عن تغير دخل على التخطيط الاستيطاني واحتلال الموقع من جانب وافدين خلص (١٨) كما أن أماكن مثل "تل المسخوطة" لم تكن، على وجه الاحتمال، سوى مستوطنات جديدة (١٩). ولما كانت الاستكشافات التي جرت في الكرنك قد كشفت عن طبقة رقيقة من الرماد الذي ذرته الرياح على الأبنية في طور الأسرة الثالثة عشرة (٢٠)، فإن المرء يكون متهورًا قليلاً في هذه المرحلة من بحثنا إذا نسب ذلك إلى المكسوس،

تبدو الحجة المضادة التي تطرقنا لها للتو سلبية ولربما تشارف مدارج دعوة لليأس، الأمر الذي قد يزيِّن لنا أن نتسامل عند هذه النقطة: ما الذي نعرفه حقًا عن غزو الهكسوس؟

تحمل قائمة الملوك التى تبدأ في المملكة الحديثة و المدرزفة باسم قائمة تورينو والمنقوشة على بردية ترجع إلى عصر الرعامسة، فيما بين نهاية الأسرة الشانية عشرة وأول حاكم لمصر من الهكسوس ما يتراوح بين ١٢٠ و ١٢٠ اسما تجمعها تحت عنوان فرعى: الملوك الذين جاءوا في أعتاب البيت الملكي سي - حوتب - رع (له الحياة والرخاء والمافية) أي الأسرة الثانية عشرة. ولكننا نجد أن مانيتو حشر عند هذه النقطة أسرتين هما الثالثة عشرة والرابعة عشرة اللتان تضمان، مع الأسرة الخامسة عشرة بصفة إجمالية ١٣٦ ملكاً، وهو ما يتقرب كثيراً من العدد الإجمالي الذي كان يستقى بالمسرورة في وقت سابق من قائمة تورينو رغم أن ديوردو الاسرة الدالي عاش في القرن الأول ق.م. زاد، بالخطأ، عدد الملوك في أواخر الاسرة الـ١٢٨ إلى الضعف وخلط بينهم وبين ملوك مطلع الاسرة الـ١٨٨، إلا أن كتاباته انطوت، بشكل عمومي، على تقييم دقيق لتلك الفترة (٢٠):

" بعد هذا الملك جاءت سلسلة طويلة من خلفائه على عرش مصر، ممن لم ينجزوا أعمالاً تستعق التسجيل" (١-٦٠).

أمازيس (۱-۲۰)

أكتيسانيس الأثيربي (١-٦٠)

مندیس (ماروس) بانی قصر التیه (۱-۲۰)

انقطاع: لا ملوك لخمسة أجيال (١-٦٢)

ستيس بروتيوس (١٦١-١)

ينبغى لنا أن نتحرق على "سيوسيس الثانى" و "منديس" فى شخص "أمين-ام-حات" الثالث بانى مجمع "هرم هوارة" (أى قصر التيه)(٢٢)، وتعد "السلسلة الطويلة من الخلفاء" وفترة الانقطاع تصويرًا للأسرة الثالثة عشرة، وخمسة أجيال، (حوالى ٢٥٠سنة) فى الحقيقة، صحيحة إلى حد كبير (٢٣)، وينبع التعليق المناوئ على نظام حكمهم بننس الدرجة، من الحقائق التى تقول إن مؤركًا أغرادًا خلشوا، الواحد الآخر، فى تتابع سريع، وأن قليلين بصورة نسبية منهم، هم الذين تركوا وراهم أننة أو نقهشًا.

والآن يرد اسم، عندما نصل إلى الشعبل الشامن ٢٧ ، والتاسيع ٩ ، من قائمة تورينو ، ولو أن بعض حرونه أى حروف ذلك الاسم مهشمة ولكننا نستسليع على رجه الاستمال أن نقرأه، مع ذلك، على بذا النصر مه(سه)-٢٠٥ وكان انظماء قد ظارا لمدة طويلة يدرسون استمالاً قبوياً بأن يروا في هذا الملك/الفرعون "جد-سوتب-رع" أو (جد-نفر-رع") "جدر- سيس"، وهو الفرعون /الملك الذي ورد ذكره في عدد من النصوص المعاصرة التي ترجع إلى زمام "طيبة" (٢١)، وأو أو الشكلين الواردين للاسم كشيرين أن غزو البكسوس وقع خلال فترة حكمه، ولكن النقوش المعاصرة لا تغيدنا كشيرين أن غزو البكسوس وقع خلال فترة حكمه، ولكن النقوش المعاصرة لا تغيدنا بشيء البتة، مع الأسف، حول ذلك الغزو، رغم أن المرء قد يستنتج من تلك النقوش أن المراه قد يستنتج من تلك النقوش أن المراه قد يستنتج من تلك النقوش أن المراه قد يستنتج من تلك النقوش البلاد كان خارج نطاق سلطانه. إلا أن النقوش، التي ترجع كلها إلى جنوب البلاد،

وتعود إلى ذلك العصر على وجه التقريب تحمل طابع الولوع إلى حد ما بالقتال، وهو الطابع الذي يتوافق مع الاندلاع الفجائي لأعمال حربية في مصر، فنقابل في ثنايا تلك النقوش نعوتًا عامة من قبيل ("هو الملك الجبار الذي يحبه جيشه"... قاهر المتمرد الذي خرج على سلطانه"... "ذابح أولئك الذين شنوا الهجوم عليه... الذي صد كافة البلدان الأجنبية وأنقذ مدينته... الذي أطاح بأولئك الذين انتهكوا... الذي يعتمد في (حركته) على ذراعه "القوى") وهكذا دواليك(٥٠) ولقد جاء صادودان من الصواديد/ الألواح التي تشير إلى ديد – موسى" ذاك من رجال عسكريين، وقادة حصون، ممن كانوا يعملون تحت إمرته(٢٠).

إذا كان لنا أن نفهم هذه الإشارات الضمنية إلى نزاع ما، على أنها فى حقيقة الأمر إشارات إلى أعمال حربية اندلعت فى أعقاب عزوة قامت بها "بلدان أجنبية" وأن الذين قاموا بتلك الغزوة هم الهكسوس، فهذا أمر تقوم دليلاً عليه الإيماءات الكلية الحضور إليهم، تلك التى تركها "كاموسى" بعد ذلك الوقت بقرن من الزمان، فهم، فى هذه الإيماءات، "أسيويون" (٢٧) ودمروا البلاد، وقد تدفقوا من بلاد "الأسيويين" (٢٨) وزعيمهم هو "شيخ سورى" (٢٩) ولقد "اجتاحوا مصر" (٢٠).

يغرى المناخ الدولى السائد في الشرق الأدنى في الربع الثاني من القرن السابع عشر ق.م بإمعان النظر إليه، لأننا إذا ما رأيناه في ضوء خلفية الدول المتصارعة في الهلال الضميب عند مستوى حقبة AB IIB-C ها الهلال الضميب عند مستوى حقبة AB IIB-C ها في وقت لاحق بالأسرة الخامسة عشرة يغدو أكثر ترجيحًا. فلقد كانت الفترة في ذلك الوقت فترة من أعمال الحرب الشرسة، التي اصطرعت فيها القوى الكبرى، الواحدة مع الأخرى في سبيل الفوز بولاء إقطاعي من جانب الملوك الأقل شأتًا، وهام فيها المغامرون لأماد بعيدة عن أوطانهم وراء غزواتهم سعيًا وراء الاستيلاء على الممالك وبفاعًا عما وضعوا أيديهم عليه (٢١). وكانت الجيوش جرارة وسريعة الحركة: في بحر أربعة أيام عبر عشرة آلاف رجل من "البالمين" قادمين من "سبار" Sippar في بحر أربعة أيام عبر عشرة آلاف رجل من "البالمين" قادمين من "سبار" وقد يكون وانطلق ثلاثة آلاف من "شباط أثليل" Shubat-anii إلى "إشنونا" هد يكون عن طريق (قائدهم؟) قد أخذهم عن طريق أشناكوم Ashnakum ، وقد يكون عن طريق سيوسوسوم Sususum من بدري؟(٢٢) كانت الزحوف طويلة المدى والمخاطر عالية. ولقد دمر "ياهدونليم" تحالفًا ائتلف ضده،

ووسع حدود مملكته حتى بلغت سواحل البصر المتوسط. (٢٣) وقد أقسم "ياريم -ليم" Yarim-lim ملك "يامخد" (= حلب بشمال سوريا) على الزحف إلى "دير" Der جنوبي جبال (زاجروس) ردًا على إهانة بسيطة (٢٤) وفي ظل مناوراتهم التي لم تعرف هوادة في سبيل الفور بالمكانة الأعلى، انخرط حكام ذلك الزمان في إبرام التحالفات و فضُّها وفقًا لما تعليه عليهم مصالحهم المباشرة: "ملك "إشنونا" سوف يقدم لي العون. والأن أرسل لى القوات حتى أتمكن من الوصول إلى غايتي، وعندئذ سوف أرسل إليك، إلى جانب قواتك، قوات شديدة البأس كي تتمكن أنت أيضًا من الوصول إلى غايتك (٢٥). إذا هجم عليك العدو مرة أخرى سوف أرسل قواتي كي تكون في عونك. ولكن إذا هاجمني عدو فهل ستهب قواتك إلى مساعدتي! (٢٦) ولم يكن التواني في الاحتراس يعنى سوى شن أحد الجيران لهجوم مفاجئ القد صمم ملك الشنونا على بناء المدينة ... وفي الوقت الذي يبنى فيه المدينة هل ساقف مكتوف اليدين كي أراقيه؟ (لا!) لسوف أشن هجومي على بلاده! (٢٧) "الوقت مناسب الأن لجيئك ... فهذه المدن الثلاث ليست جيدة التحصين: نستطيم أن نستولى عليها في غضون يوم واحد! أقبل سريعًا الآن واستول على هذه المدن حتى تقوز قواتك بالغنائم! (٢٨) وكانت أعمال السلب والنهب وجرائم القسوة والوحشية شائعة: 'لسوف تنخذ قوات 'إشنونا' في النهب والسلب ثم تولى وجهها شطر "الفرات" (٢٩) "يستعد الثلاثون "سوتو"، الذين ذبحوا كل أغنامهم كي يشنوا غارة (٤٠) أخذ يغير بنو يمن ، وكلما شنوا غارة واستولوا على الأغنام، أرسلت قوات الاحتياط كي بلقوا القبض عليهم (٤١) 'أرسلت نون' إلى أرض 'أحوزيم' على رأس جيش ... و لقد محق كافة الهجمات التي شنتها قوات بلاد التركيان Turkeans التي احتشدت حوله و لم يستملع أي منهم الفرار! وفي ذلك اليوم نفسه تم الاستيلاء على كافة أراضي "أحوزيم" (٤٢).

تقدم لنا هذه الإشارات مشقًا Paradigm انوع من الغارات التى يبدو أن غزو الهكسوس اتخذه فى بادئ الأمر. ولمعل الدافع والموقف متماثلان هنا فى أنهما يشكلان أفضل ما يكون كى نفترض مثل هذا الحدث: دولة "أمورية" قوية فى المشرق، ومصر التى دب الضعف فى أوصالها، واحتمالات نجاح غزو لا يصادف مقاومة تذكر وما بستتبع ذلك من الاستيلاء على غنائم هائلة. ولكن يبقى أن نتأكد من هوية أولئك الملوك الأجانب.

الأسرة الخامسة عشرة:

بين مدخل "جد - ميسى" Dd-msi في قائمة تورينو X - 9 والقسم المصصص للهكسسوس في هذه القائمة X-10 نقابل نصو ٢٢ اسمًا وقد انحشرت بينهما، وهي الأسماء التي ظلت تستعصى على التفسير لسنوات عديدة. إلا أن الحقيقة أن هذه الأسماء اتضع الآن أنها أسماء أسيوية غربية، وإن كانت "متشلفطة"، في كثير من الحالات خلال عملية النقل إلى حد تتعشر معه قراءتها(٤٢). غير أن سنة أو سبعة مداخل تشبه، لأول وهلة، ويصورة مقنعة، أسماء معروفة في سلسلة أنساب "شمش -داد" في قائمة الملوك الأشوريين(11)، وهو الأمر الذي يقدم لنا مفتاحًا نصو كشف الطبيعة الحقيقية لهذا القسم الذي نقف أمامه حياري. لكن إحدى السمات التي تقوم عليها أدلة قوية في ثقافة المالك الأمورية التي عرفها غرب أسيا في أراسط السحسر البرونزي تتمثل في عبادة الأسلاف الملكيين في شكل شجرة أنساب، تعلى الشرعية لنظام الحكم(٤٥)، ولقد نجت من عوادى الدهر نماذج عديدة من مثل هذا "الشجر" العائلي كي تصل مدونة إلى أيدينا. والواقع أن الأسماء الاثنين والثلاثين الواردة في تنائمة "توريني" قبل فترة الهكسوس مباشرة إنما تشكل الشجرة العائلية التي تتكون منها الأسرة اله ١ التي حفظتها تقاليد عبادة الأسلاف في 'أباريس' (= 'أراريس')، وانتقلت في نفس المنطقة إلى الأسرة الـ ١٩ . وارتبساطهم (أي أصدحاب تلك الأسماء) "الأجنبي" (= خاست بالمسرى) الذي أسيىء تفسيره كي يبدو وكانه أصل في "زويوس" وXois حصقا سسو ، قد ظهروا في الألف الأول تحت اسم الأسسرة الـ ١٤ التي ترجع إلى · (17).

إذا كان الهكسوس قد برهنوا مرة أخرى من خلال تقاليدهم العائلية أن أصولهم ترجع، بصورة جلية، إلى الملكية الأمورية التى تضرب بجنورها فى أواسط العصر البرونزى، فإن مجرد إقامتهم فى مصر تدخلهم فى الرقت المناسب فى تقاليد قرائم الملوك التى عرفتها مصر. ويورد "مانيتو" فى قائمته ستة أسماء ملكية من الأسرة الده ١، والرقم الذى ورد فى قائمة "تررينو" قبل عصر "مانيتو" بألف سنة هو ستة أيضًا، وهو الأمر الذى يمننا بمسوغ قوى لافتراض أن هذا الرقم تاريخى، وعند هذه النقطة ينتهى، مع ذلك، الاتفاق الذى يجمع المصدرين. وفى حين لا تضم قائمة "تورينو"

سوى قيد entry واحد للملوك الهكسوس، فإن ملخص تاريخ "مانيتر"، (حسب رواية أفريكانوس) يشير إلى لللوك الرعاة، مرة أخرى في الأسرتين الـ ١٦ و الـ ١٧ . والحقيقة أن "مانيتو" لم يكن بوسعه أن يفعل شيئًا، في ظل التزامه يقائمة وإحدة تسير في خط طولي مفرد، كي يشير إلى تزامن نظامين اثنين الحكم، سوى أن يسجل نفس المجموعة من الأسماء مرة بعد مرة كلما تعاصر نظاما حكم. ولعل القصور في رصد هذه الآلية في الماضي، هو الذي أسفر عن عدد من النظريات التي تثير السخرية في إعادة بناء حقبة الهكسوس(٤٧). فنقابل في ثلاث روايات لملخص تاريخ "مانيتو" الموسوم باسم Aegyptiaca ثُلاثة تقديرات يختلف الراحد منها عن الأخر اختلافًا كبيرًا الفترة التي قضاها الهكسوس في حكم مصر: من ٢٥٠ سنة عند "يوسيبوس" Eusebius إلى ٢٨٤ سنة عند "أغريكانوس" إلى ١١٥ سنة عند "يوسيفوس"(١٤٨). إلا أن الترجيع الأكثر قبولاً للرقم في قائمة "تورينو"، من ناحية أخرى يسجل ١٠٨ سنوات أو ١٨سنة، -- وهذه نترة معقولة - لكل حاكم في المتوسط (٤١). على أن التأريخ النسبي للتاريخ المسرى إلى جانب الأدلة المستمدة من اختبارات كربون-١٤ والتاريخ الذي يوفره لنا التاريخ الغزفي لأسبا الغربية، والتاريخ السياسي للتداخل بشدة لوادي الرافدين، كل ذلك لا يسمع أنا أن نقرل عن حكم النكسوس إنه امتد إلى أكثر من مائة سنة أو قرن واحد. ومن ثم نستطيع أن نطرح جانبًا الترتيب والأرقام التي وردت في تاريخ "مانيتو" والأولى في الملخصات التي نقلها عنه أخرون.

ولكن ما هي الأسماء التي وردت في تاريخ "مانيتو"؟

هذه الأسماء تختلف من الأخرى إلى هذا الحد أو ذاك من رواية لأخرى ولكن الاختلاف هنا لا يبلغ ننس المدى، كما في المجموع الكلي الذي سبُّجُل بالفعل في قوائم:

يوسىيفوس	اُفریکائوس ^(۵۰)	يوسبيوس
ساليتس-١٩مىنة	سايتيس ١٩ سنة	سايتيس-١٩ سنة
بنون ٤٤ س	بنون ٤٤ س	بنون ٤٠ س
أباشنان ٣٦س ٧، ش	باشنان ۲۱س	

أبوفيس ۲۱ س سطان ۵۰ س ----ياناس ۵۰ س، ۱ش أرشليس ۶۹ س أسيس ۶۹ ، ۲ش أبوييس ۲۱ س أبوييس ۱۶ س

نلاحظ هنا أن قوائم الملوك هذه تشترك ثلاثتها في إيراد أسماء كل من "ساليتس" (سايتيس)، "بنون" و "أبوفيس" ومن بين الأسماء المتبقية نجد أن اسم "سطان" ممكن أن يشتق بصورة مقبولة ظاهريًا من اسم "أناس" نتيجة اسهو ما في رسم حروفه، بينما نستطيع مطابقة "أرشليس" خلال الموضع وطول مدة الحكم المنسوبة إليه مع "أسيس"، و بذلك ينخفض العدد الكلي إلى ستة، وهو الرقم الذي يتوافق مع التقاليد التاريخية، ولا يبقى هناك سوى تناقض صارخ واحد يتمثل في حالة "أبوفيس"، ولكننا نستطيع حسمه لصالح تأريخ "أفريكانوس"، بفضل نقش يرجع إلى "تل الضبعة" (بمحافظة الشرقية حاليًا). فالنقش يذكر، بصورة ضمنية، وإن كانت بارزة ، أن (شخصاً) ما يدعى "إنساس" كان الابن البكر لوالده "خايان" (١٥)،

وعندما نحاول أن نشق طريق الرجوع قبل مانيتو"، فإننا نقابل صعوبات عويصة تتمثل في أن هذه الأسماء لا تتطابق. ولعل من المؤسف حقًا أن تحرمنا تلك الفجوة في البردية التي تحمل قائمة تورينو" من المداخل الخمسة الأولى. أما المدخل السادس أي الاسم الوحيد الذي ظلل على قيد البقاء: "خامودي" H³mudi الذي لا يشابه لا أسيس" Asis ولا "أبوفيس" Apophis . وتشير سلسلة أنساب كهنة منف" تلك التي وضعت في القرن الثامن ق.م إلى ملك بارز باسم "شارك" Sharek صعد إلى سدة الحكم غلال ما يمكن أن نطلق نحن عليه اسم الفترة الانتقالية الثانية، وقد سبقه بجيل واحد، ماليتيس" و "عا - قن - رع" (أحد الاسماء الأولى نظير الأخيرة أن اسم المجد واللقب البسور"؟(٥) والاسم الأخير عومل بطريقة ساخرة خلال تأويله كي يعني "البحش البسور"؟(٥) والحقيقة ظهر اسم "بوفيس" في مقطوعة من الفولكلور، تعود إلى عصود الرعامسة أي بعد حوالي ثلاثمائة سنة من الفترة التي يبدو مؤكدًا أنه عاش فيها، بعمفته أحد الأبطال عند تفجر حروب التحرير، ولكن القصة خالية من كل ما نستطيع بصفته أحد الأبطال عند تفجر حروب التحرير، ولكن القصة خالية من كل ما نستطيع التعويل عليه تاريخيًا، حيث لا تنطوي إلا على ذكريات باهتة عن تلك الفترة (١٥).

- إلا أن النصوص المعاصرة لاحتلال الهكسوس لمصر (تلك التي تحملها بصفة رئيسية الجعارين والأختام حيث يندر أن نعثر لتلك الفترة على نقوش على الحجر أو وثائق مكتوبة على ورق البردي) وفرت لنا عددًا كبيرًا بصورة ملحوظة من الشواهد على أسماء ملوك الهكسوس(٥٠)؛
- الإله الطيب ماع إيب رع بن رع ، شيشى (ظهر الاسم على عديد من الجعارين التى عثر عليها في مصر والنوبة وفلسطين)(١٥٠).
- ٢ الإله الطيب مير وزير رع بن رع، يعقوب هر ظهر الاسم على العديد
 من الجعارين التي ترجع إلى مصر والنوبة وفلسطين)(٥٠).
- ٢ الإله الطيب ابن رع "يعام" (وأحيانًا يرد "عام") (ظهر الاسم على عدد محدود من الجعارين التي لم يستدل على المطرح الذي ترجم إليه)(١٥٨).
- ٤ حورس "هو الذي يحيط بالأرضين" الإله الطيب "سوسر-ان-رع" بن رع خايان" (ظهر على الأثار التي ترجع إلى كل من الوجهين البحرى والقبلي، والأدوات الصغيرة التي تعود إلى بلاد الرافدين وأواسط هضبة الأناضول وكريت وعلى العديد من الجعارين التي قدمت من مصر، بالإضافة إلى جعران من فلسطين، ولكنه لم يظهر على أي جعران من النوبة) (٥٩).
- ه الابن البكر للملك، "يانساس-إكس" (ظهر على قائمة كتف باب يرجع إلى "تل الضبعة")(٦٠).
- ۱ الإله الطيب، سيد الأرضين "نيب-خويش-رع" بن رع "أبوفيس" (ظهر على أداتين صغيرتين وجعران)(١٠).
- ٧ "حورس" هو الذي يهدى روع الأرضين، الإله الطيب، "عا قنن رع"، بن رع، أبوفيس"، محبوب الإله ست" (ظهر على ستة أثار وأدوات صغيرة ترجع بصفة أساسية إلى "منف" أو الدلتا)(١٢).
- ٨ الإله الطيب ملك مصر العليا والسفلى، "عا وزر رع"، بن رع، "أبوفيس"
 (ظهر على أثار ترجع إلى "تل الضبعة" "بوباسطة"، "منف " و "طيبة" و "جباين"

و 'إسبانيا" وفي بردية 'رند" الرياضية وعلى منزر أحد الكتبة وعلى عدد من الجعارين ترجع إلى مصد وفلسطين)(٦٢).

وقد يكون في وسعنا في ضوء ذلك أن نخلص رأساً وباطمئنان إلى عدد من النتائج:

أولاً: موضع الرقمين ١، ٢ على رأس القائمة (رغم أن ذلك ليس ترتيبهما النسبى) عبرا إلى مملكة اليقين عن طريق الأسلوب واغتقال جعارينها إلى الثانق والسلقل وشكل الكتابة الغامض وغياب كل نقوش ضخمة.

تانيًا: تنكد سياق رقمى ٤، ه خلال قائمة كتف الباب الذي سبقت الإشارة إليه.

ثالثًا: كون الرقم ٨ قريب من نهاية القائمة أسر تأيد من خلال الحقيقة التي تقول إن "عا-وزير-رع" أعدب يعرف الآن بأنه كان معارضًا قديبًا له: "كامرسي" طوال السنوات العشر التي استغرقها طرد الهكسوس(١٤).

ئ شيراً: يبدر من المرجع أن رقمى ٦ ، ٧ وهما رقمان يندر ظهورهما، ينبغى تفسيرهما باعتبارهما شكلين مبكرين لرقم ٨ ، وما نعرض له الآن ليس سوى أبوفيس واحد (١٠٠). وبناء على كل هذا نستطيع أن نعيد بناء سياق ملوك الأسرة الخامسة عشر على هذا النحو:

الأسرة الشامسة عشرة ثاريخيا(٢١)	عند مانیتی
۱ - "ساع - إيب - رع"، شيشى	ساليتيس
٢ – ۾ڙر – رين – رع ، يعقوب – هر	بنین - باشنان
٢ - "سوسر - إن - رع" خايان	ياناس
٤- [] يانساس - إكس"	أسيس
ه ثلاثة أسماء. "أبوفيس"	أبوفيس
۲ – مخامودی ً.	

غير أن هذه القائمة تقصر عن استيعاب عدد من الأسماء التى ينطبق عليها على يجه التقريب - اسم الهكسوس كمصطلح خاص، فهناك صفنة من الجسارين التى تفتقر، في معظمها إلى المسادر التى ترجم إليها، لكنها توفر لنا أدلة قرية على وجود خمسة وربما سنة أسماء يسبنها لتب حقا خاسوت:

والآن ورغم أن عدد الشوائد التى تظهر فيها هذه الأسماء محدود إلا أن أسلوب النقش أو القلم المصرى (=الكتابة) على هذه البعارين تثبت أن تلك الأسماء ترجع إلى مطلع احتلال الهكسوس لمصرية الله الحقيقة التى تقبل إنه ما من اسم واحد من هذه الأسماء بحمل أى ألقاب سصرية ملكية، بل مجرد تعبير طالما جرى استخدامه للحكام الأجانب، تضع أصحاب هذه الأسماء في تصنيف سياسي معروف: هم ليسوا ملوكًا لمحسر، بل حكام لها فقط وقادمون من بلاد أجنبية و مع ذلك دغلوا، في ظل الثقافة المصرية والتنظيم الحكومي المصري، إلى حد يستطيع المرء معه أن يحكم بأن الثقافة المصرية والتنظيم الحكومي المصري، إلى حد يستطيع المرء معه أن يحكم بأن كتابتهم لأسمائهم باللغة المصرية أسر غير مستغرب. والحقيقة أن أسماءهم تلك لابد وأنها كانت تجرى في الاستعمال عند أداء المعاملات اليهمية. ويبدو لي أن أصحاب الأسماء التي ظهرت هنا يعودون بنا إلى البيل الأول الذي شهد النزو. وقد تعكس في نفس الوقت وعلى وجه الترجيح انتلاف القادة الذين كانوا يرافقون شيش – ساليتيس غداة النصر الذي أحرزه.

حكم الهكسوس لمصر:

قادتنا الأدلة إلى نتيجة معقولة بأن دخول الهكسوس إلى مصر أخذ شكل الغزو المسكرى بالمعنى الكامل للعبارة على امتداد الخطوط التي رأينا انعكاسها في الأرشيفات الكبرى التي ترجع إلى القرنين الثامن عشر والسابع عشر في غرب أسيا (١٤) وإلى جانب "شيشي" (ساليتيس) ورد عدد من الملوك الأقل شأنًا بعد أسيادهم (من الملوك الأعظم) على نحو ما كان الأمر جاريًا في غرب آسيا. وإذا كان حكم "شيشي" قد استمر لمدة قصيرة نسبيًا مثلما تشير قائمة "تورينو"، فإن الجيلين الثاني والثالث من ملوك الهكسوس ريما يكونان قد شاركا حتى في عملية الغزو ذاتها، وهو الأمر الذي يجعلنا نطمئن إلى الافتراض بأن "حقا – خاسوت – خايان" هو الملك الذي جاء بعد ذلك، وقد يكون الغزو قد انطوى على وجه الترجيح على نوع من التدمير الذي يصغه "مانيتو"، وفي إطاره استولى الهكسوس على وجه الاحتمال على وجه السرعة على كل من "منف" و "ايتي-توي" وطرحوهما فريستين للنهب والسلب (٢٠). وقد يكون في طوعنا أن نتخيل عن صدق أن "ديدو موسى" قاد في تسرع، انسحابًا من الوجه البحرى كي يقيم في "طيبة" في أعماق الجنوب.

وفي نفس الوقت على وجه التقريب، ولريما قبل ذلك بوقت قصير، وقعت ضربة أخرى: انفصلت ولايات الملكة الوسيطة في النوبة السفلى، تلك الولايات التي كانت الأسرة الثالثة عشرة قد أهملتها لمدة طويلة. كما قام رجال القبائل المحليون بنهب عدد من الصحيون المصرية، واستولوا على عدد أخر منها و جديوها، ولربما يكونون قد تمكنوا من صهر النحاس الأحمر(٢٧). وسرعان ما قامت مملكة نوبية غير متبلورة في أعالى النيل، تمركزت حول كرما عند الشلال الثالث في زمام دنقلة إلا أنها تشكلت على امتداد خطوط الملكية الفرعونية وتتطلع إلى مصر بصفتها قدوتها الثقافية. ولقد تعرضت المستوطنات المصرية في النوبة، وربما بعض المستوطنات في جنوب الوجه القبلي ذاته لأعمال نهب واسعة لتوفير التماثيل ومختلف وسائل التزيين الأخرى للمقر الملكي، الذي قام في "الكرما" (٧٧).

وعندئذ أصبحت الأسرة الثالثة عشرة المضعضعة التى اضطرت إلى التفهقر إلى رمامها الأصلى الذى خرج منه بيت الجدود، تواجه الأعمال الحربية على جبهتين. ويبدو مرجحًا غاية الترجيح أن اللهجة المولعة بحب القتال للنصوص التى يحملها الصادودان/ اللوحان اللذان يرجعان إلى الكرنك تجد سياقًا أو تفسيرًا مناسبًا في تلك الفترة خلال التهديد بشن هجمات (جديدة) أكثر عمقًا في زمام "طيبة" الذى كان قد تقلص، فعلى أحد هذين الصادودين (٨٠٠)، يصف الملك "سيخيم - رع - عنخ توى - نفر - حوتب - إخر - نفريت" نفسه على هذا النحو:

"هو الذى دخل مدينته مع مقومات الحياة التى سبقت خطاه إليها، ورافلاً فى الأعياد جاء دخوله إليها، طلك جبار يحبه جيشه، وهو حورس الطيب الذى جلب القرابين، وهو الذى سبب الأسباب لمدينته كى تعيش عندما سقطت فريسة العوز، قائد طيبة المنصورة، الإله الطيب محبوب رع، ابن أمون ملك الآلهة الذى حمى مدينته عندما هوت، و عندما غرقت، بالأجانب، وهو الذى أخمد، نيابة عنها، تمرد الأراضى الأجنبية بقوة والده "آمون"، وهو الذى أطاح من أجلها بالأعداء الذين ثاروا ضده".

وعلى الصادود الأخر(٧٩) نجد مديحًا لملك ما يدعى مونتو-حوتب:

ينبغى على المرء أن يبتهج المديح الذى يلقيه على مسامعه، أى مسامع الملك، عند مغادرته بيته، مثل قرص شمس يحبه جيشه، وهو الذى تفوق بساعده [.......] وهو الذى يحيا وفقًا لخططه [........] لطيبة المنصورة! أنا ملك الداخل (أى وطنى) ولى ، هذه مدينتى. سيدة (هكذا) البلاد كلها، المدينة المنصورة سيدة كل المدن! الإله العظيم، شبيه رع، الذى لن يطاول هامته أحد إلى الأبد ، من يبتهج الجميع لسماع اسمه العظيم، شبيه رع، الذى د كافة المبلدان الأجنبية على أعقابها، وأنقذ مدينته بقوته، ليس هناك أى نهب المناس في ظل (حضوره؟) (أثار) مثل سخمت في سنة انتقامها (أع - حر - س)، ذاك الذى يخاف الجميع من لهيب أنفاسه، وهو الذى أطاح بمهاجميه (من جاء إلى (؟) حفرة الشرب(؟)(١٠٠) في حصنه، مثل المواشي (حول؟) مزاغل (شرفاته) حيث طلع من حصنه مثل تماسيح الفيضان، أتى الجيش مثلما مزاغل (شرفاته) حيث طلع من حصنه مثل تماسيح الفيضان، أتى الجيش مثلما يأتى الرعب من [...] ولم يكن هناك من يستطيع الوقوف في وجوههم (شطفة س) الذي يصنع بذراعه الذي يعطى في الوقت المناسب وهو يأتى كي يمر خلال نطقه، الذي يصنع بذراعه الذي يعطى في الوقت المناسب وهو يأتى كي يمر خلال نطقه، الذي يصنع بذراعه الذي يعطى في الوقت المناسب وهو يأتى كي يمر خلال نطقه، الذي يصنع بذراعه الذي يعطى في الوقت المناسب وهو يأتى كي يمر خلال نطقه، الذي يصنع بذراعه الذي يصنع بذراعه

المفتول الذي لا يثنيه ذراع أخسر، حاد الذهس الذي يأتي من [... خمس مجاسيم] ، هو الذي يقف على رأس الأرضين".

حقاً تبدر لنا نحن المحدثين لهجة عذا المديع طنانة، إلا أن أحداثًا معينة هي التي أملت نقش هذين النصين إذ نرى في أحدهما مدينة وقعت فريسة العوز، ولم ينقذها سوى وصول الملك في وقت مناسب حاملاً الطعام، و دافعًا للأعداء: "البلدان الأجنبية". وعلى المسادود الآخر نتابل دحر المهاجمين واستنصال شافتهم، وهم البلدان الأجنبية مرة أخرى ما في ذلك جدال، أولئك الذين يشبههم النص بالحيوانات التي "تخنخن" حول الحصن كي تطفئ عطشها في ماء البئر المعفور في الحصن. ويبدو مغريًا أن نرى في كلا النصين إحياء شعريًا لذكرى الدفاع المستميت عن "طبية" العاصمة نفسها ضد المنزاة الأسيويين أو النوبيين، أو ربما هما معًا. كما يغرينا بنفس الدرجة، أن نفسر مستوى الدمار فوق أطلال مدينة الملكة الوسيطة، الأخيرة، في موقع "طبية" بصفته ناجمًا عن إحدى مثل تلك الهجمات، وربما إحدى الهجمات التي وضعت النهاية الأخيرة ولكن المسؤال حول ما إذا كان الفراه المعنيون فم النوبيون أم الهكسوس يظل سؤالاً بلا جواب شاف. وعلى أي حال استطاع الهكسوس أن يقولوا إنهم تمتعوا، خلال بلا جواب شاف. وعلى أي حال استطاع الهكسوس أن يقولوا إنهم تمتعوا، خلال بدى مرأحل احتلالهم للبلاد، بسيطرة كافية على زمام أطيبة" سمحت لهم بإقامة إحدى مرأحل احتلالهم للبلاد، بسيطرة كافية على زمام أطيبة" سمحت لهم بإقامة نصب تذكارى هائل في "جبلين" Gebeiein إلى الجنوب مباشرة من مدينة "طبية"

ويبدو مؤكداً أن الهكسوس لم يدخروا وقتًا قبل إجراء اتصال ما مع النوبيين، مستخدمين في ذلك، على وجه الاحتمال طريق الواحات البحرية" و الداخلة" و "دوش" كي يصلوا إلى النيل النوبي في "توشكا (٢٠). فلقسد وصل إلى أيدينا العديد من البعارين والأختام التي ترجع إلى الحاكم الهكسوسي "شيشي" وبالتعديد من الحصن المسرى الذي كان قائمًا في "أورونارتي" (٤٨) المالات ومن مدينة "كرما" (٥٠) ويبدو أن "يعقبوب - مر" يظهر أيضًا في الموقع الأخير أي في "كرما" (٢٠). وكما يبدو نمت تجارة شطة (تبادل سلم) في الزيت (٢٠) وبسائر الكماليات مثل الأتاث والأسلحة (٨٨). وكانت مذه التجارة، كما سندرف في وقت لاحق، قد انطوت أيضًا على علاقات سياسية تقوم على التبدية، التي تغلف في مصطلحات مالوفة، قياسًا مع الفارق، من أسما الغربة.

وقم اختيار الملوك الهكسوس لقر حكمهم، فيما يذكر "مانيتو" على "منف"، وإكن المريق الذي سلكوه في دخولهم مصبر جعلهم على وعي حياد بالقيمة الإستراتيجية لشرق الدلتا. فها هنا، على فرع النيل الواقع في أقصى الشرق، على بعد ٣٧ كيلو مترًا، شمال شرقي "بوياسطة" قامت واستمرت قائمة لمدة طويلة مستوطئة ادارية ودفاعية تدعى أدوار طريقي أشتوي وإذا كان لنا أن نسير حيث بقودنا اسمها، فهي عبارة عن منشئة بناها ملوك الأسردين التاسعة والعاشرة اللتين قامتا غي "هيراكليبويوليس". (يشيير الاسم ذاته إلى الموضع الأمثل للموقع، عند الفاصل الذي يقوم بين الطريق الشيمالي- الغربي الذي يقود إلى "منديس" و وسط الدلتا، وذلك الطريق الشيمالي الشرقي الذي يقود إلى سيناء وغزة.) وكانت المدينة، التي بدأت في الأصل مستوطنة مخططة يحيط بها سور، قد توسيعت خلال الأسرة الثبانية عشرة، على أيدى "أمين-إم-حات" الأول و"سنوسرت" الثالث عن طريق إضافة معبد "كو" على الضلع الشمالي، وكان منذورًا لمؤسس البيت ومحاط ببيسوت واسعة من الطبوب الأخضس (= الني) لسكنى الكهنة والإداريين. ولقد أصبحت هذه المدينة معروفة (شعبيًا؟) ربما بسبب موقعها ذاك باسم توار الطريق الصحراوي"، وباللغة المصرية "حاوت وعرت" وهو الاسم الذي انتبقل إلى اللغة اليونانية هكذا: Ανάριδ أو 'أباريس' (= أواريس)، وحملت الناحية المجاورة، ونظرًا مرة أخرى لقريها من الصحراء اسم "فاتحة المزارع". واقد احتفظت المدينة طوال الأسرة الـ ١٣ هي وزمامها بأهميتها بصفتها مركزًا إداريًا، وقد شملها الملك "نحسى" على وجه خاص برعايته في الربع الأول من القرن السابع عثىر ق.م^(٨٩).

ألقت الاستكشافات التى قام بها "معهد المصريات بجامعة قيينا" في سنة ١٩٦٦، تحت إشراف البروفيسور مانفريد بيتاك" في موقع "تل الضبعة" إلى الجنوب مباشرة من "عزبة رشدى" فيضاً من الضوء على فترة احتلال الهكسوس لمصر. فهنا أزيح النقاب عما لا يقل عن ست طبقات متميزة، الواحدة عن الأخرى من مسترى حقبة ٣-١١١ ١١١ على استداد خطوط ثقافية كنعانية، والطابع المحلى والشيعائري في أرباع الدوائر والأولى المربعات المستكشفة لا يدين بشيء الثقافة المصرية، فهذا الطابع خاضع بصفة

خاصة التاثير الشمالي القادم من المشرق: تحلُّق مقابر العائلة حول المعابد، ودفن المتوفى مع أسلحته وتقريب أضاحي الأغنام كان شائعًا، وفي الغالب كان زوجان من الحمير يدفنان أمام باب المقبرة. وقد كشف عدد محدود من المقابر عن مخصصات غنية بما في ذلك التيجان. ويعطيها حجم الموقع الذي استمر ينمو طوال تلك الفترة، بالإضافة إلى ضخامة معمارها وثروة قاطينها، طابع مستوطنة كبرى أقامها الغزاة، بل وأيضًا وعلى وجه التقريب كمقر لحكامها ومستقر لجثثهم بعد الوفاة (١٠).

كشفت الحفائر الحديثة أن مدى الاحتلال الآسيوى الداتا في القرنين السابع عشر والسادس عشر كان مقصوراً على الفرع الشرقى البوباسطى النيل و وادى السيلات وبالتالى الأطراف الشرقية الداتا (١١٠). فهنا، ومثلما كان عليه الحال في تل الضبعة أباريس، يتعين علينا ألا ننسى تلك الجالية الكبيرة التي ترجع إلى أصول فلسطينية أو سورية ونزحت إلى مصر واستمرت تعيش معزولة عمن يجاورونها ودون أن تقيم أي اتصال مع أي سكان مصريين من أهل البلاد الأصليين قد يكونون مقيمين في المنطقة أو مع اتصال ضعيف في أحسن الأحوال معهم. (لوحة رقم ١١).

أما في أي مكان أخر سواء وسط الدلتا أو غربها أو وادي النيل ذاته، فإننا قد نذهب باطمئنان إلى أن السكان المصريين قد استمروا بأعدادهم السابقة، رغم خضوعهم في ذلك الوقت لسلطة الهكسوس. وخلال الحرب اللاحقة التي نشبت في سبيل تحرير مصر، كان "كاموسي" بطل "طيبة" الغيور على وطنه يندد ببني جلاته "الذين سمحوا لأنفسهم بأن يلبوا نداء الأسيويين، ويخذلوا بذلك مصر سيدتهم (كاموسي ١١، ١٨)، وبالتالي فإننا نستطيع أن نتصور أن تعاونًا على الأقل قد حدث ويقر "مانيتو" أن "ساليتيس" نصب حاميات في سائر أنحاء الأراضي ألتي أخضعها (١٠)، وبالتالي فإننا نستطيع أن نتصور أن تعاونًا على الأقل قد حدث والنصوص المعاصرة تثبت أن الأمور سارت على ذلك النحو في كاموسي" يشير إلى "مواطن الأسيويين" في مصر الوسطى (كاموس ١٨، ٨٨) ويطلق في إطار ذلك تعبير وكر الأسيويين" على مدينة "نفروسي" (المرجع السابق ١٢) كما يتحدث أيضنًا عن حامية أسيوية وبورية حدودية في "بير – شاق" (المرجع السابق ٢١). ويجد قول "مانيتر" من "ساليتيس" سن ضرائب على البلاد تعزيزًا أيضنًا من خلال التعليق الساخط الذي صدر عن "كاموسي": "ما من أحد يستطيع أن يشعر بالراحة في الوقت الذي "تحلب" فيه ضرائب الهكسوس الجميع!" (المرجم السابق - ٤).

إلا أننا لا نعرف شيئًا بالمرة عن الأشكال المحلية التي اتخذتها إدارة الهكسوس. ففي ظل التدمير الذي ألحقه المصريون الذين استبدت بهم الرغبة في الانتقام بأثار الهكسوس فور طردهم في نهاية الأمر، لا نجد مدعاة العجب في أننا لا نكاد نعرف سبوى أقل القليل، والأمر بذلك متروك للقارئ كي يضعفي وزنًا ملائمًا للأدلة التالمة المليئة بالفجوات، فلم تظهر إلى النور أي نصوص تستطيع الإيحاء بأن منصب الوزير استمر على قيد الوجود، ومن جانب آخر هناك وفرة ملحوظة من أختام الجعارين التي ترجع إلى أمناء الصناديق" تنتصر، في رأى بعض الدارسين الأكاديميين لصالح الافتراض بأن هذأ المنصب: أمين صندوق، كان رفيعًا في إطار بيروقراطية الهكسوس(٩٣). ويضع عدد من النقوش التي تشعير إلى الأبناء البكر" للملك قدراتنا في مجال التفسير، موضع الاختبار. وكما سبق لنا أن أشرنا، فإن لقب 'ابن الملك' قد تضعضعت مكانته من جراء اتساع نطاق مرجعيته أي عدد من يحملونه. فهل هؤلاء الهكسوس 'أبناء الملك' يحملون في حقيقة الأمر لقبًا شرفيًا، أم أنهم أمراء حقيقيون من صلب الملك؟ إلا أننا لا نصادف لقب: "ذاك الذي يسير في أعقاب الملك" أو ما نطلق عليه في لغتنا الدارجة: "التابع" سوى مرة واحدة(٩٤)، واكن ذلك يبدو، اتفاقًا مع تقليد مستمد من الممارسات المصرية في الفترة الانتقالية الأولى والأسرة الـ١٢ . وعلى نفس المنوال يأتى اختيار الهكسوس لأسمائهم الأولى متمشياً مع نمط ساد على نطاق واسبع تحت ظل الأسرة الـ ١٣ التي سبقت مجيء الهكسوس، وقد يكون المرء محقًّا إذا ما استنتج أن الهكسوس تبنوا، بذلك، أشكالاً وجدوها جاهزة وفي متناول أيديهم في محسر، وخضعوا لنصائح قدمها إليهم ناصحوهم من المصريين أبناء البلاد الأصليين.

و كم يتمنى المرء أن تظهر إلى النور بعض الأدلة على التقاليد "الإقطاعية" للهكسوس في أي نص مصرى. إلا أن التقاليد "الأمورية" في المشرق وفي وادى "دجلة والفرات" كانت قد تبنت الشكل الذي يقوم على عدد من الملوك العظام يشكلون فيما بينهم مراكز يدور في فلكهم ملوك أقل شائنًا. وكان الملك العظيم يرى في الملوك الأقل شائنًا الذين يتبعونه "أبناء" له، وهم، من وجهة نظرهم، يرون فيه والدهم(٥٠). ونجد أول نتفة دليل، وربما أهم نتفة قادمة من مصدر مصرى خلال الجواب الذي

رجيه "أبوفيس" إلى حاكم "كوش"، ذاك الذي حفظه لنا الصادود الثاني لـ "كاموسي"، وفيه يدعو مرسله "أبوفيس" متلقى جوابه: "ابنى (١٦). ويظهر لنا حاكم 'طيبة" وهو أقدم معامدة لـ "أبوفيس"، حاملاً اسم "سنتن - ن - رع الذي أوحى للبعض بأنه محاكاة من جانب تابع لمتبوع تبنى في وقت سابق اسم "عا-قن -ن-رع".

ديانة الهكسوس:

لم يكشف الملوك الأسيويون الذي أسسوا الأسرة الـ ١٥ عن أصولهم الأجنبية إلى أي درجة أكبر مما كشفوه خلال الآلهة التي عبدوها. ففي الوقت الذي فرض الهكسوس فيه على الكهنة أن يصوغوا لهم ألقاب العرش بحيث يضمنونها اسم الإله الشمسي المصرى رع ، استمر ملوك الهكسوس يزبون طقوس عباداتهم القومية التي جلبوها صعهم من أسيا. ولما كان تسعون بالمائة من أدلتنا النصوصية عن ديانة الكنمانيين ترجع إلى العصر البرونزي المتأخر فإن التطابقات التي نتصورها، وصحة استخدامنا لهذه الأدلة للعصر البرونزي الوسيط قد تكون محل شك. ومع ذلك فإننا نفترض في الغالب الأعم وجود نوع من الاستمرار في التقاليد بين القرن السابع عشر ق.م. والقرن الرابع عشر ق.م.

أضافت ورنًا إلى هذه الحجة التي تتسم بالتفاؤل، تلك "الأواسط الصرفية" (عند بناء المكلمات) الإلهية التي جرى إدخالها في وسط اللقب، في بعض أسماء الهكسوس التي فحصناها في وقت سابق. وهنا يبرز ربان، أحدهما ذكر و الآخر أنثى. وهذه الأخيرة التي حملت اسم عنات"، معروفة جيدًا من أرشيفات 'أوجاريت' كقرينة متعطشة الدماء لـ"السيد': بعل(٢٠). ويبدو أنها هي التي تظهر ك شبيهة لـ "حتصور في عدد من جعارين الهكسوس حاملة لقب سيدة الشجرتين (٢٠٠) أما الإله الذكر (شريك؟) فكان يشار إليه بلقب "هر" أي "رب الجبل"، وفي هذا الصدد وحسب يستطيع المرء أن يقارن الارتباط القوى بين "بعل" في العصر البرونزي المتنفر وبين الجبال وخصوصاً "جبل صافون" (٢٠).

والحقيقة أن هناك أدلة أكثر على هذا التطابق فقصة "أبوفيس" و "ستن-ن-رع" التى حازت انتشارًا واسعًا في مصر خلال عصور الرعامسة تصف كيف جعل "أبوفيس" من "ست" الإله المصرى سيده أي إلهه فلم يقرب قرابينه لأي إله أخر في البلاد ولقد بني معبدًا انطوى على أعمال بارعة وخالدة بجوار "بيت أبوفيس" (له الممر والرخاء والعافية) وهناك أخذ يظهر بصفة يومية كي يقدم الأضاحي إلى "ست"، في الوقت الذي كان رجال البلاط (من القصر، له العمر والرخاء والعافية) يحماون (١٠٠٠) أكاليل الغار، تمامًا مثلما كان جاريًا في معبد "رع-حور-أختى".

ولقد تعيز الإله "ست" بدور مزدوج في المجمع الإلهي المصرى. فمن ناحية كان مناونًا لـ أوزيريس وخصدمًا لـ "حورس" كما كان إلهًا بريًا محمر البشرة يرتبط بالصحراء والجدب والفوضي، ومع ذلك أدى وظيفة إيجابية بصغته بطلاً بسط حمايته على إله المسمس "رع"، فضلاً عن أنه خالق الرعد(١٠١). أما في الملكة الحديثة فلقد تطابق، على نحو ما نعرف من "ترجمة مصرية" Interprotatio Aegyptiaca مع الإله الكنعاني من "بعل"، وتتزايد احتمالات أن يكون الأمر كذلك بالقعل تحت ظل حكم الهكسوس من خلال "صادود/لوح السنوات الأربعمائة". فهذا النصب، الذي أقامه رمسيس الثاني: "الأكبر" في مدينة "أباريس"، بعد سنته الرابعة والثلاثين في المكم ببعض الوقت (أي في سنة ١٧٧٠ ق.م. أو ١٢٥٧) جاء احتفالاً بذكري مرود أربعمائة سنة على "حكم" الإله "ست"، الذي يجري تصويره في النقش الذي سبق الاستشهاد به، على هيئة "بعل" (١٠٠١). وقد يبدو أكثر احتمالاً من أي شيء أخر أن هذا "الحكم" بذكراه بعد مرود أربعة قرون عليه، ويعزي إلى رب مشترك هو "ست-بعل" الذي كان بذكراه بعد مرود أربعة قرون عليه، ويعزي إلى رب مشترك هو "ست-بعل" الذي كان ارتباطه بالهكسوس لا يزال حبًا في الذاكرة (١٠٠٠).

إلا أن "ست" كان متمتعًا بالعبادة في شمال شرق الدلتا قبل مجيء الهكسوس، ولقد قرب "نحسى" بعض القرابين إليه (١٠٤). وفي النصوص الهيروغليفية استمر الهكسوس أيضًا يستخدمون اسم "ست" حيثما كان عليهم، أن يستخدموا "بعل" في الأحاديث التي يديرونها بلسانهم القومي (١٠٠).

حكم أبوفيس وإمبراطورية الهكسوس:

يمثل حكم "أبوفيس" (١٦١٥-١٥٧٥ على وجه التقريب) ذروة القوة التي حازها الهكستوس سنواء في منصد أو في خارجها. ولعل الكلمات التي وضعها "كاموسي" (كاموسى ١١ ، ١٦-١٧) على اسان أبوفيس تعكس بصورة دقيقة، على وجه الاحتمال، الذي "القانوني" الذي بلغه سلطان الهكسوس عقب الانتهاء من المرحلة التكوينية الأولية لغزواتهم: "أنا السيد يون نظير من الأشمونين حتى (بي-حاتمور) وكذلك 'أباريس' وعلى ضيفاف النهرين.) وإذا كانت الرقعة التي خضيعت لحكم الهكسوس قد امتدت على هذا النحو، حتى أكثر المدن الجنوبية مأهولية بالسكان أي "الأشيم ونين" في المدرية الخامسة عشيرة بالوجه القبلي، فإن ذلك يثبت أن حدود الهكسوس الفعلية قد امتدت من "القوصيية"(١٠٦) في المديرية الـــُـا في الوجه القبلي حتى موقع أبي - حتمور شمال شرقي أباريس وهذا موقع قريب من الحدود الشرقية إلى درجة تسمح باعتباره:الصقع الأبعد (= الأقصى)(١٠٧) على أن الإشارة إلى "أباريس" و "النهرين" إنما تحيط بالدلتا بأسرها، حيث تكفى الإشارة إلى "بي - حتحور" و 'أباريس' كي تشمل الفرع الشرقي للنيل، وتعنى الإشارة إلى 'النهرين'، الفرعين الأوسط و الغربي للنيل(١٠٨). وكان أن نسبت التقاليد الشعبية اللاحقة إلى "أبوفيس" (= أبافوس) فضل تأسيس مدينة "منف"، ولكن ذلك، لو صبح، لا يعنى أكثر من تشييد مبنى ما (قصر؟) في تلك المدينة وحسب(١٠٠١).

كان زمام "طيبة" تحت ظل الأسرة السادسة عشرة التى تلفظ أنفاسها الأخيرة، تضم على وجه الاحتمال بقعة من مصر معقدة وعصية على الحكم، وتنطوى على قدر من الاضطراب لا يساوى إخضاعها بالكامل. وتوحى السخرية التى يسوقها "كاموسى" في حق "أبوفيس" ("كاموسى" 2-1,1): "سلطتك المحصورة مثلما هي حالتك التي لا تعدو بك أن تكون سيدًا إقطاعيًا، قد جعلت منى رئيسًا"، بأن "أبوفيس" يقبل برواية تذهب إلى أن زمام "طيبة" أى "طيبة" وما حولها، كانت خاضعة لإدارة الملوك "الطيبين" بالنيابة عنه بصفتهم توابع له ومع ذلك فوجود قلعة من نوع ما في "جبلين" جنوبي بالنيابة عنه بصفتهم توابع له ومع ذلك فوجود قلعة من نوع ما في "جبلين" جنوبي

إلا أن درجة سيطرة الهكسوس على البلاد التي قدموا منها تظل مثار جدل. فالجعارين المصممة تحمل اسم "الهكسوس" لمجرد أنهم كانوا متواجدين في كل مكان في مصر و فلسطين خلل فترة حكم الأسرة الخامسة عشرة، ولكنها قد تكون أو لا تكون بمثابة دليل على قيام حكم سياسي لهم: وعلى الاكثر تشهد هذه الجعارين على وجود نوع من المؤرات الثقافية. ولما كانت تلك الجعارين تجمع بين "موتيفات" أسيوية وأخرى مصرية، وقد حمل تنفيذها أثارًا لتناول فني أجنبي، فإن هذه السمات تعزز نسبتها إلى فترة الهكسوس. إلا أن الأختام و الجمارين التي ترجع إلى ملوك الهكسوس نادرة بشكل خاص، من ناحية أخرى، في فلسطين (١١١). فأختام "شيشي" و "يعقوب - هر" موجودة، وتلك التي تحمل اسم الأخير: "يعقوب هر" ترجع إلى "الجليل" (١١٠) في أقصى الشمال، ويرجع خاتم له "خايان" إلى تشيفيلاه" (١١٠) ويرجع خاتمان لما على وجه أدق، هناك (١١٠). أما الجعارين الأخرى التي تكشف عن تصميمات تنطوى على شعارات واستخدام متصرر للأسماء والألقاب الملكية فقد تشير الى وجود مندوبين ساميين من نوع أو أخر.

ويحق المرء أن يتسامل عما إذا كانت مثل هذه العبارات التي تتضمنها الخراطيش مثل "الشمس الطيب" (كلمة "الشمس" مذكر في المصرية القديمة، على العكس منها في معظم لهجات أسيا الغربية) و "ذاك الذي جمله "رع" يظهر العيان" و "شمس كل البلدان" فليست سوى إشارات مباشرة إلى الملك الحاكم.

ومع ذلك فلسنا نقف وحدنا متخبطين في خضم بحر الجعارين تلك، التي تنطوى على صعوبة سيئة السمعة، مثلما هي عليه، لكل من يحاول الإقدام على التفسير سواء أكان المؤرخ أو الوقائعي Chronologist (= كاتب الوقائع)، إذ نملك إشارات نصوصية أكثر تحديدًا، فالاسمان المفترضان: "خايان" و "أبوفيس" و بالتحديد: "هو الذي يحيط بالأرضين" و "رع هو رب السيف" (١٠١٠). يثيران، ولا شك بعض الظنون. فالنص المنقوش على أحد مناضد القرابين، التي نذرها "أبوفيس" لـ "ست" وترجع في أصلها إلى أباريس" يقول: "حورس هو الذي يهدئ روع الأرضين، الطيب القلب "عا-قن-ن-رع" الحي (إلى الأبد)! لقد جعلها بمثابة نصب أوالده "ست" سيد "أباريس" عندما وضع

كافة الأراضى تحت قدميه (۱۱۱) وعند هذه النقطة الحاسمة نستطيع أن نقارن بين هذين اللقبين اللذين نسبهما أبوفيس لنفسه على أكثر الفيوضات الشخصية الطابع صراحة: لوحة الكتابة (= تختبوش) الخاصة بالكاتب أنبو : رابط الجأش في خضم المعارك، وساحب أعلى صبيت (بالتحديد: اسم) عن أى ملك أخر، ذاك الذي يبسط حمايته حتى على أراض غريبة لم تصافح وجهه.. وليس هناك نظير له في أى بلد من البلاد! (۱۷۱۱) فهنا نرى ملكًا محاربًا كسب لنفسه صبيتًا عريضًا، وصار يرى في نفسه حاكمًا عالميًا يحمل على كاهله التزامات بعيدة المدى. وعندنذ يظهر وصف "كاموسي" ماكمًا عالميًا يحمل على كاهله التزامات بعيدة المدى. وعندنذ يظهر وصف "كاموسي" منات السفن المصنوعة من خشب الأرز، الموسوقة بالذهب واللازورد والفضة والفيروز والبلط –البرونز دون حساب، ودع عنك زيت شجر اليسر والدهون والعسل والصفصاف، وأخشاب شجر البقس، والعصى، وكافة أنواع الأخشاب الفاخرة وكافة المنتجات السورية!" (كاموسي ال ۱۲ ، ۱۰)).

قد يكون هذا الدليل ضعيفًا ولكنه يتميز بأنه يستعصى على تحريف مغزأه. فالغزو العسكرى، الذى اجتاح شمال البلاد على ما هو واضع و وضع ملك عظيم و الكميات فلضخمة من الجزية - كل هذا مستحق لـ "أبوفيس" العظيم وربما أيضًا لسلفه خايان". واسم الشخص الأخير معروف من خلال عدد من الأشياء الصغيرة (١١٨) - سنجة ونن من بغداد وحق مرهم من "بوغاز كوى" (التي أصبحت عاصمة للهكسوس غي وقت لاحق) وغطاء قنينة من المرمر تعود إلى "كنوسوس" Knosos - و أصبح في وقت ما يوحى لبعض الدارسين بصورة إمبراطورية عالمية (١١١). ولم يكن هناك وجود، بطبيعة المال، لشيء من هذا القبيل على أيام الهكسوس، ولكن هذه الأشياء الصغيرة التي أجل الأميرة تاوا" شقيقة "أبوفيس" التي تعود إلى إسبانيا، و طبق "خريت" أبنة أجل الأميرة تاوا" شقيقة "أبوفيس" التي تعود إلى إسبانيا، و طبق "خريت" أبنة تعطينا لمحة عن بلاط يدب فيه النشاط في "أباريس" وتمتد مصالحه إلى مستوى عالمي، ويبعث بالهدايا الدبلوماسية الأبعاد بل و ربما وصل الأمر حد ترتيب زيجات بين الدول للدن في فلسطين وسوريا وجزر بحر "إيجة"? (١٠٠) يتعين علينا، في سبيل استخلاص دليل على نفس النوع من الاتصالات الدبلوماسية أن نؤول العدد الفحض من التماثيل دليل على نفس النوع من الاتصالات الدبلوماسية أن نؤول العدد الفخض من التماثيل دليل على نفس النوع من الاتصالات الدبلوماسية أن نؤول العدد الفخم من التماثيل دليل على نفس النوع من الاتصالات الدبلوماسية أن نؤول العدد الفخم من التماثيل دليل على نفس النوع من الاتصالات الدبلوماسية أن نؤول العدد الفخم من التماثيل

الذى يرجع إلى المملكة الوسيطة، مما عثر عليه المنقبون المحدثون فى رقعة تمتد فى غرب أسيا إلى نهر الفرات، فهذه الأشياء لابد وأن تكون قد شكلت جزءًا من "الخنائم" التى استولى عليها الهكسوس خلال الفترة الأولى من بسط سيطرتهم فى أرجاء مصر، ثم أخذوا يفيدون منها فى وقت لاحق كهدايا يتبادلونها مع دول المشرق(١٢١).

يتعذر علينا أن نرجم بشيء محدد في الوقت الماضر عما إذا كان بوسعنا افتراض أن نطاق مصالح أسرة الهكسوس قد امتد إلى أبعد من شبه جزيرة سيناء. إلا أن السهولة التي استطاع خلالها فلول حرب التحرير أن يصمدوا أمام "أحموسي" في مدينة "شاروهين" قرب "غزة" أوحى البعض بوجود كيان تابع الهكسوس يتخذ من هذه المدينة مركزًا له، و يبسط سيطرته شمالاً على معظم السهل الفلاسطيني Philistine حتى مشارف "يافا" Joppa (١٢٢). وينبغى علينا أن نتذكر في هذا الصدد أن "حارور" (= حاصور) في شمال وادي الأردن ضمت خلال عصر "شمسي-أداد" و "حموراني" أى في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن السابع عشر ق.م. مركزًا كبيرًا من مراكز القوة، يمكن أن يكون قد بسط سيطرته على معظم شمال فلسطين والجولان(١٢٢). ولقد أوضيحت طبقات/حقب MBIB التي تكشفت خلال عملية الاستكشاف التي قام بها "يادين" للموقع وجود فترة مستمرة من الرخاء على امتداد القرن السابع عشر وحتى القرن السادس عشر ق.م وهي الفترة التي لم تنته إلا بفعل دمار شديد في مستهل العصر البرونزي الأول(١٢٤)، حتى إن نظام حازور (= حاصور) ما كان إلا أن يحافظ على مركزه القوى خلال معظم، إن لم نقل كل، فترة الهكسوس، وما لم يكن "أبوفيس" نفسه هو الذي أنزل ذلك الدمار الذي لحق بـ حازور عند طبقات/حقب MBIIC، فإننا لا نستطيع إلا افتراض أن استمرار هيمنة 'حازور' (= حاصور) كان ليحول دون محاولات الهكسوس في مد سيطرتهم باتجاه الشمال.

تثير العلاقات التى أقامها الهكسوس مع جيرانهم من القوى الواقعة على الجانب الآخر من البحر عديدًا من المساكل، رغم الدليل الذى يستعصى على الإنكار الذى يقدمه لنا نص "خايان" الذى يرجع إلى "كنوسوس" Knossos (مدينة قديمة فى جزيرة "كريت" وعاصمة الملك الأسطورى "مينوس") . ولو أن الأدلة الأخرى التى تؤيد نشوء أى اتصال بين مصر وجزر بحر "إيجة" فى ذلك العصر نادرة بصورة ملحوظة. فلم تصل إلى أيدينا أى أشياء فى مستوى ("منويان" الأوسط ١) Middle Minoan 1 مصر،

ووصلت أشياء مصرية قليلة للغاية من جزيرة كريت أو قلب بلاد اليونان، مما يرجع إلى ذلك العصر (١٢٥). إذ إن تجارة بحر "إيجة" كانت تتجه بصورة رئيسية باتجاء الشرق نحو شمال سوريا وعبر الموانى السورية إلى بلاد الرافدين (ميزوبوتاميا)، ويقارن البعض عن حق، بين رسومات الفريسكو في قصور "أوجاريت" و "مارى" و "الالاخ" وبين رسوم الفريسكو المشابهة في قصر "كنوسوس" (١٢٦)، وتشير أراشيف "مارى" في الواقع إلى منتجات مستوردة من "كابتارا" Kaptara (كريت) (١٢٧). فهل تمتم الهكسوس بصورة غير مباشرة أي عبر سوريا بالاتصال بجزر بحر ايجة (١٢٨)؟

يبدو أن حكم 'أبوفيس'، بعد استعادة و فحص نتف الأدلة التي كانت مبعثرة على نطاق رقعة واسعة، خلال شبورة التاريخ، كان عصراً شهد قدراً ما من الغني الثقافي. فالقرن الذي كان قد مر على الغزو كان كافيًا لمنح الأسرة الحاكمة على الأقل قشرة راقية من ثقافة وادى النيل. وبلغ الأمر حد ادعاء "أبوفيس"، ليس القراءة والكتابة باللغة الهيروغليفية وحسب، بل والتبحر في أسرارها و الولم بالآداب المصرية كذلك، ويطلق على نفسه على اوحة (= تختبوش)! "كاتب الإله "رع"، من تلقى تعليمه على أيدى إله المكمة 'تحوت'، متعدد المواهب (حرفيًا: يتميِّز بأعمال ناجحة عديدة) يهم أن قرأ مأمانة متدفقة كافة الكتابات بفقراتها الصعبة مثلما يتدفق نهر النيل وقد نكون محقين إذا صدقنا ادعاءه الاهتمام بالأدب، وذلك لأن حكمه و بالتحديد السنة الثالثة والثلاثين لجلوسه في العرش شهدت استنساخ بردية "رند" الرياضية إلى جانب عدد أخر من البرديات الأدبية الأخرى مثل بردية "ويستكار" التي قد لا يجانبنا الصواب في إرجاع تاريخها إلى نفس فترة الحكم، ويرسم لنا "كاموسى"، دون أن يقصد، على الأرجح، صورة سادرة للعاصمة "أباريس" تحت حكم "أبوفيس" إذ تتمتم بتحصينات قوية وإزدهار كبير خلال هذه الفترة الأخيرة من سيادتها. و كانت أسوارها عالية و متوجة بالشرفات التي تقبع خلف شبابيكها النساء كالميوانات الأليفة في حظائرها. ويقوم إلى الشمال مرفأ مزدهم والأرض المتدة حولها منبسطة. وبينما تمتد الصحراء إلى الشرق منها، إلا أن هناك تكاعيب عني في الأراضي المجاورة، وهذه تكاعيب تنتج ما يحتاج إليه القصر الملكي والبلاط من نبيذ (١٢٩). ولما كأن الحكام الهكسوس غافلين عما تخبئه لهم الأيام فلم يستطيعوا تبادل الأنخاب من ذلك النبيذ لمدة طويلة،

الهوامش

- D. B. Redford, Pharaonic King-lists, Annals and Day- books (Toronto, 1986), 278, (\) n.77.
 - Contra Apionem, 1.74,91. (Y)
 - Cf. J. G. Duncan, Digging up Biblical History (London, 1931), 69-72. (7)
- W. F. Albright, BASOR 146 (1957), 30-31; idem, Yahweh and the Gods of (£) Canaan (New York, 1969), 57, n. 12; cf. B. Mazar, IEJ 18 (1968), 88n. 61.
- R. M. Engberg, The Hyksos Reconsidered (Chicago, 1939); Z. Mayani, Les Hyksos (o) et le monde de la Bible (Paris, 1956); cf. Mazar, IEJ 18 (1968), 91-92.
- W. Helck, Die Beziehungen Ägyptens zur Vorderasien² (Wiesbaden, 1972), 104. (1)
 - (٧) انظر النقاش اللاحق في هذا الفصل.
 - D. B. Redford, Orientalia 39 (1970), 1-51; idem, King-lists, 240-42. (A)
 - M. Bietak, in A. F. Rainey, Egypt, Israel, Sinai (Jerusalem, 1987), 41-56. (1)
 - W. G. Waddell, Manetho (london, 1940), 90. (1.)
 - (١١) انظر النقاش اللاحق.
 - (۱۲) انظر:
- T.Säve Söderbergh, JEA 37 (1951),53-71; J.Van Seters,The Hyksos, A New Investigation (New Haven,Conn.,1966); A.H.Gardiner,Egypt of the Pharaohs (Oxford, 1961), 156-57; W.C.Hayes,CAH II³,pt.1(1973),54ff.;cf.M.Bietak,LdĀ 3 (1980),94-103; idem. in Rainey, Egypt,Israel,Israel,Sinai52.
- Karnose I, 4-5: W. Helck, Historisch-biographische Inschriften der 2. Zwischenzeit (\rangle) (Wiesbaden, 1975), 84.
 - A. H. Gardiner, JEA 32 (1946), 43-56. (\£)
 - J. M. Weinstein, BASOR 217 (1975), 1-16; W. Helck, UF 8 (1976), 101-14. (\ o)
- (١٦) انظر الملاحظات التي وردت على أسبان "ميري كا رع" و "نفسرتي"، تلك التي عرضيناها في الفصل الثالث.
- (۱۷) في سبيل الاطلاع على مناقشات مستفيضة و قائمة بمراجع وافية انظر الآن : M.Bietak,H.Goedcke,and A.-P,Zivie,LdÄ 6 (1986),321-51.

- M. Bietak, Proceedings of the British Academy 65 (1979), 244 (stratum f). (\A) J. S. Holladay, Jr., Cities of the Delta, vol.3:Tel el-Maskhuta (Malibu, Calif., (\1) 1982).
- D. B. Redford, JSSEA 11 (1981), 253; idem, Akhenaten, the Heretic King (Y.) (Princeton, N.J., 1984), 98,
- Diodorus, 1.59-61; A. Burton, Diodorus Siculus, Book I. A Commentary (Leiden, (Y1) 1972), 179-82.

(۲۲) انظر:

A.B.Lloyd, JEA 56 (1970),81ff.; K.Michalowski, JEA 54 (1968), 219ff.; D.Arnold, MDAI 35 (1979), 1ff.

(٢٣) بمبقة عامة من ١٧٨٦سنة إلى ١٦٦٠ق.م. ويستمر تأريخ الفترة طى الغموض فيما يتعلق بالتواريخ الدقيقة لفراعنة الأسرتين الثامنة عشرة و التاسعة عشرة (انظر في هذا الصدد، ضمن أخرين):

E.F.Wente and C.C.van Sicien III,in J,H.Johnson,ed.,Studies in Honor of George R.Hughes (Chicago,1976),217-62;E.Homung,in M.GÄrg,d.,Festschrift Elmar Edel (Bamberg,1979), 247ff.;R.Kraus,GM 70 (1984), 37-44; idem,Sothis und Monddaten (Hildesheim,1985)

وفي هذا الكتاب نسير وفق التأريخ "العالى" الذي يستخدم في CAH وهو التأريخ الذي يضع الفرعون "تصوت - موسى" الثالث في سنة ١٥٠٤ ق.م.، (علما بأن التأريخ المتوسط" كان ليخفض هذا التاريخ بواقع ١٤ سـنة، أما التاريخ الأدنى" فكان ليخفضه بواقع ٢٥ سنة)، وهو نفس التأريخ الذي يضع طرد الهكسوس فيما بين سنتى ١٥٥٥ و ١٥٥٠ ق.م. وحول المناقشات الحديثة حول تأريخ فترة الهكسوس، انظر:

M.Bietak, AJA 88 (1984), 471-85; W.G.Dever, in Palestine in the Bronze and Iron Ages (London, 1985), 67-87.

Helck, Historisch-biographische Inschriften, 41-44. (YE)

(٢٥) حول هذه النعوت، انظر صواديد/ألواح "نفر - هوتب - إخر - نقرت":

ibid., 45; P.Vernus, ASAE 68 (1982),129-35)

و "مونتو - حوتب"، انظر:

J.Von Beckerath,Untersuchungen zur politischen Geschichte der zweiten Zwischenzeit in Ägypten (Glückstadt,1965),288;P.Vernus,RdE 40(1989),145-61), both are found at Kamak.

ونجد كليهما في معبد الكرنك.

Helck, Historisch-biographische Inschriften, 41-44. (Y1)

(۲۷) عامق (Kamose 1,4-5,13).

- kamose 1, 7. (YA)
- Kamose II, 4. (Y4)
- Kamose I, 13. (T+)

الذي يعنى 'أن يضبع المرء نفسه كمعارض ل....'، انظر: (bln) الذي يعنى 'أن يضبع المرء نفسه كمعارض ل....'، انظر: WB 1,485:17-486:2; E.Blumental, Untersuchungen zum ägyptischen Königtum des mittleren Reiches {Berlin,1970},1:212).

وهذه تأخذ، عادة، صورة أوجه كمخصص، أما إذا استخدم الكاتب صورة أرجئين تمشيان فالمعنى يشتبك، دلاليا، مع (bl) وهو الفعل الذي يعني "أن يجرى خلال... قارن: PT 140.253.769.

- redford, Orientalia 39 (1970), 16. (TN)
- C. F. Jean, RA 39 (1942), 78, 81. (TY)
- G. Dossin, Syria 32 (1965), 1-28; J. D. Safren, JESHO 32 (1989), 28-29. (TT)
 - G. Dossin, Syria 32 (1956), 63-69. (T1)
 - ARM II, 33. (Ta)
 - ARM II, 72. (٣٦)
 - ARM I, 123. (TV)
 - ARM V, 16. (۲۸)
 - Syria 19 (1938), 121-22. (٢٩)
 - ARM VI, 58. (٤٠)
- G. Dossin, in Mélanges syriens offerts à M.R. Dussaud (Paris, 1939), 981. (£1)
 - ARMI, 69. (£Y)
- Redford, Orientalia 39 (1970) 20 and n. 4; idem, King-lists, 199-200 and n.245. (17)
 - Redford, King-lists, 201, n.252. (££)
 - On the strength of the ancestral cult among the tribal Amorites,.. (٤٥) حول قوة وعمق عبادة الأسلاف بين القبائل الأمورية)، انظر:

see D Charpin and J.-M. Durand, RdA 80 (1986) 141-83.

- (٤٦) أدى العجز عن الاعتراف بأن ما يسمى بالأسرة الرابعة عشرة عبارة عن رهم محض إلى إعادة بناءات (⇒ تصورات) غريبة لأحداث الفترة التي سبقت مباشرة الأسرة الخامسة عشرة، انظر: مناءات (⇒ تصورات) M.Bietak,SAK 11 (1984),59-76;J.Yoyotte,BSFE 114 (1989),17-63.
- الأصغر"، نجد: " الأساسية التي تتناول الأسرة الهكسوسية "الأكبر" و تلك "الأصغر"، نجد: D.Redford "History and Chronology of the Egyptian Eighteenth Dynasty, Seven Studies (Toronto, 1967), 43-46.

- Waddel, Manetho, 86,90,92. (£A)
- A.H. Gardiner, The Royal Canon of Turin (Oxford, 1959),17 (note). (٤٩)
 - Listed under the 17th Dynasty. (0.)
 - M. Bietak, MDAIK 37 (1981), pl.6. (a1)
- L. Borchardt, Die Mittel zur zeitlichen Festlegung von Punkten der ägyptischen (aY) Geschichte (Cairo 1935), 92ff. (fifth generation from Senwosert III).
 - (٥٣) من تعبير (عظيم البسالة هو 'رع') = بالهيروغليفي: 'عا قنن رع'.
 - Redford, Orientalia 39 (1970), 35-38; (a£)
- وأرى أن الجهود التى بذلها أصحابها في سبيل قراءة ظلال المعاني التاريخية أو التعبدية كي تفيد مثل هذه القصة التافهة، عبارة عن جهود خرقاء، انظر:
- L.Störk, GM 43 (1981),67-68;H.Goekicke, The Quarrel of Apophis and Seqenenre' (San Antonio,1986).
- See in general Von Beckerath, Untersuchungen, 269-80; Helck, Beziehungen², (00) 89-106; idem, Historisch-biographische Inschriften, 54-58; W.A. Ward, UF 8 (1976), 353-65; A. Kempinski, in S. Groll, ed., Pharaonic Egypt, the Bible and Christianity (Jerusalem, 1985), 129-38.
 - Von Beckerath, Untersuchungen, 278. (ه٦)
 - (٧٥) أريق حبر كثير حول هذا الاسم (قارن بين أخرين):

S.Yelvin, JEA 45(1959), 16ff.; R. Giveon, Tel Aviv 3 (1976), 133).

في الوقت الذي نعرف فيه صبيغة ماض ناقص (= غير تام)، مشتقة، فيما بيدر ظاهريا من (ع ق ب) بمعنى "آن يهمى" (3 ق ب) بمعنى "آن يهمى" (976) Ward,UF 8(1976), 359) بالإضافة إلى الاسم المقدس، ولو أن هوية هذا الاسم المست واضحة بحال من الأحوال، من جسراء تقلب النسق الكتابي. ومعظم الأمثلة تعطى - هر، وهو عبارة عن "رب جبلى" فيما يبدو ظاهريا، ولكن نحو ١٦ مثالا تضم كتابات مختلفة، ي ع ق ب - ر أو ي ع ب - م، ولكن الرسم الأخير نستطيع رفضه لأول نظرة بصفته شكلاً خاطئًا :انظر:

Von Beckerrath, Untersuchungen, 278; Giveon, Tel Aviv 3 (1976), 133(8)

ولقد قرئت Cr أصلينة في القلم الهيراتيكي، على سبيل الفطة، كد mu نتيجة التشابه في المروف/العلامات المزبوجة. ولكن السؤال يظل قائما حول ما إذا كنا مع الصبيغ التي تتضمن ٢ ٥ المروف/العلامات المزبوجة. ولكن السؤال يظل قائما حول ما إذا كنا مع الصبيغ التي تقول الأول إن ٢ ٥ يشير إلى وجود على أن أن المبجل، ويرى الاقتراح الثاني أننا إزاء بع ل (=إله كنعاني). ومن جانب أخر، فلما كان من الواضح أن كافة الصبيغ التي توصلنا إليها إنما تشير إلى نفس الشخص، فإن ذلك يجعل احتمال أن يكون رسم Cr جاء على سبيل الخطأ في رسم الاسم العام أمراً مستبعاً.

Von Beckerath, Untersuchungen, 278. (6A)

Ibid., 271-72; Hayes, CAH³ II, pt. 1 (1973), 60ff.; H.Stock, MDOG 94 (1963), (o⁴) 73-80; R.Giveon, JEA 51 (1985), 202-4; W. Helck, Die Beziehungen Agyptens und Vorderasiens zur Ägäis (Darmstadt, 1979), 48-50.

M. Bietak and M. Gorg, MDAtK 37 (1981), 63-73; Kempinski, in Pharaonic (%) Egypt, the Bible and Christianity, 131.

Von Beckerath, Untersuchungen, 275; H. Gauthier, Le livre des rois d'Egypte ('\\) (Cairo, 1912), 2:144, n. 7; Heick, Historisch-biographische Inschriften, 55 (no.75).

Untersuchungen, 274-75; Gauthier, Livre des rois, 2:141-43, no. 6; Helck, Histo- ('\Y) risch-biographische Inschriften,55-56 (nos.76-78).

Von Beckerath, Untersuchungen, 272-74; Gauthier, Livre des rois, 2:139-43, (\text{T}) nos. 5 - 6; Helck, Historisch - biographische Inschriften, 56 - 58 (nos. 79-85); 1. Gamer-Wallert, ägyptische und ägyptisierende funde aud der Iberischen Halbinsel (Wiesbaden, 1978), 39-40; R. Giveon, in M. Görg, ed., Fontes atque Pontes (Wiesbaden, 1983), 155-61.

L. Habachi, The Second Stela of Kamose and His Struggle against the Hyksos (%) Ruler and His Capital (Glückstadt, 1972).

Redford, History and Chronology, 44 n. 90. (%)

(١٦) وصفها أحد الدارسين بصورة مختلفة قليلاً، استثادًا إلى الأساليب الفنية، وهو (W.A.Ward) في:

O.Tufnell,ed., Studies on Scarab Seals (Warmister, 1984), vol.2, no.1,1 62ff., esp. 172.

فى فترة لا تزيد إلا قليلا عن قرن، حيث يمتد حكم اثنين من ملوك الهكسوس الستة، إلى ما يربو على نصف مدة بقاء الهكسوس فى مصر (وربما يمتد حكمهما إلى ثلثى المدة) يصعب على المرء أن يقبل التنوعات الفنية كمؤشر تأريخى (= صالح لتحديد تواريخ معينة)، انظر:

D.Franke,Orientalia 57 (1988), 260ff.

R. Giveon, Tel Aviv 7 (1980), 90-91: "the (foreign) chief Yat(?), repeating life. ("\V") G. T. Martin, Egyptian Administrative and Private- name Seals (Oxford, 1971), ("\A") no.318.

Ibid., nos. 349-50; Von Beckerath, Untersuchungen, 279. (34)

W.M.F. Petrie, Scarabs and Cylinders with Names (London, 1917), xxi, D15.1. (V-)

Untersuchungen, 272. (V1)

Martin, Seals, no. 1453. (VY)

H. Stock, Studien zur Geschichte und Archäologie der XIII. bis XVIII. Dynastien (YT) Ägyptens (Hamburg, 1942), 473, n. 2; 492; 534, n. 3;729-30.

- Cf. G. Dossin, Syria 19 (1938), 117; J. Munn-Rankin, Iraq 18 (1956), 68ff. (V£)
- F. Gomàa, Die Besiedlung Ägyptens während des mittieren Reiches (Wiesbaden, (Vo). 1987), 39.

أوقعت عمليات النهب و السلب التي أسفرت عن تبعثر آثار الملكة الوسيطة في طول و عرض الدلتا، قارن : 44 (1987) 414 A. Doson,ZAS

> في وهم كثيرين تصورات مغلوطة بشأن تاريخ الأسرة الثالثة عشرة، انظر رقم ٨٩: ويشير كل من "أحموسي و "حتشبسوت" إلى تجديد المايد، انظر:

Helck, Historisch-biographische Inschriften, 109-10; A.H. Gardiner, JEA 32 (1946) pl.6:36ff.

ولكن يبدر أن عصير الفرعون "تحويت-موسى" الثالث هو الذي شهد انطلاق برنامج شامل على نطاق واسم لإعادة بنا المعابد في الدلتا.

- B.G. Tigger, History and Settlement of Lower Nubia (New Haven, Conn., (Y1) 1959),104; a.W. Lawrence, JEA 51 (1965), 72; W.B. Emory, Egypt in Nubia (London, 1965), 166-68; h.S.Smith, The Fortress of Buhen. The Fortress of Buhen. The Inscriptions (London, 1976), 80ff.
- F. Hintze, 2ÃS 91 (1964), 84; w. Helck, UF (1976), 8, 102ff.; B. J. Kemp, in An- (VV) cient Egypt, a Social History (Cambridge, 1 983), 162-68. For the kerma kingdom, see W. Y. Adms, in E. Endesfelder, ed., Ägypten und Kush (Berlin, 1977), 41ff.; c. Bonnet, in J. Vercoutter, ed., Hommage à Serge Sauneron (Cairo, 1979), 3ff.; D.O'Connor, JARCE 21 (1984), 65ff.
 - See n.25. (YA)
 - See n.25. The present translation is from the author's hand copy. (V4)
 - Cf. CT VI, 23 1m. (A+)
 - But see the caveat on p. 103 and n. 20. (A1)
 - G. Daressy, RT 16 (1894), 42. (AY)
 - Redford, JSSEA 7, no.3 (1977), 2-3f. (AT)
 - O.Tufnell, JEA 61 (1975), 69. (A1)
- G. A. Reisner, Excavations at Kerma (Cambridge, 1923), 2:75, fig. 168, nos. (Ae) 57-58, 61-62.
 - Ibid., 2:75, fig. 168, no.56. (A1)
- (AV) إذا كان هذا ما تحمله الأباريق الصغيرة التي عثر طيها المنقبون في "تل اليهودية"، وحول هذه الفخاريات انظر:
 - Kemp, in Ancient Egypf, 160-73. (AA)

(۸۹) حول (دوار طریقی ٔ آختوی) انظر:

S.Adam, ASAE.56 (1959), 207-26; Gomaa, Besiedlung, 232-33; M.Bietak, Marhaba 3 (1983),4 1.idem,Avaris and Pi-Ramesse (London,1981),290. On Nehesy's patronage of this region,see M.Bietak, SAK 11(1984),59ff.;

عودة أثار 'نحسى' إلى شرق الدلتا كمصدر و منشا، مع ذلك، لا يتصل من قريب أو من بعيد بالمدى الإقليمي الذي امتد إليه حكمه، فلم يتبق إلا أقبل القليبل، من أثار حكم هذا الفرعون (ولا من أثار الفراعنة الأخرين الذين ينتمون إلى نفس الفترة). ولقد تبعثرت أثار الاسرة الثالثة عشرة في العصور اللاحقة على نطاق يصل من الاتساع حدا يجعل من إضفاء مثل تلك التفاصيل الدقيقة سواء على 'نحسى' أو حكمه، على نحو ما فعل 'بيتاك' نوعا من بناء قصر من أوراق اللعب!، انظر:

in Rainey, Egypt, Israel, Sinai, 50.

تعجز الأدلة الأثرية بصفة عامة، و بصرف النظر عن مدى النشوة الجمالية التى قد تنطرى عليها في أعين أولئك الذبن تقتصر أفاقهم، بحكم مهنتهم، على التنقيب، عن حمل مثل ذلك الوزن (العلمي).

M. Bietak, Tell el- Daba*a (Vienna, 1975); idem, Avaris and Pi-Ramesse; for (%) the palace, see M. Bietak, Anz Österr Akad Wissenschaften 121 (1984), 312-49; D. Eigner, JOAI 56 (1985), 19-25; J. Lecant, Orientalia 56 (1987), 303-4.

Bietak, SAK 11 (1984), 69, fig. 5. (11)

Waddell, Manetho, 80. (97)

W.Helck, Zur Verwaltung der mittleren und neuen Reiches (Leiden,1958), 79-80; (٩٣) وحول أمناء الصندوق، تحور أو "عابر" و "سعدى" و "بر - إم - وحات" و "ريدى - ماع" انظر: P.Labib, Das Herrschaft der Hyksos in Ägypten und ihr Sturz (Berlin,1936), pl.6;T.Söve-Söderbergh, JEA 37,37,65,W.A.Ward,Orientalia Lovaniensia Periodica 6-7 (1976),589lf.; Martin,Seals,nos. 479-508,904-12 and passim (ما يعدما) Helck, Historische-biographische Inschriften,57:83

- G. Daressy, ASAE 7 (1906), 115ff. (48)
- Munn- Rankin, Iraq 18 (1956), 68-110. (40)
- R. Stadelmann, MDAiK 20 (1965), 62-69. (17)

Van Seters, The Hyksos, 175-78. R. Stadelmann, Syrisch-Palästinensische Gott- (4V) neiten in Ägypten (leiden, 1967), 88-95.

- I. Beste, Corpus Antiquitatum Aegypticarum: Scarabaen, Kestner Museum (٩٨) (Hanover, 1979), no. 2844.
- A. S. Kapelrud, Ba*al in the Ras Shamra Texts (Copenhagen, 1952), 57-58; C. (44) H. Gordon, Ugaritic Handbook (Rome, 1965), no. 2185; S. M. Olyan, Asherah and the cult of Yahweh in Israel (Allanta, 1988), 62-63; for Ba*al Saphon at Tell ed-dab*a, see Bietak, in Rainey, Egypt, Israel, Sinai, 43.

- A.H. Gardiner, Late Egyptian Stories (Brussels, 1931), 85-86; Goedicke, The (1...) Quarrel, 10.
 - H. Te Velde, Seth God of Confusion (Leiden, 1967), (1.1)
 - Redford, Orientalia 39 (1970), 23-31; Van Seters, The Hyksos, 97ff. (1.1)
- (١٠٣) إصرار "ستادلمان" المؤسف على تصدور الأربعمائة سنة كيوبيل (= عيد) للمعبد، استنادًا إلى وجود عبادة أو ضريح للإله في "أباريس" (= أواريس): انظر أحدث بحث نشر في هذا الصدد في : ,(1042), 1988) Ldà 6
- قد يعنى قطع العلاقة بين "حكم" الإله و حكم أتباعه الذين يعبدونه. و لكن الواضيع أن "حكم" الإله "سيت"، مشل حكم سائر الآلهية الأضرين، مصاغ وفقيا لظاهرة أرضيية (= نفيوية)، وليس هناك ملك دنيرى يؤرخ لبداية حكمه من لحظة بنائه لقصره.
 - W.M.F. petrie, Tanis (London, 1885), 1:pl.2. (1.1)
 - Helck, Historisch-biographische inschriften, 55, no. 76. (1.a)
 - Von Beckerath, Untersuchungen, 147, n.4.(1.1)
- H.Gauthier, Dictionnaire des noms géographiques contenus dans les textes (1.V) hiéroglyphiques (Cairo,1926) ,2:117;
- قارن صائود/ لوح التبنى أد "نيتوكريس" حيث نصب بين "تانيس" و "بوياسطة"، وخصوصاً: (line 25 : R.A. Caminos, JEA 50 {1964}, 93).
- وفي بردية 'أناستاسي' رقم ااا وردت إشارة إلى 'السمار'، وهو الأمر الذي يوهي بموقع قريب من مستنقعات 'طوفي': Twiy و 'الدوار الأعلى' و 'الدوار الأعلى' و 'الدوار الأدلى حيث يقعان قبل بدء 'طرق حورس' مباشرة (أي عند بداية الطريق السيناوي إلى أسبا)، ومطرحين بعد 'أباريس' (= أواريبس)، انظر:
- R.A.Caminos, Literary Fragments in Hieratic Script (Oxford, 1956), pl.6,3:14.
- وقد يكون مذان الاسمان نقل غير جاد أو "مشلقط" لـ "بير حوت حر"، انظر:
 Gomaa, Besiediung, 2:235.
 - (١٠٨) حول اسم الفرع الشرقي أو "البوباسطي" لنهر النيل كـ "ماء أباريس"، انظر:
- A.H.Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica (Oxford,1947), 2:155*
- Eusebius, Hieronymos Chrnikon (ed.Helm),3 2,44 (for year 92 of Hyksos rule, (1.9) i.e. late in Apophis's reign.
- تظل مناك إمكانية أن تكون هذه التقاليد قد انبثقت، وحسب، من الخلط بين "أبوفيس" و "أبيس"، حيث تقول التقاليد على سبيل الخطأ، إنه الأب المؤسس للمدينة.
- See p. 113; cf. also the ax blade in the British Museum calling Apophis (\\\.) "beloved of Sobek, lord of Su-menu": T.G.H. James, BMQ 24 (1961), 40.
 - See R. Giveon, CdE 49 (1974), 222ff. (111)

- R.Giveon, GM 44 (1981), 17-20. (\\Y)
- R. Giveon, JEA 51 (1965), 202-4. (\\Y)
- A. Rowe, Catalogue of scarabs in the Palestine Archaeological Museum (Cairo, (\\1) 1936), nos. 210-11.
 - See p.109. (\\o)
 - Helck, Historisch- biographische Inschriften, 55, no. 76. (\\\)
 - Ibid., 58. (11Y)
 - Von Beckerath, Untersuchungen, 271-72, for references. (\\A)
 - W. Fr. Von Bissing, AfO 11 (1936-37), 325-35. (\\4)
- (١٢٠) في الوقت الذي نفتقر فيه إلى مصدر موثوق الوزنة المشتراة في "بغداد"، إلا أن التواريخ المتباينة للقطع الأخرى أكثر وثوقا. فالقطعة التي تعسود إلى "بوغاز كسوى" (عاصمة الحيثيين) انتهى بها المطاف إلى هناك، بكل تأكيد، خلال القرن الرابع عشر ق.م.، في إطار الغنائم أو الجزية التي فرضها الحيثين على إحدى مقاطعاتهم التوابع في سوريا، انظر:

(Stock, MDOD 94 (1963), 73-80).

أما القطعة التي عثر عليها في إسبانيا فلقد رحلت إلى شبه جزيرة أببيريا في وقت متاخر كثيراً، من إحدى مدن السواحل عندما كان التجار الفينيقيون يقومون خلال الألف الأول بنثر كثير من المسنوعات المصرية في مختلف أرجاء غرب البحر المتوسط، انظر:

Garner - Wallert, Ägyptische Funde; J.Padro I Parcerisa, Egyptian - type Documents from the Mediterranean Littoral of the Iberian Peninsula (Leiden, 1983).

أما بخصوص الجرة التي عثر عليها في "كنوسوس": Knossos خلال عمليات التنقيب في مطرح معاصر، انظر:

R.W. Hutchinson, Prehistoric Crete (Harmondsworth, 1962), 197; Helck, Beziehungen Ägäis,48,

وقد تكون قد أرسلت إلى "كريت" مباشرة.

J. M. Weinstein, BASOR 213 (1974), 56; 217 (1975), 9-10; Helck, UF 8 (\Y\) (1976), 101ff.; idem, Beziehungen Ägäis, 45-48.

A. Alt, Kleine Schriften zur Geschichte des volkes Israel (Munich, 1959), (۱۲۲) 3:107; Helck, Beziehungen² ,121; on Sharuhen,see A. Kempinski, IEJ 24 (1974), 145ff.; R.Giveon, Ldà 6 (1984),532.

ليس هناك ما يدعو إلى أن نرى فى "تل العجول" أكثر مما هو عليه فى الواقع، فلم يكن سوى معقل أخير، اختاره فى تسرع نظام اضطر إلى الفرار: والثروة التى وصلت إليها عمليات التنقيب قد تشير ببساطة إلى أن "خمودى" أخر ملوك الهكسوس تحصن لفترة هناك.

(١٢٣) انظر: ص ٩٤ من النص الأصلي.

Y. Yadin, Hazor (London, 1970), 31, 124-25. (\YE)

- J. Vercoutter, Essai sur les relations entre Egyptiens et pre-Héllènes (Paris, (۱۲۰) 1954), 82;J.D.S. Pendelbury, Aegyptiaca (Cambridge,1930), nos. 33, 34, 57,297-98.
 - Helck, Beziehungen Ägäis, 107. (۱۲٦)
- G. Dossin, RA 64 (1970), 97ff.; A. Malamat, IEJ 21 (1971), 31ff.; F. Matz, (\YY) CAH³ II, Pt. 1(1973), 162-63; J. Strange, Caphtor / Keftiu. A New Investigation (Leiden, 1980), 90-93.
 - (۱۲۸) مول هذه التجارة انظر: .63-632) Matz, CAH3 II, pt.1 (1973),162
- ذكر البعض، استنادًا، إلى حد كبير، إلى الكنز الخرافي الذي يرجع إلى "قبير السهام" في "مسئيا"، أن العلاقات بين مصر واليونان امتدت خلال حقبة الا MM حتى شملت أيضا الجانب العسكري. وقد نسبت إحدى النظريات هذا الكنز إلى المرتزقة الذين ساعدوا المصريين في معركتهم ضد الهكسوس قد، انظر:
- A.W. Persson, New Tombs at Dendera near Medea (Lund, 1942), 178-96; F.Schacher meyer, ArOr 17(1947), 331ff.; idem, Anthropos 46 (1951), 705ff.)
- وترى نظرية أخرى في الهكسوس الفارين عنصرا بخيلا يفسر الطبقة الحاكمة "الجديدة"، التي تمثلها تلك المقار، انظر: (cf. F.H. Stubbings, CAH3 II,pt.1 [1973], 633-37). وليس لدينا أي دليل من مصر يؤيد أيا من منين الادعاء بن. ويشعر المره أن تفسيراً حرفيًا لدورة "أيو دانووس" lo-Danaus cycle من الأساطير عو الذي حفز قيام مرقف منحاز إلى حد ما تجاه عذه الفترة، انظر:
- r.b. Edwards, Kadmos the Phoenician (Amesterdam,1979), 59-61, 169-72, 189, n.208; R.Drews, The Coming of the Greeks (Princeton,N.J.1988), 172-75.
- تعب أسطورة "أيو"، في الأصل، و كمما سنرى في وقت لاحق (ص ٤١٢ من النص الأصلي)، تفسيرا كنعانيا لاحتلال البكسوس لمصر، بعد مدها بصورة تالية كي تتوام مع بلاد اليونان.
 - (١٢٩) حول التنقيب عن إحداها انظر:

M.Bietak, Anz Österr Akad Wissenschaften 122 (1985) ,267-78.

الجزء الثاني

الإمبراطورية المصرية في آسيا

القصل السادس

«توسیع حدود مصر»

الحروب الإمبراطورية التى شنتها الأسرتان الثامنة عشرة والتاسعة عشرة

بلغ نظام الهكسوس ذروة قبوته حوالى ١٥٨٠ ق.م وعندئذ شرعوا فى تقليد أساليب المصريين، أهالى البلاد الأصليين تقليد القرود ومع ذلك ما كان لهذا النظام إلا أن يلقى حتفه لا محالة، بسبب طبيعته ذاتها، واعتماده على القوة وحسب، الأمر الذى جعله منبوذًا، لا يقف على قدمين أرسخ مما هو الحال فى "مارى" Mari أو فى إسين" Isin حقًا استغل المصريون الذين يعيشون داخل نطاق الرقعة التى حكمها الهكسوس حقًا استغل المصريون الذين يعيشون داخل نطاق الرقعة التى حكمها الهكسوس انطلاقًا من عاصمتهم فى أباريس" (= أواريس) أفضل جوانب الموقف وتعاملوا مع الأجانب، ولكن ماذا كان فى طوعهم أن يفعلوا سوى ذلك؟ إلا أن المشاعر كانت فى حقيقة الأمر متنججة فى الجنوب، وهنا، وبالتحديد فى "طيبة" بدأت الثورة ضد حكم الأجانب.

طرد الهكسوس:

صعدت إلى سدة الحكم فى "طببة" عائلة جديدة فى وقت ما خلال السنوات العشر الأولى من القرن السابع عشر ق.م وحلت هذه العائلة محل الأسرة السابسة عشرة التى لم تعمر طويلاً وهزل مقامها خلال حكمها. ويبدو أنه على الأرجح أن يكون "تاعو" مؤسس هذا البيت المائك قد كسب اعتراف "أبوفيس" أو ربما بلغ الأمر حد تعيينه له ك "تابع" Vassal في الجنوب، طالما صلك لقبه "سقن-ن-رع" على نمط لقب "أبوفيس" عاسقن من -رع" ولكن الحب كان مفقوداً منذ البداية بينهما(١).

لم يصل إلى أيدينا أى نص عن بدء الأعمال الصربية. والقصة التى تدور حول الصراع بين "أبوفيس" و "سقن -ن -رع" وراجت خلال الأسرة التاسعة عشرة، تلك التى تلقى باللوم على "أبوفيس" الذى لجأ إلى إزعاج تابعه ذاك، دون مبرر معقول، ليست سوى "حدوثة هزيلة"، خالية من كل قيمة تاريخية (٢). فلابد أن يكون "الطيبيون" هم الذين بدأوا العصيان، ولكن بعد أن عانوا فى البداية من الإحباط. وأقدم دليل قوى بشأن الحرب ليس نقشاً - وقد يكشف جوف الأرض يوماً ما عن صادود/ لوح فى هذا الصدد - ولكنه عبارة عن مومياء "سقن -ن-رع -تاعو" نفسه، التى حُفظت فى خبيئة "الدير البحرى" من المومياوات الملكية. فالجروح التى يحملها الجثمان تشهد بطلاقة كافية على الكيفية التى لقى خلالها حتفه: لا بد أن يكون قد حوصر ومزق الأعداء جسده بالحراب والبلط والخناجر. فلقد تأكد بصورة ناصعة الآن ذلك الاشتباه الذى ظل محلقاً فى الهواء بأنه سقط شهيدًا فى معركة ما، غفل عنها التسجيل، مع الهكسوس، وذلك خلال الفحص الدقيق للجروح التى ثبت أنها نجمت عن أسلحة من الأنواع التى وذلك خلال الفحص الدقيق للجروح التى ثبت أنها نجمت عن أسلحة من الأنواع التى كانت معروفة على نطاق واسع بين الآسيويين فى ذلك الوقت . (لوحة رقم ١٢)(٢).

إلاّ أن الهزيمة التي حاقت بـ "تاعو" والموت الذي اختطف في ميدان القتال لم يقتلعا عائلته من سدة الحكم. إذ يبدو أن العلاقات مع "أباريس" (= أواريس) عادت إلى سابق عهدها status quo ante مع صعود "كاموسى" إلى سدة الحكم، وهو الأمر الذي يعكس إما منعة "طيبة" أو تضعضع قوة الهكسوس(1).

حالفنا الحظ في حيازتنا لنقش "كاموسى" المطول، الذي يعطينا تفاصيل وافية لمواصلته الحرب. والنص منقوش مرتين على صادودين (خلافًا للقواعد الجارية، الأمر الذي يشير إلى عدم إعمال فكر مسبق عند وضع مسودة النص) نُصبا أمام معبد أمون في "طيبة". وقد تعرض الصادود الأول التهشيم في وقت لاحق، ولم يتبق منه سوى عدة شطف، تم إنقاذها ونشرها في سنة ١٩٣٩، ولكن لحسن حظنا قام أحد الكتبة الطموحين في المملكة الحديثة بعمل نسخة لجزء منه على لوح رسم، عثرت عليه بعثة اللورد "كارنارفون" عند انحناءة القرن العشرين. أما الصادود الآخر فكان قد أعيد استخدامه في أساسات أحد التماثيل في أواخر الأسرة التاسعة عشرة، ولكنه لم يتم استعادته إلا في مطلع خمسينيات القرن العشرين. ويبدأ النص بالملك في مجلسه الخاص،

وهو ينوء تحت عجزه عن اتخاذ قرار بعد أن كبُّك يديه تحذيرات مستشاريه، وهذا "موتيف" غالبًا ما يرد في النصوص الملكية كي يبرز بطولة الجالس في العرش وجسارته. وكان كل من "طيبة" والهكسوس قد أبرما، بعد رحيل تاعو" معاهدة تسمع لكسلا الطسرفين بالمسرور في أراضي الطرف الأخر طلبًا للسلع والفسمات، ولم يكن الهكسوس قد كشفوا حتى هذه النقطة عن أي دلائل على سوء الطوية. ومع ذلك يتخذ "كاموسى" قبراره بشن الهجوم وعبور الحدود دون سنابق إنذار. واستغلالاً، على ما يبدو، لعنصر المفاجأة أو الحماس الذي دب في صفوف قواته، لم يجد مقاومة تُذكر في المدن الواقعة في مصر الوسطى حيث أثار الذعر والفوضى في مستوطنات المصريين المتعاونين مع الحكم الأجنبي، وسرعان ما وجد نفسه (لدهشته هو شخصيًا، على نحو ما يستشعر المرء من النص، عند أقدام أسوار "أباريس" (=أواريس). ومع ذلك لم تكن غارة يشنها على المرفأ، وبضع صبرخات غاضبة يطلقها ضد العدو لتكفل له إحراز النصر. وقد حاول أبوفيس أن يضمن مساعدة النوبيين وأن يقنع ملك النوية بالهجوم على "طيبة" انطلاقًا من الجنوب، ومع أن قوات "كاموسى" اعترضت رسول الهكسوس بعد أن سهلت نوعًا ما مروره عبر خطوطهم الخلفية، وأعادته إلى 'أبوفيس'، إلا أن 'الطيبيين' اضطروا إلى الانسحاب. ولكن يبدو أن مصر الوسطى كانت لا تزال تضم مصريين ممن يستطيع 'أبوفيس' أن يعوِّل على وقوفهم إلى جانبه. وكانت غارت متفرقة على "سينوبوليس" Cynopolis والمناطق المجاورة في المديرية السابعة عشرة في الوجه القبلى، بالإضافة إلى الجهود الرامية إلى تأمين طريق الواحات قد سبقت الانسحاب إلى طبية ،

يصعب، لأول نظرة، أن نقيم الوزن التاريخي الصحيح لهذه الوثيقة الأكثر قيمة بين كل ما وصل إلى أيدينا، وفيها نجد أعلى تاريخ لـ "كاموسي" وهو السنة الثالثة من حكمه، وهذه السنة محفورة في بداية الصادود، وبناء على هذا تكون قد أضيفت بعد تفكير متنخر، ويبدو أن "كاموسي" غادر مسرح الأحداث بكل تأكيد، عقب ذلك بوقت وجيز، دون أن يترك وراءه ابنًا، بل وتاركًا خطته الكبرى غير مكتملة. ولا يملك المرء نفسه من التساؤل عما إذا كان قد لفظ أنفاسه الأخيرة من جراء جروح أصيب بها خلال إحدى المعارك التي خاضها ضد الهكسوس، ومع ذلك فإن ما أنجزته أعماله

الباهرة في الشمال ليس بالشيء القليل بحال من الأحوال.. ويلوح خلال أي قراءة للنص، أن الهكسوس عانوا من نكسة ضعضعت قواهم بشكل حاد. وقد يزيد في الأهمية على ذلك أن أي غلالة من المنعة، بصفتهم قوة لا تقهر، تكون قد أحاطت بهم، كانت قد تبددت وقت ذاك: أثبت "كاموسي" أن الأراضي التي يسيطر عليها الهكسوس يمكن اختراقها دون عائق أو رادع. وأصبح الأن واضحًا أن سلطة الهكسوس انكمشت داخل أسوار "أباريس" (=أواريس) ولم تعد تعتمد إلاً على استحكماتها هذه دون سواها.

أدى رحيل "كاموسى" بشكل مفاجئ إلى صعود شقيقه الأصغر(؟) "أحموسى" إلى العرش(أ). ولعله من المؤسف أننا لم نتوصل إلى أى نص حتى الآن، يماثل نص صادودي "كاموسي" عن حكمهما، وبالتالى لا نملك فضًا لأسرار حرب التحرير سوى "تلصيم" شتى "النتف" التى نصادفها فى سير الشخصيات المعاصرة، وبنود دفاتر اليومية والتقاليد الشفوية اللاحقة. وكافة هذه "النتف" موجزة ووقائعية المابع ومحايدة غير منحازة، ونظرًا للطبيعة الخاصة للأنواع الأدبية رهن الحديث، فهى تفتقر إلى تدفق وحمية الأسلوب الشخصى الذى تمتع به "كاموسى".

قامت مدينة "الكاب" الواقعة جنوبي "طيبة"، وحيث كانت تعبد "نخبيت" الإلهة الحامية للوجه القبلي، التي يرد ذكرها في الألقاب الخمسة للفرعون، كمركز ناجع واستمرت تحتفظ لنفسها بهذه المنزلة طوال سنوات العوز خلال فترة الانتقال الثانية. فلقد خرج من بين أبنائها عديدون ممن انخرطوا في القتال في صفوف جيش التحرير "الطيبي" مثل "بابا" Baba وهو جندي محترف قاتل تحت إمرة "سقن-ن-رع"، وابنه ضابط البحرية "أحموسي - سي - أبينا" (الذي ترقى في وقت لاحق إلى رتبة "أميرال"، وقريبه أمين الصندوق "أحموسي - با - نخبيت"، والقائد(؟) "أبو - سونب" dapu-sonb وابنه الذي يحمل اسما يشبه اسمه أي "أمين - موسى" (١) وتعد سيرة الثاني منهما أكمل السير، غير أنها لا تنطوي إلا على قيمة هامشية كسيرة حياتية Vita تكشف عما كان يجرى، بالضرورة، في مسيرة تصاعد الأعمال الحربية في ذلك الوقت، وما يعطيها في نظرنا أهميتها الكبرى، يتمثل بالتحديد، في أن أحداث الحرب، تمر بها بصفتها في نظرنا أهميتها الكبرى، يتمثل بالتحديد، في أن أحداث الحرب، تمر بها بصفتها في نظرنا أهميتها منجزات "أحموسي" ليس إلا. فلقد عمل، في صغره، على متن ثلاث

سفن بالتتابع واحدة بعد أخرى، واحدة منها حملت اسم "أحموسى" أى الفرعون وظهرت فى "منف"، وهو الأمر الذى يشير إلى الاستيلاء على هذه المدينة. وقد سبجل الكتبة وقوع ثلاث معارك مع الهكسوس إلى الجنوب مباشرة من "أباريس" (=أواريس). ثم تحمل إلينا هذه العبارة الموجزة المصير النهائى لعاصمة الهكسوس: "ثم أسلمت "أباريس" للنهب والسلب."

ولعل ما ينطوى على أهمية أكبر بالنسبة للمؤرخ هو الخربشات التي تركها لنا كاتب سقط اسمه من التاريخ على الوجه الآخر لبردية "رند" الرياضية Rhind Mathematical (منين على الصفحة أبونس الرياضي على الصفحة (منين عضون عقدين زمنين من كتابة هذا النص الرياضي على الصفحة اليمنى، وهو النص الذي يرجع إلى السنة الثالثة والثلاثين من حكم "أبونيس" استخدم شخص ما الوجه الأيسر في تسجيل ما شعر أنه الحدث الخطير في عصره على هذا النحو:

"فى السنة الصادية عشرة للحكم، الشهر الثانى من فصل الشومو (ظلصيف) سقطت ميليسوبولس". وفى الشهر الأول من الماخت (ظلخريف) اليوم الثالث والعشرين – هذا الأمير الجنوبي اخترق دفاعات تارو" وتردد أن تارو" سقطت. وفي نفس السنة الحادية عشرة، في الشهر الأول من "الشومو" يوم ميلاد "ست" أطلق جلالة هذا الإله زئيرًا. وفي يوم ميلاد "إيزيس" صبت السماء مطرًا "(١).

هنا نقابل، دون شك، المشهد خلال عيون "شمالية" (١٠) تنظر إلى التقدم "الطيبى" الزاحف من الجنوب. فـ الأمير الجنوبي" (أى آخموسى") يزحف بسرعة نسبية، كى يدخل "ون" (= هيليوبولس) فى مطلع يوليو – أبيب ثم يتجاوز آباريس" (=أواريس) كى يستولى على "صايل" التى تعد قلعة حدودية على مشارف سيناء فى أواسط أكتوبر – بابة، ونكاد على "صايل" التى تعد قلعة حدودية متفوقة تخطط لقطع أى إمدادات قادمة من أسيا نلمح هنا، على نحو مبهم، إستراتيجية متفوقة تخطط لقطع أى إمدادات قادمة من أسيا قبل فرض حصاره على العاصمة. ويؤكد السجل الأثرى مواصلة "أحموسى" انتهاج نفس السياسة التى كان شقيقه قد التزمها بإنزال دمار فادح بجيوش الأعداء. وعند استسلام "أباريس" (= أواريس) فى آخر المطاف، أسلمت للحريق مى الأخرى ثم محرت (١١). أما فلول نظام الهكسوس – ولو أننا اسنا متأكدين من المصير الذى انتهى

إليه "خامودى" أو العائلة الملكية - فلقد ولت الأدبار عبر سيناء ثم تمركزت فى شاروهين على ساحل البحر المتوسط جنوبى غزة . ويبدو من المحتمل أن تكون غالبية المبيوية التى كانت تقيم فى شرق الداتا قد انسحبت شرقًا أيضًا، ما لم تكن قد بادرت باتخاذ هذه الخطوة فى وقت مبكر عن ذلك. وقد يكون بعض الأسيويين قد سقطوا فى أيدى المصريين خلال الاشتباكات أو أخذوا ضمن الغنائم التى غنمها المصريون ووزعوهم كخدم بين الجنود، ولكن هؤلاء الأسيويين كانوا قليلى العدد، وينفى غياب جالية من العبيد الأجانب فى مصر خلال السنوات الخمسين التالية الفرضية التى تذهب إلى أن محررى مصر "أسروا" قطاعًا عريضًا من أبناء الهكسوس(٢١).

ليس في طوعنا أن نعرف ما إذا كان الهكسوس الناجون الذين تمركزوا في شماره هين قد تعلقوا بأي أمال في شن هجوم مضاد، إلا أن "أحموسي" ما كان ليسمح لهم ببدء أي أعمال حربية، فلقد زحف عبر سيناء وهاجمهم في معقلهم الجديد، واستولى في نهاية المطاف على هذا المعقل وأسلمه للتدمير. ويذلك كفت دولة الهكسوس التي أسست الأسرة الخامسة عشرة عن الوجود (١٣).

الهكسوس الجدد في آسيا: قدوم الحيثيين والحوريين

كانت مصر قد رست، غداة انسحاب الهكسوس وإفنائهم فى "قلعة - شاروهين ' Festung-Sharuhen resturg ، على مفهوم جديد لما يتطلبه أمنها الخاص ودفاعها عن نفسها، سواء أكان ذلك لحسن الحظ أو لسوئه. فلم يستوعب المصريون فى بادئ الأمر الأهمية التى ينطوى عليها النصر الذى أحرزوه بسواعدهم، ولم تساعد الأحداث المعاصرة فى تبديد توجساتهم المستمرة. فلقد أعقب تدمير "شاروهين" غارأت النوبيين. وهى الغارات التى تحوات وقت ذلك إلى غزو شامل على جنوب البلاد، كما لو كانت الإستراتيجية التى راودت "أبوفيس" بإرغام "طيبة" على خوض حرب على جبهتين، عن طريق الاستنجاد بحليفه الجنوبى: النوبيين، قد شرعت فى الدخول فى وقت متأخر، فى التنفيذ. وكان واضحًا أن الممثنان المصريين القديم إلى تسيدهم الفطرى على الشعوب وهو الممثنان يقع خارج نطاق ما هو مقبول، كان ليضر بهم فى المناخ غير المواتى التى ساد ذلك العالم الشجاع الجديد. (شكل ه)

تشكل السنون الخمسون التى أعقبت طرد الهكسوس – أى النصف الثانى من القرن السادس عشر ق.م بصفة عمومية – فترة كبرى من الانتقال فى تاريخ أسيا الغربية. فعندما تطلع "أحموسى" المجهد، غداة النصر الذى أحرزه على "أباريس" باتجاه الشمال وعبر رمال سيناء، رسم فى خياله خريطة تشبه إلى حد كبير تلك الخريطة السياسية لفلسطين وسوريا التى فكر فيها سلفه "دوبو – موسى" قبل مائة وعشر سنوات. وكانت المالك "الأمورية" التى عرفها العصر البرونزى الوسيط (الأعلى) قد استمرت فى الحفاظ على كياناتها: "بابل" فى حوض نهرى "دجلة" و "الفرات" و "آشور" فى أعالى نهر "دجلة" و "الفرات" و "أشور" فى أعالى نهر "دجلة" و "يامخد" التى بسطت حكمها انطلاقًا من "حلب" فى شمال سوريا، و "قطنوم" (وفى وقت لاحق "قطنة") فى أواسط نهر "العاصى" و "حازور" (= حامسور) التى سيطرت على "الجليل" وأعالى وادى نهر الأردن. حقًا كانت بعض الدويلات الجديدة قد ظهرت إلى الوجود مثل "خانا" هالله فى أواسط حوض "الفرات"، ولكن هذه الدويلات استلهمت الأنماط السياسية التى عرفها العصر البرونزى الوسيط، وتقبل التصنيف على المستوى الثقافى تحت وصف "أمورية".

ولكن أحموسى" لم يستطع إلا أن يستشعر بدء هبوب الرياح من أصقاع جديدة. فمن الغرب ازدهرت تجارة نشطة مع "قبرص" التي جلبت الأفيون والنحاس الأحمر، بالإضافة إلى فخار متميز وملون إلى مدن المشرق (١٠١). (وفي مصر يبدو أن النهضة التي عرفتها التجارة مع "قبرص"، ترجع إلى خواتيم عصر الهكسوس.)(١٥٠) وفي المشرق كانت "بابل" قد بدأت تشعر بالعجز عن الوفاء بالمتطلبات التي يحتاج إليها استمرار بقائها كإمبراطورية، على الأقل داخل نطاق سهل الرافدين، وبالتالي وجدت نفسها مرغمة على الانسحاب داخل التخرم المباشرة لأراضيها، وخلق هذا الانسحاب فراغًا في القوة في هذه المنطقة. وهو الأمر الذي يجيز لنا أن نفسر تاريخ أسيا الغربية خلال القرنين التاليين إلى حد كبير على اعتبار أنه لا يخرج عن مله ذلك الفراغ، وقد بدأ الكاسانيون Kassites ، وهم عبارة عن عرق ينتسب إلى جبال "زاجروس" في غرب إيران في بسط نفوذهم على وادى "الفرات"، وفي أعقاب رحيل "حمور – ابى" غزا إيران في بسط نفوذهم على وادى "الفرات"، وفي أعقاب رحيل "حمور – ابى" غزا مراد البرابرة الدولة البابلية، وأقاموا لانفسهم معقالاً ما في "خانا"، جنوبي "ماري" (١١) ثم معقلاً أخر(؟) في "طرقا" Terga على نهر "الفرات" على بعد سنة وخمسين كيلو متراً ثم معقلاً أخر(؟) في "طرقا" Terga على نهر "الفرات" على بعد سنة وخمسين كيلو متراً ثم معقلاً أخر(؟) في "طرقا" Terga على نهر "الفرات" على بعد سنة وخمسين كيلو متراً ثم معقلاً أخر(؟) في "طرقا" Terga على نهر "الفرات" على بعد سنة وخمسين كيلو متراً ثم معقلاً أخر(؟) في "طرقا" Terga على نهر "الفرات" على بعد سنة وخمسين كيلو متراً ثم معقلاً أخراء البرابرة الدولة الوبالة البابلية، وأقاموا لانفسه معقالاً ما في بعد سنة وخمسين كيلو متراً الموات ا

شمالى "بابل" (١٧). وفي البداية كان مركز الكاسانيين غير آمن. وقويات محاولتهم نحو اجتياح مدينة "بابل" ذاتها بما لا يقل عن نجاح بارز، فلقد ردهم البابليون على أعقابهم مرتين، ولكنهم نجحوا في المرة الثائثة كما يبدو واضحًا، في اختراق دفاعات المدينة وأسلموها للنهب والسلب وسيطروا عليها لمدة قصيرة (١٨١). وبعد جيل واحد من رحيل أحموسي" في مصر، كان الكاسانيين، مع ذلك أن يقتلعوا الأسرة الحمورايبة من العرش ويحلوا محلها بيتهم الملكي.

ولعله مما انطوى على نتائج أخطر بالنسبة المصيريين أن ظهرت إلى الوجود في الشمال مجموعتان عرقيتان جديدتان لا تتحدثان أيًّا من اللغات السامية، وكانتنا لتهددان أمن واستقلال المشرق بأسره. كانت أولى هاتين المجموعتين في الظهور على مسرح الأحداث هي الشعب الذي عرفه التاريخ باسم "الحيثين"، الذين استوطنوا في أواسط مضبة الأناضول في القرون الختامية للألف الثالث ق.م داخل نطاق انحناءة نهر "ماليس" Halys . (اللوحتان ١٤،١٢)(١٩) ورغم أن فلكلورهم وتقاليدهم الشفوية تلزم صمتًا مربكًا تجاه مسألة أصولهم، إلا أن اللغة الحيثية، التي "حُشفرت" (= حلت شفرتها) في مطلم القرن العشرين، تنتمي إلى الفرع الأناضولي من العائلة الكبري المسماة بالهندو - أوروبية، وهو الأمر الذي يميز هذه اللغة عن كافة اللغات الأخرى المعروفة في الشرق الأدنى القديم. ويبدو، اتساقًا مع ما نعرفه عن موطن وتحركات الشعوب الأخرى الناطقة بالهندو - أوروبية، أن أسلاف الحيثيين يرجعون في الأصل إلى السهوب (= البراري) الجنوبية لأسيا، ولم يظهروا على هضبة الأناضول إلا في وقت ما يتراوح بين أواسط حتى أواخر الألف الثالث ق.م. وفي مطلع الألف الثاني استولوا على إحدى المدن في أعالى الإقليم ودمروها وأعادوا بناءها وأطلقوا عليها اسمًا جديدًا هو "هاتوسياس" Hattusas واتذنوا منها منذ ذلك الوقيت عاصمة لهم. (لوحة رقم ١٥) ومنذ هذه البداية التي يكتنفها الغموض برز الحيثيون تحت دائرة الضوء التي يحفظها التاريخ الموثق خلال السنوات الأخبرة لاحتلال الهكسوس لمسر، ورغم ما سبق قوله، فإن المرء ليتساعل عما إذا لم تكن "جرة خايان" (أحد ملوك الهكسوس) تلك التي عثر عليها في " هاتوساس" هدية دبلوماسية لحاكم شاب صاعد، وخلال مبدفة تمثلت في وقوع "هاتوساس" جغرافيًا في موقع المركز، وجدت الدولة الحيثية نفسها وقد اضطرت

إلى التوجه نحو الجنوب الغربي بنفس الدرجة التي توجهت بها نحو الجنوب الشرقي. وقد زرع المنظور الأول: الجنوبي الغربي، اهتمامًا حيثيًا بالساحل الجنوبي - الأيوني Ionian و 'ليشيا' Lycia ، كما وجه المنظور الأخر انتباه الحيثيين إلى أراضي سوريا فيما وراء تجبال طوروس وإلى بلاد الرافدين (= ميزوبوتاميا). وقد يكون وجود مملكة غنبة ومنيعة هي "يامخد" قد أثارت حقًا شهية الحيثيين: لم يروا في "حلب"، (عاصمة "يامسخند") تهديدًا ذا بال لأمنهم. وأيًّا كان الدافع أو السبب المباشس، إلا أن الملك "هاتوسيليس" الأول شن، في بداية حكمه (الذي يتزامن بصفة عامة مع الأيام الأخيرة في عصير 'أحموسي' في مصير) هجومًا على 'ألالخ' alalakh ، إحدى المقاطعات التابعة لـ حلب في شمال سوريا، وأنزل بها الدمار (٢٠). وسحق أنضًا خلال الحملة العسكرية نفسها "أورشو" Urshu التي تقع إلى الشمال مباشرة من "كاركميش" ولم تكد تمض أربع سنوات وحسب وصار في طوع "هاتوسيليس" أن يهاجم العاصمة "حلب" ذاتها (رغم أنها لم تسقط) وأن يعبر نهر "الفرات"، واستطاع أن يقود الإستراتيجية الميثية إلى خاتمة ناجحة خلال تدمير "حلب"، ويذلك أنهى حكم ووجود "يامخد" مرة واحدة وإلى الأبد وتفيد معاهدة أبرمت بين الحيثيين و "حلب" في وقت متأخر كثيرًا إلى الأذهان ما يلى: "حاز ملوك "حلب" في أول الأمر مملكة مترامية الأطراف، ولكن "هاتوسيليس" العظيم، ملك بلاد "خاتى" أنهى وجود مملكتهم. وبعد "هاتوسيليس" ملك بلاد 'خاتى'، دمر الملك العظيم 'مورسيليس' الأول حفيد 'هاتوسيليس' الملك العظيم مملكة "حلب" فضلاً عن "جاب" ذاتها"(٢١).

وتمثل النصر الثانى والأكثر بطولة، الذي أحرزه "مورسيليس" الأول، في بعث الفوضى في الهيئة السياسية لبلاد الرافدين وإحداث تغيير في التركيبة السكانية (الديموجرافية) للإقليم، ولقد سجلت المصادر الحيثية والبابلية، كلاهما، أخبار حملة عسكرية خاطفة "مشطت" الفرات وانتهت إلى الاستيلاء على "بابل" وإنهاء وجودها (قبيل سنة ١٥٢٠ ق.م). وهكذا دمرت حملة واحدة، هدفت إلى جنى الغنائم على نمط ما كان يفعل "الأموريون" السلابون - النهابون دون وازع ولا رادع، في العصر البرونزي الوسيط، بقيادة "مورسيليس" دولة "خانا" وفتحت الطريق أمام القوة الصاعدة الكاسانيين كي تزحف لتحتل الدولة البابلية(٢٢).

كما أطلقت بولة الحيثيين، أيضًا يد مجموعة عرقية أخرى بصورة أكثر حرية، كانت قد ظهرت بوضوح على الأفق في شرق البحر المتوسط، أقصد الموريين. غير أنهم استمروا رغم ما مارسوه من نفوذ واسم في الشرق الأدني، ولابد أنهم ظلوا لمدة طويلة يشكلون عنصرًا محليًا من أبناء البلاد الأصليين في حوض الرافدين، إلاّ أنهم استمروا بمثابة لغز بين شعوب العالم القديم. ولو أن أدابهم تركت أثارًا عميقة على الحيثيين (وفي وقت لاحق على الإغريق)، ومع ذلك فإن لغتهم (وهي ليست سامية وليست هندن – أوروبية) ظلت شبه مجهولة(٢٣). وكانت أوانيهم الفخارية الجميلة منتشرة في بالد الرافدين وشرق سوريا - وحتى في مصر في الملكة الحديثة، أعلى المصريون شأن الأواني الحورية، – ومع ذلك فإن ثقافتهم المادية لم يخضعها أحد بعد لدراسة مكثَّفة (٢٤). وعلى غرار ما فعل الكاسانيون، خرج الحوريون من شمال جبال "رَاجروس" وريما من "أرمينيا" (٢٥)، ولم نكد نصل إلى أواخر الألف الثالث حتى أخذنا نصادف الأسماء الحورية بين الحين والآخر في شمال بلاد الرافدين وحول "كركوك"(٢٦) وتحت أيدينا أدلة على هبوط أعداد من الحوريين إلى منطقة "شاجار - بازار" خلال عصر "حمورا - بي"، وخلال نصف القرن اللاحق على وفاته (١٦٧٠-١٦٢٠ ق.م.على وجه التقريب) وجدناهم أيضًا في شمال سوريا حيث وصلوا إلى ثلاثين بالماثة من مجموع السكان كما هو الصال على سببيل المثال في "الالاخ"(٢٧) ويحلول سنة ١٦٠٠ ق.م ظهر اسم حوراني Hurrian ضمن أسماء حكمام "خانا"، وتحمن تسميع عن "داجون" Dagon إله الحوريين في المجمع الإلهي المنطقة(٢٨).

وتمثل العامل الذي حول الأمة الحورية من مجموعة من "البريويكوي" والطبقة الوسطى من سكان المدن في "إسببرطة" القديمة) تعيش على هامش البؤر العظمى للحضارة إلى قدوة سياسية راقية بحد ذاتها في وصول عنصر هندو - أوروبي من الشمال/ وأدى اندماجه فيما بين ١٦٠٠ و ١٥٥٠ ق.م مع الحوريين إلى نشوء نوع ما من التعايش بين "حكام" و "رعايا" (٢٦٠). ولعله من الواضح أن الهندو - أوروبيين رهن الحديث ليسوا سوى فرع يرجع جغرافيًا وثقافيًا إلى أرومة الهجرات الأربة الكبرى التي خرجت من سهوب (= براري) الإستبس الروسية كي تتجه جنوبًا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ق.م، وهي الهجرات التي حملت عداً

كبيرًا بصورة ملحوظة من الشعوب الناطقة باللغات الهندو-أوروبية إلى شمال الهند، ومثلما فعلوا في البنجاب، كذلك فعلوا في بلاد الرافدين، إذ قدموا الأرستقراطية السيطرة في المجتمع الذي نتج عن ذلك الانصبهار. ولقد أعاد "بوراناس" Puranas إلى الأذهان هذه الظاهرة في حقيقة الأمر على هذا النحو: "أنجب "براستاس" Pracetas مائة ابن صاروا كلهم ملوكًا. وقد تسيدوا جميعًا على ممالك بربرية بعد أن هاجروًا إلى الطرف الشمالي (١٦٠) ورغم أن هؤلاء الغزاة الأربين سرعان ما نسوا لنتهم وتبنوا اللغة الحورية في مستواها الدارج، إلا أن صبيغ الأسماء كانت لا تـزال مشحونة بالدواخل المثلثة على المائة التي تشير إلى الآلهة والإلهات "الفيدية" Vedic الرئيسية: "ميثرا" ميثرا" Mithra و"أبدرا" alurya الرئيسية: "ميثرا" كما أن العادات الأربية ظلت لفترة طويلة على قيد البقاء بما في ذلك ركوب الخيول والصناطير Chariot، وحرق الجثمان بدلاً من دفنه، وإطلاق اسم "مـاريانو Maryannu (بالسنسكرية يه maurya الرجل الشاب) على الأرستقراطية الإقطاعية (٢١).

كشف المجتمع الآرى-الحورى الجديد عن "وثوب حيوى" élan vital دفع أبناءه إلى أماد بعيدة وواسعة في الجنوب والغرب على حد سواء (٢٣). ويحلول الربع الثالث من القرن السادس عشر ق.م.كان عدد من الجيوب القوية الحوريين في طريقها إلى الائتلاف على شكل دول في شمال "ميزوبوتاميا" (= بلاد الرافدين)، وقد عرفت أقواها بهذا الاسم الجغرافي الفضفاض "خانيجالبات" Khanigalbat . ورغم أن مركز تقلها كان واقعًا في أعالى نهر "دجلة" شمالي "أشور" حيث قامت عاصمتها "تثيدا" Táida (٢٠٠). وولقد أدارت "خانيجالبات" وجهها، بحكم الموقع الجغرافي ومقتضى الضرورة شطر الغرب كما تطلعت أيضًا تجاه نهر "الفرات" وما وراءه.

وبالتالى، ولما كان كل من الحيثيين والحوريين قد ارتأوا أن مصيرهم المصريح مرهون بالتوسع فى اتجاهات متعارضة، حيث يسعى كل منهما إلى السيطرة على الأراضى التى يدعى ملكيتها الطرف الآخر، فلقد تعين أن يتصادما، وصار على شمال سوريا وأعالى الفرات أن يصبحا ميدان المعارك التى سيخوضانها الواحد ضد الآخر. وكأن التوسع الحورى غربًا أيام حكم ماتوسيليس الأول قد أشعل الصراع فعلاً بين الحوريين والحيثيين ملك الحيثين أن نفهم من قدرة مورسيليس ملك الحيثين،

على شن الغارات سواء في شمال سوريا أو في أسافل نهر "الفرات" أن الحوريين تعرضوا لكارثة فادحة. بل على النقيض من ذلك فلقد يسر لهم اختفاء مملكتي "بامخد" وخانا" الزحف والاحتلال باتجاه الغرب (٢٦). ونستطيع أن نعشر على أثار السيطرة الحورية في "الالاخ" عقب قيام "هاتوسيليس" (١٥٦٠–١٥٥٠ ق.م.على وجه التقريب) بتدميرها مباشرة (٢٧)، وهناك مثل ذلك الرجحان السمات الحورية سواء في أسماء المواقع أو أسماء الأعلام في "ألالاخ" عند مستوى ١٧ (أي القرن الخامس عشر ق.م.)، وهو الأمر الذي يعني أن غزوًا شاملاً لابد وأن يكون قد حدث في القرن السادس عشر (٢٨)، وقت ذاك لم تكن قوة الدفع قد فقدت زخمها. ففي الربع الأخير من القرن السادس عشر ق.م. تقوم أدلة على إسهام حوري في التشكيل العرقي والثقافي لدولة "كيزو- واندا" Kizzuwanda الناشئة في السيسي "الالاخ واندا" Cilician plain شمال غربي "ألالاخ وحتى ألالاخ بالضرورة، بالضرورة،

قد نتوقع أن تقدم لنا المسادر المعاصرة أدلة ما بخصوص الاندفاع الآرىالصورى، ولكن تلك المسادر تلزم الصمت مع الأسف. لكننا نعرف بفضل أسساء
الاشخاص في رسائل أخيتاتون (=العمارنة) أن خواتيم القرن الخامس عشر ق.م.
شهدت عدداً كبيراً إلى حد مذهل، من العائلات الملكية في مدن فلسطين وأواسط سوريا
التي تكشف عن أسماء هندو - أوروبية رغم الحقيقة التي تقول إن حامليها كانوا
يتحدثون "الكنعانية (1.3). وتشير قوائم أسماء الأشخاص التي ترجع إلى تاناخ أن
الحوريين والهندو-أريين كانوا يشكّلون معا نسبة تصل إلى سبعة وثلاثين ونصف بالمائة
من مجموع سكان فلسطين في سنة ١٥٠٠ ق.م على وجه التقريب(١١). ومع ذلك يبدو
أن الغزو، لابد وأن يكون قد حدث قبل ذلك طائما أن الاسم: "خارو" وهو مشتق من بلاد
- الحوريين أطلق من جانب آمين - حوبب الثاني على فلسطين وتمتع أي ذلك الاسم بالنيوع
العرقي في صيغة الجمع أي "الخاريين" في سياقات يكون فيها، هذا الاسم مرادفًا بوضوح
تام للأسيويين بصفة عامة، وخصوصًا أولتك الذين يقطنون في فلسطين وأعماق سوريا
أو البقاع (٢١). وخلال السنة الصادية والعشرين من حكم الفرعون "تحوت - موسي"
الثالث وصف أسير حرب عجوز - وكان قد أصبح بوابً - نفسه بأنه "خارو" (٢١).

وهكذا فإن هذا الدليل الذي يعدنا بالإيحاء بأن التدفق القادم من الشعال الذي حمل معه مزيج الهندو - حوريين إلى كنعان وترك وسمًا لا ينمحي لديموجرافية البلاد ولثقافتها المادية، كان قد أصبح ملموسًا فعلاً قبل نهاية القرن الـ ١٦ق.م فهل بوسعنا أن نرصد تاريخ ذلك وظروفه بصورة أكثر دقة؟

لم تتوصل عمليات التنقيب حتى تاريخه إلى الكشف عن خبيئة عن النصوص تستطيع إلقاء الضوء على التاريخ السياسي أو التغيرات التي دخلت على السكان في النصف الثاني من القرن الـ ١٦، ويراود المرء شعور مقبض خلال تناوله لهذه الفترة بأن هناك صفحة غاية في الأهمية مفقودة من السجل الذي تحت أيدينا. وتنتهى أراشيف "الالاخ" بتدمير "هاتوسيليس" للمدينة ولا تستأنف العودة إلى الظهور حتى القرن الضامس عشر ق.م. أما مصادر "مملكة الحيثيين القديمة" فنادرة ومليئة بالفجوات، فضلاً عن أن الفترة التي تعنينا هنا لم تعكسها النصوص اللاحقة إلا من خلال إشارات جزافية أي كيفما اتفق. ولم تظهر إلى الوجود حتى تاريخه أي أراشيف رسمية سواء من أي من المراكز الكبرى للحوريين في وادى الرافدين (=ميزوبوتاميا) أو من عمالقة العصر البرونزي الوسيط في المشرق، فلا تزال حلب" تنتظر عمليات التنقيب، كما أن "حازور" ضنت بمعلوماتها على المنقبين، ولم تكشف لنا قطنوم Matanum كما أن "حازور" ضنت بمعلوماتها على المنقبين، ولم تكشف لنا قطنوم Matanum إلا عن قوائم جرد وبضع وثائق ينحصر اهتمامها في عمليات البيع والشراء (11). أما المصريون، فلم يتركوا من جانبهم سوى إشارات متفرقة إلى أسيا طوال الفترة ألتي سبقت حملات الفرعون "تحوت – موسي" الثالث.

تنطوى هذه الفجوة في مصادرنا المدونة على إشارة مضاعفة للذهول في ضدوء الانقلاب الذي نشهده في السجلات الأثرية، إذ نجد عند التنقيب أن تدميراً عنيفًا قد لحق معظم المدن الكبرى، إن لم نقل كلها، في فلسطين وجنوب سوريا، في وقت ما عقب نهاية حقبة MBIC أي المرحلة الثقافية التي تتعاصر إلى هذا الحد أو ذاك مع المرحلة الأخيرة من احتلال الهكسوس لمصر⁽¹⁾. ولقد أسهم الافتراض الذي يذهب إلى تزامن فترة MBIC مع نهاية حكم الهكسوس أو تلامس طرفي الفترتين)، في اعتناق كثيرين لرأى يصل أو يكاد، إلى مرتبة ركن معصوم من أركان الإيمان، يقول بأن جيوش

المصريين تحت قيادة الفرعون "أحموسى" هى التى أنزلت هذا التدمير فى مطاردتهم لعدوهم الذى لاذ بالفرار (٢٠)، ولكن إمعان النظر فى الأمر للحظة واحدة سوف يثبت أن هذا الرأى مستحيل الصواب، فالمصريون فى عهد الفرعون "أحموسى" كانوا خائبين بصورة مزرية عندما يأتى الأمر إلى فرض الحصار على مدينة حصينة ما أو اقتحامها: تحدث "أباريس" (=أواريس) محاولاتهم فى هذا الصدد لاكثر من جيل كامل. وصعدت "شاروهين" الثلاث سنوات. وحتى بعد ذلك بستين سنة وخلال حكم الفرعون "تحوت - موسى" الثالث صمد حصن "مجدو" المتوسط الحجم اسبعة شهور (٢٠) زد على ذلك هناك غياب شبه كامل اذلك النوع من الأدلة الملموسة التى تشير إلى عمليات حربية على نطاق واسع أو حضور امتد اسنوات طويلة المصريين فى فلسطين تحت حكم حربية على نطاق واسع أو حضور امتد اسنوات طويلة المصريين مقيمين، ولم نعثر خلال التنقيب على أى أدوات أو أوان artifacts مصرية، ولم تجر عمليات ترحيل مكثفة الكسيويين الذين ظهروا فى أوقات لاحقة فى مصر. وعندما نقف من واقع النصوص على أن الإمبراطورية المصرية (فى آسيا) كانت قيد البقاء بعد الفرعون "تحوت موسى" الثالث، فإن الأدلة التى نستقيها على ذلك من الآثار تتدفق علينا من كل مدوب وحدب (١٩٠٠).

ولكن إذا لم يكن المصريون هم الذين أنزلوا ذلك التدمير بتلك المدن، فعلى عاتق من في الحقيقة تقع المسئولية عنه؟

أولاً، ينبغى علينا أن نلاحظ أن الافتراض السهل بأن هناك تزامنًا لنهاية فترة MBIIC مع طرد الهكسوس لا يسوغ التأثير على المحاججة على أى نحو من الأنحاء. إذ يستطيع المرء أن يؤيد، بنفس القدر من التسويغ، تاريخًا قبل صعود الفرعون "أحموسى" إلى العرش أو تاريخًا يبعد كثيرًا عن زمن وفاته. ولكننا إذا استندنا إلى الأدلة الطبقاتية (من طبقات) دون سواها، فقد لا نكون في وضع يمكننا، ببساطة، من إصدار حكم ما، وعندنذ نترك الباب مفتوحًا لإمكانية أن ننسب كثيرًا من مستويات التدمير إلى ما نجم عن الغزو الذي قام به الفرعون "تحوت - موسى" الثالث (13).

واكن إذا ما كان للمرء أن يعترض بأن وضع نهاية فترة MBIIC بعد سنة ١٥٠٠ق.م. - وهو الأمر الذي يتأسس بصورة طبيعية على ذلك - متأخر للغاية، فإن مرشحًا أخر يكون قيد الانتظار في جنح الظلام. فالضغط الذي قام به الحوريون وقادتهم من الهندو-أريين، بمسورة لا هسوادة فيها باتجهاه الغيرب، خلال الربع الثالث للقرن السادس عشر، أدى إلى انبثاق أمة - دولة جديدة تدعى "ميتاني" بين نهـرى "الفرات" و 'بلغ' Balikh بطول سنة ١٥٢٠ق.م(٥٠) وسرعان ما أمسحت "ميتاني" هذه بمثابة الدولية الرئيسية والمثل الأساسي التقافة الحورية، وكان أن قوُّضت بأسرع مما كان متوقعًا الدول التي كانت قائمة في أواسط ما بين الرافدين وأعالى "دجلة"، بما ذلك "أشود". حقًا لا نملك سجلاً التوسعات التي قامت بها "ميتاني" باتجاه الجنوب. ولكن المرء ليتسامل عمًّا إذا كانت نفس الحمية التي خلقت ميتاني على انقاض "خانا" و"ماري" هي التي دفعت قطاعًا من الحوريين باتجاه الجنوب نحو فلسطين كي ينزلوا الدمار ب 'حازور' (= حاصور) والدويلات التابعة لها في مسعى لإقامة دولة أخرى، علاوة على ميتاني ، على حدود مصر؟ مثل تلك الدولة لم تظهر إلى الوجود، بطبيعة الصال، نظرًا لأن "قادش" على ضفاف نهر "العاصي" كانت قد أحكمت سيطرتها، على ما يبدو، على فلسطين عشية الفتوحات التي قام بها "تحوت - موسى" الثالث في مطلع القرن الخامس عشر. ولكن حكام "قادش" خلال فترة LIB تكشف بصفة متواترة عن أسماء ميتانية. هل تعد "قادش" من هنا، بمثابة ذلك العامل agent الذي نيحث عنه(٥١)؟

مصادر تاريخ الإمبراطورية:

نملك، بخصوص الفترة التي شهدت نشأة واستمرار بقاء الإمبراطورية المصرية في آسيا أي من نحو ١٥٥٠ ق.م تحت حكم "حموسي" حتى زوالها النهائي في وقت ما في أواسط الأسرة العشرين (نحو ١٧١٠ق.م)، ثروة نسبية من مواد مستقاة من مصادر أصلية. فلأول مرة يتوفر لنا من النصوص المصرية والمسمارية ما لا يشكل سجلاً معاصراً فحسب، ولكن أيضًا تلميحات متعارضة في أولوياتها أو أفضلياتها حول الفترات نفسها وأحيانًا حول الأحداث نفسها.

مصر

حوليات:

رغم أن القائمة التى وصلت إلينا عن المملكة القديمة من الأنواع الأدبية التى نجت من عوادى الظروف تشمل السجلات السنوية للأحداث الكبرى والمعلومات التى تحتاج إليها الأجيال اللاحقة، فإننا لا نظمئن إلى المدة التى استمر فيها هذا النوع الأدبى أو ذاك على قيد الوجود، حقًا ظل اسم "الحوليات" بمثابة اسم عام فى المعجم (المصرى) حتى نهاية التاريخ المصرى ولكنه قد يشير، بعد نهاية الملكة الحديثة إلى شكل مهجور أو شكل دخل عليه تعديل جذرى (٢٥). وفي سائر الأحوال لم يصل إلى أدينا أي نموذج على ذلك الشكل من الملكة الحديثة.

دفاتر اليومية:

يأتى إلينا من الملكة الوسيطة نوع أدبى يسمى دفتر اليومية لهذه المؤسسة أو تلك، ويضم تجميعًا لأحداث بارزة ومذكرات دبلوماسية ونفقات، وهى مرتبة فى لفائف وفقًا لليوم والشهر والسنة (٢٥). وكانت المعابد والمصالح الحكومية والقصر الملكى تحتفظ بمثل هذه الدوريات التى أصبحت بمثابة المصدر الأول لأنماط ثانوية من الأدب، بما فى ذلك الغناوى وقصائد المديح ونصوص النصر. وفى ضوء الأهداف التى نتوخاها ينطوى دفتر اليومية الخاص بقصر الفرعون على الأهمية الأكبر، فيوميات القصر لا تسجل أعمال الفرعون يومًا بيوم وحسب، ولكن أيضًا نفقات وإيرادات العائلة الملكية. وعندما يخرج الفرعون على رأس حملة ما يغدو دفتر اليومية بمثابة دفتر حرب فى حقيقة الأمر، حقًا لم يصل إلى أيدينا أى دفتر يومية للعائلة المالكة من المملكة الحديثة، ولكن عهد الفرعون "تحوت - موسى" الثالث (وإلى مدى أقل بعض خلفائه) شهد استخدام مقتطفات مطولة من هذه الدفاتر فى النصوص التى حملتها الصواديد/الألواح.

المراسلات:

خلال العصر البرونزى المتنخر (نحو ١٥٠ - ١٢٢ ق.م) كانت المراسلات الدولية من نوعيات دبلوماسية مختلفة تجرى بين الدول العظمى فى العالم القديم باستخدام اللغة الأكدية كاللغة المستركة Lingua Franca مكتوبة بالخط المسمارى على ألواح من الطين المحروق (١٥). وكان فرعون مصر يحتفظ بـ "طاقم" من كتبة الرسائل الذين يجيدون اللغة الأكدية فى البلاط الملكى كى يترجموا رسائله التى تصاغ أول الأمر باللغية المصرية. وفى حوزتنا جزء من المراسالات المسمارية فى عهود كل من "أمين حوبت" الثالث و "أخناتون" و"توت – عنخ سامون"، مع مصر، محفوظة فى رسائل أخيتاتون" (= العمارنة)، التى عثرت عليها فلاحة مصرية فى سنة ١٨٨٧ فى أطلال المحكمة العليا فى مدينة "أخيتاتون"، كما ظهرت إلى الوجود بعض مراسلات الفرعون "رعمسيس" الثانى وعائلته وبلاطه خلال الاستكشافات التى جرت فى "هاتوساس" عاصمة الحيثين (٥٠).

المعاهدات:

رغم وجود إشارات إلى اتفاقيات دولية دخلتها مصر مع جاراتها، إلا أن هذا الشكل الأدبى لم يكن مصرى النشأة ولم تصل إلى أيدينا سوى معاهدة سلام واحدة أبرمها "رعمسيس" الثانى مع الحيثين وقد ترجمت عن اللغة الحيثية.

هذه التصنيفات الأربعة تشكل بصفة رئيسية ديوانًا خاصاً سعى الكتّاب إلى أن يتسواصلوا من خلاله مع ذلك، وأن يؤثروا الواحد فى الآخر أو فى مجموعة من الأشخاص. وكانت الأغراض عملية: أن ينقلوا أو يسجلوا معلومات غاية فى الأهمية، أو يقنعوا شخصاً ما بتقديم فائدة عاجلة. فمثل هذه التصنيفات لا تقصد استهلاك الجمهور العام، ولما كانت تعكس بصفة عمومية ما يرى فيه الكتّاب أنه حقائق فإن عنصر الخداع ليس بارزًا. ولكن الأمر مختلف مع الأنواع الأدبية التالية التي ترمى إلى النشر.

صواديد النصر:

ينطبق "نقش النصر" المصرى (٢٥) على نوع من النصوص التي يزخرفها الكتّاب بصورة فائقة في أسلوب سردى وبلاغي يهدف إلى الاستهلاك الشعبي، رغم أن الموضوع قد يكون مستقى من حادث ورد على نحو بارز في دفتر اليومية. وغالبًا ما يكون الموضوع هو الانتصار في معركة ما ويكون مصاغًا في إطار تغلب عليه الصنعة إلى هذا الحد أو ذاك. ويدور الموضوع حول عدد من المحاور لعل أهمها هذان المحوران. الأول: أزمة ما تلوح في الأفق، ولكن مستشاري الفرعون ينصحونه بالتريث وتوخي الحذر، إلا أن جلالته يهمل نصحهم كي يستبدله بجراءته التي تحقق الفوز. الثاني: يصل رسول ما حاملاً أنباء حول تمرد أو ما يشبه، وعندنذ يثور الفرعون ومرة أخرى يأخذ على عاتقه انتهاج خط جرىء، يثبت نجاحه في نهاية المطاف (٢٥). ومثل هذه الصواديد/الألواح كانت تقام عند مشارف المعبد حيث يمكن للأهالي أن يسمعوا أقراءات الكتبة لما كتبوا.

المدائح:

تشى "تصانيف الأعمال" المصرية التي غدت في وقت لاحق مجرد "غنوة (((أم) بنظم شعرى بلاغي عالى القيمة تمجيدًا للأعمال العظمي التي قام بها الفرعون (في ميدان القتال في غالب الأحيان) وكانت تُغنّى، عادة، بمصاحبة "الهارب".

جداريات الحرب:

أنشأت المملكة الحديثة سلسلة متبلورة من الصور القلمية التي بولغ فيها حتى وصلت إلى أبعاد أكبر من الواقع للعديد من المراحل التي تمر بها أي معركة، وكانت تلك الصورة القلمية تنقش على الأوجه الخارجية لجدران المعبد وصروحه كي يراها الجميع (٢٠٠). ويشتمل السياق على الإله الذي يفوض الفرعون، والفرعون وهو يصعد على متن مركبته ثم الزحف والمعركة أو الهجوم ويلى ذلك، الزحف في طريق العودة إلى أرض الوطن،

وتقديم الأسرى إلى الإله وإذا صرفنا النظر عن أسماء الأعداء الذين يختلفون اختلافًا بينًا، فإن النصوص التى تصف المناظر تميل إلى التقولب فى صبيغ لغوية تقليدية وضنينة الإفصاح (uninformative). ومع أننا عثرنا على هذا النوع الأدبى تحت ظل التحامسة (١٠)، إلا أن أفضل النماذج حفظًا على هذا النوع جاعنا من حكم كل من سيتى الأول و رعمسيس الثاني.

مناظر ضرب الرءوس وقوائم أسماء المواقع الجغرافية:

عرف فن الفراعنة منذ نشأته الأولى، موتيف "ضرب الرأس" ولكن صاحبته خلال الملكة الحديثة مجاميع من أسماء المواقع الجغرافية فى أشكال بيضاوية تعلوها جذوع الأسرى الأجانب كى ترمز للأبعاد البعيدة التى تبلغها الغزوات التى يقوم بها الفرعون. مثل هذه المناظر كانت ضرورية de rigueur على الوجه الخارجي لصروح المعبد حيث تستطيع إشعاع أكبر قدر من التأثير الدعائي. وإذا ما غضضنا النظر عن القوائم المكثفة من أسماء المواقع الجغرافية التى تعود إلى "تحوت-موسى" الثائث، وتستند إلى دلائل السير، إلا أن قوائم الملوك اللاحقين تهبط قيمتها كانعكاسات لأحداث تاريخية (١٦).

بيانات حول سير ذاتية:

تأتى مثل هذه البيانات كخطاب من العالم السفلى للأحياء الذين يسعون على هذه الأرض، ولطالما شكلت هذه البيانات جزءًا من الزخرفة التى تحملها مقصورة المقبرة المفتوحة للزوار (٢٦). ففى الأسرة الد ١٨ اعتاد الجنود الذين يخرجون فى الحملات أو المسئولون المكلفون بأخذ الغنائم أو تلقى الجزية أن يضمنوا مأثرهم تلك فى بياناتهم. ويحلول عصور الرعامسة بدأت تخبو الرغبة فى تعداد الأحداث الخاصة التى شهدها المرء خلال سنوات عمره لصالح اهتمام أكثر جدية بالأساليب والوسائل التى تؤدى إلى ضمان حياة أخروية سعيدة.

المشرق:

استنادًا إلى ما استعرضناه التو، يغدو واضحًا أن الأغلبية الكبيرة لمصادرنا المصدية تنتمى إلى الفئة النُصبية (= من نصب monumental) تلك التى ترتكز على النصوص الأصلية بكل تأكيد، ولكنها منقوشة كى يراها جميع الأهالى. فالأرشيفات الرسمية عانت فى معظمها من التدمير أو على أقل تقدير لم تظهر بعد إلى النور بكميات معقولة. وهذا أمر يختلف عما عليه المال فى أسيا الغربية حيث تفتقر إلى السجلات التى تحملها النصب – ولعل هذا الأسلوب من الدعاية لم يتطور هناك إلى الأبعاد التى تطور إليها فى مصر – وحيث تمكنت عمليات التنقيب من الكشف عن أرشيفات رسمية بكميات ملحوظة. إلا أن هناك شبحين هائلين يلقيان بغللهما على تاريخ العصر البرونزى المتأخر.

וֹצְצָלַ:

يصل عدد ألواح 'ألالاخ (١٦) وهي مكتوبة بالخط المسماري باللغة الأكدية – الذي وصل إلى أيدينا – من مستوى ١٧ من ذلك الموقع إلى نحو ٢٥٠ نصًا ترجع إلى القرن الده في م. فلقد عشر عليها سيسر "ليونارد وولى" Leonard Woolley خلال الاستكشافات في الموقع مبعثرة في الغرف التي تؤدي إلى مكاتب القصر، كما أو كانت قد سقطت أثناء عملية هروب خلال التهام النار المبنى. وتكشف محتويات هذه الوثائق – الألواح بشكل لا لبس فيه أنها كانت تشكّل جزءً من الأرشيفات الرسمية حيث تشتمل على نصوص إدارية (إحصائيات وقوائم ضريبية) وقوائم سلع وعبيد وقوائم حصص (غذائية) وفتاوي قانونية ومراسيم ملكية، وبضعة خطابات

أوجاريت:

ترجع نصوص 'أوجاريت'، على نفس المنوال إلى أراشيف أحد القصور، إلا أن العدد الإجمالي يزيد أكثر كثيرًا عن عدد ألواح "ألالاخ"(١٤)، وخلافًا لهذه الألواح نجد أن نصبوص "أوجاريت" تغطى فترة تتراوح ما بين ١٤٢٥ و ١١٩٠ ق.م على وجه التقريب، وعلاوة على ذلك فهي مكتوبة على ألواح من الطين بلغتين اثنتين بصيفة رئيسية: الأكدية والأوجاريتية (وبأبجدية مسمارية خاصة) اللغة الأولى: لغة سامية غربية تتصل بصلة قوية مع كل من الكنعانية والعبرية ويصرف النظر عن عدد ملحوظ من النصوص (بالأوجاريتية) التي أحدثت ثورة معرفية في فهمنا للديانة الكنعانية، فإن بقية الأرشيفات تلقى بضوء مقبول على إدارة أو حكومة هذه الدولة وتاريخ سوريا الشمالية بشكل عام، وكانت هذه الألواح قد ظهرت إلى الوجود بمحض الصدفة في عدد من المطارح المحددة في المبنى، الأمر الذي يعكس الفصل الحاذق لدوائر الحكومة. فالأرشيفات المركزية تشكل في المقيقة، مكتبًا السجلات يضم عددًا هائلاً من النصوص القانونية والنسخ المنسوخة، وصكوك نقل ملكيات عقارية ووصايا وعقود وفواتير سلع معدة للبيع، وقد جاءت الأراشيف الغربية من الضرانة وتكشف عن نصوص إدارية مشماثلة مع تلك النصوص التي ترجع إلى 'ألالاخ'، بينما يصور الأرشيف الشرقى الإدارة البلدية للمدينة ذاتها. وأخيراً تكشف عن الأرشيفات "الجنوبية" كسجلات ألم "المكتب الخارجي" تحتوى على رسائل واردة من ملوك ومسئولين أجانب، وقوائم جزية، ونصوص قانونية ومعاهدات.

خبيئات أقل أهمية من النصوص:

لم يظهر إلى الوجود ما يمكننا أن نقارنه، ولو من بعيد، بأرشيفات أوجاريت سراء من حيث كمها أو إلقائها للضوء على فلسطين أو سوريا، ولكن هناك بعض الألواح المتناثرة التى عثر عليها خلال الاستكشافات مما يستحق التنويه. ولقد استفاد العلماء من بعض الوثائق التجارية business التى ترجع إلى "إمار" Emar على نهر "الفرات" في أغراض التأريخ (١٥)، كما أفادتنا سلسلة من ألواح الجرد التى تسجل وصايا من متوفين لأحد مراكز العبادة في "قطنة"، إذ كانت مفيدة في "بناء" قائمة للملوك (١٦)،

ولقد ظهرت إلى النور حفنة من النصوص، معظمها رسائل، نتيجة للاستكشافات الفلسطينية فى "تناخ" Tanaach و "كوميدى" Aphek (١٩٥) و الفلسطينية فى "تناخ" وعمودة، وإن كانت محدودة، الفهمنا للأعمال التى قامت بها الإمبراطورية المصرية فى أسيا.

خاتى:

حصد العلماء من الاستكشافات التي قامت بها في "خاتوساس" عاصمة الإمبراطورية الحيثية (بوغاز - كيوى حاليًا) جمعية الشرق الألمانية Deusche Orientgeselischaft (من ٢٠٩١-١٩٣١-١٩٣١ ومن ١٩٥٧ إلى الوقت الحاضر) محصولاً وفيراً يصل إلى عدة ألاف من الألواح المكتوبة بالخط المسماري من الأرشيفات الرسمية (٢٠٠) وفيد بين الانواع الأدبية (التي لا تقدر بثمن في إعادة تخليق الحياة لواحد من الشعوب المفقودة في العالم القديم) المعاهدات والحوليات والرسمائل و "الدفوعات" apologia (عرفت الديانة المسيحية أيضا ما يسمى به apologetics أي الدفوعات عن أركانها الإيمانية) وهذه تنظوي على أهمية كبرى للأهداف التي نتوخاها. وإذا كانت هذه قد كتبها الحيثيون أنفسهم، فلابد أن تكون قد كتبت أول الأمر باللغة الحيثية ثم ترجمت كبها الأحيان وقد نجت من عوادي الظروف كل من المسودات الحيثية والنسخ الأكدية في معظم الأحيان (٢٠٠).

الحوليات:

يعد سرد النشاط (العسكرى) سنة بسنة الملك نوعًا أدبيًا، ومع أننا نعرفه منذ القرن السادس عشر ق.م بين الحيثين (٢٠) إلا أن خير ما يمثله هو نتف الحوليات الملكية التى وصلت إلينا من القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق.م، فهذه تقع تحت التصنيف الذى يملك عليه "الحيثيون" اسم "الأعمال الرجولية" وتصاغ بصورة تقيم الدليل على مؤازرة الألهة للملك في ميدان المعركة (٢٠).

المعاهدات:

طور الحيثيون هذه الأداة من أدوات الدبلوماسية الدولية حتى بلغت على أيديهم درجة عالية، رغم أنها لم تكن من ابتكارهم (٢٠١). وهذا الشكل ثلاثي الأبعاد بصفة رئيسية : ديباجة تعرض العلاقات التاريخية التي تربط البلدين المتعاهدين ثم تأتي البنود التي تنطوى عليها المعاهدة، ثم شهودها (الآلهة والإلهات التي يعبدها الطرفان، وتشمل أهم المعاهدات بالنسبة للمؤرخيين السوريين تلك التي انعقدت مع "حلب" و كيزو- وادنا و تونيب و آمورو و أوجاريت و ميتاني ومصر.

الرسائل:

معظم الرسائل التي وصلت إلى أيدينا ترجع إلى القرن الشالث عشر ق.م. ("هاتوسيليس" الثالث وخلفاؤه). وقد نجت من عوادي الظروف نتف من نحو ٢٦ رسالة من بلاط "رمسيس" الثاني (١٥) وعدد من رسائل (أو مسوداتها) إلى ملوك "أشرور" و"جابل" و "خانيجالبات" (٢٩).

الدفوعات:

يغطى هذا المصطلح العام عددًا من القطع الأدبية المتباينة تهدف كل منها إلى إبراز الموقف الشخصى الكاتب على شكل التماس أو إيضاح. واسوف نذكر ثلاثة دفوع تنطوى على أهمية تاريخية: مرسوم تليبينوس Telepinus (حوالى ١٤٧٠ق.م.) الذى يسعى إلى تنظيم الإدارة الحكومية والملكية، ويشير إشارة سريعة إلى التاريخ الحيثى في بداياته الأولى (١٤٠٠ و صلاة الطاعون التي وضعها مورسيليس الثاني (حوالي ١٣٣٥ ق.م.) وهي الصلاة التي يحاول فيها جلالته أن يتحرى من إله العواصف الأسباب التي تؤدى إلى وقوع البلاد فريسة لذلك الوباء القاتل وخلالها ينتهز الفرصة كي يسرد بعض وقائع التاريخ (١٨٠)، و دفع "هاتوسيليس" الثالث الذي يسعى المالك

خلاله إلى تبرير الأعمال التى صدرت عنه طوال حياته (٧١). وكل هذه الأنواع تكشف مثلها في ذلك مثل الحوليات والمعاهدات إحساسًا متطورًا للغاية بالأخلاق السياسية وبالحاجة إلى تبرير الأعمال التي تصدر عن المرء أمام الآلهة والبشر.

التوصيف السياسي للمشرق حوالي ١٥٢٥ ق.م

تبدأ هذه المصادر التي عرضنا لها بإيجاز في تقديم صورة متسقة في الربع الأخيير من القيرن الـ ١٦ ق.م، وقد يكون ذلك في بصر عشير سنوات من تدميير مورسيليس الأول لـ حلب والاغتيال الذي استهدفه قبل الأوان (٨٠). إذ كان العصير عصس دخول المحاربين الحوربين فيما بين نهرى "الفرات" و 'بلخ" مرحلة تنظيم أنفسهم على ميئة دولة وهو نفس الوقت الذي تنازل فيه حكامهم طوعًا عن السيادة لقطب بارز من عشيرتهم "شوتارنا" shutarna الأول ابن "كيرتا" Kirta كي يصير "ملكًا على بلاد "ميتاني" (٨١). وفي الوقت نفسه شرع فيما يبدو الحيثيون الذين كانوا يعانون من الضعف السياسي الذي نجم عن عمليات الاغتيال وما صاحبها من تفجَّر الضغائن، في الانسحاب تاركين الميدان مفتوحًا أمام القادمين الجدد. وفي سنة ١٥٢٠ ق.م على وجه التقريب استطاع "هانتيليس" Hantilis الأول أن يبدأ في شن هجماته على "أشتاتا" Ashtata و "كاركميش". ولكن هذه الهجمات لم تسفر إلا عن إقامة الدليل على عدم جنواها (AT). ولقد أسس الحوريون دولة "كيزو - وادنا" في سهل "سيسليا" إلا أن "زيدانتاس" Zidantas الأول، خليفة "هانتيليس"، اضطر، بعد محاولة الصمود في وجه القادمين الجدد بقوة السلاح أن ييرم معاهدة مع "بعليا" Pa'illiya ملك "كيزو - وادنا" التي نصب على إعادة المدن المحتلة بصورة متبادلة إلى أصحابها وترسيم الحدود بين الجانبين(٨٢). ومنذ ذلك الدبن وصاعدًا وخلال سبعة أجيال تركزت سياسات الحيثيين في الجنوب الشرقي على الحفاظ على بولة 'كيزو - وادنا' كمنطقة عازلة في وجه التعديات التي تقوم بها 'ميتاني' وتوابعها.

استمر ضغط ميتانى في اتجاه الغرب بلا هوادة. وفي هذه الأثناء كان بيت عائلي يجاهد في سبيل التمكين لحكمه في حلب عقب الغارة التي شنها مورسيليس (الحيثي) تحت قيادة أبائيل، نجل شرا - إيل Sharra-'el ولكن التناحر الداخلي (الذي أثارته ميتاني) (١٨٥)، أطاح بخليفته إليم - إليما الاستانة من على عرشه وفرض

الفرار على بقية العائلة المالكة. ومن ذلك الوقت فصاعدًا لم تعد "ميتانى" تطيق أى إحياء (لملكة عظيمة، في "حلب")، وأصبحت ملحقاتها السابقة إمارات مستقلة: "ألالاخ" و موكيش في الغرب وأراضى توخاششى" التي تفتقر إلى حدود مستقرة شرقى نهر "العاصى"(٨١)، و "نييا" Niya في الجنوب عند "أباميا" Apamea

إلى الجنوب أكثر كان تغلغل الحوريين هو الذي وجه الضربة القاضية إلى الهيمنة التي تمتعت بها "قطنة" خلال العصر البرونزي الوسيط. وتقوم شواهد على استمرار أرض زنزار" مستقلة في مطلع القرن الخامس عشر (قلعة سيجار Pal'at Sejar) بعد نحو ٢٥ كيلو متراً شمال غربي "حمات" على نهر "العاصي" ولقد كانت قائمة هناك دون شك قبل ذلك التاريخ بنصف قرن (٨٨). ولما ينطوى على أهمية أكثر أن سياسات العصر الجديد أدت إلى تحرير، "تونيب" التي كانت حتى ذلك الوقت مركزاً صغيراً يتاخم "زنزار" إلى الجنوب. ورغم أننا لا نستطيع التعرف بصورة مقنعة، على "تونيب" في أي موقع قائم الآن، فإنها كانت قائمة ولا شك، شمال غربي "قطنة" بمسافة قصيرة وغربي نهر "العاصي" حيث كانت قادرة على السيطرة على وادى نهر "الكبير" (٨٩). وعلى بعد نحو أربعة وأربعين كيلو متراً جنوب غربي "قطنة"، التي تقع هي الأخرى وشكلت وعلى بعد نحو أربعة وأربعين كيلو متراً جنوب غربي "قطنة"، التي تقع هي الأخرى وشكلت نهر "العاصي" انفصلت "قادش" (تل نبي - مند Tell Nebi-mend) هي الأخرى وشكلت المجاورة لمدة قصيرة حقًا واكنها لا تخلو من مغزى: هيمنت "تونيب" على أواسط المجاورة لمدة قصيرة حقًا واكنها لا تخلو من مغزى: هيمنت "تونيب" على أواسط الساحل الفينيقي (بصفتها مخلب قط لـ"ميتاني") وبسطت "قادش" هيمنتها على أعالى حوض نهر العاصي و "الجليل" (١٠).

لا تتوفر تحت أيدينا سبوى معلومات هزيلة عن الوضع السباسي لتلك المدن الساحلية واكننا قد نستطيع مع ذلك أن نستنتج شبيئًا ما من الموقف الذي ساد هناك بعد جيل أر نحو ذلك، فجنوبي مصب نهر "العاصي" تمتعت كل من "أوجاريت" و سبانو" Syannu الأصفر منها، والواقعة على حدودها الجنوبية، بنوع من الاستقلال الهش، مثلما فعلت على وجه الاحتمال "أرفاد" في معقلها في جزيرتها. وبينما كانت "أرقاطة" قد أخذت تسقط تحت نفوذ "تونيب"، حافظت "بيبلوس" على علاقات واعدة مع مصر، مثلما فعلت (كما يحق لنا أن نقرر) كل من "بيروت" و "صيدا" و "صور".

تأسيس الإمبراطورية المصرية:

ورطت مصر نفسها في مستنقع دول تستند سياستها إلى الخداع، وربما لم تكتشف، إلا بصورة تدريجية، النتائج الوخيمة التي كانت ستترتب على الخطوات التي اتخذتها في هذا الصدد. إلا أن هذه الخطوات فرضها، في البداية، وكما ينبغي علينا أن نقدر، التوجس من التهديد الجديد الذي شكله "الحوريون"، وفي الوقت الذي كان فيه المصريون مدركين لـ (وريما تواقين أيضاً) إلى المنتجات والموارد وقوة العمل التي تتمتع بها المناطق المجاورة من غرب أسيا، إلا أنها اعتمدت، حتى وقت ذاك، على إقامة منساطق نفوذ وعمليات الترهسيب بين الصين والأخسر (الغارات والضريات التأديبية) في سبيل ضمان الوصول إليها. ولكن الأن، وغداة تحرير مصر من احتلال الهكسوس، بدأت مصر تنظر إلى أسيا المجاورة في ضوء جديد إذ أعادت تقييم هذه المناطق طبقًا لموقعها الإستراتيجي في مواجهة المناطق الأكثر بعدًا في أعماق الشمال. فكيف يتأتى لقرعون مصر أن يطمئن إلى أن أوائك "الحكام الأجانب": "حقاد - خاسوت" لا يضمرون مهاجمة مصدر مرة أخرى، كي يستعيدوا حكم سلالة الأسرة الخامسة عشرة. واستمر تصور الفرعون لنفسه وهو يشن الهجوم الوقائي على "الحكام الأجانب الذي هاجموه" أن يعتزمون تسير مصر وبدأوا زمفهم ضده ، يسيطر على تفكير فراعنة الأسرة الثامنة عشرة (١١). وبالتالي أصبح من الملائم بل ومن الضروري أن "بمد حدود مصر" وأن يحوِّل الأراضي التي وطاها حتى وقت ذاك إلى منطقة عازلة. وأولئك الذين يقيمون فيها إلى "رعايا"، وأسيا كانت لتصبح "أجيرة" عند جلالته، تؤدى قسم الولاء لاسم

تنبع هذه التبريرات غير المالوفة لظاهرة الإمبراطورية الجنينية مما ألفه المصريون، وأقصد على وجه التحديد من علاقاتهم الاجتماعية السياسية خلال المملكة الرسيطة. كما أن تصركاتهم الأولى في أسيا الغربية كانت على نفس المنوال: نكوصات إلى آلية معروفة على نطاق واسع، وفي هذه الحالة الغارات التي كانت قد غنت الأداة التي يفضلونها في الترهيب على امتداد أكثر من ألف سنة. فالفرعون "أحموسي"، وعلى نحو ما تشير مصادرنا التي تتسم بالندرة هنا، شن عمليات حربية من نوع ما مترفيلاً في أعماق آسيا، انطالاً عن "بيباسوس" والفرعون "أمين - حوتب"

الأول (إذا صبح إسنادنا للنص إليه) صبال وجال إلى الشمال أكثر من ذلك وانحدر مع نهر 'العاصى' حتى بلغ 'تونيب' (لوحة رقم ١٦)(١٢). ويمكننا أن نعد توغل الفرعون تحوت - موسى الأول حتى نهر الفرات غارة، وبالتالي استمرارًا للسياسة القديمة، تلك التي عفا عليها الدهر من الهجمات المتقطعة، ولو أنني أرى أن الفرعون "تحوت -موسى" الأول نظر إليها كخطوة مختلفة، كما سنعرض للأمر في وقت لاحق. وعود على بدء وسيرًا على النهج الملكي خلال المملكة الوسيطة، عندما كان برجاس القنص الملكي القديم قدم الزمان يتمتع بنصب البلاط الفرعوني له يصفة منتظمة (١٤)، نقل فراعنة الأسرة الثامنة عشرة الأوائل هذا البرجاس إلى أسيا، إذ أصبح بمثابة ملمح منتظم من ملامح التجريدة العسكرية في إطار الاحتفالات التي تقام عقب إحراز النصر(١٠٠). وبطبيعة الحال كان الفراعنة الثلاثة الأوائل من الأسرة الثامنة عشرة أكثر اهتمامًا بتدعيم هيمنتهم في النوية، وهو الأمر الذي تطلب مجهودات أكبر بكثير من مجرد شن الغارة تلو الغارة في أسيا، طالما هدفت الأسرة الثامنة عشرة إلى تدمير الملكة الكوشية السابقة، ونصب حامياتها في هذه المناطق واستعمارها. ولكن فراعنة الأسرة الثامنة عشرة لم يروا حتى ذلك الوقت أن أيًّا من مثل هذه الخطوات صالح في أسيا. ورغم ذلك، وفي إطار الخطوط العريضة للمفهوم، كان إخضاع النوبة، مرة أخرى، داخلاً في نطاق الموقف المصرى التقليدي إزاء العالم الخارجي.

إذا كان حكم الفراعنة الأربعة الأوائل من الأسرة الثامنة عشرة قد بدا تقليديًا في صوغه لسياسته الخارجية، وإذا كان حكم الفرع ون تحوت - موسى" الثاني قد دشن نهجًا جديدًا للعلاقات مع أسيا، فإن السنوات العشرين التي امتدها حكم الملكة حتشبسوت المزدهر، هي التي تحتاج، بصورة ماسة إلى تقييم دقيسق. (لوحة رقم ۱۷)(۱۱). وبينما نجد على مستوى الفن أننا نستطيع تقييم حكم الملكة حتشبسوت كد نهاية لعصر، فإن سياساتها العسكرية والاقتصادية تلوح بصفتها أقرب إلى جسر بين حقبتين متميزتين. وحقيقة الأمر أن التصور القديم الذي يذهب إلى أن حتشبسوت عقدت العرم على العودة إلى تبنى نمسط أقدم لفرعون مصر وأن حقيقتها اتضحت في النزوع إلى السلام وتجنب حمل السلاح، يحتاج إلى تعديلات ومهرية: لعله من الجلى الواضح أن الملكة لم تعرف عن الانفسراط في الصرب،

بل وقادت جيشها بنفسها ذات مرة واحدة على الأقل(٢٠). ومع ذلك كانت تجريداتها المسكرية قليلة للغاية في العدد، وكانت على نطاق ضيق. ويبدو واضحًا أن اللجوء إلى القوة العسكرية لم يكن يشكل عنصرًا أساسيًا في برنامجها، ولقد تركت لنا ملكة مصر عددًا من المقولات الشخصية، التي نستطيع أن ننتظر منها أن توفر لنا مفاتيح مهمة إلى الطريقة التي كانت تفكر بها. وحقيقة الأمر تحقق لنا هذه المقولات ما انتظرناه منها. إذ يسيطر على كل نقش من النقوش التي وصلت إلينا من حكم "حتشبسوت" انشغال الملكة بمشروع هائل يتمثل في إعادة بناء مصر (٨٠)، وكان السلام ضرورة لإنجاز هذا المشروع. وتقرر الملكة، بصورة واضحة،: "لقد أشعت الأمان والطمان على امتداد سائر مديريات البلاد، وكل المدن خلدت إلى السلام (٢٠٠). ووصفت في وقت لاحق حكمها بصفته "سنوات السلام" (٢٠٠). ومن ثم نستطيع أن نتوقع لعلاقاتها بالبلاد الأجنبية أن نتأثر، بصورة ملحوظة باهتمامها هذا الأولى بالأمور المحلية.

وإليكم منتخبات محدودة من المقولات التي تعبر عن موقفها تجاه العالم الخارجي:

[هكذا تحدثت الآلهة مع "حتشبسوت": فلتعيدى بناءها (بلاد مصر) والتقويمى مثالبها. والتقيمى أنصابك في معابدك والتعلني مذابع الذي أنجبك (أي أمون") واسوف تشقين طريقك خلال الأراضي واسوف توقعين في الشرك كثيرًا من البلدان الأجنبية، واسوف تمرزين النصر المبين على الليبيين واسوف تستعرضين ذراعك في قمع شعب القوس. واسوف تقطعين رءوس حشود من الجنود وتقبضين على أمراء سوريا خلال المجازر، أوانك الذين ظلوا بعيدين عن رحمة والدك (أمون)، واسوف تبلغ الجزية التي سيؤبونها إليك ملايين الرجال الذين سيقعون تحت سيف العبوبية، واسوف يسير في أعقابك ألاف الرجال كي يخدموا في المعابد](١٠٠١).

[تضع كل البلدان الجزية عند قدمى "حتشبسوت" ... والساخطون يأتون راكعين ساجدين] ... وكل ما يحيط به قرص الشمس [يحمل منتجاته، قل هي التي ترسل المرسوم إثر المرسوم إلى بلاد مجهولة وهناك يصدعون لما تصدره إليهم من أوامر... لقد حضر أمراء البلدان الأجنبية كي يرجوا السلام من جلالتها، وألد ... وقعوا في قبضتها، فلقد استولت على كافة البلدان بقوة ذراعها وحده، وملأت الرهبة التي يشعها اسمها سائر القلوب في كافة الأراضي](١٠٠٠).

[هكذا تكلمت حتشبسوت: أنا وريثة طيبة الذكر... استقرت في يديها الملكية في البلاد السوداء والبلاد الصعراء على حد سواء، وكل البلدان الأجنبية تحت قدمى، حدودى الجنوبية تصل إلى شواطئ 'بونت' وأرض الإله في قبضتي. وحدودى الشرقية تبلغ مستنقعات أسيا. وحدودى الفربية عند جبل - مانو، وايبيا جزء من مملكتى، أما حدودى الشمالية فنقع عند... [وقوتى القاهرة تكتسح أوائك الذين يعيشون على سطح الرمال جميعًا، ومثلما يُشحن القمح (من مصر) كذلك يأتيني المر من بلاد 'بونت' وكل طيبات هذا البلد الأجنبي - وكل هذه الطيبات تتجه إلى قصرى دفعة واحدة. والأسيويون يقدمون ... الفيروز من بلاد الـ "رو - شيت' Roshayt (۱۰۰۱) وهم يحضرون إلى أروع منتجات 'نجار' وبالتحديد الأرز والعرعر(١) وخشب المرو: سسب المي وجه الأخشاب الفخمة التي تجود في بلاد الإله، واقد أحضرت منتجات ليبيا وعلى وجه التحديد سبعمائة ناب عاج من أنياب الفيل التي تشتهر بها تلك البلاد وكثير من التحديد سبعمائة ناب عاج من أنياب الفيل التي تشتهر بها تلك البلاد وكثير من (جلود) النمور يصل ظهر الواحد إلى ستة أذرع والمحيط أربعة أذرع. فهذا هو النمر (جلود) النمور يصل ظهر الواحد إلى ستة أذرع والمحيط أربعة أذرع. فهذا هو النمر (بابي جانب منتجات أخرى متنوعة من ذلك البلد الأجنبي] (۱۰۰۱).

[هكذا تكلمت "حتشبسوت": قضى الإله "رع" :تتحد الفدنتان تحت سلطانى، والأرض السوداء وتلك الحمراء ترتعد فرائصهما من اسمى. وقوتى تجبر البلدان الأجنبية على الركوع، في الوقت الذي تلقى "الحية" Uraeus التي تعلو جبهتى بالرعب في كل البلدان الأجنبية، ويئتى الـ "رو – شيت" عاجزين عن الاختباء من جلالتى. وتسافر "بونت" قادمة نحوى من حقول الأشجار، وهي محملة بالمر الطازج، والطرق التي كانت مغلقة فيما مضى غدت الآن مطروقة يرتادها كل من شاء: وجيشى الذي لم يكن في الماضى مزودًا حتى بالسلاح، أصبح الآن، وبعد أن تبوأت العرش، يحوز شتى الخيرات](١٠٠٠).

[هكذا تكلمت الحية: لسوف أنفث الرعب من جلالتها في كل البلدان، الرعب من جلالتها سوف أبعثه في كافة البلدان الأجنبية](١٠٦).

[كل البلدان واقعة في قبضتي، أي الأقواس التسعة قوسًا قوسًا بون أن يتخلف أحد! وقوتي تصل إلى أطراف الأرضين، فلقد حزت قوة "صاحب الصوت المجلجل: "ست"، وقوتي تسود الوديان... ولقد جمعت أولئك الذي لا يعرفون مصر، أولئك الذين لم يزرهم يومًا رسول ملكي... قوتي تدخل الرعب في أرض الجنوب، كما زازلت خطاي أرض الشمال... الشماليون]... [صيغت الهتهم (= تماثيلهم) على طرز تمائمي، وقد مدوا أنرعهم بعلامتي الصياة والسلطان](١٠٠٧).

كثير من هذه الأقوال انتزعت، ببساطة، من الرطانة التقليدية، التي أخذت صيغها النهائية قبل قرون، وجرى صبها في قوالب قديمة باستخدام تراكيب متقعرة ومفردات عفى عليها الدهر (مثل: "مونتيو" و "شعب القوس" و "أولئك الذين يعيشون على سطح الرمال") وإذا حاول المرء أن يقرأ ما بين السطور، فإنه يستطيع أن يصل إلى قيام الملكة بعدد محدود من الرحلات القصيرة، لا تكتنفها أعمال عنف كثيرة، في البلدان الأجنبية، وهي الرحلات التي وفرت المناسبة الملائمة لذلك الفاصل من البلاغة. وتشمل هذه الرحلات المغامرة التي قامت بها إلى بلاد "بونت"، وعادت في السنة التاسعة من حكمها(١٠٨) بحمولة خُمسة مالايين غليونًا من المنتجات الاستوائية، كما أنفذت بعثة تعدينية إلى سيناء أو عربة (١٠٩) وبعثة تجارية إلى "بيبلوس" طلبًا الخشاب الأرز، ومثلها إلى ليبيا، وأخرى على سبيل الاحتمال إلى الواحات(١١٠). أما التلميحات التي وردت إلى إصدار مراسيم للبلاد البعيدة ووصول أمراء أجانب طالبين السلام فلا تعكس سوى بعثة بلاد بونت. أما الإشبارة إلى فلول أمراء سوريا ومنح الأسرى للمعابد فلريما تعكس الإنجازات التي قام بها والدها (أي الفرعون "تحوت - موسى" الثاني). وكان نهج الملكة "حتشيسوت" تجاه الشئون الدولية تقليديًا على نحو واضح: اهتمام بالحصول على السلع والخدمات بشكل سلمي، وعدم اللجوء للقوة إلا بعد استنفاد كافة الأساليب الأخرى أو عندما تختمر الفتنة.

وبالتالى لا يوجد هناك دليل على أى انخراط نشط، سواء أكان عسكريًا أو خلافه فى آسيا الغربية خلال السنوات العشرين التى قضتها الملكة "حتشبسوت" فى سدة الحكم، بل ونستطيع أن نمد فترة الاسترخاء هذه بحيث تشمل فترة الحكم السابقة عليها، أى حكم والدها الفرعون "تحوت موسى" الثانى، الذى لم يرسل سوى تجريدة تأديبية واحدة ضد "الشاسو" فى "النقب"(۱۱۱). هل كانت هناك أمور تجرى فى الشمال تدعو (أو تسمع لـ) المصريين إلى الانسحاب بشكل مؤقت من مسرح الأحسداث؟ الجواب: كل الأمور كانت قد تضافرت كى تخرط الفرعون، فى ذلك الوقت بالذات أكثر من أى وقت مضى فى شئون آسيا الغربية، وإذا كانت مصر قد انسحبت حقًا، فالسبب كامن فى أوضاعها الداخلية.

وذلك لأن الفصل الجديد من النهج الذي انتهجته مصبر تجاه جيرانها الشماليين بدأ في حقيقة الأمر، مع حكم الفرعون "تصوت - موسى" الثاني، والد الملكة "حتشبسوت (١١٢). فهذا الرجل الفذ، كان مسئولاً، أكثر من أي شخص أخر، عن التدمير النهائي الذي نزل بمملكة "كوش" التي قامت خلال فترة الانتقال الثانية، وعن مد حدود مصر إلى أبعد نقطة وصلتها جنوبًا، فضلاً عن تأسيس نمط خاص الغزو في الشمال. وكان هذا الفرعون منهجيًا في تفكيره: خصص سنتين الحروب الجنوبية، وأقام عدة مقار له في منطقة "منف" (حيث يستطيع الإشراف بصورة أفضل على العمليات التي يقوم بها المصريون في الشمال)، وعينُ مراقب بيت في طرق حورس-(١١٢)، وأطلق الحملة الشمالية (في السنة الخامسة أو السادسة من حكمه). حقًا لم يسلم السجل الرسمى الحملة من عوادي الظروف (أو لم نكتشف بعد)، ولكن عددًا ممن شاركوا فيها ألمحوا إليها خلال السير الذاتية التي تزكوها وراءهم. فالأميرال العجور 'أحموسي - سي - أبينا" رافق الحملة ويحكى أن: 'جلالته وصل إلى "نهارين" وأن "الساقط"(١١٤) كان قد حشد قواته، وعندئذ أوقع الفرعون مجزرة ضخمة بينهم، ولم يكن هناك حد للأسرى الأحياء الذين أسرهم جلالته خلال النصر الذي أحرزه (١١٥). ويسجل أحد أقربائه ويسمى "أحموسى - با - نخبيت بشكل أكثر اقتضابًا الغنائم التي استولى عليها الفرعون "تحوت - موسى الأول في أرض "نهارين"(١١٦). وهناك أيضنًا شخصية فريدة يدعى "أمين - إم - حات"، وكان يشغل منصب الكاتب، لكنه أصبح ميقاتي ملكي تحت ظل الفرعون "أمين - حوتب" الأول، وقد صحب الحملة، فيما يبدو واضحًا، وذلك لأنه يسجل في الشذرات التي تبقت من سيرته (التي فقدت الآن): 'الوصول إلى(؟) البلاد الأجنبية "ميتاني" - كما يطلقون عليها ... وكان العدو [...] "طيبة" (؟) صعود جلالته من هذه البلاد الأجنبية بعد أن أسلمها للخراب [...] (١١٧).

لأول مرة نجد في تاريخ الملكة الحديثة، أن مشاهد وإشارات فرعية من هذا القبيل إلى النتائج والآثار المصاحبة للانتصارات في البلاد الأجنبية تغدو جديرة بالسبجيل. ولقد سمعنا عن صادود (= لوح) حدودي نصبه الفرعون على ضفاف نهر "الفرات"، وهذا مؤشر أكيد إلى أنه كان يعتزم الإبقاء على الفتح أو الاحتالل الدائم (١١٨). ويسجل نص مهلهل من "الدير البحري" عملية صيد أفيال في "نييا" Niya ،

فى طريق العودة من حملة "الفرات (١١١). ولقد كوفئ قائد عجلة الفرعون الحربية بمائة وخمسين "استات" stat (= وحدة مساحية كالفدان) من الأرض، لخدماته على وجه الاحتمال، في تلك العملية (١٢٠). وقد ظهر منظر عدودة الأسرى الأجانب، الذي أصبح منظراً شائعًا على نطاق واسع خلال القرنين التاليين، لأول مرة في ذلك الوقت (١٢١)، ويجب علينا أن نرجع، على وجه الاحتمال، أقدم منظر يصور عجلاً حربيًا في وطيس المعارك، إلى نفس ذلك الحكم أو الحكم الذي يليه على أبعد تقدير (١٣٢).

تتوفر تحت أيدينا، بالتالى، أدلة قوية كى نستنتج أن التصور المعاصر، وفى المحقيقة، تصور الفرعون تحوت – موسى الثانى انطوى على أول اجتياح خطير قام به خلال الملكة الحديثة فى أسيا الغربية، على نطاق هائل، وهدف من ورائه إلى تحقيق نتائج دائمة المدى، ولكن هل ترك ذلك أى أثر على دول شمال سوريا؟

هنا يتعين علينا أن نقر بجهلنا المطبق. فالآثار الأركيولوجية للغزو المصرى المنطقة تتسم بغزارة سلبية أي بغزارة في غيابها! فقد يتيم وبضعة أوان مصرية الطراز عثر عليها في إحدى قوائم الجرد في مدينة "قطنة" لا تشكل أدلة على مرور الفرعون "تحوت موسى" بالمنطقة (١٣٢). واسوف يكون أدخل في باب التهور أن يربط أحد الذين يعملون في مجال التنقيب بين أحد مستويات التدمير في موقع سورى ما وبين هذه الحملة. وإذا كنا نستطيع رصد توجه جنوبي في ذخائر الخرف في مستوى حقبة AI BI(١٤٢١)، فهذا لا يجب أن يعني أكثر من عودة الانتعاش في العلاقات التي عادت الأسرة الثامنة عشرة خلالها إلى بسط نفوذها.

حقيقة الأمر أن الهجوم الذي شنه الفرعون تحوت – موسى لم يؤد إلى أكثر من رجفة خفيفة في شمال سوريا، نظرًا لأنها لم تتكرر. وفرض قسم باسم الفرعون على الأمراء السوريين لم يكن بديلاً كافيًا للتهديد بشن حملة جديدة، وزرع الحاميات، ولو أنه يبدو أن الفرعون تحوت – موسى ترك خلفه حامية ما في مكان ما في أسيا، كان أقل من أن يردع ميتاني .

خلال السنوات الأربعين التى أعقبت الحملة الفريدة التى قام بها الفرعون تحوت موسى - وهى الفترة التى شهدت انسحاب مصر من الشنون الأسيوية - موسى أميتانى يدها طليقة فى مواصلة تخريبها العدوانى فى سوريا وبلاد الرافدين. ولقد استومان ، أحد الذين نجوا من وطيس الحرب الأهلية التى تفجرت فى "حلب" وهو "إيدريمى" المسالة فى مملكة "ألالاغ" شمالى أسافل نهر العاصى (التى تضم أيضًا كلاً من موكيش" Mukishe و نييا "هالله أسافل نهر العاصى (التى تضم أيضًا كلاً المنالة الجبار "باراتارنا" Barratarna ملك محاربى أرض الحوريين"، وهو الملك الذى خلف، فيما يبدو، "سوتارنا" الأول (١٢٥) حقًا كان إيدريمى تابعًا له "ميتانى" يدفع لها الجزية (١٢١) إلا أن يده أطلقت بصفته "مخلب قط" وحسب الصوريين، في إبرام معاهدتين مستقلتين إحداهما مع "بعليا" Palliliya حاكم "كيزو- وادنا" المجاورة، والأخرى مع ملك أوجاريت إلى الجنوب (١٢٧)، كما استطاع أن يشن الفارة تلو المغارة الوالم المدن أو البلاد الحيثية دون أن يلحق به عقاب (١٨٨). وشرقًا هبطت "حلب" إلى منزلة إمارة" تحكمها "ميتانى" بشكل مباشر (١٢١)، أما "نييا" فضائل تبعيتها له "ألالخ" غدت خاضعة لحكم "ميتانى" بشكل عباشر.

وفي أواسط سوريا انتهزت كلُ من "تونيب" و "قادش" فترة الهدوء النسبى هذه في التوسع، ويقف هذا العامل أكثر من أي عامل منفرد آخر، وراء التغيير الذي دخل على سياسة مصر، وأدي إلى أكثر الفترات التي عرفها المصريون طوال تاريخهم كثافة في بناء إمبراطوريتهم. هل تصرفت "تونيب" و"قادش" بصفتهما محميتين تابعتين له "ميتاني"؟ هذا أمر غير واضح، رغم أنه تحت حكم "نيقميبا" Nigmepa بن "إيدريمي"، اعبترف ملك "تونيب"، "إبر – تشوب" الاحلام المبتاني كه "سيد" له، ويصفته تابعًا له "ميتاني" وقع معاهدة مع "ألالاغ" (١٣٠٠) وعلى أي حال ونظرًا لأن الأفق الطبيعي له "تونيب" كان واقعًا إلى الغرب، بدأت "تونيب" في ممارسة نفوذها بين البلاد الطبيعي له "تونيب" كان واقعًا إلى الغرب، بدأت "تونيب" في ممارسة نفوذها بين البلاد الوقعة على الساحل شمالي "بيبلوس". أما "قادش" فأخذت تتطلع، من جانبها، تجاه الجنوب (١٣١١) وعشية وفاة ملكة مصر "حتشبسوت" وطدت "قادش" نفسها كه "سيد"، المجكم الأمر الواقع، اسوريا الداخلية وشمال فاسطين. واقد تملك ملك "قادش" ممتلكات بعد من المدن في "الجليل" وشمال وادي الأردن (١٣٢)، ووصفت المدن الفلسطينية

بأنها 'تلك المدن الفاضعة لجلالته'. وكونه كان قادرًا على حشد قادة البلاد وميليشياتها في زمامه الواسع لخوض معركة 'مجدو' لا يبرهن، وحسب، على إحكام سيطرته على أتباعه، ولكن أيضًا على عقده العزم على التحرك جنوبًا وضم أراض هناك. وأيًا كان التاريخ الذي نستطيع تعيينه لوقوع الكارثة في مطلع العصر البرونزي المتأخر، فلم يكن في طوع مصر أن تتخلى عن سيطرتها على فلسطين لمثل هذه القوة التوسعية، ويتعين علينا في هذا الصدد أن نرى في القلق الذي عبر عنه الفرعون 'تحوت - موسى' تجاه هذا الخطر قولاً صادقًا لا مراء فيه، وليس مجرد دعاية خادعة: حشد مثل تلك القرات الضخمة قرب الصدود المصرية كان "سببًا لنصب الحرب' casus belli ونهضت، بكل وضوح، ضرورة توجيه ضربة وقائية.

ويينما أصبح الآن مؤكداً أن العداوة التي أضمرها "تحوت – موسى" الثالث الشاب تجاه عمته – وشريكته في العرش "حتشبسوت" لم تتجل في تدمير أثارها إلا بعد وفاتها بوقت طويل، (١٣٢) غير أن وجودها المستمر، كشريك مسيطر فرض قيداً على ابن أخيها. والعبارات المشاكسة التي نقابلها في النقوش اعتباراً من السنة العشرين قد تشير إلى أن "تحوت – موسى" الثالث الذي استبد به الغضب لعجزه عن التصرف بمفرده، كان قد مُنح قدراً أكبر من حرية التصرف. (١٢٤) ويبدو من المرجع كثيراً أن المرض ألم بالملكة "حتشبسوت" قرب نهاية حياتها، وأن تدهور صحتها ذاع على نطاق واسع، وعندما وافتها المنية في اليوم العاشر من الشهر الضامس في السنة الثانية في اليوم العاشر من الشهر الضامس في السنة الثانية في اليوم العاشرين الحكم المشترك الذي جمع بين العمة وابن الأخ(١٢٥) أي في مطلع شهر فبراير/أمشير ١٤٨٧ ق.م، كان ملك "قادش" قد انتهى من وضع خطته موضع التنفيذ ويدا في حشد قواته في "مجدو"، وربما يكون قد عقد العزم على انتهاز فرصة رحيل ملكة مصر. (١٣٦) ولكن تصميم الفرعون "تحوت ـ موسى" الثالث على التصدي لهذا الخطر وعبوره الجدود في شهر مايو/بشنس من نفس السنة مد المسرح لأول وأكثر الحمات حسماً التي شنها الفاتح الأكبر. (١٣٧)

إذا استندنا إلى قوائم الغنائم، فإن القوات التى خاضت معركة مجدو تكون أضخم قوات على الجانبين التحمت في كافة الغارات التي شنها هذا الفرعون في سوريا، وتكون قد أظهرت، جليًا، عبقرية فرعون مصر كقائد عسكري على مستوى

التكتيك إلى أبعد حد (١٢٨) فخلال ضربة جسورة عبر ممر ضيق إلى "مجدو"، نجح الفرعون في أخذ الجيش الكنعاني على حين غرة، الأمر الذي أدى إلى تشتيت فلوله، ومحاصرة المصريين لم "مجدو" لمدة سبعة شهور (شكل رقم ٦) وعندما سقطت المدينة في شهر ديسمبر/ كياك ١٤٨٧ ق.م. وقع كل الرؤساء الكنعانيين، باستثناء ملك "قادش" الذي نجح في الفرار، في قبضة المصريين فورًا وألجأهم المصريون إلى أداء هذا القسم: "لن تشق بلاد "رتينيو" Retenu عصا الطاعة مرة أخرى" و: "لن نسىء مرة أخرى الفرعون تحوت – موسى الثالث ما حيينا (١٢١) وبعد أن أنزل المصريون المهانة بالأمراء/ الشيوخ بتجريدهم من خيولهم، أعادوهم إلى مدنهم، ولكن كتوابع الآن المهانة بالأمراء/ الشيوخ بتجريدهم من خيولهم، أعادوهم إلى مدنهم، ولكن كتوابع الآن بصورة غير صريحة ألا يفوا بالقسم الذي أقسموه على الولاء، فإنهم يكونون قد بصورة غير صريحة ألا يفوا بالقسم الذي أقسموه على الولاء، فإنهم يكونون قد خلالها الجزية، ضمن ما يجمع من تلك البلدان)(١٤٠٠ ويجدد أحقية الفرعون في بسط خلالها الجزية، ضمن ما يجمع من تلك البلدان)(١٤٠٠) ويجدد أحقية الفرعون في بسط ضيطرته على هذه الأراضي الجديدة. وبذلك يكون المصريون قد مدوا حدود مصر إلى سيطرته على هذه الأراضي الجديدة. وبذلك يكون المصريون قد مدوا حدود مصر إلى نهر "الليطاني" على وجه التقريب.

وبعد الدمار الذي نزل بالتحالف الأسيوى ضد مصر وبعد الضرى الذي حساق ب قادش مسار بوسع الفرعون تصوت - موسى الثالث وقت ذاك أن يتدبر أمر الخطوة التي يتعين عليه اتخاذها ضد الخطر الشمالي الأخر، أي ذلك الخطر الذي تشكله تونيب استغرقت عملية الاستعداد ثلاث سنوات، ولكن الهجوم الجديد الذي شنه الفرعون كان ساحقًا ماحقًا لا مجال لمقاومته. ففي مطلع صيف سنته التاسعة والعشرين في الحكم أي في سنة ٢٧٦١ ق.م. تقدم الفرعون تحوت - موسى الثالث على رأس جيشه مصعداً في الساحل الفينيقي فيما وراء مدينة "بيبلوس" التي كانت تحتفظ بعدلاقات وبودة مع مصدر، واستولى على "أولازا" عند مصب نهر "الكبير"، و"أرداتا" Ardata على بعد سنة كيلو مترات جنوبي مدينة "طرابلس" الحالية وأسر كافة أفراد الحامية التي كان ملك "تونيب" قد نصبها على الساحل الفينيقي. ولما كان توقيت التجريدة قد تحدد بحيث يتزامن مع موسم الحصاد، فلقد شحنت كميات هائلة توقيت التجريدة قد تحدد بحيث يتزامن مع موسم الحصاد، فلقد شحنت كميات هائلة من القمح والنبيذ والفواكة على متن السنفن إلى مصر. وفي فصل الربيع من السنة

التالية أي في سنة ١٤٧٥ عاد المصريون، ولكن هذه المرة قدموا على متن السفن، (١٤١) التي رست على وجه الاحتمال في "بيبلوس". وعبر المصريون الجبال وهاجموا "قادش" مباشرة، ورغم أن القيد المقتضب في دفتر اليومية يقول بـ "تدميرها"، إلا أنه من الواضح أن الدينة نفسها لم تسقط، وإن كانت قد عانت من تدمير بساتينها ومحاصيلها. وفي طريق العودة هاجم الجيش المصرى مدينة "سومور" (قرب "طرابلس"؟) ومدينة "ارداتا" مرة أخرى. وبعد فسحة من الوقت (ربما بسبب انشغال الفرعون بالاحتقال بعيده الثلاثيني الأول؟)، وهي الفسحة التي انتهزها ملك "ونيب" في إعادة تحصين "أولازا" Dilaza" ونيب في إعادة تحصين "أولازا" قديده الثلاثيني الأول؟)، وهي الفسحة التي انتهزها ملك "تونيب" في إعادة تحصين "ولازا" قياد الفرعون "تحوت – موسى" الثالث في سنة ١٤٧٣ ق.م. ففي شهر بشنس/مايو ظهر بصورة مفاجئة تحت أسوار "أولازا" ويقرر القيد الوارد في دفتر اليومية المصرى: "استولينا على هذه المدينة في ومضة خاطفة، وصارت ممتلكاتها في متناول كل من يمد يده (من المصريين) نحوها". (١٤٢١)

أصبح الساحل الفينيقى فى ذلك الوقت آمنًا حتى مدينة 'طرابلس' شمالاً، وصمم الفرعون "تحوت - موسى" على الاحتفاظ بسيطرته عليه، فنصب حامية مصرية فى 'أولازا" وفرض الضرائب على جميع أمراء/شيوخ لبنان، وتحوات المرافئ إلى مستودعات لتشوين المواد الغذائية والمعدات الحربية اللازمة التجاريد القادمة، وأخذت الأخشاب اللبنائية تشحن عبر البحر من هناك إلى مصر بصفة سنوية، وكل ذلك يشير إلى تخطيط ثاقب البصيرة: إلا أن "الفرعون "تحوت - موسى" الثالث كان يعد فى نفس الموقة التالية.

وأعقب ذلك، الهجوم المباشر على "ميتانى" الذى وقع فى السنة الثالثة والثلاثين من حكمه، أى فى سنة ١٤٧٧ ق.م. وهو الهجوم الذى لابد وأن يكون الفرعون "تحوت موسى" الثالث قد ارتأى فيه أحد أهدافه الصريحة. كما رأى فيه الفرعون نفسه ومعاصروه، بكل تأكيد، أنه بمثل ذروة سيرته العسكرية، ولا يملك المؤرخ المعاصر إلا أن يقر بذلك. (١٤٢) وفضلاً عن أن هذه الحملة التى تعد الثامنة فى سلسلة حملاته الأسيوية ورد ذكرها بشكل مفصل فى الحوليات، إلا أنها أصبحت بمثابة موضوع أثير عند جلالته يستعيده باستمرار فى خطبه أمام البلاط، (١٤٢) أما ضباطه الذين صاحبوه فى تلك التجريدة فظلوا فخورين بتسجيل ما حدث حقيقة، مثلما يفاخر أى مشارك فى معارك قريتي "أجنكور" Agincourt الفرنسيتين. (١٤٥)

نقل الفرعون جيشه بالسفن من مصر إلى "بيبلوس" وهناك قام بتصنيع قوارب الهجوم من الأخشاب اللبنانية. وعبر جميع جنود التجريدة الجبال إلى وادى نهر "العاصى"، وكانت أجزاء القوارب غير المجمعة قد نقلت على متن عربات تسير في المؤخرة، وتقدم الجيش وقائده باتجاه الشمال. ولم تبد أي من "قادش" أو "تونيب" أدنى مقاومة، ريما لأنهما أخذتا على حين غرة من هول المفاجأة والسرعة اللتن سارت بهما العملية، ومر المصريون خلال أراضيهما دون عائق. ومع ذلك فبمجرد دخول الجيش منطقة "حلب"، هب الميتانيون يقاومون. ولكن ثلاثة اشتباكات عنيفة انتهت لصالح القرعون، وهو الأمر الذي أوصل المسريين إلى شباطئ نهر "القرات" عند "كاركميش". وانسحب ملك "ميتاني" ومعه قواته إلى المُنفة الشرقية للنهر، بعد أن دمروا، فيما بييق مرجحًا، أو استواوا على كل ما وصلت إليه أيديهم من قوارب أخرى في النهر في المناطق المجاورة. وعندئذ دفع الفرعون بقوارب الهجوم التي في حوزته، وعبر هو وقواته النهر، ومضوا في مطاردة حاكم "ميتاني" المذهول وقواته المذعورة، مع انحدار النهر وشرقًا ناحية 'بلخ'، بينما كانت طبقة النبلاء في 'ميتاني' قد لجأت إلى الكهوف.(١٤٦) وأعقب ذلك دمار شامل عندما أسلم الفرعون المدن الواقعة بامتداد "الفرات" للنيران. ولقد تفاخر الفرعون في خطاب ألقاه بعد ذلك بخمس عشرة سنة بما جرى على هذا النحو: "لم يكن هناك أحد يستطيع إنقاذهم في طول وعرض "نهارين"، التي تخلي عنها -سيدها مذعوراً. ولقد دمرت مدنه وقراه وأشعلت فيها النار، وحولُّها جلالتي إلى أكوام من الحطام بما يستحيل أن تعود مرة أخرى إلى سابق عهدها".(١٤٧) ونصب الفرعون الوحاً/صادوداً"، بجوار اوح/صادود والده، وهي أبعد نقطة وصل إليها فرعون مصرى باتجاه الشمال.(١٤٨) ووصلت الحملة إلى خاتمتها الرسمية بالعودة، على مهل، باتجاه الوطن مع نصب برجاس القنص الذي منار لزامًا على الفرعون أن ينصبه بعد ما اعتاد ذلك أسلافه (هذه المرة لقنص الأفيال في نييا").

وواصل "تحوت - موسى" الثالث سياسته الثابتة في متابعة النجاحات التي حققها في هذه الحالة أيضًا. ففي السنة التالية عاد الفرعون مرة أخرى كي يسلم منطقة "نوخاششي" للنهب، وفي السنة التي تلك السنة التحم مع قوة ميتانية أكبر من القوة السابقة ومزقها شر ممزق. وهنا كانت الإمبراطورية المصرية قد بلغت أقصى مدى لها في أسيا.

الهيمنة المزعزعة ومعاهدة ،ميتاني، (١٤٦٠-١٤٤٠ ق.م. بالتقريب):

أسفر الانتصار الهائل الذي توج به الفرعون "تحوت ـ موسى" الثالث إنجازاته بشكل مباشر عن لفت أنظار العالم القديم بأسره إلى مصر كعامل واسع الحول والطول في سياسات شرق البحر المتوسط. وتلك كانت أيام الهناء والصفاء التي مرت بها مصري ففي "تلك الأيام كان ملوك "كنعان" يسلمون أرجلهم للريح متى رأوا شخصًا مصريًا (۱۶۹) وسرعان ما أرسلت تلك اللول التي كانت تقف من "ميتاني" موقف المواجهة الإستراتيجية، مثل "بابل" و "أشور" و"خاتى"، على وجه التحديد بهداياها الدبلوماسية إلى الفرعون، (۱۰۰) وعلى أثر ذلك حدث قبرص حنوهم (۱۰۱) وبعد أولى غزو قامت به مصر لشمال سوريا بخمس سنوات وحسب، ارتأت "آلالاخ" هي الأخرى (ربما تحت حكم ملكها الشاب "نقميبا" Migmepa ابن الملك "إدريمي" idrimi أنه من الأفضل لها أن ترسل هداياها إلى الفرعون حتى تخطب وده وتعجنب أي غارات مصرية في المستقبل.

كان من الواضح أن "تحوت - موسى" الثالث كان يعتزم ضم الأراضى التى عبرها . ووفقًا للأعراف المحلية قام جلالته بمسم الأعيان المحليين بالزيت وعينهم ملوكًا على "إمارات" محلية كتوابع لجلالته .(١٥١) وخصص الفرعون حامية لم "أوجاريت" ،(١٥١) وأخذ "تحوت - موسى" الثالث يعود للظهور بشخصه ، سنة بعد أخرى كى يجمع الضرائب. وأصبحت تبيا" التى كانت فيما مضى، مقاطعة تابعة لم "ألالاخ" ، الآن دولة منفصلة يقف على رأسها أمير .(١٥١) وغدت المنطقة ، باختصار ، عزبة يطلب فيها الفرعون فرائس القنص.

ولكن القوة والمنعة اللتين تمتعت بهما إمبراطورية "ميتانى"، "أرض المحاربين " الحوريين عادتا للظهور مرة أخرى، حتى قبل أن يرقد غبار الحملة التى قادها الفرعون في الفرات". حقًا لم يخبرنا "تحوت – موسى" الثالث بهوية "ساقط نهارين" الخسيسة الذي أنزل به الهزيمة خلال حملته الثامنة، إلا أن الفرعون أعطى انطباعًا قويًا بأن ذلك "الساقط" فر بلا عودة باتجاه الشرق. ومع ذلك فلم تكد سنتان اثنتان وحسب تمران حتى ظهر (ساقط آخر لـ "نهارين" الخسيسة) كي يحشد جيشًا أكبر حتى من سلفه

فى سبيل مناوأة المصريين. وهنا نشعر بإغراء قوى كى نرى فى فرار ذلك الحاكم الميتانى، غير المسمى، النهاية التى حاقت بالملك "باراتارنا" Barratarna ، الماصر له إيدريمى وخليفة "شوتارنا" Shutarna الأول. (۱۰۵۰) وفى هذه الحالة يكون القائد الميتانى الذى جابه المصريين بعد ذلك بسنتين، على وجه الترجيح هو خليفة "باراتارنا"، الذى يبدو استتاداً إلى كافة الأدلة المتوفرة اليوم، أنه لم يكن سوى سوساتار "Saussatar ، وهو ابن "بارساتاتار" Parsatatar ملك "ميتانى". (۱۵۰۱) وإذا صح ذلك فإن استئصال خصم قوى لم ينجح كثيرًا فى تخفيف حدة المعارضة للتوغل المصرى.

شرع الملك "سوساتار" بشكل نشط في مقاومة مصر، وفي مواصلة مد سلطان "ميتاني". وفي سنة ٦٢ ١٤ ١٥ق. أي بعد عقد (عصر سنوات) بالكاد من حملة "الفرات"، نجد قوة احتياط من "نهارين الخسيسة" قد أرسلت إلى ملك "قادش"، وأخذت "تونيب" تحرض على التمرد في الساحل اللبناني. واضطر الفرعون أن يزحف براً كي يخمد الفتنة المسلحة في "أرقاطة" شمالي "بيبلوس"، وأتبع ذلك بالزحف عبر الجبال ضد "تونيب" و"قادش". وبذلك لحق الخراب بالأراضي ونزل الدمار بالبساتين والمحاصيل، وتعرضت "قادش"، ربما لأول مرة للهجوم واستولي عليها المصريون. (١٥٠١) ورغم أن "تحوت " موسى" الثالث أقام مقرأ المكيًا له، لمدة ما في "تونيب" بعد فتحها، وهو مقر ظل أهالي "تونيب" يذكرونه لمدة طويلة، (١٥٠١) إلا أن الهبات استمرت، وسرعان ما شقت أراضي "تاخسي"، في أعالي نهر "العاصي"، بين "قادش" ودمشق، (١٥٠١) عصا الطاعة أراضي "تاخسي"، في أعالي نهر "العاصي"، بين "قادش" ودمشق، (١٥٠١) عصا الطاعة الأمراء ومصادرة المتلكات المنقولة والمواشي (١٠٠١) خلال الملكية المشتركة في مصر، ومطلع حكم "أمين " حوتب" الثاني الذي جلس، دون شريك في الحكم، على عرش مصر، وهو الفرعون الذي اضعطر، كعمل من أول ما قام به من أعمال، إلى ترحيل سبعة أمراء المصر الإعدام (١١٠١).

لم يجد "سوساتار" أى صعوبة فى كل مكان آخر فى إعادة تأكيد السلطان الميتانى. فلقد نجع شرقًا فى إخضاع البلاد الأشورية، وجرد "أشور" من بعض أفضل كثورها، ومد سيطرته إلى "زاجروس". (١٦٢) وغربًا، استمرت "حلب" على خضوعها لـ "ميتانى" أما "نقميبا" Nigmeba ، ملك "ألالاغ" فلقد جدد ولاءه لـ "سوساتار"،

رغم الهدايا التى أرسلها إلى فرعون مصر. (١٦٣) وأخذت أوجاريت ، وأو أنها لم تكن داخل نطاق النفوذ الميتانى، تعد العدة لطرد الحامية المصرية. وإلى الجنوب في أعالى وادى نهر "العاصى" بدأت كل من "نبيا" و"زالخي" ومدن موغلة في الجنوب مثل "قادش" تسقط مرة أخرى داخل النفوذ الميتاني.

فشلت الغارة التي قام بها أمين – حوتب الثاني في سنته السابعة في العرش في استعادة أي أراض لمصر. (١٦٤) وهذا التوصيف ليس مجحفًا بصورة غير مبررة خيًا كان الفرعون أمين – حوتب الثاني محاربًا جسورًا وربما امتلك جيشه قوة لا يستهان أبدًا بها، إلا أنه لم يلتحم بقوة عسكرية معادية كبيرة العدد في أي معركة منفردة. ولكنه صد قوة عسكرية صغيرة في قطنة خلال عبوره نهر العاصى ، وأخمد مبة عابرة قبل اختمارها في أوجاريت ، وهو ما لا يعد بحال من الأحوال انتصارات ضخمة. ورغم أن نييا وسائر المدن الأخرى فتحت أبوابها أمامه، إلا أن الفرعون يكون سانجًا إذا تصور أن هذا إنما ينم عن خلع الولاء لـ سوساتار . أما ترحيل الفرعون لما يصل إلى خمسة عشر ألف وسبعين نفسًا (إلى مصر) من أبناء الفرعون غلي اليأس. (١٦٥)

لم يقال الحيثيون، من جانبهم، من قدر أعدائهم فيما وراء "الفدرات". فلقد وقع ملكهم "ليبينوس" Telepinus معاهدة مع "إشبوتاخشو" Ishputakhshu ، وهي المعاهدة التي جددت، بصورة فعالة، دور هذه الدولة كمنطقة عازلة (١٥٠٠ق مبالتقريب)، (٢٦٠)، وأبرم خليفته، الذي لا نعرف اسمه، اتفاقية مماثلة مع "شوناششورا" الأول، خليفة "إشبوتاخشو". (٢١٧) وينطوي نص هذه الاتفاقية على قدر من الأهمية في الصدد الذي نتناوله الآن، لأنه رجح وقوع حرب وشيكة بين الحيثيين وبين "ميتاني"، وهي حرب قد تبدأها "ميتاني". وإذا ما حدث ذلك فإن "شوناششورا" Shunashshura كان ليحرم الميتانيين من الوصول إلى خاتي عبر أراضي "شوانتا" Shuwanta ، رغم أنه سيكون من حقه أن ينضم إلى الجانب الحيثي في الحرب أو يستمر على الحياد. وربما يكون التوتر الضمني بين "خاتي" و"ميتاني" قد انعكس أيضًا في النزاع الحدودي بين "نقميبا"، ملك "آلالاخ" و"شوناششورا" نفسه على مدينة "آلاواري" Alawart على الحدود بين البلدين. (١٦٨٠)

يمثل السلام الذي أعقب ذلك بين مصر وبين "ميتاني"، سواء في خلفيت أو تفاصيله، "صفحة مفقودة" في الوثائق التي وصلتنا عن تلك الفترة من تاريخ الشرق الأوسط القديم. حقًّا يفاخر الفرعون "تحوت - موسى" الثاني، في السنة التاسعة من حكمه (أي بعد سنة ١٤٤٣ق.م. على وجه التقريب) بأن الأثر الذي نجم عن غزواته وترحيلاته يتلخص في إجبار ملوك الأرض العظماء على الركون إلى السلام(١٦٩) : "عندما وصلت أنباء النصر الذي حققته إلى أسماع ملوك كل من "نهارين" و "خاتي" و "بابل"، تسابق كل منهم مع الآخر في سبيل إرسال كافة أنواع الهدايا من كافة المسادر الأجنبية، وهم عاقدون العزم في أعماق أفتدتهم على السعى إلى عقد السائم مع جلالتي، والسعى نحر التقاط أنفاس المياة : وها هو عملنا بارز لصالح قصركم، يا... ("أمون - هوتب" الثاني)! ولقد انتهز شاعر مداح الفرصة في وقت لاحق، وخلال حكم هذا الفرعون نفسه كي يسجل على أحد الأعمدة في إحدى قاعات الكرنك(١٧٠) أن 'رؤساء 'ميتاني' حضروا إلى حضرة جلالته، حاملين جزيتهم على ظهورهم، في مسعاهم للسلام مع جلالته، وتوقيم إلى تنفس أنفاسه الزكية التي تمنح الحياة لكل من يتنفسها. وذلك حادث فريد وجدير بالنكر! فلم يحدث أن سمع أحد بما يشبهه منذ زمن أنصاف الآلهة (حرفيًا: ناس الإله): كانت تلك البلاد التي لم تعرف مصر تتضرع للإله الطيب (=الفرعون)!"

ينبغى على المرء أن يلزم جانب الحدر عند تقييم هذين النصين. ففى ضوء طبيعة أمين - حوتب الثانى التى تقوم على الزهو والخيلاء، قد يكمن وراء النص الأول أن الأمر ربما لم يزد عن تلقى هدايا دبلوماسية من نفس النوع الذى سبجله الفرعون تحوت - موسى الثالث، بصورة أكثر حصافة غداة حملته فى "الفرات"، وأى شىء أخر يسوقه الفرعون أمين - حوتب الثانى حول الدوافع هنا لن يخرج عن منظوره "الأيزيجيزى" الخاص eisegesis (= نهج فى تفسير التوراة يقوم على قراءة ما ليس مكتوباً فى النص المقدس، أى إضافة المسئر لما يحتاجه التفسير كى يستقيم المترجم). أما النص الثانى فيفرض علينا، مع ذلك، أن نقف منه موقفًا أكثر جدية. فتضخيم عبارات الأصول فى مستهل المقتطف الذى اقتطفناه، إلى جانب الإصرار على أن ذلك الحدث كان فريدًا يشير إلى أن هناك نواة صدق معينة كامنة تحت المبالغة السافرة.

ويبرر هذه الادعاءات على وجه الترجيح وصول (بعد السنة العاشرة، فيما نرجح) عدد من السفراء أرسلهم "سوساتار" (۱۷۱) بمقترحات لعقد أواصر "الأخوة" (أي التحالف الأخوى ونبذ حالة الحرب). (۱۷۲)

بزغت هذه المعاهدة، فيما يبدو لي، من رصد "ميتاني" لحقيقتين قاسيتين : شراسة الحاكم المصرى الجديد ونهضمة 'خاتى"، فلريما كان "أمين - حوتب" الثاني غير قادر على الحفاظ على سيطرة مصر على أواسط وأسافل حوض نهر "العاصي"، ولكن الترحيالات الجماعية التي قام بها الفرعون في سوريا، وفي فلسطين على وجه الخصوص في السنة التاسعة من حكمه أرسلت رسالة عما يعتزم الإقدام عليه في حالة استمرار حالة الحرب. فلقد انطوى الأمر، باختصار على تكتيكات الرعب. وربما بدا الحيثيون أقل وحشية، إلا أن خطرهم كان حالاً ومباشرًا. وكان بيت جديد قد تولى مقاليد الأمور في "خاتوساس"، وكان عازمًا على أخذ زمام المبادرة من الميتانيين. (١٧٣) وقام عضو قديم من العائلة الحاكمة في "خاتوساس" بعدة مفاتحات تجاه "حلب"، وهي مفاتحات فسرها بأنها لقيت عند الطرف الآخر قبولاً، وفي أسلوب ميكيافيللي، رأى في استمرار علاقات "حلب" بـ "ميتاني" دليلاً على النفاق. وبالتالي، يقول نص حيثي لاحق(١٧٤) إنه "دمر كلاً من ملك "ميتاني"(١٧٥) وملك "حلب" كليهما بأيديهما، وضرب مدينة 'حلب.' ورغم أن معاهدة 'تالميشاروما' Talmisharruma ، التي أخذنا منها هذه الفقرة ترجع إلى ما يزيد على قرن من الزمان بعد الحادث وتحفل بمعلومات غير دقيقة -"حلب" كان يحكمها وقت ذاك حاكم "ميتاني" وليس ملكًا(١٧٩) - فإن النص يعكس بكل تأكيد هجومًا تاريخيًا على تطبُّ، التي طالما وقفت كـ "ملطشة" أو "غلام الجلد" نياية عن "خاتي"، والعكس بالنسبة لـ "ميتاني".

فى ظل هذه الظروف لم يكن فى طوع الميتانيين أن يفعلوا شيئًا ذا بال، سوى أن يكافحوا بمفردهم فى حرب على جبهتين، أو يسعوا إلى إبرام تحالف يخفف عنهم عبه جبهة من الجبهتين. واختار الميتانيون، عن حكمة ويصيرة الحل الأخير، خصوصاً وأن خاتى الاقرب والأشد عداءً كانت عصية على الاسترضاء، ولكن أمين - حوتب الثانى البعيد وغير المستقر بدا أكثر قابلية للتفارض: جسور ولكن مزهو بنفسه،

متين البنيان وحلق المعشر، ويسهل كسبه على وجه الإمكان عن طريق المدح والإطراء -هل كان "الميتانيون" يقفون على حقيقة رجلهم؟ أفتتن الفرعون 'أمين ـ حوتب' الثاني وخفت حدة غضبه بالسفراء القادمين من "نهارين"، وربما وصل به الأمر إلى حد إبرام معاهدة .(١٧٧) ولا يوجد هناك شك في أن مثل هذه المعاهدة كانت لتخدم مصالح مصر، رغم أن النولة الفرعونية، خلال الأسرة الثامنة عشرة، كان في وسعها أن تتحمل أعياء شن غارات عسكرية دورية، بصورة أسهل مما تستطيعه "ميتاني" لثمانمائة كبلو مترًا في قلب أسبياً. وتدعم التحالف الذي قام، بزواج ابن "أمين - حوتب" الثاني وهو "تحوت - موسى" الرابع في سنة ١٤١٥ ق.م. على وجه التقريب من ابنة ابن "سوساتار" وخليفته "أرتاتاما" Artatama الأول ملك "ميناني". (۱۷۸) ولكن وفاق Concordat والده مع "سوساتار" (أيًا كان الشكل الذي أخذه في الحقيقة هذا الوفاق) لم يمنع الفرعون "تحورت - موسى" الرابع، مع ذلك، من شن هجموم في أسيا في مطلم حكمه. (١٧٩) وهو الهجوم الذي قاده عبر الطريق الساحلي إلى "فينيقيا" ثم، مقتفيًّا الدرب الذي سلكه كل من والده وجده، عبر الجبال إلى نهر "العاصى". (١٨٠) وكان قد عقد العزم على مواصلة ترهيل السكان الفلسطينيين، وهو الأمر الذي بدأه والده، الذي فسرُّغ "جزر" من سكانها،(١٨١١) كي "يرفع العلم" في "فينيقيا"،(١٨٢) ويعاقب "متمردين" معينين في وادى نهر "العاصى". ولكن يبدو أن العملية بأسرها جرى ترتيبها على نطاق متواضع، نظرًا لأنها لم تأت كضرورة سياسية أو عسكرية، بل عوضاً عن ذلك كمحاكاة لتقليد أصبح منتظرًا بصورة متزايدة من الفرعون الإمبراطوري الذي يجلس على عرش مصر في مطلع حكمه. وعلى أي حال وضعت هذه الحملة (التي لم تفرضها أي ضرورة وإن بدت في سائر الأحوال كما لو كانت ضد الميتانيين) حدًا لمغامرات مصر الحربية في غرب أسيا لمدة ستين سنة. وعاد الزواج وتجديد المساهدة بالسلام على كل من مصر و "ميتاني"، وهو السلام الذي عاد بالفائدة عليهما كليهما، ولم تنقضه أو تفسخه أي من الدولتين، كما اتضم فيما تلى من أيام.

ثلاثة أجيال من السلام: الإمبراطورية، ١٤٤٠-١٣٧٥ق.م.:

لا نملك نص المعاهدة، إلا أننا واثقون، أو نكاد، من أن اهتمام المفاوضين من الجانبين، المصرى والميتانى، انصب فى المقام الأول على مسالة الحدود بين الإمبراطوريتين. ونستطيع أن نستشف الحدود التى ضمنتها المعاهدة من السجلات المعاصرة وتلك التى جاءت بعد ذلك العصر بوقت وجيز، وتمثل الخطوط كما رسمت عند نهاية حكم الفزعون أمين - حوتب الثانى، فعلى امتداد مائتى سنة، ويتعديلات طفيفة لا أكثر، استمرت تلك الحدود مقدسة بنفس القدر الذى أصبحت به تقليدية، وكان لها أن تترك بصدمتها التى لا تكاد تدرك وفي نفس الوقت لا تمحى على تاريخ وثقافة المشرق بأسره.

كان خط الحدود يتبع، بصغة أساسية، الانقسامات الجغرافية أو الثقافية، وفي الشمال تطابق مع مجرى نهر "العاصى". واستمرت موكشى" مع عاصمتها "ألالاخ" وكذلك إمارة "حلب" على وضع التوابع لـ "ميتانى". وبين "حلب" و "قطئة شرقى "العاصى" تقع أراضى "نوخاششى"، التي ظلت، وفقًا للأدلة المستقاة من معاهدة "تالميشاروما" Talmisharruma داخل نطاق النفوذ الميتاني. (١٨٣٠) واستمرت "نييا"، مع أن حاكمها فتح أبوابها أمام الفرعون "تحوت – موسى" الثاني (كما سبق لنا أن أشرنا)، ترتبط بروابط وثيقة مع "موكشى" و "ألالاخ" (١٨٨٠) ومع أننا لا نعثر لـ "زنزار" المجاورة (١٨٥٠) على أي ذكر في السجلات المتوافرة، إلا أنها سقطت، هي الأخرى، على وجه الافتراض، داخل نطاق النفوذ الميتاني وتوابع "ميتاني" الشماليين.

واستمرت تونيب أيضاً مقاطعة تابعة لـ ميتاني . واقتطعت أجزاء من تونيب ، ريما بهدف إضعاف مركزها أو وضع المنطقة الحدودية تحت سيطرة يد أقدى، ومنحت لـ "إليم - إليما " llim-ilima ، بن تقميبا " حاكم "ألالاغ"، وهو معاصر متأخر لكل من "أمون - حوتب الثاني و "تحوت - موسى" الرابع وأيا كانت درجة السيطرة التي تمتع بها الفرعون "تحوت - موسى" الثالث على "تونيب" إلا أنها كانت قصيرة وعندما، توجه سكان المدينة بأبصارهم تجاه مصر خلال عصر "أخيتاتون" (= العمارنة) وحاولوا إلى المقر الذي أقامه إقناع الفرعون بتقديم يد العون لهم، لم يجدوا سوى أن يشيروا إلى المقر الذي أقامه

الفرعون "تحوت - موسى" الثالث لدة وجيزة في مدينتهم، على سبيل الاحتجاج بأن "تونيب" كانت بصفة تقليدية من ممتلكات مصدر، رغم أنهم كانوا يعرفون أن "رجال الحرس القديم" من حاشية الفرعون هم وحدهم الذين يستطيعون أن يشهدوا على ذلك. فالماضى القريب لا يشير، فيما هو واضح إلى أن "تونيب" تتبع ملوك مصدر (١٨٦)

وبرك خط الحدود الداخلية بين مناطق النفوذ المصرية والميتانية في أعماق غرب أسيا نهر "العاصى" بين تونيب" و قطنة" كي يسير شرقًا ليشمل المدينة الأخيرة: قطنة". ولكننا لا نعرف شيئًا ذا بال بشأن قطنة" فيما بين محاولتها الواهنة كي تعوق تقدم الفرعون "أمين – حوتب" الثاني والخطابات التي بعث بها "أكيزي" إلى "أخناتون". إلا أن القوائم التي وصلتنا منها تقدم الأدلة لإعادة ترتيب قائمة بأسماء ملوكها، غير أنها لا تخبرنا بشيء عن التاريخ السياسي. ومع ذلك ف "أكيزي" لا يشير، بشكل لا يحتمل أي لبس، وحسب إلى أنه تابع لمصر، بل إلى أن أباءه كانوا أيضاً كذلك منذ القدم، وأن "قطنة" جزء من ممتلكات الفرعون. (١٨٨١) أما جنوبي "قطنة" فنجد "قادش" وأرض "أوب" وول ودمشق وقد سقطت كلها داخل نطاق إمبراطورية وادى النيل. (١٨٨١) وكانت أعالي حوض "العاصي" تشكل المزارع الخصبة لـ "إيمكي": Amki ، بينما تقع وكانت أعالي حوض "العاصي" تشكل المزارع الخصبة لـ "إيمكي": Amki وكانت على دمشق في قلب مراعي البلاد. (١٨٨١) ولقد قدرت مصر المنطقة تقديرًا عاليًا وكانت على استعداد لاتخاذ إجراءات صارمة في سبيل الإبقاء عليها تحت سيطرتها.

كما كانت الأراضى الواقعة غربى "العاصى" حتى ساحل البحر المتوسط جزءًا من ممتلكات مصر. (۱۲۰) وهذا أمر مفهوم فى ضوء القوة البحرية المصرية التى طالما استطاعت الحفاظ على اتصالها بالمدن الواقعة على الساحل الفينيقى بسهولة أكبر مما تستطيعه مع المدن الواقعة فى أعماق البلاد. وكانت هذه الأراضى الساحلية الواقعة جنوبى مصب نهر "العاصى"، مع الضفة الغربية Cis-Jordan جنوبى منابع نهر العاصى تشكل وحدة جغرافية مستقلة، وقد حازت منذ القدم اسم "كنعان". (۱۹۱) من أين جاء هذا الاسم؟ هذا أمر يكتنفه الغموض، ولكن من الواضع أن أراضى كل من أين جاء هذا الاسم؟ هذا أمر يكتنفه الغموض، ولكن من الواضع أن أراضى كل من أيلاخ و "حلب" و "نوخاششى"، بالإضافة إلى "قطنة" تقع خارج نطاق المنطقة التى اكتسبت هذا الاسم فى العصر البرونزى المتأخر، ويجد المرء نفسه ميالاً القول بأن هذه المنطقة إنما تشير إلى تلك الأجزاء من المشرق، التى كانت لا تزال تتحدث،

إلى حد كبير، باللغة السامية الغربية، وغير الفاضعة بشكل مباشر لـ "ميتانى" الحورية (= نسبة للحوريين)، (۱۹۲) وكانت "أوجاريت" (وبالاحتمال مقاطعة "سيانق" البنوبية التابعة لها أيضًا) أبعد دولة خاضعة لمصر في أعماق الشمال، داخل نطاق "كنعان". وفي ظل حكم الفرعون "أمين-حوتب" الثالث، كان حاكمها "أميشتامرو": حكم "أخناتون" (۱۹۹۱) ويكشف خاتم "نيكمادو" بكل وضوح، تأثيراً مصرياً على حكم "أخناتون" (۱۹۹۱) ويكشف خاتم "نيكمادو" بكل وضوح، تأثيراً مصرياً على تصميمه (۱۹۹۱) وقد تلقى صاحب هذا الفاتم هدايا من سيده (۱۹۹۱) وقدم الصلوات نيابة عن الفرعون (۱۹۹۱) وبلغ الأمر بـ "نيكمادو" حد زواجه من إحدى سيدات الحريم الملكي عن الفرعون (۱۹۹۱) وبلغ الأمر بـ "نيكمادو" حد زواجه من المدى سيدات الحريم الملكي نطاق الإدارة المصرية يكاد أن يصل إلى مستوى "المدينة الأولى بالرعاية"، وهو المستوى نطاق الإدارة المصرية يكاد أن يصل إلى مستوى "المدينة الأولى بالرعاية"، وهو المستوى سدوى أقبل القليل عن "أرفاد" في ذلك الوقيت، إلا أن "بيبلوس" وبيروت و "صيدا" سدوى أقبل القليل عن "أرفاد" في ذلك الوقيت، إلا أن "بيبلوس" وبيروت و "صيدا" أقدم حليف لمصر، وفي ذلك العهد كانت مسئولة عن سائر المدن شماليها حتى "سومور" (۲۰۰۱)

وكانت فلسطين والدرب الذي يخترق الضفة الغربية Transjordan (الطريق الفرعونى في وقت لاحق) جزءًا من ممتلكات مصر بصفة كاملة، وهذه المناطق هي التي قام فيها المصريون بصفة رئيسية، بوضع سياستهم في ترحيل أعداد غفيرة من السكان المحليين إلى مصر، سواء تأكد موقفهم العدائي أم لم يتأكد، موضع التنفيذ، وهي السياسة التي وصلت إلى ذروتها تحت حكم الفرعون "أمين - حوتب" الثاني، الذي رحل ما يزيد على ٨٥ ألف نفس ما بين رجل وامرأة وطفل من كافة الطبقات الاجتماعية. (٢٠٠١) ونجم عن ذلك أن تخلخات، أو كادت، هذه البلاد الجبلية سكانيًا، وتضع عضعت بشكل حاد. (٢٠٠١) ولم يعد في وسع الاسيويين استخدام فلسطين مرة أخرى كقاعدة الهجوم على مصر أو بتعبير مألوف بصورة أكبر في لغة المحدثين في نفس هذه المنطقة: وضع المصريون أيديهم على هذه الأراضي كـ "ضمان" ضد أي أعمال عدائية يقوم بها جيران مصر.

استطاع الفرعون "أمين - حوتب" الثالث الذي قضى مدة طويلة في العرش أن يجنى الثمار التي طرحها العمل الذي امتد سنوات طويلة في سبيل إخضاع آسيا على امتداد الأجيال الثلاثة السابقة. (٢٠٢) فلقد فرضت مصر "السلام المصري" والمسابقة والميام المسري" الثالث أن يخرج إلى آسيا على "كنعان" بالقوة، ولم يحتاج الفرعون "أمين - حوتب" الثالث أن يخرج إلى آسيا على رأس أي حملات. فلقد تدفقت الضرائب والعطايا نزولاً عند إرادة الفرعون، ومرت القوافل من وإلى مصر بأمان وطمان عبر مختلف الدروب في فلسطين، كما تزايدت الأساطيل البحرية التي تجوب شرق البحر المتوسط بصورة كبيرة. وصارت الراويط مع "ميتاني" وطيدة أكثر، وكفت إلى حد كبير مشاكل المدود. وأصبح الفرعون "أمين - حوتب" الثالث، خلال زواجه من "جيلوخيبا" Gilukhepa ابنة "شوتارنا"، وفي وقت لاحق مقرباً بصفة خاصة من صهره "توشراتا" ab الاخرى. وانتقلت كميات ملحوظة من الكماليات بين تروج من ابنة "توشراتا" هي الأخرى. وانتقلت كميات ملحوظة من الكماليات بين الإمبراطوريتين كبديل لمهور العرائس وبوطتهن، فضلاً عن الهدايا الشخصية بين الملكين. وحنت كل من "بابل" و قبرص " حنو "ميتاني" في خطب ود الفرعون وفي هذا السبيل أرسلوا الهدايا وعقدوا الزيجات. وبكلمة واحدة: ركع العالم المأهول وقت ذاك عند أرسلوا الهدايا وعقدوا الزيجات. وبكلمة واحدة: ركع العالم المأهول وقت ذاك عند أرسلوا الهدايا وعقدوا الزيجات. وبكلمة واحدة: ركع العالم المأهول وقت ذاك عند أقدام مصر. (٢٠١)

نهایة دمیتانی، :

لم يكتسب السلام بين مصر و ميتاني صفة الدوام إلا خلال الاتفاق على خط الصدود المشتركة، وخلال التحديد الدقيق لمعنى تبعية الولايات principalities القائمة في سوريا. وإذا ما دخل عامل جديد في المعادلة على هيئة دولة لم يحسب حسابها خلال البنود التي شملتها المعاهدة، فإن المتاعب كانت لتنشأ. وكان مثل هذا العامل بالتحديد هو الذي كان ليخلق لمصر مشكلة في قلب سوريا، ولما تركت دون حل، أدت إلى نشوب حرب طويلة الأمد.

وعلى نحو ما رأينا فيما مر، وفر وادى نهر "الكبير" بشمال سلسلة جبال لبنان طريق الوصول من ساحل البحر المتوسط إلى نهر "العاصي"، وهو الأمر الذي استتبع

نتائج سياسية بارزة. فلقد مكن جيوش المصريين من الانتقال من الساحل إلى أعماق البلاد بسبهولة نسبية ومن بسط سيطرة صارمة على زمام "قطنة - قادش" بصورة أشد مما كان عليه الأمر على مناطق أكثر إيغالاً في الشمال، ولكن ذلك الوادي نفسه سمح أنضاً له "تونيب" بأن تحقيق توسعًا سياسيًا غربًا في اتجاه "سومور" و "طرابلس". الأ أن "تونيب" أصبحت تعانى وقت ذاك من انتهاك أراضيها، وعلاية على ذلك، كانت على الجانب الخاطئ من الحدود، وهو الأمر الذي حال دون استغلال ميزتها السابقة، وترتب على ذلك أن شريط الأرض الذي يمتد، إلى هذا الحد أو ذاك من وادى "العاصى" حتى بحيرة "حمص" في اتجاه الفرب من الساحل الفينيقي أصبح بمثابة منطقة حدودية، تابعة اسميًا لمصر، ولكنها ليست خاضعة لإدارة أحد التوابع المحليين. واعتبارًا من الربم الأخير من القرن الخامس عشر ق.م. شرع السكان المحليون في إطلاق اسم "أموري" Amurru أي "الغرب" على هذا الشريط، وذلك على اسم قديم كان الأكاديون قد أطلقوه خلال العصس البرونزي الوسيط على سائر المنطقة الساحلية المشرق.(٢٠٠) ومع بدايات حكم الفرعون "أمين ٠ حوتب" الثالث أصبحت "أمورو" مأوى مقضيلًا لتلك المصابات شبية - القوقازية من الخارجين على القيانون المعروفين باسم الـ "عابيرو"، وفي نفس الوقت مأوى كذلك العشائر الناطقة بالسامية الغربية من أشباه اليسو. (٢٠٦) وتحت قيادة عائلة تتكون من عدد من الأفراد الناطقين باللغة الكنعانية برأسها شيخهم "عبدي - عشيرتا"، غدت "أمورو" بمثابة "كانتون" حرَّاب، أي مولع بالأعمال الحربية وشكُّل تهديدًا سياسيًا لجيرانه. ولقد شكُّل صراع "أموري" في سبيل الاعتراف و قدرها الظاهر العيان بالتوسع نحو الساحل الفينيقي ووادي "العاصي"، الشكلة الكبري في شمال الإمبراطورية لمسر (٢٠٧)

ولكن ما هو السبيل إلى وضع "أمورو" في نطاق السيطرة؟ فهي لا تتمتع بالاعتراف كدولة "شرعية" في المعاهدة المبرمة بين مصر و"ميتاني". حقًا لم يكن لـ "أمورو" هذه وجود خلال عهد الفرعون "أمين – حوتب" الثاني. وكانت المنطقة خاضعة اسميًا لمصر. ولقد وصف "عبدي ـ عشيرتا" نفسه في خطاب إلى الفرعون "أمين – حوتب" الثالث كـ "خادم الفرعون وكلب من كلاب بيته"، وحامى حمى ("سائر أراضي "أمورو") بالنيابة عن جلالته (٢٠٨) ولعله حصل، حقًا وصدقًا، على نوع ما من التعيين (٢٠٠)

ولكنه استخدم تكتيكات تتسم بالاستبداد والعنف في سبيل إيجاد شرعية لنفسه، وفي فرض إرادته على جيرانه، وهو الأمر الذي سبب الحرج الفرعون على أقل تقدير. وقد يحتج "عبدى – عشيرتا" بأنه لم يكن مسئولاً عن الاستيلاء والتدمير الجزئي الذي لحق بمركز الحامية المصرية في "سومور"، إلا أن محاولته مد سلطانه باتجاء الجنوب على حساب "بيبلوس" تخذل أقواله. ولقد كانت قوة التأديب الصغيرة التي أرسلها الفرعون أمين – حوتب الثالث إلى الساحل الفينيقي لإقرار السلام أصغر من أن تفعل شيئًا،

ويتساط المرء حول ما إذا كانت مصر قد أعطت موافقتها، سواء بشكل ضمنى أو صريح له توشراتا كي يظهر على مسسرح الأحداث ويحاول تحييد أمورو. (تشير مراسلاته مع صهره الفرعون أمين - حوتب الثالث، إلى اتفاق تام حول شئون الإمبراطورية،) وتشير خطابات أخيتاتون (= العمارنة) إلى أن الفرعون استبد به القلق لازدهار أمورو، ووصل الأمر به ذات مرة إلى حد محاولة تسيير تجريدة ضدها (١٠٠) وبالتالي وجد عبدي - عشيرتا نفسه مضطراً إلى تقديم نفسه إلى ميتاني، ونسمع عن فرض ضرائب باهظة على أمورو، بعد ذلك (٢١٠)

ولكن اعتراف القوتين العظميين وقت ذاك بـ "أمورو" ومحاولتهما التى وقعت بين الحين والآخر نحو استخدام القمع لم تردع بيت عبدى – عشيرتا". وعندما سقط عبدى – عشيرتا" هذا قتيلاً في ظروف غامضة بنهاية حكم الفرعون "أمين – حوتب" الثالث، استأنف أبناؤه ما بدأه الأب. وسرعان ما تبوأ أحدهم وهو "أزيرو" موقع القيادة. (٢١٣) وضرب حصاراً حول "سومور"، (التي كان المصريون قد انتزعوها بالقوة من سلطان أبيه.) وعندما سقطت "سومور" تحرك "أزيرو" جنوباً على امتداد الساحل كي يستولي على المدينة إثر المدينة، حتى نجح في نهاية المطاف في الوصول إلى "بيلوس"، وقبض "أزيرو" على حاكمها "رب عدى" الذي أرسل سيلاً جارفًا من الخطابات المتوترة إلى الفرعون هالبًا النجدة، وأعدمه. وفي نفس الوقت اتجهت توسعاته باتجاه الشرق نحو تونيب"، وهو الأمر الذي أدى إلى ضمها إلى ممتلكات أمورو"، وكذلك باتجاه غربي – شرقي نحو أعالي "العاصي"، حيث أعطته "إيمكي" الخصيبة إشارة خضراء. وفي الشمال خضعت حتى "أوجاريت" للتهديد. (١٢٢)

كانت التكتيكات التي انتهجها كل من "عبدى - عشيرتا" وولاه "أزيرو" شاذة بمعايير عصرهم، وهو الأمر الذي جعلها تربك خصومهم، مثلما استمرت تربك المؤرخين المدثين. فكلا الرجلين كان تابعًا الحكم المسرى، جرى تنصيبهما، مثلما جرت الأعراف ويخضعان للضرائب المفروضة بصفة منتظمة (مع أن "أزيرو" استخدم خاتمًا رسميًا كملك، واعتبر في وقت لاحق مؤسسًا لأسرة ملكية).(٢١٤) وكلاهما أرسل وتلقى خطابات من البلاط المصرى واتبعا قواعد البروتوكول، ولكن "أمورو" كانت "جالية من العابيري، انبثقت قبل قليل من نوع ما من عصابات الخارجين على القانون، عديمي الانتماء وقطاع الطرق ممن تنتسب إليهم تجمعات "العابيرو"، التي هازت سمعة سيئة (= جُرسة)، في سائر أنحاء المشرق. وكانت تكتيكات تقطاع الطرق تلك هي التي لجأ إليها "أزيرو" في تعاملاته الدبلوماسية مع أقرانه. فطالما كان في وسعه أن يستولى على مدينة ما ويخضعها السلب والنهب أو متى صبار في طبوعه أن يجتاح بلدًا ما، فإنه لم يكن ليتردد لحظة واحدة في الإقدام على ذلك. وإذا ما جويه بمقاومة أو لاح في الأفق أنه سوف يجابه بمثل هذه المقاومة، فإنه كان يلجأ اطريق ملتو: تدبير مؤامرة ضد الحاكم المحلى، أو تحريض الفلاحين على إشعال هبة واسعة النطاق. وقياسًا مع الفارق Mutatis mutandis فمثل هذه التكتيكات ليست غير مثاوفة في الشرق الأوسط: ففي أي فترة زمنية يستطيع أي شخص ميسور الحال، خارج على القانون ويمتلك لسانًا معسولاً أن يقنع الفلاحين في الغالب بالانضمام إليه. ولكن مثل هذه الهبات الفلاحية المتوطنة اندلعت، في الحالة الراهنة حيثما قامت دولة، تمثل جوهر الـ "عابيرو" كي تواجه وتصطدم بالمجتمعات المستقرة الزراعية. والحقيقة أن المشكلة التي وضعتها "أمورو" لجيرانها كانت فريدة في نوعها في منطقة سيوريا الداخلية Syria Secunda وأواسط فينيقيا: لا ينبغي أن يُفسُّر الأمر باعتباره نوعًا من التوبّر الذي انتشـر في النسيج الاجتماعي ل 'كنمان" في ذلك الوقت، و'إله يخرج من الماكينة' Deus ex machina (حل مقتعل يأتي من خارج الأحداث في مسرحيات العصور الوسيطة في أوروبا - المترجم) كي يفسر أنا أصول "إسرائيل".(٢١٥)

لولا النتائج غير المتوقعة التي ترتبت على التوسع الذي قامت به "أمورو"، لكان في وسع المرء أن يصيفه بأنه "زويعة في فنجان"، إذ كانت أعين المعاصرين جميعًا مركزة، بكل تأكيد، ليس على أواسط لبنان، بل على هضبة الأناضول. فمن هنا كانت سلالة

أسرة "تودخالياس" Tudkhaliyas لا تزال تواصل ضعوطها على "ميتاني" مع إبقاء مطالبها بإطلاق يدها في شعال سوريا على قيد المياة. ومرة أخرى تحت ظل "هاتوسيليس" الثاني عند نهاية القرن الخامس عشر أثبت الاهتمام العميق للحيثيين ب تحلب أنه اهتمام محوري في تورطهم في الصدام الذي أوقعهم فيه سوء الحظ وحده مع 'ميتاني'. فلقيد سعت دولتا 'أشتاتا' و 'نوخاششي (جنوبي وشرقي 'حلب') إلى التوسع على حساب تحلب بعد فقدها لاستقلالها من مدة طوبلة، والتعسديل الناجم عن ذلك الذي قام به ملك 'ميتاني' للحدود كان سببًا لـ "خياتي" لنصب الصرب casus belli) وتعكس الأحداث التالية حركة المد والجزر في حظوظ المهاجمين: أرسل الحيثيون "سوبيلوليوماس"، ولى العهد لتنفيذ عمليات عسكرية بالقرب من "جبل كاسيوس" Mount Casius في الأراضي التي كانت تابعة فيما مضي ال تحلب" (۲۱۷) لكن "ميتاني" كانت قادرة على صرف "كيزو - وادنا" Kizzuwadna التي تتمتع بموقع إستراتيجي مهم عن الالتزامات التي تفرضها معاهدتها عليها تجاه الحيثيين. (٢١٨) وسرعان ما روجعت الخطوة الأخيرة: فرض "سوبيلوليوماس" عددًا من المعاهدات على "تلزوش" Talzush ، ملك "كيزو - وادنا" وعقب ذلك مباشرة على خلفه "شوناش - شورا" Shunashshura الثاني، بل واستطاع أن يعين ابنه شخصيًّا كرئيس للكهنوت هناك. ولكن ذلك لم يكن إلا من باب "المعاملة بالمثل": quid pro quo ، إذ كان "إشووا" Ishuwa (وهو إقليم "مالاتايا" Malataya في أعالى "الفرات") قد انشق في وقت سابق عن "خاتى" كي ينضم إلى "ميتاني". (٢١٩) ووصل اصطياد البيادق من الجانبين في لعبة الشطرنج الحاذقة هذه إلى مرحلة مهاجمة القطع ذات القيمة الأكبر عقب وصول "سوبيلوليوماس" إلى العرش.(٢٢٠) فلقد منح نزاع محدود نشب بين "توشراتا"، ملك "ميتاني" وبين أحد الذين ارتبطوا به "ميتاني" في الماضي برباط التبعية، هو 'ساروبسي' Sarrupsi حاكم 'نوخاششي' الفرصة التي ينتظرها 'سوبيلوليوماس' كي يتدخل. وبينما استبد الرعب به "أميشتامرو" Ammishtamru حاكم "أوجاريت" لِرأى الجيش الحيثي وقد استعد للتحرك، وأرسل نداءً بانسًا إلى الفرعون "أمين -حُوتب الثالث طالبًا العون، (٢٢١) كانت نوايا الحيثيين تتجه إلى ناحية أخرى، وكانت تك النوايا مركزة بشكل أدق. إذ شقت القوات الحيثية طريقها عبر "طورس" إلى توخاششي، بناء على طلب، في الظاهر، من جانب "سارويسي" وأعقب ذلك نشوب معركة خاضتها القوات الحيثية وتلك الميتانية. وادعى كل طرف منهما أن النصر قد حالفه، ولكن الأمر انتهى بهما، على وجه الترجيح، إلى حالة من الجمود: استطاع سوييلوليوماس فرض وضع التابع على ساروبسى - وهذا هو التابع الأول لأى ملك حيثى جنوبى طورس - ولكن توشراتا تمكن من الابتهاج بصده للعدو وأرسل بعض الغنائم إلى مصر (٢٢٢)

يبدو أن سوبلوليوماس ارتأى أن الموقف قد تدهور حقًا وصدقًا إلى حالة الجمود. وعندنذ كان الوقت قد حان أمام سوبيلوليوماس كى يأخذ خطوة جسورة فى اتجاه أخر، وهذا ما أقدم عليه بخطب ود مصر. فلم تكن مصر أو خاتى قد انخرطتا فى أى وقت من الأوقات، فى أى عمل عدائى الواحدة ضد الأخرى، بل ويمكن التماس الدليل على توطد أواصر الود بين البلدين فى الهدايا التى تبادلها البلاطان المصرى والحيثى خلال حكم الفرعون "تحوت – موسى" الثالث. ففى الحد الأدنى قد تنجع مبادرات سوبيلوليوماس هذه فى تحييد الفرعون وتثبيط عزمه على تقديم يد العون لا ميتانى"، وفى الحد الأعلى تدق إسفينًا بين الملكين "الشقيقين" وتقضى على التحالف بين مصر و "ميتانى".

يزعم "سوبيلوايوماس" - في حولياته - أن الفرعون "أمين ـ حوب" الثالث طلب تطبيع العلاقات بين مصر و "خاتى" (٢٢٢)، ولكن سواء أكان ذلك صحيحًا أو غير صحيح، فلقد كان هو، بكل تأكيد، الذي بدأ بمفاتحة "أخناتون" (= أمون - حوب" الرابع) في هذا الصدد. ففي خطاب نجا من صروف الظروف لحسن الحظ كي يصل إلينا من جسمور رسائل "أخيتاتون" (= العمارنة) نراه يخاطب الفرعون به "الشقيق" ويهنئه على الجلوس في العرش، ويعرب عن الرغبة في تبادل الهدايا مع الفرعون، من ذلك النوع للعروف الذي يجرى بين الملوك الذين تربطهم علاقة تصالف قائم على الأخوة بينهما (٢٢٢) وقد حققت مبادرات "سوبيلوليوماس" هذه قدرًا لا بأس به من النجاح. فلم طيبة مع "توشراتا"، بلوفترت العلاقات بينهما بشكل متسارع خلال السنوات الخمس التالية، وهو الأمر الذي أدى، أول ما أدى، إلى استياء "توشراتا". (٢٠٢٠) وكان مبعوثو المولة الحيثية حاضرين في عيد "أخناتون" الثلاثيني (= الحب - سد) في السنة الثالثة له في العرش. (٢٢٢) وأذا بنا نسمع، عقب ذلك بوقت قصير، عن قرب إبرام تحالف بين مصر و "خاتي". (٢٢٢)

سنحت الفرصية لذلك خلال نزاع نشب حول وضيع أراضيي إيشو- وا · Ishuwa ، إِلاَّ أَنْ هَذَا النَّرَاعَ سَرَعَانَ مَا أَتَضَحَ أَنَّهُ نَزَّاعَ فَأَرْغَ، غَيْرَ أَنَّهُ نَهِضَ مَبْرَزًا لحملة كَبْرِي في سنة ١٢٧٧ق.م. على وجه التقريب. (٢٢٨) وأنزل سوبيلوليوماس الهزيمة بـ إيشو - وا وعندئذ استدار بصورة مفاجئة جنوبًا واندفع نحو "واسوكاني" Wassukani ، عاصمة "ميتاني". ولما لم يستطع "توشراتا" حشد قواته في الوقت المناسب، فلقد ولى الأدبار مع أسرته، وهو الأمر الذي يشبه إلى حد كبير، ما أقدم عليه "باراتارنا"، خصم "تحرت -موسى" الثالث قبل ذلك التاريخ بنحو قرن من الزمان، إلا أن فرار "توشراتا" كأفه ضياع إمبراطوريته. ثم تحول 'سوبيلوليوماس' في اتجاه الغرب كي يعبر نهر 'الفرات' ويدخل سوريا دون عائق. وتلقى "سوبيلوليوماس" في موكيشي" استسلام إمارات شمال سوريا باستثناء تنييا التي قاومت، مما اضطر سوبيلوليوماس إلى إلحاق الهزيمة بها في أرض المعركة، وواصل أسوبيلوليوماس تقدمه حتى "نوخاششي" كي يتلقى، بالمثل، مراسم الولاء. واكن كلاً من "شوتاتارا" Shutatara ملك "قادش" و آرى - وانامي " Ariwanahi حاكم "أبينا" Abina هاجما "سوبيلوليوماس". (٢٢٩) ولكن الهزيمة كانت في انتظارهما معًا، وقام "سوبيلوليوماس" بإرسال جميع المتمردين مع عائلاتهم إلى خاتوساس". وفي ضربة واحدة ضم "الميثينون" كلاً من "موكيشي" و "حلب" ونوخاششى وأقاموا حدودهم في جبال لبنان.

ولعله من الشائق أن نتكهن بالكيفية التى نظرت خلالها مصر إلى مشروعية التوسعات التى أقدمت عليها "خاتى". إلا أن "سوبيلوليوماس" أوضح فى روايته للأحداث أن حملته تستهدف، وحسب، الإمارات التابعة لـ توشراتا". وكان ذلك مقصوداً. فحتى ذلك الوقت لم يكن هناك نزاع بينه وبين مصر. فلم يهاجم "أوجاريت"، ولا أيًا من المدن الفينيقية. (٢٢٠) كما لم يهاجم "أمورو" أو "إيمكى"، فضلاً عن أنه احترم الحدود التى تقوم عند "العاصى". وبطبيعة الحال كان ينبغى على أخناتون أن يهب إلى نجدة توشراتا" بحكم علاقات "الأخوة" التى تربطهما، إلا أن الجائس على عرش مصر لم يكن يحب "ميتانى" ولم يحرك ساكنًا. وبكل تأكيد لم يكن هو الذى فوض شوتاتارا"، مصر لم يكن يحب "ميتانى" في مقاومة تقدم الصيتيين، وكان "شوتاتارا" هو الذى تصرف

بصورة تلقائية بصفته رأس الطابور الصريص على حماية المدود نيابة عن سيده. والحقيقة أن "سوبيلوليوماس" أظهر درجة من الحساسية تجاه العلاقة الخاصة التى تتمتع بها كل من "نييا" و "قادش" مع مصر: إذ سمح لاثنين من المتمردين هما "أدو - نيرارى" Addu-nirari ابن "شوتاتارا" حاكم "قادش" بعد احتجازهما لمدة قصيرة في "خاتوساس" بالعودة إلى مسقط رأسيهما. وكان الأول قد ظل يؤمل خيرًا في المساعي الحميدة التي تبذلها مصر بصفة مستمرة، أما الثاني فقد رأى ما خطه الأول على جدار السجن.

ولابد أن أعقب ضم الحيثين لممتلكات ميتانى في سوريا، مباشرة، وبعد أن قامت حدود مشتركة بين مصر و خاتى الأول مرة، إبرام معاهدة بين سوييلوليوماس ويين اخناتون لتنظيم العلاقات بين الدولتين، وبصفة خاصة رسم الحدود المشتركة. وقد وقع نظر مورسيليس الشاني، بن سوييلوليوماس ملى نسخة (إمسامة) من هذه المعاهدة التي جزم بأنه لم ينقضها بأي طريقة كانت، وسرعان ما اكتسب القرار الذي توصل إليه الجانبان حول الحدود قوة قانونية وحظى بالاحترام لمدة طويلة، ولم يُخرق إلا لما المناه الما المناه الما المناه الما المناه الما المناه ا

وفى الوقت الذى لا يتعين علينا أن ننشغل طويلاً هنا بالبحث عن السبب (٢٣٦)، إلا أن 'أخناتون' لم يكشف بشكل صريح عن نواياه تجاه إمبراطوريته الآسيوية. فكان ينتهج سياسة تتسم باللين فى مناسبة ما (٢٣٦) وفى مناسبة أخرى تراه يستأصل تجمعًا كامبلاً ويقوم بترحيله إلى النوية (٤٣٢) وقد يتجاهل المراسلات ويترك الرسل ينتظرون فى البلاط السماح بلقائه لسنوات، ومع ذلك يستطيع أن يدعو على وجه العجل الحكام المحليين فى سائر الإمبراطورية إلى عيده الثلاثيني (٢٢٥) غير أن مصر لم تفقد سلطانها الأكبر على رؤساء "كنعان فى أى وقت من الأوقات، وإذا أخطأوا فى قياس عزم "أخناتون" فإن ذلك لم يكن يعنى سوى أنهم لم يتمتعوا بالتنبؤ بالمستقبل.

فى وقت ما خلال العقد الذى أعقب الحملة التى قام بها 'سوبيلوليوماس' فكرت الدول السورية بصورة جادة فى التنصل من القسم الذى أقسسوه بالولاء له. (٢٣٦) ولقد كتب أبو - نيرارى حاكم توخاششى بشكل مباشر إلى أخناتون ، وتشفع أكيزى ا

حاكم قطنة نيابة عن الملوك الآخرين، في طلب العودة إلى حظيرة الفرعون، فيما تضرعت تونيب لفرعون كي يرسل إليها حاكمًا يسوس أمورها. (٢٢٧) وأخيرًا أقدم المتأمرون على اتخاذ خطوة: شكّل إتورادو الانتعاطا حاكم موكيشي و "ادو نيراري" حاكم نوخاششي و "اكي - تيشوب Aki-teshup حاكم "نييا" عصبة لغرض خاص هو نبذ ولائهم له خاتي وحاولوا إجبار "نيكمادو" الثاني حاكم "أوجاريت" على الانضمام إليهم وإلا واجه الغزو. ولكن المفاجأة جات الآن: "نيكمادو" ربيب مصر المخلص، الذي كان قد تزوج من مصرية ووطد علاقاته مع مصر غير موقفه بزاوية ١٨٠ للخلص، الذي كان قد تزوج من مصرية ووطد علاقاته مع مصر غير موقفه بزاوية كي درجة، وعوضًا عن أن يناشد فرعون مصر، توجه بمناشدته نحو ملك "خاتي" كي ينتشله من ورطته. ولم يتوان "سوبيلوليوماس" في انتهاز الفرصة. فلقد وصلت خطابات ينتشله من ورطته ولم يتوان "سوبيلوليوماس" في انتهاز الفرصة. فلقد وصلت خطابات أنجاريت". وحضر "سوبيلوليوماس" شخصيًا إلى "ألالاخ" وعبر "نيكمادو" نهر ألعاصي" كي يرتمي على بطنه ساجدًا أمام الملك العظيم. وهكذا اختارت "أوجاريت" العاصية أن تنشق على مصر (٢٢٨)

ولكن سوبيلوليوماس لم يكن قد ارتوى، فلقد عبر مرة أخرى إلى توخاششى كى يتخذ مقراً له فى نييا على وجه الاحتمال، وهنا بات من المتوقع أن يهرع ملوك المقاطعات المحلية والأراضى الواقعة فى أعماق الجنوب إليه كى يجددوا قسم الولاء. إلا أن كلاً من أكيرنى ملك قطنة و بيريا - وازا Вігуаwaza حاكم أوب " وبو رفضا الذهاب إليه، طللا كانا مندوبين ساميين لمصر (٢٢١) وبسبب هذه الإهانة هاجمت القوات الحيثية قطنة وأخر ما سمعناه منها هو الصيحة التى تثير الشفقة من أكيزى بأن الحيثيين يأسرون الرجال فى المدينة ويستواون على ممتلكاتها. وعقب ذلك بوقت وجيز أسلم الحيثيون المدينة للتخريب بما لم تعد معه صالحة مرة أخرى للسكنى (٢٤٠) أما "بيريا - وازا" فنظراً لتحصنه فى الأعالى فى أوب" التى تحتاج إلى جهد أكبر للوصول إليها، فلم يتعرض لهجوم الحيثين. غير أن "إيتاكاما" الذى صمم على تحسين صورته أمام "سوبيلوليوماس" قاد فصيلة صغيرة من الجنود الحيثيين كى يعيث نهبًا في المنطقة (٢٤٠)

ولم يخطئ "أزيرو" فهم كل ما تنطوى عليه هذه الأحداث. فلقد استولى الحيثيون على مدينتين - دولتين، كانتا في الأونة الأخيرة وحسب، جزءًا لا يتجزُّأ من الإمبراطورية المصرية في أسبيا، ولحق التخريب بواحدة منهما، ولم يعد "سوييلوليوماس"، كما هو واضبح، يراعي دقائق السلوك التي تقعده عن استهداف أي ممتلكات، سوى تلك التي كانت تتبع "ميتاني"، بصرف النظر عن المبررات التي يكون قد ساقها لهذا الموقف. وكان "أخناتون" قد ظل يلزم موقف المسمت طوال كل ما دار، في الوقت التي كانت حدوده الشمالية تتعرض للزعزعة، وراجت شائعة وقت ذاك بأن "أخناتون" أن يحرك ساكنًا. '(٢٤٢) لكن 'أزيرو' كان قد صمم، حتى قبل أن يصل الحيثيون إلى سوريا، أن يغتنم الموقف عن طريق عقد التحالف مع 'إيتاكاما' في محاولة منه كي يستولي على كل ما يستطيع الاستيلاء عليه في ذلك الوقت الذي كان يشهد انهيار الحدود. فأرسل "أزيرو" قواته كي تساعد "إيتاكاما" ضد "إيمكي" و"أوب" كما قام هو شخصيًا باحتلال تونيب". (٢٤٢) وعندما تقدم الحيثيون صوب "نوخاششى" أكرم وفادة الرسل الذين بعث بهم إليه "سوييلوليوماس"، ولو أنه لم يتوجه شمالاً للترحيب بالملك الحيثي. (٢٤٤) ومع ذلك فلقد أثبت ذلك أنه أكثر مما يحتمل "أخناتون" المكتوف اليدين، فقام باستدعاء "أزيرو" إلى البلاط المصرى. وفي طريقه إلى هناك، بعد تأجيل سفره المرة بعد المرة، (الأمر الذي يوحى بالإصرار العنيد) رافق النقيب المصرى الذي أرسله البلاط المصري لإحضاره إلى مصر .(٢٤٥)

استمر احتجاز البلاط المصرى لـ 'أزيرو' سنوات عديدة، وخلالها ربما يكون قد داهمه العمن، ولكن ذلك لم ينل سواء من روحه أو عزيمته، وعندما حصل على الإفراج شعر 'أخناتون' على وجه الاحتمال أنه خسر أحد رجاله. (٢٤٦) وذلك لأنه "لم يكد يخرج من باب مصر' ويعود إلى 'أمورو'، حتى خر ساجداً أمام الشمس، الملك العظيم، ملك 'خاتى' وعرض نفسه كتابع له. وهكذا كانت 'أمورو' قد انشقت على الإمبراطورية المصرية التى كانت حدودها قد تراجعت وقت ذاك إلى جنوبى وادى نهر "الكبير'. (٢٤٧)

الحرب المصرية - الحيثية:

تكشف النتائج التي نجمت عن كل ذلك أنه بينما رأى الميشيون في حدودهم الجنوبية الجديدة حدودًا تتمتع بالاعتراف القانوني، وإن مصر لم تقبل أبدًا خط الحدود الجديد، فخلال نسوع غسريب من "المراجعية" revisionism استطاع الحيثيسون، خلال الأجيال اللاحقة أن يروا في الدول الواقعة شمالي خط الصدود الجديد كافة، بما في ذلك "قادش" و أمورو" توابع سابقة في وقت أو أخر له "ميتاني"، وبالتالي فرائس مشروعة. (٢٤٨) ولكن مصر كانت غير مستعدة لقبول هذه "الحقيقة" السياسية الجديدة. وقدرت أن "خاتى" تنتهك بصورة سافرة المعاهدة المبرمة بينهما، وهو الأمر الذي أدى إلى نشوب حرب متقطعة بين البلدين حول الحدود، استمرت لمدة قرن. وأصبحت "قادش" منذ البداية هدفًا للهجمات المصرية والضغط السياسي، ونجح الفرعون، من وقت الآخر، في تحويل المدينة ضد الحيثين. (٢٤٩) ففي إحدى المرات توغلت حملة من "بيبلوس" حتى "كاركميش"، وهو طريق كان يمر بقوات التجريدة المصرية خلال أراضي "أمورو"، ولكن النجاح الذي حققته هذه المغامرة لم يدم طويلاً.(٢٥٠) وكانت "خاتي" توجه ضبرياتها الانتقامية، عادة، ضد "إيمكي"، ولكن الحيثيين كانوا عاجزين عن إحداث تغيير دائم في خط الحدود. وجاء التماس أرملة الفرعون "تـوت عنع أمـون" لـ "سوبيلوليوماس" أن يرسل إليها أحد أبنائه كي تتزوجه، واغتياله على إثر ذلك كي يقدم أقل القليل في سبيل حسم القضية، وإن كان قد أشعل المشاعر بصفة مؤقتة. (٢٥١)

وقف سببان على الأقل وراء حالة الجمود التى وصلت إليها الأمور، فمن جانب وضعت الجغرافيا صعوبة متزايدة أمام كل من القوتين العظميين اللتين يفصل بينهما ألف وثلاثمائة كيلو متر، كى تحكم سيطرتها، بصورة فعائة، على أى أراض فيما وراء وادى نهر الكبير". فشمالي هذا الخط تقع مدينة/بولة على بعد مسيرة ثلاثة أيام من الحاميات الحيثية في شمال سوريا، وجنوبية كانت المعاقل المصرية في فينيقيا" وفي أوب" تستطيع بسهولة أن ترصد تحركات العصاة في أعالى "العاصى". حقًا لم تصب الإرادة المصرية بانهيار كامل في الحفاظ على حدود الإمبراطورية، إلا أن الهجمات (المصرية) المستمرة على طبول الحسود لم تصادف سوى نجاح تكتيكي محدود، وهو الأمر الذي يؤدي بالتالي إلى الإحباط وتضعضع الروح المعنوية.

ولكن بشقى علينا أن نرصد عاملاً أكثر دهاءً في العلاقات الرسمية التي صاغها الحيثيون كي يربطوا إماراتهم التوابع ببلادهم خاتي . وكانت أليات الإمبراطورية المسرية مصاغة لخدمة أغراض مؤقتة ad hoc كما كانت الطلبات التي تطلبها من أعضاء الإمبراطورية غير منتظمة ومفرطة في إيثار مصالحهم على مصالحها. وكانت تقديرات الضرائب تتغير، من سنة الأخرى، على وجه التقريب، وكانت هذه التقديرات تُتقل إما عن طريق الرسائل أو محاسب يحدد حجم الضرائب. ولم يكن مطلوبًا من الحاكم التابع أن يأتي إلى مصدر بصفة منتظمة، ولكن كان يجد لزامًا عليه أحيانًا أن يتجه إلى هناك بناء على اخطار وقيتي (=ابن لحظته) إذا طلبه الفرعون. وتمثلت الرابطة القانونية الوحيدة بالتاج المصرى في القسم الذي كان الفرعون ينْخذه عليه بنالا يتمرد، وكان هذا القسم يؤخذ شفويًا، ولا نملك ما يشير إلى أن القسم كان ينقل إلى الورق. أما ملك الحيثيين فكان، على العكس من ذلك، يدوِّن لكل تابع من توابعه معاهدة رسمية، كانت تنص بشكل مفصل (بصرف النظر عن الديباجة التاريخية) على مطالب الملك الحيثي. وكان لزامًا على التابع أن يتوجه بصفة سنوية إلى العاصمة تخاتوساس وأن يدفع الكميات المحددة من الضرائب. ولم يكن من حقه أن ينتهج سياسة خارجية مستقلة، ولكن كان عليه أن يصادق أصدقاء "خاتى" ويعادى أعداءها (٢٥٢) وإذا شن الملك الميثى المرب، تعين على التابع أن يساعده بإرسال قوات معاونة، وأن يسلم أي هاربين إلى "خاتى" بصفة فورية (٢٥٣) وكانت المعاهدة تحدد، وقت تدوينها، القوى الأجنبية، التي تقف موقف العداء من "خاتى"، أما أوائك الذي تقع بلادهم على الجبهة الجنوبية (مثل "أزيرو" و "دبي - تيشوب" Duppi-Teshup) فكان يحظر عليهم الدخول في أي تعاملات مع مصر. (٢٥٤) إلا أن مثل هذه المعاهدات التي تلزم طرفًا واحدًا، التي أبرمتها "خاتى" مع توابعها، لم تمنع هؤلاء التوابع من ممارسة قدر من الحرية في التنافس على احتلال مكانة أرفع فيما بينهم. إذ كان في وسعهم أن يتخاصموا أمام القانون.(٢٠٥١) وأن يعقنوا الزيجات.(٢٥٦) بل وأن يعدلوا "الولامات" الداخلية فيما بينهم. (۲۵۷) حقًا كان كل ذلك يمكن أن ينعكس، أيضًا، على هيئة شروط عمومية تحت ظل الهيمنة الممرية، إلا أن إضفاء الطابع الرسمي على العلاقات في معاهدات مكتوبة جعل من الأسهل فرض العقوبات على المخالف.

بحلول منتصف القرن الرابع عش ق.م. كانت الأسرة الثامنة عشرة قد فقدت كل ثقة رعاياها فيها وكل احترام لها من جانبهم. فلم يترك الفرعون الشاب "توت – عنخ – أمون" وراءه سليلاً من البيت المالك كي يجلس على العرش، وسرعان ما استولى العسكر على مقاليد الحكم. وكانت المناشدة التي تجتذب الشفقة وتدين نفسها بالفيانة، في نفس الوقت، التي أرسلتها أرملة "توت – عنخ – أمون" إلى "سوبيلوليوماس" تطلب مساعدتها، كما تطلب أحد أبنائه زوجاً لها، هي أخر صرخة نسمعها من عائلة مالكة كانت يوماً ما عظيمة. وفي ظل القيادة النشطة، ولو أنها كانت إلى حد ما مرتجلة، لثلاثة قواد جلسوا في العرش الواحد بعد الأخر، وهم: "أي" (١٥٦٦-٢٦٣ ق.م.) و "حور – إم – حب" (١٦٥٧-٢٣٢ ق.م.) و "رعمسيس" الأول (١٣٦٧–٢٦٢ ق.م.) – عرفت مصر إعادة التنظيم على المستوى الداخلي وتدعيم خطوط الاتصال مع أسيا الغربية. (٢٥٨)

حقًّا لم تتنازل مصر، وهذا أمر واضح تمام الوضوح، عن أي جرء من إمبراطوريتها الأسيوية خلال فترة "أخيتاتون" (= العمارنة)،(٢٥٩) فيما عدا "أمورو" و"قادش"، إلا أنه من الجلى للعيان أن الربع الثالث من القرن الرابع عشر شهد تعرض ممتلكاتها في الشمال اضغوط جديدة. فالنجاح الذي حققته جيوب الـ "عابيرو" الواقعة في شمال لبنان في سبيل صوغ مملكة لهم لا يدانيه أي نجاح مماثل قامت به في أي مكان أخر عصابات الـ "عابيرو" المنتشرين في "إيمكي" Amki و "باشان" Bashan ومرتفعات فلسطين عند نهاية الفــترة التي تغطيها رسائل 'أخيتانون' (=العمارنة). حقًا رحُّل أخناتون بعض رعايا إيمكي ونصب حاكمًا عسكريًا في أورشليم كي يضع أولئك الذين يعيشون في البلاد الجبلية تحت الرقابة، ولكن منذ عمليات الترحيل الكبرى التي قام بها كل من تحوت - موسى" الثالث و "أمين - حوتب" الثاني، أخذت الإمبراطورية الشمالية تعانى وخصوصنًا فلسطين من ضعف مطرد نجم عن التخلخل السكاني الذي حدث. ولم تنتهز عصابات الم عابيرو، قطًّا ع الطرق الفرصة التي سنحت وقت ذاك بالفراغ الذي حدث في المرتفعات وحسب، بل بدأ البدو أيضًا من سكان الضفة الغربية في الانتقال شمالاً إلى "الجليل" وسوريا، وغربًا عبر "النقب" إلى "غزة" و "عشقلون" والطريق السريع الذي يربط مصر مع فلسطين. ويبدو أن الضغط الذي شكًّاه هؤلاء السلابون - النهسابون هو الذي يقف، عند نهاية عصر 'أخيتاتون' (= العمارنة) وراء تحصين هذا الطريق ببناء سلسلة من الحصون على امتداده.(٢٦٠) أشار ارتقاء "با - رع - ميسى" العرش باسم "رعمسيس" الأول إلى ولادة أسرة جديدة. فلقد انتهت خمسون سنة من تولى عرش البلاد بالتعيين باختيار الفرعون، الذى كان، على ما يبدو قد طعن فى السن وقت ذاك ودب فى جسمه الوهن، ابنه "سيتى"، خلفًا له. ومع تدهور صحة الوالد انخرط الابن بصورة نشطة فى مهام الحكم. (٢٦١) واستلهامًا الرطان الذى ظل يُستخدم لسنة قرون، أعلن "سيتى" بدء حقبة جديدة تتميز بعبارات من هذا القبيل: "تجديد الميلاد" و "بداية الأبدية" (٢٦٢)

وفي سبيل ترجمة ذلك إلى خطوات عسكرية، استتبع التجديد استئناف سياسة خارجية هجومية تذكرنا بسياسة الفرعون "تحوت -- موسى" الثالث. وكان لـ "ستى" أن يصبح "ذلك الذي يستطيع أن يمد حدوده إلى حيثما يثناء... حامى مصر الذي سحق الأجانب وفرض الضضوع على أبناء سائر البلدان في عقر دارهم. (٢٦٢) ولقد أعلنت العديد من صواديد/ألواح النصر نجاحاته في هذا السبيل، وكانت غالبًا ما يجرى تقديم تاريخها إلى السنة الأولى من حكمه طلبًا لقوة التأثير الذي يتركه ترحيل التواريخ إلى الوراء، إلا أننا نفتقر إلى رواية رصينة ومتسقة الأجزاء مثل تلك التي تفضل بها علينا الفرعون "تحوت ـ موسى" الثالث. فالمصدر الرئيسي عن حروب "سيتى" لا يزيد عن جداريات المعارك التي تتسم بجمال باهر، تلك التي نحتت على الواجهة الخارجية المعانط الشمالي لقاعة الأعمدة المسقوفة في معبد "آمون" في الكرنك، إلا أن السجلات العلوية من هذه الجداريات أزيلت، ولم يتبق سوى نصوص تافهة خالية من أي قيمة تاريخية. (٢١٠) ولقد علقت أحدث محاولة لتفسير ترتيب المناظر والسجلات المكتوبة في عنقنا جميعًا دينًا للعالم "دبليو. جي، مورنين" المناسلس. «١٥٠) ولعلى أسير هنا، بصفة عامة، على هدى النتائج التي توصل إليها في هذا الصدد.

بعد وقت قصير من وفاة الوائد تلقى الفرعون "سيتى" تقريرًا من أحد رسله عن الأوضاع فى فلسطين: "رؤساؤهم تجمعوا سنويًا فى مكان واحد، وقد اتخنوا موقعهم فى أعالى جبال فلسطين. كما دبت الفوضى فيما بينهم، فكل منهم يقتل زميله. ولم يعودوا يعيرون قوانين القصر أدنى اهتمام. (٢٦١٦) غير أنه لا ينبغى لهذا الوصف أن يحظى منا بوزن أكبر مما يستحق، فهو جزء من حديث قديم مكرور يجرى خلاله استدعاء حالة الفوضى كسب كاف لتوجيه ضربة عسكرية: يتعين استعادة سيادة

القانون والنظام. وكان التقرير الذي رُفع عن "بيت شان" بأن ملكًا كنعانيًا يشن هجومه عليها دون أن تتمكن من المصول على أي عون، أكثر تحديدًا. (٢١٧) ونجح الفرعون سيتى في إجبار البدو على التقهقر بعد قطعهم الطريق السريع الذي يربط بين مصر و غزة ولم يجد صعوبة تذكر في رفع المصار عن "بيت شان". وحتى عندما أثار الد عابيرو"، سكان المرتفعات الوسطى، المتاعب لمؤخرة الجيش المصري، كانت فصيلة مصرية صغيرة كافية لإخماد الفوضى. (٢٦٨) وعندنذ تقدم المصريون في اتجاه الشمال كي يستولوا على "ينوعام" قرب منابع نهر الأردن، وهناك تلقى المصريون فروض الطاعة والولاء من "كبار رؤساء لبنان" الذين أجبروا كعمل من أعمال الامتهان العمدي على أن يقطعوا بأنفسهم الأخشاب اللازمة من غاباتهم لبناء مركب "أمون". وقبل أن يقفل الميش عائدًا إلى الوطن نصب عداً من الصواديد/ الألواح في كل من "با " شان" و"صور" (٢٦٨)

ولم تكن هذه الحملة سوى البداية. فلقد كان الفرعون "سيتى" يتبع، سواء بشكل واع أو غير واع الإستراتيجية الشاملة التى سبق للفرعون "تحوت - موسى" الثالث أن انتهجها. ففى تاريخ غير معروف، ولكن بعد سنته الثانية فى المكم، تقدم الفرعون "سيتى" صاعداً عبر الساحل كى يوجه ضربة إلى "أمورو"، ثم عبر الجبال كى يهاجم "قادش" (٢٧٠) وسقطت "قادش" فى أيدى المصريين ونصبوا صادودًا/لوحًا تذكاريًا داخل أسوارها. وفى حملة تالية نجد الفرعون يتوغل أكثر شمالاً كى يخوض المعارك ضد الحيثيين أنفسهم، ومن الجلى أن تحركات الفرعون كانت قد أثارت ثائرة "مورسيليس" التجوز ودفعته إلى اتخاذ رد فعل ما (٢٧١)

ولما كنا نعتمد على الدعايات التى تتسم بالتعميم لجدارية الحرب فى إعادة تركيب وقائع الحرب المصرية – الحيثية خلال حكم "سيتى"، فإننا نشعر بصورة حادة، بالافتقار إلى تلك الثروة من التفاصيل التى كانت لتأتى من أرشيفات رسمية من وزن رسائل أخيتاتون" (= العمارنة) أو نصوص "بوغاز – كوى"، فلم ينج من صروف الظروف أى أراشيف للسنوات الأخيرة من حكم "مورسيليس" الثانى أو كل الفترات القصيرة التى جلس خلالها على العرش "مواتاليس" Muwatalis و "بورى – تيشوب" Urhi-teshup وألوثائق التى تشير إلى هذه الفترة من فترات الحكم اللاحقة تكشف في بعض الأحيان عن مجادلات لا تتسم بالحيدة.

وعلى وجه المصوص يود المرء لو يعرف ما إذا كان "سيتى" خلال شن الحرب على كل من "أموري" و"قادش" ويعض المناطق في الشمال، يتحدى معاهدة ما كان لزامًا عليه أن يتقيد بنصوصها. وإذا استثنينا معاهدة 'كوروشتاما' Kurushtama التي يكتنفها الغموض، فإننا لا نعرف إلا اتفاقيتين رسميتين كانتا ساريتين قبل المعاهدة المصرية -الحيثية العظمي التي أبرمها الفرعون "رعمسيس" الثاني في السنة الحادية والعشرين من حكمه. وقد ألمت بشكل موجز ديباجة المعاهدة الأخيرة إلى هاتين المعاهدتين بصفتهما لا تزالان ساريتي المفعول، إحداهما تحت ظل سوييلوليوماس" والأخرى تحت ظل مورسيليس الثاني.(٢٧٢) والأدلة التي نملكها تحت أيدينا تستطيع طياتها أن تفسح المجال لمعاهدة أبرمت خلال حكم سوبيلوليوماس، كما سبق لنا أن رأينا. (٢٧٣) ولكن المعاهدة المبرمة مع "مورسيليس" تطرح مشاكل تتصل بالسياق التاريخي. إذ لم يصل إلى علمنا إبرام أي معاهدات طوال الفترة منذ السنوات الأخيرة من حكم "سوبيلوليوماس" حتى تلك المعاصرة لحملات "سيتى". ولكن هناك ذكر في فقرة مهشُّمة تعود إلى حوليات السنة السابعة من حكم "مورسيليس" لـ "معاهدة" ولـ "فرعون مصر"، إلا أن الإشارة الأولى ربما تقصد معاهدة بين خاتى و نوخاششى (٢٧٤) ولقد أكد "مورسيليس" في موضع آخر، مع إشارة محددة إلى نسخة (=إضمامة) لمعاهدة قديمة ترسم خط الحدود بين الإمبراطوريتين، الحقيقة التي تقول إنه لم يفعل سوى الالتزام بالاتفاقية الذي ورثها عن أبيه، ولم يدخل أي تعديل على توازن القوى مع مصر. (٣٧٥) ويقع هذا الإقرار من جانبه في أواسط حكمه، إلا أننا نواجه هذا التساؤل: وماذا حدث بعد ذلك؟ هل يمكن الشراسة التي اتسمت بها قوات سيتي والظفر الذي حققته أن يكونا قد أجبرا "مورسيليس" العجوز على أن يجنح للوفاق في السنوات الأخيرة من عمره؟

يصعب على المرء أن يحدد أبن كان يمر خط الحدود على وجه التحديد عشية وفاة الفرعون "سيتى". ففى وقت أو فى آخر اضطر المسريون إلى التخلى عن "قادش" لأنها وقفت إلى جانب "خاتى" في المعركة التى خاضها الفرعون "رعمسيس" الثاني في السنة الخامسة من حكمه، ويتساط المرء حول ما إذا كانت معاهدتنا المظنونة في أواخر حكم "مورسيليس" قد نصب على عودة الأوضاع إلى ما كانت عليه، أما حالة "أمورو" فتنطوى حتى على لغز أكبر، ليس هناك ما يوحى في التقرير الموجز الذي تحمله

جداريات الحرب التي تركها الفرعون "سيتي" وراءه، بأن المصريين استولوا على كل من "قادش" و "أمورو"، ولو أن تلك الجداريات تصور "قادش" تحت وطأة الهجوم (٢٧٦) وأكن التمعن في المصادر يلمح إلى أن "أمورو" كانت قد انشقت كي تنضم إلى مصر قبل وقت قصير من وقوع معركة "قادش"، وفي الحقيقة عجل ذلك بالمواجهة بين الجانبين.

في العقد الأخير من القرن الرابع عشر ق.م. رحل الخصمان العجوزان: "سيتي" و "مورسيليس"، الأول بصورة غير متوقعة، إذا صبح استنتاجنا، والآخر في ظل ظروف لا يعرف عنها أحد شيئًا، واحتل شابان يافعان موقعهما، وكانا يشبهان الواحد الآخر بصورة ملحوظة. فكان "رعمسيس" الثاني، بن "سيتي" وخليفته قد حظى بإعداد مسبق لأداء مهام المنصب. (٢٧٧) فلقد شمل التدريب الذي تلقاه، في ظل الحفاظ على تقاليد العائلة المالكة، تدريبًا عسكريًا منذ صباه، ويصفته "قائد قوات الصاعقة والعجلات العربية" كان يقدم لوالده تقارير منتظمة. (٢٨٨) وعندما صعد إلى العرش كان قد اكتسب بالفعل مظهر الشخص الجسور، ولقد كانت آيات المديح التي زفها إليه بلاطه مفرطة بالفعل مظهر الشخص الجسور، ولقد كانت آيات المديح التي زفها إليه بلاطه مفرطة عتى بالنسبة لمصر: "أنت رع، بدنك مو بدنه! لم تعرف الأرض حاكمًا يضاهيك، فأنت غريد ... "إيزيس" (لم تحب) ملكًا آخر منذ عهد "رع" سواك أنت وابنها... بنبغي على غريد ... "إيزيس" (لم تحب) الناس!" (٢٧٨)

أما بخصوص تنشئة "موواتالليس" فنعرف أقل مما نعرفه عن تنشئة "رعمسيس" الثانى، ولو أنه كان مفعمًا هو الآخر بروح عسكرية. ولما كان الابن الثانى بين أربعة أبناء أنجبهم "مورسيليس" الثانى، فلقد ارتفع "موواتالليس" إلى ولاية العهد عقب وفاة ألابن الأكبر، ونظراً لتحرره، كما هو واضح، من الأثرة التى يضمرها الآباء لأبنائهم، فلقد رفع شقيقه الأصغر، المعتل الصحة إلى منزلة كاهن "عشتار" وولاه قيادة عسكرية فلي أواسط هضبة الأناضول. (٢٨٠) وقد أطلقت هذه الخطوة يده في نقل مقر حكمه جنوبًا حيث يكون بوسعه أن يشرف بنفسه على العمليات العسكرية في المشرق.

انهار السلام المشوب بالقلق الذي ورثه كل من "رعمسيس" الثاني و موواتالليس" Muwataliis عن والديهما مرة أخرى من جراء الخطوات التي أقدمت عليها "أمورو"، ولما كان حكم الفرعون "رعمسيس" (وخصوصاً سنواته الأولى) تقوم عليه وثائق كافية، (٢٨١) فإننا نستطيع أن نستدل من هذه الوثائق على التاريخ الذي انشقت فيه

"أمورو" على "خاتى"، طالما لم يرد له ذكر بصريح العبارة. وليس هناك أدنى شك، بكل تأكيد، في أن الفرعون "رعمسيس" الثاني كان مهمومًا، الفاية، بالإمبراطورية الشمالية، ومع ذلك فإننا نجده ينخرط خلال السنتين الأوليين من حكمه في عمليات تشييد ويقوم بجولة تفقدية في النوبة، نافيًا آسيا، فيما يبدو، عن خاطره تمامًا. ومع ذلك ففي أواخر السنة الثالثة من حكمه، نجده في "منف" (= "ممفيس" باليوناني) وفي شهر مايو/ بشنس من تلك السنة، على وجه الاحتمال يقود قواته عبر الحدود في أول "حملة نصر" يقوم بها في آسيا. ولابد أن السبب وراء هذا الاندفاع المفاجئ باتجاه الشمال تمثل في ورود أنباء بأن أهالي "أمورو" تحت قيادة ملكهم "بينتشينا" Benteshina قد انشقوا على سلطان "موواتالليس" ويعرضون تحويل ولائهم إلى مصر. وإذا حسينا الوقت اللازم الوصول الرسل وحشد الجيوش، فإن "أمورو" تكون قد أقدمت على هذه الخطوة في شتاء سنة ٢٠٢١–١٣٠١ ق.م. (٢٨٢)

مضت أول تجريدة يقوم بها الفرعون "رعمسيس" الثانى فى أسيا بجيوشه صاعدًا فى السباحل، وربما تكون قد توغلت حتى وصلت أمورو" ذاتها، كى يتلقى فروض الطاعة والولاء من تابعه الجديد، ولكنه لم يقابل خلال ذلك التوغل أى قوات حيثية. واستطاع أن ينحت خلال زحف العودة، فى أكتوبر/بابة، صادودًا/لوحًا (وصل لحالة سيئة الآن) عند منابع نهر "الكلب" فى فينيقيا قبل العودة لمصر (٢٨٣٠) ولكن حضور جيش مصرى إلى الحدود كان بمثابة منخاس (حمهماز) لـ "موواتالليس"، فأنفق الشتاء التالى فى حشد جيش جرار، فلقد انتهك المصريون بذلك الاتفاقية، ولاحت فى الأفق ضرورة تصفية الحساب بين الخصمين.

تقوم وثائق على المعركة التى تلت ذلك: "معركة قادش" أفضل من أى اشتباك عسكرى أخر قبل معركة "الماراثون" التى وقعت فى سنة ٩٠٥ق.م. (معركة دارت بين الأثينيين والفرس فى سبهل ماراثون" فى شمال شرقى "أتيكا" فى سنة ٩٠٠ ق.م. وقد ظفر فيها الأثينيون بالنصر، وبذلك صدوا أول محاولة فارسية لغزو بلاد اليونان) وتشتمل مصادرنا على ست روايات مختلفة من مجموعة المناظر التى تحملها الجداريات الضخمة المنقوشة على حوائط المعبد والصروح، وخمسة نماذج مما يسمى قصييدة المعركة، وثلاث نسخ من نص هيروغليفى وخطاب بالخط المسمارى بعثه

الفرعون "رعمسيس" الثانى إلى "هاتوسيليس" الثالث، ولسبب أو لأضر أراد الفرعون، أن يحول، بشكل سافر، الأحداث لمسلمته (٢٨٤)، إلا أن الرواية الميثية لما جسرى لا تزال رهن البحث والتنقيب، ولا نملك حاليًا سدى إشارات عابرة إليها في وثائق لا تتصل بالأمر، إلا أن الصراحة التي أبداها الفرعون "رعمسيس" الثاني في الخطاب المسماري يلقى ضوءً إيجابيًا على السجلات المصرية.

عبر الفرعون "رعمسيس" الثانى في مطلع الربيع على رأس قواته وشق طريقه على وجه السرعة صاعدًا مع الساحل. حقًا لا يزال الدرب المحدد الذى سلكه محل جدل، إلا أن اقترابه النهائى من "قادش" (التى اعتزم الاستيلاء عليها) كان من الجنوب في أسافل "العاصى". وفي نهاية شهر مايو/بشنس، أي بعد نحو شهر من مغادرته مصر، عسكر مع جيشه عند معبر ضحل على الضفة الشرقية، على بعد أربعة عشر كيلو مترًا بالكاد جنوبي المدينة. وبينما كان الفرعون يتداول مع قادة الجيش، أحضر المحراس إليه اثنين من البدو بعد أن عثروا عليهما يتربصان بطريقة مريبة قرب المعسكر. وأثناء الاستجواب ادعيا أنهما هاربان من الحيثيين وأضافا أن القوات الحيثية لا تزال عند "حلب"، وأنهم عازفون عن التحرك جنوبًا خوفًا من "رعمسيس". الحيثية لا تزال عند "حلب"، وأنهم عازفون عن التحرك جنوبًا خوفًا من "رعمسيس". وهنا قرر "رعمسيس" الزحف بأسرع ما يستطيع على "قادش" حتى يحاصر المدينة قبل أن يصل "موواتالليس".

ويطبيعة الحال انطوى الأمر على خدعة ماكرة. كان "موواتالليس" قد "زرع" هذين البدويين وهما مزودان بمعلومات زائفة، في الوقت الذي كان يعسكر مع جيشه على الضفة الشرقية لنهر "العاصى" خلف المدينة. وعندما عبر "رعمسيس" الثاني النهر وأسرع في انجاه الشمال كي ينصب خيمته على الضلع الشمالي الغربي لـ "قادش"، كان جيشه قد تأخر عنه بمسافة كبيرة إلا أنه كان يتبعه في أربع فرق تسير الواحدة إثر الأخرى على امتداد خط الزحف، وفجأة وقع الجيش المصرى في كمين شاركت فيه كل فرق العجلات الحربية الحيثية وكان أن سقط عدد كبير من إحدى الفرق المصرية، وفرت فلولها رأسًا نحو الموضع الذي كان الفرعون وقواته الخاصة لا يزالون ينصبون فيه معسكرهم، وبعد أن علم الفرعون "رعمسيس" الثاني بالكمين من أحد الرسل فيه معسكرهم، وبعد أن علم الفرعون "رعمسيس" الثاني وقعسوا في قبضة الحراس، وبالتوزيع الحقيقي للقوات الحيثية من الجواسيس الذين وقعسوا في قبضة الحراس،

لم يجد "رعمسيس" الثانى الوقت الكافى كى يطلب عقد اجتماع لمجلس الحرب المصرى قبل أن تطوق معسكره العجلات الحربية العدو الذى يجد فى أثره. وإذا كان "رعمسيس" مدانًا فيما مضى بالتراخى وعدم توخى الحذر، إلا أنه كشف فى هذه اللحظات عن نوع المعدن الذى قد منه الرجل. حشد الفرعون ما تصادف أن عثر عليه من عجلات حربية فى متناول يده، وأخذ يقود الهجوم إثر الهجوم فى قلب حشود العدو، قاذفًا البعض على شاطئ نهر "العاصى" والبعض الآخر فى مياه النهر ذاته، حتى تمكنت فرقة من فرق الجيش المصرى الذى كان لا يزال فى طريق الزحف، من الوصول كى تتحمل معه وطأة القتال.

عند هذه النقطة كان "موواتاليس" قد ترك نصراً مؤكداً يفلت من قبضته. فلقد كان لا يزال يملك تحت إمرته ما يزيد على عشرة ألاف رجل من المشاة يربضون على الضفة الأخرى للنهر، رهن الإشارة كي يتقدموا. ولو كانت هذه القوات قد ألقت بثقلها في المعركة قبل أن تتمكن الفرق المصرية التي تعانى التمزق من إعادة تجميع صفوفها وتصل إلى معسكر "رعمسيس"، لكان الميثيون قد تفوقوا بكل تأكيد على المصريين ولكانوا قد قبضوا على الفرعون وقتلوه. ومع ذلك تردد "موواتالليس". هل هو عدم الحزم؟ هل هو النقص في ملكة الفهم والاستنتاج؟ هل هو فقدان رباطة الجاش؟ أم أنه كان يظن أن عجلاته الحربية التي يبلغ قوامها ألفين وخمسمائة عجلة تقدر وحدها على القضياء على المصريين دون عون المشاة؟ أيا كان السبب، فلقد حبس مشاته عن المعركة. ومع حلول الغسق كان المصريون المطوقون، يتماسكون، بعد أن انضمت إليهم الفرق التي تخلفت عنهم في شعباب الطريق، ومع حلول الظلام انستحبت عجلات العربية تاركة الميدان للمصريين.

هل استئنف الجانبان الأعمال الحربية في اليوم التالي أم أنهما توصلا إلى هدنة بينهما؟ هذه نقطة لا تزال محل جدل، ولكن المعركة كانت قد انتهت بكل مقاصدها ومراميها، وغدت أثارها أعمق من أن تُمحى. وفي المدى القصير اضطر "رعمسيس" إلى الانسحاب والتسليم بخسران "قادش" و "أمورو" التي اقتيد ملكها "بنتشينا" مأسوراً إلى "خاتي". وضرب الذهول رؤساء المدن الكنعانية لما حسبوه ضعفًا فطريًا في قوات الفرعون: الذكاء المحدود والميل نحو فقدان رباطة الجاش. وأصبحت الثورة

ممكنة ومصر لم تعد مستعصية على الهزيمة. أما على المدى الطويل، فلقد تركت المعركة مع ذلك تأثيرًا أكبر على البلدين المتصارعين نفسيهما. كسبت مصر احترامًا موفورًا لصفاتها القتالية مقابل مكر خصومها، بينما لم تستطع خاتى" إلا أن تكبر شجاعة المصريين وعزيمتهم وهمة "رعمسيس" الثاني نفسه. ولابد أن الحقيقة التي تقول بعدم جدوى أي محاولة ترمى إلى تحريك الحدود عن خطها الراهن، سواء جنوبًا أو شمالاً، أخذت تشرق شيئًا فشيئًا على وعى المصريين والحيثيين معًا، رغم القتال الذي امتد بين الجانبين لخمس عشرة سنة أخرى.

شقت "كنعان" بأسرها عصا الطاعة عقب انسحاب المصريين واشتعلت فيها هبة صريحة. ولأول مرة منذ ما يزيد على مائتى سنة لم يعد فى مقدور مصر على وجه التقريب أن تقول إن هناك أراض تابعة لها وراء سيناء. وحتى الحدود ذاتها أصبحت مهددة. وهم المصريون فى ذلك الوقت ببناء "مقر جديد ومهيب": "بير - رعمسيس" (= بيت رعمسيس) فى شمال شرق الدلتا، بكل ما يستطيعون من سرعة، "كى يعززوا حدود مصر". (٢٨٥) وكانت تلك هى أحلك اللحظات التى مرت به "رعمسيس": عجزت الإنجازات المجيدة التى وعدت بها البداية الميمونة لحكمه عن رؤية النور. فلقد تقوق الحيثيون على المصريين، ونجا الفرعون بأعجوبة من الأسر أو الموت، وضاعت معظم ممتلكات مصر فى أسيا.

ولكن إذا تعين علينا أن نلقى بالمسئولية على "رعمسيس" نفسه فى الحالة الراهنة الأمور، فلا بد ألا نهمل الاعتراف أيضًا بفضله باستعادة ما فقده. فلقد عاد بإصرار إلى معمعان القتال بعد ذلك بثلاث سنوات وأبدى عزيمة وجلدًا عظيمين فى جهوده فى سبيل استعادة فلسطين، وفى السنة الثامنة من حكمه شنت مصر هجومًا شاملًا ضد المتمردين فى فلسطين، سقملت فيه المدن الفلسطينية، مدينة بعد أخرى مما تحمل أسماء توراتية معروفة وعلى وجه التحديد فى "الجليل" أمام الهجوم المصرى: "مجدل"، وعين نوعام"، و "بيت - عنات"، و "قانا" و "ميروم" و "شاليم". (٢٨٦٠) وخلال نفس المدة على وجه التقريب - لا تسمح لنا جداريات الحرب "ما - بعد - قادش" ذات الأبعاد المقولية بإجراء وجه التقريب على حدة (٢٨٨٠) - ، دخل الساحل الفلسطيني طلبًا لحصته من حمام الدم. قبورت كل من "أكشو Accho و "أبيك" Aphek وقد نزل الدمار على ما يبدو، بالأولى. (٢٨٨٠)

ويحلول سنته العاشرة في الحكم كان "رعمسيس" يدفع بقواته مرة أخرى إلى "فينيقيا". ويشير صادود/لوح نصبه المصريون في تلك السنة عند نهر "الكلب" (٢٨١) إلى أن الساحل الفينيقي الجنوبي جرى تأمينه بسهولة نسبية، ولكن "أرقاطة" الواقعة إلى الشمال أكثر قاومت وخضعت بالتالي الحصار. (٢١٠)

لا نعرف إلا أقل القليل عن مسيرة الصرب من هذه النقطة حتى وضع حد لها بمعاهدة بين الطرفين بعد ذلك بإحدى عشرة سنة. غير أن الجداريات المنقوشة على الصائط الغربى للفناء الأمامى بمعبد الأقصر تعود إلى ذلك العقد الذى شهد تلك المعارك بينهما وتشير إلى أن جبهة القتال تحركت وقت ذاك إلى داخل "أمورو" ذاتها. (٢٩١) أما "ساتونا" Satuna و موتارا "Mutara و أعماق البلاد من "باترون" Batrun فقد سقطت في أيدى المصريين الذين زحفوا عبر وادى نهر "الكبير" كي يهاجموا دابور "Dapur" وهي مدينة صغيرة تابعة الحيثيين في زمام أراضي "تونيب" في بلاد "نهارين" (لوحة رقم ١٨) وفي وقت لاحق جاء الهجوم الذي استهدف "المدينة التي استولى عليها جلالته في زمام "قود" Qode في بلاد "نهارين"، ذلك الهجوم الذي تصوره جدارية على الحائط الغربي في معبد الأقصر، حيث يظهر تسعة أمراء. (٢٩٢) وإذا كانت "كين و وادنا" أي "قود" قد أصبحت وقت ذاك في متناول يدي الفرعون "رعمسيس"، فهل يحق لنا أن نستنتج أن المقاومة الحيثية قد انهارت؟

المعاهدة بين مصر و مخاتى،:

عانى الحيثيون فى خضم النصر الذى حققوه، فى واقع الأمر، من نكسة مفاجئة على الجبهة المحلية، ففى غضون سنتين من الظفر الذى جناه "موواتالليس" فى "قادش" طرق بابه ملاك الموت، بصورة فجائية، وتبع ذلك صراع مستتر على العرش بين ابنه وشقيقه. وكان "يورى – تيشوب" الابن الأصغر لـ "موواتالليس" قد تربع فى حينه على عرش أبيه، ولكن الاستياء كان واضحًا لا تخطئه عين وكان تعيين والده لعمه "هاتوسيليسس" فى منصب "حاكم" فى "الأراضى العليا" لهضبة الأناضيول، (١٩٤٠) قد أسفر عن نتائج حسنة، بصورة غير متوقعة، فلقد نجح فى إخماد القبائل المتمردة

فى المنطقة وعكف على وضع برنامج إعادة استقرار لكل تلك الأراضى الشمالية موضع التنفيذ، وعند موت مواتالليس قبل هاتوسيليس على مضض تعيين ابن أخيه كملك للبلاد، لكنه رفض الاستقالة من منصبه، ووجد "يورى - تيشوب" نفسه مضطرًا إلى القبول بعمه كشريك من نوع ما في الحكم.

بعد سبع سنوات على وصول "يورى- تيشوب" إلى العرش، وخلالها، كانت الضفينة قد تفاقمت بينه وبين عمه، دبر "هاتوسيليس" انقلابًا (تفاصيله لا تزال طى الغموض) وألقى بابن أخيه فى غياهب السجن، ومع ذلك لم يقتله، بل نفاه إلى 'نوخاششى" فى سوريا (٢٩٥) وعند نقطة ما هرب "يورى - تيشسوب" مع حفنة من الأتباع إلى "بى - رعمسيس" فى مصر، تاركًا كل مكان أضر. وأكرم الفرعون "رعمسيس" فى مصر، تاركًا كل مكان أضر. وأكرم الفرعون "رعمسيس" فوادته، (٢٩٦) إلا أن الشاب الصغير السن أخذ يحث "رعمسيس" على مواصلة الحرب ضد عمه، وهو الأمر الذي قد يتشابه إلى حد كبير مع ما فعله "هانى - بعل" بعد ذلك بالف سنة عندما حث "أنتيوخوس" Antiochus على شن الحرب ضد روما من أقصى أطراف الأرض. ولم تلن له "يورى - تيشوب" إرادة فى طلب الثار من عمه: إذ نجده حتى بعد مرور خمس عشرة سنة لا يزال يحاول إثارة القلاقل عن طريق تحريض حتى بعد مرور خمس عشرة سنة لا يزال يحاول إثارة القلاقل عن طريق تحريض "شالمانصر" Shalmaneser الأول ملك "آشور" ضد "خاتى" (٢٩٧)

إلاً أن "هاتوسيليس" الثالث واجه أخطارًا أكثر جدية من تلك التى شكلها ابن أخ موتور، وصحيح أن "هاتوسيليس" كان إداريًا يتمتع بالكفاءة ودعائيًا ممتازًا، (٢٩٨) غير أنه لم يكن عسكريًا من ذلك النوع الذى كانه والده أو أخوه. فلقد تولى أمر مملكة تحاصرها مصر التى تفعمها روح النضال، وتشن قواتها بصفة سنوية حملات تقترب أكثر فأكثر من الوطن الأم. ولم تكن حظوظ الحيثيين هذه المرة واعدة، وذلك بفضل تشكيل جديد دخل على القوى الدولية. فبهروب "توشراتا" واغتياله فى وقت لاحق، انهارت الإمبراطورية الميتانية. وسرعان ما تقدمت دولتان وريثتان كى تملآ الفراغ الذى نجم، بالتالى، فى أواسط بلاد الرافدين (= ميزوبوتاميا)، إحدى هاتين الدولتين عبارة عن شريحة ميتانية تحتل الأراضى الواقعة بين نهرى "بلخ" و"الفرات" تحت حماية الحيثيين، والأخرى وهى "خانيجالبات"، وهى أكبر كثيرًا من الأولى ويحكمها أحد فروع عائلة "سوساتار" saussatar").

إلاً أن "خانبجاليات" أثبتت أنها تتمتم ببأس ملحوظ، وسرعان ما توسعت حتى بلعت 'ميتاني'، التي اختفت كدولة، وفي مطلع حكم 'موسيليس' الثاني أصبحت كلُّ من "خانبجاليات" و "أشور" تهدد شواطئ الفرات.(٢٠٠) وتدهورت الأمور إلى الأسوأ عندما عانت تخانيجالبات، مع انحناءة القرن هزيمتين في ميدان المعركة على أيدى "أشور" التي كانت أخذة بالتوسع، بل وكانت قادرة على مواجهة "خاتى" في شمال سوريا.(٣٠١) ولما كانت الحرب مع مصر مستعرة الأوار دون هوادة، واجه "هاتوسيليس" الثالث مخاطر عزل نفسه، وفي إطار محاولة، بالتالي، لتحييد التهديد الذي تشكله "أشور"، سعى 'هاتوسيليس' بل وأبرم تحالفًا مع ملك 'بابل'. ويتذكر 'هاتوسيليس' أنه قال: "سوف نعادي، بقينًا، عبوًا مشتركًا بقف منا نحن الاثنين موقف العداء. واسوف نمد يقينًا، بد الصداقة نحق الأصدقاء المشتركين. وبعد أن تخاصمنا، فرعون مصر وأنا، كل مع الأخر، كتبت إلى (ملك بابل) أقول إن فرعون مصر في حالة حرب معى وبناء على ذلك كتب (هو) يقول" إذا أرسل فرعون مصر قواته، فلسوف أنضم عندئذ إليك... واسوف تجدني في وسط الجنود والعجلات الحربية ولكن تصعب الإجابة على السؤال الذي يدور حول ما إذا كأن هذا الحلف الذي يقوم على تقديم العون المتبادل قد وضع أصلاً موضع التنفيذ. فالهجوم الذي كان الفرعون "رعمسيس" الثاني يشنه جعل، على وجه الاحتمال، من أي عون تقدمه بابل غير مؤثر. فنحن لا نسمع عن أي قوات بابلية ويبدو أن بابل لم ترسل أي قوات إلى ميدان القتال.

ولما كان "هاتوسيليس" حاكمًا بارعًا و"واقعيًا" كما تدل الروايات كافة، فلا بد أنه أدرك الحقيقة التي تقول إن المفاوضات هي كل ما تبقى أمامه من بدائل. وكانت "أشور" قد تولت الدور الذي كانت تتولاه في الماضي الدول الحورية، وهو دور الخصم الشرقي لا "خاتي"، ولم تبد أي إشارات على استعدادها الوفاق. أما الفرعون "رعمسيس" الثاني، من جانب آخر، فكان قد ابتعد أكثر عن مجال الأعمال الحربية، وفضلاً عن ذلك لم يكن مثقلاً بتراث من العداوة العرقية ضد "خاتي". وفي مطلع شهر ديسمبر/كياك سنة ١٩٨٨ق.م.أي في السنة الحادية والعشرين من جلوس "رعمسيس" الثاني منفرداً في العرش، وصل رسول حيثي، وهو شخصية بارزة يدعى "تلي - تيشوب" Tili-teshup إلى "بي - رعمسيس" حاملاً عدة خطابات من ملك الحيثيين، (٢٠٠٣) يقترح فيها عقد

معاهدة سلام، وعندئذ استبدت الدهشسة المشسوبة بالرضا بالفرعون "رعمسيس" وبرهن على رغبته، هو الآخر في التفاوض، وفرض التهديد الذي ينبثق من وادى دجلة للفرات نسوعًا من الاستعجال على عملية التفساوض من وجهة نظر الحيثيين، ولكن المسريين لم يكن عندهم، كما بدا وأضحًا، مانع، وأبرمت المعاهدة بين الطرفين على وجه السرعة.

أقامت المعاهدة التي انتهيا إليها "أخوة" تقليدية بين الملكين، وحددت أنواع المساعدة المتبادلة التي اتفق الطرفان عليها. ولقد صيغت مسودة المعاهدة، على وجه الاحتمال، باللغة الحيثية، ثم كتبت باللغة الأكدية، وهذه النسخة أصبحت الوثيقة القانونية التي أمهرها الطرفان بخاتميهما. وقد أودعت نسخة تحمل خاتم "رعمسيس" في "خاتي" أمام الإلهة – الشمس، وأرسلت نسخة أخرى تحمل خاتم "هاتوسيليس" إلى محسر كي تحفظ أمام "رع" في "أون" (= هليوبولس). هاتان النسختان، وكانتا مدونتين على لوحين من الفضة الخالصة، لم ينجوا من عدوادي الظروف، ولم تحمل إلى أبدينا أي منهما، ولكن نسخًا أخرى عديدة مكترية بالخط المسماري على ألواح الطين المحروق عثر عليها في "خاتوساس" عاصمة الحيثين، وأرسلت صيغة منها بالقلم الهيروغليفي (نجت من عوادي الظروف نسخة الكرنك) إلى كافة أرجاء مصر. (٢٠٣)

انصب الاهتمام الاكبر للمعاهدة على إقرار السلام، وجرى اختصار الديباجة التاريخية إلى حدها الأدنى، كما لم تشر الى الحدود بين الجانبين. وأكد الجانبان الموقعان عليها مرارًا وتكرارًا أنهما ينبذان العداء وأنهما لن يلجأ مرة أخرى إلى القتال. وإذا تعرض أى منهما للهجوم من جانب طرف ثالث - وهذا البند يخدم بدرجة واضحة "خاتى" - فإن الطرف الأخر سوف يرسل قوات لمساعدته، رغم أن أيًا من الملكين ليس ملزمًا بالحضور شخصيًا. وإذا توفى "هاتوسيليس" ونشات مشكلة حول وراثة العرش، فإن "رعمسيس" يتكرم بالعمل على ضمان وراثة ابنه للعرش. (ولكن المعاهدة لم تتضمن بندًا موازيًا لصالح المصريدين: لم يكن لـ "رعمسيس" أن يسمح للأجانب أن يتدخلوا في "عرش حورس") وبتتاول فقرات طويلة مسألة التسليم المتبادل الهاربين مع ضمان معاملتهم معاملة إنسانية. ولما كان "يورى - تبشوب" لا يزال

مقيمًا في بلاط "رعمسيس"، فيبدى أن هذه البنود وضعت وهو في خلفية ذهن واضعيها، ولكن "هاتوسيليس" رضى بألا يلج على "رعمسيس" في هذه الحالة الخاصة، وسمح لابن أخيه أن يبقى في مصدر، ولم يفعل سوى أن طلب من "رعمسيس" أن يدفع هو، أي "هاتوسيليس" رواتب قوات "يورى - تيشوب" وسائر نفقاته الأخرى. (٢٠٤)

وضعت الحرب أوزارها. وانتهى قرنان من القتال خاضته مصر في سبيل إمبراطورية شمالية. ولكن هل كان "رعمسيس" مدركًا لفداحة الثمن؟ فعندما رسست الحدود مرة أخرى، ذهبت كافة المكاسب التي حققها الملوك الرعامسة أدراج الرياح. ظلت أوجاريت وجارتها الساحلية الجنوبية "سيانو" Siyannu تابعة للحيثين، وأمورو" عادت إلى الحظيرة الحيثية، وأعيد تنصيب ملكها "بينتشينا"، ومنحه الحيثيون حق السيطرة على "أرفاد. (٢٠٠١) أما "قادش" فعادت إلى التبعية الحيثية مرة أخرى، بروابط وطيدة مع أوجاريت". (٢٠٠٧) ومثلما كان عليه الحال خلل فترة "أخيتاتون" (= الممارنة)، ظلت مقاطعة "إيمكي" تابعة لمصر، مثلها في ذلك مثل مقاطعة "أوب" إلى الجنوب منها وأعيدت تسمية المقر المصرى في "كوميدى" الاستفلاد" أوب" إلى "رعمسيسبورج" (= مدينة "رعمسيس")، وهي المدينة التي تقع في قلب "أوب" (٢٠٨) أي شبئًا لم يتغير.

ولكن خيَّم الآن، على الأقل سالام ينعم في ظلاله الجانبان، واستبشر كالاهما بمستقبل العلاقات الودية والحدود المفتوحة. والتصريح الذي أوردته ملكة مصر: "تفرتاري" في خطاب أرسلته إلى نظيرتها "بيتوهيبا"، ملكة "خاتي" يحمل بأسلوب رشيق بشائر الأمل وأبعاد النشوة التي استشعرها الجانبان:

"أسوف يعزز "رع" و"إنه الطقس" (إله الحيثيين) هذه المعاهدة ولسوف يجعله "رع" سلامًا مفعمًا بالرخاء، واسوف يجعلها "رع" أخوة رائعة بين الملك العظيم ملك مصر والملك العظيم ملك "خاتى"، شقيقه لأبد الأبدين!" وكان هذان الإلهان عند حسن ظن جلالة ملكة مصر: فعلى امتداد عمر الإمبراطورية الحيثية، لم تتعرض المعاهدة، بالمرة لأى انتهاك، وامتدت ثمانون سنة من الرخاء على الجانبين أمام أعظم إمبراطوريتين عرفهما العالم القديم.

الهوامش

(١) حول عائلة الأسرة السابعة عشرة انظر:

R.Tanner,ZÄS 102 (1975),50ff., C.Blankenberg van Delden,GM 54 (1982), 31ff.; C. Vandersleyan, GM 63 (1983) 63 (1983), 67 ff. E.F. Wente,in K.Weeks and J.Harris, eds., An X-Ray Atlas of thr Royal Mummies (Chicago,1980), 122 ff.

D.B. Redford, Orientalia 39 (1970),35-39, (1)

والمحاولات التي تسعى إلى إضفاء حصافة على الحكاية أكثر مما تستحق محاولات سائجة في رأيي: وللاطلاع على أحدث المعالجات و الأدب المتعلق بالموضوع انظر:

H. Goedicke, The Quarrel of Apophis and Sequence (San Antonio, Tex., 1986).

M. Bietak and E. Strouhal, Ann Natur Hist Museum, Viennna 78 (1974), 29-52. (T)

- (٤) حول المشاكل التي تتصل بنسب 'أحموسي'، انظر: .Wente,in X-ray Atlas
- (٥) نما كم هائل من الأدب حول هذين الصانودين/اللوحين، انظر على وجه الخصوص:

A.H. Gardiner and B.Gunn, JEA 5 (19180, 36-56; L.Habachi, ASAE 53 (1956),195),195-202; idem.,The Second Stela of Kamose and His Struggle against the Hyksos Ruler and His Capital (Glückstadt,1972);P.Montet,CRAIBL (1956),112-20;P.Lacau, ASAE 39(1939), 245-71;H.S. Smith and A.Smith,ZÄS 103(1976), 48 ff.; J.A.Wilson, in ANET2

(٦) حول الصلات العائلية، انظر: ;Wente,X-Ray Atlas

ولقد حظى حكم "أحموسى" بتحليل شامل في:

C. Vandersleyan, Les guerres d'Amosis (Brussels, 1971).

(٧) حول "الكاب" بصفة عامة، انظر:

P. Derchain, Elkab (Brussels,1971). on Baba,see H. Brugsch,Thesaurus Inscriptionum (Leibzig,1883-1891),1527-28 the texts of the two Ahmoses are given in Urk IV, 1-11, 32-32-39,s ee further, ... Vandersleyan, CdE 45(1970), 68-69;H. Goedicke,J ARCE 11 (1974),31ff.

Vandersleyan, Les guerres, 34-35; W. Helck, Historische-biographische Texte der (A) 2. Zwischenzeit (weisbaden, 1975), 78; idem, GM 19 (1976), 33-34 f.

- (٩) تشكل أيام ميلاد الآلهة الخمسة: 'أوزيريس' و حورس' و 'إيزيس' و 'ست' و 'نفتيس' أيام النسيء الخمسة في نهاية السنة المصرية المعرفة بالقبطية.
- (١٠) لا يجوز أن ينخدع أحد بمجى، بردية "رند" الرياضية من "طيبة". فنسق التأريخ الذي استخدمه كاتبها هو حكم ملك هكسوسي بكل وضوح، انظر:

Helck, Historische-biographische Texte, s.v.

فالأسماء الواردة في رقم ٩ و الإشارة إلى 'أهموسي' كـ 'ذلك الأمير الجنوبي' كلها تتفق على أنها تعود إلى الشمال، و ليس الجنوب، كنقطة الانبثاق.

M. Bietak, Avaris and Pi-Ramesses (London,1979),268. انظر: (۱۱)

هناك مواقع أخرى مثل ثل اليهودية و ثل المسفوطة تعرضت للهمران على وجه الترجيح في وقت قريب من هذا التاريخ، انظر:

Cf. the domestics Ahmose si-Abina acquired: Urk IV, 10.

- (١٢) قارن الخدم الذين حصل عليهم "أحموسى أبينا" كهدايا: من بين أسماء الخدم التسعة عشرة، قد تكون سبعة أو ثمانية و حسب، أسيوية. و لكن لما كان "أحموسى" قد خدم في وقت لاحق من حياته في المملات الأسيوية التي قام بها الفرعون "تحوت موسى" الأول، فإن هذه الهدايا ريما تكون مكافئت لاحقة.
- (١٣) تظل العلاقة البقيقة بين "شاروهين" و البيت الملكي للهكسوس ملى الغموض، و لو أن الموقع نفسه: ("تل العجول" على بعد سبعة كيلو مترات جنوبي "غزة" على الساهل) يحتل رقعة مثالية عند مصب وادى غزة حيث يمكن اعتراض التجسارة و المواصلات على استداد "الطريق البحري": Via Maris وعبر "النقب"، و لم يكن غريبا أنها كانت، خلال فترة الهكسوس، إحدى أغنى المدن المحلية في فلسطين، انظر؛

W.M.F. Petrie, Ancient Gaza 1-4 (London,1931-1952); A.Kempinski, IEJ 24 (1974), 145-52; O.Tufnell,in M. Avi-Yonah,ed., Encyclopedia of Archaelogical Excavations in the Holy Land (Jerusalem,1975), 1:52-61; J.Weinstein, BASOR 217 (1975), 4; D.Collon, in J.N. Tubb,ed., Palestine in the Bronze and Iron Ages (London, 1985), 57-68).

وكانت تتحكم، بوضوح، في غرب "النقب" و السبهل الساحلى الجنوبي، ولكن ما إذا كانت في ذلك الوقت إحدى الملحقات التابعة للأسرة الخامسة عشرة فأمر لا يزال على الغموض، انظر: D.B. Redford JAOS 99 (1979),283, n.69.

(۱٤) انظر:

R.S. Merrilees, Antiquity 36(1962), 286-94; Trade and Transcendence in the Bronze Age Levant (Gåteborg,1974); L. M. Artzy, The Origin of Palestinian Bichrome Ware (Ann Arbor,1972).

R. S. Merrilees, Levant 3 (1971), 56 ff.; E. Vermeule, AJA 80 (1976), 178. (10)

I. J. Gelb, JCS 15 (1961), 36-37. (\n)

- H. Lewy, in Isidore Levy Festschrift, 246 ff. (\V)
- G. Roux, Ancient Iraq (Harmondsworth, 1986),218-19. (\A)
 - (١٩) انظر:
- O.R. Gurney, The Hittites (Harmondsworth,1962); idem,CAH3 II,pt.1 (228 ff., 1973), 659;H. Klengel, Kio-69 (1987), 308-16.
- Gurney, Hittites, 241-43; M.-H. Caare Gates, Alalakh Levels VI and V: A Chron- (Y-) ological Reassessment (Malibu, Calif., 1981).
 - (۲۱) انظر:
- H. Klengel, Geschichte Syriens im 2.Jahrausend v.u.Z.(Berlin,1965),1:177-78, 183ff.; Idem,MIOF 10 (1964),213 ff.; N.Na'aman, JCS 32 (1980),34 ff.
 - Gurney, CAH3 II, pt. 1 (1973), 249-51. (YY)
 - (٢٣) بصفة عامة انظر:
- E.A. Speiser, JWH 1 (1953), 311-27; H.G. Güterbock, JWH 2 (1954), 383ff.also RHA 36 (1978); G.Wilhelm, The Hurrians (Warminster,1990)
- B. Hrouda, Archeologia Geographica 7 (1958),14-19; P. Zamonsky, Context (Y£)
 (Boston University Center for Archaeological studies), 6, nos. 1-2 (Fall 1987),
 4-8; H.Otten, Fischer Weltgeschichte 3 (1966), 135-36.
 - M. Astour, RHA 36 (1978), 8 and nn. 74-75. (Ye)
- E. A. Speiser, JAOS 72 (1952), 99-100; Roux, Ancient Iraq, 211; P. Michalowski, (YT) ZA 76 (1986), 4-12.
- J. Gelb, Hurrians and Subarians (Chicago, 1944); J. R. Kupper, Les nomades (YV) en Mesopotamie au temts des rois de Mari (Paris, 1957), 230ff.; E. A. Speiser, JAOS 74 (1954), 19; I. J. Gelb, JCS 15 (1961), 39, and 40, n. 43.
 - Gelb, Hurreans and Subarians, 63. (TA)
- M. Mayerhofer, Die Indo-Aryer im alten Vorderasien (Wiesbaden, 1966); A. (۲۹) Kammenhuber, Die Arier im Vorderen Orient (Heidelberg, 1968); idem, RHA 36 (1978), 84-90.
 - R. M. Smith, Dates and Dynasties in Eadiest India (Delhi, 1973), 38.243. (T+)
 - Mayrhofer, Die Indo-Aryer, 28. (۲۱)
- See now M. Van Loon, Persica 10 حول حرق الجشمان bid., 26; On cremation (۲۲) (1982),47-64.
 - (٣٢) انظر ملخصات وافية وضعها:
- Astour in RHA 36 (1978),1-22; idem, in G.D.Young, ed., Ugarit in Retrspect (Winona Lake, Ind.,1981) 8-10;G.Wilhelm,SMEA 24 (1984),286-87.

- E. F. Weidner, AfO 5 (1928-1929), 95, n. 1; A. Goetze, JCS 7 (1953), 59, n. 47; (Y1) A. Harrak, Assyria and Hanigalbat (Hildescheim, 1987), 103-4; Ta'ida was not the capital of Mitanni,the latter being formally distict from Khalingalbat:
- لم تكن "تائدة" عاصمة "ميتاني" فهذه كانت متميزة، بصفة جوهرية، عن "خانيجاليات"، مع كل الاحترام له : .(36-231, {1986}, 231-36)
- H. Otten, MODG 91 (1958), verse 11; 79, n. 16; Gurney, CAH* II, pt. 1 (1973), (Yo) 242 ff.; E. von Schuler, in M. Liverani, ed., La Siria nel tardo branzo (Rome, 1969), 102-3; H. Klengel, RHA 36 (1987), 101.
 - Astour, RHA 36 (1978), 9. (YT)
 - Gates, Alalakh, 11, n. 51; 27. (TV)
- Astour, RHA 36 (1978),11 and nn. 91-92; M. Liverani, RHA 36 (1987), 148-56. (YA) G. R. Meyer, MIOF 1 (1953), 108-9; B. Landsberger, JCS 8 (1954), 50; May- (Y3) rhofer, Die Indo-Aryer, 29; W. LdĀ 3 (1980), 443-44.
 - (٤٠) انظرالقائمة في: Mayrhofer, Die Indo-Aryer, 29-30;
- في سبيل الاطلاع على تأثير الحوريين على المجمع الإلهى في "قطنة" (= قطنوم) انظر: J. Boltero, RA 43 (1949), 34-35.
 - A. Glock, BASOR 204 (1971), 30. (£\)
- Cf. Urk IV, 743:8 (total of Asiatics given to Amun by Thutmose III); P. Berlin (£Y) 10621 rs. 9 (workers on a tomb at Thebes); Heick, Ldà 3 (1980), 87.
 - (٤٢) :Urk IV, 1069:7 انظر الآن:
- A.J. Spalinger, in F.Junge, ed., Studien zu Sprache und Religion Ägyptens (Göttingen, 1984), 638-39.
- (٤٤) قد نستطيع، استنادًا إليها، أن نعيد بناء قائمة ملكية هيكلية، قارن: Bottero RA 43 (1949).1-40
- (الى الجنوب) و أبيت شان النظر: G.H. Wright, The Bible and the Ancient Near East (New York, 1965), 112; Jericho:K.A. Kenyon, Digging Up Jericho (New York, 1957); 229 Hazor: Y.Yadin, Hazor (London,1970), 31-32 and passim; Tell Kadesh (Galilee):M.Avi-Yonah, in Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land (Jerusalem, 1976), 2:406, Gezer: W.G.Dever, Gezer (Jerusalem, 1974), 2:36 (and E. Stem, IEJ 37 (1987), 177; Timnah: G.L.Kelm and (عهجور) 205; Tell Kabri A. Kempinski, IEJ 37 (1986), 108; Shechem: W.G. Dever, BASOR 216 (1974), 37,41,48; Achzib: M.W.Prausitz, IEJ 25 (1975), 207; Tanaach: P.W. Lapp, BASOR 173 (1964),8-20; Tell Dan: Avi-Yonah, in Encyclopedia, 1:316.

كانت الضفة الغربية مخلخلة السكان في حقبة رقم MB IIB ، ولكن حتى تلك المواقع القليلة تنتهى في معظمها عند خواتيم الحقبة رقم IIC :

S. Mittmann, Beiträge zur Siedlungs und Territorialgeschichte der nördlichen Osljordanlands (Wiesbaden, 1970), 256 ff.

ليس واضحًا إلى أى مدى امتدت مستويات التدمير شمالا فى أعماق سوريا عند نهاية الحقبة رقمOBI الم، وذلك نظرا لمدم وجود عمليات تنقيب أثرية هناك، بالإضافة إلى الأساليب المتدنية للحفر، بصفة عامة، تلك التي استخدمتها تلك البعثات القليلة التي عملت هناك.، انظر:

(Dever, in J.W. Hayes and J.M. Miller, eds., Israelite and Judaean History (Philadelphia, 1977), 90)

ولكن أبحاث المسح تشير إلى أن حدود التدمير الذي عرفته الحقبة رقم MB IIC قد تقع جنوبي "البقاع" نظرا لأن عدد المستوطنات التي توصلت إليها هذه الأبحاث، في تلك المنطقة، تكشف عن تدهـور مطرد لما يصل إلى أربعين بالمائة فيما بين حقبتي الا EB و LB ، وهذا التدهور لم يكن متأثرا بالدمار الذي رقع في أعماق الجنوب، بل و كان مستقلا عنه، انظر:

Marfoe, BASOR 234 (1979), 12.

Cf.the list of some proponents in BiblOr (≃Bibliotica Orientalis) 30(1973), 224; (٤٦)

من المحزن أن مناك من لا يزال يردد هذا الهراء، كالبيغاء، قارن:

L.E. Toombs ADAJ 17 (1972),105; Gates, Alalakh,19-21; Dever ,BASOR 216 (1974), 48; J.D. Seger, Eretz Israel 12 (1975),45*; Idem, in Hayes and Miller, Israelite and Judaean History, 89, Sauer, BASOR 233 (1979), 71.

(٤٧) انظر ص ١٥٧ (من النص الأصلي).

(٤٨) طرح للزَّلف هذه النَّسالة مرات متعددة، انظر:

BiblOr 30 (1973), 224;JAOS 99 (1979), 273; Studies in the History and Archaeolgy of Jordan (Amman,1982),1:117;

انظر أيضا الملاحظات الحاذقة التي أوردها: .5-1,(1979) W.H. Shea, IEJ 29

The lively debate between J.K. Hoffmeier and W.G. Dever over the MB IIC (£4) destruction levels, initiated by the former's article in Levant 21 (1989), has the salutary effect of reopening the question of date and rendering it increasingly likely that the reign of Thutmose III is the time span invived, It must maintained, however, that the destructions could never been effected in the heat of battle but must have been in the nature of intentional demolition demanded of the conquered by the king himself.

نجح الجدل الحار الذى دار بين "جى كى هوفميير" و بين "دبليو. جى. ديفر"، وهو الجدل الذى كان "هوفميير" قد بدأه بمقاله فى دورية: Levont (= المشرق) ٢١ (١٩٨٩) فى إعادة فتح مسالة تاريخ التدمير، وهو الجدل الذى جعل من المحتمل، بصورة متزايدة، أن يكون حكم الفرعون "تحوت - موسى" الفرعون هو العصر المقصود هنا، ومع ذلك يلزم أن نتمسك بأن عمليات التدمير هذه يستحيل أن تكون قد جرت فى وطيس المعارك، ولابد أنها كانت من نوع التهديم العمدى الذى يطلبه الفرعون نفسه من مغلوبيه.

(٥٠) انظر:

H. Klengel,RHA 36 (1978), 91-115; D.B. Redford LdÄ 3 (1980),149-51; van loon, Persica 10 (1982),47-64;G.Wilhelm,SMEA 24 (1984),286-87.

استعمل المصريون هم أيضا المصطلح الجغرافي الغامض "نهارين"، الذي يعني "بالاد النهر" للدلالة على "مناني"، انظر: 103, (1972) M. Astour,JNES 31

بينما فضل السوريون والجيثيون استعمال اسم "خانيجالبات" للدلالة على نفس المسمى، انظر: H. Klengel, MIOF 10(1964), 216; H. Otten, Fischer Weltgeschichte 3 (1966),129.

(٥١) يتحدث 'أستور" Astour عن "غزى قصير الأمد قام به الميتانيون لجزء كبير من فلسطين قرب سنة ٥٠٥٠ ق.م."، انظر: (1 ,{1978}, 3)

ولكنه لا يعطى أدلة تعضد حديثه. وفي وقت لاحق (في نفس المرجع السابق، ١٢) يلمح إلى الكانة الهائلة" التي منحها تأسيس دولة "ميتاني" للغة الحوربيين وديانتهم وأسماء الأعلام عندهم. وحول حكام "قادش" الذي يحملون أسماء ميتانية، انظر:

Epstein, JNES 22 (1963), 245-46; Mayrhofer, Die Indo-Aryer, 30.

(٥٢) انظر بمنفة عامة:

D.B. Redford,in Junge, Studien zu Sprache und Religion Ägyptens,327-41; idem, Pharaonic King-lists, Annals and Day-books (Toronto,1986), 65-96.

Redford, King-lists, 97-126. (aT)

- (198) انظر بصفة عامة : E. Edel, LdÄ 3 (1980), 482-85.
 - (٥٥) حول رسائل 'أخيتاتون' (= العمارنة)، انظر الأن:

W.L. Moran, Les lettres d'El-Amarna (Paris, 1987).

ولم تتوفر تحت أيدينا بعد، أي طبعة كاملة أو مترابطة ارسائل "خاتوساس"، ولكن "إديل" Edel ظل ينشر طوال السنوات الأربعين الماضية أمم تلك الرسائل بالقطاعي. في سبيل الاطلاع على مراجع في هذا الشأن، انظر المرجع السابق، ثم أضف:

E. Edel, NGWG (1978), no.4; SAK 7 (1979), 23-39; Sitzungberichte, Österreichische Akademie der Wissenschaften 375 (Vienna,1980); H. Otten in M.Görg, ed., Festschrift Elmar Edel (Bambergk 1979), 314-18.

Redford, King-lists, 128, n. 3. (67)

(٧٥) انطلاقا من هذه المواقف المصطنعة سك مصطلح": Königsnovelle أي القصة الملكية أو "قصة الملك"، انظر:

A. Herrmann, Die ägyptische Könignovelle (Leipzig, 1938); S.Herrmann, Wissenschaftliche Zeitschrift der Karl-Marx Universität, Leipzig 3,no. 1 (1953-1954), 51-62; J.van Seters, In Search of History (New Haven, Conn., 1983), 160-64.

ولكن ينبغى علينا أن نفهم هذا المسطلح، بشكل صحيح ، بما لا يجعله يزيد عن كونه اسم مكان: opos ، وليس اسم نوع أدبى خالص.

(٨ه) النوع (الأدبى) الذي يجوز إطلاقه هنا: أعمال الفرعون المبارة ، معروف جيدا من تلك النماذج التي وصلتنا من الأسرة الشامنة عنشرة، منثل صنواديد/الواح "أرمنت" ومنواديد/الواح "أبوالهول" للفرعون "أمين-حوتب" الثاني، قارن:

(ANET2,243-45),

رقد نشئ على وجه الاحتمال، من الترتيل المرتجل المدانح الملكية. وبحلول الأسرة التاسعة عشرة أصبح هذا النوع الأدبى أكثر صراعة، وخصوصا على مستوى الأوزان الشعرية، حيث هدف واضعوه إلى أن يغنى، انظر: . King-lista, 128, n.3

- G.A. Gaballa, Narrative in Egyptian Art (Mainz am Rhein,1976). انظر: (٩٥)
- Cf. B. Bruyère, FIFAO 4 (1926), pls. li-iv; J. K. Hofmeier, in The Akhenaten (%)
 Temple Project (Toronto, 1988), 2:40; A. H. Zayed, in P. Posener- Krieger,
 ed., Mélanges Gamal Eddin Mokhter (Cairo, 1985), 1: pls. 1-11.
 - (٦١) حول قوائم أسماء الأماكن، انظر:
- J. Simons, Handbook for the Study of Egyptian Topographical Lists Relating to Western Asia (Leiden, 1937); E. Edel, Die Ortsnamenlisten aus dem Totentempel Amenophis III (Bonn, 1966); M.Noth, ZDPV 61 (1938), 26ff.; D.B. Redford, JSSEA 12 (1982), 55-74;

تظل درجة المدق التاريخي التي تحوزها هذه النصوص مثار جدل، وينبغي على الباحثين أن ينفنوا حذرهم ضد "التفكير الاستهوائي" wishful thinking . وإذا تناولنا مثلا راحدًا وحسب، في هذا الصدد فإن قائمة الفرعون "سيتي" الأول التي ترجع إلى "القرنة" (Simons, Handbook, XV) تحتوى على قسم يضم اثنى عشر اسما (24-0.13) نستطيع ربطها، بمدورة صحيحة ظاهريا، بحملة "بيت شان" التي أنفذت في السنة الأولى من حكمه، إلا أنها تتضمن مواقع مستحيلة مثل "قسيرص و "أشور" و "بابا - ن - هي" (في شمال ميزوبوتاميا (= بلاد الرافدين حاليًا ... مرتبن!) و "تاخسي" (مرتبن!) وكذلك "قطنة" (المرجع السابق XIV,no.31)

- Redford, King-lists, 154-58. (NY)
- D.J. Wiseman, The Alatakh Tablets (London, 1954). انظر: (٦٢)
 - (٦٤) انظر:

C.F.A.Schaffer, Ugaritica 6 vols. (Paris,1939-); C.F.A.Schaffer and C.Virolleaud, Le palais royal d'Ugarit,5 vols,(Paris,1956-).

- D. Arnaud, Syria 52 (1975), 87-92; J. Margueron, Syria 52 (1975), 53 ff. (%)
- Bottero, Ra 43 (1949), 1-40, 137-215; and Epstein, JNES 22 (1963), 242-46. (٦٦)
- W. F. Albright, BASOR 94 (1944), 12-27; A. Glock, BASOR 204 (1971),17-30. (W)
 - D. I. Owen, Tel Aviv 8 (1981), 1-17; I. Singer, Tel Aviv 10 (1983), 3-25. (٦٨)
 - D. O. Edzard, Kamid el-Loz-Kumidi (Bonn, 1970). (74)

- Cf. E. F. Weider, Politische Dokumente aus Kleinasien (Berlin, 1923); A. Goet- (V·) ze, in ANET², 318-20; Gumey, The Hittites, 224-25 (8); H. Hoffner, Orientalia 49 (1980), 283-332; A. Kammenhuber, Saeculum 9(1958), 136-55; H.klengel, Klio 69 (1987), 314-16.
 - (٧١) حول اللغات التي يضمها الأرشيف انظر : .31-Gumey,The Hittiles,117-31
- H. Otten, MDOG 91 (1958), 78ff.; F.Comelius, Orientalia 28 (1959), 292 ff.; (YY) Kammenhur, Saeculum 9 (1958), 143,n.37; Hoffner, Orientalia 49 (1980), 293 ff.
 - Van Seters IN Search of History, 105-13. (VT)
- See Hoffner, Orientalia 49 (1980), 311; V.Korosec, Hethitisches Statsverträge (V£) (Leipzig, 1931).
 - E.Edel, Ldà 3 (1980),482-83. (Vo)
 - Harrak, Assyria and Hanigalbat. (V1)
 - Gurney The Hittites,24-25. (VV)
 - ANET2,394-96 (YA)
 - H. Otten, Die Apologie Hattusilis III (Wiesbaden, 1981). (V1)
 - (٨٠) انظر غيمن أعمال أخرى:
- W. Helck, AfO 22 (1968-1969), 27 ff.; N.Na'aman, UF 6 (1974),265-74; Redford, JAOS 99 (1979),270-87.
 - Wiseman, Alalakh Tablets, nos.13,14 (seal). (A\)
 - A. Goetze, JCS 11 (1957),55 and n.30. (AY)
 - H. Otten,JCS 5 (1951),129-30ff.;idem,Fischer Weltgeschichte 3 (1966),127. (AT)
 - Klengelk, Geschichte, 1:175. (A£)
 - Jbid.,228;S.Smith, The Statue of Idrimi (London,1949),59-60. (Ao)
- A.H. Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica (Oxford, 1947), 1:168ff.; W.Helck, (AN) Die Beziehungen Ägyptens zur Vorderasien (Wiesbaden, 1972), 152.
 - Klengel, Geschichte, 1:45, n.12; Helck, Beziehugen²,307. (AV)
- ورد ذكر 'نييا' في المعاهدة المبرمة بين 'سوبيلوليوماس' وبين 'نيكمالو' الثاني ,340 (RS 17. 340) (.i Palais royal d'Ugarit, 4:48 ff.) باعتبارها تابعة، بوضوح، لأراضي نوخاششي'.
 - Urk IV, 891:17; Helck, Beziehungen², 299-300. (AA)
- (A۹) نوث: Noth يقول إنها "تل حنا" حاليًا، تلك التي تقع على بعد ١٦ كيلو متراً شمال غربي "قطئة"
- (ZDPV 64 (1953), 71; see also Helck, Beziehungen², 139-40); H. Klengel, Geschichte Syriens im 2. Jahrtausend v.u.Z. (Berlin, 1965), 47, n.39; Helck,UF 5 (1973), 286-87; M.Astour, Orientalia 46 (1977),51ff.; A.Altman, Bar-Ilan Studies in History (Ramat Gan,1978),5,n. 12.

- M.S. Drower, CAH³ II, pt. 1 (1973), 430-31; W.T.Pitard, Ancient Damascus (%) (Winona Lake,Ind.,1987),50-51.
 - D.B. Redford, Akhnaten the heretic King (Princeton, Nj., 1984), 15-16. (11)
 - Urk Iv,102:15,138:9,86:1. (4Y)
 - Vandersleyan, Les guerres d'Amosis,90ff.;Redford JAOS 99 (1979),270-87. (47)
- (٩٤) قارن 'الموتيف' الأدبى للملك 'قانص الصيونات صبائد الطيور'، الذي أصبح شبائعًا في الاستعمال بصورة مفاجئة':
- R.A. Caminos, Literary Fragmonts in the Hieratic Script (Oxford,1959).
 - H. Altenmüller, LdÄ 3 (1980),221-24 and n. 17. (%)
 - (٩٦) حول الملكة "حتشبسوت" انظر:
- S.Ratié, La reine-pharaon (Paris,1972); idem,La reine Hatshepsout: sources et problems (Leiden,1979).
- D.B.Redford, The History and Chronology of the Egyptian 18th Dynasty. Seven (N) Studies (Toronto, 1967), 57-62.
 - Ibid.80. (4A)
- P. Lacau and H. Chevrier, Une Chapelle d'Hatshepsout à Karnak (Cairo, (11) 1977), 144.
 - E. Naville, The Temple of Deir el-Bahri (London, 1898), 3:pl.62, lines 33-34. (\...)
 - Urk IV,247:14-248-9. (\.\)
 - Urk IV, 370:3-371:3. (1-Y)
- F.Gomàa, Die Besiedlung Ägyptens währrend des mittleren Reiches (Wiesba- (۱-۲) den, 1986), 2:279 (Sinal or Arabah).
 - Urk IV,372:2-373:11 (1-1)
 - Speos Artemidos,lines 11-15. (1.0)
 - Lacau and Chevrier, Chapelle,115. (1-1)
 - Ibid.,144,147-48. (\.V)
 - A.A. Saleh, JEA 58 (1972), 141, n.1. (\.A)
- (١٠٩) هناك نقوش لـ 'حتشبسوت' و ('تحوت موسى' الثالث) في 'سرابيط الضادم' ترجع إلى السنوات الخامسة والحادية عشرة والثالثة عشرة:
- (J.Cerny and A.H. Gardiner, The Inscriptions of Sanai (London, 1952), pls 56-57,61,68; the expedition of year 20 (Ibid., pl.58) and perhaps year 16 (P-M VII,343) are too late to have been the inscription for what is quoted in the text) وقد تكون حملة السنة السنة السنة السنة أيضًا متأخرتين إلى حد لا يجيز الاستشهاد بنقشيهما على نحو ما ورد في النص).

- (١١٠) المنتجات الواردة في القائمة استوائية وموطنها ليس ليبيا، وريما تكون قد جلبت من السودان عبر طريق الواحات.
- R. Giveon, Les bédouins Shôsou des documents égyptiens (Leiden, 1971), 9-10. (۱۱۱)
 - (١١٢) للاطلاع على ما حدث في أعقاب ذلك انظر: 16-115, Helck, Beziehungen²
 - Urk IV, 547:4. (11Y)
 - (١١٤) إشارة محطة بالشأن إلى ملك "ميتاثي".
 - Urk IV, 9. (11a)
 - Urk IV, 36. (117)
- L. Borchardt, Altägyptische Zeitmessung (Leipzig,1920), pl.18; H.Brunner, (\\V) MIOF 4 (1956), 323-24;
- يفترض البعض، وهم على حق على وجه الاحتمال في ذلك، أن النص يشير إلى "تحوت موسى" الأول، مع أن اسمه لا يظهر في هذا النطاق. وفي العامود التالي مباشرة بيدأ "أمين إم حات" سجلاً طويلاً من الخدمة تحت حكم الفرعونين: "أحموسي" و "أمين حوتب" الأول: انظر: W.Heick, Oriens Antiquus 8 (1969),301-2; L.Bradbury,Serapis 8 (1985),19.
 - Urk IV, 697:5; A.J.Spalinger, JNES 37 (1978),35ff. (\\A)
 - Naville, Deir el-Bahri, 3:pl. 80; (\\1)
- Gardiner, Onomastica, 1: 158" : يمول نسبة النص إلى "تحوت موسى" الأول انظر:

 Berlin 14994: Agyptische Inschiften aus staatlichen Museen zu Berlin (۱۲۰)
 (Leipzig, 1924), 2:115.
- Ineni's tomb:N de G.Davies, Private Tombs at Thebes (London, 1963), 4:pl.22. (\Y\)
 - B.Bruyere, FIFAO 3 (1926), pls.ii-iv; (\YY)
- وقد عُثر على هذه النصوص في المعيد الجنائزي له "تحوت موسى" الثاني، وانتفاوت تقديرات المرخين للتاريخ الذي يعزونها إليه بصورة كبيرة. وانظر في هذا الصدد:
- P-M2II, 456; Hoffmeier, in Akhnaten Temple Project,2:40
- وفي ضوء غياب "تحوت موسى" الثاني عن المسرح الآسيوي، فيكون المعقول أن نرى فيها تخليداً لماثر والده.
 - Bottero, RA 43 (1949), 33. (171)
 - R. Domemann, BASOR 241 (1981),46. (\Y\xi)
 - (١٢٥) حول نقش "إدريمي" انظر:
- Smith, Idrimi, 59-60; Klengel, Geschichte, 1:182 and n. 33;228-29; M. Dietrich and O.Lorenz, UF 13 (1981), 201-69, Van Seters, In Search of History, 188-91.
 - Wiseman, Alalakh Tablets,no. 395; Klengel, Geschichte, 1:219, 229. (177)
 - Cf. Wiseman, Alalakh Tablets,no. 4; Klengel, Geschichte, 1:229-30; 2:334-35. (\YV)

- Wiseman, Alalakh Tablets no.3; Klengel, Geschichte,1: 219 and n.3; Smith, (NYA) Idrimi, 18-20.
 - Cf. Wiseman, Alalakh Tablets, no. 101. (\Y1)
- - 10 0044 0050 57440 0 (177
 - Cf. Urk IV, 664:1-665:2; cf.744:3-8. (\TT)
- See C.F. Nims, ZÄS 63 (1966), 97-100 : P.F. Dorman, Fourth International (\YY) Congress of Egyptology, Abstracts of Papers (Munich, 1985), 55-57.
- Gardiner and Cerny, The Inscriptions of Sinai, pl.57:181; T.Säve-Söderbergh, (\YE) Aegypten und Nubian (Lund, 1941), fig.16(209).
- (١٢٥) هذا هو التاريخ الماسم الذي يبدأ به صادود/لوح أرمنت (Urk IV,1244)، وهو التاريخ الذي M.S. Drower (in R. أصبح الآن مقبولاً من جانب الجميع، عقب أعمال إم.إس. دروور: Mond and O.Myers,The Temples of Armant(London,1940))

 Ratié, La Reine Hatshepsout, 295-96.
- (١٣٦) اتخذ ملك "قادش" قراره باستدعاء جيوش الدول التوابع إلى "مجدو"، استعدادًا النحف على مصر (قارن الصياغة الواضحة دون أي لبس له "بركل" سطرا ٧، ٨) قبل عدة شهور بالضرورة من التاريخ المذكور على صادود/لوح "أرمنت". وطالما أن عشرة أسابيع وخمسة أيام وحسب تفصل بين ذلك التاريخ ويدء الحملة، ولما كان "تحوت موسى" الثالث لابد أن يكون قد بدأ حشد القوات المصرية عقب رحيل "حتشبسوت" بوقت قصير، ولما كان دافعه التحرك السريع هو الأنباء التي بلغته حول الحشود الكنعانية في "مجدو"، وهي الأنباء التي كانت لتستغرق شهرًا أن نحو ذلك كي تصل إليه، في ظل أفضل الظروف المكنة) ولابد أن تجميع هذه الحشود في "مجدو".
- الاطلاع على الحملات يستطيع المرء أن يستطلع اراء، دون أن يخيب له رجاء، كلا من:

 J.H. Breasted, Ancient Records of Egypt (Chicago, 1906,2:sec.391-391-540;

 J.Wilson,in ANET2,234-41;H.Grapow,Studien zu den Annalen Thutmosis des

 Dritten (Berlin, 1949); S.Yeilvin, BibOr 23 (1966), 18-27; Helck, Bezeihungen

 2,119-56; A.J. Spalinger, JARCE 14 (1977), 41-54; Redford, LdÅ 6 (1984),185-93.
- وبروح أكثر شعبية، انظر : . (Munich, 1984). A. Tulhoff, Thutmosis III (Munich, 1984). ترجع حوليات الكرنك إلى نصو عقدين من الزمان بعد الحادث وتقدم الرواية المفعمة بالتفاصيل، تلك التى تعتمد على دفيتر اليومية، ولكن بعد صبغها بطابع أدبى ويلاغى، انظر، بين أخرين:
- Grapow, Annalen; I.Shirun-Grumach, in A.Rofe and Y.Zakovitch,eds.,Israel leo Seligman (Jerusalem, 1931), I:79-94; A.J.Spalinger, MDAIK 30 (1974), 221-22; Idem., GM 33 (1979), 47-48;
- أعد الآن طبعة جديدة للحوليات في إطار مقال قادم حول الفرعون 'تحوت موسى' الثالث. ويستطيع المرء عبر المقارنة الحصيفة الروايات المختلفة أن يتوصل دون عناء إلى ما يقرب كثيرًا من حقيقة ما حدث.

- Barkal stela, lines 21, 24, (\Y4)
- (١٤٠) وفي سنة ٢٥ من حكمه جمع طائفة من النباتات الغريبة من فلسطين! قارن في هذا الصدد: W. Wreszinzki, Allas zur altägyptischen Kulturgeschichte (Leipzig, 1935),2:pl.26.
 - (١٤١) قارن "المخصص" في ١٤١٥) قارن "المخصص" في ١٤١٥)
 - Urk IV, 691:10-11. (\£T)
 - (١٤٣) نجد بعض المعالجات عند:
- R.O. Faulkner, JEA 32 (1946), Helck, Beziehungen2, 138 39; P. M2II, 89 (240-44); Redford, Ldà 6 (1984),185-93.
- Barkal stela,lines 9-17;Armant stela,lines 7-8,seventh pylon inscription (Urk (\\ \\ \\ \) IV,188-89; possibly Urk IV ,676-77; cf.also the "poetical" stela,lines 7-8, and the Constantinople obelisk) Cf.L. Habachi, The Obelisks of Egypt (New York, 1977) 147).
- Yamu-nedjeh (Urk IV, 1370); Minmose (Urk IV, 1441); Montu-iwy (Urk IV, (15a) 1467); Amenemheb (Urk IV, 890-92).
- N. de G. Davies and A. H. Gardiner, The Tombs of Menkheperrasonb. (\\1)
 Amenmose and Another (London, 1933), pls. 5 and 7.
 - (١٤٧) Barkal stela,line 9 (مايود/لوح بركال. السطر التاسم).
 - A. Spalinger, JNES 37 (1978), 35-42; W. Helck, CdE 56 (1981), 241ff. (1£A)
 - EA 109:44. (\ £4)
 - Urk IV, 700-701, 727. (\o.)
- لا تشير المصادر المصرية إلى أسساء الملكك، ولكن إذا صدق تأريخنا، فإن الملك الأشورى Assyrian Royal inscriptions الإبد وأن يكون أشور نرارى الأول، انظر: A.K. Grayson, (Wiesbaden, 1972, 33-34)
 - وربما يكين الملك البابلي هو بورنا بورياش الأول، انظر:

Drower, CAH2 II,pt.1 (1973),442).

ولكن التعرف على الملك الحيثى أكثر صعوبة، نظرا الننا لم نعثر بعد على أي قائمة الملوك الحيثيين حتى تاريخه، ولكنه قد يكون على وجه الاحتمال: "تليبينوس" Telepinus

Urk Iv, 707-8, 724. (101)

Cf. EA 51:4-5: "Manahbi<ri>ya," (\o\tau)

"ماناهبى - رى - يا"، ملك مصدر ووالد والدك، قام بتعيين "تاكو": Taku في "نوخاششي" وصب الزيت على رأسه وإذا كان لنا أن نحمل ذلك محمل الصدق الحرفي، فإن تعبير والد والدك يشير إلى الفرعون "تحوت - موسى" الرابع طالما كانت هذه الرسالة قد أرسلت إلى أخناتون". ولكن التعبير قد يشير أيضا إلى مجرد "سلفك في الأسرة الحاكمة"، وفي المشيقة أن "تحوت - موسى" الرابع هاز في وقت لاحق لقب وإلد الوالدين"، انظر:

(Redford, King-lists,52).

وهناك اعتراض أكثر جدية يتمثل في نطق الاسم في اللغة الأكدية، وهو النطق الذي يقترب بدرجة كبيرة من الصيغة التي كان للاسم الأول للفرعون تموت - موسى الثالث أن يأخذها في الأكدية. وفي سبيل الاطلاع على نقاش أوسع ومراجع أو في، انظر:

B.Bryan, 'The Reign of Thutmose IV" (Ph.D.Diss.Yale University,1980),431-34.

(١٥٢) تشير المصادر إلى نصب حامية مصرية في مستهل حكم "أمين -- حوتب" الثاني في موضع يدعى: إي - كا - تي، انظر: 1312 Virk IV.

وإذا كان هسذا الموضع هو أوجساريت، فإننا نكون قد وقعنسا هنا على هجساء غير قياسى (= شاذ)، طالما كان اسم أوجاريت يظهر في نقوش المصادر المصرية، في العادة، على هذا النحو: إلى - كا - رى - تي)، و مع ذلك فنظرا لأن فقرة الفرعون أمين-حوبب الثاني، تُعد أقدم إشارة في هذا الصدد، فلريما كان الكاتب يسير وقتئذ وفق ميل مصرى قديم، يرجع إلى اللغة المصرية الوسيطة، نحو توحيد رسم اسم المكان ذاك. ولقد حاول أستور ، على نحو بارع أن يشكك في تعيين الاسم على أسس جغرافية، دون الأسس اللغوية، انظر:

Ugarit in Retrospect (Winona Lake,Ind.,1981),14).

ويقول صادود/لوح الكرنك بن المسافة بين نبيا و إي - كا - تى والعودة إلى طا - ر - غ لا سستغرق أكثر من عشرة أيام على الطريق من نبيا حتى قدسى، وهى رحلة ذهاب وإياب يصل مداها إلى ٢٦٠ كيلو متراً، إذا صدق أن أوجاريت هى المدينة المقصودة، ولكن على المريق إلى "قادش"، ولكن الأضضل أن تكون المدينة المعنية هى ذا لفي على الطريق إلى "قادش"، ولكن الأضضل أن تكون المدينة المعنية هى ذا الفي " كالفي أي حال، قارن:

(Edel, Ortsnamenlisten, 82; EA 126:5)

ويسهل قبول أن يستغرق الزحف من "نييا" إلى "أوجاريت" ومنها إلى 'زالمَى'، أى قطع ما يسهل قبول أن يستغرق الزحف من "نييا" إلى "أوجاريت" ولمزيد من النقاش، انظر: Gardiner, Onomastica, 1:165°; E.Edel, ZPDV 69 (1953), 149 ff..; Helck, Bezie-hungen², 157, Klengel, Geschichte, 2:2,336-39.

ولكن متى خضعت 'أرجاريت'، على وجه التحديد، لمصر، ولكن تاريخين يطرحان نفسيهما هنا: خضوع طوعى خلال الحملات الفينيقية التى قام بها الفرعون "تصوت - موسى"، أو غزو وقع خلال الحملة الحادية عشرة أو الثانية عشرة (١٤٦٩-٤٦٨ اق.م.). وتستطيع الإشارات التى وردت في (٤٨٠٤ EA) إلى أن ملوك 'أوجاريت' القدماء كانوا في منزلة الخدم لمسر، أن تدفع تاريخ خضوع المدينة إلى الوراء زمنيا.

Klengel, Geschichte, 2:1, 68. (\o1)

(١٥٥) وردت الإشارة إلى وفاته في نص "نوزي": Nuzi ، نستطيع إرجاعه إلى عهد قريب من ذلك التاريخ،، انظر:

Harvard Semitic Series XIII,165:3; W.F.Albright, BASOR 118 (1950), 17,n.27; ولكن يحسن بالقارئ أن يمعن النظر في الملاحظة اللاهقة.

(١٥٦) يستمر الافتقار إلى أى أرشيفات ميتانية تضم المراسلات الدبلوماسية أو نتابع الحكام على عرش البلاد في إرباك أى محاولة لرسم أى قائمة للملوك الميتانيين، وكل ما نستطيع قوله هذا، عرش البلاد في إرباك أى محاولة لرسم أى قائمة للملوك الميتانيين، وكل ما نستطيع قوله هذا، على نحو مؤكد، أن "بارتارنا": Barratama كان معاصراً لـ: إدريمي": الماشاة قبل جيل واحد من الفرعون "تحوت - موسى" الثالث، انظر: (Smith, Idrimi, 16) وأننا نستطيع وضعه قبل جيل واحد، على وجه التقريب، من "سوساتار": Saussatar (استناداً للى أدلة "نوزي" التي يقدمها لنا الشهود في وثائق قانونية)، انظر:

H.Lewy, AIPHOS 13(1953), 284,no4 and 286ff.; Klengel RHA 36(1978)94-95), وأن الأخير بينهم كان معامسًا متأخرًا للفرعين "تحوت - موسى" الثالث، حيث وافت منيته بعد المقد (= عشر سنوات) الأول من حكم "أمين - حوتب" الثاني، انظر:

(Klengel, Geschichte, 1:39; W.Helck, Geschichte der alten Ägypten (Leiden, 1968), 163).

لا نملك أسبابا وجيهة تدعونا إلى الاعتقاد بأن 'بارساتاتار'، والد سوساتار، تقلد منصب الملك يومًا في بلاده، انظر : ,(R.Lachman, BASOR 78(1941),22)

وقد يكون ممثلا، على وجه الاحتمال، لفرع من عائلة مختلفة عن تلك التي ينتمي إليها "باراتارنا" (مم كامل احترامي لـ: (Flimperati, I Hurriti (Florence, 1964), 58ff.)

مع أننا قد نقبل عقلا أن يكون قد أحتل العرش لدة قصيرة بعد رحيل "باراتارنا"، انظر أيضا: G.Wilhelm, Acta Antiqua 24 (1976),149-61.

وفي الأونة الأخيرة ساق "دى إل. شتاين" حججا جديدة تأييدًا (60-36,(1989)7 ZA) لوجود ملك يدعى "باراتارنا" الثاني، وإعادة تاريخ "سوساتار" كى يقع حكمه في نهاية القرن الخامس عشر ق.م. ولكنني أجد صعوبة حقيقية في قبول تاريخ متأخر إلى هذا الحد، حتى استنادا إلى التأريخ "المنخفض" للأسرة الثامنة عشرة.

Urk IV, 729-30; (\av)

هنا، فيما يبدو مرجحا، أو خلال حملة ما لم تصادف تسجيلا، عقب ذلك بوقت قصير - حوليات الكرنك - تنتهى عند هذه النقطة، كان نبوغ "أمين - أم - حب" قد بلغ حد تقويضه سور "قادش"، انظر: . 394:5-894:5-894:5

. (حول الهوية انظر: ص ١٧٥ بالنص الأصلى) Cf.EA 59:6-10.On the identity see,p.175. (١٥٨) R. Hachmann, in D. O. Edzard et al., eds., Kamid el-Loz-Kumidi (Bonn, 1970), (١٥٩) 85; S. Ahituv, Canaanite Toponyms in Ancient Egyptian Documents (Leiden, 1984), 187.

Urk IV, 893:6-13; 1442:16-18. (\7.)

كافة الإشارات إلى هبة "تاخسي" ترجع إلى تاريخ أسبق من سنة ٤٧ وخاتمة الموليات، C. Kuentz, Deux stèles d' Amenophis II (Cairo, 1925),47-56. (١٦١)

Weidner, Politische Dokumente, 39; E. A. Speiser, JAOS 49 (1929), 269-70; (NTY) Harrak, Assyria and Hanigalbant, 42-43.

Cf. Klengel, Geschichte, 1:183; Wiseman, Alalakh Tablets, nos. 13, 14, and (۱۹۲) passim.

(١٦٤) حول تعداد الحملات و تواريخها السنوية، انظر:

Edel, ZDPV 69 (1953), 158; A.Alt, ZDPV 70 (1954), 41,n.29.

(١٦٥) انظر الآن نقاشاً شاملاً وقائمة بالمراجع في:

P.der Mänuehian, Studies in the Reign of Amenophis II (Heidsheim, 1987), 56-83.

G. R. Meyer, MIOF 1 (1953), 110; H. Otten, Saeculum 15 (1964), 122. (\\\\)

Meyer, MIOF 1 (1953), 122-123. (\\\Y)

Wiseman, Alalakh Tablets, no. 14; Klengel, Geschichte, 1:229. (١٦٨)

Urk IV, 1309:13-20. (\79)

Urk IV, 1326. (\V+)

(۱۷۱) اسم الملك الميتاني ليس معروفًا، ولكنني أفضل أن أرى في المفاوض تحت حكم الفرعون أمين - حرتب الثاني ملكا عاش مبكرا عن أرتاتاماً: Artatama ، نجل وخلف سوساتار على العرش، انظر : (Kbo 1,3obs.8)

الذى عاصر الفرعون تحوت - موسى الرابع. وليس فى وسعنا إلا أن نفترض تغيرا فى الحكم كى نفسر الوضع الذى شعر الفرعون الجديد، تحوت - موسى الرابع فيه، بأن يده طلبقة فى مهاجمة ممتلكات ميتانى دون رد قعل: لم يبرم أبدا أى معامدة مع نظيره فى "خاتى" (انظر النقاش اللاحق).

Klengel, Geschichte, 1:39; Helck, Beziehungen², 161; Bryan, "The Reign of (NYY) Thotmosis IV," 423-24.

رغم أننى أعتقد أنه من الأفضل أن نؤرخ لماهدة كوروشتاما": Kurushtama في وقت مبكر . من حكم "أخناتون": انظر النقاش اللاحق).

(١٧٢) حول المشكلة الشائكة التي تخص ترتيب وهوية الذين سبقوا "سوبيلوليوماس" في الجلوس على عرش "خاتي"، انظر بوجه خاص:

A.Kammenhuber, Orientalia 39 (1970), 278-301; H.G.Güterbock, J NES 29 (1970), 73-77; W.Helck, in M.Görg, ed.Eimar Edel Festschrift (Bamberg, 1979), 238-39; S.Kosak, Tel Aviv 7 (1980), 163-69.

Talmisharuma treaty: for bibliography, see Klengel, Geschichte, 1:177-78; also (\V\xi) N.Na'aman JCS 32 (1980), 34ff.

(۱۷۵) مكذا وفقا لرواية أخرى، انظر: 16 (1964), 216 . H. Klengel, MIOF (1964)

Klengel, Geschichte, 1:189, n. 38. (\V\)

(۱۷۷) للاطلاع على أدلة على شخصية هذا الفرعين غير العادي، انظر ص ٢٣٠ بالنص الأصلي. EA 29:16-18; A. R. Schulman, JNES 39 (1979), 189, n. 54; bryan, "The Reign (۱۷۸) of Thotmosis IV," 158-61. C. Kühne, Die Chronologie der internationalen Correspondenz von El-Amarana (\V\) (Neukirchen-Vluyn, 1973), 20, n. 85.

(١٨٠) نجد معالجة حاذقة للغاية لهذه الحملة في:

Bryan, The Reign of Thutmosis IV,*422-25.

حيث رجعنا لأدب سابق.

Urk IV, 1556:10-11. (\A\)

(١٨٢) عن توقفه في "صيدا"، انظر: EA 85:71; Helck .

EA 85:71; Helck, Beziehungen², 174,

Cf. Klengel, Geschichte, 2:1, 24; Na'aman, JCS 32 (1980) 38-39;

(۱۸۲) حول موقع نوخاششی، انظر:

Gardiner, Onomastica, 1:168° ff.; Klengel, Geschichte, 2:18; Helck, Beziehungen², 152.

تثبت رسائل "أخيتاتين" (= العمارية) بالمثل أن "نوخاششى" كانت بعيدة عن نطاق المدود المصرية، رغم أن طوك "نوخاششى" كانوا يحبون فرعون مصر (44-53:41 EA) ولم يدفعوا أي جزية طوال حياتهم لمصر (51-53:50 EA) ولم تكن "نوخاششى" قد أصبحت (بعد) تابعة للفرعون .(22-51:55 EA)

Cf. Wiseman, Alalakh Tablets, no. 215:4 (list of landowners whose property is (\A£) located in the vicinity of Niya); nos. 397:4, 400:7 (copper and bronze distributed to Niya); nos. 364:5, 426:3 (passage of officials and presents).

(١٨٥) تقع 'قلعة سنجر' على الضفة اليسرى لنهر العاصبي، شمال غربي مدينة 'حماه': ع م 200 م معدنظمووي ال

Klengel, Geschichte, 2:31,n.8.

Cf. KUB III,16,20 (Weidner, Politische Dokumente,136047,no.10); EA 59. (١٨٦) ليس هناك دليل بالمرة على أن مصر بسطت سيطرتها على "تونيب" بعد انسساب القرعون "أمين – إم – حات" الثاني في السنة التاسعة من حكمه:

Pace A.Alt, Kleine Schriften zur Geschichte des Volkes Israel (Munich, 1959), 3:210; Helck, Beziehungen², 295; Pitard, Ancient Damascus. 57.

EA 55:4-9;cf.52:6,53:64-65 (differently Klengel,RHA 36 (1978),110). (NAV)

Pitard, Ancient Damascus, 64. (NAA)

هناك تناقض في أمر 'قادش'، إذ بينما يقرر 'إتكاما'، حاكمها، في EA189 أنه تابع من أتباع مصر، يصرح "سرييلوليوماس في اللوح 'السابع' ({H.Güterbock,JCS 10{1956}}) إنه كان ربيبًا لم 'ميتاني'. و الأمر الراجع أنه في الوقت الذي دونت فيه 'أعمال الرجال' في خواتيم القرن الرابع عشر قم. كان الوضع الأسبق لم 'قادش' قد دخل في ضباب التشوش، ولكن الافتراض السائد الآن أنها أي 'قادش' كانت ولاية تابعة لم 'ميتاني'.

- H.Klengel,in M.Liverani,ed.,La Siria nel tardo bronzo (Rome, 1969),18,n.9. (\A4)
 - Ibid., 21. (14.)
- Gelb, JCS 15 (1961), 42; Klengel, Geschichte, 1:187,n. W.F.Albright, Yehweh (\1\) and the Gods of Canaan (New York, 1968), 116, n. 15; R.de Vaux JAOS 88 (1968), 23-30; W.Helck,Ldà 3 (1980), 309-10.
- (١٩٢) تخلى العلماء منذ وقت طويل عن الفكرة القديمة التي تقول إن كلمة 'كنعان' مشتقة من الجذر السامى الغربي الذي يعنى: "انحنى، ثنى ركبته" وبالتالي فإن اسم كنعان يعنى الأرض الواطئة" وسكانها "أهل البلاد الواطئة" (M.Astour,JNES 24{1965},347) ويتفق في حقيقة الأمر عدد أخر، إلى جانب "أستور" على أن الكلمة مشتقة من كلمة "حورية": Hurrian تعنى "الصيفة الأرجواني:
- W.F. Albright, in Studies in the History of Culture (Menasha, Wis., 1942), 25,n.50; ويقول أميزلر و أجيبسون : B.Maisler,BASOR 102{1946},7-12;M.Gibson JNES (19-218,218-1961) إن كلمة "كنعاني" تعنى "تاجر" و "كنعان" بلاد التجار. ويقول "أستور" إن الكلمة كانت تعنى في الأصل بالله عسروب الشمس أي الغسرب. انظر: Astour,JNES) 24{1965}, 348} ي قسارن: ,S.Moscati, Studia Biblica et Orientalia (Rome, 1959). 3:268. وعندما ظهر اسم 'الكنمانيين' لأول مرة في رسالة ترجع إلى 'ماري': Mari في أواخر القرن الثامن عشر ق.م. كان الاستعمال اللغوى للاسم محط قليلاً بالشأن. قارن: ويرف (G.Dossin,Syria 50 {1973},277-78;A.F.Rainey,Tel Aviv 6{1979},156-59}; على الذهِن أن هذا الجذر في اللغة العبرية يعني بصفة شائعة: "أن يكون محطوطًا من شائه وأن يُحقّر وأن يستدل.
 - Cf. EA 45-47. (197)
- EA 49: W.F.Albright, BASOR 95 (1944), 30ff.; cf.C. Virolleaud, CRAIBL (1954), (1916) 257.
 - C.F.A. Schaeffer, Ugaritica (Paris, 1956), 3:78; cf. 82, n. 3, and 85, fig. 106. (\%)
 - Ugaritica, 3: fig. 120. (\11)
- C. Virolleaud, CRAIBL (1953), 209; (1955), 74; cf. Palais royal d'Ugarit, 2:18. (\9V) C. Desroches-Noblecourt, in Ugaritica, 3:179-80; Schulman, JNES 38 (1978), (\9A)
 - Astour, Ugarit in Retrospect, 16-17. (199)
 - (٢٠٠) انظر القصل السابع .
- (٢٠١) انظر أيضًا من ٢٠٨ من النص الأصلى. هذا الشكل يتضمن، وألحق يقال، نسبة ضديلة من الأسرى الذين جلبوا من "نخاششي" في الشمال، ولعله من المثير أن الاجتماع الذي عقده الفرعون 'أمين-حوتب' الثاني، بعد ذلك بعشر سنوات، في عاصمت المثلي 'جاهي': Djahy (= فلسطين) لم يشارك فيه سوى ممثلي إحدى عشرة مدينة و حسب، فمن الساحل أرسلت

ممثليها كل من ('أشساسف': Achasph و مشائيل و تشسارون و عشقلون وريما 'تانونا'
و 'ماتوم' أيضًا) ومن وادى 'كشون': Kishon والكرمل ("سامؤونا' و "مجدو و 'تناخ') ومن
شمال وادى الأردن ("كنيوث و 'حاصور'): .53ft, (1963) و48 C.Epstein, JEA 49 (1963), 53ft و المحاصور')
وفي موضع أخر يذكر اسم مبعوث 'لاخيش' .(P.Leningrad 1116 A,pl. 15:2)

Cf. T. L. Thompson, The Settlement of Palestine in the Late Bronze Age (Y-Y) (Wiesbaden, 1979), 59 and passim.

(٢٠٣) حول تنظيم اقتصاد الإمبراطورية للصرية انظر الفصلين السابع والثامن من هذا الكتاب. (٢٠٤) انظر:

G. Steindroff and K. C. Seele, When Egypt Ruled the East (Chicago, 1957); Helck, Beziehungen²; W. C. Hayes, CAH³ II, pt. 1 (1973), 338-401; E. Homung, LdĀ 1 (1973), 206-10; Redford, Akhenaten, 34-54.

Gelb, JCS 15 (1961), 29-34; J. R. Kupper, Les nomades en Mesopotami au (Y-a) temps des rois de Mari (Paris, 1957), 149-50; H. Klengel, MIOF 10 (1964), 60, 68; idem, Geschichte, 2:178-79; idem, in Liverani, La Siria nel tardo bronzo, 17-18; Altman, Bar-flan Studies in History, 4, n. 5; R. Giveon, LdĀ 1 (1973), 251-52.

(٢٠٦) عول "العابيرو" انظر: من ١٩٥ من النص الأصلي.

(۲۰۷) حول "عبدي - عشيرتا" انظر:

A.Altman, "The House of Abdiasirta" (Ph.D.diss., Bar IIan University. 1964); Klengel, Geschichte, 2:245-63; M.Liverani, RSO 40 (1965), 276-77; G.Kestemont, Orientalia Loveniensia Periodica 9 (1978), 27-28; W.J.Murnane, The Road to Kadesh (Chicago, 1985), 183-96.

EA 60:6-9. (Y.A)

EA 101:29-31. (Y-4)

Cf. EA 95:27-31; 85:51-55. (11.)

EA 90:19-23; 86:8-12. (Y\\)

(۲۱۲) حول (ازيرو) انظر:

H. Freydank, MIOF 7 (1960), 356-57; Klengel, MIOF 10 (1964), 57-83; idem, Geschichte, 2:264-65; Kühne, Chronologie Road to Kadesh, Murnane, 188-96.

Klengel, Geschichte, 2:342. (Y1Y)

Ibid., 204. (Y\£)

- (٢١٥) للاطلاع على المزيد انظر:
- Klengel, Geschichte, 2:184-85; W. Helck, in Görg, Festschrift Elmar Edel, (۲۱٦) 238ff.; Na'aman, JCS 32 (1980), 34-35.
 - Güterbock, JCS 10 (1956), 61-63; Astour, in Ugarit in Retrospect, 18. (YVV)
 - KBo i, 5:6-7. (۲۱۸)
- KBo I, 5; KUB XIX, 25. A. Gotze, Kizzuwatna and the Problem of Hittite Geog- (Y\9) raphy (New Haven, Conn., 1940), 61ff.; Gurney, the Hittites 78-79; Otten, Fischer Weltgeschichte 3 (1966), 142-43;
 - حول خلافة "إيشو وا" انظر:
- Kbo 1,1 verses 10-13 (Weidner, Politische Documente, 4-5); cf.also H.Klengel, Oriens Antiquus 7 (1968). 63ff.; 15 (1976), 85-89; idem,RHA 36 (1978),102.
- (٢٢٠) للاطلاع على الأحداث التي وقعت تحت حكم "سوبيلوليوماس" والمشاكل التأريخية التي تنطري عليها انظر:
- K.A.Kitchen, Suppiluliumas and the Amama Pharaohs (Liverpool.1961); Kühne, Chronologie;Redford, History and Chronology, 216-25; idem, Akhenaten,193-221; Murnane,Road to Kadesh,177-242.
 - Cf. EA 45:22-31. (YYV)
 - Weidner, Politische Documente,58-59;EA 17:31-38. (YYY)
 - EA 41:8-9. (YYT)
- EA 41; cf.EA 44 with similar requests (full bibliography in J.-G.Heintz, Index (YYE) documentaire d'El Amarna (Wiesbaden, 1982), 119).
 - (و ٢٢٠) قارن فحوى الرسائل الأربع: EA 26-29 انظر: Redlord, Akhnaten,195
 - D.B. Redford, in Akhnaten Temple Project ,2:14,pl.7:3. (YYT)
 - EA 35:49 (from the king of Cyprus); (YYV)
- السطر السادس والثلاثون يتحدث عن إرجاء مقابلة رسل أجانب لثلاث سنوات و لما كانت الرسالة السابقة مباشرة (35-32-33) قد ذكرت صعود 'أخناتون' إلى العرش، فإن (35-43) ترجع على وجه الاحتمال إلى السنة الرابعة على وجه التقريب من حكم 'أخناتون'.
- KBo 1,1 (Weidner, Politische Documente 2ff.) cf.also A.Goetze in ANET²,318. (YYA)
- Pitard, :(Upe) ألموقع ليسس معسروفًا، ولكن ذلك لا يجسيز لنا أن نتعسرف عليه في "أوب" (٢٢٩) Ancient Damascus,66ff.
- (٢٢٠) يفصيح "رد عدى" حاكم "بيبلوس" عصا يضسمره تجاه "زحف "سوييلولسوماس" في (٢٢٠) ومصلح "رد عدى حاكم "بيبلوس" على المناتون" من أن "الميثيين" يضرمون النيران في الأراضي وهم في طريقهم للاستيلاء على "بيبلوس". ومثلما عن الحال مع كثير من تقارير "رد عدى" ينبغي حمل هذا التقرير على مضمض cum grano salis .
 - H. Güterbock, RHA 66 (1960). (YT1)

يظل السؤال حول ما إذا كان هذا يماثل ما جاء في معاهدة كوروشتاما : Kurushtama السهورة (يجد القارئ نصها ومناقشتها في: (Murnane,Road to Kadesh,40-42) سؤالاً الشهيرة (يجد القارئ نصها ومناقشتها في: أصبارة الطاعون (Goelze,ANET2,395) ترحى وكأن المعاهدة التي أحضرت أهالي "كوروشتاما" إلى مصر لم تكد تُبرم حتى خُرقت، ولكن كلمات سوبيلوليوماس المحددة في رواية ابنه (99.5916) Güterbock,JCS) تشي بأن المعاهدة قديمة وليست مالوفة له. وتكمن المشكلة هنا: في أي وقت، قبل استيلاه سوبيلوليوماس على الأراضى الميتانية في سوريا، كان لمصر أي علاقات ذات شئن مع شعا وجه الإطلاق؟

(٢٣٢) للاطلاع على البنية النفسية للفرعون انظر: "ريدفورد": أخناتون، ذلك الفرعون المارق.

CF.EA 162:40-41. (YYY)

D. O. Edzard, Kamid el-Loz-Kumidl (Bonn, 1970), 56-57. (YTE)

Redford, in Akhenaten Temple Project, 2:14-15. (YTa)

(٢٣٦) (أدى الاضطرب حول حملة "سوريا الكبرى" (في معاهدة شاتبوازا) مع هبة "توخاششي" كما وردت (في المصادر الأوجاريتية) إلى تشاويه حاد في سياق الأعداث في بعض التواريخ الحديثة) .

EA 51-55; 59. (YTV)

Palais royal a' Ugarit, 4:35 - 55 (of خول انشقاق 'أوجاريت' لنظر النصوص الواردة في (۲۲۸) (۲۲۸) which RS 17. 340 is the most detailedl) also Astour, Ugarit in Retrospect, (19-20).

EA 53:11-15; 197:25-26. (YT4)

Comte du Mesnil du Buisson, Le site archéologique de Mishrife-Qanta (Paris, (Y£.) 1935), 33-34.

Cf. EA 174-76; (Y&\)

Cf. EA 53:46. (Y£Y)

Cf. EA 59:25-28 (Aziru threatening); EA 161:11-12 (Aziru residing in city). (YEY)

EA 161:48-50. (Y&E)

EA 162, 164-67. (YEO)

Cf. EA 169. (YET)

H. Freydank, MIOF 7 (1960), 360, 380; cf. KUB XIX, 9.i.11ff. "He (Suppliuliu- (YEV) mas) made the land of Kadesh and the land of Amurru his border."

n. 189.) انظر: ۲٤۸)

KUB XIX, 7 (Güterbock JCS 10 [1956], 85),. (YE4)

مَجوم أدى إلى تسليم المدينة النيران في أواخر حكم "أخضاتون" على وجه الإمكان. وحول EA 191. 195, : إمكانية أن يكون جلالته قد تحوك في اللحظة الأخيرة وأرسل تجريدة انظر : ,195 EK BOV,6.A.ii, 21-22. (Güler-bock, JCS10 [1956], 93).

D. B. Redford, BASOR 211 (1973), 36-49. (Yo.)

ورد ذكر الحملة فى فقرة مهشمة فى حوليات مورسيلين الثانى (السنة السابعة) والنقش الحالى موجود على حافة وعاء من الجرانيت، وقد أعلن البعض أنه مزيف بسبب خطأ فى كتابة الاسم الشخصى لـ «حور - إم - حب». ولكن النص المنقوش يثبت صحة فريدة الوعاء .

Güterbock, JCS 10 (1956), 94-95; Otten, Fischer Weltgeschichte 3 (1966), (Yal) 146-47; Redford, Akhenaten, 217-21; Murnane, Road to Kadesh, 225-26.

Weidner, Politische Dokumente, 60 (treaty with Tette); 70 (treaty with Aziru), (YoY) cf. p. 78; Palais royal d'Ugarit, 4:51(RS 17.340: Niqmaddu treaty); 89 (RS 17.353: Niqmepa treaty); Murnane, Road to Kadesh, 87, n. 23.

CI. Freydank, MIOF 7 (1960), 364; Palais royal d'Ugarit, 4:98. (YoY)

Freydank, 366; ANET², 204; Cornil and Lebrun, Orientalia Lovaniensia Periodi- (۲۵٤) ca 6-7 (1975-1976), 96-98.

Palais royal d'Ugarit, 4:284 (RS 19.68, line5). (Yoo)

هذه الرثيقة ترجع إلى نفس فترة حكم "عزيرو" عندما كان هو و "نيكمادو" من تواجع الحيثيين. (٢٥٦) .bid., 120-21.

Ibid., 76-77 (RS 17.368 recto 1-3). (YoV)

(٢٥٨) حول تاريخ هذه الغترة انظر:

R. Hari, Horemheb et la reine Moutnodj met (Geneva, 1961); R. Krauss, Das Ende der Amarna-Zeit (Hildesheim, 1976); J.-M- kruchten, le decret de Horemheb (Brussels, 1981); Redford, Akhenaten, 212-21; Murrane, Road to kadesh, 39-51.

M. Several, PEQ 104 (1972), 123-33; J. M. Weinstein, BASOR 241 (1981), 15-1. (۲۵۹) مول هذا الطريق العسكري انظر :

E. Oren, in A. F. Rainey, ed., Egypt, Israel, sinai (Jerusalem, 1987), 69-70; T. Dolhan, in ibid 121-22

Murnane, Fload to Kadesh, 70-72; idem, Ancient Egyptian Coregendes (Chicago, (۲۲۱) 1977), 183-85.

(٢٦٢) التعبير السابق يلحق أحيانًا بأسماء الآلهة أو يشير إلى استعادة عباداتهم في التماثيل والمعابد . وقد استخدمه كل من أمين - أم - حات الأول و حاتشبسوت و توت - عنغ -أمون و خور - أم - حب بمعنى (التجديد / الميلاد من جديد / النهضة) .

A. A. Caminos, The Shrines and Rock Inscriptions of Ibrim (London, 1968), (YTY) pls. 39-40.

Reliefs and Inscriptions at Kamak, vol. 4: The Battle Reliefs of king Sety I (YTE) (Chicago, 1985).

Mumane, Road to Kadesh, 53-54. (Y7.)

KAII, 9. (Y77)

Ibid.,12 (Y7Y)

Ibid., 16. (YJA)

P-M² VII, 383: J. Ledant, Orientalia 30 (1961), 394;M. Chehab, Bulletin du (1734) Musée Beyrouth 22 (1969), pl. 8 (3);

حول موقع 'نيوعام' انظر:

Ahitny, Conaanite Topongms in Ancient Egyptian Documents, 198-200.

KRI i. 24; Murnane, Road to Kadesh, 80-81. (YV.)

Murnane, Road to Kadesh, 91ff. (YV1)

(٢٧٢) سمَّى بالاسم الملكي: Muwatallis في الفقرة رهن الحديث: ANET2,200 .

(٢٧٣) انظر من ١٧٢ من النص الأميلي.

A.Goetze, MVAG 38 (1933), 83. (YV£)

Güterbock, RHA 66 (1960),59-60. (YVo)

Wreszinski, Allas zur altaegyptische Kulturgeschichte, 2:53; KRil, 24. (YVN)

النص المرجود داخل العصن الوهمي وأضح دون لبس:

'الصعود الذي أقدم عليه جلالته كي يدمر أرض 'قادش'(التابعة أو التي تشكل جزءاً من أراضي 'الأموريين' (مكذا)'

L.Habachi, BIFAO 73 (1973), pl.XI:10; (YVV)

حول الشراكة في المكم انظر: . Murnane, Coregencies,57-87

(۲۷۸) نقش تدشینی: Abydos:44-45

Ibid.,55-69. (YV4)

Apologie,secs,3-5.Hattusilis had been born no later than his father's ninth year : (۲۸۰) Goetze, MVAG ماتوسیلیس فی وقت لم یتجاوز السنة التاسعة فی حکم والده ماتوسیلیس (۱۹۵۵) 38 (1933),11-12.

D.B.Redford, JEA 57 (1971), 110-19. (YA1)

(۲۸۲) قارن معامدة 'شرشكامروا': Shaushkamuwa

(C.Kühne & H.Otten, Der Sausgamuwa Vertrag (Wiesbaden, 1971), obv. 1, 13-39),

وتشير صبياغة للعاهدة بصبورة ناصعة.

P-M VII., 385; KRI II, 1; P. Montet, Kêmi 16 (1962), 78; H. Goedicke, JEA 52 (YAY) (1966), 73-74.

: يستطيع المره أن يرجع بن أن يخيب له رجاء ، من بين الكم الضخم من الأب حول المركة إلى (٢٨٤) R.O. Faulkner, MDAIK 16 (1958), 93-94; G. Fecht, SAKII (1984), 281-82; A.H. Gardiner, the kadesh Inscriptions of Ramsis II (Oxford, 1960); Goedicke, JEA 52 (1966) H. 72; idem, ed., Perspectives on the battle of kadesh (Baltimore, 1985); W. Helck, AFO 22 (1969), 23-24; A. Kadry, BIFAO 81 (1981), 47-48, Kitchen Pharaoh Triumphant, C. Kuentz. la bataille de Qadesh (cairo 1928-1934); M. Moth, Wol, no. 3 (1948) 223-24; B. G. Ockinga CDE 62 (1987), 38-48. A.F. Rainey. UF 5 (1973), 280-81.

KRI II, 269; (₹٨٥)

حول آبی – رعمسیس" انظر:

J. Van Seters, The Hyksos, A New Investigation (New Haven, Conn., 1966); M. Bietak, Avaris and Pi-Ramesse (London, 1979).

(٢٨٦) نجد أقدم سبجل على وجه الترجيح على الكتلة الشمائية للصرح الأول للرامسيوم المعبد الجنائزي للفرعون رعمسيس الثاني في طيبة .

(٢٨٧) انتهت "السجلات" في معبدي الرامسيوم والكرنك إلى سلسلة من التصاوير المستطيلة الشكل التي يتعذر على المرء التعرف على ما تشير إليه .

M. Dothan, IEJ 25 (1975), 165; cf. (YAA)

قارن أيضًا الشقفة التي ترجع إلى السنة العاشرة من حكم ملك مجهول من مستوى تدمير "D.Vssishkin. IEJ 24 (1979), 272.

R. Lepsius, Denkmaeler aus Aegypten und Aethiopien (Berlin, 1849), 3:197c; (YA1) KRI II, 149.

KRI II, 213 (Amara West) . (۲۹.)

P-M2 II, 333 (202-4); cf. 438 (18); KRI II, 173-76. (Y91)

Ahltuv, Conaonite Toponyms, 146-168. : انظر (۲۹۲)

P-M2 II, 333 (202); Helck, Beziehungen2, 213. (Y97)

Otten, Apologie 1:22-23, 66-67 (norh and northwest of Hattusas: A. Goetze, (YAE) JCS 14 [1960], 46).

Otten, Apologie 4:32; A. Goetze, MVAG 29 (1925), 34; (٢٩٥)

حول "يوري - تيشوب" انظر على وجه الخصوص :

P.H.J. Houwinck ten cate, in Anatolian studies presented to hans Gustav cütenbock is tandal, 1974, 123-50.

E. Cavaignac, RHA 18 (1935), 25ff.; W. Helck, JCS 17 (1963), 87-88; R. Stef- (*1) anini, Academia Toscana ...La Colombaria 29 (1964), 1ff.

KUB XXVI, 70; H. Otten, AlO Beihelt 12 (1958), 67-68: "Urhi-teshup [Wrote] to (YNV) the king of Assyria, your father, [but you], Tukulti-ninurta, have sent (back) [to me] the tablet of Urhi-teshup."

A. Archi, SMEA 14 (1971), 185-215. (YAA)

Harrack, Assyria and kHanigalbat, 15-24. (Y11)

Mursilis's annais, years 2, 9: Goetze, MVAG 38 (1933), 26, 117, 247-48; Har-(r...) rack, Assyria and Hanigalbat, 48-59.

Harrack, Assyria and Hanigalbat, 62ff.; P. Machinist, in H. J. Nissen and J. (7-1) Renger, eds., Mesopotamien und seinen Nachbaren (Berlin, 1982), 265-67.

Palais royal d'Ugarit, 4:106 (RS 17.137, 10-11). (T-T)

(٢٠٣) انظر على وجه الخصوص: : ANET², 199-203

A. J. Spalinger, SAK 9 (1981), 299-300; Kitchen, Pharach Triumphant, 73-74.

Cavaignac, RHA 18 (1935), 25-26; Houwinck ten Cate, in Anatolian Studies, (7-5) 144-46.

M. Astour, UF 11 (1979), 13-14. (٢-6)

Weidner, Politische Dokumente, 126 obv. 16-17. (T-1)

Klengel, Geschichte, 2:176. (T-V)

E. Edel, Geschichte und altes Testament (Geneva, 1953), 44-45; W. Helck, (T-A) MDOG 92 (1960), 12 (equals Kumidi, which seems more likely).

تساوى كوميدى ، وهو الأمر الذي بيدو أكثر احتمالاً.

الفصل السبابع

إمبراطورية الملكة الحديثة

أدت الحروب التي خاصها المصريون في مطلع الأسرة الثامنة عشرة إلى امتلاك الأمة التي تقوم على ضعفاف النيل، لأول مرة في تاريخها لشيء جديد تمامًا عليها: إمبراطورية. وبطبيعة الحال، كان مؤسسو الدولة المصرية الفرعونية يتمتعون بصفة دائمة بدائرة نفوذ في أعالى نهر النيل وغرب آسيا، ولكنهم لم يلجئوا، إلا نادراً، سواء إلى ضم أراضى الغير أو زرع مستوطنين مصسريين بهدف الاحتلال الدائم، والأن، مع ذلك، وكما تلقى تلك العبارة المفعمة بالشوفينية: "توسيع الحدود" ضوءًا ساطمًا على الأمر، فإن مصير مصر، كما أصبح جليًا، كامن في التوسع وضم الأراضي، التي كانت تعتبر منذ ذلك الوقت فصاعدًا ممتلكات مصرية، وسكانها بالتالي رعايا مصرين يُنتظر منهم واجب الولاء.(١)

يطرح علينا الصقعان اللذان يشكلان إمبراطورية المملكة الصديئة النوبة النوب و "كنعان" عددًا من التناقضات فيما يتعلق برغبات المصريين وتوقعاتهم، والأسلوب الذي انتهجوه في تحقيق أهدافهم. فلقد اجتذبت النوبة الفراعنة لمنتجاتها ومواردها (وخصوصًا معدن الذهب) وكذلك قوة العمل التي تحوزها، أما "كنعان" فلقد قدر فيها المصريون السلم التي تمر عبر دروبها التجارية، وقدروا لها موقعها الإستراتيجي. وبمرود الوقت أخذ المصريون برون في النوبة أرضًا مناسبة للاستعمار، ولكنهم لم يروا ذلك مطلقًا في "كنعان"، ففي النوبة انعقد العزم منذ بدء حروب الفزو على القضاء على هياكل للسلطة سبق للنوبيين أنفسهم أن أقاموها، ويمجيء حكم الفرعون "تحوت – موسى" الثاني كانت الملكة النوبية السابقة، التي توازي عصر الهكسوس في مصر قد كفت عن الوجود.

ومنذ ذلك الحين استبدل المصريون الحكم المحلى الذي يقوم عليه رؤساء نوبيون بإدارة محكمة، تهتدي بنموذج الإدارة الممرية، يقوم فيها مفوض ملكي أو "نائب الملك" (= مندوب سام) مطلق السلطات بإدارة مساحة شاسعة من الوادي تمتد من "كاروي" حتى "الكاب". أما في 'كنعان' فلقد أدرك المصريون من فورهم أنه يستحيل عليهم أن يستبدلوا المؤسسات السياسية المحلية بسهولة، نظرًا لارتفاعها إلى درجة من المنكة (بفضل أصولها التي نبعت وسط الأموريسين في شمال سوريا وبالد الرافدين (= ميزوپوټاميا) يمكن مقارنتها بما تعرفه مصر ذاتها. وفي النوية وجد المصريون لزامًا عليهم أن يقيموا معبرًا على امتداد نهر النيل وأن يحافظوا على استمراره، أولاً عن طريق بناء سلسلة من الحصون، وفي وقت لاحق خلال زرع مستوطنات استعمارية. ولكن بلاد كنعان كانت تعرف بالفعل ممرين، الطريق البحري Via Maris ، على امتداد الساحل، والطريق الذي (أطلق عليه في وقت لاحق) "الطريق الملكي" ويمر خلال الضفة الفربية، وكل ما أصبح على المسريين أن يفعلوه هو الاستيلاء عليهما وإحكام سيطرتهم عليهما (اللوحتان رقم ١٩، ٢٠) وفي النوبة كانت مصادر الإنتاج في أيدى المصريين منذ البدء، وكانت وسائل الإنتاج المحلية هنا غاية في التخلف، أما في الشمال فكانت مصادر الثروة، وإذا ما استثنينا سيناء والمناطق المجاورة الغنية بالمعادن بعيدة عن مجال السيطرة المصرية.

لما كانت المقاطعتان الجديدتان اللتان امتلكتهما مصر مختلفتين، الواحدة عن الأخرى بشكل ملموس، في مواردهما وسكانهما واحتياجاتهما، فلا ينبغى لأحد أن يندهش إذا أنشأ المصريون نوعين متميزين من الإدارة، واحدًا للشمال وأخر الجنوب، ولقد احتاج الجنوب الذي أخذ يُحرم، بصفة متصاعدة من قاعدته القبلية المحلية، إلى بيروقراطية جديدة ومحكمة التصميم ينقلها إليه المصريون من مصر ويفرضونها عليه. ولكن الشمال الذي لم يعان، بالمرة، من القضاء على هيكله السياسي، وبالتالى لم يكن يحتاج إلى استزراع مثل ذلك الإطار المحكم التصميم من وادى النيل.

الدولة الكنعانية والمجتمع:

كشفت، منذ وقت طويل، بلاد المشرق الساحلية التي فتحها التحامسة المحاربون عن رقى ثقافي وسياسي، لا تستطيع هزيمة عسكرية في هذه المعركة أو تلك أن تمحوه. فالمجتمع الكنعاني⁽⁷⁾ كان قد تشكّل في العصر البرونزي المتأخر حول عدد من الدول التي كانت مع حجمها المتوسط، في طريقها التبلود كحواضر ترتكز على مدن تدعي، أو في حقيقة الأمر تصبو إلى وضع "مملكة كبرى: "حازور" (= حاصور) في أعالى وادي الأردن، قادش" في أعالى العاصبي، تونيب في أواسط سوريا، بلاد "نوخاششي" جنوبي حلب"، و أوجاريت على الساحل، وبذلك لا نكون قد أشرنا إلا إلى أكبر المتنافسين في هذا المجال، أفكل هذه الدول/المدن تسيطر على مساحة من الأراضي تضم مزارع ومدنًا صغيرة وأحيانًا مدنًا خاضعة اسيطرتها، ولكنها كانت باستمرار في الدبلوماسية وعمليات البيع والشراء أو السلب والنهب. ولم يكن بوسع أحد أن يدعي الدبلوماسية وعمليات البيع والشراء أو السلب والنهب. ولم يكن بوسع أحد أن يدعي عمرها المديد تقاليد فرض آلهة الطبيعة التي تخدم نفسها بنفسها المعقب الصارم، وهي التقاليد التي تحملت، فيما يبدو، كل اختيار من اختيارات الآلهة.

درج وصف رئيس مثل هذه الدولة الحضرية بصفة "ملك"، ولكنه كان أقرب ما يكون إلى أمير – تاجر، وأول بين أنداد (= متساوين) primus unter pares ، أى نبيل بارز بين طبقة من النبلاء من أقرانه. وكانت هذه الطبقة تتكون من مجموعة من أرستقراطية تقود العجلات الحربية تدعى "ماريانو" maryannu (من "marya" الآرية = نبلاء العجلات الحربية)، وهي الأرستقراطية التي تملك العزب (=الضياع) في المناطق الريفية وتسيطر على مجتمع القرى الكبرى، وتعتمد العضوية في هذه الطبقة على الوراثة، مع أنه كان في طوع الملك أيضًا أن يرقى أتباعه إلى مرتبة "الماريانو" تلك. وفي أواسط السلم الاجتماعي نجد طبقة الحرفيين أو الصناع، وهم عبارة عن قوة عمل، ولى حد كبير تخضع لسيطرة القصر، وقد ذاع صيت هذه الطبقة، وخصوصنًا عمال التعدين في قلبها، حتى تاق إلى امتلاك التحف المعدنية السورية الصنع فراعنة مصر

الذين كانوا في العادة لا يعيرون المنتجات القادمة من الأراضي الأجنبية أي اهتمام. وفي قاع التركيب الطبقي المجتمع الكنعاني نجد الفلاحين "الخويشو" أو الجماهير الريفية الذبن يعملون سيواء في المزارع أو سيائر وحدات الإنتاج الزراعية (قيارن الـ "جات" gat أو معصرة الزيتون) ولما كانت طبقة "الضويشو" هذه مرتبطة بشكل حاسم بالأرض بصفة دائمة فلقد وقع على كاهلها أن تمد النولة بالميليشيات المحلية التي تخوض الحروب أو تنخرط في مشاريع التشبيد. وكانت هناك مجموعة منفصلة صغيرة، تسمى "العابيرو"، تقع على مبعدة بسيطة من هامش المجتمع الكنعاني "الراقي" الذي عرفه العصر البرونزي المتأخر. وهذه المجموعة كانت عبارة عن زمرة من الخارجين على القانون، المناهضين للتنظيم الاجتماعي، المنبوذين من المجتمع الذين يحافظون على حياتهم داخل تجمع شبه مستقل في المناطق الريفية داخل الدول الكنعانية. مع أنهم كانوا لا يترددون، في غالب الأحيان، في وضع أنفسهم في خدمة هذه الدول، إلا أن هؤلاء "العابيرو" حافظوا بشكل عام على استقلالهم وحريتهم في الترحال. ولقد حاول كثيرون في كتاباتهم استقصاء الظروف الاجتماعية المناوئة داخل المجتمع الكنعاني التي ولدت، بالضرورة، مثل هذه المجموعة البشرية، ويبدو غير مستبعد أن تكون عدة عوامل منها سبوء الإدارة والاختناقات الاقتصادية والكوارث الطبيعية قد تضافرت، مثلما حدث في الإمبراطورية الرومانية في القرن الثالث بعد ميلاد المسيح، كي تنتج ظاهرة "الهروب من الأرض" من جانب العناصر المعدمة من السكان. أيًّا كان السبب، فالـ "عابيرو"، وكما يدل اسمهم ذاته (مثيرو الغبار: أي أولئك الذين يخلون العقارات سيرعة فائقة) يكشفون عن سمة أشبه بالغجر، ولقد برهنوا على صعوبة وضعهم تحت السيطرة الفعالة من جانب سلطات الدولة. ويتضح طابعهم غير المتجانس في قوائم الإحصاء التي ترجع إلى مدينة 'ألالخ' حيث ضمت إحدى زمر الـ "عابيرو" لمنًا مسلمًا واثنين مِن قادة العجلات الحربية وشحاذين وحتى كاهن للإلهة "عشتار"^(ه).

يلوح أبناء المجتمع الكنعانى أمام أعيننا على هيئة جرافيكية (= خطوطية أى مكتوية أو مرسومة أو منقوشة – المترجم) في الجداريات المصرية، إذ تصورهم هذه المجداريات إما أسرى أخذوا خلال الحروب الأجنبية أو وكلاء تجاريين مفطورين على تعاطى التجارة.(٦) كما يظهرون أبضًا في مصدر أقل أهمية يتمثّل فيما نصادفه على

الأختام القومية وما أشبه من مصادر، واستناداً إلى هذه الأدلة يصبح واضحاً لنا أن المجتمع الكنعانى كان قد طور زيه وتسريح شعره، دون أن يعتمد إلا بصغة جزئية على الثقافات المجاورة. فمع نهاية عصر سيطرة الهكسوس، خلال أواسط القرن السادس عشر ق.م. كان النبيل الثرى أن يخطر في نقبة سادة (= غير منقوشة وغير مخططة – المترجم) من الجلد أو الكتان كرداء أساسي، يضيف إليها جلد شاة يرسله على كتفيه في فصل الشتاء. ومن حين لآخر، وخصوصاً في مطلع العصر البرونزي المتنفر كان قد بدأ يجرب لف بدنه من الخصر حتى رسغ القدم بشريط عريض من نسبيج مزخرف تحدده ثورنشة". أما في شمال وأواسط سوريا فلربما قلد الملوك زي بلاد الرافدين بارتداء جلاليب من الصوف عتيقة الطراز، وكانوا يضيفون إليها معطفاً يتخذونه من فروة الغنم، يرسلونه على كتف واحد، وتعلوه طاقية طويلة مدورة. (شكل ٧ رقم ١)

ومع مجىء العصر البرونزى المتأخر، بدأت مرحلة جديدة فى تطور الأزياء. إذ بدأ الأسيويون الميسورون من شمال سوريا و ميتانى يظهرون الآن، أى اعتباراً من حكم تحوت – موسى الثالث فصاعداً وقد ارتدوا جلباباً أبيض اللون مكسماً مع حواف زرقاء أو حمراء، تصل من العنق إلى منتصف سمانة الرجل، مع كمين ضيقين يصلان إلى رسغ اليدين. وكانوا يبدون حليقى الرأس ويرتدون أحياناً عرقية (انظر شكل لا رقم ٢)، وهو الأمر الذى قد يعكس تأثيراً من ثقافة الحوريين. ومن المحتمل أن الجراب المكسم الطويل الكمين كان بمثابة جلباب صديفى أساسى، وهو جلباب يقبل إسدال جلباب خارجى أثقل عليه فى فصل الشتاء. وهذا قد يكون هو القنطان الاثقل الذى كان معروفاً فى الأزمنة الأقدم (شكل لا رقم ١) ولكنهم كانوا يفضلون، فيما يبدو، العباءة المحروبة المناون زاهية، تلف حول البدن من رسغ القدم صعوداً إلى أعلى، وكانت ترسل مطرز بالوان زاهية، تلف حول البدن من رسغ القدم صعوداً إلى أعلى، وكانت ترسل فى غالب الأحيان على الكتفين (شكل لا رقم ٢) وسرعان ما أصبح الشال الذى يكف حول البدن كله، مع الجراب الذى صار يلبس كجلباب داخلى، وشريط وتسريحة شعر حول البدن كله، مع الجراب الذى سار يلبس كجلباب داخلى، وشريط وتسريحة شعر مشدود إلى الوراء، بمثابة الذى المائوف للطبقات الكنمانية الراقية داخل نطاق مشدود إلى الوراء، بمثابة الذى المائوف للطبقات الكنمانية الراقية داخل نطاق الإمبراطورية المصرية فى أسيا. (شكل لا رقم ٤)

يتمثل أحد أهم الآثار الناجمة عن الغزوات التي قامت بها مصر في غرب آسيا في وضع حد، ، داخل نطاق المناطق المغزوة، لسيادة الدول الحضرية الضخمة. إذ قلص المصريون وقت ذاك منزلة كل من "حازور" (= حاصور) و "قادش" و "تونيب"، وهي الدول التي كانت تطمع في وقت ما إلى مثل تلك القيادة. فكل عمد القرى والمدن الصغرى، مع أسيادهم السابقين نزلوا إلى مستوى واحد يجمع بينهم معًا، خلال الالتزام بأداء قسم الولاء باسم الفرعون. وبالتالي تحولت مدن "كنعان" الآن إلى "مدن الفرعون"، وهذه تتكون من البناء التحتي المتخلف عن الدول الحضرية التي غربت شمسها في جنوب المشرق. (٧)

الإدارة البلدية:

إذا كان الفرعون قد تكفل الأن بلعب دور الحاكم المطلق، وحسب، بالنسبة ارؤساء "كنعان" ، إلا أنه عزف عن توريط نفسه أكثر من ذلك في شئونهم. فلقد ظل تركيبهم الاجتماعي الذي يستند إلى طبقتي "الماريانو" (= الفرسان – المحاريين) والم خويشو" (الفلاحين) قائمًا على حالته الأصلية، في حين نهض هؤلاء الرؤساء بدور همزة الوصل بينهما. وعند تعريف أنفسهم في خطاباتهم إلى الفرعون، كان هؤلاء الرؤساء يطلقون على أنفسهم بصفة شبه دائمة لقب: "رجل مدينة كذا أو كذا"، وفي خطابات الفرعون القليلة إليهم التي وصلتنا استخدم نفس اللقب. (٨) وقد أطلق على هؤلاء الرؤساء، بصورة جماعية، باللغة الأكدية التي سادت ذلك العصر كاللغة المشتركة Hazanuti التي يتفاهم بها الناطقون بلغات مختلفة في المنطقة، اسم خزنوتي أو حاكم وهو الاسم المقابل للاسم المصري حاتي : الإدارة الفرعونية إلى الرؤساء الكنعانيين باعتبارهم مدينة مصرية صغري. وهكذا نظرت الإدارة الفرعونية إلى الرؤساء الكنعانيين باعتبارهم والدور عمداً "عمداً" بالمعني المصري الاسم، وهو الأمر الذي يوضح إلى حد كبير نوع الوضع والدور والالتزام الذي تكفل هؤلاء الأعيان الكنعانيون أمام التاج المصري بأدائه.

وعلى غرار نظرائهم على امتداد وادى النيل، كان يُطلب من هؤلاء العمد الكنعانيين أن يؤدوا قسم الولاء باسم الفرعون^(١) وأن يرسلوا من أبنائهم أو نويهم ما قد يطلب

منهم المصريون أن يرسلوه، ويقول كأتب الوثيقة رقم EA180 "لقد أرسلت ابني إلى الفرعون، سيدى وإلهي وشمسى. ويردد "شاتييا" وهو من أبناء "إنيشازي" (Shatiya of Enishazi (EA187 أها قد أرسلت ابنتي إلى القصر، إلى الفرعيون، سيدى وإلهي وشمسي". ويجزم "أرخاتو" من أبناء "كوميدي" (EA198) أرسلت ابني إلى حضرة الفرعون، سيدى كي يتكرم عليّ جلالة الملك سيدى ويمنعني الحياة." ويبدو أن ذلك كان أول خطوة يتخذها أي عمدة يصل حديثًا إلى المنصب، وهي الخطوة التي تعنى استعداده، الذي لا غني عنه، التعاون. وكان الفرعون "تصوت - موسى" الشالث هو الذي بدأ هذا التقليد، كما يخبرنا هو بنفسه: والأن نقلنا أبناء الرؤساء وإخوتهم إلى مصر كرهائن، وعند وفاة أي من هؤلاء الرؤساء فإن جلالته دأب على إرسال أحد أبنائه (أي أبناء الرئيس) كي يخلفه في منصبه (Urkiv,690) . وفي مصر كان أبناء الرؤساء هؤلاء يتعرضون بطبيعة المال للأعراف المصرية واللغة المصرية، وريما كنانت الإدارة المصرية تخبرطهم في النظام التعليمي في منصس، وقد ألحق المصريون كثيراً منهم في الوحدات شبه العسكرية التي تقوم بحراسة الفرعون والركض أمام العجلة الحربية الملكية، وعندما يتقدم بهم العمر كانوا يشيرون إلى أنفسهم بصفتهم: 'ممهد الطريق أمام خيواك (أي خيول الفرعون) (EA331) وقد عاد بعضهم، ممن أرسلوا إلى مصر في سن صغيرة لبالادهم، وقد تمصروا تمامًا، وأصبحوا يتحدثون لغة جدودهم كلغة ثانية، ويشعرون في مصر أنهم بين نويهم وفي وطنهم أكثر مما يفعلون في بالادهم الأصلية. ويضبرنا "ياختيري" Yakhtiri رجل "غزة" (EA296) "عندما كنت في ريعان الصبا واصطحبني المفوض المصري معه إلى مصر، التحقت بخدمة الفرعون سيدى، وأسندوا إلى حراسة بوابة الفرعون سىيدى.`

وقعت على كاهل العمد الكنعانيين نفس الأعباء التي يتحملها العمد المصريون، فقد تعين عليهم أن يستضيفوا فقد تعين عليهم أن يسلموا الضرائب على وجبه السرعة وصبار عليهم أن يستضيفوا أو يصاحبوا المسئولين المصريين الذين يمرون ببلادهم. إذ يؤكد "لابعايو" Lab'ayu رجل "سيخيم" (= شكيم) Shechem قائلاً: "انظر! ها أنذا خادم جدير بالثقة عند الفرعون، لم أرتكب حماقة أو أنزلق إلى خطيئة، لم أمتنع عن دفع الضرائب المقررة ولم أرفض

طلمًا للمفوض المصرى (EA254) وعندما كان الفرعون يخرج على رأس تجريدة من التجريدات المسكرية، التي لم تكن أكثر من نزمة يقوم بها في غرب أسياء كأن على العمدة أن يستضيف ويقدم المؤن اللازمة للتجريدة، كما كان عليه أن يقدم قوة من الجنود كي تنضم إلى تجريدة المصريين، وفي هذا الصدد يخبرنا 'أرزاويا' Arzawiya رجل "رخيزي" Rukhizzi "كتب إلى جالالة الفرعون بخصوص الاستعدادات اللازمة لوصيول قيوات الفرعيون سيدي، ويشان وصول مفوضيه العنديدين." (EA191) وبعلن أخر: " لقيد أعددت الشيران والأبقيار كما أمرتني في الخطياب." (EA193) ويقطع "بيرياوازا" Biryawaza رجل "دمشق" على نفسه عهدًا:" اسوف أقف على أهبة الاستعداد مع قواتي وعجلاتي الحربية وأشقائي، والد "عابيرو" والـ "سوتو" Sutu التابعين لى انتظارًا الوصول القوات ولأداء ما يفرضه على الواجب، حيثما يأمرني سيدي" (EA195) وكان لزامًا على كل عمدة أن يرفع تقريرًا مكتوبًا إلى الحاكم المطلق، وكان يستخدم فيه أساويًا مقوليًا بالغ التزلف:" إلى جلالة الغرعون سيدي وإلهي وشمسي، والشمس في كبد السماء، هكذا يتحسث "ويدييا" Widiya رجل "عشقلون" خادمك، تراب قدميك،... عند قدمي الفرعون سيدي أرتمي سبم مرات وسبم مرات أخرى أرتمي على بطنى وعلى ظهرى! انظر لقد خفرت الموضع الذي كلفني جلالة الفرعون أن أغفره. وكل ما كتب به إلى الفرعبون سيدي امتثلت له بعناية فانقبة. فمن هو الكلب الذي لا يمتثل لكلمات الفرءون سيده، ابن رغ؟ (EA230)

عانى العمد الكنعانيون من الوضع الملتبس كوسطاء يقفون في منتصف الطريق بين غرعون يلحف في طلباته ولا يحمل لهم أي عطف وبين أبناء شعوبهم نفسها الذين مالوا نحو العصيان. فإذا بدوا كرجال مصرا إلى درجة زائدة، فإنهم يواجهون مخاطر الاغتيال، ولكن إذا فشلوا في التعاون مع الإدارة الإمبراطورية، فإنهم يواجهون خطر جرجرتهم إلى بلاط الفرعون كي يردوا على الاتهامات الموجهة إليهم، وفي سائر الأحوال لم يكن في وسعهم، على وجه التقريب، أن يتجنبوا السفر إلى مصر في وقت أو أخر من حياتهم، نظراً لأن الفرعون كان يطلب النبلاء الكنعانيين أن يشرفوا بلاطه خلال الأعياد القومية لمصر. (لوحة رقم ٢١)

وزارة خارجية الإمبراطورية:

يتملك المرء انطباع لا لبس فيه ولا مراء خلال درسه للسجلات التاريخية للأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة أن إدارة الإمبراطورية الجديدة إنما نشأت على أساس الغرض الخاص ad hoc (=ابن اللحظة)، دون كثير خيال يمتد إلى ما هو أبعد من الاستجابة لاحتياج عملى. (١٠) فغداة الغرو، كانت حكومة الفرعون تجد نفسها في حاجة ماسة إلى مسئولين أكفاء للحفاظ على النظام بين الأسيويين، ولقد وقفنا، في أوقات متفرقة، على تعيين وصيف بسيط، وحتى مهندس إنشاءات في منصب قائد حصن، وهناك شعور بالغرور يتدفق في السيرة الذاتية الشخص يدعى "إتيو" الإلاى يصف نفسه بأنه "شرطى بلاد فنخو" (=الساحل اللبناني) الذي يعاقب كل من يتمدد على جلالة الفرعون في بلاد ريتينو" (=المسرق بصفة عامة)" (١٧κ١/١٥٤١) الأسرة بين المين والأخر إلى بعث حياة جديدة في نقب قديم هو: "ناظر البلاد رئمينية أن الذي حمله في المملكة القديمة، وما بعدها مبعوثون مكلفون بمهام معينة في المهنية بالملكة الحديثة، غلم يعد هذا اللقب يزيد بصورة رئيسية على صفة يحملها عدد كبير من الأشخاص دون أن يكون لهم صلة بـ "انحكومة" الرسمية التي تقوم في الأراضي المفتورة. (١٠)

لم تكد تمر أربعة أجبال رحسب على رحيل الفاتح "تحوت موسى" الثالث حتى بدأت وزارة للخارجية في التشكل، ولكن الأدلة لا تتفق باستمرار على الشكل الذي أخذته أو الألقاب التي حفظتها لنا نلك المراسلات الأكدية التي حفظتها لنا نلك الأواح النفيسة التي ترجع إلى أرشيف أخيتاتون (=الممارنة) تصور، بصفة أساسية، الاتصالات التي تمر بين البلاط المصري والعمد الكنماذيين في شمال الإمبراطورية، وبهذه الصفة نجد الإشارة باللقب إلى المسئولين المصريين تتردد في كل موضع، لكن الألقاب ترد باللفة الأكدية. في "ربصو"، أي "المشرف" شائع بشكل خاص، وخضع، لكن الألقاب كانت ترد أحيانًا باللغة الكنمانية مثل "شاكين – ماتي" sakin mâti أي الحاكم و "مالك" söken أي مستشار (بالكنماني) و "سوكين" söken (بالكنماني) أي المشرف المام. فهل هذه ترجمات لألقاب مصرية؟ أم أنها كانت أقرب الأوصاف أي المنعانية أو الأكدية، التي يستطيع العمد الكنمانيون أن يقتردوها لتسمية المفوضين الكنمانية أو الأكدية، التي يستطيع العمد الكنمانيون أن يقتردوها لتسمية المفوضين

المسريين الذين يحملون رتبًا مجهولة تمامًا في حقيقتها بالنسبة لهم؟ واقع الأمر أن الاحتمال الأخير هو ما ينطبق بالتحديد على حالتنا رهن الحديث.

وعندما يفحص المرء المسئولين الذين نقشت أسماؤهم باللغة الأكدية في رسائل "أخيتاتون" (=العمارنة)(٢) ويحاول الربط بينها وبين المسئولين المعروفين لنا من فترة الفرعون "أمين – حوتب" الثالث و "أخناتون" يتضع أن معظم الهويات المحتملة ترجع إلى رتب في العسكروت (=السلك العسكري)، مع زيادة كبيرة في عدد الأفراد الذين ينتمسون إلى الرتب الأدنى.(٢١) ويناء عليه نستطيع أن نشير إلى حامل البيرق"، وهو لقب يقابل في الجيش المصري القديم ما نعرفه نحن اليوم بـ "الكابتن" (= نقيب) ومساعدو قادة السرايا وكتبة الجيش و"رؤساء الإصطبل" الذي يوازي عندنا مديري الإمدادات والتموين، وكل هؤلاء كانوا يعملون في المناطق الشمالية من الإمبراطورية كمفوضين رسميين للفرعون. وواضع أنهم لا يضمون بينهم أي رتب عالية (إلا أن هذا لا يمنع أن نصادف مسئولاً كبيراً كالوزير أو رسول الفرعون وقد ظهر متى دعت الضرورة) وليس بينهم من يحمل أي رتبة بشكل مؤقت pro tem أعلى من مفوض ملكي.

وكانت دوائر اختصاص هؤلاء المسئولين تتغير بصفة دائمة على أساس "الفرض الخاص" ad hoc أي ابن لحظته، وليس في وسعنا أن نتحدث عن مقاطعات بالمعنى الذي أصبحنا نالفه خلال درسنا للإمبراطورية الرومانية. وذلك لأن صعرفة مسئول ما الوثيقة بمنطقة معينة في البلاد كانت تقصر عمله على وجه الاحتمال على منطقة واحدة وحسب، إلا أن السبب كان سببًا خاصًا لا يتصل من قريب أو بعيد بأي تقسيم مسبق للأراضى الخاضعة. بل وأكثر من ذلك كان المصريون عندما يشيرون إلى الإمبراطورية الشمالية، تراهم يتحدثون عن "بلاد كنعان" (أو خارو ، "جاهي "... إلخ) وكذلك عند الإشارة إلى المدن هناك كانوا ينسبونها إلى إقليمها الجغرافي، وليس أبدًا إلى "ولاية" كذا أو كذا" وكان الفرعون يوفد المسئول المصرى من قبله في مهمة محددة ويخصص له عددًا معينًا من المدن الكنعانية، يزوره، في كل جولة. وكان يقوم بزيارة هذه المدن خلال طوافه، وخلال إقامته هناك كان يتمتع بسلطات واسعة. فكان يحمل خطابات الفرعون، وكان بوسعه أن يقبض على أي أشخاص محلين ويحملهمه معه إلى مصر،

وكان بطوعه أيضًا أن يطالب بالمستحقات والضرائب، وكان يفصل في القضايا وفقًا القانون، بل وكان في وسعه أن يخسم نزاعات الحدود بين مدينة وأخرى. إلا أنه كان يعود، باستمرار عاجلاً أو أجلاً إلى مصر لإطلاع الفرعون ومسئوليه والتشاور معهم حول الأوضاع في الإمبراطورية الشمالية.

إذا كان عصر الفرعون العظيم أمين – حوتب الثالث قد شهد ولادة وزارة خارجية منظمة، فإن عصر الرعامسة (الأسرة التاسعة عشرة) هو الذي وصل بها إلى مرحلة معقولة من الارتقاء. إذ يتضبع تمامًا من واقع السجلات الغزيرة التي وصلت إلينا من الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين أن الحاكم الإداري المحلي في ذلك العصر كان، بالدرجة الأولى رسولاً خاصاً (رسول الفرعون إلى البلاد الأجنبية)، الذي يحمل رسائل الفرعون ويقدم تقاريره عند عودته إليه. (١٤) وكان يقع عليه الاختيار، في الغالب الأعم، من بين صفوف العسكريين، وعلى وجه أخص من سلاح العجلات الحربية. وربما تكون السيرة الذاتية لشخصية بارزة مثل أمين – موني Amenemone تحب ظل حكم الفرعون وعسيس الثاني نموذجية هنا: كنت وصيفًا عند جبلالته في صباي، الفرعون وعسيس سيدا (= فرعون) عينني في منصب قائد عجلة حربية وناظر الإصطبل. وقد أثني على سيدي نتيجة لكفاءتي. وعينني قائد كتيبة في جيش جالات... وأوفدني كرسول ملكي لكل البلاد الأجنبية، وكنت أعود كي أقدم له تقاريري جول البلاد وأوفدني كرسول ملكي لكل البلاد الأجنبية، وكنت أعود كي أقدم له تقاريري جول البلاد الأجنبية بكل تفصيلة من التفاصيل. (١٠)

وأصبح "رسول الفرعون إلى كل البلاد الأجنبية" نموذجًا رومانسيًا في كل من المجتمع والأدب في عصر الرعامسة، وهو النموذج الذي قد تجوز مقارنته بالفارس الرحال في أوروبا العصور الوسيطة، أو رجل الصدود frontierman في أمريكا خلال القرن التاسع عشر، ومن واقع مقال ساخر برجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر ق.م.، القرن التاسع عشر، ومن واقع مقال ساخر برجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر ق.م.، تحمله بردية "أنستاسي" رقم ١، وهو المقال الذي يصف تلك المهنة بتصوير عضو غير كف، بالمرة، نجد أنفسنا وقد فوجئنا مفاجأة سارة بلمحة مقصلة عن مثل تلك المؤهلات التي يُنبغي لذلك الرسول أن يتمتع بحملها. (١٦) إذ يتعين على الرسول الملكي أن يكون كاتبًا فذًا "وأن يكون "محاربًا بارعًا" و "قائدًا للقوات الحربية ومقدمًا الجنود" (بردية "أنستاسي" ٢٠١) و "متدربًا على كل عمل من الأعمال" (المرجع السابق ٢٨ : ٢)

الفصوص أن يكون متبحرًا في جغرافية وتضاريس "كنعان"، بما في ذلك دروبها والمواطن التي يستطيع أن ينزل فيها للمبيت. كما يقوم صاحب المقال الساخر باختبار رسوله الفيالي بسيل سريع من الأسنطة: "أيها المحارب أين تقع "رفع" (٢٧: ٧-٨)... أي نوع من الأسوار يكون سورها؟ كم "أثر" نحتاج كي نصل إلى "غزة"؟ (٢٧: ٧-٨)... أين يقع تيار "ناتن" (هل هو نهر الليطاني؟) ماذا تعرف عن "أوزو": الالاليالية أيها المحارب أرنى من فضلك الطريق الذي يقود إلى منطقة "أكشو"، وأين الدرب الذي يحملني إلى "تكساف" مؤين الدرب الذي يحملني إلى "تكساف" Achsaph ؟(٢٠: ٤-٥).

على أن ذكر المسئولين المدنيين لا يرد إلا بصورة أقل من انسكريين. وقد يصور وجود كاتب الفرعون أو قهرمانه (= مدير مراسمه) في كنمان، إدارة المتلكات، الفرعونية هناك أو حرصها على تحصيل الضرائب.

ونجد في عصر ما بعد - "أخيتاتون" (حالعمارنة) في جدول المستولين الإداريين لقبًّا أكثر شيوعًا بنسبة قليلة هو لقب" ناظر البلاد الأجنبية"، ودي اللقب الذي ارتقى: فيما يبدو، بحلول عصر الأسرة التاسعة عشرة إلى منزلة "حاكم"، وتشير مراسلات الفرعون "رعمسيس" الثاني مم "هاتوسيليس" الثالث، ملك انصيتين إلى تحاكم" الفرعون في بلاد "أوب" (في زمام دمشق) حيث يتخذ مقره، بكل تأكيد، في مدينة كوميدي" (١٧) ونكتشف في مستويات حقبة/طبقة رقم ١١٤١ المديد من الدن الكنمانية، بما فيها "تل الفرعا" Tel Fara (إلى المنزب) و "بيت شمان" Beth Shean و أتبل سيسبرا أ Tel Masos وثبل مساسبوس أ Tel Masos و أتبل منسبي التواجع التواجع التواجع التواجع التواجع التواجع و "تل يميه" Tel Jemmeh وغيرها، وجود نمط سكني (= بيتي) مختلف في تصميمه المعماري بصورة وأضحة عن التصميم المعماري المعاصر البيت الكنعاني. إلا أنه يعيد إنى أذهاننا بتفاصيل محددة التصميمات المعمارية المعاصرة لبيوت الشريجة العليا من الطبقة المتوسطة في مصر. (١٨) ولعله من المرجع أن الدراسات الراهنة لم تخطئ في تفسيرها وجود مثل هذه المباني على اعتبار أنها مقار ومكاتب بنتها لإقامتها الإدارة الفرعونية، ولو أن البديهة تفرض على المرء ألا يقفز إلى ضرورة وجود "حاكم" حيثما يعثر في العراء على تصميم معماري لبيت مصرى. إلا أن نقل الضرائب والإشراف على ممتلكات المعابد وضروريات الحامية العسكرية لابد وأن تقف وراء وجود العديد من الموظفين الصعفار والجنود الذين لم تصل إلينا أسماؤهم.

الحاميات والمراكز الإدارية:

وقع اختيار الرعامسة على مدن معينة، تتمتع بمواقع إستراتيجية من وجهة النظر المصرية ورفعوها إلى مرتبة معاقل. ولقد ألحقوا مخزنًا السلاح بحصن صايل على أسافل الفرع البوباسطى لنهر النيل، ذلك البرج الحدودى الذي نظر إليه المصريون باعتباره واقعًا في بسلاد الواق واق (= في أخر أخر الدنيا) Ultima Thule (١٠) باعتباره واقعًا في بسلاد الواق واق (= في أخر أخر الدنيا) البلاد الأجنبية وعين المصريون قائداً العجلات الحربية، وقائد كتيبة ورسولاً ملكيًا إلى البلاد الأجنبية في منصب قائد المصن. وإلى الجنوب أكثر، في وادى طوميلات الذي كان لدة طويلة بمثابة ممر وصول لملاسيويين من أواسط سيناء، وحولً المصريون حصن تيككو (بالعبرى سكوث) Succoth إلى مركز ضخم البوليس ونقطة تفتيش لرصد قبائل البدو التي تسعى إلى دخول الدلتا طلبًا للمرعى (٢٠٠) وتوفر لنا رسالة مشهورة خطها كاتب مقيم، ترجع إلى السنة الثامنة من حكم الفرعون ميرى - أن - بتاح بصيرة نافذة في هذا الفرض: "انتهينا من التصريح لقبائل الشاسو" الأدوميين، خلال حصن ميرى - أن - بتاح حصن ميرى - أن - بتاح مضن ميرى - أن - بتاح مضى - بالسلام، له العمر والرخاء والعافية، التي في "تيككو" إلى بحيرات بيت - أتوم التي تتبع ميرى - أن - بتاح - رضى - بالسلام، التي في "تيككو" في سبيل غذائهم وغذاء قطعانهم. (بردية أنستاسي. رقم 7-10/18/18)

حقاً كان الطريق البحرى إلى الساحل اللبناني قد أصبح وقت ذاك مألوفًا طرقه المصريون لمد طويلة، إلاّ أن المصريين كانوا لا يزالون يرون في الطريق البري من حدود الدلتا الذي يصل طوله إلى ١٦٠ كيلو متراً، أهم ممر إلى أسيا. (اللوحتان ٢٢-٢٤) ومع بداية الأسرة التاسعة عشرة أصبح هذا الطريق مرشومًا بما يصل إلى حوالي اثنتي عشرة محطة طريق (٢١) وهذه يصورها الفن المعاصر ك حصون صفيرة محصنة، تتركز حول أبار أو بحيرات عذبة، وتسمى اسمًا نوعيًا generic يضم تحته أسماء جنس عديدة هو أحواض . وتقول النصوص إن هذه الأحواض كانت توضع تحت إدارة قادة كتائب، تحت إدارة أمامور تنفيذي، وفي بعض الأحيان كانت توضع تحت إدارة قادة كتائب، إذا ما حازت هذه المحطة أو تلك، أهمية إستراتيجية خاصة. وقد خضعت محطتان من هذه المحطات، في حقيقة الأمر، التنقيب: إحداهما هي دير البلع قرب "غزة (٢٢)

والأخرى هى "بير العبد" في سيناء (٢٣) وتؤكد المكتشفات التي عثر عليها المنقبون، إلى حد كبير، على ما جاء في النصوص والتصوير الفني في الجداريات. وكانت دير البلح تضم مبنى لمقر متقن التثبيد مصرى الطراز، بني خلال فترة "أخيتاتون" (=العمارنة) وجرى استبداله على عهد الفرعون "سيتي" الأول بقلعة يعلوها برج، وتضم أربع عشرة حجرة، يصل اتساع كل منها إلى ٢٠ في ٢٠ مترًا. وإلى جانب هذه المباني تقوم حفرة من صنع الإنسان، وليس الطبيعة، يصل عمقها إلى خمسة أمتار وتمتد ٤٠٠ مترًا، مما يبدو واضحًا أن الغرض منها كان استخدامها كخزان المياة. (٢١)

تقوم شواهد قوية على احتلال المصريين له "كنعان" في رسائل "أغيتاتون" والنقوش المصرية. ويبدو أن الاعتبار الذي حكم سياسة توزيع الصاميات: "يواعت" أي "قوة الجنود المرابطين" (٢٥) كان إستراتيجيًا: احتلت المدن الساحلية أهمية كبرى في هذا الصدد. وفي مطلع حكم الأسرة الثامنة عشرة زوّد المصريون "شاروهين" بحامية، ولكن بعد حكم الفرعون "تصوت - موسى" الثالث تبوأت "غزة" الدور الذي كانت شاروهين" تقوم به كمقر لحامية مصرية. وإذا ما توغلنا أكثر باتجاه الشمال فإننا نصادف "قائدًا لحامية" وقد ورد ذكره عند الصديث عن "صور"، وإذا كان لنا أن نحكم استنادًا إلى عدد من الفقرات التي وردت في رسائل "أغيتاتون" (=العمارنة)، تكون "بيبلوس" قد استضافت قوة مماثلة من الجنود المرابطين. وتشير بعض النصوص تكون "بيبلوس" قد استضافت قوة مماثلة من الجنود المرابطين. وتشير بعض النصوص وجه التحديد وطبيعة مهامها لا يزالان بحاجة إلى التعيين. وقد نصب المصريون حاميتين في كل من "أولازا" و "أوجاريت" في مطلع عهد الإمبراطورية، ولكن سرعان ما فقدت مصر هذه المدينة الأخيرة: "أوجاريت"، بينما حلت "سومور" محل "أولازا" ما المصرية هناك.

وكانت الحاميات التى نصبها المصريون فى المدن الداخلية (=البعيدة عن الساحل) أقل من تلك التى نصبوها فى المدن الساحلية، ولكنها تعكس مدى اهتمام المصريين بهذه الدروب وبلك الأصفاع التى تفتقر إلى كثافة سكانية معقولة، الأمر الذى يهدد بوقوعها فى أيد معادية. ولقد نصب المصريون حامية من هذا النوع فى أورشليم فى خواتيم الأسرة الثامنة عشرة لحماية ما أصبح يطلق عليه فى أوقات لاحقة "مرتفعات يهودا"،

أما "بيت شان" إلى الجنوب مباشرة من "بحر الجليل" فلقد خصص لها المصريون قوة مماثلة لمراقبة معابر نهر الأردن.

إلا أن المصريين كانوا يرون، على نطاق واسع، أن الخدمة في الحاميات العسكرية خارج مصر عمل شاق وممطوط وفوق ذلك بغيض. وتركز النصوص التعليمية بإسهاب وتقصيل كبيرين على مصاعبها وتدمغها بأنها نوع من العقاب أو النفى. فإذا أرسل سوء العظ جنديًا إلى خارو ... تاركًا زوجته وأطفاله وراءه، يكون جلاه هو ثوبه وطعامه حشيش الحقل كأي رأس من المواشي (بردية تشستر بيتي Chester Beaty رقم ه الصفحة اليمنى ١٢-١٥) فضلاً عن أن ألمدة الواحدة للخدمة قد تمتد حتى تصل إلى ست سنوات. ويشكو أحد الضباط، الذين أرسلوا، كما يبدو واضحًا، إلى إحدى الحاميات الساحلية، وكان مكلفًا بالقيام بعمليات إنشائية، من الظروف التي كان مضطرًا للعمل في ظلها، على هذا النحو:

"أسكن في مدينة الجحيم دون أي إمدادات، وليس هناك أهالي لضرب الطوب، فضلاً عن عدم وجود تبن في المنطقة المحيطة، أما الإمدادات التي أرسلت لي فقد نفدت، ولم يعد عندى حمير، فلقد سرقها اللصوص، وأقضى اليوم بطوله أراقب الطيور، ولكنني ألجأ بين الحين والآخر إلى صيد السمك، وأرسل عيني إلى الطريق الصاعد إلى "جاهي" Djahy (= باتجاه بلادي) وأنا أتحرق شوقا إلى الوطن، وأخذ قيلولتي تحت شجر بلا ثمر، الهاموش يهاجم في ضوء النهار والناموس في صهد الظهيرة. وذباب الرمل يقرص ويمص من كل وريد في جسمى - ... وكلما فتحت جرة مملوءة بنبيذ "كود" Kode ، وحضر الأهالي كي يحصلوا على كوب منها، فإن مائتي كلب ضخم وثلاثمائة ابن أوي أي خمسمائة أنف، ينتظرونني أمام الباب دائماً عند خروجي، طالما شموا رائحة الخمر عند نزع سدادة الجرة... أما الحرارة هنا غلا تعرف الانخفاض."

(بردیة "أنستاسی" رقم ۲،۱۲، ۵–۱/۱۳)

وإلى جانب مراكز الحاميات العسكرية، اتخذ المصريون عددًا محدودًا من المدن مقارًا دائمة. ولقد أصبحت عندة التي أطلق عليها المصريون اسم (مدينة "كنعان") المقر الرئيسي الذي يقيم فيه حاكم يملك سلطات غامضة في طبيعتها على الساحل

والبلاد الجبلية حتى سهل 'إزداريلون' (٢٦) وكان هناك بيت لإقامة هذا المفوض، بالإضافة إلى معبد منذور لـ "أمون" ولـ "العبقرية" الفرعونية (٢٧) ويخلاف الحامية التى سبقت الإشارة إليها، كان المفوض المقيم يلقى العون من "مسجل" مسئول عن إرسال التقارير عن "مدن الفرعون"، أي عن المدن الكنعانية داخل الزمام الذي حددناه التى (٢٨) وواقع الأمر أن هذه التدابير الخاصة بالساحل الفينيقى نشأت من طبيعة الغزو الذي قام به الفرعون "تحوت - موسى" الثائث المنطقة. فلقد صمم الفرعون، انطلاقًا من رغبته في استخدام طريق البحر في نقل قواته إلى آسيا، على تأمين أفضل المرافئ الفينيقية بأي ثمن. وفي سبيل هذه الغاية أقام مستودعات المتخزين في مدن ساحلية مختارة معينة، ولقد ضمت 'أولازا" حامية عسكرية ومقراً، وفي وقت لاحق، وكما سبق أن ألمحنا، تخلت عن مركزها هذا لمدينة "سومور" . (٢٠١) وفي قلب البلاد تحوات "كوميدي" في وادي البقاع، شمالي دمشق، كي تصبح مقراً مصريًا . (٢٠)

وكان المصريون ينتقون مدنًا أخرى، فى بعض الأحيان، لأغراض خاصة. فعلى امتداد الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة ظلت "يافا" مركزًا مهمًا لتخزين القمح، وتنظيم عمليات السخرة، ويبدو أنها ضمت أيضًا مستودعًا للعجلات الحربية مع بزوغ عصر الأسرة التاسعة عشرة. وأصبحت "ياريموتا" Yarimuta ، التى لا نعرف موقعها، مستودعًا لتخزين القمح، أما "مجدو" فغدت بمثابة المدينة التى تتكفل بحصاد سهول "إزداريلون".

حفظ الأمن والترحيل:

كما سارت الأمور في مصر، سارت في أسيا، فلقد استخدم المدريون، إلى جانب قوات الحامية العسكرية والمفوضين، قوة بوليسية ليست صغيرة، تتكون إلى حد كبير من النوبيين الذين يرجعون في أصولهم إلى قبيلة "ميدجاى" Medjay والمعروف أن السودانيين كانوا قد ساعدوا المصريين في كفاحهم ضد الهكسوس، ويحلول أواسط الأسرة الثامنة عشرة كانوا قد شقوا لأنفسهم مثل ذلك المجال الذي يلائمهم، حتى أصبح اسم "ميدجاي" مترادفًا، على وجه التقريب، مع "الشرطى".

واختلف حجم القوات النوبية التى أرسلها المصريون إلى أسيا، بصورة كبيرة من حفئة لا تزيد على عشرة أنفار إلى عدد ضخم يصل إلى ألف نفر. ويبدو أنهم اكتسبوا صيتًا واسعًا بسلوكهم الذى يتسم بالجموح، ولكن هذا انصيت لعب، على وجه الاحتمال دوراً لصالح مصر في إخضاع السكان المحلين. (٢١)

وفى إطار ما يمكن لذا أن نطلق عليه، ولكى نتفادى وقع التعبير، مصطلحًا مخففًا هو ضبط سلوك السكان، لجا المصريون إلى وسائل مجربة وواقعية. وكانت تجربة المملكة القديمة (كما سبق لنا أن ذكرنا) قد أثبتت أهمية اقتلاع تجمعات بأسرها وإرسالها إلى مصر، ولبى هذا العمل غرضين في نفس الوقت هما: عقاب السكان المتمردين وزيادة قوة العمل في مصر. وقد وضع الفرعون هذه السياسة، بصورة مقتضبة، خلال التعليمات الموجزة التي أصدرها جلالته إلى المسئولين عن الإمبراطورية:

عهد إليك الفرعون له العمر والرخاء والعافية، بالبلاد الأجنبية التى تبدأ من حدود كوش (كى توغل حتى نهارين) في سبيل الحفاظ على أمن حدودها (تمشيًا مع) ما قاله(؟) الفرعون له العمر والرخاء والعافية، تمامًا على نحو ما درج عليه أسلافك منذ الأزمنة القديمة. والآن إذا بلغك أن شعويًا أجنبية ما، ممن لا يعرفون الكيفية التى ينبغي عليهم أن يعيشوا خلالها، فقد تخلوا عن أراضيهم، وعضهم الجوع وأصبحوا يعيشون كما تعيش الضوارى، وكذلك أطفالهم، عندئذ يرسل إليهم كلى – القوة سيفه الذي لا يقهر أمام جيشه كى يفنيهم ويدمر مدنهم ويشعل النار في تلك البلدان ويستزرع أناسًا أخرين في أماكنهم بدلاً منهم. (٢٦)

كان ترحيل المتمردين العصاة وسيلة شائعة في تلك العصور. ولقد أصدر "أخناتون" أوامره إلى زولايا" Zulaya حاكم "دمشق": "ابعث لي بال "عابيرو" سكان أراضى المراعى.(؟)، الذين أرسلت لك بشائهم ما يلي: اسوف أوطنهم في مدن بلاد "كوش"، بما أننى أسلمت بلادهم للسلب والنهب. (٣٢)

تأتينا من فلسطين خلال النصف الأخير من الأسرة الثامنة عشرة أدلة مقنعة على درجة معينة من المواقع التي درجة معينة من التصدع في عدد السكان، إذ عثر المنقبون على العديد من المواقع التي كانت مأهولة بالسكان خلال العصر البرونزي الوسيط وقد دُمرت، مع وجود انتقال

السكان إلى الوديان والسهول الساحلية، مخلِّفين المرتفعات وراءهم، شب خالية من السكان. (٢٤) ولقد انطوت النتائج المباشرة التي نجمت عن الغزو المصرى على التدمير العمدي للمدن الكنعانية وترحيل قطاعات ذات حجم ملحوظ من السكان. (٢٥) ويصل ما نقله الفرعون "تحوت - موسى" الثالث إلى أكثر من سبعة آلاف و ٣٠٠ نفس، في حين اقتلع ابنه "أمين - حوتب" الثاني، وحسيما يقول هو شخصيًا ٨٩ ألفًا و ٦٠٠ نفس. وأشار "تحوت - موسى" الرابع، بشكل ضمنى، إلى أنه نقل سكان "جزر" إلى 'طيبة'، بينما يتحدث ابنه 'أمين - حوتب' الثالث عن معبده الجنائزي في 'طيبة' بصفته غاصًا بالعبيد والجواري، وأطفال رؤساء كافة البلدان الأجنبية، الذين وقعوا أسرى في أيدى جلالته - أما أعدادهم فليست معروفة - وقد طوقت المعبد مستوطنات السوريين. وكان عمد "كنعان" ملزمون بناء على طلب الفرعون أن يطوقوا وأن يرسلوا إلى مصر عددًا معينًا من الرجال والنساء والأطفال: ٦٥ من 'جزر' وعشرين عبدًا لمرافقة بنات عمدة "أميا" Ammia وعشرة عبيد و ٢١ خادمة، و ٨٠ أسيرًا من نفس المدينة. وتقوم شواهد على أن عصور الرعامسة عرفت بيع العبيد، وكانت حمولة الغلايين من العبيد الكنعانيين تصل بصفة منتظمة إلى الموانئ المصرية. واستمرت ترد في نصوص الأسرة التاسعة عشرة تلميحات مقولبة إلى تكديس ورش المعابد بالعبيد والجوارى الذين وقعوا أسرى في أيدى جلالته"، بنفس درجة التواتر التي كانت ترد بها هذه التلميحات فيما مضم ..(٢٦)

نظام الضرائب والإمبراطورية الآسيوية:

فرض المصريون على السكان الكنعانيين، بصفة رئيسية، نفس النظام الضرائبى المفروض في مصر ذاتها، بعد استزراعه في الخارج. (٢٧) فمتلما كان الحال مع الأهالي من المصريين، كان الجباة يقومون على فترات منتظمة بتقدير ما يتعين على الأسيويين دفعه ويحددون حصص الضرائب اللازمة لتغطية الرواتب التي يتقاضاها التابعون للإدارة المصرية ونفقات صيانة المعابد والحاميات وهلم جرا. (٢٨) وكان لزامًا، على العمد الكنعانيين، مثلما هو الحال مع نظرائهم المصريين، أن يسلموا "خيراتهم" (أي "ما يجرى جلبه")

فى كل رأس سنة، بالإضافة إلى تسليم جزء من "ناتج عملهم". (٢١) واعتبارًا من الغزوات الأولى التى قامت بها مصر، صادر المصريون مساحات كبيرة منتقاة، وكذلك مدنًا بأكملها وجعلوا منها جزءًا من ممتلكات المعابد المصرية، ويحلول الأسرة المشرين امتلك معبد "آمون" ٥٠ مدينة ومعبد "رع" ١٠٢ مدينة كنعانية. كما فرض المصريون السخرة على الأهالي، كواجب يلتزمون بأدائه الدولة، كما كان لزامًا على العمد أن يقوموا بزراعة الحقول غير المزروعة، تمامًا مثلما كان عليه الحال في مصر. (١٠٠)

حقًا لا نملك ملفًا كاملاً من البرديات التي توضح لنا البناء الكلى لنظام الضرائب الذي فرضته الإمبراطورية المصرية، إلا أن الإشارات إلى الدخول الواردة من الشمال في الحوليات وصواديد/ألواح النصر والخطابات ودفاتر الأستاذ (في الحسابات) قد نجت من عوادي الظروف كي تصل إلينا بأعداد معقولة إلى حد ما. وقد يكون في طوعنا أن نقرر، بصفة عامة، بعد فحصنا لهذه المواد، أن المصريين لم ينخذوا من المقاطعات التوابع لهم في الشمال، إلا تلك الموارد أو المنتجات التي يتعذر الحصول عليها من مصر أو من أفريقيا. ومع ذلك فلقد أغرى الغني الذي تتمتع به كنعان وشمال سوريا المصريين بحلبهما إلى أقصى ما يستطيعون. ولم تكن المنطقة تتمتع بكثير من الموارد المحلية وحسب، بل كانت تشكل أيضًا مفترق طرق تلتقي عنده الدروب التجارية التي تبدأ من مسافات بعيدة مثل جزر بحر "إيجة" غربًا و "البنجاب" شرقًا. وكان بوسم الجباة أن يحضروا الضرائب إلى الفرعون شخصيًا عندما يمر خلال أراضي "كنعان" السكان المحلون ملزمين بنقل السلع أي الضرائب العينية بانفسهم. وكان في طوعهم السكان المحلول هذه السلع من جنوب "كنعان" بالبر عن طريق القوافل، أما السكان شمالي أن يحملوا هذه السلع من جنوب "كنعان" بالبر عن طريق القوافل، أما السكان شمالي الكرمل" فكانوا يغضلون طريق البحر.

ويخصوص الأحجار الكريمة والمعادن الثمينة، فكانت الفضة تحتل المكانة الأكثر أهمية. (١١) فمصر تفتقر إلى رواسب هذا المعدن في أراضيها. بينما يتوفر عندها الذهب بصورة ملحوظة في الصحراء الشرقية في كل من مصر والنوبة. ونحن نصادف في السجلات أن كميات ضخمة إلى حد كبسير من الفضة قد صودرت : ٢٠٠ شيكل من "جزر" وألف و ٤٠٠ من مدينة مجساورة لها، وخمسة آلاف من "أورشسليم". (٢١)

وكان اللازورد الذى تفتقر إليه مصر بالمثل، يأتى من شمال سوريا، حيث كان يستورد من "أشور" و"بابل". (٢٦) ولما يلفت النظر أن المصادر التى ترجع إلى عصر "أخيتاتون" تركز بشكل خاص على الزجاج الذى كان يشكل جزءًا من العب، الضرائبي على المدن في جنوب السهل الساحلي. (٤٤)

وتحوز قائمة المعادن غير الثمينة، سواء في شكل خام أو مشغولة أهمية مماثلة. وتقف على رأس هذه القائمة ما أطلق عليه المصريون اسم: "النحاس الأسيوي"، وهو عبارة عن سبيكة نحاسية قريبة من البروبز على وجه الاحتمال. (٥١) وكان هذا النوع من النحاس يُستخرج من "بيبلوس" ومن شمال سوريا، ولكنه سرعان ما أصبح البند الرئيسي في تجارة نشطة وعمليات تبادل الهدايا مع قبرص. ويصور لنا بصورة حية اليوم غرق سفينة "قولون بورو" Ulun Buru في أواخر عصر "أخيتاتون" (= العمارنة) الدي الذي بلغته هذه التجارة من الانتشار، فلقد كشف المنقبون عن سفينة شراعية قديمة غارقة تصل حمولتها إلى خمسة الاف طن من النحاس الأحمر، على هيئة سبائك. (١٦) وكانت التجارة في القصدير معروفة على نطاق واسع اعتبارًا من العصرين البرونزيين، الوسيط والمتأخر، وكان المصريون يفرضون طلب هذا الخام كضريبة واجبة، وإن كانت بكميات أقل من النحاس الأحمر. أما الحديد فكان لا يزال نادرًا تمامًا، ولا يُستخدم بكميات أقل من النحاس الاحمر. أما الحديد فكان لا يزال نادرًا تمامًا، ولا يُستخدم بكميات أقل من النحاس الاحمر. أما الحديد فكان لا يزال نادرًا تمامًا، ولا يُستخدم بكميات أقل من النحاس الاحمر. أما الحديد فكان لا يزال نادرًا تمامًا، ولا يُستخدم بكميات أقل من النحاس الاحمر. أما الحديد فكان لا يزال نادرًا تمامًا، ولا يُستخدم الا في الكماليات، وظل الحيثيون يحتكرون كلاً من إنتاجه وتسويقه لمدة طويلة.

وتشكل الأخشاب من كافة الأنواع أكبر حصة في ضرائب أسيا. (٤٧) وكان يأتى أولاً وقبل كل شيء شجر الأرز اللبناني الذي دأب المصريون على استخدامه في بناء المراكب المقدسة، وخصوصنًا مركب "آمون" الذي أطلقوا عليه اسم: (قوى الصدر هو مركب "آمون"). ولكن نفس الأخشاب كانت تستخدم أيضنًا في عمل أبواب المعابد، وصواري الأعلام والمقاصير المحمولة، ومستلزمات العبادة. واحتل نقل خشب الأرز إلى مصر أولوية قصوي. ويخبرنا الفرعون "تحوت - موسي" الثالث:

يقطع الأهالي أشبار أرز لبنانية ناضرة (في "جاهي" من أجلى) كل سنة بانتظام، وهي الأشبار التي ينقلونها إلى القصر، له العصر والرخاء والعافية. والأخشاب تصل إلي في مصر (عن طريق البحر؟) على هيئة أرز ناضر من ذلك الأرز الذي تشتهر به "نجاد" Negaw ، أفضل ما تنتجه أرض الإله، كل سنة بصفة منتظمة

دون أن تتأخر موسماً واحداً. ولقد عادت إلى قواتى بعد أن عسكرت في حامية آولازا عن طريق البحر(؟) على متن المراكب، التي نجرت من الأرز، وهو الأمر الذي يرجع إلى الانتصارات التي حققها جلالتي بناء على مشورة والدي آمون - رع الذي سلمني كمل الشعوب الأجنبية. ولم أترك شيئًا منها للأسيوبين، فهي الأخشاب التي يهواها فؤاده ((١٤) أما الأخشاب الباهظة الثمن، وخصوصاً خشب البقس ((١٩) فكان لزاماً على الكنعانيين أن يوردوها أيضاً، وبالذات على أبناء آمورو والساحل الشمالي، وكانت هذه الأخشاب الغالية تخصص لصناعة الأثاث الفاخر ومستلزمات العبادة.

واستمر المصريون لدد طويلة يستوردون المواشى من آسيا، مثل البقر الحلوب، والثيران التى استخدمها المصريون فى جر الحجارة فى المحاجر، ولكنهم استوردوها فى حالات أقل من أجل لحومها. (٠٠) ولا بد أن عددًا كبيرًا من أسراب الطيور وقطعان المواشى التى طوقها المصريون خلال الحملات العسكرية التى قاموا بها فى آسيا ذهب فورًا كإمدادات لجنود التجريدة. ولكن المواشى لم تشكل أولوية عند تقدير الضرائب، وكانت بعض الحيوانات غير المالوفة، مثل الدجاج والأفيال، تظهر بين الحين والآخر فى القوائم، ولكنها لم تكن لتزيد كثيرًا عن طرائف.

لم تجذب الأراضى التى يجود فيها القمع فى أسيا الفربية أنظار الإدارة المصرية، طالما كانت مصر تنتج الحبوب بوفرة هائلة، إلا أن المصريين رأوا أنه من الأفضل تلبية احتياجات المقيمين والحاميات وجنود التجاريد العسكرية بالحصول عليها من المنتجات المحلية رأسًا. (لوحة رقم ٢٥). (١٥) وكان توقيت الحملات يعين فى غالب الأحيان بحيث يصل الجيش إلى أراضى الأعداء فى الوقت الذى يكون فيه المحصول قد جُمع للتو. ولقد عانى بعض عمد "كنعان" من فرض نوع ما من الخدمات الطقسية، التى يلتزمون بموجبها بحصد الشعير والقمع فى أراضيهم لتغطية إمدادات رجال الحاميات المصرية المحلية. وكانت محاصيل المقمح والخضروات التى يحصدها الأهالى فى "الجليل" ولبنان تذهب لمل، المخازن العسكرية فى المدن الساحلية تحسبًا للحملات القادمة فى المستقيل:

والآن كل المرافئ التى رسا عندها جلالته صارت مكسة بكل ما هو رائع، طبقًا للعادة السنوية، وذلك من أجل الرحلتين التى تتجه إحداهما شمالاً والأخرى جنوبًا بناتج عمل لبنان وكذلك حصاد "جاهى"، الذى يشمل القمح والبخور والزيت الطازج والزيت الحار والزيت الطازج

ولقد ظهرت مواد عضوية منتقاة، تفتقر مصر إليها، أو ربما تاق إليها المصريون لجودتها الفائقة، بصفة منتظمة في قوائم الضرائب. وكان المصريون يشحنون البخور الكنعاني في غلايين ضخمة إلى بلادهم لاستخدامه في المعابد، (٢٠) وكانوا يحصلون كذلك على زيت شجر البان، الذي لا تعرفه مصر، من الشمال. (٤٠) وكان المصريون يشيرون إلى قبرص و نهارين بصفتهما مصدرين لتلك السلعة النفيسة، وتكشف نصوص أوجاريت عن تجارة نشطة تمتد في طول وعرض شرق البحر المتوسط. (٥٠) وكانت قبرص تصدر الأفيون في نوع من البرطمانات التي لا تخطئها عين، تنتشر على نطاق واسع الآن في كافة أرجاء الإمبراطورية، (٢٥) ولم يكن المصريون يفرضون العسل ضمن الضرائب إلا بكميات قليلة، وكان النبيذ بندًا معروفًا في القوائم، وتكشف نصوص الملكة الحديثة عن معرفة المصريين : لا أصناف مختلفة: وكانت الأنبذة (= الخمور) الأسيوية تعرف بأسماء متنوعة على هذا النحو: "بتاع طريق حورس"

ولم تظهر الأسلحة بشكل بارز على قوائم الضرائب، على نحو ما قد يتوقع البعض. (٨٥) وحتى فى قوائم غنائم الحرب، التى تدخل فى دفاتر اليومية التى تخص قصر الفرعون، لم تنفذ الأسلحة الشخصية مكانًا خاصًا، وربما يرجع ذلك إلى أن هذه الأسلحة كانت تعد بمثابة ملكية شخصية للجنود الذين قتلوا أو أسروا الأعداء واستولوا منهم عليها. وتقوم شواهد على أسلحة الاحتفالات، المزخرفة بالذهب والفضة والأحجار الكريمة، بدرجة ما من الإطراد. وكثيرًا ما تصور العجلات الحربية أثناء إحضار الآسيويين لها إلى حضرة الفرعون، وهذه العجلات كثيرًا ما كانت مرصعة بالأخشاب النادرة والمعادن الثمينة. ولم يأخذ المصريون عتادًا حربيًا من الكنعانيين إلا من وقت لآخر. ونستثنى من ذلك الدروع والخوذ التى كان قائد العجلة الحربية الكنعاني يستخدمها، في عصور الرعامسة، فكان الجيش المصرى يستولى عليها.

وأخيراً نأتى إلى نوع من السلع المصنعة، اشتهر بها المشرق، ولقيت إعجاباً عميقاً من جانب المصريين. وأقصد بذلك التحف المدنية. فكان طراق المعادن ومنتجات ورشته معروفين جيداً في مصر نسمع عن المشغولات الفضية القادمة من "عشقلون" والزهريات ذات الطابع الصورى وأواني ورش جاهي "Djahy"، و "كل إناء لماع لم ريتينو". وواقع الأمر تقف زهريات الزينة السورية في المناظر التخطيطية لعملية إحضار الضرائب، في الغالب كرمن، لمجمل الضرائب القادمة.

ويبدو أن تقدير كل هذه الضرائب كان يجرى على أساس الغرض الفاص على المسائر الأليات الأغرى التى أدرجت فى الفدمة فى سبيسل إدارة الإمبراطسورية. وفى لحظة معينة نرى رسول الفرعون وقد تولى مسئولية "تقدير الضريبة على الرؤساء فى كافة البلاد الأجنبية" (Urk IV,975) وفى لحظة أخرى نرى الوزير أو كبير أمناء الصندوق هو الذى "يقدر أعمال كل البلاد الأجنبية" (KRI III,21,136) أما السؤال حول ما إذا كانت قدم أى مسئول من هؤلاء المسئولين البارزين قد وطئت أرض "كنعان" خلال عملية رسم "تقديراتهم الميزانية" فأمر يكتنفه الغموض. إلا أن كاتب الفرعون "مين – موسى"، الذى تكفل بهذه المهمة، توجه إلى الشمال فى واقع الأمر، كى ينجب ما تكفيل به: "جسبت ربوع "ريتينو" العليا فى كعب سيدى، وقدرت الضرائب على "ريتينو" العليا. وأبلغت رؤساء "ريتينو" بما عليهم من أعباء (= ضرائب) سنوية" على "ريتينو" العليا.

الهوامش

نا حول الفاميم والآليات الإمبراطورية عند المصريين القدماء، انظر على رجه المصوص:

D.Lorton, The Juridical Terminology of International Relations in Egyptian Texts through Dynasty XVIII (Baltimore,1974); B.Kemp,in P.D.G. Garnsey and C.R. Whittaker, Imperialism in the Ancient World (Cambridge, 1978),7-8; J.P. Frandsen, in M.T. Larsen, Power and Propaganda: A Symposium on Ancient Empires (Copenhagen,1979),167-68; J.Leclant,in M.Duvoyer, Le Concept dkempire (Paris,1980),49-50; cf. also the excellent marshaling of the Late Bronze evidence with respect to the New Kingdom in Asia by J.M.Wienstein, BASOR 241 (1981),

ولقد ظهر تناول مفعمل للموضوع في كتاب المؤلف المالي:

Egypt and Canaan (Beer Sheva, 1990).

(٢) حول الإمبراطورية النوبية، انظر على وجه الخصوص:

Egypt in Nubia (London, 1965); B.G. Trigger, Nubia under the Pharaohs (London, 1976); W.Adams, Nubia:Corridor to Africa (London, 1977).

(٢) حول المجتمع الكنعاني انظر على وجه الخصوص:

- W.F. Albright, ed., The Bible and the Ancient Near East (New York,1956),438-39; idem, Yahweh and the Gods of Canaan (New York,1969); D.N. Freedman and D.F. Graf, eds., Palestine in transition (Sheffield, 1983); M.Heltzer, The Rural Community in Ancient Ugarit (Wiesbaden,1976); M.Liverani,ed., La Siria nel tardo bronzo (Rome, 1969); idem, Three Amarna Essays (Malibu, Calif., 1971; G.D.Young, ed Ugarit in Retrospect (Winona Lake,Ind.,1981).
- Y. Yadin, Hasor (London, 1972); J.R.Kupper, CAF2, II,pt.1 (1973), 21-22; (£) C.Epstein, JNES 22(1963), 242-43; D.B.Redford, JAOS 99 (1979),287,n.151.
- (ه) مسألة العابيري و صلاتهم المزعومة بأسلاف العبرانيين استنفدت كميات هائلة من الحبر. قارن بين كتابات أخرى:

J.Bottero, La probléme des Habiru (Paris, 1954); G.Buccellati, JNES 36 (1977), 435-63; M.Greenberg, The Habpiru (New Haven, Conn., 1955); O.Loertz, Habiru-Hebräer: Eine sozial-ling. Studie (Berlin, 1984); R.de Vauz, JNES 27 (1068), 221-22; M.Heltzer, in Liverani, La Siria nel tardo bronzo, 34.A.F.Rainey's succinct statement in Biblica 70 (1989), 571, mirrors my feelings exactly.

تعكس مشاعري على رجه التحديد.

- (٦) حول الزي الكنعائي، انظر:
- D.B. Redford,in The Akhnaten Temple Project, vol. 2:Rwd-mnw, Asiatics and the Inscriptions (Toronto, 1988), ch.2;S. Schroer, Orbis Biblicus et Orientalis (Göttingen, 1985), 51-52.
 - Heltzer,in Liverani, La Siria nel tardo bronzo,31032. (Y)
 - G.Buccellati, Cities and nations Aof Ancient Syria (Rome, 1967), 64-66. (A)
- Lorton, Juridical Terminology of International Relations in Egyptian Texts through (4) Dynasty XVIII,31-32.
 - (۱۰) انظر:
- W.Helck,MDOG 92 (1960),1-2;idem,Die Beziehungen Ägyptens zur Vorderasiens² (Wiesbaden,1971), 246-47; K.A.Kitchen,in Liverani La Siria nel tardo bronzo,77-78; R.Hachemann,ZDPV 98 (1982),1-2.
 - (١١) حول "ناظر البلاد الأجنبية" انظر:
- S.Groll, in M.Görg, ed., Fontes atque Pontes (Wiesbaden, 1983), 234-35.
 - (١٢) انظر العمل المعتمد الذي جاد به كل من:
- W.F.Albright, JNES 5 (1946),7-8; also Redford, Egypt and Canaan.
 - (١٣) حول الألقاب العسكرية في مصر القديمة انظر المعالجة الرصينة التي قدمها:
- A.R. Schulman, Military Rank, Title and Organization in the Egyptian New Kingdom (Berlin, 1964).
- E.Edel, in Geschichte und Altes Testament (Tübingen,1953), 55ff.; M. Vallogia, (\£) Recherche sur les "messagers" (wpwtyw) dans les sources égyptiennes profanes (Paris,1976).
 - KRI III,274-75. (10)
- A.H. Gardiner, Egyptian Hieratic Texts,vol.1 (hildeshein, 1964); A.F. Rainey, (\7) JNES 26 (1967), 58-59; H.W. Fisher-Elert, Die satirische Streischrift des Pap. Anastasi, vol.1(Wiesbaden,1983)
 - Edel, in Geschichte, 55ff. (\Y)
 - E.Oren, JSSEA 14 (1985), 37-38. (\A)
 - Tel el-Akhmar? Cf.Helck, Beziehungen 2,310-11. (\%)
 - W.Helck, Die Altägyptissche Gaue (Wiesbaden, 1974). 173; (Y.)
- ولقد انتهى الجدل الذي دار حول موقع "تيككو"، بالاستكشافات الأخيرة التي قام بها جيه. إس. هولاداي J.S.Holladay لصالح "تل الرتابة" دي. بي. ريدفورد.
- D.B. Redford, Ldà 4 (1982),1054ff.

- A.H. Gardiner's classic study in JEA 6 (1920), 99-100. : انظر (۲۱)
- T.Dolhan, IEJ 31 (1981), 126-27; idem, National Geographic Magazine 162 (YY) (1982), 738-39.
 - E.Oren,IEJ 23 (1973),112-13. (YY)
- T.Dothan, in E.Lipinski,ed., The Land of Israel: Crossroads of Civilization (lou- (YE) vain, 1985), 55-56.
 - A.O. Faulkner, JEA 39 (Ye)
- M.Avi-Yonah,ed.,Encyclopedia of Archaelogical Excavations in the Holy Land (Y1) (Jerusalem,1976), 2;4:408-9; H.J.Katzentein JAOS 102 (1982),111-12; Helck, Beziehungen²,304.
 - R.Giveon, The Impact of Egypt on Canaan (Gittingen, 1978),23. (YV)
 - H.Goedicke and E.F.Wente, Ostraca Michaelides (Wiesbaden, 1962), pl. 93. (YA)
 - Heldk, Beziehungen 2,304. Hachemann, ZDPV 98(1982), 26. (Y1)
- D.O. Edzard et al., Kamid el-loz-Kumidi (Bonn,1970); J.Leclant, Orientalia 41 (7.) (1972), 280-81;44 (1975), 239-40.
 - H. Klengel ,in E. Endesfelder, ed., Ägypten und Kusch (Berlin, 1977),227-28. (T1)
 - (٣٢) من مقبرة 'حور إم حب' في 'منف':
- A.H. Gardiner, JEA 39 (1953), 7-8; W. Helck VT 18 (1968), 475-76.
 - Edzard, Kamid el-Loz-Kumidi, 55-56. (YT)
- T.L. Thompson, The Settlement of Palestine in the Late Bronze Age (Wiesba- (۲٤) B.Mazar, Basor (في مواضع مختلفة من النص المذكور) den, 1979), 59 and passim (في مواضع مختلفة من النص المذكور).

 241(1981),75; R.Gonen,BASOR 253 (1984),61ff.
- R. Giveon, Les bedouins Shoshou (Leiden, 1972), 219-20; D.B. Redford, in A. (To) Hadidi, ed., Studies in the History and Archaeology of Jordan (Amman, 1982), 117; idem, in Biblical Archaeology Today (Jerusalem, 1985), 193.
 - (٢٦) عمومًا حول الأسيوبين في مصر انظر: . Helck, Beziehungen², 342-43.
 - (٣٧) انظر على وجه الخصوص:
- S.Ahituv, IEJ 28 (1978).9 3-94;N.Na'aman, IEJ 31(1981), 172-73; Also Redford, Egypt Canaan.
- D.B. Redford, in J.W. Wevers and D.B. Redford,eds., Studies on the Ancient (TA) Palestinian World (Toronto, 1972), 145-46.
 - C.Aldred, JEA 56 (1970), 105-6;E.J. Bleiberg, JARCE 21 (1984), 155-56. (T9)
- A.H.Gardiner, JEA 27 (1941), 23-24; B.Menu, La régime juridique des terres et (£-) du personnel attaché à la terre dans le papyrus Wilbour (Lille, 1970) 92-93.

- J.R. Harris and A.Lucas, Ancient Egyptian Materials and Industries⁴ (London, (£1) 1962) ,280; J.R. Harris, Lexicographical Studies in Acient Egyptian Minerals (Berlin, 1961),41ff.
 - Cf. EA 99:14, 287: 54, 270:15, 313:7-11. (£Y)
 - Helck, Beziehungen², 388-89. (£7)
 - Na'aman, IEJ 31 (1981), 175. (££)
 - Harris, Lexicographical Studies, 50ff.; R.Gundlach, LdÄ 3(1980) ,881-82. (£o)
 - G. Bass:oral communication. (17)
 - H.Klengel, in Liverani La Siria nel tardo bronzo ,17. (£V)
 - Urk IV,1237. (EA)
- Helck, Beziehungen², 397-98; E.Lagrace, CRAIBL (1983). 272, n.27; Liverani, (£1) Three Amarna Essays, 8 and n.42.
 - Helck, Beziehungen², 371-72. (0+)
- (٥١) حول الضرائب العينية من القمح في الإمبراطورية انظر: المرجع السابق ص ٣٦٠-٣٦١: و Na'aman, IEJ 31 (1981), 178.
 - Urk IV, 719. (04)
 - (۵۲) حول البخور انظر:
- V.Loret, La resine de terebinthe (Sonter) chez les anciens égyptiens (Cairo, 1949).
 - Helck, Beziehungen², 398-99, 415. (a£)
 - Cf. Palais royal d'Ugarit (Paris, 1965), 5:no.95. (00)
- R.S. Merrillees, Antiquity 36 (1962), 287-88; Idem. Levant 11 (1979), 167-68; (6%) but of B.M. Gittlin, BASOR 241(1981), 55.
- A.H.Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica (Oxford,1947),1:180°f.,187°f. (oV)
 - (٥٨) حول أسلحة المصريين القدماء و عتادهم الحربي انظر:
- W. Wolf, Die Bewaffnung des altägyptischen Heers (Leipzig, 1926); Y.Yadin, The Atr of Warfare in Bible Lands (Jerusalem,1961).

الفصل الثامن

آسيا في مصر فسيفساء وليست بوتقة صاهرة

تعد الصضارة المصرية القديمة فريدة في نوعها sui generis . ولقد أدرك المصريون أنهم وتقافتهم مختلفون بشكل ملموس عن شعوب الأراضى المجاورة. ولم يكن من السهل استزراع نمط الحياة المصرية في أي مكان أخر، بل ومالت الثقافة المصرية إلى النبول والتلاشي عندما اقتلعت من ضعفاف نهر النيل. وأدرك المصريون ذلك أيضاً وسعدوا بهذه الحقيقة. ولم يعرفوا تلك البهجة الغامضة في "تغيير الغرباء". والكن الآن، أستقرت الإمبراط ورية عن خلط الأجنساس، كل مع الآخر، سواء طوعًا أو كرهًا، وصار لزامًا على المصرى الذي يتملكه الزهو بالذات أن يترك كتفيه تحتكان سبواء بالكنعاني الشاحب الوجه أو النوبي الأسود اللون. ولقد أصبح لكل الثقافات الأجنبية التي تنتمي جميعًا لتجمعات أنزل بها الفاتح/الفازي المصرى الهزيمة في ميدان القتال، حضور ملموس الآن في مصدر بلد الغازي نفسه. وكان إلحاق الهزيمة بالأفكار أكثر صعوبة بكل تأكيد، وعلى أي حال لم يستشعر الممريون بطابعهم العملى (=البرجماتي) أي حاجة لهم كي يقضسوا سواء على الأجناس أو المعتقدات. ويمرود الوقت وجدوا لزامًا عليهم أن يسقطوا أحكامهم الخاصة عن كاهل الأعراف الكنعانية وأن يتوافقوا معها، كما وجدوا أنفسهم مضطرين إلى استعارة كثير من الأفكار منهم ونبذ أفكار أخرى، وفوق كل ذلك أن يتعاملوا مع البلدان الأجنبية بصفتهم، أي المصريين، أعضاء في مجتمع دولي، وليس بصفتهم جنسبًا معنولاً أصطفاه الخالق.

الجيش:

كان أوضح المجالات التي قدمت فيها القدوة الأجنبية نماذج جديرة بنقل المصريين لها هو: العسكروت. (1) فلقد استعار المصريون الابتكارات الآسيوية للعجلة الحربية والقوس المركب قبل طردهم الهكسوس، وقام المصريون بتطوير ما استعاروه إلى النقطة التي أصبح عندها سلاح العجلات الحربية والقواسين الذي يملكونه رعب العالم. (1) والاسم المصري لقائد العجلة الحربية وضابط العجلة الحربية كليهما مشتقان من لغات أجنبية، (1) ولقد أصبح الاسم الأول يعني رتبة شبه عسكرية تقارن مع "الكولونيل (حالبكاشي أوالعقيد) وأحيانًا "كابتن المجموعة" عندنا، في حين أن الاسم الثاني صار يشير في غالب الأحيان إلى ما يوازي عندنا "الميجور" (= اليوزباشي أو النقيب). غير أن المصريين أبدوا بطنًا في إتقان بعض الابتكارات الآسيوية: آلة "كبش الحرب"، على سبيل المثال، لم يتبناها المصريون إلا بعد عصور الملكة الحديثة. ولم تلق الدروع المعدنية، هي أيضًا أي ترحيب من جانب المصريين بسبب مشاكل التوريد والتكاليف بصفة جزئية، مع أن بعض الضباط استعملوها في بعض الأحيان، كما استعار قادة المحلات الحربية الخوذة الآسيوية. (لوحة رقم ٢٦). (1)

حقًا قابل المصريون نماذج تستحق الإعجاب التنظيم العسكرى في آسيا، إلا أن الجيش المصرى الذي عرفه مطلع الأسرة الثامنة عشرة ظل حشداً يضم كل من هب وب. فقوات العمل السريع التي قذف المصريون بها سواء ضد الهكسوس أو فلول العصر البرونزي الوسيط من دول فلسطين كانت تتكون من رجال الاحتياط الذين يستدعون بصورة دورية في المراكز والمديريات، بالإضافة إلى الميليشيات المحلية التي ظلت تشكل منذ أيام الملكة القديمة نسيج الجيش المصرى، والواقع أن هذا الجيش كان قوة قومية، ويكاد أن يكون جيش مواطنين ففي صفوفه يصادف المرء مثل هذه المهن المائوفة بدءً من غير العسكريين ك رئيس خدم و تهرمان (= ناظر عزبة أو مدير مراسم) و حلاق و مسئول خبز ، و أمين صندوق و متعهد ، وكل هؤلاء يصاربون جنبًا إلى جنب فيما استشعرت النصوص الرضا وهي تطلق عليه اسم جيشنا . (•)

واكن أفاق الصراع المند وازدهار الحماس الذي تواد عن الغزو جعلا من الحاجة إلى قوة دائمة يتدرب أبناؤها في معاهد خاصة على فن الحرب أمرًا واضحًا أمام السلطات. وكان ملوك "طيبة" في ظل الأسرة السابعة عشرة قد شعروا بالفعل بأنهم مضطرون إلى خلق جسمور (≈ هيئة corps) من "الشجمان" كي يكون بمثابة رأس حربة الهجمات التي يشنونها ضد الهكسوس، وربما يكون حافزهم إلى ذلك هو المثال الذي قدمه المحاربون النوبيون الـ ميدجاي الذين تحالفوا مع المصريين الجنوبيين كمساعدين وقوات احتياط.(٦) وهذه الفترة ذاتها هي التي قذفت إلينا بأقسدم نماذج الم "وعو" أي المحارب والأدق الجندي لم "طول الوقت" (= الدائم)، بالتمييز عن المجندين القدامي الذين كانوا ينضمون إلى الميليشيات لـ "بعض الوقت". وعندما جرى تنظيمهم على هيئة فرق، صاروا يشكلون ما عرف باسم الـ وعييت أي "الجيش العامل"، الذي كان يقسم في زمن السلم إلى لوائين يتمركز أحدهما في الوجه القبلي والآخر في الوجه البحرى، وعندما يستخدم هذا الاسم للدلالة على القوات المرابطة في الخارج أصبح يعنى "الحامية". (٧) وتركز التجنيد والتدريب على الثكنات (= القشارقات) وحرفيًا 'الإصطبالات' في إشارة إلى المفيول اللازمة للعجلات المربية، وهو المصطلح الذي يشير إلى الأهمية التي حازها هذا السلاح المتحرك الجديد. وعندئذ كان الجيش يضع تحت إمرة المجند الشاب مرسالاً (= طلبة) كي يقوم على خدمته، ولكن هذا المجند قد يضطر إلى شراء عجلته الحربية الخاصة. وكان التدريب شاقًا، إن لم نقل وحشيًا: تُعالى! لسوف أخبرك بأحوال الجندى، أشد الناس تمزقًا؛ فهو يؤخذ في طفولته ويزج به داخل محبس" (؟) وهنا يتلقى ضربة عنيغة على صدره، ثم يتلقى ضربة صاعقة على عينه ثم ضربة قاصمة على حاجبه - ورأسه يفلقها جرح فتنفتح، ثم يمدد على الأرض كى يضرب كما تُضرب أوراق البردي. (^)

ويمجى، الأسرة التاسعة عشرة كانت مصر قد امتلكت جيشًا محترفًا جيد التعريب وظهر ضباطه الذين يمتلئون فخرًا في كل مكان، وتدرج قائمة ضرائب تحملها بردية ترجع إلى السنة الثالثة من حكم الفرعون "سيتى" الأول ضمن أصحاب البيوت في أحد أحياء العاصمة "منف"، ، المسئولين الكهنوتيين جنبًا إلى جنب مع المسئولين المعنويين والبحرة وكاتب الجيش، و "كولونيل" (= بكباشي - عقيد) وحملة الأعلام البحرية،

ونقيب مجموعة، وقائد عجلة حربية وقادة كتائب. (١) أما الجنود المحترفون فكانوا يمنحون، في الغالب، مزارع في الريف: تحيطنا علمًا بردية ويلبور Wilbour التي ترجع إلى أواخر عصور الرعامسة بالمزارع التي خصصت، في المديرية الثامنة عشرة بالوجه القبلي، للضباط ورؤساء الإمدادات والتموين، وقادة العجلات الحربية والمرتزقة والجنود العاديين. (١٠)

وكانت سكرتارية الجيش تحتل أهمية خطيرة فيما يتعلق بعمليتى التجنيد والتنظيم الهذه القوة المسكرية. فعلى رأس هذا القسم يقف تناظر كتبة الجيش"، الذى كان يشغل أيضًا منصب "كاتب المجندين" (أو الصفوة الشابة). وكان مسئولاً عن "تسجيل الجيش في حضرة جلالته، وعن اصطفاف وحشد الجيل الجديد من المجندين، وتمكين كل فرد من معرفة واجباته داخل نطاق الجيش بأسره. (١١) ويشرح أشهر من تولى هذا المنصب "أمين – حوتب" بن حابو (معاصر الفرعون "أمين – حوتب" الثالث) هذا الواجبات:

رفعت إلى سيدى قوائم المجندين الجدد، ولقد أحصى قلمى أعدادًا هائلة. وفرضت الضريبة على الأقسام الإدراية بتلك الأعداد المذكورة وفصلت الفرق العسكرية بفروعها... وجندت المجندين الجدد، وأطلقت الفرق العسكرية في طريق الزحف كي ينزلوا العقاب بالأجانب في عقر ديارهم، وفي نفس الوقت لا يرضعون أعينهم عن تحركات البوق (١٢)

وكانت قوائم المجندين وما يتعلق بها من وثائق تتضمنها هذه التقارير تُحفظ تحت يد رئيس الأرشيف للسجلات العسكرية في العاصمة، (١٢) وهناك أيضًا كان يقيم كاتب المشاة متقلدًا رتبة تعادل عندنا، على وجه التقريب، رتبة "الجنرال (=اللواء). (١٤) وفي الريف كان الكتبة العسكريون ملحقين، كل منهم بثكنة (= قشلاق) أو حصن أو هيئة معبد كي يضبط القوائم المحلية وفقًا للحصة المطلوبة ولكي يساعد في حشد الجنود. وعندما يصدر أمر الاستدعاء، كانت كل مجموعة يُعين لها كاتبها الفاص. (١٥)

كان الأنفار يحشدون، من أجل قوات التجاريد الضخمة العدد، التي تزحف إلى خارج الحدود في ظل الإمبراطورية، من كافة أرجاء مصر: من العزب والقرى وسائر وحدات الإنتاج. ويقول أحد المسئولين الذي أرسلوا إلى جزيرة 'إليفانتين' في تقرير له من هناك:

أقوم حاليًا بتجميع أفراد الجيش وقادة العجلات الحربية التابعين للمعبد (معبدهم)، وهيئة المعبد والفلاحين الذين يستأجرون أرضًا في دوائر المسئولين التابعين لحلالته. (17)

وكان كل معبد يؤخذ منه، في العادة، واحد من كل عشرة أفراد، ولم يكن الاستدعاء عملاً مرغوبًا من جانب الأهالي، (١٠) لأنه كان يأخذ شكل القسر والتسخير: استدعى العوزير ثلاثة صبية وقال: دربهم على أن يصيروا كهنة في المعبد... ولكن القبض ألقى عليهم ورُحلوا إلى الشمال كي يصيروا جنودًا (١٨) ويكتب يوزباشي (= نقيب) إلى ضباط حامية في الدلتا:

"كن مثابراً في القيام بواجبات منصبك، ولا تتهاون بشئن القائمة التي وضعتها بين يديك، أما بضصوص أي فرد على القائمة، فلا تحتفظ به معك، بل رحّل لنا كل الأفراد الذي حصلوا على التسريح من الخدمة (؟)(١٩) وعليك أن ترسل جنود الجيش الذين يتواجدون في المدن الخاضعة لزمامك... لا تستبق الجنود الذين ينتسبون إلى زمامك في الشمال! (٢٠)

كان الجيش يزحف ويقاتل على هيئة فرق محلية (٢١) وكان مقاتلو التجريدة يقسمون، في العادة، إلى فرق، كل منها تتالف، استنادًا إلى فقرة وردت في بردية ترجع إلى عصر الرعامسة، من خمسة الاف رجل على وجه التقريب. (٢٢) وكان قلب كل فرقة يضم رجالاً ينتمون إلى "عزبة" معبد معين أو إقليم خاص، وكانت كل فرقة تزحف تحت راية الإله المحلى. وبناء عليه قاد الفرعون "رعمسيس" الثاني في معركة "قادش" أربع فسرق، واحدة من شمال شرق الدلتا "سبت" وأخرى من رأس الدلتا و "أون" (= هليوبولس)"رع" وثالثة من زمام "منف" هي "بتاح" ورابعة من زمام "طيبة" هي "آمون" وربما توحي جملة بلاغية وردت في فقرة مهشمة ترجع إلى حوليات الفرعون "تحوت – موسى"

الثالث بأن أربع فرق اشتركت تحت رعابة إلهية أيضاً، في حملة "مجدو" (٢٢) وكانت هذه الفرق تقسم هي الأخرى إلى سرايا تتألف كل منها من مائتي رجل (مع أن هذا الرقم قابل التغير) تحت قيادة "حامل بيرق" أي كابتن (= يوزباشي، نقيب) وكانت هذه السرايا تقسم هي الأخرى إلى فصائل تتكون كل منها من خمسين رجلاً (٢٤١) وكانت السرايا تنفذ الاسم المناسب لوظيفتها ("قوية السلاح"، "السبع الجوال" و "قاهرة البلدان الأجنبية") أو تُسمى على اسم الفرعون الحاكم ("مين - خبرو - رع"، "رع" المكام) أو على اسم إله "قرص - الشمس بتلالا" أو "أمون" يحمى جيشه") وكان سلاح العجلات الحربية منظم على هيئة أسراب، يتكون كل سرب من خمسين مركبة تضم خمس وحدات تكتيكية تتألف كل منها من عشر مركبات (٢٥)

وينبغي ألاَّ يغيب عن الأذهان أن عددًا محدودًا من المواجهات التي مررنا بها في عرضنا في الفصل السابق، والتي رفعتها مصادرنا إلى انتصارات هائلة، كانت معارك ضارية. فالحملة لم تكن سوى نزهة مسلحة يخطط لها المصريون بشكل مسبق كي تتزامن مع الفترة المثلى للسفر في أسيا، وهو السفر الذي يهدف إلى تسلم "الجزية" والأسرى. ولم تكن المدن الواقعة على طريق الزحف تبدى أي مقاومة، إلا بين الحين والآخر، وعندما يحدث ذلك، فإن السجلات المصرية توضح، في الغالب، دهشة الفرعون وانزعاجه. وعندئذ يمكن أن يؤدى ذلك إلى حدوث مناوشة بين الطرفين تنتهى، في العادة، لمسالح المصريين. وإذا لم تنته نهاية من هذا القبيل، فإن الجرأة كانت تصل بالأسيويين حد إغلاق بواباتهم عليهم كي يلزموا "جانب الانتظار إلى ما لا نهاية". وكانت جيوش التحامسة معروفة بجهلها بفنون ضرب الحصار والهجوم على الحصون، وإذا أغلقت مدينة ما بواباتها في وجهها، كان "تحوت - موسى" الثالث أو أمين-حوتِت الثاني، في العادة، ينزل الدمار بالأراضي المحيطة ويمضي في طريقه، ومع ذلك ففي ظل حكم الفرعون "رعمسيس" الثاني كانت القوات المصرية قد اكتسبت الخبرة ودرجة معينة من المهارة الخاصة في هذا المجال. وتقوم على ذلك أدلة قوية من استخدام المصريين لمتاريس الصصار و السواتر "الصاجبة الرؤية، وسلالم الهجوم وأساليب تقويض أساسات المباني، مما نراه كله في الجداريات الغنية بالتفاصيل التي تسجل انتصارات الفراعنة الرعامسة.

ولما كان من المقبول أن الفراعنة كانوا يخرجون إلى الحرب في موسم معين من السنة، فلقد كان من السهل بصورة نسبية حشد قوة ضخمة تحسباً لهجوم الأعداء، مع محاولة فرض الحسم في ضربة واحدة. وإذا كانت مثل هذه المواجهات نادرة فمرجع ذلك ليس إلى اعتبارات التكاليف وحسب، بل أيضًا إلى مدى انخراط قوة العمل في دول العصر البرونزي المتغر في أنشطة أخرى بخلاف الحرب: الرى والزراعة ومشاريع بناء الصروح التي كانت آخذة في التزايد.

إلا أننا لا نعرف كثيرًا عن تكتيكات ميادين المعركة، نظرًا لأن النصوص نادرًا ما تصفها أو تصورها. حقًّا نرى (في الجداريات) الجنود الشاة يرحفون على هيئة صفوف منتظمة مع تروسهم القصيرة المصنوعة من الجلد الخام وقلنسواتهم المبطنة، ولكن أسلحتهم التي لا تزيد على الرماح الضفيفة (=المزاريق) والبلط والضناجر، إلى جانب افتقارهم إلى الدروع لا ترحى بأنهم عرفسوا الهجسوم عن طسريق الصنفوف المتراصة أو الكراديس (= الفلانكس) التي برع فيها قدماء الإغريق. إلا أن العجلات الحربية، وكل واحدة تضم سائقًا وجنديًا، كانت تتقدم في صفوف أيضًا، وتلمع ألنصوص إلى هجمات حاشدة. ويدل بناء تلك العجلات من الخيزران الخفيف على أن السرعة وليس التسليح كان ركنها الأساسى الذي تعتمد عليه. وربما يكون السلاح الأكثر فعالية في الجيش المصرى كله هو سالاح القواسين، الذي ينقسم إلى كتائب يتراوح عدد أفرادها من كتيبة لأخرى. وقد برهن القوس المركب الذي كان قد دخل في تسليحهم منذ وقت طويل على أنه أشد الأسلحة فتكًا. ولقد أثبتت التجارب الحديثة أن مداه الدقيق يتراوح بين خمسين وستين مترًا، ومداه المؤثر ١٧٥ مترًا، مع رمية استثنائية قد تصل بمداه أحيانًا إلى خمسمائة متر. (٢٦) ولقد حاولت كل الجيوش (المشرقية)، في وقت أو أخر شن هجمات ليلية، وكانت هذه الهجمات تحقق أحيانًا بعض النجاح نظرًا لأن تقارير مخابرات الجيش حتى في ضوء النهار كانت مثبطة للهمة. وها هو "جنرال" أرسلته أأبجاريت لحراسة المرات التي تقود إلى أمورو ضد تجريدة مصرية تكهنت بها الشائعات، يشكو في رسالة عثر عليها في راس شمرا (راس شمرا ٢٠-٣٣) وكان قد بعث بها حول وضعه الحرج: (۲۷) (Rs) إلى جلالة الملك سيدى، مكذا يتكلم شومى (ان) خادمك، أنبطح عند قدمى سيدى...

(٤) منذ "سيمانو" (= شهر بؤونة) وأنا

أرسل خطاباتي إلى سيدى: أنقذني!"

(١٥) مكثت في "أمورو" حتى الأن خمسة شهور،

وها أنا أقوم على حراستهم ليل نهار،

وعلى هذا النحق أحرسهم: عند ذهابهم وعند إيابهم.

أنا أحرس، نصف عجلاتي الحربية ترابط على شاطئ البحر،

ونصفها الآخر إزاء جبال لبنان،

(٢٠) أما أنا فأقيم في الوادي.

الأمطار تهطل... يأتي،

واكننا لا نهجر أماكننا.

(....) (Vs.)

(٤) وقد أحضروا.

(...) في زمام أرداناً: Ardata

(...) رجالي في عز الليل،

وشنوا هجومًا في وسطهم،

واكن رجالي قضوا عليهم قضاء مبرما

وردوهم على أعقابهم، وعتادهم و...

(٢٠) مم استولوا بالقوة، ولكنهم لم يأسروا سوى رجل واحد منهم

واستجوبته بشأن فرعون مصر وقال:

فرعونٌ مصر قد خرج،

وفي اليوم الأول لوصوله، عتاده سوف يبرز.

(١٥) وبناء عليه فليرسل الملك القوات والعجلات الحربية التي سوف تأتى ... حقًا

فرعون مصر سوف يصل على وجه السرعة،

وان يكون في طوعنا أن نحقق الغلبة.

ولكن إذا كان فرعون مصر قد خرج دون أن يصل، فلعل الأمر يتعلق بالقواسين وحسب،

(۲۰) التی خرجت.

وبالتالى دع الملك يرسل مزيدًا من القوات والعجلات الحربية حتى نستطيع الاشتباك معه

وتحقيق الغلبة عليه. والآن كان القواسون هم الذين خرجوا

(٢٥) فلا تتركني أهلك على أيديهم، وليعلم سيدي

أتهم خرجوا في تلك السنة.

وأنهم دأبوا على مهاجمتنا بصفة يومية!"

الأسرى الآسيويون في مصر:

سبق انا أن سمعنا أن الكتبة المصريين وسيدهم الملك كانوا يتأملون بسعادة ظاهرة أعداد الآسيويين الذين نقلوا إلى مصر نتيجة الغزوات التى قام بها المصريون البلاد الأجنبية. وكان هؤلاء الآسيويون يأتون إلى مصر بانتظام متزايد طوال الملكة الحديثة، وفي البداية كانوا يأتون كأسرى، ثم كفلاحين مقتلعين من جنورهم، ومنشقين أو ضحايا الصراع الداخلي في "كنعان" (اوحة رقم ٢٧) وكانوا يأتون عبر الطريق البرى في كنف الجيش، مقيدين بالحبال أو محملين بالغنائم، وكان هذا المشهد شائعًا إلى درجة تكفي لإعادة إنتاجه في قالب فكاهي على هذا النحو: "بعد إحراز النصر، قام جلالته له العمر والرخاء والعافية بتوزيع الغنائم قبل بدء رحلة العودة إلى مصر، واكن المرأة الآسيوية التي أرهقها السير على القدم كان الجنود يحملونها على أكتافهم (٢٠) وجاء هؤلاء الآسيويون أيضاً عبر الطريق البحرى على متن القوارب، حيث كان عمد كنعان "يشحنونهم، كعبيد امتثالاً لأوامر الفرعون. (٢٠) وكان بعضهم يباع كعبيد المصريين من جانب نويهم. (٢٠)

ومتى وصل الأسير إلى مصر كان يجد نفسه فى مجتمع متقدم بيروقراطى، يختلف بصورة ملحوظة عن المدينة الصغيرة الذى قدم منها فى كنعان بخشونتها وشظفها. ولم تكن هناك فرصة للهرب. ولم يكن هذا ما يرغب فيه، فعلى أقل تقدير كان يجد فى مصر طعامًا. وكان اسمه واسم عائلته والمطرح الذى ينتمى إليه تسجل جميعها فى مصلحة خاصة، وكان يوسم باسم الفرعون الذى أسر فى عهده أو الإله الذى سيخدمه. وعندئذ كان يوضع فى دائرة إحدى مؤسسات الدولة (معبد، مصلحة حكومية، بيت الفرعون أو ما أشبه) وتحت السلطة المباشرة لأحد المسئولين عن تلك المؤسسة. (٢٦) ويصور لنا خطاب يرجع تاريخه إلى الأسرة التاسعة عشرة، موجه إلى كاهن أحد معابد تحوت من أحد كتبته الكيفية التى كان هذا النظام يعمل خلالها. (٢٢):

* قدمت بعدل تصرياتي عن السوري الموهوب لبيت تحوي فيدما كتبت إلى بخصوصه. وتوصلت إلى ما يلي: بصفته واحدًا من عبيد الشحنة التي أحضرها قائد

الحصن، عُين مزارعًا في بيت تحوت تحت إمرتك، في سنة الحكم الثالثة الشهر الثاني من فصل الشاشة الشهر الثاني من فصل الشهوه (=الصيف) اليوم العاشر. ولمعلوماتك اسمه هو تقسادي ابن سارو- ر- ش وأمه قدى من بلاد أرفاد، وهو عبد من الشحنة التي حملتها مركب الكابن (= النقيب) كا - نر إلى هذا البيت.

ومع ذلك كان النظام يسمح أحيانًا بنشوء مشاحنات داخلية:

"قال حارسه: كان كبير الرسل في الجيش" خا - إم - أوب"، الخاص بحامية الفرعون، الذي تسلمه كي يحرسه (؟) وعندئذ توجهت إلى كبير رسل الجيش، "خا-إم - أوب"، الخاص بحامية الفرعون، ونفى ذلك. وقال لي بشكل واضح (؟) إن الوزير "ميري - سيخمت" هو الذي تسلمه كي يحرسه لنفسه (؟)، وبالتالي ذهبت إلى الوزير "ميري - سيخمت" ونفي هو والكتبة التابعون له ذلك، وقالوا لي: نحن لم نره! واليوم بحثت عن رئيس ... وقلت له: سلم المزارع السوري الخاص بـ "بيت تحوت" الذي سبق لك أن تسلمته كي أعيده إلى كاهنه، ولسوف أرفع شكوى ضده أمام المحكمة الكبري."

 يتحدث عن معبده الجنائزى بصفته: غاصاً بالعبيد والجوارى وأبناء رؤساء كافة البلاد الأجنبية الذى يخضعون كأسرى لجلالته ...بأعداد غير معروفة (فى الحقيقة) وكان مطوقًا بمستوطنات السوريين. (۲۷) والخطاب الذى اقتبسنا منه فقرة فى وقت سابق (۸۱) يعطينا تفاصيل إضافية حول الحصة السنوية التى تتوقع الإدارة أن تجنيها من الأيدى العاملة، سيئة الحظ، فى الحقول:

بالإضافة إلى ذلك، لا تقلق بشان تقدير القمع، فلقد قمت بتحرياتى ووجدت ثلاثة رجال وصبى، إجماليهم أربعة أنفار يوردون سبعمائة جوالاً. وعندئذ تحدثت مع رؤساء أمناء التسجيل فى مخزن الغلال وقلت لهم: خنوا مزارعى الإله الثلاثة للعمل سخرة هذه السنة وهم قالوا لى: طيب. سوف نفعل ذلك. لقد تفهمنا ما تقول: وهذا ما قالوه لى. و (بناء عليه الآن) فإننى أنتظر منهم أن يبعثوا بالكتبة الطوافين إلى الريف، وعندئذ سوف تعلمون كل ما سوف أعمله من أجلكم. لأن كل نفر ينتج مائتى خار: khar - وهذا هو المعدل الذى حدوه لى، وبالتالى يحق لكم أن تستنتجوا أن رجلين وصبى سوف يوردون خمسمائة. ولكن بخصوص المزارع السورى الذى سلمته لكم، فلسوف ينتج لكم فى شهور الصيف، وضريبته سوف يجرى تحصيلها اصالحكم ما دام حيًا."

تطرح الوثائق التى تتعلق بالضرائب بين الحين والآخر أسماء سامية غربية لهؤلاء المستنجرين المرتبطين بالأرض والمجبرين على الإنتاج طوال حياتهم. (٢٩)

ولكن معاناة العمل الزراعي لم تكن المصير الذي ينتظر الجميع، إذ كان هناك برنامج تدريبي خاص في انتظار أبناء الرؤساء الكنعانيين الذين يرسلهم ذووهم إلى مصر كرهائن، وكان القصر يقوم بالإشراف على هذا البرنامج بشكل مباشر. فكان المصريون يلحقون أبناء الرؤساء الكنعانيين أولئك، في الغالب، بإحدى فرق الجيش بهدف تدريبهم، ولقد قابلنا بعضهم يعملون حراسًا للقصر (لوحة رقم ٢٨) أو عدائين يجرون أمام عجلة الفرعون الحربية، (١٠) وكان البيت الملكي يجند "العبيد الكنعانيين الذين يأتون من "خارو"، والشبان الذين يتميّزون بالنصافة والجنوبيين القادمين من "كوش" الذين يتمتعون بالرشاقة ويستطيعون تحمل حرارة الشمس بصنادلهم البيضاء اللون وجلابيبهم الفضفاضة" وكان المصريون يلحقون بعضهم التدرب في أدنى

درجات الكهنوت، ولكن قليلين كانوا يتمكنون في بعض الأحيان من الترقى إلى مراتب كهنوتية عالية. (٢٠) ويعجى، عصر 'أخيتاتون' (= العمارنة) كان الآسيويون قد شرعوا يظهرون كخدم في المنازل وحتى كأمناء في الحاشية المقربة الفرعون. (٢٠) ومع أواخر عصور الرعامسة كان "رئيس الخدم" الكنعاني شخصية حاضرة باستمرار في قوائم مسئولي القصر الملكي. (٤٤) وقد نجح بعضهم، ربعا بسبب قربهم من الفرعون في مد نفوذهم، مثل "بن – أوذين" الفنذ الذي يرجع إلى أصول كنعانية من منطقة "باشان" Bashan الذي أصبح رئيس مصلحة الأغذية والأشربة، وكبير الرسل الملكيين، تحت ظل الفرعون "رعمسيس" الثاني. (٥٤) وكان أن شهدت خواتيم الأسرة التاسعة عشرة الوصول إلى نقطة عالية في هذا المضمار، عندما نجح أحد الوجهاء الكنعانيين واسمه "بي" في رفع منزلته إلى منصب مستشار وقعليًا "صانع ملوك". ومع أن أعداءه حاولوا الحط من شائه ومن ذكراه في وقت لاحق، إلا أنه كان خلال حياته بمثابة القوة الحقيقية وراء العرش، بل ووصل الأمر به حد التراسل شخصيًا مع الدول الأجنبية. (٢١)

وكان المصريون يشيرون أيضًا بوظائف متخصصة أو "مهنية" إلى الكنعانيين الشبان الذين يتمتعون بالنجابة، ولطالما رحب المصريون بأى نوع من المهارة في أي حرفة (لوحة رقم ٢٩) إذ نقابل الكنعانيين وهم يعملون في المصوغات الذهبية وطرق النحاس الأحمر، وبناء السفن، ولقد ارتفع أحدهم إلى منصب المشرف العام على كافة أعمال البناء التي يشير بها الفرعون. (٢٩) كما تولى كنعاني شاب يدعى "باس – بعل"، كان قد وقع في الأسر، خلال حكم الفرعون "تحوت – موسى" الثالث، على سبيل الاحتمال، منصب كبير الرسامين الهندسيين في معبد "أمون" واستمر أحفاده يحتفظون بهذا المنصب لستة أجيال تالية. (٨٤) وكان الكتبة الذين يرجعون إلى أصول سورية يظهرون هنا وهناك، وخصوصاً في أعمال الخزانة. (٤١) وكبير الأطباء "بن – عنات معروف على نطاق واسع، حيث تخرج من مدرسة "بيت الحياة" ذات الصيت العالي. (٠٠)

ولقد حافظ المسريون على وحدة مجاميع الأسرى الأجانب، التى كانت تحوز إعجابهم لقدرة خاصة معينة، تتمتع بها هذه المجموعة أو تلك، وأسكنوا أبناءها في منشأت خاصة. وإلى هذا التصنيف انضمت الوحدات العسكرية. وقد أقام الفرعون

"تصوت ـ موسى" الرابع منشأة من هذا النوع للأسرى القادمين من مدينة "جزر" بالقرب من معبده الجنائزى. (١٥) ونسمع عن حقول "الحيثيين" في زمام العاصمة القديمة "منف" تحت حكم الفرعون آئى (٢٥) ويتسامل المرء عما إذا كانت لهذه المستوطنة صلة من أي نوع بشعب كوروشتاما" Kurushtama . وسار الرعامسة على نفس النهج، بزرعهم جيوبًا للأجانب سواء في مصر الوسطى أو الدلتا. (٢٥) وكان الفرعون "رعمسيس" الثاني واحدًا من أوائل الفراعنة الذي جربوا المواجهة مع "شعوب البحر"، وهم عبارة عن مجموعة تشبه "الفايكنج" لالفراعنة الذين دأبوا على نهب وسلب ساحل الدلتا. ولقد بلغ به الإعجاب بالقدرات القتائية والعتاد الحربي لإحدى قبائلهم: "الشردانا" Shardana حد خرطه لهم في خدمته كصفوة حراسه الشخصيين الخصوصيين، وقام بتوطين بعضهم في معسكراتهم، وهذا نهج كان الفرعون "رعمسيس" الثالث ليسير عليه. ونصادف الآسيويين أحيانًا في مواقع التشييد أو بناء "رعمسيس" الثالث العسير عليه. ونصادف الآسيويين أحيانًا في مواقع التشييد أو بناء "الشون" (= مخازن الغلال) كعمالة غير ماهرة، ولكن ذلك كان يحدث، في الغالب، في ويبدر أن أمر تواجد هؤلاء الأسيويين المنين كان يشكل جزءًا من وظيفتهم شبه العسكرية. (١٥)

التاجر والبدوي:

اتسعت ممتلكات مصر في آسيا، وكذلك اتسعت تجارتها. وكان في وسع المعابد المصرية أن تتاجر مع الخارج، وأن تمتلك كلاً من الأساطيل التجارية والمحال التجارية. (٥٠) وكان من حق كبار المسئولين أيضًا أن ينخرطوا في الأعمال التجارية مع أسيا بصفتهم الشخصية، (٢٠) وكانت إحدى علامات رضى الإله على المرء أن يمتلك الصحة والثروة وبيتًا يعج بالخدم، وغليونًا يعود خلال الأمواج إلى أرض الوطن قادمًا من أسيا. وفي زمن السلم، وبوجه خاص عقب المعاهدة المصرية - الحيثية ازدهرت الأعمال التجارية في الساحل المشرقي صعودًا وهبوطًا، وأدت التجارة إلى تبادل العمال والتجارية في المصريون الأماكن

البعيدة التي ظلت حتى ذلك الوقت، لا تظهر إلا ضمن قوائم الأعداء، بل وقدروا لها أفضل منتجاتها: كيزو - وادنا لبيرتها (= جعتها)، ((٥٠) و أمورو لنبيذها، (٥٠) و تاخسى و "نهارين لنيوتهما، ((٥٠) وفلسطين لعنبها وتينها، ((١٠) و عشقلون لشغولاتها الفضية. ((١١)

وفى أعقاب الأسرى حضر التجار الكنعانيون ويمجى، حكم الفرعون آمين – حوتب الثالث كان ذلك الشخص الآسيوى الغريب الأطوار من المشاهد المالوفة على ضفاف نهر النيل. ولقد نظم ملوك "أوجاريت" و "صور" الفينيقيون قوافل تجارية إلى مصر، كان الزيت والنبيذ والنحاس الأحمر بين أهم عناصرها، (١٢) وما يبدو انا في المناظر المرسومة في الجداريات "جزية" يقدمها السوريون لمصر، قد لا تزيد، في الغالب، وفي واقع الأمر، على مكافأت "صريحة"، اللفرعون ووزرائه كي يسمحوا بتدفق التجارة. (١٢) ونسمع عن مراكب "أرفاد" التجارية ووكلاء "قبرص" التجاريين. (١٤)

غدت ضاحية "منف" الشمالية بمثابة مأوى يفضله التجار الكنعانيون، الذي شكلوا منذ وقت مبكر جالية هناك، تتمركز حول معبدهم المنذور لإلههم "بعلل" ، بيت "بعلل" الـ "منفى"، (١٥) والذي ظل على قيد البقاء لألف سنة لاحقة عندما زار الرحالة والمؤرخ اليوناني "هيرودوت" مصرم على هيئة "معسكر الصوريين" (حابناء 'صور')(١٦١) والحقيقة أن "منف" كانت تبس كبيرة في مظنون تاجر أجنبي يريد أن يروج التجارته في مصر. وكان يعرفها باسم عا - كو - بتاح "بيت روح بتاح"، وهو مصطلح يعنى المنطقة المتاخمة لـ "بتاح" الإله الرئيسي للمطرح،(١٧) وبينما كان الكنعانيون يحتفظون بالفعل باسم لمصر، أقصد مصرايم، أخذ اسم حا - كو - بتاح يدل بالتدريج على القطر بأكمله. وكانت اللهجات الكنعانية مألوفة، بالضرورة، لآذأن المصريين في الأسواق، وسرعان ما أصبح التعبير: "يتاجر بالسورى" لا يعنى أكثر من "يفاصل" في الأسعار. (١٨) وإلى جانب رجل الأعمال الكنعاني الذي يبحث عن المتاجرة، استضافت مصر أيضًا خلال العصير الإمبراطوري طبقة من الأسيويين الفتهم لمدة أطول كثيرًا من التجار. وهؤلاء كانوا "البدو" الذين اعتادوا على الترحال إلى شرق الدلتا عبر سيناء، وعلى غرار ما كان يجرى خلال الأيام الخوالي لم "ميرى - كا - رع"، أي قبل هذا العهد بستمائة سنة، كانت زمر صغيرة من البدو الرحل لا تزال تهاجر بصفة موسمية غربًا، عندما يضرب الجفاف أبارهم وعيون مياههم، في مسعاهم لدخول الدلتا. وتجد هذه الهجرة الدورية تصويرًا أصليًا لها في الرسالة النموذجية التي تُسب إلى كاتب حصن حدودي يقع في أوادي طوميلات في السنة الثامنة من حكم الفرعون أميري - أن - بتاح على وجه الاحتمال:(١٩)

يبدأ الكاتب إيننا Einna فيحيى سيده، كاتب الغزانة "كا – ب" هذه رسالة سريعة لمعلومية سيدى... أي: انتهينا من التصريح لقبائل "الشاسو" القادمة من "إيدوم" بالدخول عبر حصن "ميرى – ان – بتاح" إلى عيون الماء في (بيت "أترم)" بتاع "ميرى – ان – بتاح" الذي يقع في "تيككو"، للحصول على قوتهم هم وقطعانهم، بجوار "روح" الفرعون له العمر والرخاء والعافية، الشمس الطيبة التي تسطع على كل البلاد! في السنة الثامنة، أيام النسىء (مولد "ست")(٧٠) كنت قد أرسلت وثيقة من عدة أعمدة إلى المطرح الذي يقيم فيه سيدى في الأيام المحددة التي سيمر خلالها القوم بالحصن."

وقد أثار البدو الذي دخلوا الدلتا مشاعر مختلطة بين المصريين، فاحتقر الكبار هؤلاء الرحالة بعنزهم، وكانوا يرون في البدو أناسًا أقذارًا مشعثي الشعر في عرباتهم 'الكارو'، لا يهتمون بالأساليب المتحضرة للحياة الإنسانية. ولكن الشبان الصغار السن رأوا فيهم تجسيدًا لمثال حياة التحرر من السلطة، وهو مثال كان يفتن القلوب وقت ذاك مثلما كان يستولى دومًا احتمال الهرب إلى الفجر على قلوب الأطفال في القرن التاسع عشر. ويويخ أحد الآباء ابنه المتمرد في نص يرجع إلى عصر الرعامسة: (١٧١) لبيت كافة احتياجاتك في كافة المناحى، وهو ما لا يستطيع أخرون سوى أن يأملوا في الوصول اليه، ولم أدعك تقول: ليتني أحصل على ... أثناء الليل، عندما كنت راقدًا على ظهرك ترفس وبتقلب، ومع ذلك فلقد خرجت الآن كعصفورة (= سنونوة) تحمل أفراخها، (٢٧) حتى وصلت إلى الدلتا بعد طواف طويل، واختلطت بالأسيويين، وأكلت خبرًا مغموسًا بدمك! (٢٧٠) لقد فقدت رشدك! وكان المجتمع البدوى يأوى عناصر المجرمين والخارجين على الأعراف، أما الأهالي المحترمون فلا يتآخون معهم: "وعصابة اللصوص تسللت على الأعراف، أما الأهالي المحترمون فلا يتآخون معهم: "وعصابة اللصوص تسللت الى المسكر حيث حلوا الخيول من قيودها ... أثناء الليل، وسرقوا ثيابك. ولقد أيقظوا حياة الشر: فهو يخالط قبائل الشاسو" وارتدى سمت الأسيويين. والآن لقد نذر نفسه كلية لحياة الشر: فهو يخالط قبائل الشاسو" وارتدى سمت الأسيويين. (١٤)

العلاقات العرقية في مصر الإمبراطورية:

ظل معظم الآسيويين، في البداية، وحتى بعد مرور وقت ما، متميزين عن المصريين في مصر. فسواء حضر الآسيويون إلى مصر كأسرى أو عبيد أو سمح لهم المصريون بالدخول كتجار أو عمال، كانوا يحملون أسماء هم الأصلية، التي يصعب تسكينها في الكتابة المصرية، ولكنها تقدم لنا الآن مصدراً خلاباً لمعلومات حول اللغة وأخرى بشأن الأسماء - الأعلام، وخصوصاً للمتخصصين في اللغة العبرية ولغات غرب أسيا بشكل عام. (٥٧) وأحياتًا، وإن لم يكن بأي حال من الأحوال دائمًا، كان الأسيوى المهاجر حديثًا يشعر أنه من الأنفع له أن يحمل اسمًا مصريًا، يتذيل به اسمه الأجنبي، على هذا النحو: "فلان الذي يسمى أيضاً ..." وكان ذلك شائعًا بصفة خاصة بين الطبقات الأعلى من المهاجرين الذي عينوا في وظائف عالية مثل داخليات القصر الملكي أو الجيش. وكان هؤلاء يتبنون اسمًا مركبًا على اسم الملك الذي رقاهم، وهكذا وجدنا عندنا: رعمسيس - إم - بر - رع (= رعمسيس في قصر رع) و "رعمسيس - إم - أون" (= رعمسيس في أون) و "وسر - ما - رع - رعمسيس" (عسيس" (عسر - ما - رع - رعمسيس" (اسخ)، أي "رعمسيس" الثاني قدوى البنيان) و "رعمسيس - مين" (= "رعمسيس" راسخ)، وما أشيه. (٢٧)

وعلى المستوى "الرسمى" حملت الدعايات في النقوش على الأسيويين وسخرت منهم ومن ثقافتهم بطريقة نستطيع التنبؤ بها. فالأعداء الأسيويون "ضعاف" (أو مخنثون " بلغتنا المعاصرة) و "متهالكون وموضع مقت رع"، ولا مصير لهم سوى أن يصيروا "أقنانًا لجلالته" ويصف تعبير مقولب شائع، يلعب على عزلة مصر، الرؤساء الأجانب بأنهم كانوا يجهلون في الماضي مصر، ولكنهم الآن أصبحوا مضطرين إلى تسول "نفس الحياة" في أراضيها. ولقد انبثقت مثل هذه الأفكار المقولبة من نزعة عرقية قومية متطرفة، وهو الأمر الذي يبرهن عليه خطاب من القرعون "أمين - حوتب" الثاني ألى نائبه (= مندوبه السامي) في النوية، وهو خطاب يكشف عن تلقائية مفعمة بالحيوية. (١٧) والخطاب أملاه الفرعون وأرسله (ثم نقشه المندوب السامي بفخار في بالحيوية على صادود/لوح) بمناسبة العيد الشائث والعشرين لجلوس جبلالته في "طيبة" وعرش، عندما كان جلالته، وكما يقرر الخطاب جالسًا في جناح الحريم في "طيبة"

يشرب النبيذ. وكان الفرعون يشعر بالفضر لأنه ينعم بالعيش 'دون معارض في أي صنقع من الأصقاع' ويمضى كي يصف نفسه بأنه "مدمر 'نهارين"، ومن أنزل الخراب بخاتي"، ومنتهك عرض المرأة البابلية وعذراء "بيبلوس" وصبية "آلالاخ" وعجوز "أرابخا"! Arrapkha أما التاخسيانيون فهم أصفار على الشمال، ترى لأي شيء يصلحون؟"

لم يضفف المصريون ، بالمرة، من غلواء احتقارهم لكل ما هو أسيوى، إلا أنهم وقفوا من مسألة الزواج المختلط موقفًا ينم عن التسامح، فليس من المستغرب أن نعثر على اسم كنعانى أو حورى فى شجرة عائلة مصرية خلال عصر الملكة الحديثة، ولم يرفض المصريون لقب السورى (بالمصرى: باخورو)، بأى حال من الأحوال، كاسم تدليل حتى المصريين أنفسهم. وتصف وثيقة قانونية خلابة ترجع إلى الأسرة الثامنة عشرة قبول انضمام أحد الأجانب إلى أهل بيت مصرى، هكذا يتحدث أسى باستيت ، الحلاق الخاص الفرعون تحوت – موسى الثالث (٢٨)؛ أمتلك عبدًا وهب لى يدعى: "لووى – أمون". وكنت قد أسرته بنفسى خلال سيرى على أثر الحاكم (فى إحدى الحمادت)... ولم يكن ليضربه أحد أو يصرفه بعيدًا عن أى باب من أبواب القصر ولسوف ترث من تركتي نصيبًا يوازى تمامًا ما سترثه زوجتى وشقيقتى "نبيتو" والسوف ترث من تركتي نصيبًا يوازى تمامًا ما سترثه زوجتى وشقيقتى."

أنتجت التجربة الجديدة التي مرت بالمصريين، وتمثلت في حيازة إمبراطورية مترامية الأطراف روحًا عالمية، بالتعارض، مع النعرة القومية التقليدية، وهي روح انطبعت بشكل مرهف في الفكر الديني للعبادات التي عرفتها مصر على زمن الإمبراطورية. فلقد قاد "آمون - رع" الطيبي ملك الآلهة" ورئيس المجمع الإلهي (=البانثيون) المصري الحروب التي أدت إلى قيام الإمبراطورية، وها هو يرتفع الأن إلى وضع الإله المتعالى المعالى (= رب العالمين). ولما كان بصفة أساسية إلهًا كونيًا، كرب شمسي، فلقد خلق كل البشر وميًز بين الأجناس. وكان المترنم يترنم في مطلع الأسرة الثامنة عشرة: "التحيات الله يا "آمون - رع" سيد الحق، والد الآلهة يا من خلقت الإنسان والحيوان، سيد كل شيء، ويارئ شجرة الحياة، يا من خلقت العشب كي الإنسان والحيوان، سيد كل شيء، ويارئ شجرة الحياة، يا من خلقت العشب كي الوانهم. وله الأنعام... يا "أتوم" الذي فطرت الناس وفرقت بين طبائعهم، وميًّ زت بين ألوانهم. (٢٠)

ولما كان إلها شمسياً فلقد كان "سيدًا أعظم لكل ما خلق، (١٨٠) و هو الذي خلق كل فرد من البشر وقدر لهم قوتهم... وهو الذي خلقهم دون عد أو حصر. (١٨١) وكان هذا الحس العالمي هو الذي أشعر 'أخناتون' أنه وريثه، وطوره في سياق وحدانيته: 'أنت الذي خلقت الأرض وفق مشيئتك في الوقت الذي كنت فيه متعاليًا، وكل الناس والأنعام والوحوش الضواري، وكل ما يدب على قدمين على أديم الأرض، وكل ما يخفق بجناحيه في الجو، والبلاد الأجنبية، بلاد 'خارو' وبلاد 'كوش' وأرض مصر، ووضعت كل شخص في مكانه الصحيح، وأنت الذي وفرت لهم ما يحتاجون إليه، وزودت كلاً منهم بطعامه وقدرت أعمارهم وجعلت ألسنتهم مختلفة الواحد عن الآخر، عند الكلام، وعلى نفس المنوال ميزت بين طبائعهم وألوان بشرتهم. (٢٨)

الآلهة النازحة:

خلعت مصر في ذلك الوقت عزلتها ووجدت نفسها وقد أصبحت، بالضرورة، كونية (كوزمويوليتانية cosmopololitan) وهبت الآن الرياح الأربع للإمبراطورية المصرية خلال "الأرضين". ولم يتضبع ذلك أكثر مما اتضبع في المجمع الإلهي (= البانثيون)، حيث بدأت الأرباب الأسيوية تظهر فيه منذ غداة الغزوات التي قام بها الفرعون "تحوت - موسى" الأول.

ظهرت الآلهة الأجنبية أول الأمر تحت رعاية فرعونية. ولقد تفاخرت الملكة متشبسوت بارتداء تعاويذ (= رقارى) آلهة غير مصرية (آلهة ليبيا أو بونت على وجه الاحتمال) (٢٨) ولقد كشف الفرعون آمين - حوتب الثانى بافتخار عن أن كلاً من عشتارت و رشف يحميان فريق عجلته الحربية. (١٨) وفي حالة ذائعة الصيت رجا الفرعون آمين - حوتب الثالث صهره "توشراتا"، ملك "ميتانى" أن يبعث إليه تمثال عشتار الذي تُعبد عليه في نينوى ، على أمل أن تخفف آلام مرض ما غير محدد، كان جلالته يعانى منه. (١٨) ولكن جلالة الفرعون لم يكن متنازلاً عن أي شيء المجتمع الأجنبي الذي غزاه أو فتحه المصريون، ف قاهر العالم vaincueur du monde لم يكن، بأي حال من الأحوال ليُقهر على أيدى آلهة رعاياه. وعوضاً عن ذلك فالمنطق يقضى بأن

ألهة المغلوبين كانت لتعترف الآن بمن برهن على أنه ناجح و "صادق" أمام ضحاياه، وهم يمدون الآن إليه خدماتهم ورعايتهم.

ويمجرد أن فتحت مصر، مع ذلك، أبوابها وقبلت بوجود جالية نازحة عن الغرباء على ضفاف النيل، كانت قد قبلت أيضًا الهنهم(٨٦). ولقد وجد الرب - البطل الكنعاني 'بعل' (=السيد) مقامًا له مع وليفته 'عشتارت' بين التجار الكنعانيين في شمال منف ((٨٧) وكان "بعل" هذا قد حج في وقت سابق إلى نهر النيل كجزء من أمتعة العبادات الخاصة بالهكسوس، إلا أن مجيئه الثاني خلال الأسرة الثامنة عشرة كان منبت الصلة بزيارته الأولى. فالآن كان إله الغزاة بنفس القدر الذي كان به إله المقهورين. ولقد كشف جهارًا نهارًا هو ووليفته "عشتارت" عن سمات حروبية، لاقت قبولاً من العسكريين المصريين، وهي السمات التي تقف وراء استيعابهما بشكل سريع في المجمع الإلهي (= البانثيون) المصرى. و"عنات" هي الأخرى، والإله - المحارب "رشف" لقيا الافتتان من جانب المسريين، وقد أقيم لـ "رشف" معبد في مكان ما بالدلتا.^(٨٨) وهناك إله يملك قوة مماثلة هو "حورون" Horon (الذي نجد اسمه متضمنًا في الاسم التوراتي"بيت - حورون") يظهر في زمام الجيزة. والكنعانيون الذين كانوا يحدقون ببلامة في "أبوالهول" العظيم كانوا يعتقدون أنه تمثال هذا الإله. (^{٨١)} وفي مكان أخر كانت الإلهة الشهوانية قادشة أي المقدسة (١٠) تظهر كامرأة جميلة عارية تمامًا، وقد حملت إشارة تماثل تلك التي كانت تتمتع بها الإلهة "حتحور"، إلهة الحب عند المبريين.

لم يلجأ المصريون إلا أحيانًا نادرة إلى استخدام قاموس التفسير المصرى للصرى المسرى (كان ست مع interpretatio Aegyptiaca لترجمة أى إله كنعاني إلى نظيره المصرى (كان ست مع ذلك يمثل في بعض الأحيان إلها – بطلاً كنعانياً) ولكن الآلهة الآسيوية كانت تتمتع في شطرها الأعظم بشخصيات قوية وأصبحت الآن تملك دائرة من الأتباع المقيمين تكفى لدخولها المجمع الإلهى المصرى بأسمائها وصفاتها الآسيوية. ولقد ظهر اسم بعل مكتوبًا بالقلم الهيروغليفي، وهو الذي اشتق منه، خلال العصور البطلمية فعلاً خاصاً في اللغة المصرية يعنى شن الحرب (١٠) كما استمارت كل من عنات وعشتارت على قيد البقاء في القوائم الرسمية للآلهة المصرية في قلب العصور الرومانية.(١٢)

وحازتا من الصيت حداً جعلهما تستخدمان كعنصرين إلهيين تركب عليهما أسماء مصرية خالصة. (۱۲) وتمتعت بعض هذه الآلهة الأجنبية بتبن عائلي لها داخل بيوتات الآلهة القومية. ولقد نسب المصريون كلاً من عنات و عشتارت بالبنوة إلى الإله الشمس أى صارتا بنتين من بناته (۱۵) أما "رشف" و قادشة فلقد لقيتا القبول في ثالوت خاص مع إله الخصوية المصرى: "مين (۱۵)

الأدب:

كان الأدب المصرى المكلاسيكى لا يزال يعظى بالإعجاب ويُقبل الكتبة وتلاميذهم على نسخه في عصور المملكة الحديثة، ذلك الأدب الذي يرجع إلى أيام الازدهار في المملكة الوسيطة. وكان ذلك الأدب نابعًا إلى حد كبير من إلهام قومي، ويدين بتأثير محدود، إن لم نقل، لا يدين بأى تأثير، من أى نوع، لأى عنصر يكون قادمًا من الخارج. وفي هذا الأدب نلمس روح مصرى واثق من نفسه، إن لم نقل سليم النية، متيمًا حتى أذنيه بوطنه، ويستبد به الحنين إليه، إذا خرج منه، ومفعمًا بالاحتقار للأجانب.

ولكن الأدب والفولكلور اللذين ظهرا خلال العصور الإمبراطورية كانا مختلفين إلى حد كبير. وشملت "التيمات"، على نحو نستطيع أن نتفهمه، مأثر أولئك الذي بنوا الإمبراطورية، وبلغ الأمر حدًا قد يحق لنا أن نسميه بـ "حكايات طويلة مليئة بالتفاصيل التافهة Shaggy-dog stories . إذ تحكى، مثلاً، عن الملك الهكسوسي "أبوفيس" وكيف اختلق مشاجرة مع "سقن – ان – رع" في "طيبة" إذ شكا من أن خوار فرس النهر (= سيد قشطة) في "طيبة" يزعجه حتى يبقيه متيقظًا في "أباريس" (=أواريس") على بعد مئات الأميال. (١٩) كما تحكى عن الفرعون "تحوت – موسى" في أسيا، (١٩) وعن جنراله "تحوتي" الذي استخدم حيلة "على بابا" بإخفاء رجاله في زكائب تحملها الحمير كي يستولي على "يافا" هم الهول حكايات أخرى، لم تصل إلى أيدينا إلا من خلال روايات متأخرة أن تفسر لنا، فيما يبدو، الفشل الذريع الذي حاق بـ "أخيتاتون" باللجوء إلى اختلاق الأسباب وراء ذلك، (١٩) وتصف حكايات أخرى كيف تزوج الفرعون "رعمسيس" ابنة ملك الحبثين. (١٠٠٠)

بجانب هذه الأساطير المستقاة من التاريخ، أنتجت مصر الملكة الحديثة نصيبها من القصص الخيالية الخالصة، وهي القصص التي يبدو فيها التأثير الأجنبي واضحاً. فلم يعد البطل منا يعاف السفر خارج البلاد، أو يكشف عن حنين جارف للوطن، ولكنه أصبيح يختار البقاء في أسبا ويتزوج من العشائر المطية هناك. وتكشف بعض القصص عن تأثير كنعاني أو حوري (نسبة إلى الحوريين) قوى إلى الحد الذي قد نفترض معه على وجه التقريب، وجود أصل أجنبي، غير مصرى وراء العمل. وهناك قصة الأمير الذي حكم عليه القدر، خلال نبوءة 'الهاتورات (= الحتحورات) السبعة ^(١٠٠) مانه سوف يقضي نحيه متأثرًا بعضة كلب أو تعبان أو تمساح، فما كان منه إلا أن خرج يجرب حظه في أسيا. (١٠٢) وعند قصر ملك "نهارين" (ميتاني) اشترك وفاز في مسابقة دارت بين عدد من الأمراء الأخرين طلبًا ليد ابنة ملك "نهارين" التي كانت محتجزة في برج عال ِذي شباك واحد.(١٠٣) وفي وقت لاحق نجا الأمير بمساعدة زوجته الجديدة من تعيان واكن تمساحًا أمسك به بينما كان يسير بجوار نبع ماء، وعند هذه النقطة تنقطع البردية مع الأسف، وهو الأمر الذي يحول دون اكتشافنا ما إذا كانت القصة قد هدفت إلى تبيان حتمية القدر أم انتصار الفرد، ولكن الأمر ليس مقصورًا على مكان وقوع الأحداث في بالد الرافدين (= مينويوتاميا = نهارين). فهناك أيضًا مثل تلك "الموتيفات" مثل الفتاة المحتجزة في برج عال وتطل من الشباك، والبطل الذي يتبعه كلبه أو كلابه إلى عين الماء، تلك "الموتيفات" التي تعيد إلى الأذهان "تيمات" كنعانية معروفة. وفي القصة الخيالية المعروفة باسم: "الشقيقان" يجد البطل الأول نفسه عند نقطة معينة في "وادى الأرز" في لبنان كي يعيش كطفل إلهي وسيم ينسدل شعره الذي تفوح منه رائحة زكية على كتفيه، وهو الطفل الذي شبق به الوحش المعروف باسم "يم" (البحر). وليس من الصعب هنا أن نتعرف على "موتيف" وحش البحر الشهواني والإلهة.(١٠٠)

كما نقل المصريون عددًا من الأساطير الآسيوية، فيما يبدر، إلى اللغة المصرية مع إدخال تعديلات لا تذكر عليها، ولقد ظهرت القصة المذكورة قبل قليل: "يم والإلهة" التى نعرفها تمام المعرفة من مدن "أوجاريت" و "فينيقيا" في ساحل المشرق، على بردية رائعة، رغم حالة التمزق التي عليها، وتحتفظ بها حاليًا مكتبة "جيه، بي، مورجان "مالية وكنهم لم يعترفوا بسيادته للله في الألهة، ولكنهم لم يعترفوا بسيادته

عليهم إلا مكرهين. وعندما توقفوا عن دفع الجزية في نهاية الأمر، على سبيل التحدى، أرسلت "عشتارت" لتخفيف حدة الغضب المنتظر من الوحش، ولكن "يم" يريد الجزية بل ويريد أيضًا "عشتارت". حقًا لا تسمح المزق التي تبقت من البردية بترجمة مترابطة، ولكن يبدو أن "ست" (= بعل) يناصر قضية الآلهة في نهاية المطاف وتنزل الهزيمة بريم". وبتتاول برديات أخرى الحياة الجنسية لـ "عنات" وعشيقها الشهواني وهو إله من نوع "بعل". وهنا نجد "ست" مرة أخرى يقوم بدور "بعل". (١٠٠١) وفي موضع آخر "تنسب" كل من "عشتارت" و"عنات" إلى "بعل – ست" كوليفتين له في تقليد أمين للعلاقة التي تبرز بعناية ووضوح في المجمم الإلهي الكنعاني. (١٠٠١)

وتنطوى "استعارة" مصرية على شكل ليس معروفًا للمصريين كشكل أدبى قومى لهم، وأقصد شكل "الليجورة" allegory (= الأمثولة). فتصف قصة الحق والباطل"، في بردية يحتفظ بها المتحف البريطاني كيف أن الباطل يتهم أخاه زورًا بئنه سرق سكينته، التي يصفها في سبيل تدعيم تهمته الخيه بئنها غالية الثمن وذات أبعاد هائلة. ولكن ابن "الحق" يبرئ والده في نهاية المطاف، بعد أن كانت المحكمة قد قضت عليه بالعمى، وذلك بأن يتهم عمه بأنه أكل ثوره، ويصف على نحو مماثل (ولنفس الغرض) كيف كانت قيمته فوق الوصف وكذلك أبعاده. وهذه القصة مستقاة من أصل حورى، انعكس في قصة "أبو": Appu ، ولقد هاجرت هذه "الحبكة" (=القصة) إلى روسيا حيث ظهرت كـ "برافدا وكريفدا" (Pravda and Krivda).

ويمكننا رصد تعرض الأدب المصرى لأفكار أسيوية في مواضع أخرى، عمل فيها التأثير الأجنبي عمله بصورة بارعة في الموضوع بينما استمر الشكل قوميًا مصريًا بصفة رئيسية. أحد الأمتلة على ذلك يتمتل في العصر الساتورني (=الذهبي)، على نحو ما كان عليه، وهو العصر الذي سبق ارتكاب البشر الخطيئة الأولى، وفي ذلك العصر، وعلى النقيض من العصر الحديث، لم يكن هناك وجود المرض أو الحقد. تزل الصدق إلى الأرض في تلك الأيام (أيام الأسلاف) فرويت الأرض وامتلات البطون، ولم يكن هناك عوز في طول الأرضيين وعرضها. ولم تكن الحوائط تعرف الانهيار، والم يكن يعرف الوخر... و كان الطعام يتدفق في بطون العوام، ولم تكن هناك خطيئة واحدة في البلاد، ولم يكن التمساح يخطف ولم يكن التعبان يعض حفطيئة واحدة في البلاد، ولم يكن التمساح يخطف ولم يكن التعبان يعض

في زمن الآلهة الأوائل. (۱۰۰۱) كما اكتسب مفهوم ما بعد الموت قدرًا معينًا من التلوين بألوان اللوحة الآسيوية، مع أن أساسيات العقيدة المصرية داومت على الاستمرار. وهناك وجهة نظر تحملها أقلية، وقد تمثلت في الأدب المصرى، بالتلازم مع أسلوب الحياة القائم على مبدأ اللذة، طالما انتقدت بقوة مدى فاعلية الشعائر الجنائزية استنادًا إلى منطلق فلسفى لا-أدرى. (۱۰۰۰) والآن أضيف إلى هذا النهج، بين الحين والآخر وصيف لما بعد الموت ولكنه ينطوى على ما نستطيع أن نعزوه إلى تصورات نابعة من بلاد الرافدين والمشرق أكثر مما نعزوه إلى مصر: ففي ما بعد الموت (حالحياة الآخرة) لا يوجد أكل أو شنرب أو عجز أو شباب، ولا رؤية الأشعة قرص الشمس، ولا تنفس لريح الشمال، والظلمة تغرق الوجوه دومًا، وليس هناك من يصحو مبكرًا كي يغدو (۱۱۰۱) هذا التفنيد نقطة – نقطة الأمل المصرى العظيم، إنما ينبع من ظلام ويأس شول الا التقليدية لعبادة الشمس في مصر. (۱۱۲)

لم ينعكس تأثير المشرق وبلاد الرافدين على مصر خلال المملكة الحديثة بصورة حية أكثر مما انعكس في معجم اللغة المصرية. فلقد ظهرت منات الكلمات الكنعانية في وثائق المملكة الحديثة، وبذل الكتبة المصريون جهوداً شاقة في سبيل رسمها بالقام الهيروغليفي بالطريقة المعروفة باسم الكتابة المقطعية. ومع أن اللهجات المصرية قارمت التغير على مستوى النحويات Syntactic changes ، – معظم الكلمات المستعارة كانت أسماء – إلا أن احتياج هذه اللهجات، بصورة واضحة، لمصطلحات للأساليب والمصنوعات والمواد الجديدة أدت إلى تبنى الفاظ أجنبية شكلت معياراً لتأثير "كنعان" على مجمل الوان الطيف الثقافي لمصر. (١١٢)

وكما يجوز للمرء أن يتوقع، فالربع، بالتمام والكمال، من هذه الكلمات التى نستطيع التعرف عليها كان متصلاً على نحو أو آخر بالعسكروت. وتمثل التعابير التكنيكية التى تصف العجلة الحربية وأجزائها والعتاد الحربى نصف تلك الكلمات بينما تشير الكلمات الأخرى إلى أنواع التسليح والرتب العسكرية والمعمار العسكرى وأساليب وأنشطة فنون الحرب. كما توصلنا إلى عدد محدود من المصطلحات البحرية، بالمثل، (٣ بالمائة بالتقريب من مجمل الكلمات المستعارة)،

وتقف ألفة المصريين بنسيا ومواردها وراء حوالى ٢٧ بالمائة من الكلمات المستعارة. وتمثل مصطلحات الخشب والخشب المنشور وأنواع الأثاث ١٢ بالمائة، بينما تغطى ٦ بالمائة المعادن الآسيوية، وتبلغ المصطلحات الجغرافية عشرة بالمائة على وجه التقريب من إجمالي الكلمات المستعارة، نصفها تشير إلى أدوات وأشياء تتصل بالماء (الآبار والجداول والصهاريج .. إلخ). والكلمات الباقية تشمل مصطلحات تدور حول تضاريس أرضية (أنواع الحقول والجبال والكهوف) والأسفار البرية.

وتصور باقى المصطلحات ما أحاطتنا به علماً الأدلة الأثرية والتاريخية فيما يتعلق بالتأثير الذى تفشى للآسيويين فى مصر. فالطعام وطرق إعداده تقف وراء ثمانية بالمائة من الألفاظ الأجنبية بينما تمثل تكنيكات البناء والملامح المعمارية والمواد المستخدمة سبعة بالمائة. ولما كان كثير من السلع الآسيوية التى تؤخذ كضرائب، أو تطلب كبنود تجارية، كانت تأتى فى حاويات، فليس غريبًا أن تشكل المصطلحات التى تشير إلى أوعية (من الخزف كبراني أو البوص كسلال) سبعة بالمائة. ومن مجالات القانون والدبلوماسية تأتى أربعة فى المائة من إجمالي ما استعارته اللغة المصرية، وقدمت العبادات ثلاثة بالمائة والتجارة الدولية اثنين بالمائة.

استمر السيل الأسيوى يغرق الدلتا ووادى النيل لدة تصل إلى أربعمائة سنة، ولكن اليوم لم يبق لارتفاعه وهبوطه أى أثر، إلا فيما ندر. فالجاليات الكنعانية التى ضمت العبيد والتجار والأفكار التى انبثقت سرعان ما كُنست فى إطار الكارثة التى حلت بنهاية عصر ومسحها النسيان التام. ولم يبق شى، بالمرة من وجودهم السابق فى الذاكرة الجمعية للمصريين. وفى الوضعية – الذهنية للعالم الجديد الشجاع الذى كان على وشك البزوغ استطاعوا أى أولئك الكنعانيون، أن يلعبوا بنمان وطمان دور كبش الفداء. وفى الخليط التاريخى الذى اختلقته إسرائيل القديمة لتبرير دخولها إلى المسرح، كُومت كل شرور العصور على كاهل الكنعانيين، فلقد أصبحوا، بالتالى أكثر الأجناس خبئًا فى التاريخ،

الهوامش

(١) تنظيم الجيش المصرى معروف بصورة أفضل كثيرًا من التاكتيكات التي كان المصريون يلجأون اليها في ميادين القتال. وعلى العموم انظر:

R.O. Faulkner, JEA 39 (1953), 32-47; A. R. Schulman, Military Rank, Title and Organization in the Egyptian New Kingdom (Berlin,1964); J. Yoyotte and J. Lopez, Bib. Or. 26 (1969), 3-19; W. Wolf, Die Bewalfnung des altägyptischen Heeres (Leipzig, 1926); Y. Yadin, The Art of Warfare in Bible Lands (Jerusalem, 1961).

(٢) حول القوس المركب انظر:

H.E. Winlock, The Rise and Fall of the Middle Kingdom in Thebes (New York ,1947) W.E.McLeod, "The Bow in Ancient Greece" Ph.D.diss.,Havard University,1966); وهول دخول العجلة الحربية نطاق الاستعمال انظر:

W. Helck, J NES 37 (1978), 337-80.

Snny and Ktn repectively; cf. A. H. Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica (*) (Oxford,1947), 1:28*; A.R.Schulman, JARCE 2(1964), 87-88, D.Meeks, Année lexicographique (paris,1981), 2:332-33,400; (Paris,1982) ,3:258.

(٤) انظر:

D.B.Redford,in The Akhnaten Temple Project (Toronto,1988),2:13-22;Schulman JARCE 2 (1964), 53-79, for an "armorer",see H.S.Smith,The Fortress of Buhen:The Inscriptions (London,1976,1:81.

J. Wilson, The Burden of Egypt (Chicago, 1951), 167; for the civilians mentioned (ه) ومول المنيين الذين ورد ذكرهم انظر:

Urk IV, 1019ff., 1-24; 1442; W.Helck, Die Verwaltung des mittleren und neuen Reiches (Leiden, 1958), 469.

Faulkner, JEA 39 (1953), 44;D. Meekes, Année Lexicographique (Paris, 1980), 1; (1) 388.

(٧) حول ماتين النقطتين النظر:

C. Vandersleyen, Les guerres d'Amosis (Brussells,1971), 26-30; D.B.Redford, Egypt and Canaan(Beer Sheva.1990).

والمصطلح "ويعو" كان يعنى في الاستعمال المدنى "عامل عادى" وفقًا له "ياروسلاف تشيرني" في. A Community of Workmen at Thebes in the Ramesside Period (Cairo, 1973),47.

- A.H.Gardiner, Late Egyptian Miscellanies (Brussells,1937),27;R.A.Caminos, Late (A) Egyptian Miscellanies (Oxford,1954),98.
 - KRI 1,273-80. (1)
- B.Menu,Le Régime juridique des terres et du personnel attaché à terre dans le (\.) Papyrus wilbour (Lille, 1970), 107ff.
 - Urk IV,1006;see A.Brack,Das Grab des Tjanuni (Mainz,1977). (\\)
 - Urk IV, 1820-21. (\Y)
 - Gardiner, Miscellanies, 11:4. (\Y)
 - Gardiner, Onomastica,1:25*(on.Am.88). (\1)
 - A.Moret, Le Musée Guimet (Paris,1909),5 9; KRI 1,32514:345:1. (\o)
 - P,Anast, IV,4,8-9. (\1)
 - P.Harris 1,57:8-9. (\V)
 - P.bolongna 1094,5:2-4 (\A)
 - KRI 1,322. (\4)
 - Ibid.,323-24. (Y-)
- Cf.Urk IV,1659: Then the army of Pharaoh was mustered...organized in squads (Y1) and assigned officers, each man being with his village*:
- وعندئذ حشد الفرعون جيشه ... وارتأى تنظيمه على هيئة فرق يقف على رأسها ضباطها، وكان كل رجل ينضم إلى أبناء قريته."
 - P.Anast.1:17,4-5. (YY)
 - Urk IV,652:15-653:3. (YY)
 - ونعن نسمع أيضاً عن "جيش النهر الغربي" أي جيش الضفة الغربية للدلتا:11:11. Urk الا,981
 - Schulman, Mikitary Rank, 26-30. (Y1)
 - A.R. Schulman, JARCE 2 (1963), 75-98. (Yo)
 - W.Mcleod, Phoenix 19(1965), 1-14. (*1)
- Ugaritica 5 (1969), 69-79; H.Cazelles, Mélanges de L'Université de Saint- (YV) Joseph 46 (1970), 33ff.; A.F.Rainey, UF 3 (1971), 131-49; M.C. Astour, in G.D. Young, ed., Ugarit in Retrospect (Winona Lake,Ind.,1981), 22-23.
 - Gardiner, Miscellanies, 108:15-109:1. (YA)
 - P.Bologna 1086. (۲۹)
- Cf.A.F. Rainey, Israel Oriental Studies 5 (1975),27: "His porters sold him to the $(r \cdot)$ Egyptians and they seized him and took his goods":
- "باعه حاملوه المصريين فوضع هؤلاء أيديهم عليه وعلى ما معه من سلع". وهول تجار العبيد في مصر، الذين يبيعون العبيد السوريين في مصر، انظر: KRI II,800-802 .

Gardiner, Miscellanies, 9:1; KRI II, 280:13-16; (T1)

وللاطلاع على قوائم الكنمانيين الذين وصلوا حديثًا إلى مصر انظر:

G.Steindorf, ZAS 38 (1900),15-18; G.Posener, Syria 18 (1956),183ff.

P.Bologna 1086; W.Wolf, ZÄS 65 (1930), 89-97. (TY)

Urk IV,742; cf.Urk IV,781,1102-3;KRI I,2:15; 23:5-6; 38:8-8-9; 41:4; 48:16-49:1; (YT) II,206,etc.;A.M.Balckman, The Temple of Derr (Cairo,1913),7-8,pt.V:1;

قحول الكنمانيين في المعابد النوبية، انظر: 49,lig.5 (1960). L.Habashi, Kush 8 فحول الكنمانيين في المعابد النوبية،

T.Säve-Söderbergh, Orientalia Suecana 1 (1952), pl.12; (TE)

نستشف من واقع البطاقات التي تحملها قناني النبيذ، التي تحدد مصدر هذه الخمور، أن كثيراً منها أسبوي المصدر:

W.Hayes JNES 10 (1951), 46,fig.6:54; 56,fig.16:251; idem,MDAIK 15 (1957), 81, fig.1 (D); T.E.Peet,City of Akhenaten (London,1923),1: pls.90:152; 86:35-57; J.D.S Pendelbury, City of Akhenaten (London,1951),3:pl.87:60,62;KRI II,678:13-16; 694:14-695:2; VII,50:10; 68:15; 73:8,15; W.Helck,Die Beziehungen Ägyptens zur Vorderasiens² (Wiesbaden,1972),360.

Urk IV,743. (Ta)

P.Harris 1,10:15;51a:9. (T%)

Urk IV.1649. (TV)

(۲۸) See previous n.32 (۲۸)

CF. A.H. Gardiner, Ramesside Administrative Documents (Oxford,1948), 37:13, (11) 44:5;cf.Helck,Bezeihungen², 357.

See N.de G.Davies, The Rock Tombs of El-Amarna (London, 1903), 1:pl.15; (£.) (London,1904), 2:pl.17; (London,1905), 3:pl.31.

P.Anast.IV, 16:4-6. (£1)

Kri I, 48-49,cf. Helck, Bezeihungen², 357. (£٢)

Berlin 1284 (Agyptische Inschriften,2:306). (£T)

Helck "Beziehungen", 353-54. (11)

See J.Berlandini-Grenier, BIFAO 74 (1974),1-19. (£0)

(٤٦) حول شخص "باي": Bay انظر:

Helck, Verwaltung, 355; A.H.Gardiner, JEA 44 (1958),12ff.;

رسالة غير منشورة ترجع إلى "أوجاريت" من وجبه بدعى "بييا": Beya ، من مصر، وهو لا يمكن أن يكون أي شخص أخر سوي صاحبنا الوجيه العالى: P.Bordreuil, CRAIBL (1987), 297.

Helck, Beziehungen²,356-57; on Benya,son of the Hurrian Aritenni,see T.Sāve- (£V) Sõderberg,Orientalia Suecana 8 (1960),54ff.;S.Ratié, La Reine Hatchepsout: Sources et problèmes (Leiden,1979),285.

- D.A.Lowle, Oriens Antiquus 15 (1976),91ff. (£A)
 - Helck, Beziehungen², 354-55. (٤٩)
 - G.A. Gabella, JEA 59 (1973) .pl.37:1. (o+)
 - Urk IV, 1556:10-11. (a1)
 - See p.179. (oY)
- See S.Sauneron and J.Yoyotte, RdE 7 (1951), 67ff.; P.Hattis 1,31,8 (aT)
- مؤسسة كانت تغص بأبناء الماريانو (الفرسان) و "العابيرو" في "ناتو" حيث يصل عددهم إلى الفين وثلاث وتسعين نفسًا. "KRI VII, 84 (settlement of Asiatics in the "Bird pool" (مستعمرة الأسيويين في بحيرة الطيور التي تنتج النبيذ).
- W.C.Hayes JEA 46 (1960), pl.XII, 17; P.Berlin 10621 recto 9 (tomb excavation); (ه٤) (العصابيس و المنسود يبنسون مسرحُسا) P.Leiden 348 verso 6,6;349 recto 15 العابيرو في المحاجر). (المحاجر). العابيرو في المحاجر).
- (٥٥) قارن النقش التدشيني الذي تركه لنا الفرعون "رعمسيس" الثاني في "أبيدوس" وخصوصبًا السطران ٨٨، ٨٨، اللذان يقول فيهما: "وهبتك سفينة موسوقة بحمولتها في عرض البحر ومن "أرض الإله" أتتك (روائع) عظيمة والتجار ينقلون بضائعهم حسب أوامرك وعملهم يتحول إلى نعب وفضة ونحاس أحمر"
- D.L.Owen,Tel Aviv 8(1981),1ff.;Singer,Tel Aviv 10 (1981), 3ff;Canaan,Late (ol) Egyptian Miscellanies,138.
 - Gardiner, Onomastica 1 1:136*. (oV)
 - lbid.,2:263*. (o^)
 - P.Anast. IV,15:3-4. (64)
 - P.Anast.IV,17:5. (1.)
 - J.Jannsen, JEA 49 (1963),64-70. (٦١)
 - J.Nougayrol, Palais royal d'Ugarit (Paris, 1965), 116, no. 95:1-5. (٦٢)
 - M.Liverani, Three Amarna Essays (Malibu, Calif., 1979),21-33. (\T)
 - EA 101:15 18;39:14. (\\$)
- W.Helck, Oriens Antiquus 5 (1966),2-3 (Berlin 8169);P.Saltier,verso 2,8. (%)
- Herodotus 2:111; Sauneron and Yoyotte, RdE 7 (1951), 69 n.1; A.B. Lloyed, (11) Herodotus Book II A Community (Leiden,1988),3:44-45.
- Cf.EA 139:8 (Hi-ku-ta-ah);II Aqhat Vc,20f (HKPT);apparently in linear B it ap- (\text{\text{\text{TV}}}) pears as Ai-ku-pi-ti-jo;R.R.Stieglitz,Kadmos 15 (1976),85;R.D.Woodard, Kadmos 25 (1986),63.
 - J.J.Jansen, Two Ancient Egyptian Ships'logs (Leiden, 1961), 59:14, and p.73. (٦٨)

- P.Anast.VI, 4:11-5:5; see now H.Goedicke, SAK 14 (1987), 83-89. (14)
- (٧٠) في الربع الأخير من القرن الثالث عشر ق.م. كان التاريخ ليقع في نهاية شهر يونيو/ بنونه.
- A.H. Gardiner and J. Cerny, Hieratic Ostraca (Oxford, 1957), 1:pl. 78: J.Cerny, (Y\) JNES 14 (1955),161-63.
 - (٧٢) يعنى: يهيم على وجهه.
 - (٧٣) انضم إلى القبيلة في خلال طقس أخوة الدم.
 - P.Anast.I, 20:2-4. (V£)
- (٧٥) نستطيع العثور على قائمة غير كاملة بأسماء شخصية (أسماء علم) أسبوية في: -Helck, Be ينسطيع العثور على قائمة غير كاملة بأسماء شخصية (أسماء علم)
- L.Habachi, ASAE 52 (1954), 508,539; Berlandini, BIFAO 74 (1974), 10,n.4; (V1) A.R.Schulman,CdE61 (1986),187ff.
 - Urk IV 1343-44; W.Helck, Helck, JNES 14 (1955),22-31. (VV)
 - Urk IV,1369. (VA)
 - ANET2,365-66, (V4)
 - H.M. Stewart ,JEA 46 (1960), 86. (A.)
 - ANET2, 368. (A1)
- M. Sandman, Texts from the Times of Akhenaten (Brussels,1 938), 94-95, (AY) col.8.
 - انظر ص ١٥٢ من النص الأصلي،
 - W.K. Simpson, Orientalia 29 (1960), 63ff.; Helck, Oriens Antiquus 5(1966), 5. (A£)
 - EA 23. (Ao)
 - (٨٦) على رجه العموم انظر:
- R.Stadelmann, Syrisch-Palästinensische Gttheiten in Ägypten (Leiden, 1967).
- lbid., 32-33; Helck, Oriens Antiquus 5 (1966),2-3; W.M.F.Petrie, Memphis (AV) (London,1909),1:pl.15;Ba'al Saphon (Mount Casios) and Astarte are attested as early as Amenophis II's reign at Memphis:P.Leningrad 1116A verso 42.
- تقوم أدلة على وجود كل من الإله بعل صافون (جبل كاسيوس) و "عشتارت" منذ تاريخ قديم يرجع إلى حكم "أمين - حوتب" الثاني في "منف".
 - (٨٨) حول "عنات" انظر:
- J.Leclant, LdĀ 1 (1972), 255,on Resfef, see E.Bresciani, Oriens Antiquus 1 (1962), 215-17; D.Corad, ZAW 83 (1971), 157ff.; W.K.Simpson, LdĀ 5 (1984), 244-46; A.R.Schulman, in F.Junge, ed., Studien zu Sprache und Religion Ägyptens (Göttingen, 1984),855ff.

- S.Hassan, The Sphinx,its history in the light of Recent Excavations (Cairo, (A9) 1976); C.M.Zivie, Giza au deuxième millennaire (Cairo, 1976),311-18;On the god,see now especially J.van Dijk, Fourth International Congress of Egyptology, Abstracts (Munich, 1985), 247-48.
 - (٩٠) حول أقادشة : Qadesha انظر : .26-27, (1984) R. Stadelmann,LdĀ 5
 - S.Sauneron, BIFAO 62 (1964), 22-24. (11)
- See E.Chassinat and F.Daumas, Le Temple de Dendara (Cairo,1934-1978), (47) 1:152(25); 3:192; 192; 5:25.
 - CF.Padi-Astrarte,Tadi-Astarte,etc. (17)
- P.Chester Beatty 1,3:4 (A.H.Gardiner,Late Egyptain Stories (Brussels,1 932), (91) 40)
 - Helck ,Oriens Antiquus 5 (1966),7-8. (10)
- P.Sallier 1,1:1-3:3; Gardiner, Stories, 85-89; D.B.Redford, Orientalia 39 (1970), (17) 35-38; H.Goedicke, The Quarrel of Apophis and Sequenence (San Antonio, Tex., 1986).
 - G.Boti, JEA 41 (1955), 64-71; (N)
- يبدو من المرجح أن الفقرة الواردة عند "مانيتو" (W.G.Waddell, Manetho) 88-88 (W.G.Waddell, Manetho) 86-88 (London, 1940), 86-88
 - Gardiner, Stories, 82-85. (٩٨)
 - (٩٩) لنظر ص رقم ٤١٤ من النص الأصلي.
- Cf.the Bentrech stela:A.J.Spalinger, JSSEA 8 (1977), 11-18;M.Lichtheim, An- (\.) cient Egyptian Literature (Berkeley,Calif., 1980), 3:90-94; D.B.Redford in Biblical Archaeology Today (Jerusalem,1985),205,n.101.
- (١٠١) الحاتورات السبع"، تظهر، منكما تفعل "ربات القدر" في الأسساطير اليونانية القديمة، على رأس كل مولود كي تحدد له مصيره:انظر في هذا الصدد:
- J.Vandier, RdE 16 (1964), 119-20; L.Kakosy, Studia Aegyptiaca (Budapest, 1981), 7:63;cf.Odyssey,7:196-98.
- M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature (berkeley, Calif., 1976), 2:200-203; (\\Y) E.Brunner-Trut, Ldà 4 (1982),1108-13; E.Cruz-Uribe,ZÃS 113 (1986),18-20; On the theme of fate,see F.T.Oiosi, in G.E.Freeman,ed., Studies in Philology in honour of Ronald James Williams (Toronto,1982).69-111:cf.also W.Helck,in J.Osing and G.Dreyer, eds., Form und Mass (Wiesbaden,1987), 218-25.

(١٠٣) للاطلاع على موتيف 'البرج' انظر:

S.Thompson, Motif-Index of Folk Literature (Copehagen, 1 955-1958), 6:M 372:

تيمة الفتاة في البرج هي بشكل أساسي تيمة "عشتارت"-تطل-من-الشباك التي تبناها الرواة الشعبيون في إطار فلكلوري. (11-315,(1982) N. Robertson,HTR 75) وعلى نفس المنوال نبحد أن الأمير الذي تحدق به عند عين ماء مخاطر كلب أو تمساح أو وحش كاسر ما هو إلا اقتباس لقصة بعل/أدونيس الذي قتلته كلابه في أحد الأهوار انظر من 3٤ من النص الأصلي، بالإضافة إلى:

D.B. Redford, in S.Grotl, ed., Studies in Egyptology Presented To Miriam Lichtheim (Jerusalem, 1990), 824ff.

See above,p.43ff. On the story see Lichtheim, Literature,2:203-13; O.Spies, in (1.1) M.Görg, ed., Festschrift Elmar Edel (Bamberg, 1979), 397ff.; E.Blumenthal, ZĀS 99(1972),1ff.; J.J.Assmann, ZĀS 104 (1977),1ff.; L.H. Lesko,ed., Egyptological Studies in Honour of Richard A.Parker (Providence,R.L.,1986),98-104.

حول شكوكي تجاه العناصر الأسيوية في القصة، انظر:

A Study of the Biblical Joseph Story (Leiden, 1970), 93,n.3)

ويبدو الآن أنه أدخل في باب عدم الفطنة، ليس الـ "موتيفات" الآسيوية التى تنطوى عليها القصة وحسب، بل أيضاً، عند النقطة التى تصل فيها الحدوبة الأولية درجة من التأزم وتدخل في حدوثة وادى شهر الأرز (8.6 أ6.4) وحتى نحويات اللغة المصرية ذاتها تبدو متأثرة بنحويات لهجة كنمائية ما .

G. Posener, AIPHOS 13(1955), 461ff.; O.Kaiser, Die Mythische Bedeutung des (\\o) Meers in Ägypten, Ugarit und Israel (Berlin,1959),81ff.; Stadelmann, Syrisch - Palätinensische Gottheiten, 125ff.; W.Helck, in M.Görg,ed.,Fontes atque Pontes (Wiesbaden, 1983), 215ff.

(حيث نفترض وجود تأثير الحوريين)،

A.Roccati, RdE 24 (1972), 152-59. (1.1)

See n.94; J.Vandier, MDAIK 25 (1969), 188-97, pl.7a; H.Te Velde, LdÄ 5 (\.v) (1984).910.

Lichtheim, Literature,2:211-14; H.G. Gütterbock,in S.N. Kramer, ed., Mytholo-(\.A) gies of the Ancient World (New York, 1961),154; J.Friedrich, ZA 49 (1950), 213ff.; Lesko,in Egyptological Studies,98-104.

O.Firchow, Thebanlschen Tempelschriften (Berlin,1957), 76,81; cf.E.Otto, in (1-1) Religions en Egypte Hellénistique et romain (Paris,1969), 93ff.; Kakosy, Studia Aegyptiaca,7:81-92.

(۱۱۰) حول ملامح مذهب اللذة في أغاني "هاربرز" Harpers انظر:

J.Assmann, in J.Assmann,ed.,Fragen an die altägyptischen Literatur (Wiesbaden, 1977), 55-84; M.V.Fox, Orientalia 46 (1977), 93ff.; see also L.Kakosy, in Religions en Egypte hellénistique,60-61.

Gardiner, Stories,91; Posener, Dravnii Vostok 1 (Moscow,1 975), 105ff. (\\\)

Cf.J.G. Griffiths, in Görg, Fontes atque Pontes, 193-95. (\\Y)

(١١٢) يظل أهم تصنيف لمثل هذه الكلمات متمثلاً في عمل 'بورشارد' الضخم:

Die AltKanaanäisch Fremworte und Eigennamen in Aegyptschen (Leipzig, 1909). ولقد ضمن "هيلك" Helck أيضًا ما يزيد على ثلاثمائة كلمة في كتابه: (Beziehungen 2,505ff.) وينتظر العلماء معالجات جديدة من كل من "مانفريد جدوج": Manfred Görg و "جيمس هوخ": ames Hoch والنسب المذكورة هنا تعتمد على اختيار المؤلف (ريدفورد) لتلك الكلمات التي ثبت أصلها الكنعاني دون شك، وهي عرضة بالتالي لتعديلات طفيفة في المستقبل.

الجزء الثالث الهجرات الكبرى

الفصل التاسع

مجىء شعوب البحر

شهدت السنوات الخمسون التى أعقبت معاهدة السلام المصرية ـ الحيثية ازدهارًا رغدًا عم الشرق الأدنى بأسره، ففى المشرق أصبحت الحدود وقت ذاك مفتوحة من مصر جنوبًا حتى البحر الأسود شمالاً، ومن الفرات شرقًا حتى جزر بحر "إيجة" غربًا، وانتعشت التجارة الدولية كما لم يحدث من قبل. فلم تضمن هذه المعاهدة المهمة السلام و حسب، و لكن الزواج الذى أبرم بين ابنة "هاتوسيليس" الثالث ملك الحيثيين والفرعون العظيم "رعمسيس" الثانى، ولقى ترحيبًا على نطاق واسع، وطد العلاقات بين البلاطين على المستوى العائلى، مع أن هذه البنت السيئة الحظ ربما تكون قد اختفت البلاطين على المستوى العائلى، مع أن هذه البنت السيئة الحظ ربما تكون قد اختفت في جناح الحريم في الد "مى ـ وير" wer الله كي لا تقع عليها عين، مرة أخرى إلا فيما ندر، و مع ذلك ظلت العلاقات الودية بين مصر و "خاتي" مصونة لم تمس حتى نهاية الإمبراطورية الحيثية. (١) و بينما نعرف أن العلاقات بين "خاتي" و "أشور" وصلت إلى مصرحلة الحرب الباردة، إلا أن المراسلات بين "تدخاليياس" Tudkhaliyas الرابع والفرعون "رعمسيس" الثاني لم تهتم بشيء آخر قدر المتمامها بالإهانات الملوسة وتبادل الفنيين. (٢)

مصر و جزر إيجة:

تمتعت اليونان و الجزر الإيجية، خلال المملكة الحديثة، بعلاقات طيبة مع مصر، حتى و لو تظاهر المصريون، لأغراض الاستهلاك المحلى، بقبول المفاتحات التجارية من

جزر بحر "إيجة"، باعتبارها، عروضاً بدفع الجزية، و بحلول سنة ١٥٢٠ ق.م.على وجه التقريب كانت لغة "كفتيو" Keftiu (كافتور" kaphtor بالكنعانية) قد غدت مالوفة المصريين إلى الحد الذي أصبح من الممكن معه أن ترسم التعاويذ (=الرقاوي) المكتوبة في هذه اللغة بالقلم الهيروغليفي (٢) و تحت ظل الفرعون "تحوت - موسى" الثالث، صار موكب حاملي العطايا من أبناء جزر بحر "إيجة"، بازيائهم المزركشة (التي تعيد إلى الأذهان جداريات الفريسكو الإيجية) مالوفًا في "منف" و "طيبة"، (١) و تحت ظل الفرعون "أمين - حوتب" الثالث أصبحت الطرق البحرية حول بحر "إيجة" مألوفة البحارة المصريين إلى الحد الذي غدا من المكن نقل "دليل البحارة" أو الـ" periplus" الى اللغة المصرية بل و ظهرت أسماء مدن يونانية مثل "كنوسوس" Knossos و أمنيسوس" كنوسوس" Amnissos و أمنيسوس" Amnissos الهيروغليفي (٥).

تركزت التجارة خلال الفترة التي تمتد بين ١٤٠٠ ق.م.(أي منذ حكم الفرعون أمين حوتب" الثالث حتى نهاية الأسرة التاسعة عشرة)، وهي الفترة التي الفرعون أمين حوتب" الثالث حتى نهاية الأسرة التاسعة عشرة)، وهي الفترة التي تسمعي بالعصر الميسياني Mycenaean Age والمتدت حضارة قلب البلاد: "ميسينيا" في سائر أرجاء الشرق الأوسط(۱) وهي الفترة التي لاقت الصادرات التي ترجع إلى العالم اليوناني جاذبية المائة في مختلف أنحاء المشرق. وقد بلغ انتشار الفخار الميسياني الفائق الجمال حداً أصبح معه اليوم مقسياساً تأريخيا للباحثين الأثريين في المشرق، ولم تمخر السفن المصرية و اليونانية عبر الحارات البحرية في شرق البحر المتوسط وحسب، بل وكان من المعتاد بالنسبة لسفن تجارية من سوريا أن تقوم برحلائها إلى وجهتها وكان من المعتاد بالنسبة لسفن، وقد انتشلت إحداما في الأونة الأخيرة، قبالة النشودة (۷) وكانت مثل هذه السفن، وقد انتشلت إحداما في الأونة الأخيرة، قبالة جنوب الساحل التركي، وكانت قد غرقت في طقس سيئ (۱) تحمل سبائك النحاس الاحمر و الفخار و الأواني و ربما مواد غذائية لأبناء جزر آإيجة ، إلى جانب السمسم والكمون و الذهب، و مواد الصباغة البديعة. و من مصر جاء القمع نظير زيت الزيتون والعطور، و إلى المشرق ذهب الراتنج و الدهون و الزيوت (۱) وعلى رأس هذه الاعمال والعمال والعمورة و إلى المشرق ذهب الراتنج و الدهون و الزيوت (۱) وعلى رأس هذه الاعمال والعمور، و إلى المشرق ذهب الراتنج و الدهون و الزيوت (۱) وعلى رأس هذه الاعمال والعمال

التجارية تربع، وبكل تأكيد استفاد كثيرًا منها، "الملك العظيم عاهل "أخذيياوا" Akhkhiyawa ، كما كان يسميه الحيثيون، وكان جلالته واحدًا من خمسة ملوك عظام على سطح الكرة الأرضية وقت ذاك (١٠٠) و تشير إليه وثائق معاصرة هي وثائق السفينة ب للأرضية وقت ذاك (١٠٠) و سليد العظيم على كل الأسياد الآخرين العالميين إلى أنه كان الم وناكس wanax أي السيد العظيم على كل الأسياد الآخرين العالميين (=الدنيويين) في المنطقة (١٠١)

و لا مناص من التسليم بأن البلاط المصرى كان يجرى، طوال العصر الميسيانى ذاك، المراسلات مع نظيره فى "ميسينيا"، مع أننا لم نهتد إلى هذه المراسلات نفسها بعد، و لقد تراسل الفرعون مع ملك "ألاشيا" Alashiya (= قبرمى) على نحو ما نعرف من رسائل "أخيتاتون" (=العمارنة)، وكانت قبرص بمثابة مستودع بضائع فى العمليات التجارية مع اليونان.

إلاً أن مصر مرت أيضًا بتجربة مع الإيجيين أقل ترحابًا من المبعوثين (التجاريين) و حاملى الجزية. فالتجمعات الصغيرة في الجزر الإيجية و على الساحل الأيوني " lonian التي تطوقها من كل جانب، الأرض الوعرة ظلت أوقت طويل تعيش على زراعات محدودة إلى جانب الصيد و شن الغارات البحرية، و هذا "النشاط" الأخير استمر لمد طويلة موجهًا ضد المدن الغنية و الساحلين المشرقي و المصرى. و لقد حاز الرككا" Lukka أبلاغة المصرية) الذين ينبغي علينا أن نفهم من اللفظ أن المصريين يقصدون بهم "الليشيانيين" Lycians، و شردانا" and الذين يرجعون إلى الساحل "الأيوني" بالقرب من "سايم": Cyme صيتًا عريضًا في القرصنة فضلاً عن مهارات قتالية استثنائية (۱۲). و كان أولئك "الشردانا" قد شنوا مجومًا على ساحل الرؤية بالنسبة للفرعون، ولم يتأخر الفرعون الشاب في تقييم براعتهم في ميادين الرؤية بالنسبة للفرعون، ولم يتأخر الفرعون الشاب في تقييم براعتهم في ميادين القتال. و بعد أن أحبط هجومهم لم يدخر فرعون مصر وقتًا قبل تجنيد مفرزة من أولئك السردانا" في نطاق القوات المسلحة المصرية، وهي المفرزة التي برزت مهاراتها بعد ذلك بوقت قصير في معركة "قادش" (۱۲).

الشماليون قلقون:

بينما شكلت العقود الأخيرة من القرن الثالث عشر فترة من السلام و التبادل التجارى و الرخاء بالنسبة للشرق الأوسط، عرف الأفق نذر أوقات عصيبة. وكانت جزر بحر "إيجة" أول منطقة تشعر بصدمة الاضطرابات القادمة.

تضافرت سلسلة من الأحداث التي لا تتصل إلى حد كبير الواحدة بالأخرى، وهي أحداث لا نستطيع أن نراها، بعد مرور كل هذا الوقت عليها، إلا بصورة مبهمة، كي تدفع، عبر شرق البحر المتوسط، بواحدة من أكبر و أخطر الهجرات في التاريخ، ولا نبالغ إذا ذهبنا إلى أن حركة "شعوب البحر" Sea Peoples، و هو الاسم الذي صكه في وقت لاحق المصريون، (١٤) غيرت وجه العالم القديم أكثر مما صنع به أي حدث واحد أخر قبل حملة الإسكندر الأكبر. فالحركة تشير في تاريخ الشرق الأدنى إلى نهاية، والحقيقة هي التي أدت إلى وضع نهاية حقبة كي تبدأ حقبة أخرى، دون أي حلقة وصل بين الحقبتين. و في مصر، ذلك الهدف الذي استهدفته الحركة بوضوح ظاهر، أثبتت أن تأثيرها تافه، إذا ما قورن بما جلبته حركة هؤلاء المهاجرين على فلسطين و سوريا.

على أن الأسباب النهائية التى تقف وراء الحركة تستعصى على التحديد، إلا أنه يبدو أن هناك بعض الوقائع و الظروف المثيرة للشك التى قد عمت المنطقة كى تلعب أدوارًا منسقة الواحد مع الآخر. فعلى الصعيد الاقتصادى استقر الباحثون على أن الدول الميسيانية عانت تدهورًا داخليًا نجم عن اعتمادها على محصول وأحد عالى الريع، و اضطرارها إلى استيراد كثير من المواد الضام (٥٠). و ربما يكون النشاط القديم قدم الدهر و النجاح الطازج الذي كان اله "شردانا" قد حققوه في الآونة الأخيرة قد أغرى الشعوب في "غسق" العالم الميسياني أن ترجه ضربتها نحو مصادر المواد الخام. ولكن باحثين آخرين يقولون بوقوع كارثة طبيعية كانت العامل الرئيسي في إطلاق حركة "شعوب البحر". و مع أننا لا نستطيع التثبت من تعزق الحياة على الشاطئ الشمالي للبحر المتوسط من جراء مجاعة تفشت على ناطق واسع أو نقص حاد في إنتاج المحاصيل هناك خلال الثلث الأخير من القرن الثائث عشر ق.م. (٢١) إلا أن ثلاثة أو أربعة من مصادر الأدلة، تفصل بين كل منها شمانية قرون تبدو و كأنها تؤيد مثل

هذه الفرضية. فكل من "ديودور" و "هيرودوت" يحفظان ذكرى مجاعة أجبرت أهالى كل من "سايم" Syme و "ناكسوس" Naxos و "سارديس" Sardis على الهجرة، (١٧) و الحقيقة أن الوثائق المعاصرة التي ترجع إلى مصر و "أوجاريت" تتحدث عن مجاعة في الأناضول (١٨). و ليس من الصعب أن ندرك كيف كانت الوفرة الزائدة لمخزونات الأغذية في وادى النيل لتشكل هدفًا جذابًا بصورة لا تقاوم بالنسبة للجيوب الجائعة في جزر بحر "إيجنة". و لا ننكر أن يكون الطاعون أو وباء مماثل قد لعب دورًا، ولكنه من المستحيل أن نتثبت من ذلك من هذه المسافة الزمنية التي تفصلنا عن الأمر (١٩).

هل هناك اتجاهات سياسية ساعدت في الانهيار؟ هل نحن محقون في رصد انهيار كان وشيكًا في نظام القوى العظمى لـ "الممالك الكبرى" التى عرفها أواخر العصر البرونزى؟ إذا كان هذا ما كان جاريًا، في الحقيقة، على قدم و ساق، فلربما يكون قد أدى إلى تمزيق الإمبراطوريات السابقة و ما تبع ذلك من نشوب صراع داخلى بين الحكام التوابع السابقين (لوحة رقم ۱). و ينبغى أن نلاحظ في هذا الخصوص أن ملك الحيثيين: "تودخاليياس" الرابع ووجه في وقت ما بين ١٢٥٠ و٠٤١ ق.م. بتحالف يضم اثنتين و عشرين دولة متمردة على طول الساحل "الأيوني" من "كاريا" قم، بتحالف يضم اثنتين و عشرين دولة متمردة على طول الساحل "الأيوني" من "كاريا" (Lycia) حتى "ويلوزا" Wilusa (عالم المرابع ووجه كن قد بدأ في الحيثيون الهزيمة بهذا التحالف، ولكن الهامش الغربي لإمبراطوريتهم كان قد بدأ في التداعي (٢٠٠). و يبدو واضحًا أن هذا الم "تودخاليياس" نفسه هو الذي هزم جزيرة قبرص، وبالتالي قضى على أحد الرموز التي تمتعت بالشهرة و الرخاء في إطار النظام السياسي للعصر البرونزي المتأخر (٢٠).

و لقد قدمت بلاد اليونان الداخلية أول دليل أثرى على ما كان يحبل به الأفق. فحوالى سنة ١٣٠٠ ق.م. بدأت تلوح علامات على حركة من "ثيسالى" Thessaly إلى داخل "إبيروس" Epirus التى يسكنها شعب رعوى، ارتبط فى أوقات لاحقة باليونانيين "الدوريين" Dorians). و بعد نصف قرن رحلوا مرة أخرى جنوبًا، فى نفس الوقت تمامًا الذى بدا فيه يونانيو البلاد الداخلية و قد وصلوا إلى درجة ملحوظة من الصراع الداخلى. و تعيد إحدى الأساطير أيضًا إلى الأذهان تدفقًا قامت به الشعوب فى اتجاه الجنوب، ولكن هذه المرة من "ثراس" Thrace التى اكتسحت كلاً من "ناكسوس" Naxos،

و "ساموثراس" Samothrace و "إيوبيا" Euboea و القد جعل هذا التدفق الحياة تشق على كل من "طيبة" (اليونانية) و "أتيكا (٢٢) و يبدو أن التجديد المفاجئ و الشامل التحصينات أماكن مثل: "ميسيناي" Mycenae و تيرينس" Tiryns، و "كورنث مردوالي ١٢٥٠ و تيرينس" ٢٤٠١ و "كورنث من المناه و أثينا" و "ميليتوس" Miletos في الفترة من حوالي ١٢٥٠ حتى ١٢٤٠ ق.م. يقدم الدليل الأثرى الذي سبق أن أشرنا إليه التو (٢٤١). و إذا وشت هذه الخطوة بتخوف "الأخيانيين" Achaean الذين يقيمون في بلاد اليونان، فإن لذلك مبررات وجيهة، ففي غضون جيل واحد وقعت الضربة الأولى، و قرب سنة ١٢٢٠ اجتاح التدمير المصحوب بأعمال العنف كلا من "ميسينيا" Mycenae و "تيرنس" Tiryns و "بيلوس" المناه و "كريسا" Tiryns، و "جلا Gla)، على سبيل المثال لا الحصر، وهو الأمر الذي انهي وجود المرحلة الثقافية المعروفة باسم "الهلائية المتاخرة" Late Helladic IIIB (٢٥) ولقد عائم عانت إمبراطورية أخذيياوا" التي كانت يومًا ما عظيمة من ضربة قاصمة.

الهجوم الأول على مصر:

تمثل الأثر الضائص لإضعاف "أخضيياوا" و الاضطراب الذي لحق بحكم "تودخاليياس" في تحرر الدول الأقل شائنًا في الجزر و على امتداد ساحل أسيا الصغرى التي كانت واقعة بين الإمبراطوريات السابقة. فالمعاهدات الدولية بين القوى العظمى لم تلزمها بشي، وصارت دول الشرق الغنية بمثابة "فرائس مشروعة" بالنسبة لها. و لقد منحت براعة أبنائها، أي أبناء تلك الدول، القتالية و تسليحهم المتفوق تلك الثقة بالنفس التي تفتقر إليها دول المشرق. فلقد وقعت جزر بحر "إيجة" و الساحل "الأيوني" كوريث لخطوات التقدم الكبري في مجال التعدين التي تقوم عليها شواهد قوية في البلقان خلال القرنين الرابع عشر و الثالث عشر، وهي الخطوات التي كشفت عن نفسها في السيوف الطويلة و التروس و الخوذ و الدروع الواقية الجسم، التي ارتداها محاربو شعوب البحر المتفوقون" (٢٦).

إذا كانت مصر قد غدت، ونحن نعرف أنها فعلت، مغناطيسًا هائل الجاذبية بالنسبة للشماليين، فإن هناك طريقين اثنين ممكنين كانا مفتوحين أمام أواتك الذين يضمرون شن الهجوم على مصر عبر البحر المتوسط الطريق الأكثر وضوحًا كان يسير على امتداد ساحل البحر المتوسط، و هنا تقوم قبرص كمحطة انتقالية، أما الطريق الآخر، وهو أقل وضوحًا، وإن كان طريقًا مطروقًا من جانب المسافرين، كان لينخذ المسافر عبر جزيرة كريت إلى الجنوب حتى الساحل الأفريقي، مع الرسو في زمام مدينة مرسى مطروح الحالية. و هنا كشفت عمليات التنقيب مستودعًا كان يخدم التجارة بين كريت و قبرص و دلتا مصر في القرن الرابع عشر ق.م. (٢٧) و ربما كان يوفر الوصول إلى درب داخلي في قلب القارة مرورًا بالواحات الغربية. وعلى أي حال، يوفر الوصول إلى درب داخلي في قلب القارة مرورًا بالواحات الغربية. وعلى أي حال، بحلول الربع الأخير من القرن الثالث عشر ق.م.، كان الساحل الواقع غربي الدلتا المصرية قد أصبح مألوفًا للبحارة و رجال القرافل البرية على حد سواء، و قدم طريق مواصلات مباشر إلى سيرينايكا (Cyrenaica) الذي احتاج إلى حراسة مشددة، وذلك الأن الإقليم الواسع كان في تلك العصمور مافولاً بكثافة عالية من السكان العدوانيين (٢٨).

الجدول الأول - الليبيون و شعوب البحر في المصادر المعاصرة والكلاسيكية:

المسادر	المسادر	رعمسيس	رعمسيس	مير - ان -	رعمسيس'	"أمين –حوتب"
الكلاسيكية	الحيثية	الثالث	ಎಟಿಗ	بتاح*	الثانى	الثالث
		(سنة ۸)	(سنة ه)			
ليشيا	لو – ك – كا		-	الرككا "	آلرککا*	اوككا
الساربونيين	_	-	-	'شارين'	'شارین'	شاردين
(ليديا)		ļ				
"کورس"	-	_	-	'إقريش'	-	-
'تررسینری'	-	-	-	تريش'	_	-
(ليديا)	'قا–رو–يشا'					

ساحالاسوس	"شی- کــا –	'شیکیلین [۔]	-	'شیکلیش'	-	_
(بیسیدیا)	لايو.			<u> </u>		
'کاریا'	کار-کی-	-	ٔ قیقیشا ٔ	_	قارقیشا	-
	الما					
واسبوس ً	-	'ويشيش'	-	-	-	-
(کاریا)						
داناردی)	"دانيا-رانا"	ًدانيين ً	-	-	-	
		_				دانونا(؟)
تكريانيين َ	-	' ئككر'	_	-	-	-
(تروه)						
'بلاسيجرتس'		'ييليست'	_	-	-	-
(إليريا؟)						
ليبيا	-	-	ال لابن	الـ لابو	الـ لاين	-
'ماکسییس'	-	-	'میشویش	(میشویش)	-	میشویش
(سيرين)			,			:
'آسبیتای	-	-	أسبتا		-	-
(سىيرين)						
-	· _	-	'شايو'		-	-
'آوسیس'	-	-	حاسا		-	-
(ليبيا)		_			ł	
_		-	بقان		-	

رحل الفرعون الطاعن في السن "رعمسيس" الثاني في سنة ١٣٣٧ ق.م على وجه التقريب بعد حكم دام ست و سبعين سنة، وخلفه ابنه الثالث عشر (بين إخوته)، بعد أن امتد العمر بالوالد كي يشهد وفاة أولاده الاثنى عشر الأوائل من أولاده المتعددين. وكان هذا الابن: "ميري ـ ان ـ بتاح" عجوزًا نهكته الشيخوخة بالفعل عندما جلس في عرش مصر. و رغم أنه تلقى تدريبًا عسكريًا في شبابه كجندي، إلا أن خدمته النشطة

فى الجيش كانت قد انتهت منذ فترة طويلة. و فى السنة الثانية من حكمه سافر مصعدًا نحو طيبة من عاصمته فى الدلتا، "كى يطالع وجه أبيه "أمون"، ملك الآلهة" و لكى يصدق على جرد كنوز المعبد، وبينما كان الفرعون يقوم بهذه الخطوة السلمية كانت قوة معادية قد زحفت نحو مصر.

شكل رجال القبائل الليبيون، منذ فجر التاريخ المصرى، شوكة فى جنب الحكومة الفرعونية، ولكن عددهم الضئيل حال دون تمثيلهم لتهديد خطير لمصر، ومع ذلك فخلال الملكة الحديثة حل القادمون الجدد من الغرب محل هذه المجموعات القبلية القديمة واستوعبوها فى صفوفهم: كـ "اللابو": Labu (الذين منحوا اسمهم فى نهاية المطاف لـ "ليبيا")، والـ "ميشويش" Meshwesh و الـ "أسبتا" Asbuta، و الـ "حسا" و غيرها (٢٩) وكان "اللابو" و "الميشويش"، بجلابيبهم الملويلة المخاطة من قطع مختلفة، ولحاهم، وكان "اللابو" و "الميشويش"، بجلابيبهم الملويلة يسدلونها على الجانب الأيمن، قد رأوا، وتسريحهم الشعرهم فى عقصة واحدة طويلة يسدلونها على الجانب الأيمن، قد رأوا، منذ وقت طويل، فى مشاهد النصر الذى أحرزه الفرعون "رعمسيس"، عدوًا ينبغى منذ وقت طويل، فى مشاهد النصر الذى أحرزه الفرعون "رعمسيس"، عدوًا ينبغى الاحتفال بهزيمته، عوضًا عن ذلك، ولكنهم أثبتوا أنهم أشد مراساً بصورة أكبر فى عصر الفرعون "ميرى- ان- بتاح" فلقد انضمت إليهم وقتذ عناصر القراصنة الذين ينتمون إلى جزر بحر "إيجة": أصبح الطريق البحرى الآن إلى ليبيا طريق إمدادات لهم.

يعطى "هيرودوت" في كتابه الرابع سردًا مفصلاً إلى درجة ملحوظة القبائل الليبية في عصصره، ويصف في الفصصل رقم ١٩١ إحدى هذه القبائل، وتدعى الماكسييس" Maxyes (="ميشويش") على النحو التالى:

غربى تريتون Triton...تقوم ليبيا التي تقطنها قبائل تسكن في بيوت عادية وتأخذ بالزراعة. في البداية جاء أله ماكسييس، وهم أناس يطيلون شعررهم ويسدلونه على الجانب الأيمن لروسهم و يحلقون الجانب الأيسر تمامًا. وتراهم يدهنون أجسامهم باللون الأحمر و يزعمون أنهم منحدوون من أهل طروادة.

و بنفس الروح يحفظ لنا "بندار" Pythian.5.81-83 (Pythian.5.81-83) تقليدًا شعبيًا يقول بأن أبناء "أنتينور" Antenor هاجروا من "طروادة" إلى "سيرينايكا". و تقول أسطورة أخرى إن الجيل السابق لحرب "طروادة" عرف شخصًا معينًا من أبناء "موبسوس"

Mopsus (أو "موكسوس" Moxos) كان يعمل رائيًا (شخص مقدس يتنبًا بالأحداث والتطورات قبل وقوعها، و في الديانة "الموسوية" كان يقوم بتفسير رؤى الأنبياء التي يكتنفها الغموض المترجم.) مع الـ "أرجونوت" Argonauts، و لقى حتفه متأثرًا بعضة ثعبان على الساحل الأفريقي و دُفن في "سيرين" Сугепе، و تشهد كل هذه التقاليد على استمرار حقيقة تاريخية في الذاكرة الشعبية: في الفترة التي شهدت انهيار مملكة "أخضيياوا"، و تحرك التجريدة التي استهدفت "طروادة"، كان الطريق إلى الساحل الليبي مطروقًا تمامًا من جانب القراصنة الإيجيين. و لقد سجلت نقوش الفرعون "ميرى ـ ان ـ بتاح" الحقائق التي تعد تلك التقاليد الشعبية ذكرى باهتة لها.

و إذا كان لنا أن نحكم استنادًا إلى رواية "ميرى - ان - بتاح"، فإن العاصمة لا تكون قد علمت بالغزو الليبى إلا في مطلع أبريل/ برمودة من السنة الخامسة من حكمه(٢١). فلقد اجتاحت قبائل البدو، بقيادة "اللابو" عدييًا و سباسيًا أقصى شمال سلسلة الواحات الغربية، و دخلت الدلتا(٢٢). و حشد الفرعون، بعد أن زاره في الحلم الإله "بتاح" و شمله برعايته، قواته و صمم على مهاجمة الغزاة في أوائل شهر مايو/ بشنس(٢٦). و كان المعدو الذي يواجهه الفرعون يمثل تحالفًا جرى تصوره بشكل واع، وحشده من جانب ميريى" والجهه الفرعون يمثل تحالفًا جرى تصوره بشكل واع، النصموا إلى قيادييهم، طلب "ميريى" العون من شعب جزيرة "كوس" آلاين النين المينيين" المردانا" و من الد "شردانا" والمينيين" المورى هؤلاء بدورهم مجموعات أصغر من الد "شردانا" والتيرسينوي" المعارضين لمدة ست ساعات متصلة في "برديرو" Par-yeru قرب "بوتو" بشمال غرب الدلتا، (٢١) حتى انهار الغزاة و ولوا الابار. وخلافًا للاشتباكات قرب "بوتو" بشمال غرب الدلتا، (٢١) حتى انهار الغزاة و ولوا الابار. وخلافًا للاشتباكات الاصغر بصورة واضحة في عصر الفرعونين "تحوت - موسى" الثالث و "أمين - حوتب" الثاني، انقلبت الهزيمة النكراء إلى مجزرة: بينما تحجب المصادر المصرية خسائرها، الأن القاتل في صفوف العدو بلغ ما يزيد على تسعة آلاف شخص.

و لكن الليبيين كانوا أكثر عددًا من أن بوقفوا داخل حدودهم. ففى خلال الخمس و عشرين سنة من الحكومات الضعيفة التى أقامتها نظم أربعة فراعنة خلفوا "ميرى - ان - بتاح" دون أن يعمروا طويلاً في العرش، دخل "اللابو" و "الميشويش" إلى غرب

الدلتا دون أن يصدهم عائق، وتوغلوا شرقًا حتى استقروا على ضفاف الفرع الأوسط من نهر النيل، بعد أن دمروا مدن و قرى مركز خويت Xoite (۲۷). و كان سيئ الحظ سيء بتاح الجالس على عرش مصر، الذي يعاني من مرض شلل الأطفال و من المكائد التي تحيكها ضده أخته تا وسرت (؟) و مستشاره الكنعاني بي معًا، أضعف من أن يوقفهم (۸۲). و وقع على كاهل عائلة الفائز في انقلاب قصر، و هو سيت ناخت الفذ أن يعالج المشكلة، و على أيدى الفرعون "رعمسيس" الثالث، بن "سيت ناخت" وجدت مصر في نهاية المطاف منتقمًا مقتدرًا.

تركز انفجار أولى الأعمال الحربية عقب الضلافة الأسرية بين "اللابو". و كان الفرعون "رعمسيس" الثالث قد رفض الإفراج عن أحد أبناء الحاكم، بعد أسره، كي يتولى العرش بعد والده، ونجم عن ذلك عبور "الليبيين" للحدود و شنهم للهجوم (٢٦). و على غرار ما حدث في الماضي، كان "اللابو" قد ضموا إلى صفوفهم قوات معاونة: من ليبيا ذاتها كانت قبائل الـ "ميشويش" و "أبستاي" و "الحسا" (١٠) و من جزر بحر "ليجة"، مرة أخرى و مفرزة من الركن الجنوبي الغربي لأسيا الصغرى، هذه المرة من الـ "كاركيسسا" Karkisa إلى مفرزة أخرى من "ساموس" و من "أبديرا" حكاركيسسا " Abdera وكان النصر الذي حالف المصريين هذه المرة أكثر اكتمالاً من ذلك الذي أحرزوه تحت ظل حكم الفرعون "ميري ـ ان ـ بتاح":

انظر! لقد مزقتهم ("رعمسيس" الثالث) و أبدتهم بضربة واحدة. لقد أطحت بهم، و صرعتهم في دمائهم. وحولتهم إلى أكوام من الجثث، ولقد رددتهم عن حرمة الحدود المصرية التى دنسوها ... و أحضرت من تبقى منهم كأسرى عديدين، يتكفأون في سيرهم أمام خيولى في قيودهم كالاجاج، هم و زوجاتهم و أطفالهم بعشرات الألوف" (٢٤).

و هكذا انتهى التهديد الليبى، مع أن أبناء قبائل الـ "ميشويش"، عادوا مرة أخرى، بعد ذلك بست سنوات، كى يجهزوا، وحدهم، لغزو مصد، ولكن جهدهم أثبت وهنه. ولكن تفصيلة صغيرة فى السجلات التى تركها وراءه الفرعون "رعمسيس" الثالث فى معبده الجنائزى العظيم فى "طيبة" تعد بمثابة نذير بما كان سيحدث: رئيسان أسيران

يحمل كل منها اسمًا يغاير الأسماء الليبية تمامًا هما "ميلي" Melie و "موشيون" Moschion، كل منهما يصاحبه "مخصص": أسير راكع، على نحو ما هو معروف عن الكتابة الهيروغليفية، يرتدي غطاء رأس عريض يعلوه عدد من الريش(٢١)، فسرعان ما كانت مصر لترى بحرًا زاخرًا من مثل هذا الريش.

غزو السنة الثامنة:

كانت المواجهات السابقة التي خبرتها مصر مع قراصنة بحر "إيجة" قد عودت المصريين أن يبحثوا عن محاربين أشداء يستقلون "مراكب مستطيلة" يعترمون شن غارة سريعة يعقبها انسحاب سريع بنفس الدرجة (تذكر طحمة اله "أوديسا" لهمير" مثل هذه الغارات: ٢٤١-٢٤٢ و ما بعدها، و هو ما يجوز حقاً أن يكون ذكريات باهتة للتجاريد تحت ظل الفرعون "رعمسيس" الثاني أو الفرعون "ميري - ان - بتاح") وحتى المسرق أخذ يتعرض من حين لآخر لزيارة أفراد من الساحل "الأبوني" أو "السايكلاد" Cyclades (11) و لكن ما لم تخبره مصر أو فلسطين، من قبل، مع ذلك أو "السايكلاد" غيمة أبناء شعوب قادمين من بحر "إيجة"، عازمين على الاستيطان. و بينما كانت التجارة مع اليونان و جزرها قد شهدت ازدهاراً، كما سبق أن لمسنا في العصر البرونزي المتخر، فليس هناك نتفة دليل تؤيد الجدل الذي يذهب إلى أن موجات قديمة من "شعوب البحر" كانت قد استقرت بالفعل على السهل الساحلي لفلسطين قبل السنة الثامنة من حكم الفرعون "رعمسيس" الثالث (11) في نوعه، وكل الإشارات إلى هذه السنة الشامنة كان مصابينين وردت في "التوراة" لابد و أن تكون بعد هذه السنة لا قبلها.

دأب الباحثون على القول بأن ائتلاف المجموعات السبع التى شكلت الحشود الغازية قد أخذ شكله على نحو مفاجئ، وأن الغزو قد جرى على نحو عاجل، غير أن الحقيقة أن هذه السنة الثامنة تشير ببساطة إلى سجل هزيمتهم على أيدى المصريين، وبَشكيل ائتلافهم أو حلفهم، يجوز تمامًا أن يكون قد حدث قبل ذلك بسنوات عديدة (٢١).

وحتى وقت قريب، كان السجل الوحيد الذى لا يزال محقوظًا نملكه تحت أيدينا عن غزو تلك الشعوب للشرق الأدنى لم يكن سوى سجل الفرعون "رعمسيس" الثالث نفسه، المحفوظ على جدران معبده الجنائزى، بمدينة "هابو" فى "طيبة"، و لقد ظل هذا السجل بمثابة الرواية المعاصرة الوحيدة للحدث، مع الاكتشافات المثيرة التى توصل إليها المنقبون فى "أوجاريت" (٤٧).

"عقدت البالا الأجنبية اجتماعًا(؟) في جزرهم، ثم انفجروا في كل اتجاه وانتشروا يصطرعون مع كل البلاان في نفس الوقت، ولم يستطع أي بلا أن يصمد أمام أسلحتهم، بدءً برءً ب "خاتي (ثم) "قود" Qode، و "كركميش" و "أرزاوا" (؟) و ألا نصب معسكر و "الاشبيا" (= قبرص)... قضى عليها كلها (في ضربة واحدة) (؟) و لقد نصب معسكر في مكان ما في "أمورو"، و قاموا بإهلاك الشعب و الأرض، حتى صارا و كأنهما لم يكن لهما وجود. و استمروا فيما هم فيه حتى قدموا، تسبقهم نيرانهم، و قد وجهوا وجوههم شطر مصر. و كان حماتهم (؟) الرئيسيون هم "البليسيت" Peleset و "التكرو" Tjekru و الد "واشوش" Shekelesh و الا "واشوش" Tjekru و كانت وكل البالا اتحدوا. و وضعوا أيديهم على أقطار بعيدة بعد دائرة الأرض، و كانت فكل البالا اتحدوا. و وضعوا أيديهم على أقطار بعيدة بعد دائرة الأرض، و كانت

نقابله في الجداريات المصرية إذ نجد له نظيرًا (من الجائز أن يكون مخصصمًا") في كتابة "قرص فيستوس" Phaistos disk، الذي اكتشفه للنقبون في مطلع القرن العشرين في فيستوس" بجزيرة كريت". وفضالاً عن ذلك هناك العديد من الكتاب الكلاسيكيين يقررون أن ريش الخوذ جرى استخدامه لأول مرة على خوذ المحاربين في "كاريا" Caria في جنوب غرب أسيا الصغرى، شمالي "ليشيا" Lycia). و من المثير للاهتمام حقًا أن "الكاريين" و "الكريتيين" يظهران، كليهما، كدليلين عرقبين في قوائم الصراس الضصوصبيين الذين جندهم ملوك "يهدودا" للعمل في خدمة هم من 'فلاسطين' Philistia (٠٠) أما بخصوص هذين الاسمين: "البليسيت" و 'التيكرو' فعدد من الباحثين يقارنون بينه و بين "البياسجيانيين" Pelsglans، و هو اسم غامض إن لم نقل ملغز للأقوام الذين سكنوا جزر بحر "إيجة" قبل اليونانيين(١١). و يعيد اسم "التيكرو" إلى الأذهان ذلك البطل الذي أعطى اسمه لقبيلته: تيكر Teuker وهو يرجع إلى "ترود" Troad و كذلك "زاكسرو" Zakro فسى "كسريت" (٢٥). أما عن الآخرين فالد "شيكيليش" (والـ 'تيريش" Teresh) يرتدون أغطية رأس و ميدالية كبيرة على صدورهم، و يحملون حريتين و ترسًّا مستديرًا، و لقد ظل الباحثون يعتقدون منذ فترة طويلة أن موطنهم الأصلى يرجع إلى ساجالاسوس Sagalassos في "بيسيديا" Pisidia (٥٢). ويبدو أن الـ واشوش برتبطون بجزيرة "لاسوس" Lassos قبال ساحل "كاريا"،(10) ويختصوص "الدانو" ظل الباحثون يعتقدون لمدة طويلة في أنهم يتسماثلون مع الـ دانونان " Dan'ans الذين ورد ذكـرهم عند "هومـيـر"، وهو اللقب الذي أطلق على اليونانيين بصفة عامة، وإن كان قد أطلق في الأصل على أحد التجمعات التي سكنت فى أرجيف Argive^(٥٥).

يبدو أننا نتعامل، في الغزو الضخم الذي حدث في السنة الثامنة، مع انتلاف من الشعوب قدمت من الساحلين "الأيوني" و "البسيدي" Pisidian، و يرتكز بوجه خاص على "كاريا"، وهو ائتلاف ربما يكون قد ضم يونانيين من أعماق بلاد اليونان، خصوصاً والسجل البحري يؤيد ذلك: سفن شعوب البحر، و كما صورتها جداريات مدينة "هابو" مصنوعة إلى حد كبير وفقًا للطرز الإيجية (عوضاً عن الكريتية)(١٥). هل هناك ما يمكن أن يقال بعد هذاً؟

تعد الفترة التي شهدت هجوم شعوب البحر، أي خواتيم القرن الثالث عشر ق.م. بمثابة مستهل العصر الحديدي. و هي الفترة الأقدم التي تقع داخل نطاق الذكري التاريخية الغائمة لليونانيين المتأخرين، كما انعكست في الأساطير التاريخية للقرنين السيادس و الرابع ق.م. فترغم مترون الزمن، والميل نصو تشتخيص الأحداث غيير المشخصة، والتشوه الذي لا مناص منه أو المفارقات التاريخية anachronism، إلا أن الأساطير تظل، رغم كل ذلك، قادرة على إلقاء أسطع الأضواء. فتقول التقاليد الشعبية، على سبيل المثال، إن "موبسوس" Mopsos، و هو من "كولوفون" Colophon كان ابن هاربين من 'بيوتيا' Boeotia، خلال السنوات التي أعقبت مباشرة 'حرب طروادة'، وقد قاد "الشعوب" من الساحل "الأيوني" عبر جبال "طوروس" كي يدخل بهم إلى "بامفيليا" Pamphylia و "سيليسيا" Cilicia، ومن هنا توغل بعض المهاجرين أكثر كي يدخلوا فاسطين و سوريا (٥٠٠). و على نفس المنوال تربط التقاليد الشعبية بين "أمفيل خوس" Amphilochos، هو الآخر و بين حركة بدأت من جزر "إيجة" في طريقها إلى "بامفيليا" بعد أحرب طروادة"، و أصبح المؤسس المشهور لـ أبوسيديون" في سوريا(١٩) و بالمثل قاد "تيكر" Teuker شقيق أأجاكس الذي شارك في حرب طروادة، هجرات انتهت في قبرص و "سيليسيا" (٥٩) و كذلك "أجابينور" Agapenor، ملك "الأركاديين" الذي يقال إنه توجه إلى قبرص بعد "حرب طروادة" (١٠). و إذا كانت هذه الأساطير، التي تعد بمثابة النماذج البارزة لسلسلة من الحكايات المائلة، تنفذ الهجرات إلى مسافيات بعيدة مثل سيوريا، فإن الأساطير المؤسسة التي ترتبط بالمدن الفلاسطينية Philistine التي قامت في أوقات لاحقة تحمل هذه القصيص خطرة أبعد عن طريق ربط "عشقارن" Ashkelon بهجرات من "ليديا" Lydia و "غزة" بالجئين من "کریت"^(۱۱).

على أن الأدلة المعاصرة بالإضافة إلى تلك الكلاسيكية تسمح لنا برسم هذه الصورة التخطيطية التالية: عند نهاية القرن الثالث عشر ق.م. وجّه مجهود مستقتل في سبيل إعادة توحيد التجمع الميسياني المتداعي، ائتلافًا مفككًا من دول كانت في الماضى أعضاء فيه، ضد طروادة ، التي كانت تتزعم فيما مضى التحالف الأيوني السابق ضد الحيثيين، و في غضون السنوات القليلة التي أعقبت إنزال الهزيمة

ب "طروادة" تجمُّع بعض أعضاء التجريدة "المسيانية"، تحت قيادة جيوب معينة من كاريا"، مع بعضهم البعض الآخر كي يشكلُوا تحالفًا فضفاضًا و تحركوا باتجاه الشرق على امتداد الساحل الجنوبي لأسيا الصغرى، مصطحبين عائلاتهم، كي يستقروا في سبهول "سيليسيا" و شمال سوريا. كما انتشرت حركات فرعية لمسافات أبعد و أعرض. و لقد احتل اليونانيون "سارديس" Sardis (= عاصمة "ليديا" القديمة وكانت تقع قرب مدينة "إزمير" الحالية في تركيا المترجم.) حوالي ١٢٠٠ق.م. (٦٦) وانطلقت بعض سفن الحركة إلى قبرص. وعبثًا حاول "سوبيلوايوماس" الثاني أخر ملوك الحيثيين إنقاذ الموقف: اصطفت سفن قبرص ضدى في صف واحد ثلاث مرات القتال في عرض البحر. فدمرتها، واستوليت على هذه السفن وفي عرض البحر أشعلت فيها الثار." ومم ذلك فبعد عدة سطور وحسب نسمع مرة أخرى أن: "خرج العدو في جموع حاشدة من قبرص خندي (٦٢). و الحقيقة أن سفن المغيرين أصبحت تظهر على مختلف أنحاء الساحلين القبرمسى و السورى. و الواقع أن الدول المحلية في منطقة سوريا لم تكن بحال من الأحوال ضعيفة أو متفسخة، فبعد قرن من ازدهار التحارة الحرة عرفت رخاء غير مسبوق. فكان في طوع "أوجاريت" وحدها أن تحشد أسطولاً من مائة و خمسين سفينة، وهذه قوة أكبر من أي أسطول تستطيع أي دولة يونانية أن تحشده بمفردها، وفقًا لما انعكس في "الإليادة"(١٤). و مع ذلك فالأرشيفات الأخيرة لـ أوجاريت، التي كانت موجودة في الأفران كي تتحمص (بصفتها ألواحًا من الطين المترجم.) وقت سقوط المدينة، تعكس السيناريو، الذي لم يدر بخلا أحد، حيث اشتبكت القوات الأوجاريتية في القتال ضد عدو مجهول الاسم في جبال "طوروس" كحلفاء للحيثيين، و في نفس الوقت كانت سفن العدو تغير على الساحل. و كانت قبرص تتعرض لضغوط مكثفة، ولم يكن في وسع ملك الجزيرة أو وزيرها أن يقدم أي نصح أكثر من : احترس! عشرون سفينة معادية كانت هنا و لكنها رحلت الآن، إلى أين هذا ما لا نعرفه! هل شوهدت السفن المعادية قبال الساحل السورى؟ طوقوا مدنكم بالتحصينات، وابتعدوا بقواتكم و عجلاتكم الحربية إلى داخل البلاد. راقبوا تحركات العبور اعتصموا برياطة الجأش! (١٥) و لكن المدينة لم تستطع الصمود، والقد أرسل أخر ملوك 'أوجاريت' رسالة بانسة إلى قبرص: 'الأن جاءت سفن العدو، ولقد أشعلت

النار في مدنى و ارتكبت الفظائع في بلادي، والدي! ألا تعرف أن كافة قواتي في "خاتي" و جميع سفني في "ليشيا(٢١).

كانت نذر النهاية عالقة في الأفق. فالحقيقة لم يكن هناك من يستطيع التصدي لهؤلاء المغيرين، فلقد وقعت خاتوساس فريسة التدمير و في ضربة واحدة زالت الإمبراطورية الحيثية من الوجود. و خُربت طرسوس تمامًا مثلما حدث له إنكومي Enkomi في قبرص. و سهدمت كل من آلالاغ و آوجاريت، بون أن تمتد يد لبنائهما بعد ذلك أبدًا. و اختفى العصر البرونزي المتأخر في المشرق في لحظة واحدة: ويعطينا علم الحفريات (= الأركيولوجيا) بعدًا خطوطيًا (= جرافيكيًا) للرعب الذي حمله إلينا السجل المدون (١٧).

انطلاقًا من معسكرهم في "أمورو"، أي في وادي نهر "الكبير" تدهرج التحالف جنوبًا: نقطتين تفق بعض النساء و الأطفال في العربات التي تجرها الثيران، بينما سارت السفن بطيئة بنفس الوتيرة قبالة الساهل. و تتمثل إحدى الفجوات المفعمة بالسخرية في سجلاتنا، في أننا لا نعرف الموقع المحدد للمعركة (أو المعارك) النهائية. ولكن جداريات الفرعون "رعمسيس" تشير (ربما دون قصد) إلى أنها لم تكن داخل، ولا حتى على مشارف دلتا مصر. إذ كان الفرعون قد تنبأ بقدومهم، و لهذا أقام خط تحصيناته في أسيا:

أعددت حدودى فى "جاهى" Djahy و حصنتها ضدهم بالرؤساء و قادة الحاميات و بالفرسان (= ماريانو Maryannu). و لقد حصنت مصاب النيل، حتى صارت حوائط صلبة، يحميها أسطول من السفن الحربية و سفن الشحن و القوارب...كما زودتها من مقدمة المركب إلى مؤخرتها بمحاربين شجعان مدججين بالسلاح، وكذلك بالمشاة، وكلهم من أفضل المحاربين الذين أنجبتهم مصر (١٨٠). و لكى يتولى قيادة الهجوم المضاد: (شد جلالته الرحيل إلى جاهى (١٩٠) و الحقيقة أن جاهى اسم يصل فى الفموض و الإيفال فى القدم حدًا لا يساعدنا فى هذا المعدد، ولكن تقليدًا ينبع، فيما يظهر جليًا، من زانتوس (القرن الخامس ق.م،) يضع جيشًا "ليديًا" (= من ليديا) على مقربة من عشقاون خلال هذه الفترة التى يتناولها هذا الفصل (١٠٠). و يبدو واضحًا أن الحركة لم تتوقف إلاً عند الطرف الجزري الساحل المشرقي.

و بينما لم يكن النصر الذي يدعي الفرعون "رعمسيس" تحقيقه، على وجه الاحتمال، كاملاً، على نحو ما يريدنا أن نعتقد، إلا أن وقفته كانت كافية لكسر التحالف و إجبار أطرافه على الفرار. أما السفن التي نجحت في التسلل إلى الدلتا فجرى التعامل معها على وجه السرعة: "أولئك الذين قدموا على متن البحر، قابلوا ألسنة اللهب للهلكة عند مصاب النيل.. و انتشل منهم من انتشل و حوصروا و طرحوا على الشاطئ أكوامًا كي تعمل فيهم السيوف من روسهم حتى نيولهم (١٧) و أبحرت بعض قبائل "الشيكيليش" إلى "صقلية" (التي منحوها اسمهم)،(١٧) أما "الدائر" فريما يكونون قد عثروا على ملجأ لهم في قبرص، بينما اختفى "الواشوش". و لكن ما جرى عثروا على القائل.

الهوامش

- (١) حول منا الزواج انظر الأن:
- K.A.Kitchen, Pharaoh Triumphant (Warminster, 1982), 83-89.
- (٢) على سبيل المثال :(1947-241-419) JCS 1 (JCS 3934) الموجهة بالضرورة إلى "تردخاليياس" على أساس العبارة التي وردت فيها في السطر العشرين و تقول: "أنا شقيق والدك"، فلعلها تشير إلى علاقة تستند إلى معاهدة بين "رعمسيس" و بين "هاتوسيليس".
 - J.Strange,Caphtor/Keltiu: A New Investigation (Leiden,1980),99-101 (1)
- (حول النصوص و المراجم) إسباغ الحروف الصوائت على الكتابة المقطعية المصرية سوف يعطينا، على نحو ما قد يتوقع المراشوعًا من التعزيم في اللغة اليونائية.
 - Ibid.,56-70. (£)
 - (٥) للاطلاع على مصادر و مراجم انظر:

W.Helck.MDAIK 39 (1983),81-92;E.Cline,Orientalia 56 (1987),1-36.

(٦) بين الأعمال الكثيرة عن العصر المسياني قد يستطيع المرء أن برجع، و أن يعود خاسرًا، إلى الأتي:

E.Vermuele, Greece in the Bronze Age (Chicago,1972) 232-80; F.Stubbings, Mycenaean Pottery from Levant (London,1952); A.E.Samuel, The Mycenaean in History (Englewood Cliffs, N.J.,1966); J.Chadwick, The Myceaeans World (Cambridge,1976); W.Taylor, The Mycenaeans (London, (1983); also the pertinent chapters of CAH³ II.

و حول المسادر الحيثية التي تتصل بهذه الفترة انظر:

G.L.Huxley, Achaeans and Hittites (Oxford,1960); F.Schachermeyer, Mykene und das Hethiterreich (Vienna,1986);

و حول الصلات المسيانية مع مصر و شمال أفريقيا انظر:

J. Vercoutter, L'Egypte et le monde égéen prehellénique (Cairo, 1956); W. Helck, Die Beziehungen Ägyptens und Vorderasiens zur Ägäis (Dermstadt, 1979); P.W. Haider, Griechenland-Nordafrica (Darmstadt, 1988), 1-3.

و حول الحاجة الأولية للأمن الدولي كظرف مصاحب للتجارة، انظر:

N.K.Sanders, The Sea Peoples (London, 1985), 48-49.

C.F.A. Schaeffer, Le Palais royal d'Ugarit (Paris,1954). 107 (RS 16.238); (v) M.Astour, in H.Hoffman,ed., Orient and Accident: Essays Presented to Cyprus Gordon (Neukirchen) (1973), 17-27; Sandars, Sea Peoples , 48, 77; cf.

الوطن المزعوم للإله الأوجاريتي كوثر في:

KPTR: M.Astour Hellenosemitica (leiden, 1965), 110, n.3.

- G.F.Bass, Cape Gelidonya: A Bronze Age Shipwreck, Transactions of the Ameri- (A) can Philosophical Society 57, no.8, (Philadelphia, 1967); C.Pulak, AJA 92 (1988),1-37.
- V.Hankey, Melange de L'Université Saint-Joseph 46 (1970), 24-26;R.S. Merrillees (1) and J. Winter, Bronze Age trade between the Aegean and Egypt (Brooklyn, 1972); A.Leonard, Jr., BASOR 241(1981), 87-100; Sandars, Sea Peoples, 57, 75.
- KUB XXIII, 1: Huxley, Achaeans and Hittites, 8; on Akhkhiyawa, see (1-) H.G.Güterbock, in M.J.Mellink, ed., Troy and the Trojans (Bryn Mawr, Penn., 1986), 33; T.R.Bryce, Oxford Journal of Archaeology 8 (1989)297-310; and idem. Historia 38(1989), 1-21.

(١١) حول هذا المنطلح انظر:

D.Page, History and the Homeric Iliad (Berkeley, Calif., 1963), 183-88; Schachermeyer, Mykene und das Hethiterreich, 56 andn. 3.

(١٢) على وجه العموم حول اللوككا (Lycians) انظر:

Page, History, 24; J.Gastang and O.R.Gurney, The Geography of the Hittite Empire (London, 1959), chap.6; T.R.Bryce, JNES 33(1974), 395-404.

(١٣) يربط البعض بين "الشردانا": Shardana من جهة و الـ السربونيين": Sardonians في أسطورة "تالوس"، ومع جبل "ساردينا": Mount Sardena و سنهل الساربوني بين "سارديس" و "كايم" على الأطراف الواطئة لنهر "ميرموز":

Strabo, 13.626; A.R.Bum, Minoans, Philistines and Greeks (New York, 1930), 113-14. و تصور آثار الرعاسة خوذتهم للتميزة بكرتها و هالالها:

A.H.Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica (Oxford,1947), 1; 199-200; Kitchen, Pharaoh Triumphant 40.

(١٤) لا تنطبق الإضافة إلى "البحر" في عبارة "شعوب البحر" إلاً على "الشردين" و "الواشوش"

(P. Harris 76. 7; A. H.Gardiner, Late Egyptian Miscellanies {Brussells,1933}, 20:1), كما لا تنطبق الإنسانية إلى " ألبلدان" في عبارة 'بلدان البحر" إلاّ على "الإكويش" (KAI IV,8:9) Eqwesh للمنالية بأسرها التي في عبارة أبدان البحرية ألبلدان الشمالية بأسرها التي هاجمت ولكن المبارة أخذت في الكتابات الحديثة تمتد كي تشمل مجموعة البلدان الشمالية بأسرها التي هاجمت مصر تحت ظل الفرعونين "ميري-ان-بتاح" و "رعمسيس" الثالث. و حتى الأن لم تظهر دراسة وافية عن "شعوب البحر، ربما بسبب الوفرة الذائدة عن كل حد من الاداقيب، الآثرية منها أو النصوصية (المدينة).

وقد يستطيع المرء أن يضيف إلى العيارات القتيسة في::8..6

F.Schachermayer, Die ägäische Frühzeit,vol.5 (Vienna,1982); A.Strobel, Der spätbronzezeitliche Seevälkersturm (New York,1976); Deger-Jalkotzy, ed., Griechenland die Ägäis und die Levant währrend der "Dark Ages" (Vienna,1983).

S.lakovides,in G.A.Christopoulos,ed., A History of the Hellenic World, vol. 1: (1.6) Prehistory and Prohistory (London, 1974),293.

(١٦) الأدلة الواردة سواء من الأراضي الميسيانية أن أعماق بلاد اليونان ليست حاسمة تماماً. انظر:

G.Shrimpton, Echos du monde classique 31 (1987), 137-78; cf. Sandars, Sea Peoples, 20 and n.4.24.

- Herodotus, 1.94; Diodorus, 5.53. (\V)
- G.A.Wainwright, JEA 46 (1960), 24-25; M.Astour, AJA 69 (1965), 255. (\A)
- (١٩) لعله من الشيق و البالغ الأممية في أن واحد أن نشير إلى انتشار التحالفات، لأغراض خاصة، بين البول الصغرى، تلك التي كانت دولاً توابع لدول أكبر، في جزر بحر "إيجة" اعتباراً من حوالي ١٢٥٠ إلى ١٢٥٠ إلى ١٢٥٠ ق. ١٢٥ معموعات متفرقة، إلا أن غروب العصر المسياني أجبر هذه التجمعات على التقارب كل مع الآخر على أساس مؤقت. و فيما يتعلق بالفترة رهن الحديث نستطيع أن نستشهد بـ "الفيدراليات" المؤمّنة التالية: عصبة (Bund) الأمم الاثنتين والعشرين تحت قيادة (؟) طروادة، و هي العصبة التي واجهت "تودخاليياس" الرابع (أنظر اللموظة التالية)، والاتحاد الفيدرالي تحت إشراف كوس (١٤٠٠ الذي انضم إلى الليبيين ضد الفرعون مريى-ان-بتاح"، والفيدرالية اليونانية ضد "طروادة"، و تحالف "قايقشا": Qayqisha قد مصر الليبيين ضد الفرعون "رعمسيس" الثالث، و التحالف الأكبر تحت قبادة "البليسيت": Pelesel ضد مصر (انظر جدول رقم ١) و لعله من المثير للاندهاش ضخامة عدد التحالفات التي يبدو أن تلك التجمعات قد شرعت في إنشائها، في إنشائها المسين الشائه المستونة المستو

KUB XXIII,11-13,27-28; Huxley, Achaens, 321-33; : (Y-)

برجع العلماء بصفة عامة حادث المادورتاس: Madduwaltas المشهورين الأن إلى تاريخ يقع مبل _ "توديحاليياس" الرابع: \:

Holfman, Orientalia 53 (1984), 35ff.; Schachermayer, Mykene und das Hethitr; # reich,141-43.

- H.G.Gütterbock, JNES 26 (1967), 77. (Y1)
- N.G.L.Hammond, CAH3 II, pt. 2(1975)684. (YY)
- Burn, Minoans, Philistines and Greeks, 148-50. (YY)
- Vermeule, Greece in the bronze Age, 264-65; Sandars, Sea Peoples, 60-62. (YE) Hammond, CAH3 II, pt. 2 (1975)694; Vermeule, Greece in the Bronze Age, 269- (Yo)

70; T.B.I.Webster, From Mycenae to Homer (London, 1958), 136-37.

- Sandars, Sea Peoples, 84-97. (٢٦)
- J.Leclant, Orientalia 56(1987), 293-94. (YY)
- (٢٨) حول الليبيين بصفة عامة، انظر النقاش مع ببليوجرافيا(قائمة مراجع) التي سطرها جي. أوذنج (ب33; J.OsingLdÄ III(1980), 1015-33) و حول تعيين 'ليبيارش' Libyarch في عصور الرعامسة انظر: 35; (1929) 73\$ 64 (1929)

و حول تحصينات الرعامسة في الدلتا و على امتداد الساهل انظر:

C.C.Edgar, ASAE 11 (1911), 277-79; J.Leclant Orientalia 23 (1954), 75; L.H abachi, BIFAO 80 (1980), 13-30.

(٢٩) المشويش معروفون منذ حكم الفرعون المين-حوتب الثالث:

(year 34: W.C.Hayes, JNES 10 (1951), fig.10, no. 130).

أما "اللابو": Labu فمنذ عصر الفرعون "رعمسيس" الثاني (KRI II,475) و "الأسبوتاي": Asbutae عند نفس الذي ورد ذكرهم عند أهيرودوت (٤,١٦٨)، و "الهاسنا": Hasa هم "الأوسيس": Auses عند نفس المؤلف (٤,١٨٨)

- OCD2, 700; Appolonius Rhodius, 4.1518. (7.)
 - KRI Iv, 23:6. (٣١)

D.B.Redford, Pharaonic King-lists, Annals and Day-books (Toronto, 1986), 83, (***) no.105.

- KRL IV, 20:8. (TT)
- The Eqwosh: D.B.Redford, JAOS 103 (1983)0, 482-83(not the Achaeans). (٢٤) تفخر الجزيرة بحيازتها الأطلال ميسيانية مكثقة:
- Huxley, Achaeans, 27; Stubbings, Mycenaean Pottery, 21-22; J.Boardman, The Greeks Overseas (London, 1980), 27;

و حول النشار المزخرف من كوس بأغطية روس يعلوها الريش انظر:

Sandars, Sea Peoples, 92-93; S.Wachsmann, International Journal of Nautical Archaeology 10 (1981), 200-201, 201, 213.

- (٢٥) من بين قوائم المقطوعي الربوس، احتل الإقبوش: Eqwosh مركز الصدارة بما لا يقاس.
 - H.De Meulenaere, BIFAO 62 (1964), 170. (٢٦)
 - P. Harris, 1, 76, 11-77, 2. (TV)
 - (٢٨) حول الداء الذي أمناب "سبيتاء": Siptah انظر:

J.R.Harris and K.Weeks, Natural History (August-Septemper 1972), 61; On Tawost, see Drenkahn, GM 43 (1981), 19-22; On Bay(Beya), see p. 225.

- KRI V, 22: 15 23: 4. (٢٩)
 - (٤٠) انظر رقم ٢٩
- Or Kayqisha (H.Gauthier, Dictionnaire des noms géographiques contenus dans (£1) les texts hiéroglyphiques (Cairo,1930), 5:154, 158); both are rendering of Karkisa i.e.,Caria (A.Goetz,Kleinasien2 ?(Munich, 1957), map; Huxley, Achaeans, 20-21; W.Helck, Die Beziehungen Ägyptens zur Vorderasien 2 {Wiebaden,1971},195).
 - P. Harris I, 77, 3-7. (11)
 - KRI V, 24:14-15. (£T)

ظهرت أغطية الرأس الفلاسطينية هذه بين الحين و الآخر بين القوات المعاونة للمصريين في أوائل الحملات التورية و حتى في هذه الحملة الليبية الأولى (F. Schachermeyer, Ugaritica 6(1969) , 454-55) و لكن السنة الحول ما إذا كان في ذلك إشارة إلى أن بعض البليسبت كانوا قد دخلوا في صفوف الجيش المصرى أو يحق لنا بكل بساطة، أن نغض الطرف عن الأمر باعتباره زخرفة تقوم على مفارقة تاريخية، سؤال تصعب الإجابة عليه.

لائة) حول إمكانية وجود "ليشيين" Lycians في "بيبلوس" في القرن السابع عشر ق.م. انظر: W. F. Albright, BASOR 155 (1959),71-72; for šikalayu (Sheklesh) at Ugarit, see. G.A. Lehmann , UF 11(1979), 481-82; E.Edel, BN 23(1984), 7-8.

- W. F. Albright, CAH3 II pt. 2(1975), 522. (10)
- (21) يصعب على المرء أن يعرف كم من الزمن يجب إعطاؤه لاستيعاب الزحوف في البر و الإبحار في البحر، تلك التي تتضمنها النصوص الأوجاريتية، و الاقتنال حول قبرص الذي شمل الحيثيين، و كذلك الأمر بالنسبة للتقاليد الكلاسيكية للهجرات (انظر النقاش اللاحق). و يتسامل المرء حول ما إذا كانت جزيرة "رودس" مسرحًا للعمليات: فالجزيرة لم تتأثر إلى حد كبير بالحركة و استمرت تجارتها النشطة مع موانئ البحر المتوسط: تايلور في كتابه "المسيانيين" (Taylor, The Mycenaeans, 160)

و أو كان استكمال حصار "طروادة" في المقبقة، هو الباعث الأقوى وراء هذه الحركة، إذن ينبغي تعيين تاريخها تاريخها كد تقطة البداية"، ولكن ليس هناك مع شديد الأسف إجماع على ذلك بين العلماء، فتواريخهم تتراوح ما بين القرن الرابع عشر إلى "إراتوستينيس" Eratosthenes'1194-1183 B.C.:

Burn, Minoans, Philistines and Greeks, 52; Stubbings, CAH3 1, pt.2 (1975), 350; R.B.Edwards, Kadmos the Phoenician (Amsterdam, 1979), 164; A.B. LLOydkHerodotus Book II.A Commentary (Leiden, 1976), 1:177-80.

و يذهب رأيي إلى أن التحالف رهن الحديث إنما أخذ شكله النهائي في رقت مبكر قد يرجع إلى صعود الفرعون (رعسيس الثالث إلى العرش.

KRI V, 39-40; W.F.Edgerton and J.A.Wilson, Historical Records of Ramesses III (1V) (Chicago, 1936), 53-56.

(٤٨) قارن الأعمال التي استشهدنا بها في رقميُّ ٦، ١٤، وهي الأعمال التي قد يستطيع المرء أن يضيف إليها: Astour, Hellenosemilica, 6; Gardiner Onomastica, vol.1:

الأعمال الكثيرة له:

G.A.Wainwright in JEA and JHS; R.Stadelmann,Lda 5 (1984),814-22.

بصرف النظر عن الهويات المحددة التي يميل إليها البعض، إلا أن اتفاقًا عامًا يجمع الجميع على أنه من الفطئ أن نتطلع شمسالي جزر بحر "إيجة" بحثًا عن هذه المجموعة أو تلك من الغزاة الذين اجتاحوا عالم المحر المتوسط.

(٤٩) حول "القرص" انظر، بين أعمال أخرى،

Die Beziehungen Ägäis, 129-30; Strange, Caphtor/Keftiu, 135-36; On crests, see Strabo,14.2.27.

تشير التروس المستديرة التي استخدمها معظم شعوب البحر إلى عالم بحر "إيجة":

(A.M.Snodgrass, Early Greek Armour and Weapons (Edinburgh, 1964), 189).

نلقد حلت محل الزريه (جمع زرد الذي يلبسه المحارب كما يلبس القميص) في القرن الثالث عشر: (T.Dothan, The Philistines and Their Malerial Culture (Jerusalem), 1982), 12);

وحول المؤيد من العتاد الحربي انظر:

Sandars, Sea Peoples, 88-95.

و حول ما إذا كنا أمام ريشة تعلو الرأس أم أمام شعر طبيعي معقوص إلى أعلى، لنظر: K.Galling, Ugaritica 6 (1969), 247-48; Schachermeyer, Mykene, 457; Dothan, The Philistines,13 and n.49.

Sam. 20:23; 2Kings 11:4, 19. (6.)

(١٥) حول 'البلاسجيين' Pelasgians. وهم في الأصل عبارة عن قبيلة ثراسيانية (الإليانة ١ ٢٠٨٤) اضطرت، على وجه التقريب ، إلى الاندفاع باتجاه البنوب كي تحتل 'ترود': (Troad(lbid) و 'أيونيا' والجزر (سترابو١٧: ١٦٢) و 'كريت' (الأوبيسا ١٩: ١٧٧) انظر:

Burn, Minoans, Philistines and Greeks, 58-59, idem., in OCD2, 704; Lloyd, Herodo tus Book II, A Commentary, 2:232-37

لولم يكن البلاسيجيين يونانيين، كما تزعم الصادر المتأخرة، فإن صعوبة قد تنشأ إذا أراد المره أن يتمسك بأن الاسماء و الكامات الفلاسطينية القليلة التي حفظها لنا الدهر، ترجع في حقيقة الأمر إلى أصدل بونانية. و ينبغي علينا أن نلاحظ أن "زانشوس" Xanthus (القرن الخامس ق.م.) يرى أن الفلاسطينيين مستعمرون قدموا من الديا :

(E.Meyer, Geschichte des Alterums (Stuttgart,1928). 2:1, 81, n.1)

E.Gjerstadt, Opuscula Archaeologica 3 (1944), 108; G.A.Wainwright, JEA 47 (61) (1961), 76; E.Forrer, Ugaritica 6 (1969),214;OCD2,1048;J.D.S.Pendelbury, The Archaeology of Crete (Oxford, 1939), 260, n.4.

T.Smolenski, ASAE 15 (1915), 86 and n.5. (or)

P.Kretschmer, Glotta 21 (1932), 230, n.3; Strabo, 14.2.21. The Sheke- (*£) lesh, Washosh and Qarqisha all display in their names the significant-ass (os) afformative, linking them to the Luwian/Lycian Linguistic group in Asia Minor:O.R.Gurney The Hittites 2 (Harmondsworth, (1944), 122-23; J.L. Caskey, CAH3 II, pt.1(1973), 139.

يكشف الشبيكيليش و الواشوش و القرقيشا في أسمانهم جميعًا عن مكون:-(ass(os) الأمر الذي يربط بينهم و بين المجموعة اللغوية المعروفة باسم االويان/اللبشيانيين في أسيا الصغرى.

Astour Hellenosemitica, 8-10, (00)

المشكلة هنا معقدة، حيث يظهر حرف النون مرتين في الأصل، و هو الأمر الذي يستدعي في النائب عقد مقارنة مع اسم المكان 'دانونا': Danuna الوارد في رسائل 'أخيتاتون (=الممارنة)55-55:50 EA عيث يبدو ارتباطه به 'كنعان'. و في سبيل إمكانية حل هذه المشكلة انظر:

R.D.Barnett, JHS 73 (1953), 142, n.2.

Wachsmann,International Journal of Nautical Archaeology 10 (1981), 195096, (03) 209-10; Vermoule, Greece in the Bronze Age, 258-60, fig.43; see also A.Raban, International Journal of Nautical Archaeology 18, no.2 (1989),163-71.

Barnett, JHS 73 (1953),140-42;OCD2 . 239, Hammond,CAH3 II.2 (1975),679- (eV) 80, Forrer, Ugaritica 6 (1969),211-16.

Herodolus, 7.91; Strabo, 14.5.17. (aA)

See n.52. (01)

M.Fortin, in Mélanges d'éludes anciennes offerts à Maurice Lebel (Quebec, (٦٠) 1980), 25-44.

R.Drews, The Greek Accounts of Eastern History (Cambridge, Mass.,1973). (11) 102; Stroebel Seevölkersturm 211; M.A.Meyer, History of the city of Gaza (New York,1907), 6; R.A.S.Macalister, The Philistines, Their History and Civilization (London, 1912), 15, 113.

G.Hanfmann, BASoR 186 (1967),37. (3Y)

H.Otten, MDOG 94 (1963), 21; Gütterbock, JNES 26 (1967), 77. (37)

RS 18.148; Astour, AJA 69 (1965), 256. (%)

Ugaritica 5 (1968), 85-86; (%)

"إنكوميْ" Enkomi في قبرص تعرضت التدمير مرتبن عند نهاية الحقب

LH IIIC (A.H.S.Megaw JHS 73 {1953},134) و بعد هذه الصقب تترفس بين أيدينا أدلة على هجرانها .(۷.Karagereorghis Cyprus (London,1982), 84) (٦٦) Rs 20. 238 : Ugaritica 5 (1968), 87-89 لم تحمل أي سفينة من سفن شدوب البحر عبداً وفيراً السواء من المجدِّفين أو المقاتلين ، فلق اعتمد الغزاة على السرعة والفاجاة والتفوق في التسليح، راجع في Wachsmann, International Journal of Hautical Archaeolegy 10 (1981), هذا المسدد . (1981) .

For Hattusas, see K. Bittel, in Deger. Jalkor 34, ed., Griechenland, die Ägäis und (1v) die levante Während der "Derk Ages, 25-26; I. Singer, Hethitica 8 (1983), 413-21, For Enkomi, see n. 65; For Alalakh and Ugarit, see Astour, AIA 69 (1965), 255 (Albrighr, CAH. 11, pt-2 (1975), 507 FF., is now wor thless. Ugarit still stood at the very end of the 19 th Dymsty [see p. 225, n. 46]; L. Woolley. A Forgotten Kingdom (Baltimore, 1953), 163 - 64; J. T.rev. Syria 65 (1988), 395-98

KRI V, 40. (1A)

Ibid.,30:5. (٦4)

(٧٠) انظر رقم ٦١، رغم أن شعرب البحر كانوا يعرفون القدوس (جمع قادس) ثات المجاديف، إلا أن الحقيقة التي تقبل إن المنظر الذي نقابله في "مدينة مابو" هو منظر معركة بصرية.Medinet Habu,vol (Chicago, 1930), pls.37-41) التي تقبل (Chicago, 1930), pls.37-41 لا يكشف عن مجاديف حمله البعض كي يعنى أن الأسطول المصرى أخذ العبو على حين غرة، وهو راس قبال الشاطر؛ انظر:

L. Casson The Ancient Mariners (New York,1959), 41-42; idem, Ships and Seamenship in the Acient World (Princeton, N.J.,1971), 38.

وعلى نفس المنوال فاقد تصور البعض أن وجود العربات التى تجرما الثيران و على متنها نساء وأطفال يشير إلى أن شعوب البحر hT سروا خلال زحفهم: (.Medinet Habu 1:pl.32) و غنى عن الذكر أن مذا الأمر كان يلح على افتدة فنانى الرعامسة إلحاحًا شديداً، مع أن دقتهم في نقوش هذا المعبد الجنائزي على وجه الخصوص، مشكوك فيها إلى حد ما.

KRI V, 40-41. (YI)

Not the Tjkru (W. F. Albright, The Vocalization of Egyptian Syllabic Onhography (YT) [New Haven, Conn., 1934], 65; Edel BN 23 [1984], 7),

فألمرف الأول مجهور احتكاكي وليس حرف صفير،

الفصل العاشر مجىء إسرائيل "هؤلاء هم بنو يسرائيل..."

لاحظ القارئ الصبور الدقيق الملاحظة، دون شك، أننا لم نشر حتى هذه النقطة من دراستنا، سواء إلى إسرائيل أو إلى أسلافه من الآباء. والسبب في ذلك لا يخرج عن كونه سببًا استقرائيًا: ليس هناك على وجه التقريب، في مصادرنا سواء المصرية أو تلك الأسيوية الغربية، أي إشارة إلى إسرائيل وأشباهه أو الرفاق (= الآباء والأنبياء) التوراتيين قبل القرن الثاني عشر ق.م. وحتى بعد هذا التاريخ لا نستطيع طوال أربعة قرون لاحقة أن نستخلص أكثر من ست إشارات بالكاد.

الدليل التوراتي وتفسيره التقليدى:

يتوازى أيضًا مع هذا القحط فى الإشارات غياب مماثل على الجانب التوراتي لأى الماءات محددة تشى بمعرفة ما، سواء بمصر أو بالمشرق خلال الألف الثانى ق.م. فليس هناك ذكر لإمبراطورية مصرية تشمل شرق البحر المتوسط، أو تلميح لجيوش مصرية تزحف فى مصلات تأديبية، وليس هناك حديث عن قوات حيثية تزحف فى الاتجاء المضاد أو إيماءة إلى حكام مقيمين أو ملوك صغار متمصرين يحكمون المدن الكنعانية، وليس هناك أى كلمة عن جزية ثقيلة أو تبادل ثقافى. أما عن أحدث وأخطر هجرة مدمرة عرفها الألف الثانى، أقصد هجرة شعوب البحر (المتوسط)، فكاتب الأسفار الستة لا يعرف عنها شيئا يستحق الذكر. وسفرا "التكوين" و"الخروج" يجدان

الفلاسطينيين" Philistines وقد استقروا في الأرض في زمن 'أبراهام'' (قارن 'تكوين' ٢٦ في مواضع مختلفة من النص، "الخروج" ١٢ : ١٧ ، ٢٣: ٢١). والفراعنة العظام، ملوك الإمبراطورية المصرية، الأمانحة (جمع تكسير لـ أمين - حوتب) والتحامسة والرعامسة يشملهم الغياب التام في مئات الصفحات التي يضمها "الكتاب المقدس"، وليس هناك سوى صدى خافت قد يطرق أذاننا لأسمائهم في أسماء الأماكن التي ترد بصورة عرضية، دون أن يستطيع الكاتب العبراني أن يتعرف عليها بصورة منفصلة عن اسم المكان الذي يحملها(١). وفي غير هذا الموضع يجرى سنحر شخصيات تاريخية عادية إلى أبطال تاريخيين: يتحول "شيشي" Sheshy الهكسوسي إلى عملاق كنعاني أسطوري (سفر العدد: ١٣ : ٢٧)، و"سيسي ـ رع" وهولا يزيد عن كنية لـ "رعمسيس" الثاني يصبح اسمًا لجنرال كنعاني.(القضاة ٥ في مواضع مختلفة من النص)(٢) والأخطاء تترى باستمرار حتى في الفترات الأقرب زمنًا إلى كتبة "التوراة". والفرعون المصيري الذي كان من المنتظر أن يستاعد "هوشع" Hoshea في تمرده (سنفر "الملوك" الشاني ١٧: ٤) يعاني على أيدى هؤلاء الكتبة من الخلط ما يصل إلى حد استبدال اسمه باسم مدينته. وإذا ما تذكرنا أن الفرعون "شبتاكا" Shabtaka نفسه (٦٩٧-٦٩٠ ق.م. بالتقريب) ظهر في جدول الأمم (سفر التكوين ١٠) كقبيلة نوبية (٣)، وكذلك الأمر بالنسبة لاسم خلفه 'طاهركا' (٦٩٠-٦٦٤ ق.م.) الذي يفشل هؤلاء الكتبة في التعرف، بصورة صحيحة، عليه في الرواية التوراتية (سفر الملوك الثاني ١٩-٩)، فإننا لا نجد مفرًا من الاستنتاج بأن كتبة "التوراة" في القرنين من السابع إلى السيادس ق.م. افتقروا إلى معرفة دقيقة بمصير، التي لم تكن لتفصيلها عنهم وقت ذاك سوى بضعة أجيال قليلة وحسب.

مثل هذا الجهل يصيبنا بالحيرة، خصوصاً إذا استشعر المرء ميلاً نحو الانبهار بالمزاعم التقليدية حول عصمة "الكتاب المقدس"، تلك التي تطرحها المسيحية المحافظة بالنيابة عن "التوراة" (أ). والحقيقة أن الأسفار الخمسة والأسفار التاريخية تقدم، بصورة جسورة، تأريخًا chronology محددًا كان ليسند رواية "التوراة" خلال تلك الفترة التي كان الجهل والتناقض فيها يسببان أكبر الحرج (أ)، فإذا جمعنا أطوال حكم ملوك "يهودا" من السنة الرابعة في حكم "سليمان" (عندما دشن المعبد في "أورشليم": سفر "الموك" الأول ٢: ١) إلى تدمير "أورشليم" في سنة ٨٦٥ ق.م. فإننا

نجدها ٤٣٠ سنة، وهوالأمر الذي يضع هذه النقطة من حكم تسليمان إذا سرنا منحدرين إلى الوراء، بالتالي عند سنة ١٠١٦ ق.م. وعود على بدء وطبقًا لسفر الملوك الأول ١:٦ فأن عدد السنوات التي يُفترض أنها انقضت بين 'الضروج' وبين تدشين المعبد هو ٤٨٠ سنة، وهو الأمر الذي يعطينا هذا التاريخ: ١٤٩٦ ق.م. لوقوع حادث "الخروج". ولما كانت "التوراة" تقرر أن فترة الإقامة في مصر قد دامت ٤٣٠ سنة (سفر "الخروج" ١٢: ٤٠)، فإن نزول "يعقوب" وعائلته في أرض "جوشن" لابد وأن يكون قد حدث في سنة ١٩٢٦ ق.م. وإذا ما أضفنا الآن أعمار "أبراهام" و إسحاق" ويعقوب أي ٢٩٠ سنة(٦)، فإننا نصل إلى ٢٢١٦ ق.م. كتاريخ مولد "أبراهام". وهذا يعنى أن وصول أبراهام إلى كنعان كان ليقع في سنة ٢١٤١ ق.م. (قارن "التكوين ١٢: ٤)، ونسزوله إلى مسسر (تكوين١٢: ١٠-١٩) بين ذلك التاريخ وسنة ٢١١٦ ق.م.، أو تحت ظل الأسدرة العاشرة التي حكمت البلاد من عاصمتها في "هراكليوبوليس" Herakleopolis (= "الكاب" حاليًا في "الكوم الأحمر" ١٢ ك شمالي "إدفو" المترجم،) ونزول "يعقوب" كان ليحدث خلال عهد الفرعون "سنو. سرت" الأول وتستغرق إقامته طوال حكم الأسرة الثانية عشرة الغاربة، وطوال عصر الأسرة الثالثة عشرة، والاحتلال الهكسوسي، وأوائل حكم الأسرة الثامنة عشرة حتى السنة التاسعة من عهد الملكة "حتشبسوت"! وفي ضوء سفر "العدد" ٢٢: ١٢ الذي يفرد أربعين سنة التيه فإن غزو كنعان تحت قيادة يشوع لابد وأن يكون قد بدأ في سنة ١٤٥٦ ق.م.، أو غداة سلسلة المملات المظفرة التي شنها الفرعون تحوت موسى الثالث عندما كأنت كنعان بأسرها جزءً من ممتلكات مصدر، وعشية عمليات ترحيل السكان المحليين التي قام بها الفرعون 'أمين - حوتب' الثاني إلى وادى النيل. والأكثر مدعاة للاندهاش هو ما يترتب، ضمنيًا، على ذلك من وضع عصر "القضاة"، بالتحديد في الفترة من ١٤٥٦ حتى ١٠٨٠ ق.م. (٧)، وهو ما يتعاصر، تمامًا أو يكاد مع الإمبراطورية المصرية في أسيا! ومع ذلك فصصادرنا المصرية لا تذكر شيئًا عن الأباء ولا عن إسرائيل في مصر ولا يشوع أو خلفائه، بينما تلزم التوراة الصبيت تمامًا عن الإمبراطورية المصرية في بلاد المشرق. حقيقة الأمر أن كتبة 'التوراة' كانوا غير واعين، بصورة كاملة وسعادة غامرة بالتناقض الهائل بين تاريخهم" (History و تأريخهم" (Chronology) و تأريخهم"

ومع ذلك فلست أظن أن قوة الالتزام الذي ينعقد أمام كاهن الاعتراف بتأييد أحكام مسبقة سوف تسمح لعظم المفسريين المحافظين، سواء من المسيحيين أو الموسويين (=اليهود) بأن يتغاضوا عن مجمل الترتيب التأريخي، ولقد أثبت الباحثون الإسلاميون أنهم خاضعون، هم أيضًا بصورة متماثلة لاستعباد النصوص(^). فالنموذج الأساسي لـ "عصر الأباء"، والنرول في مصر والإقامة و"الخروج" والغزو والقضاة، لابد وأن يكون صحيحًا بصفة رئيسية ـ أليس هذا النموذج متماسكًا من الناحية المنطقية من الداخل؟ هل تملك نموذجًا أفضل؟ وبالتالي ينحذ البعض في ابتكار حلول كثيرة حاذقة. وقد تمثلت أكثر الحيل شيوعًا في هذا المعدد في تقليص باع الزمن إلى عدة أجيال: وبناء عليه يعنى رقم ٤٨٠ سنة في حقيقة الأمر اثني عشر جيلاً، ولكن أربعين سنة الجيل الواحد فترة طويلة أكثر مما ينبغي، أما عشرون سنة فأقرب للمتوسط، ومن هنا نكون قد تمكنا من تخفيض الرقم (أي الـ ٤٨٠) إلى النصبف وهس الأمسر السذى يضسع "المضروج" حسوالي ١٢٥٥ ق.م.، بدلاً من ١٤٨٦، ويا للعجب! ها هو يقع مباشرة خلال حكم الفرعون "رعمسيس" الثاني، وبالتالي تكون الإشارة إلى مدينة "رعمسيس" في سفر "الفروج" ١: ١١ قد وجدت تكييفًا بارعًا لها! وعلى نفس المنوال لابد وأن تكون الـ ٤٣٠ سنة التي مكثها بنو إسرائيل في مصر مكافئًا عجيبًا، ببساطة، لأربعة أجيال بالتقريب - ألم يبرهن سفر "التكوين" ١٥: ١٦ إلى هذا الحد أو ذاك على ذلك؟ - وبالتالي فإن "النزول" سيكون قد استقر عند منتصف القرن الرابع عشر، أو عند نهاية عصر "أخيتاتون". ومع أن الأعمار الهائلة للآباء لم تكن خارجة عن النطاق بالنسبة لمادة سفر "التكوين"، مثلما هو الحال معها الآن، بل كانت من الناحية الفعلية مصدر إلهامها^(٩)، إلاّ أن هذه الأعمار جرى اكتساحها هي الأخرى أو تصولت إلى تقديرات جيلية عادية، وبالتالي أصبح في وسع عصر الآباء Patriarchal age أن يشمل القرن الخامس عشر ومطلع الرابع عشر ويتكيُّف مع التوازيات "النوزية" Nuzi المزعومة(١٠). وإذا كان المرء لا يزال مبهورًا أمام "التطابقات" التي تسمح لـ "يوسف" بالصعود في مدارج السلطة تحت حكم الهكسوس، الذين كانوا

ينظرون إليه بعين العطف نظرًا لقرابته لهم بصفته ساميًا (مع أن قصة "يوسف" التوارثية تميز بوضوح بينه وبين الفرعون وبالاطه بصفتهم مصريين)، ثم ماذا لو أسقطنا اعتراضاتنا على السنوات الـ ٤٣٠ سنة وقبلناها حرفيًا؟ عندنذ سيكون "يوسف" قد دخل مصر حوالى ١٦٨٠، أي في الوقت بالضبط الذي كان الهكسوس فيه يستولون على الحكم (١١)!

مثل هذا التناول الخشن للأدلة ينضح بالشعوذة وحساب الجُمُّل (=تحويل الحروف إلى أرقام في إطار عمليات السحر وكتابة الأحجبة، إلخ، المترجم.)، ومع ذلك فلقد أدى إلى إرساء الأسس الهشة التي كتب مؤلفون استنادًا إليها عددًا مؤسفًا من الـ تواريخ لإسرائيل. إذ يتسم معظم هذه التواريخ بقبول ساذج إلى حد ما للمصادر عند قيمتها الاسمية، مصحوب بالعجز عن تقييم كل دليل في ضوء مصدره ومدى الجدارة بالركون إليه. وتمثلت النتيجة التي نجمت عن ذلك في تقليص كافة المعلومات المتاحة إلى مستوى مبتذل، وصار أي منها وكل منها بمثابة حبوب جاهرة الطحن في نطاق واسع من الطواحين. كما أنفق الدارسون جهودًا لا يستهان بها في تتَّاول أسئلة عجزوا عن التدليل على أنها أسئلة مشروعة بأي حال من الأحوال. تحت ظل أي الأسر الفرعونية كان صعود "يوسف" في مدارج السلطة ؟ من هو فرعون الاضطهاد؟ ومن هو فرعون الخروج؟ هل نستطيع التعرف على شخصية الأميرة التي انتشلت موسى من النهر؟ من أي مطرح كان "خروج" الإسرائيليين من مصر: عبر "وادي طوميلات" أم عند نقطة أكثر بعداً إلى الشمال؟ يستطيع المرء أن يفطن إلى أن هذه الأسئلة لا طائل من ورائها إذا طرح أسئلة ممائلة حول قصص الملك "أرثر"، (الأسطوري المترجم.) دون أن يخضع النص بادئ ذي بدء التقييم النقدي. من كانوا قناصل روما عندما سحب "أرثر" من الصخرة سيفًا؟ أين ولد الساحر - الحكيم "ميرلين" Merlin ؟ أين تقع "أَفْالُونْ " Avalon ؟ هل يستطيع المرء أن يتخيل، بصورة جادة، مؤرخًا كالاسيكيًا يتساءل عما إذا كان "لارباس Larbas أو "إينياس" Aneas مو المسئول عن انتجار "ديدو" Dido ؟ أين بالتحديد قفز "ريموس" Remus من فوق الحائط ؟ ماذا حدث في حقيقة الأمر مع "رومولوس" Romolus خلال هيوب العاصفة؟ وهلم جرا ؟ في كافة هذه الحالات المتخيلة لم تتعرض أي مادة من المواد التي حفزت في البدء طرح مثل هذه

الأسئلة للتقييم بصورة أولية فيما يتعلق بمدى تاريخيتها، وأى مؤدخ يعفى أى جزء من مصادره من التقييم النقدى يغامر بنقض بعض أو كل النتائج التى سينتهى إليها. ولا يهم البحث العلمى في شيء في هذه الحالة دافعه إلى ذلك - وسواء أكان موقفًا اعترافيًا (=أخلاقيًا) مسبقًا، وعلى المستوى العلمى: تفكيرًا استهوائيًا Wishful thinking أو اعتزازًا ليس في محله، بالمنهج الذي وقع عليه الاختيار فإن هذا لن يغير شيئًا في الإتلاف الناتج عن ذلك لبحثه في التاريخ. وإذا كانت المواد "التوراتية" الواردة في الأسفار الخمسة أو سسفر "بوشع" أو القضاة" سوف تصبح نوعًا من "البوفيه المفتوح" borgasbord يضم شرائح متساوية المدحة من الأدلة، التي يستطيع الباحث أن يختار منها أو يرفضها حسب ما يملي عليه الهوى الخاص، فإننا سوف نتوصل إلى "إعادات - بناء" له تاريخ" إسرائيل فيما قبل عهدها الملكي بنفس عدد الباحثين الراغبين في القيام بهذه المحاولة.

تورط الباحثون في تاريخ التوراة ، في الأونة الأخيرة، في الإقرار، سواء بصورة ضمنية أو صريحة ، بعدد من المفاهيم المسبقة ، الجزافية التي عجزت عن حيازة قبول صريح، كما تورطوا أيضًا في نذر أنفسهم لاتجاه يجلب الملل يسعى إلى إضغاء طابع عقلي على الأراء المحافظة التي تلقنوها عند أقدام الكاهن أو الواعظ أو الحاخام حتى تصير فلسفة التاريخ. وتحت ظل التورط الأول يستطيع المرء أن يذكر الرأى الذي يشيع قبوله على نطاق واسع بأن التاريخ المشهود لإسرائيل القديمة ليس سوى قضاء الإله على البشرية، وهو القضاء الذي يقود، بصورة صارمة، إلى الشلاص الشامل خلال على البشرية، وهو القضاء الذي يتوافق، كما هو واضح، مع الحدس بأن إسرائيل القديمة كانت فريدة، ويصفة خاصة في وعيها بالتاريخ وبكتابة التاريخ: لم تكتب أي من المضارتين العظميين اللتين قامتا في وادبين يرويهما نهران عظيمان، أي الحضارة المصرية أو البابلية (= ميزوبوباميا)، في حقيقة الأمر، أعمالاً تاريخية ، ولكن إسرائيل انفردت بذلك، إلى جانب اليونان، بطبيعة الحال (مع إيماءة متسرعة في اتجاه أكثر الانساق احتراماً) وعلاوة على ذلك قتلت كل من مصر و بابل ، في حقيقة الأمر، الحمية الأمر، الصية الأمر، الحية الأمر، المات على من حقيقة الأمر، الحية الأمر، المية الأمر، الحية الأمر،

التى كانت لتنتج وعيًا بالتاريخ وقادت فى نهاية المطاف إلى كتابة التاريخ: ولعلها حقيقة معروفة على نطاق واسع أن إسرائيل هى الشعب الوحيد، فى سائر أرجاء الشرق الأدنى، الذى تطورت عنده الكتابات الحولية إلى تدوين تاريخى رسمى (١٠). وتحت ظل التورط الثانى قد يستطيع المرء أن يستشهد بالمشكلة الغريبة (أو فى هذا السياق المشكلة المدركة) تلك التى تدور حول النقطة التى نستطيع أن نبدأ عندها تاريخنا المسلكة المدركة) ولم النقطة التى نستطيع أن نبدأ عندها تاريخنا السياق التوراتي (١٠)، لاسرائيل القديمة ؟ فهل نبدأه بالآباء، وبالتالى نكون قد سايرنا السياق التوراتي (١٠)، أو بنقطة /بؤرة لاحقة ؟ هل ينبغى أن نبدأ تاريخنا حيث تبدأ عملية التدوين ؟ أو من النقطة التى ظهر فيها لأول مرة اسم الإسرائيليين، أو ينبغى علينا أن نستهدف إمبراطورية داود (= دافيد) Davidic empire عندما بدأت أمة ـ دولة، على ما يبدو فى الظهور؟ (١٤) وقد يفيد تسبيق كل هذه الأسماء بـ قبل : pre و بواكيراتاريخ pre و بواكيراتاريخ pre و بواكيرا

لعله مما يررث الحزن أن هذه الاتجاهات لا تعكس تفكيرًا علميًا ولا أمانة عقلية مبدئية. ولا ينبغي أن نسى، فهم النظرة العميقة أو البصيرة التي كشفت عنها حفنة مصدودة من الأنبياء في الفترة من القرن الثامن حتى القرن الضامس ق.م. الذين تلمسوا خلال الظلام طريقًا نحو العالمية والتفسير الغائي لأفعال الإله، كي نقول عنها إنها تمثل منطلقًا عقليًا قوميًا، فلقد كان ذلك، بالتأكيد، غريبًا على إسرائيل ككل(٢٠). وعلى نفس المنوال يكون المرء مفتقرًا لمبررات كافية إذا نسب النزعة الربوبية (= الاعتقاد بوجود الإله دون الوحي أو الرسل أو التنزيل – المترجم.) الراقية التي ظهرت في اللاهوت المنفي (= نسبة له منفق) إلى الديانة المصرية ككل(٢٠). وإذا ما استمر المرء سادرًا في هذا الإيمان الخاطئ، فلابد أن يكون مرجع ذلك إلى العبء الثقيل للعبد الذي يقطعه المرء على نفسه أمام كاهن الاعتراف، وهو الأمر الذي يفتقر إلى أي محل في إطار وعي المؤرخ. أما بخصوص تسجيل إسرائيل للمركز "الأول" في تخليق وعي بالتاريخ وبالتدوين التاريخي، فإن قبولنا لهذا الأمر سوف يعتمد على الكيفية التي نعرق بها وبالتريخ والتدوين التاريخي، فإن قبولنا لهذا الأمر سوف يعتمد على الكيفية التي نعرق بها التاريخ والتدوين التاريخية والمددة، وفي هذا الصدد يبدأ عدد كبير من الباحثين، بصورة تبعث على الاندهاش، المحددة وفي هذا الصدد يبدأ عدد كبير من الباحثين، بصورة تبعث على الاندهاش،

من تعريف كلاسبكي، يصفة أساسية (١٨)، وعندما يفشلون في العثور على تطبيقات هذا التعريف في أدب مصر القديمة أو ميزويوتاميا (= بالد الرافدين.)، فإنهم يحذفون، بأريجية عالية، هاتين الحضارتين كمكانين لا ينبغي لأحد أن يتوقع أن يظهر فيهما. تقديس بمعنى الكلمة لـ 'التاريخ'. أما إسرائيل فتستثنى هنا على أساس معرفتها ب تاريخ سفر التثنية وب تاريخ البلاط court history على عهد الملك داود، فكلاهما يقبلان التصنيف، بشكل سطحي، كا تاريخ (حتى مع أنهما لا يشتركان في كثير من السمات التي تتسم بها نماذج "التاريخ" اليوناني، بل ويقتربان من أنواع أخرى معروفة في كتابات الشرق الأدني) وعلى الأقل في الحالة الأخيرة التي يتحدد لها القرن العاشر ق.م. كنقطة تاريخية date . مع أن كلاً من التصنيف كتاريخ، والقرن العاشر كنقطة تاريخية بفتقران معًا إلى أي مسوغ بأي شكل من الأشكال، كما سنرى فيما بعد(١٩). وفضالاً عن ذلك فإن تطبيق المعابير الكلاسيكية المستقاة من الدراسة الضبيقة للمدونات التاريخية اليونانية أمر، بكل بساطة، يعتوره الخلل، ولقد مضت تلك الأيام التي كان الباحثون يحللون فيها اللغات الأفرو- أسبوية (أو لغات أي عائلة لغوية أخرى) باستخدام رطان لغوى صيغ في الأصل لوصف اللغة اليونانية أو اللاتبنية: فاللغات تؤخذ الأن على الأسس التي تنبع منها، ويجرى تحليلها وفقًا لبنيتها الداخلية الضاصة دون غيرها. وينبغي، على نفس المنوال، أن يوصف بشكل أمين، نهج كل دولة فرد في تناولها لتاريخها الخاص بمصطلحاته ذاتها، دون أي إسقاط لحقها بشكل تلقائي، في خصوصيته (أي خصوصية هذا النهج) لمجرد اختلافه عن النهج اليوناني،

أما بخصوص السؤال الذي يدور حول النقطة التي ينبغي أن نبدأ بها تاريخ إسرائيل القديمة، فإن المشكلة هنا وهمية إلى حد كبير. ولعل هناك أسئلة أخرى تنطوى على مغزى أكثر أهمية مثل: تحت أي ظروف وفي سبيل أي هدف أخذت تقاليد الأسلاف الإسرائيليين شكلها ؟ أين ومتى نشأت تيمة (= موضوع) الخروج؟ أي طبيعة، وأي درجة من الوثوق نستطيع أن نوليها لأدلتنا بشأن تاريخ الفترة السابقة على نشوء الملكية الإسرائيلية، كعناصر مكونة لـ "إسرائيل" في العصر الحديدي؟

وينبغى علينا، فى إطار كافة الجهود التى نبذلها لصوغ الأسئلة الصحيحة أن نرفض الصاق صفة التوراتى سواء به التاريخ أو الأثار (=الأركيولوجيا)(١٠٠) (ولعل المعنى الوحيد الذى أستطيع فهمه من هذا الاستخدام هو أنه استخدام "ثانوى" allomorphic لمضاف نعتى: أركيولوجيا توراتى"، وهو لا يعنى سوى اكتشاف وتحليل البرديات والمخطوطات التى تحمل الأسفار "التوراتية"، والتاريخ "التوراتى" لا يخرج عن كونه تاريخ العمل ذاته أى التوراة"، منذ ظهوره فى البداية فى العمسور التى أعقبت النفى"). وفى هذا السياق يتقلص فى غالب الأحيان تأثير ما هو "توراتى" على دوائر البحث العلمى عن طريق الإقرار ضمنًا بمشروعية دراسة الثقافة العبرية والتاريخ العبرى بمعزل عن ذلك التأثير. فما يحتاج إليه البحث العلمى أكثر هو رؤية إسرائيل القديمة داخل سياقها الحقيقى فى الشرق الأدنى، وهى رؤية ان تضخم أو تقلل حجم إسرائيل الفعلى داخل داكل النطاق.

أول ظهور للعبرانيين في فلسطين

نماذج ونظريات:

إذا فحصنا ما نعلك من أدلة حول الظهور والاستمرار الإسرائيليين في "كنعان"، فإننا سوف نصل إلى أن هذه الأدلة تنقسم إلى ثلاثة أقسام متفاوتة وغير متساوية فيما بينها. ففى المقام الأول نملك التقاليد التاريخية التى حفظتها لنا أسفار "العدد" ويوشع و القضاة ، وهي التقاليد التي تمثل القسم الأول وتفوق في الحجم البحت، بما لا يقاس، على القسمين الأخرين، القسم الثاني، ويشمل الأدلة النصوصية خارج نطاق "التوراة، أما الثالث والأخير فهو القسم الذي يضم المعلومات المستقاة من علم الآثار (=الأركيولوجيا) خلال التنقيب.

لعل تقاليد إسرائيل ذاتها هي أكثر التقاليد التي تحظى بالفة واسعة نظرًا لتقديسها داخل نطاق الثقافة اليهودية - المسيحية، وتطرح علينا صورة غزو عسكري

شامل. ومن المفترض أن ذلك حدث خلال فترة زمنية قصيرة نسبيًا لا تتجاوز سبم سنوات (قارن. "يشهوع"، ١٤: ٧-١٠) ونستطيم منا أن نرمهد اتجامين بارزين. الاتجاه الأول (الذي ورد ذكره ما لا يقل عن ثلاث مرات) ويشتمل على هجوم انطلاقًا من تقادش" باتجاه الشمال إلى داخل وادى النقب" عند "حرمة" (سفر العدد ١٤: ٥٥) وآرد" (سفر العدد ١٧: ١-٣)، وهذه خطوة حاق بها الفشل في سفر "العدد" ولكن سفرى يشوع والقضاة يعلنان أنها كانت ناجحة (٢١). والقسم الثاني فيأتي بالإسرائيليين خلال إيدوم (= أدوم) وأمؤاب (= موأب في طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط - المترجم.) إلى السهل الواقع شرقى الأردن، إلى الشمال مباشرة من البحر الميت (سفر "العدد" ٢١: ١٠ – ٢١) حيث انقسم الهجوم إلى شعبتين، فمضى طابور باتجاه الشمال إلى "جلعاد" (سفر "العدد" ٣٦: ٣٦) وأباشان" (سفر "العدد" ٢١: ٣٣-٣٥) كما دحر أيضنًا "مديان" (سفر "العدد" ٣١) أما الشعبة الأخرى فعبسرت نهسر الأردن وتتوغلت حتمي المرتفعات الواقعة شمالي "أورشليم" عند "جيعون" (سفر "يشوع٢- ٩) ومن "جبعون" انطلقت حملة باتجاه الجنوب كي تؤمن مرتفعات "يهودا" وسنفوح التلال (سفر "يشوع" ١٠: ٢٨-٣٩) في حين قهرت حملة أخرى سنارت باتجاه الشيمال، السياحل و"الجليل" وشيمال وادي الأردن (سفر "يشوع" ١١ :١ -١١) وذهبت الروايات إلى أن العديد من المدن والمناطق قد عُمِّرت بالسكان: "حرمة" (سفر "العدد ١٤: ٥٥) وأرد" ("العدد" ٢١: ١-٣) و"مديان" ("العدد" ٢١) و"جبعون" ("يشوع" ٩) و"يرموت" ("يشوع" ١٠: ٣، ٢٢) أو جرى الاستيلاء عليها وخضعت للتدمير: "حشبون" ("العدد" ٢١:٢١ - ٣٠) و"أدرعي" ("العدد" ٢١: ٢٣-٢٥) و"أريحا" ("يشوع" ٢: ٦) و"عاى" ("يشوع" ٧: ٢، ٨: ٢٩) و"حازور" (="حاصور" في طبعة دار الكتاب المقدس بالشرق الأوسط المترجم.) ("يشوع" ١١:١١)

حتى القراءة العابرة لهذه الرواية كفيلة بإثارة الشكوك(٢٢). فالمدن التى تتمتع بتحصينات هائلة تسقط بسهولة أمام بدو بسطاء، خرجوا للتو من الصحراء ("لاخيش" الجبارة لا تأخذ أكثر من يومين وفقًا لسفر 'يشوع' ١٠: ٢١)، وهو عمل بطولى وجدت جيوش فرعون ذاتها صعوبة كبيرة في إنجازه. وبعض تلك المدن سقط مرتين في ذلك

السجل (قارن "بيتيل": "يشوع" ١٠: ١٦، سفر "القضاة" ١٠٦١) وبعضها الآخر سقط ثلاث مرات (قارن "حبرون": "يشوع" ١٠: ٢٦ وما بعده) ، ١٥: ١٦، "يهوديت" ١: ١٠، "دبير": "يشوع" ١٠: ١٨، ١٥:١٥ – ١٧، "القضاة" ١٠:١١، و"حرمة": "المدد": ٢١: ٢٠، "يشوع" ٢٠: ١٤، ١٠)، وهو الأمر الذي يشير إلى تقاليد متناقضة وإن "يشوع" ٢٠: ١٤، "القضاة" ١: ١٧)، وهو الأمر الذي يشير إلى تقاليد متناقضة وإن كانت مدمجة في بعضها البعض الآخر. ولعل اختلاق الأسباب يقف وراء هذه القصص إلى حد ملحوظ (٢٢) وبينما لا يقود اختلاق الأسباب إلى تقويض تاريخية التقاليد (الشعبية) بشكل كامل (٢٠٠)، إلا أنه يوغل بأصولها داخل ضباب الغموض التاريخي، ويضع مصادر المسجل موضع شك. وبالإضافة إلى ذلك، فأسماء الأعلام (= تحديدًا الأشخاص) المصريين بُساء فهمها (٢٠٠)، والمواقف والأحداث التي كانت ستقع للمملكة المتحدة يجرى التنبؤ بها قبل وقوعها (٢٦).

زد على ذلك أن المقارنة التفصيلية لهذه الرواية العبرانية للاستيلاء على فلسطين مسع الأدلة المستقاة من مصادر خارج نطاق التوراة متكذب هذه الرواية جعلة وتفصيلاً والأمر لا ينطوى، وحسب على غياب كامل، كما سبق لنا أن رأينا، فى سجلات إمبراطورية مصر، لأى ذكر أو حتى تلميح لمثل عاصفة الإبادة هذه، بل وأبضًا على أن السيطرة المصرية على تكنعان والمدن نفسها، التي يقال إن "يشوع" استولى عليها، استمرت محكمة إلى حد كبير طوال حقبة العصر البرونزى المتأخر بأسرها. ومع ذلك فالسجل الأثرى أثقل وطأة، بما لا يقاس، من هذه الحجة النابعة من الصمت ومع ذلك فالسجل الأثرى أثقل وطأة، بما لا يقاس، من هذه الحجة النابعة من الصمت حقيقة الأمر من تدمير عنيف، ولكن ذلك حدث خلال مطلع العصر البرونزى أو عند نهاية العصر البرونزى الوسيط، وأقفرت من سكانها خلال العصر البرونزى التأخر فياء أن فياء عدا المتسكمين)، أما المواقع الأخرى مثل "كادش برنيع" و"حشبون" و"جبعون" وأجبعون" في منها الاستيطان بعد وظلت هكذا حتى العصر المديدى (٢٧). وتلك المواقع التى تكشف عن تدمير شامل عند الانتقال من العصر البرونزى إلى المديدى، حوالى ماكرة على أليونزى إلى المديدى، ببساطة، أن نفسر هذا التدمير الذى أصابها بأنها حوالى محرة الاجتياح الذى قامت به شعوب البحر (٢٨). وإقليما "إيدوم" و"مؤاب" الملاين وقعت ضحية الاجتياح الذى قامت به شعوب البحر (٢٨). وإقليما "إيدوم" و"مؤاب" المذين

يقدمهما سفر "العدد" كدولتين مستقرتين، لم يكونا يضمان سوى بضع مدن قليلة فى العصر البروبزى المتاخر، ويقومان على صون الطريق التجارى الشمالى - الجنوبى إلى دمشق (٢٩)، ومملكتا "إيدوم" و"مؤاب"، اللتان ظن - خطأ - كاتب سفر "العدد" أنهما كانتا قائمتين فى الوجود وقت ذاك، لم تظهرا إلى هذا الوجود قبل القرن التاسع ق.م. (٢٠) وأخيرز لا يكشف المسح الأثرى الشامل لأنماط الاستيطان فى القرنين الأخيرين من الألف الثانى ق.م. عن تدمير وقع فى نقطة معينة بشكل خاص، ولكن، عوضًا عن ذلك، عن استقرار تدريجى يقوم به رعاة (وظل غير مكتمل حتى القرن العاشر ق.م.)، وهواستقرار بدأ فى البلاد الجبلية ثم تحرك نحوالمناطق المأهولة التى تزداد فيها الكثافة من جانب سكان مستقرين (٢١).

أدى ، بشكل تدريجي، إجماع السجل الأثرى الذي تضافر مع النفور من النهج 'الأرثوذكسي، (= الأصوالي) الجديد في تناول "التوراة"، كما يتضم عند مجموعات مثل مدرسة أولبرايت، إلى نبذ التفسيرات الأثرية النماذج الاجتماعية -الاقتصادية. واعتبارًا من مطلع الستينيات بدأ "جي. إيه، مندينهول" G.E.Mendenhall يدعموالى ضمرورة تطبيق نصوذج "هبة فسلاحية" على السجل "التوراتي" للغزو (= غزو "كنعان") وفي السبعينيات ارتقى "إن.كي، جاتوولد" N.K.Gatwald بهذه الفكرة البارعة حتى صارت على يديه نظرية مفصلة وعميقة الأثر، وهناك ثلاثة مباحث تتصل بصفة أساسية بمناقشتنا هذه: "إسرائيل لم تنشأ من عنصر عرقي متميز في البداية خارج "كنمان" لا مكانيًا ولا تقافيًا، بل كانت منذ البدء جزءًا من نفس الأرومة الكنعانية بشكل أساسى، والاسرائيليون ليسوا رعاة متسللين، بل جزءًا زراعيًا مستقرًّا من المجتمع الكنعاني، خلق هوية سياسية هي 'إسرائيل' جاء نتيجة ارفض عنيف النظام الكنعاني القائم على مدينة ـ دولة، بالياتها من سن الضرائب والتجنيد والسخرة. وهناك نتيجة تفسر وجود التقاليد المذكورة بالإشارة ضمنًا إلى أصل لإسرائيل خارج نطاق "كنعان" بصفتها قابلة، وحسب، للانطباق على "المجموعات الفرعية" subgroups التي انضمت في وقت لاحق إلى "الفيدرالية" (=المملكة المتحدة) القبلية. وهناك نتيجة فرعية ثانية تستطيع أن تنظر إلى عبادة 'يهوه' كـ 'أسمنت' شعائري أسس لوحدة . "الفيدرالية" وأعطاها بؤرة تقليدية(٢٢).

يشبه العمل الذي قام به "جاتوولد"، وهو أقصع باسط للنظرية وأعمق دعاتها بصيرة، هواء جديدًا منعشًا. فلهذه النظرية أشد النتائج نفعًا في إيضاح كم كانت مقحمة من الخارج بعض أعز التأويلات على قلوبنا للأطلال الأثرية في الماضي، ومع ذلك فنظرية "الهبة الفلاحية" تستعصى على التدليل اسبب أول، وتلاقى معارضة من قرائن اسبب ثان وتشارف الإخفاق اسبب ثالث (٢٣).

ليس بوسم أحد أن يبرهن (أو يفند لهذا السبب أو ذاك) على أن "الفيدرالية" القبلية أي 'إسرائيل' نشأت على التراب الفلسطيني. وليس في طوع أحد أن يبرهن على أن المكونات الرئيسية لتلك "الفيدرالية" كانت قائمة باستمرار على التراب الفلسطيني. وكل ما نعرفه معرفة اليقين يتلخص في أنه في وقت ما خلال الربع الرابع من القرن الثالث عشر ق.م. عرفت مصر مجموعة أو كيانًا سياسيًّا يسمى "إسرائيل" ويحتل جزءًا من أرض "كنعان" (٢٤)، ولكن السؤال حول ما إذا كانت هذه المجموعة قد وصلت للتو إلى هناك أم أنها كانت قد أخذت شكلها النهائي، لم يكن مطروحًا في مصادرنا. إلاَّ أن المله الوطيدة التي تربط بين اللغة العبرية واللهجة أواللهجات السامية الغربية التي نستطيع إدراجها تحت مصطلح عام هو "الكنعانية" فهذه حقيقة لا تقبل الجدل. ولكن علاوة على ذلك، فهي أي اللغة العبرية وطيدة المبلة بنفس الدرجة مع لهجات الضفة الغربية كذلك. ولعل الإصرار على أن إسرائيل المبكرة كانت تقوم على اقتصاد زراعي عوضًا عن رعوي، يعد، في رأيي الخاص، رسمًا لفط حدودي زائف. فكما سبق لنا أن رأينا^(٢٥) انخرطت تجمعات حقبتي/ طبقتي EBIV-MBI في بعض النشاط الزراعي الجاف (أي على الأمطار دون الأنهار) وكانوا في ذلك النشاط مبتدئين دون خبرة سابقة في هذا المجال، ومع ذلك كانوا، بصفة أساسية، رعاة يعيشون على الترحال رغم كل ذلك. وتكشف لنا، بالثل، الأعمال الوصفية الأدبية اعتبارًا من العصير الرعمسيسي لسكان المرتفعات الفلسطينية، عن مجموعة من الذين يعيشون على الرعى، ولكنهم كانوا في طور التحول إلى حياة الاستقرار^(٢٦).

وأخيرًا يفتقر الاعتقاد في حدوث "هبة فلاحية" إلى تأييد الأدلة، ويبدو، في الحقيقة، ألا يحوز مثل هذا التأييد في أي وقت، على وجه الترجيح، ولقد ركز كثيرون، بشكل مبالم فيه على دور الـ "عابيرو" الذي تقوم عليه شواهد عديدة في رسائل

أخيتاتون (=العمارنة)، في تحريض الفلاحين (=الـ خوبشو) على المروق عن سلطة رؤساء المدن الصغرى المحليين، وهو الأمر الذي أثار المساكل أمام الإدارة المصرية، وبالتحديد في القوس الكبير من المناطق الحرام بين جبهتي القتال no-man's land التي تمتد من شمال لبنان ووادى نهر 'الكبير' عبر أعالى العاصى حتى 'الجولان'، وبصفة رئيسية الأراضى التي تفصل المناطق الواقعة تحت الحكم المصرى عن تلك الخاضعة للحيثيين. ولقد خبرت هذه الرقعة نشاطًا أشد خطورة قام به الـ عابيرو' خلال القرن الرابع عشر ق.م.، اسبب بسيط يتمثل في أن هذه كانت الفترة التي شهدت مولد دول حدودية جديدة في المناطق المتاخمة للإمبراطوريتين، مثل 'أمورو' ودول أخرى أقل وزئا إلى المشرق، وكان واضع هذه السياسة الجديدة، عبدى عشيرتا وابنه 'عزيرو' على استعداد لاستخدام أي مجموعة في صراعهما، وإذا كانا قد استمالا فلاحي "رب عدى حاكم "بيبلوس"، فلم يكن ذلك سوى تكتيك في إطار عصيانهما، ولا يجوز أن نأخصنه دليلاً على استياء مشترك كان على وشك التفشي إلى هبة فلاحية على نطاق واسع(٢٧).

تنطوى نظرية "هبة الفلاحين" على خال خطير سواء فى الطبيعة المفترضة والوظيفة المنوطة بالـ "المدينة – الدولة". حقًا يتوسل أنصار هذه النظرية بما يسمونه "مدينة - دولة كنعانية"، وهم يحتفظون لها بصورة واضحة فيما يتعلق بالمجتمع والاقتصاد والأهمية النسبية، وهذه الصورة الهمتهم إياها، إلى حد كبير، مثل تلك الدول المعروفة جيدًا مثل أوجاريت" و"الالاخ"، وربما يكون أيضًا قد استقوا جزمًا من تلك الصورة من "المدينة" silog اليونانية. وبصرف النظر عما إذا كانت المدن السورية رهن الحديث، ينطبق عليها وصف "مدن - دول" حسب النموذج اليوناني، فإن هذه المنز التي قام بها المصريون داخل خط نهر "الكبير" - "قطنة" قد أزالت من الوجود ألمنو التي قام بها المصريون داخل خط نهر "الكبير" - "قطنة" قد أزالت من الوجود ممالك كبرى" ترجع إلى العصر البرونزى الوسيط، وخفضت، بصورة حادة، عدد "ممالك كبرى" ترجع إلى العصر البرونزى الوسيط، وخفضت، بصورة حادة، عدد "سكان تلك المناطق التي كانت ترتدى الخيلاء والغرور، حتى جاء القرنان الرابع عشر سكان تلك المناطق التي كانت ترتدى الخيلاء والغرور، حتى جاء القرنان الرابع عشر والثالث عشر ق.م. كي يشهدا زوال كل شيء هنا، فيما عدا حفنة من المستوطنات - مما يصعب علينا أن نطلق عليها اسم "مدن" - يحكمها عمد خاضعون تمام الخضوع يصعب علينا أن نطلق عليها اسم "مدن" - يحكمها عمد خاضعون تمام الخضوع يصعب علينا أن نطلق عليها اسم "مدن" - يحكمها عمد خاضعون تمام الخضوع يصعب علينا أن نطلق عليها اسم "مدن" - يحكمها عمد خاضعون تمام الخضوع

لمسر. وام تكن تلك القرى التي نجت من الفناء كي تظل على قيد البقياء أكثر من "تركات" محلية (قارن 29-28:179) EA (٢٨) يتغاضى عن وجودها المصريون لكنها واقعة فريسة للتناهر العشائري، والنهسب والسلب والابتزاز. (قارن· 17,250:16-17,250:14 قريسة .18,262:41-52,270:14-21,298 etc) وكنانت تلك "التركنات" صغيرة ـ فكان يكفيها خمسون رجلاً كي يوفروا لمعظمها الهماية (EA238:11,289:42,295 rev.6,etc) . -وكان بوسعهم أن يحافظوا على قطعان الأغنام في الداخل أثناء الليل.(EA186:67)^(٢١) وكان عمد مثل هذه المستوطنات وهم أبعد من أن يكونوا "ملوكًا" أو "أرستقراطية" كما تقضي بذلك النظرية رهن الحديث، معدمين في أغلب الأوقات كافراد مستقلين (EA 316:18-22) ويفتقرون إلى أساسيات لا غنى عنها مثل المواصيلات (-23,198:21-23,198:21 23,271:18-21) ويهددهم باستمرار خطر مصادرة المصريين لمتلكاتهم (35-292:292) ولم يكن في وسع مدن مشهورة مثل "أورشليم" و"أكشو": Accho و"أكساف":Achsaph أن تحشد فيما بينها إذا ما أحدق بها جميعًا الخطر أكثر من خمسين عجلة حربية (EA290:20-25) ولعلها مبالغية زاعقية أن نصيف هيؤلاء العمد أو البرزسياء (= خزنوتي hazanuti) الكنمانيين الذين يحاصرهم الموز بأنهم صفوة زراعية (11) ويغدو مناف تمامًا لطبيعة الأمور أن نتصور فالحين فقراء يهبون ضد أرستقراطية زراعية قوية. وكان لـ"العابيرو" والمارقين من البدو اليد العليا باستمرار: وكانوا بالنسبة لهؤلاء العمد الكنعانيين "أعداء جبارين" (EA 318:9) وكان في وسع عدد منهم لا يزيد على أربعين بدويًا أن يستولي على المدن وينزل بها التدمير (EA 185:47,186:50) .

وإذا كانت نظرية الهبة الفلاحية غير مقبولة بصفتها تلك en tant que teile، وإذا كانت نظرية أخرى حازت في الأونة الأخيرة قدرًا من الاحترام. وهذه النظرية تذهب إلى أن فلسطين شهدت، خلال الأزمنة الرديئة في أواخر العصر البروبزي المتأخر تحولاً سكانيًا، تمثل في انسحاب الذين بقوا على قيد المياة من الوديان والسهول إلى المرتفعات. وانبثاقًا من هذه الظاهرة الكنعانية بصفة أساسية، تبلور شسعب أصبح يعرف باسم إسرائيل. إلا أن هؤلاء الذين يؤيدون هذه النظرية، تعرضوا، على ما يبدو، اضغط حقيقة أصبحت تصمد الآن ضد الطعن، وأقصد بذلك أن ثقافة حقبة العصر الحديدي الأول (١٢٠٠-١٠٠٠ق.م. على وجه التقريب)، عندما

كان ينبغى على إسرائيل، استنادًا إلى كافة الروايات، أن تكون في طور التشكُل، لم تكن سوى تطور متأخر اثقافة كنعانية بصفة أساسية، دون أن يستطيع أحد أن يرصد فيها أي شيء إسرائيلي على وجه التحديد. ولكن بالإضافة إلى الإقرار بما هو عصى على التجاهل، فإن أنصار نظرية "الانسحاب" ينكرون بشكل مسبق، أن ثقافة العصر الحديدي الأول إنما تمثل ثقافة مجتمع ظل يعيش على الرعى حتى ذلك الوقت وخرج لتوه من أحراش السهوب (=الإستبس)(13).

ولعله من المؤسف أن هذه النظرية لا تحور ما يزكيها، أكثر مما تحوره شقيقتها نظرية 'الهبة الفلاحية'. ففي الوقت الذي يعد فيه الاستمرار الثقافي بين 'كنعان' في العصر البروبزي المتأخر عند طبقة / حقبة رقم (LBII) و"كنعان" في العصر الحديدي الأول حقيقة ثابتة فإن أصل وهوية شعوب العصر الحديدى الأول لا يمكن البحث عنهما بين الفلاحين الكنعانيين الهاربين من المنخفضات (=السهول والوديان). إذ تصف النصوص المصرية سكان المرتفعات، دون لبس، بأنهم رعاة رحل، والحقيقة التي تقول إنهم استعاروا أنماط بيوتهم من الكنعانيين لا تستطيع نفى ما ذكرته تلك النصوص عنهم. (ولقد مكثت أنا نفسى وقتًا ما في عدد من البيوت في سهول "ميديبا" Medeba، وينفس النوع من المنطق، يجوز البرهنة بذلك على وجود أناس من "يافا" و"حيفا" هناك، خصوصاً وأن السكان كانوا يتبنون إلى حد كبير أسلوبًا فلسطينيًا، ومع ذلك فلم يكن قاطنو تلك البيوت، أي مضيفي، سوى بدو كانوا قد استقروا لتوهم) وإذا كانت النصوص المصرية قد تناولت أي تحركات سكانية، فمثل هذه التحركات كانت دائمًا من التلال والجبال إلى السهول، وأيس في الاتجاه العكسى. ولا يحتاج المرء إلى أكثر من التمعن في القطعة الأدبية التعليمية المعروفة باسم بردية "أنستاسي" رقم ١، تلك التي تحمل تخطابًا ساخرًا كي يدرك كم كان الضابط المصرى يشعر بعدم الأمان في مهمته التي أجبرته على عبور المرتفعات الفلسطينية، فهو لم يكن يخشى على نفسه من السكان الهاربين من البلاد المنخفضة بل من البدو، وكيف تنفس الصعداء عند وصوله إلى ملاذ المدن الساحلية (١٢). فالجبال كانت مأوى قطاع الطرق حيث يختطفون العابر غير الحذر ويحتجزونه طلبًا الفدية(٢٠)، ومنها كان في وسع لمدوص المواشى أن يغيروا على القطعان في الأراضي المنخفضة، (قارن سفر أخبار الأيام الأول ٧: ٢١) خلاصة

القول: الأدلة لا تؤيد النظرية التى تقول بهبة نظمها العمال المنجورون المعدمون فى داخل نظام قوى تسيطر عليه صفوة حضرية، أو هروب الذين بقوا على قيد الحياة إلى المرتفعات عند خواتيم العصر البرونزى الثانى الكلال وإذا كان مثل ذلك النظام الذى يقوم على طبقات تمر بمرحلة مخاض الاستقطاب قد ظهر يومًا إلى الرجود، فإن ذلك يكون قد حدث منذ وقت طويل فى الماضى خلال القرن الثالث العاشر ق.م. الذى كان قد مال للغروب. والحقيقة أن الخطر الداهم فى ذلك الوقت الذى كان يتهدد طبقة الفلاحين وأسيادهم الذين يستبد بهم العوز، كليهما معًا (وكان كلا الجانبين خاضعًا وقت ذلك لمصر) كان قادمًا من خارج نظامهم العاجز والهاجع فى طور السبات، فى كل من الزمان والمكان. ولكى نكتشفه ونعزله ونصفه، يتعين علينا أن نتطلع باتجاه جثوبى وشرقى "كنعان".

مصر والشاسو:

لم تشكل البلاد الجبلية المخلخة من السكان في أواسط فلسطين، تلك التي كانت قد جردت، بصفة جزئية، من سكانها تحت ظل الأسرة الثامنة عشرة (11)، منطقة جذب خاص المصريين، الذين شعروا، بصفة أساسية، بالنفور من حفظ الأمن فيها. وكان من الضروري، مع ذلك، الصيلولة دون وقوعها في أيدى أضرين يمكن أن يتضنوها منطلقًا اتشكيل تهديد المصالح المصرية في المنطقة. ففي القرن الرابع عشر وخلال عصر "أخيتاتون" (=العمارنة) ارتأت مصر أن هذه المرتفعات تضم دائرتين من دوائر المسئولية، "ماتات يوروساليم" (الشاهة المسئولية، "ماتات يوروساليم" (المؤلفة التي تتركز حول "أورشليم" وتترادف مع "مرتفعات يهودا" والبلاد الجبلية الشمالية التي تأتيها السيطرة من "سيخيم" (= شكيم بالعبري). فما دامت هذه البلاد المرتفعة التي تفتقر إلى استيطان مكثف تشكل محطة مثالية وتضاريس مثلي لسكني الضارجين على القانون، صار ضروريًا وجود نوع ما من التواجد الإمبراطوري لحماية الوديان والأراضي الساحلية من غارات النهب والسلب. وكلتا المنطقتين رضي المصريون، مع ذلك، إن لم نقل أضطروا إلى تركها في أيدي أسر حاكمة محلية (13). وكانت دائرة نفوذ "سيخيم"

(= شكيم) وتدخلها في الشنون الداخلية واسعة، حيث تمتد من "مجدو" (٤٠٠) والقوافل التي تعبير وادي الأردن(٤٨) في الشيمال إلى "جيزر"(٤١) في الجنوب الغيربي، ولكن "لبعايو" Lab'ayu، الشيخ المحلى خلال حكم كل من "أمين - حوتب" الثالث و"أخناتون" فيشل، مع الأسف، في خيدمية المصالح المصرية، الأمير الذي أدى إلى طرده من منصبه (٥٠). ومع كل ذلك كان الضرر قد حدث، ومنار في وسنع الـ "عابيرو" أن يروحوا ويجبئوا بحريتهم حول "سيخيم" (= شكيم) (١٠٠). وفي الجنوب علَّقت السلطات المصرية حق الابن البكر في وراثة التركة بشكل كامل، وهذا مؤشر، فيما يبدو، على أن مصر بدأت تولى هذه المنطقة اهتمامًا أكبر، كما نصبت خلفًا أصغر سنًا من بيت أورشليم، وهو "عبدي ـ خيبا" Abdi-khepa"، ولقد دافع عن نفسه، مرات عديدة، إزاء كل تشويه يلحق بصورته في البلاط. وكان ينكر بشدة أنه "خزانو": ḥazānu)، على اعتبار أن هذا منصب أدني، بكل وضوح، من وجهة نظره (٢٥). لا. فهي "وأن" wa'u (بالمسرى وعن": ww) أي تجندي"(10) وكما سبق لي أن برهنت في موضع آخر(00) فإن هذا ينبغي أن يُفهم على أن "عبدي ـ خيبا" كان أحد أبناء الرؤساء الذين يرسلهم نووهم إلى مصدر حيث يتلقون تدريبًا عسكريًا هناك. فلقد أصبح وقت ذاك "جنديًا مصريًا" وهو ما يدعوه الفخر. وبالتالي فإن "عبدي - خيبا" يركز، بصورة غير واعية على أهمية الإدارة المصرية لـ "أورشليم" فيما يتعلق بتخطيطها الإستراتيجي: لم يكن لأي سلطة عسكرية أن تتخلى عن المدينة (٥٦). وتتمثل أكثر الحجج إقناعًا، يستطيع المرء أن يأمل في الركون إليها في القول بأن "أراضي "أورشليم" ضاعت"، فإما أن يرسل المصريون حامية إليها أو يعودوا به إلى مصر. فـ "أورشليم"، "مدينة نصب الفرعون فيها اسمه"، وهذه إشارة لا لبس فيها إلى وجود صادود/ اوح مصرى منصوب في المدينة (٥٠). وحقيقة الأمر أن مبنى مصريًا (هل معبد؟) ربما يكون قد قام يومًا سواء داخل نطاق الأسوار الأصلية للمدينة أو شمالي بوابة دمشق القائمة في الوقت الحاضر (⁽⁴⁴⁾.

وبناء عليه يبدو واضحاً أن الإدارة الفرعونية استشعرت تخوفًا عميقًا من احتمال اتخاذ العناصر المناوئة للمصالح المصرية المرتفعات الواقعة في أواسط البلاد كقاعدة انطلاق لها. فمن هنا يستطيعون الإغارة ، دون أن يلحقهم عقاب على المناطق المنخفضة كما يستطيعون تهديد الطريق الساحلي. (وفي هذا السياق يستبد الاستياء

ب "عبدى - خيبا" إذاء مد "عشقاون" و"جزر" و"لاخيش" - وهى نفس المدن التى كان يسعى إلى ضمان وحدتها الإقليمية - ليد العون إلى الد "عابيرو") (١٥) وكانت مشيخة "سيخيم" (= شكيم)، التى وضع المصريون تقتهم فيها، قد أثبتت أنها مشاكسة صعبة المراس، ولكن "أورشليم" وقفت في سائر الاحتمالات، وقفة الصديق الوفي وقد أحسنت العائلة الحاكمة الرد على الثقة التي وضعها فيها المصريون. ومع ذلك فمن هذه المرتفعات القاحلة، حيث كان لا يزال في وسع المرء أن يتمتع بوجود متحرر، إلى حد كبير من السلطة الإمبراطورية، قامت الحركة الشعبية الهائلة عند نهاية العصر البرونزي المتأخر بتسللها المثير (١٠).

أعطى المجتمع المصرى النيلى، منذ فجر الزمن أفضلية عملية وأخلاقية لحياة الاستقرار، وصب الاحتقار على المركة التي لا يحكمها ضابط ولا رابط الناس. فالفعل المصرى 358 (وينطق على وجه الاحتمال "شاس") كان يعنى بصفة رئيسية أن ينتقل سيراً على القدم، وكان غالبًا ما يُستخدم الرحلات أو الحركة اليومية الشمس، وهي استخدامات بريئة (= محايدة) كلها إلى حد كاف(١٠٠). ولكن الفعل اكتسب منذ وقت مبكر الفاية ظلالاً خاصة تشمل السرعة والتخفى: فالرسل يسرعون سيراً على أقدامهم إلى أماكن موغلة في البعد، والساخطون يتخفون هربًا من العقاب(٢٠٠). وقد استخدم المصريون صيغة اسم ألفاعل من هذا الفعل منذ الأسرة الخامسة على الأقل في الدلالة على أولئك "الجوالين"، الذين أخذ المصريون يتعودون على الاتصال بهم في الشمال، وسرعان ما أصبحت هذه الصيغة تحمل مضمونًا مجتمعيًا . ونتج عن ذلك أن أصبح وسرعان ما أصبحت هذه الصيغة تحمل مضمونًا مجتمعيًا . ونتج عن ذلك أن أصبح الشرق البالغ الأهمية بينهم وبين نظرائهم المحدثين وهو الفرق الذي يتمثل في افتقارهم الفرق البالغ الأهمية بينهم وبين نظرائهم المحدثين وهو الفرق الذي يتمثل في افتقارهم فعل مشتق من هذا الاسم في اللغة الكنمانية (والعبرية): "شاساه" بمعنى "أن ينهب ويسلى-(١٠).

نقابل اسم 'الشاسو' في النصوص المصرية اعتبارًا من الأسرة الثامنة عشرة وحتى فقرة الانتقال الثالثة. ولكن اسمهم يرد في أغلب الأحوال في قوائم أسماء الأعلام المكانية التي تتسم بالتعميم، حيث لا يساعد السياق، إلاّ قليلاً، على تحيين مواقعها،

ولكن هناك قوائم ترجع إلى "صوليب" Soleb و عمارة 'Amarah وينتهى أصلها فى نهاية المطاف إلى القرن الرابع عشر (١٥) توجى بتركز أصلى لمستوطنات 'الشاسو' فى جنوب الضفة الغربية فى سهول مؤاب وشمال 'إيدوم (٢١) وهنا نستطيع التعرف على سبتة أسماء بصفتها واقعة فى "بلاد الشاسو وهذه الأسماء تشمل "سعير" Secir سعير 'لله الشاسو وهذه الأسماء تشمل "سعير 'لله (= إيدوم), (١٠٠) و "لبان" Laban (على وجه الاحتمال "لبونا" and جنوبي عمان (١٨٠) و سمعات (قارن الشمعيون، وهي قبيلة من قبائل القينيين: سفر أخبار الأيام الأول ٢: ٥٥) و وربر " Wrbr (وادى "حسا" Baba على وجه الاحتمال) (١١٠) وفي مواضع أخرى من النصوص التي ترجع إلى الأسرتين التاسعة عشر والعشرين يضع الربط الدائم بين هؤلاء 'الشاسو' وبين 'إيدوم' و عربة' (= تمنة) تعيين هويتهم في القوائم الأقدم بعيداً عن الشك (١٠٠).

وينطوى تحديد مواقع "بلاد الشاسو" في مناطق "سعير" الجبلية شرقي "عربة" على نتيجة مثيرة للاهتمام لاسم من الأسماء الواردة في قوائم "صوايب" و عمارة "يهوه ٢٨٧ في بلاد الشاسو". ولدة نصف قرن استمر الجميع يقرون، بصفة عامة، أننا نقف هنا أمام اسم رباعي الصروف هو اسم الإله الإسرائيلي "يهوه (٧١)، وإذا كان ذلك صحيحًا، وهو صحيح دون شك، فإن هذا النص يعد أغلي إشارة إلى موضع ذلك الجيب الذي كان ساكنوه يعبدون هذا الإله خلال أواخر القرن الخامس عشر. وبينما يكون من الخطأ أن يقفز المرء إلى نتيجة مفادها أن إسرائيل"، كما نعرفها من فترة القضاة وأوائل المملكة، كانت مسوجودة بالفعل في "إيدوم" في ذلك الوقت، فإنه لا يستطيع إلا أن يتذكر الفقرات المتعددة التي وردت في التقاليد "التوراتية" اللاحقة التي تصور "يهوه" قادمًا من سعير"، وخارجًا في الأصل من "إيدوم (٢٧). وتكمن النتيجة المنطقية الوحيدة في أن البحث عن أحد العناصر الرئيسية في عملية الاندماج اللاحقة التي شكات إسرائيل، وهو العنصر المكون الذي بدأت معه عبادة "يهوه"، يجب أن يتجه الي قلب قبائل "الشاسو" الذين سكنوا "إيدوم" بنهاية القرن الخامس عشر ق.م.

فى الوقت الذى يتعين فيه تحديد موطن "الشاسو" فى "مؤاب" و إيدوم"، فإن دروبًا عديدة قادت هؤلاء البدو على أساس موسمى طلبًا للمرعى، والخدمات وقطع الطرق (٢٠٠)، إلى مناطق أخرى فى شرق البحرالمتوسط. وفى اتجاه الشمال كان هناك درب طبيعى،

قائم منذ العصر البرونزى الوسيط، يقود عبر دمشق إلى شمال سوريا (Yt)، وخلال وادى الأردن ويزريل كان بوسع الرحال أن يصل إلى الساحل وقلب سوريا. وعود على بدء، عبر الأردن ووديان من نوع "الفارعة" و قيلت " Qilt كان في طوعه أن يصل إلى المرتفعات الوسطى لفلسطين بسهولة معقولة، وغربًا وفُر واديا "عربة" و "النقب دويًا سهلة العبور، عن طريقها تمكن الشاسو" من الوصول إلى دلتا نهر النيل.

حقًا ظل الشاسو يحومون بعيد هامش السيطرة المصرية، إلا أنهم ظلوا باستمرار بمثابة شوكة في جنب الفرعون (٥٠)، ولقد انفجروا بقوة فاحشة الأذي على وجه استثنائي قبيل بداية الأسرة التاسعة عشرة عبر وادي "عربة" إلى "النقب" وشمال سيناء، قاطعين بذلك، طريق مصر الساحلي، ومع أن الفرعون "سيتي" الأول لم يجد صعوبة تذكر في إجبارهم على التقهقر بعيدًا (٢١)، إلا أن "الشاسو" شرعوا يطرقون في الاتجاء الغربي ممرًا جديدًا نحوالصود المصرية، ولقد ذكرت أكثر من وثيقة أنهم شوهدوا خلال القرنين الثالث عشر والثاني عشر على طول حدود "السويس" (٧٠). فمن هنا كانوا يسوقون أنعامهم، في هجرات جماعية وفقًا لنمط موسمي كي يصلوا إلى عيون المياه في "وادي طوميلات". وكان هناك درب ثان، يسهل اجتيازه، جذبهم، يقع جنوبي الدلتا الشرقية، والإشارة إلى "شاسو المياة المعكوسة (٨٠٠) وفي وقت لاحق جنوبي الدلتا الشرقية، والإشارة إلى "شاسو المياة المعكوسة (٨٠٠) وفي وقت لاحق المستوطنات بمصر الوسطى في "اطفيح (٢٠٠) و"سبيرميرو" كي يصب أمام الفيوم.

شكُّلُ وجود عناصر مماثلة، في البلاد الجبلية الشمالية حول "سيخيم" (= شكيم) تهديدًا لـ "بيت شان" وكان الدرب الذي يمر بين الطريق الساحلي والأردن معرضًا بالفعل للخطر مع بدء حكم الفرعون "سيتي" الأول. وبينما كان في وسع هذا الفرعون، مرة أخرى، أن يخمد الاضطرابات، فإن سجلاته تشي بوجود مجموعة مناوئة قوية (يطلق هو عليها اسم الـ "عابيرو") في البلاد الجبلية، حيث عاثت فسادًا وتخريبًا (١٨٠)، قبل ثلاثة أجيال، قبائل "لابعايو". ويتسامل المرء عن المدى الذي بلغته هذه العناصر في تمريضها المدن الكنعانية في إقليمي "إزداريلون" و"الجليل" على الانضمام التمرد ضد مصر غداة "الهزيمة" التي نزلت بالفرعون "رعمسيس" في تقادش (٨٠٠).

يستطيع المرء أن يفسر رد فعل المصريين إزاء الشاسق، إلى حد كبير في ضوء الاهتمام المصرى الأولى بالحفاظ على الدروب إلى الشمال مفتوحة. ففي نهاية العقد الأول من الحكم أعاد القرعون 'رعمسيس' الثاني غزوه للساحل، وعاد المصريون الظهور على مشارف "بيبلوس" (٨٢). وفي وقت لاحق من حكمه، لابد وأن تكون قد جرت حروب "رعمسيس" الثاني في الضفة الغربية، وهي الحروب التي نجمت عن روح العداء الذي تكنه عناصر معينة هناك، كانت تسعى إلى حرمان مصر من الوصول إلى الدرب الشيمالي .. الجنوبي (٨٤). وفي نفس السياق يتعين علينا أن نرى الهجوم الذي شنه الفرعون "رعمسيس" على "عشقلون" التي اقتاد المصريون منها الأسرى من "الشاسو"، كما يتضح في الجداريات (٨٥). ولأسباب متعددة (٨٦) ينبغي تعيين استيلاء المصريين على "عشقلون" في وقت متأخر من حكم "رعمسيس" الثاني ، وبالتأكيد بعد المعاهدة المسرية - الحيثية التي أبرمت في السنة الحادية والعشرين من حكمه، وينبغي النظر إليها بشكل صريح على أنها جزء من إستراتيجية شاملة تنطوى على توغل "رعمسيس" في جنوب الضفة الغربية. وبناء عليه فسجل 'الشاسو'، خلال السنوات الستين التي تبدأ من حوالي ١٣٢٠ حتى ١٢٦٠ ق.م. لا يضرج عن التحريض على الاضطراب في موطنهم الأصلى في السهول، والتحرك غربًا عبر وادى "النقب" نحو مدن كبرى على امتداد "الطريق البصري" Via Maris وفي رأيي أن ظهور كيان يدعى "إسرائيل" بعد ذلك بجيل واحد تحت حكم الفرعون ميرى - ان - بتاح حاملاً كافة سمات جيب يقطنه الشاسي في مرتفعات 'إفرايم (٨٧) على وجه الترجيح، ليس ظاهرة منبتة الصلة بِمَا نَعْرَضَ لَهُ الآن، كما أن المضور المدعوم للمصريين في مدن من نوع "بيت شان" ودير العلا Deir'Allah يتعين النظر إليه في ضبوء استقرار هؤلاء "الشاسو" في الأونة الأخيرة في المرتفعات القريبة(٨٨).

مجتمع الشاسو/ مجموعة إسرائيل:

لا لم يكن هناك سبب يدعونا إلى الاعتقاد بأن "الشاسس" كانوا يعرفون القراءة والكتابة _ يقدم سفر "القضاة" ٨: ١٤ انعكاساً واقعياً لهذه الحقيقة - فليس هناك سبب

يجعلنا نتوقع العثور على وثائق معاصرة منهم تصف أحوالهم المعيشية. وعوضاً عن ذلك يتعين علينا أن ننظر إلى الشاسو /إسرائيل في القرن الثالث عشر ق.م. من خلال مجالى رؤية متباينين، أحدهما معاصر وإن كان غير متعاطف، والثاني يفصله عن الفترة رهن الحديث عدة قرون.

لم تلزم الأسفار الخمسة وسفرا "يشوع" و"القضاة" الصمت تجاه إسرائيل الوليدة، ومن هذه المصادر نستطيع تكوين صورة لما كانت عليه الظروف الاجتماعية، التي صُورت في وقت لاحق، في أوقات سابقة على هذا التصوير، أي خلال وبعد احتلال الأرض مباشرة، وكان مسيطرًا على المفاهيم البدائية لهذه الجماعة فكرة العقد (≃العهد) بين الإله "يهوه" إله "إسرائيل" والتجمع البشرى (وليس الفرد: فبعيداً عن الجماعة ليس للفرد أي حقوق) والسيادة تتحصير في يهوه دون الجماعة (القضاة. ٨: ٢٢)،، وبينما تنقض الجماعة العقد (=العهد) المرة بعد المرة فإن يهوه لا ينقضه أبدًا. فالقواعد التي يضعها، من جانب واحد في حقيقة الأمر ـ ولم يكن هناك رأى الطرف البشرى في أي بند من بنود العقد - كانت دراكونية (نسبة إلى مشرع أثيني سن قوانين بالغة الصرامة في سنة ٦٢١ ق.ع.م. المترجم.) لأقصى درجة، وإرادة الرب بريرية. والمجموعات الأجنبية التي يُظن أن أعمالها أو مجرد وجودها يناوئ إسرائيل يُرسلون ذبحًا إلى الإبادة نزولاً عند مشيئة "يهوه" ("الخروج" ١٧: ١٤ ، "العدد" ٢١، "صامويل" الأول: ١٥: ٢) وحتى التأخي مع الأجانب يجلب الوباء ("العدد" ٢٥: ٩، ١٨) وكل من يخالف يحرقه أيهوه ("العدد" ١١: ١-٣، ١٦: ٥٣) وكل من يشكو يضربه الرب بالطاعون ("العدد" ١١: ٣٣، ١٤: ٣٧، ١٦: ٤٩)، أو يرسل عليه الحيات السامة ("العدد" ٢١: ٦) وترك أداء العبادات، حتى ولو كان ذلك عن سمهو، يسلم للموت ("الخروج" ٣٢: ٣٥، "العدد" ١٥: ٣٧-.٤).

واحتاج الأمر إلى زعيم يجرى اصطفاؤه على أساس الغرض الخاص "ad hoc: كى يفسر ويطبق إرادة الرب، نظرًا اسريان الإحساس، في غالب الأحيان، بأن هالة يهوه السحرية كانت تحف خطاه (٨٩). ومع استمرار الإيمان الذي لا يسنده واقع بأن الرب هو الذي اصطفاه، إلا أن العرض (=الترشيج) يقدمه "شيوخ الجماعة" ("القضاة" ١٢: ١٦، قارن ١١: ٥ و صامويل الأول ٨: ٤)، ويصدق الشعب على هذا الاصطفاء ("القضاة ۱۱: ۱۱) وهذان الحدان يرسمان صورة تلك الظاهرة العامة في المجتمعات البدائية في الشرق الأدنى القديم: الجماعة القبلية التي تضم الذكور القادرين على حمل السلاح والآباء الذين يترأسون قبائلهم، كتعبير عن السلطة التي تشرع القوانين وتصدق على الأحكام. وفي غالب الأحيان كان الزعيم يصطفى في مواجهة أزمة ذات أبعاد عسكرية، وبالتالي ونظرًا لأنه مفعم بروح الرب فهو يقود الجنود الذين قدمتهم القبائل في المعركة ("القضاة" ٢: ١٦ وفي مواضع مختلفة هنا وهنالك، ١٠ ١٠ ١٠) وفي الغالب تبدو سلطته مكافئة اسلطة الدكتاتور في مطلع الجمهورية الرومانية، وعندما الغالب تبدو سلطته مكافئة اسلطة الدكتاتور في مطلع الجمهورية الرومانية، وعندما "ينفخ في النفير" ("القضاة" ٣: ٢٧)، يصير لزامًا على الشعب أن يهب للاجتماع ("صامويل" الأول ١٠ ١٠ ١٠) ومع ذلك فهذا الزعيم يشار إليه باسم مدنى هو "قاضي"، وفي بعض الأحيان نجده يصدر الأحكام حقًا (قارن "القضاة" ٤: ٤-٥، "صامويل" الأول ٧: ١٥-١٦). ووصف القاضى بين الحين والآخر بأنه "راثي" ("صامويل" الأول ١٠ ١١-١٣) أو "ناصري" طويل الشعر (=لم يلمس الموسى رأسه)("القضاة" ١٢: ٥، وقارن "العبادة.

وعلى النقيض من "القاضى" ونهجه الدكتاتورى، فإن تسيير الشئون القبلية يومًا بيوم يبدو أرقى قليلاً. فالمدن تحصى ملاكها ومواطنيها الأغنياء ("قضاة" ٩: ٢) ويحكمها "قضاة" ("ساريم" "قضاة" ٤: ١٥، ٨: ٦، ٩: ٢٠) ولم تكن القرى محاطة بأسوار (قارن "تثنية" ٣: ٥، "حزقيا" ٢٨: ١١)، و المسرعون يقوبون الجنود، وهؤلاء يزحفون تحت عصا الكاتب scribal rod ("قضاة" ٤: ١٤) و "النواب" (=الوكلاء) (paqid) حاضرون كشهود ("قضاة" ٩: ٨٤).

يصعب علينا أن نقرر ما إذا كانت هذه الصورة تكشف عن وحدة زمانية مكانية متأصلة، أو ما إذا كانت تركيبة تتألف من عناصر تنتمى لأماكن وأزمنة متباينة (١٠). ففي بعض التفاصيل تبدو شبيهة لما قد يتوقعه المرء من مجتمع فلسطين عند مطلع العصر الحديدي، ولكن هذا الأمر قد لا يعنى أكثر من طول عمر، وعالمية سمات معينة تشترك في حملها كثير من المجتمعات البدائية في المنطقة على امتداد الزمن (قد تكون الطبيعة الفظة لإلههم "يهوه" حيلة حاذقة تهدف إلى التنكيد على عدم انصياع إسرائيل القديمة للأوامر، وتعرزيز تشريع الإصلاح الذي عرفته إسرائيل في وقت لاحق)

ولا تجد ألقاب من نوع 'شوفيت' أي 'قاضي' أو "رائي" أي تأييد لها (حتى تاريخه) في مجموعة المصطلحات المعاصرة، (٩١) رغم أن "رأس" أو "روؤش" (بالعبري) بمعنى 'رئيس' الذي أطلق، ذات مسرة، على 'يفسساح' ('قسضساة' ١٠: ١٨، ١١: ٨، وقسارن قاسين "qasin (زعيم، قضاة ١١:١١) يبدو شبيهًا، على نحو يكتنفه الغموض، بالـ "رئيس": "عا" (بالمسرى) عندما تتحدث النصوص المسرية عن مجتمم "الشاسو". ومن جانب أخر يبدو المجتمع الصضري الذي يصفه سفر 'القضاة' أكثر شبهًا بالمجتمع الحضرى (= مجتمع المدن الصغيرة) في فترة مملكة إسرائيل، وربما فترة لاحقة أكثر. زد على ذلك أن المفارقات التاريخية تتفشى بغزارة، وهو الأمر الذي يجرد هذا السفر من الجدارة بالتصديق التي ربما يكون المرء قد وضعها فيه يومًا ما. فرغم أن استخدام الحديد كان معروفًا على نطاق واسم في العجلات الحربية ومختلف الأدوات (قارن "قضاة" ١: ١٩، ٢:٤ ، ١٣ ، ١٣، قارن "صامويل" الأول ١٣: ١٩-٢١) إِلاَّ أَنْ التَّارِيخِ يقول إِن الحديد لم يحل محل البرونز حتى دخلنا وأوغلنا في عصر الملكية(^{٩٢)}. وكذلك الجمال التي نجدها في كل مكان ـ والحقيقة أن الحبكة تعتمد على وجودها أي وجود الجمال، في قصبة "جدعون" - (قارن "قضاة" ٦: ٥، ٧: ١٢، ٢١)، ومع ذلك فالجمال لم تظهر في الشرق الأدنى كحيوانات حمل مستأنسة حتى القرن التاسع ق.م.(١٢) ومؤلف الأسفار يعرف ملوك "مؤاب" ("قضاة" ٢: ١٢-٢٠، ١١: ٢٥)، و عمون (قضاة ١١: ١١، ٢٨) مع أن هاتين الملكتين لم تأخذا شكلهما كمملكتين إِلاَّ بعد أنْ أوغلنا في الألف الأول ق.م، كما سبق لنا القول. ويشير هذا المؤلف نفسه أيضًا مرارًا إلى "صيدا" - دون "صور" - كمدينة قوية تستطيع توفير الحماية، كانعكاس وأضبح ليس للعصر الحديدي حيث ذهبت السيطرة لـ "صور"، ولكن إلى الفترة التي شهدت هيمنة "صيدا" خَلال العصر الفارسي (١٤). وتبدو أيضاً قائمة الآلهة الوثنيين، الذي تعين على "إسرائيل" أن تحاربهم أشبه بالأعداء المقدسين الذين عرفهم عصر إيليا وقارن قضاة ١٠: ٦) وكذلك الأمر بالنسبة للأبطال الأسطوريين، فهم غارقون في غياهب الماضي إلى الحد الذي يتعذر معه تفسير أسمائهم أو فهم هوياتهم^(١٥).

يختلف الوصف المصرى المعاصر لجيوب "الشاسو" في المرتفعات نوعًا ما عن ذلك الوصف الذي يوفره لنا سفر "القضاة" للإسرائيليين القدماء. ولقد كان عدد الرعاة الذين

بعيشون على الترجال داخل نطاق الضيفتين، هذه الضيفة والضفة الغربية، لنهر الأردن يشكل نسبة كبيرة من تعداد السكان اعتبارًا من القرن الرابع عشر وحتى الثاني عشر ق.م. فكانوا يمثلون بالفعل في النصف الثاني من القرن الخامس عشر حوالي ٣٦ بالمائة من الأسرى الفلسطينيين الذين جلبهم معه الفرعون 'أمين ـ حوتب' الثاني، ومم أننا لا نستطيم أن نأخذ هذا العدد كقائمة إحصاء، إلاّ أنه يمثل قطاعًا عرضيًا للسكان في تلك المنطقة(١٦). فالوثائق المصرية تصفهم بانتظام كموزعين بين *عشائر '(٩٧) تخضير كل عشيرة منها لـ "رئيس" (عا بالمصري)، وذلك تمييزًا لهم عن سكان المدن والنول التي احتفظ المسريون لرؤسائها بلقب "الكبار" ومفرده "كبير" (= وير"). (١٨١) ولم تكن عضويتهم في "العشائر" مانعة بمعنى مقصورة عليهم دون غيرهم: يستطيم المنبوذون والسواقط أن ينضموا إليها مثلهم، ويبدو أن طقسًا تشتمل التناخي في الدم blood-brotherhood كنان يُقتام للتنصيديق على هذا الانضمام (٢١)، ولكن نزوعهم الشرير نحوالتناحر الذي لا يتوقف إلاً بدمار طرفيه جلب عليهم أوصافًا تنم عن الازدراء من جانب المصريين(١٠٠٠). وغنى عن الذكر أن صيراعهم مع الفرعون، وإلى حد أقل، مع القائمين مقامه (= نوابه) في الولايات الكنمانية التوابع لم يكن ناجمًا عن معارضتهم للنظام الضريبي أو التجنيد(١٠١) -فمصر كانت أدنى قدرة وأقل اهتمامًا ببسط سيطرتها عليهم ـ بل عن سمعتهم التي يستحقونها عن جدراة كنهابين سلابين وقاطعي طرق، لا تسمح شريعتهم برحمة وإسعة، إذا سمحت أصلاً، لضحاياهم(١٠٢). وكانوا يعيشون في خيام(١٠٢) في مناطق حيلية(١٠٤)، يعيدة عن الحضر، حيث تجعل الغايات والضواري من السفر مجازفة لا تبوح بعقباها (١٠٠). وكان المصدر الرئيسي للثروة يتمثل في مواشيهم (١٠٦) كما كانوا مشبهورين أيضًا بصمغهم أو لبانهم العطرى، الذي كانوا يعثرون عليه، على وجه التقريب، في البراري(١٠٧). ولكن حياتهم كانت تبدو لهم، بالضرورة، 'إسبرطية'' (= خشنة) إلى حد بعيد جعل المصريين يشيرون إليهم بازدراء بصفتهم "يعيشون كالضواري المتوحشة (١٠٨).

عاشت مستوطنات "الشاسو" في المرتفعات الفلسطينية، أو في إسرائيل المبكرة، كما ينبغي علينا، دون شك، أن نطلق عليها، وأيًا كانت المجموعة التي تتصل بهم في تلال يهودا إلى الجنوب، حياة تتسم بمثل تلك البساطة البدوية في البداية، إلى الحد الذي حال دون أن تترك، إلا فيما ندر، أثرًا في السجل الأثرى(١٠٩). ولا يخلق من مغزى أنهم عندما شرعوا عقب نهاية القرن الثالث عشر ق.م. في اكتشاف الحياة في القبرى،(١١٠) قلدوا في الجانب الأكبر أنماط المستوطنات ومعمار البيوت، التي استعاروها من المدن الصغرى الكنعانية في الأراضى المنخفضة (= السهول والوديان)(١١١). وتكشف المشغولات اليدوية التي ترجع إلى التجمعات الثقافية عن الاستمرار على امتداد القرنين الثالث عشر والثاني عشر، وهي تشير، بالمثل، إلى استعارة الأساليب والمعايير التي كانت موجودة في تلك البلاد(١١٢). وكذلك الأمر بالنسبة للأنماط الاقتصادية التي نستطيع رصدها عندهم في مرحلة التحول إلى حياة الاستقرار، فلقد كانت منقولة نقلاً عن نماذج أصلية كنعانية (١١٢)، وهناك احتمال بأن الحدود القبلية تعكس في بعض الحالات أقاليم كانت سابقة في الرجود لدول كنعانية أقدم(١١٤). ومع ذلك، فهناك سمات مميزة تظهر بين القادمين الجدد، مثل نزوعهم نحو تعيين مواقع أضرحتهم بعيدًا عن مستوطناتهم، وهو الأمر الذي يزكد الانقطاع مع تقاليد العبادات السابقة الكنعانيين (١١٥). وهناك ملمح أخر لحياة "الشاسو"/الإسرائيليين الدينية ينعكس في ظاهرة إقامة موقع واحد في الخلاء لاداء العبادات، يكفى لخدمة عدد من القرى المجاورة كمكان مركزى للصلوات، زد على ذلك أنه يبدو ألا نكران هناك، للحقيقة التي تقول إن إسرائيل، مالت إلى تجنب أي تصوير فنى الرب على عكس ما كان يفضلً الكنعانيون، رغم أن هذه الحقيقة لا تزال تستند حتى الأن على حجة نابعة من الصمت (= دليل بالسلب) ولا يمكننا مقارنة هذه التقاليد المعادية للنحت والتصنوير إلى حد كبير مع الم "موتيف" المعروف باسم "الضريع الخالي" في اللاهوت الشمسي، ولكن بكراهية الصور والتماثيل مما نقابله عند بعض الجماعات القبلية في شبه جزيرة العرب(١١٦).

لكنه من الجدير بالذكر، أنه في الوقت الذي قد يكون الكنعانيون قدموا فيه، دون أن يقصدوا إلى ذلك، نماذج يستطيع الآخرون أن ينسخوها أو ينفروا منها، إلا أن مدنهم سواء في المناطق المنخفضة أو الساحل كانت عاجزة، تمامًا متلما كان المصريون على بسط سيطرة سياسية فعالة على المرتفعات الفلسطينية، وليس هناك أي دليل على

أنهم رغبوا في ذلك. وفي عصر "أخيتاتون" (= العمارنة) تعرضت مدن مثل عشقلون وجزر" و لاخيش لضغط من هذه المرتفعات كي ينفذوا إرادتها(١١٧)، وتحت ظل حكم الفرعون "سيتي" الأول كانت مجموعات من نفس هذه المرتفعات هي التي هبطت كي تقوض الوحدة الإقليمية لكل من الساحل والوادي. وخلال العقد الأول من حكم الفرعون "رعمسيس" الثاني بذات المدن الكنعانية على امتداد الساحل و الجليل"، محاولة متواضعة نحو وضع إجراء من إجراءات الإرادة الحرة موضع التنفيذ، ولكن هذا الإجراء كان موجها ضد مصر ذاتها، وليس ضد سكان المرتفعات. وبهزيمة الكنعانيين على أيدي قوات الفرعون "رعمسيس"، ضعفت شوكتهم أكثر من ذي قبل. وبعد سنة وراسخة في حضورها، كان الكنعانيون قد انتهوا كقوة سياسية (١٨٨). وكذلك الأمر، من الناحية الفعلية، بالنسبة للإمبراطورية المصرية في إطار الملكة الحديثة.

الهوامش

- E.g., the "Land of Ramesses" in Gen. 47:11 and "Ra'amses" (the city) in Exod. (١) 1:11 and 12:37 (انظر) D. B. Redford, VT 13 [1963], 401-2; idem, in A. F. Rainey, ed., Egypt, Israel, Sinai [Tel Aviv, 1987]; " the Spring of Menephtoah (Merenptah)," in Jos. 15:19 (J. Simons, The Geographical and Topographical Texts of the Old Testament [Leiden, 1959], 140).
- See H.Gautier, Le Livre des rois d'Égypte (Cairo,1914),3:73-74. (٢) بمسلم أرغ وضع اسم أرغ وصلح المسلم المسلم أن المسلم أن المسلم والمسلم والمسلم

JdS (1901),593ff.,665ff.;idem, Histoire ancienne des peuples de l'Orient (Paris,1898),2:267,n.2.

مع الأسف اكتسبت، اعتراضات زيته الضعيفة، مع لنتها البازمة، وتفضيله لـ 'سينوسرت' كبديل لـ سيسوستريس (ZAS 41 {1901},54-55;idem,Sesostris(Leipzig,1900) كافة الأراء السابقة عليها، وأصبحت الآن بمثابة ركن من أركان الإيمان. قارن:

A.B.Lloyd, Herodotus, Book II A Commentary (Leiden, 1988), 3:16-37. Attempts to find "Sisera" in Philistine or Luwian onomastica (R.A.S.MacAlister, The Philistines: Their History and Civilization (Chicago, 1965), 43; W.F.Albright, Yehweh and the Gods of Canaan (New York, 1968), 251, n. 127)

على ما بوجب الاقتناع. واستخدام "الآلف" في الصيغة العبرية، مقابل "العين" في الأصل المكتوب باللغة المصرية لا يشكل مشكلة عريصة، فـ "العين" في اللغة المصرية كانت ضعيفة إلى درجة محزنة.

- M.C.Astour, JBL. 84 (1965), 422-25. (7)
- (٤) See the apposite remarks of R.E.Brown,The Critical Meaning of the Bible (انظر (۱) (New York,1981) (انظر
 - Cf.H.H.Rowley, From Joseph to Joshua (London, 1950), 57ff. (*)
- (٦) كان عمر "إبراهام" مانة عند مولد "إسحاق"(انظر سفر التكوين الإصحاح ٢١ أية رقم ٥، وكان "إسحاق" في الستين من عمره عند مولد "يعقوب"(انظر تكوين الإصحاح ٢٥ أية رقم ٢٦)، وكان "يعقوب" قد بلغ من العمر مانة وثلاثين سنة عند نزوله إلى مصر (تكوين إصحاح رقم ٤٧ أية رقم ٩).

- (٧) وموالامر الذي يترك عشرين عامًا له "شاءول" وأربعين له "داود" (قارن "الملوك" الثاني الإصحاح الثاني أية رقم ١١)
- Cf.A.Osman, Stranger in the the Valley (London,1987),and D.B.Redford,BAR (A) 15,no.2 (1989),8.
- Cf. Gen.17,21:1-2 (the birth of Isaac);24:1 (the marriage of Isaac);27 (the bless- (1) ing of Jacob);48:8-20 (the blessing of Fphraim)
- لم يكن لأى من هذه القصيص أن تستمر على قيد البقاء لولا تلك الأعمار الطويلة بشكل خيالى، وهي الأعمار التي تشكل جزمًا لا يتجزأ من الحبكة.
- (١٠) يجد الإيمان التقليدي في نصوص النوزي، كما رفره تعزيز القرن الغامس عشر لتقاليد الآباء الصاحاً جيدًا عن نفسه عند:79-71,(Philadelphia,1959),71-79. جيدًا عن نفسه عند:79-71,(Albright, A History of Israel
- (رغم أن 'أولبرايت' وتلاميذه وقررا منذ وقت طويل لهذا الإيمان سعة الرواج والانتشار) مع بالغ الأسف أثبت معظم المقارنات أنها مضللة. قارن:
- J.Van Seters, JBL 87 (1968), 401-8; idem, HTR 62 (1969), 377-95; idem, Orientalia 44 (1975), 585-86; idem, In Search of History (New Haven, Conn., 1983), 226 and n.61.
- (۱۱) تدفع الميول الأصولية-المستقرة Cripto-orthodoxبعض البحاث إلى مزانق مضحكة. وعلى سبيل المثال أقنع "أولبرايت" نفسه منذ وقت طويل بتاريخية شخصية "موسى" وكذلك الأمر أفنع نفسه بالتاريخ المتاخر لـ "الخروج" إلى حد الإدعاء بأن "بطله" ولد في أواخر القرن الرابع عشر ق.م. ومات حوالي منتصف القرن الثالث عشر، ولم يدخر في هذا العدد إلا ذكر سنة الصعود إلى العرش (بالنسبة لفرعون موسى") ومختلف التواريخ المائلة:
- (W.F.Albright,in F.M.Cross,ed.,Magnalia Dei: The Mighty Acts of God (Garden City,N.Y.,1976),122).
- ويستند اعتماد القرن الثالث عشر كتاريخ لـ 'الفروج' ، بصورة جوهرية، على سفر 'الغروج' ۱: ۱۱ مع إشسارته إلى مدينة 'رعمسيس' غيير أن الإشسارات الواردة في سفر 'التكوين' ١٤: ١١ (أرض) 'رعمسيس' وفي 'للزامير' ١٨: ١٢، ٢٦ إلى 'تانيس' يعقد الأمر في الواقع إلى الحد الذي جعل المحافظين يتشبثون بهذا التاريخ مهما كلف الأمر، أما العقبة التي نتمثل في تقسير سقوط المقطع 'بي' في 'بي رعمسيس'، مقر حكم 'رعمسيس' الثاني، فيجرى تجاهلها والقفز عليها كما لوكانت أمرا غاية في التفاعة.
- (M.Bietak, in A.F.Rainey,ed., Egypt, Sinai and Israel (Tel Aviv, 1983), 26-28)
- ومع زيادة الثقة فإن نفيًا بسيطًا لأن يكون الخروج (١: ١١ متأخرًا على هذا النحو سوف يكون كافيًا قارن: M.Görg,Kairos 20 {1978},278;W.H.Schmidt, Exodus,Sinai und Mose {Darmstadt, 1983, 26)
- ومع ذلك فاستنادًا إلى أسس واهية مستقاة من ارح/صادود "سيت-ناخت" يصبح في مقدود "موسى" أن يصبير "أمين-موسى" ووالتالي يكون "سيت-ناخت" هر فرعون "الخروج":
- (Görg, Kairos 20 {1978}, 279-80; O. Keel, Monotheismus im Alten Ägypten und seiner Umwelt {Fribourg, 1980}, 281-29 and n.57).

إذا كانت بعض التلميحات في قصة "الخروج" توحي بأنها أكثر تمشيًا مع "مروب" الإسرائيليين بينما تشير تلميحات أخرى إلى عملية "طرد" لهم، حق لنا أن نوطن النفس على القبول بـ "خروجين" أو حتى أكثر من "خروجين" قارن:

J.J.Rowley, From Joseph to Joshua (London, 1950), 6-7,146; R.de Vaux, Histoire ancienne d'Israel (Paris, 1971), 1:439-40; G.W.Ahlstr?m, Who Were the Israelites? (Winona Lake, Ind., 1986) 46).

وكل ذلك يدخل في إطار إرياك الذهن، ليس إلاً.

S.Mowinckel, ASTI 2 (1963), 8; (11)

للاطلاع على مزيد من الأفكار التي تسير في نفس الاتجاه انظر:

H.Gunkel, Die Religion in Geschichte und Gegenwart (Tübingen,1957-), 2:1353; H.Gese ZThK 55(1958),41-42; G.von Rad, The Problem of the Hexateuh and Other Essays (Edinburgh,1966),170.

(۱۳) So S.Hermann, Geschichte Israels2 (Munich,1980),63,78, and passim (۱۳)

J.M.Milter and J.H.Hayes, A History of Ancient Israel and Judah (Philadel-phia,1986),74-79.

Malamat, ThZ 39 (1983), 1-3;cf. (14)

N.P.Lemche, Biblische Notizen 24 (1984),94ff. :التعليقات اللاذعة التي أفصيح عنها:

Cf. Van Seters, In Search of History, 241; 241; Ahlström, Who Were the Israelites?, 24. (17)

(١٧) لمزيد من الاطلاع على "اللاهوت المنفي" انظر من ٣٩٩ من النص الأصلي.

(۱۸) قارن تعریف 'فان سبترز' التاریخ فی کتابه: In Search of History

(١٩) انظر ص ٢٩٩ من النص الأصلى وما بعدها.

(۲۰) انظر:

R.B.Coote and K.W.Whitelam, The Emergence of Early Israel in Historical Perspective (Sheffield, 1987); G.R.H.Wright, ZA 78 (1988), 157.

Cf.Josh.15:13 (Caleb takes Hebron and Debir-from which direction is not specifi- (*\) cally stated);

سفر القضاة١: ١٦) وينو القيني حمى موسى صعدوا من "مدينة النخل" (= قادش) مع بني يهودا إلى برية "يهودا" التي تقع في جنوبي "عراد" (كي يستولوا على النقب، ريدفورد)

Miller and Hayes, A History,58-63. (YY)

(٣٣) قان الأحجار الاثنى عشر في الأردن ('يشوع' ٤: ١-١٠)، تقسير اسم المكان 'جلجال (يشوع ٥: ٣-٩) والمفاظ على 'رحاب' ('يشوع' ١٠ ٣٠-٩٥) وتقسير اسم المكان 'عاى ('يشوع' ١٠ ٣٨) وكوم-الأثقاض عند البوابة ('يشوع' ١٠ ٣١)، وتقسير وضع الاستعباد الذي طلبه سكان 'جبعون' لانقسهم من 'يشوع' ('يشوع' الإصحاح رقم ٩) والأحجار التي دحرجها بنو إسرائيل لإغلاق مغارة 'مقيدة' على الملوك الخمسة الذين اختبلي غيها ('يشوع' ٢٢: ١٠-٣٥).

Cf.B.S.Childs,JBL.82 (1963),279-92. (71)

Sheshay in Josh.15:14 as a son of 'Anak:Merenptah in 18:15 as the waters of (Yo) Nephtoah."

The rebuilding of Jericho (Josh." 6:26;cf.l Kings 16:34); "Sojourners" among- (۲٦) th Israelites (۲۵–۲۲:۸) (مقیمین فی رسط الإسرائیلیین).

Cf.Gallaway, BASOR 196 (1969),2ff.;J.M.Miller,in Israelite And Judaean History (TV) (Philadelphia,(1977),272;R.Cohen, Kadesh-barnea (Jerusalem,1983); S.Hermann,in Biblical Archaelogy Today (Jerusalem,1985),48; M.Kochavi,ibid.,55.

تبره المسارلة التي قام بها في الأربة الأخيرة "بيمزون" نصو إعادة تأريخ "الخروج" (من مصر) و"الفزو" (لا كنمان) بعيث تقمان خلال القرن الخامس عشر قء (Bimson,Redaling the Exodus)لله (1987,1987) الحقاظ (1987,1987) مع الاجتهاد في سبيل الحقاظ بصورة صادقة، على الإيمان بالتأريخ التوراتي، بالفشل، في رأيي الخاص، في أي مواجهة حاسمة أمام الحقائق الصلبة، فضلاً عن أنها تقفز على الصعاب التي تعرق اتسافها.

Cf.Ahlström, Who were the Israelites?,3; see also my discussion on p.290f. (۲۸)

D.R.Redford, JSSEA 12 (1982), 55-74. (Y1)

J.R.Bartlet,PEQ 104 (1972),26-37;C.M.Bennett, in IDB Suppl. (Nashville, Tenn., (1.) 1976),251-52;pace J.Sauer, BASOR 263 (1986),10 (Iron IA sherds do not a kingdom make!).

(٣١) انظر في الأونة الأخيرة تعامًّا:

i.Finkelstein,The Archaelogy of the Israelite Settlement (Jerusalem,(1988); F.S.Frick, The Foundation of the State in Ancient Israel: A Survey of Models and Theories (Sheffield,1985);also Ahlsröm, Who were the Israelites?,67.

(٣٢) بين العديد من الكتب والمقالات التي تتناول الموضوع، يجوز للعرء أن ينتقي ما يلي:

G.E.Mendelhall,BA 25 (1962),66-86;idem,The Tenth Generation (Baltimore,1973); N.K.Gottwald,VT Suppl.28 (1975),89-100;idem,The Tribes of Yehweh (New York, 1979);idem,in Biblical Archaelogy Today, 34-46;D.N.Freeman and D.F.Graf,eds.,Palestine in Transition: The Emergence of Ancient Israel (Sheffield,1983);Miller, in Israelite and Judaean History,277-79.

(٣٢) حول بحُرِض (= جمع بحض) نظرية "الهبة القلاحية" انظر:

A.H.Hauser, JSOT 7 (1978),2-19; Ahlstr?m, Who were the Israelites?,6-9,19-21; D.Pardee, JNES 48 (1989),147.

- KRI IV, 19. (71)
- See p.82f. (To)
- See p.278f. (٢٦)
- M.Liverani, The Politics of Abdi-Ashirta of Amurru (Malibu,Calif.,1979);Ahlström (YV) Who were the Israelites?,15-16.
 - (٢٨) كانوا في حقيقة الأمر كما يبدو في العبرية : 'بيت أب' = 'بيوت الأب' انظر:

J.Scharbart,in W.C.Delsman et al.,eds.,Von Knaan bis Kerala (Neukirchen-Vlun, 1982),213-37;Miller and Hayes, A History, 91.

- (٢٩) وحتى 'مجدو' لم تحتج إلى أكثر من مانة رجل!
- M.L.Chaney, in Freeman and Graf, Palestine in Transition,75. (٤٠)
- A.Alt,kleine Schriften zur Geschichte des Volkes Israel (Munich,1953), (£1) 97ff.;A.F.Rainey,IEJ 30 (1980),250-51;Ahlstr?m, Who were the Israelites?,27;N.P.Lemche,Early Israel: Anthropological and Historical Studies on the Israelite Society before the Monarchy (Leiden,1985).
 - P.Anastasi,23:ff. (11)
- Cf.EA 292:26ff.;49ff.On the cApiru pressure into Shephah, threatening Gez- (17) er,see EA 273:18-24.
 - (حول ضغط العابيرو على شيفيلاه وتهديهم لـ جزر انظر)
 - (£1) انظر من. ٢٠٨ من النص الأصلي.
 - T.Ishida, The Royal Dynasties in Ancient Israel (Berlin,1977),129. (10)
 - Cf.EA 253:11-15. (17)
 - EA 244. (1Y)
 - EA 255. (EA)
 - EA 253:21-22. (14)
- E.F.Campel,BA 23 (1960),19-20;idem,in G.E.Wright,Shechem (New York, 1965) , (•) 191-92;A.F.Rainey in IDB Suppl.869.
 - EA 27:30-31;289:23-24. (a\)
- (٥٢) تتضع حقيقة أن الأمر لم يكن أمر استحقاق عن طريق الوراثة، بل كان الاختيار من جانب الفرعون هو الذي حدد شغله لمنصبه في أورشليم، بصورة جلية، في:

ea 286:12;SEE Moran, in H.Goedicke and J.J.Roberts,eds.,Unity and Diversity (Ballimore,1975),156;cf.Ishida, Royal Dynasties, 155.

(٥٢) عن "الفزائو": Ḥazanu انظر عن ١٩٨ من النص الأصلى. والمصطلح لا يعنى أكثر أو أقل من "العمدة" أو "المقار" في الوقت الحاضر،

EA 285:5-6;288:9-11; W.E. Albright, JEA 23 (1937), 196. (61)

كلمة 'واعر' تعنى بالمصرى القديم: جندى مشاة عامل دائم (طول - الوقت وليس لبعض - الوقت)

Wb I, 280; A.R. Schulman, Military Rank Title and Organization in the Egyptian) New Kingdom (Berlin, 1964) 36-37)

وهذه الكلمة شنتخدم بصفة عامة في مقابل "الموظف المني". قارن:(Moran,in Unity and Diver sity) ويجوز استخدام المنطلع أيضًا كي يعني "الجندي-البحري" انظر:

Urk IV.895:9,996:1;J.E.Quibell, The Ramesseum (London,1898), pt.27:4;) C.Vandier slayan, Les guerres d'Amosis (Brussels,1971),26ff),or of a member of a gang of workmen:J.černy, A Community of Workmen at Thebes in the Ramesside Period (Cairo,1973),47.

Akhnaten Temple Project,2;17,esp.n.52. (00)

EA 287:49-50. (61)

EA 287:60-61:sakan sumsu...ana dsri? (Moran,in Unity and Diversity,155) (eV)

كان المنطلح الممري ليكون العبارة الشائعة بصورة واسعة:

smn rn (r-nhh):D.Meeks, Année Lexicographique (Paris,1982),3:170.For similar thought, see W.M.F.Petrie, Hyksos and Israelite Cities (London,1906),pls.22,28; R.Giveon, Les bédouins Shosou (Leiden, 1972),114-15 and (5).

V.Scheil,RB 1 (1892),116-17;L.H.Vincent and F.M.Abel, Jerusalem (Paris, (AA) 1922),774-75,pl.79:12;L.H.Vincent,RB 17 (1920),311-12;W.Ward in F,James, The Iron Age at Beth Shan (Philadelphia,1966),174,figs.98:3,99:2;G.Barkay,7th Archaeological Congress in Israel (Jerusalem,1980),19;

حول إمكانية وجود تقاليد كتابية كنعانية سارية في "أورشليم" انظر: - - مراد

R.Hess, ZAW 101 (1989),249-65.

EA 287:14-16. (a4)

والحقيقة التي تقول إن أراضي 'عشقلون' و'جزر' هي التي مدت يد العون الخارجين على القانون، وليست للدن ذاتها، ربما تجمل من هذه الأماكن أقل استحقاقًا للعقوبة من 'لاخيش'.

See Giveon, Shosou ;D.B.Redford, JSSEA 12 (1982), 74, n. 155; cf. also Z.A. Kafafi, (1.) Biblische Notizen 29 (1985), 17ff.

حول مدى مناسبة هذه الأرض للعابيرو انظر:

Liverani, Three Amarna Essays (Malibu, Calif.1979),15.

Wb IV,IV,412:5;CT I 212;P.E.Newberry, Beni Hassan (London,1891), 1:pl.41 (\\)(A) ;PT 854;A.el-M.Bakir, The Cairo Calendar (no. 86637) Cairo,1966,pl.1,4.

Book of the Heavenly Cow (سفر البقرة السماوية) (66) E.Hornung,Der Ägyptische (٦٢) Mythos von der Himmel-skuh{G?ttingen,1982},6);G.Posener, La première domination perse en Egypte (Cairo,1937),43;P.Posener-Kriéger, Les archives du temple funeraire de Néferirkare-kakai (Cairo,1976),1:203-4.

E.Edel, Altägyptische Grammatik (Rome,1964),sec.227;Giveon, Shosou; (٦٢) CAD,5:55-36;W.G.Lambert,BASOR 160),43: وحول الاستثناس المتأخر للجمل انظر: (المجمل القرن التاسم ق.م.)

t.Finkelstein, JNES 47 (1988), 246-47 (مع إشــــارات);S.Redford, JARCE 26 (1989),6,n.28.

- T.O.Lambdin, JAOS 73 (1953), 155. (%)
 - Giveon, Shosou,26ff.(doc.6a). (%)
- (٢٦) يعجز وجود أسماء أماكن مركبة على اسم 'شاسو' (قارن: ينبوع 'شاسو')

E.Edel,Ortsnamenlisten aus dem Toten Tempel Amenophis III (Bonn,1966) 25;M.Görg, JNES 38(1979),199ff.;idem,Biblische Notizen 9 (1979),51-52;idem,ZDPV 98 (1982), 14;N.Na'aman GM 57 (1982),28-29;S.Ahituv, Canaanite Toponyms in Ancient Egyptian Documents (Leiden,1984),57-58

فى لبنان وسوريا عن إثبات أن "الشاسر" كانوا سكانًا أصليين فى هذه المنطقة مثلما يفعل وجود أسماه قبيلة "الإيروكوا" (الهندية الأمريكية أو الهندية الحمراء) حول "البحيرات العظمى" فى إثبات أن أصل "الأمم الست" راجع إلى هذه المنطقة . قارن:

C.Wissler, Indians of the United States (New York, 1940), 127-28; J.B.Griffin, The Iroquois in American Prehistory (Ann Arbor, Mich., 1944).

(٦٧) ليس هناك أي سبب بالمرة يدعونا إلى الفصل بين (s'rr) التي وردت في قائمة 'أمارة' عن الكلمة العادية المعروفة (s'r)

(M.Astour,in M.Görg,{ed.},Festschrift Elmar Edel {Bamberg,1979},17ff.)
فالكتابة باستخدام حرفى (r) يتمشى على وجه التحقيق مع الخط المسرى المتأخر، وهو الخط الذي سمى
إلى التفريق بين الحرف الساكن (التكراري) r ربين (r) شبه اللهوى عن طريق رسم الحرف الأخير مرتين:
A.Erman,Neuägyptische Grammatik (Leipzig,1933),209,304,etc,

وبالتالي فإن الأولى: s'rr ليست سوى شكل أخر للثانية: s'r الاكثر انتشاراً.

Giveon, Shosou,76;cf.also Laban's role as the pregenator of the Ammonites and (%) the Moabites:Gen.19.

وأيضاً دور "لابان" كسلف لكل من الموأبيين والعمونيين (= بني عمون) تكوين: ١٩

(٦٩) أرى في Wrbr شكلاً من أشكال Ybr الواردة في قائمة أسماء الأماكن التي خلفها لنا الفرعون "تحوت - موسى" الثالث، والرسم الكنعاني للكلمة ومو "أويال ورافطال وبيل باللغة العربية) وهو حوض الوادي الجاف، وهو المستخدم في هذا القسم من القائمة كاسم يطلق على الوديان الشرقية الغربية الكبرى التي تبدأ من الأراضي المرتفعة حتى صدع الأردن. انظر:١٤ (١٩٨٢) D.B.Redfford, JSSEA . ٦٤ (١٩٨٢)

Anast.vi 54-56 ("clans of the Shasu of Edorn"); P.Harris 1,76:9 (Se'ir with the (V.) Shasu clans"); P.Montet, Kêmi 5 (1937), pl.III ("despoiler of the land of the Shasu, plunderer of the mountains of Se'ir")

"تاهب أرض "الشاسر" سالب جبل "سعير"

for the Shasu in Khkh (Timna), see R.Giveon, JARCE 8 (1969-1970),51ff.

B.Grdseloff,RHJE 1 (1947),69ff;S.H.Horn,JNES 12 (1953),201;R.Giveon,VT 14(V1) (1964),239ff;

في غسوء السهاق كان اسم "بهوه" ليعنى على وجه الاحتمال اسم مكان، ولكننا نستطيع أن نلتمس تناظرات لآلهة تشترك مع أماكن في الأسماء نفسها انظر :

R.de Vaux, The Early History of Israel (London, 1978), 334; M. Görg, Biblische Notizen 1 (1976), 7ff.

R.de Vaux, Eretz Israel 9 (1968), 28*-32*; E.Lepinsski, in The Land of Israel: (YY) Crossroads of Civilization (Louvain, 1985), 105 and n.37; E.Axelsson, The Lord Rose Up from Seir: Studies in the History and traditions of the Negev and southern Judah (Stockholm, 1987); Ahlström, Who were the Israelites? 57-60. Ahlström's skepticism regarding YHW and the location of the land of Shasu" is wholly unwarranted.

ولعل الشكوك التى راودت "أليستروم" تجاه "يهوه" وموقع أرض "الشاسو" لا أساس لها من المسعة بشكل تام. (٧٢) W.A.Ward JESHO 15 (1972),52-53f. (٧٣)

Redford.JSSEA 12 (1982),55-56. (YE)

Urk IV, 36,721(موتع الحملة غير معريف) see Giveon,Shasou,9ff: (٧ه)

تحت طل الفرعون "أمين-حوتب" الثاني قفزت جيوب الضفة الغربية إلى موقع الصدارة: ibid.,26ff.:Ward,ADAJ 18 (1973),45-46.

Cf.KRI 1,9; (V1)

حول حملات الفرعون "سيتى" انظر مناقشاتى على صفحات ١٧٩-، ١٨٠ وكان مفتاح السياسة التى النتهجها الفرعون سيتى" تجاء الشمال هو الوقائية، وهو الأمر الذي يجيز التشكك فيما إذا كان "القهديد" الذي شكه "الشاسر" أي شيء آخر سوى "حجة" أو تعلل. قارن:

the phrases in R.A.Caminos, Kasr Ibrim (London, 1968), pls. 39-40.

G. G0yon, Kêrne 7 (1938),115,pls.19,22;;P.Anast.vi.54ff.;W.Helck JARCE 6 (YV) (1967),135ff.;Giveon JARCE 8 (1969-70),51ff.;Redford,JSSEA 12 (1982),74,n. 155.Cf.R.A.Camonos, A Tale of Woe (Oxford,1977),72

(حيث تتكرر عبارة أمم السعيريون في سياق يكتنفه الغموض) على أن رجودهم مناك يكاد الا يشابه S.Herrmann,A History of Isreal in Old Testament Times (Philadel-أصل "إسسرائيل:-13,(1975)

بينما في الدلتا قد يكون المصريون قد فرضوا عليهم الخدمة في بساتين المنب ومعاصره. انظر: KRI VII,68(Wine of the Asiatics of "Bird-pool")

Helck, JARCE 6 (1967), 135ff.; mw-kd is the Red Sea: see among oth- (VA) ers, H.Goedicke, GM 10 (1974), 13ff.; G.Posener, GM 11 (1974), 33ff.; E.Edel, Biblische Notizen 11 (1980), 72.

R.A.Caminos, The Chronicle of Prince Osorkon (Rome, 1958), 144. (Y1)

P.Wilbour 44:31,36;48:2;61:9 (A.)

هنا أيضاً استزرعت عبادة 'بعلات' تحت هيئة 'هاتحور'، انظر:.Giveon, Shosou,147ff انظر:.Sper-meru عبادة 'سبير- مبرو':

Gardiner, The Wilbour Papyrus (Oxford, 1948), 2:chap. 1, sec. 5;idem, Ancient Egyptian Onomastica (Oxford, 1947), 2:110°ff.

(٨١) انظر ص ٢٦٩ من النص الأصلي.

(AY) أن تكون هبة شعبية قد أعقبت الهزيمة في 'قادش' هو التفسير الوحيد المقبول ظاهريًا التصوير المقولب
الاستيلاء على المدن التي يرتبط بها شرح في غالب الأحيان (كما في حالى 'رامسيوم) عن طريق الإشارة
إلى 'السنة الثامنة' الظرة' الملامة الملامة (2) 112,432 P-M II2,432

مع توافر كم معقول من الأدلة، إلاّ أن مسار الحرب المصرية-الحيثية بين السنة الخامسة والسنة الحادية والعشرين لا يزال بحاجة ماسة إلى مزيد من الدرس،قارن:

K.A.Kitchen, Pharaoh Triumphant (Warminster, 1982),67ff.

(٨٢) انظر من ١٨٦ من النص الأصلي.

Kitchen, JEA 50 (1964), 47ff.: (A£)

يصمب تحديد تواريخ هذه الحملات قبل سنة ه (كما يفعل دبليو. هيلك) ،(18,478 (1969) W.Helck VT (1969) في ضوء السياق المعروف للأحداث في النصف الأول من العقد الأول للحكم. قارن:

D.8.Redford,JEA 57 (1971),110-11.

P-M II2,133 (493). (Ao)

أن يكون تاريخ الجدارية راجعًا إلى حكم الفرعون 'رعمسيس' الثاني وليس إلى حكم الفرعون 'ميرى-

F.Yurco, JSSEA 8 {1978}, 70; idem, JARCE 23(1986), 89-90)

أصبح الأن أمراً ثابتًا على وجه التقريب، انظر: ٣٦ (١٩٨٦) ٢٠٠ . - ٢٠٠ D.B.Redford,IEJ
والسؤال الذي يدور حول ما إذا الفرعون "ميرى- إن- بتاح" قد قهر "عشقلون" هو الأخر (قارن تلك الفقرة الشهيرة الواردة في صادود/لوح "ميرى-إن- بتاح":

H.Engel,Biblica 60 {1979},373ff.;G.Fecht,in M.Görg, ed.,Fontes atque Pontes {Wiesbaden,1983},106ff.;E.Hornung, in ibid.,22ff.;G.W.Ahlström and D.Edelman,JNE 44 {1985},59ff.;L.E.Stager.Eretz Israel 18{1985},56*ff.)

يظل سؤالاً مون جواب حتى الأن.

IEJ 36 (1986), 188-200. (AT)

(۸۷) انظر رقم ۸۵

(٨٨) حول "بيت شان" انظر: ص ٢٩٢ من النص الأصلي.

A.Alt, Essays on Old Testament History and Religion (New York,1968), 231- (AN) 32;A.Malamat,in Cross,Magnatia Dei,152-68.

(٩٠) سارت الدراسات التي تتناول فترة "القضاة"، في الغالب الأعم، في نفس الوقت الذي تسجد فيه باتجاه الإقرار بأن إطار سفر "تثنية الاشتراع" في شكله المعروف بيننا في الوقت الصاضر هو متأخر زمنيًا بصورة أصيلة، استنادًا إلى فرضية لم يقم عليها دليل بأن المواد الواردة في ذلك الإطار هي مواد قديمة بشكل أصيل قارن بين أعمال أخرى:

A.Matamat, in B.Mazar,ed.,The World History of the Jewish People,1 (Tel Aviv,1971), 3:134

"مع كافة مراطن الضعف التي يحملها "سفر القضاة" كمصدر تاريخي، فالروايات التي يضمها تعد ...
تصويراً صابقاً لنمط الحياة والظرامر التاريخية التي تميز تلك الفترة عن غيرها من الفترات)
idem,in Cross, Magnalia Dei,152-68;Bright,History,130-32;E.L.Ehrlich, A Concise History of Israel (New York,1962),25ff.;D.N.Freedman, in H.Goedicke and J.J.M.Roberts, eds., Unity and Diversity (Baltimore,1975),3-35;Lipinski, in The Land of Israel:Crossroards of Civilization,95 and n.6.

ومن المقيد أن تلاحظ هنا بعض ملاحظات الاعتراض:

H.Engel,Die Vorfahren Israel in Ägypten (Frankfurt,1979),77-78;J.M.Sasson, Ruth,A New Translation (Baltimore,1979),250;Van Selers, In Search of History,342-46.

Ishida,Royal Dynasties,33-37;H.Rosel,Biblica 61(1980),251ff.;idem,BZ 25 (41) (1981),180ff.;N.P.Lemche, Biblische Notizen 20 (1983),44ff.;Miller and Hayes,A History,93; on the term,see references in Ahlström,Who were the Israelites? ,78,n.74.

See J.C.Waldbaum,in T.A.Wertime and J.D.Muhly,eds., The Coming of the Age (97) of Iron (New Haven,Conn., 1980),86.

- (۹۲) (انظر رقم ۱۲) See n.63
- Cf.Josh.11:8,13:4,Jud. 1:31,10:6,19:28.H.Donner and W.Rolling, Kanaanäsche (11) und aramäische Inschriften (Wiesbaden,1962-1964) 2:19-23;L.I.Levine, Caesrea under Roman Rule (Leiden,1975),144,n.6.
- (٩٥) قارن شخصية "شامجار"، نصف الإله، ابن "عنات" التي حُملت، على سبيل الخطأ، كبطل قديم وكذلك الاشتقاق الفرلكارري (أي الفاطئ) للاسم الشخصي: يرب-بعل (= يربعل)(قضاة" ٦: ٢٢)
 - Urk IV,1309, excluding the Nukhashsheans and the total for the families. (41)
- Mhwt:Wb 11,114:8, Giveon, Shosou,47-48,66;P.Anasti.20.4;vi 54-56;P. Harris (N) 1.76:9-10.
- (٩٨) (٩٨). Wb II,114:10,see the instructive list in Medinet Habu: P.M.II2,173 (6) (٩٨). انظر القائمة
- Cf.P.Anast.I,20:2-4;A.H.Gardiner and Cerny, Hieratic Ostraca (London, 1958), (11) pl.78:4-6;J.Cerny, JNES 14(1955), 161ff.J.L.Foster, JSSEA 14 (1984), 88ff.

حول ظاهرة التمزق القبلي وإعادة التوحد القبلي، انظر:

M.B.Rowton, JNES 36 (1977), 183-90.

- KRI I,9:3-5,16:9ff. (1-1)
- Pace N.K.Gotwald,IDB Suppl.629. (1-1)
- Cf.especially P.Anast.1:17,7;23,7-8. (\-Y)
 - P.Harris 1,76,10 (ihrw= (1.1)

حرل ثقاليد التخبيم في إسرائيل انظر:.32-324,(1988) M.Weinfield,VT 38

- Cf.P.Montet, Kêmi 6 (1937),pi.3 (dw n S'r, the mountain of Se'r");Petrie, Hyksos (۱۰٤) and Israelite Cities ,pl.32(n3ysn tswt,their Hills=
- Cf.P.Anast.1,19,1-4(tions, leopards, and bears);cf.similarly W.Helck, Die Lehre (\...) des Dw³-Htii(Wiesbaden,1970)2:xvi.a.
- Cf.P.Anast.VI,54-56;P.Harris 1,76:11;W.Westendorf ,Koptisches Handwärter (\\1) buch (Heidelberg, (1977),327, for Coptic sös, "Herdsman, Shepherd."
- P.Turin B. Verso 1,8= R.A.Caminos, Late Egyptian Miscillaneous (Ox- (\.v)) ford,1954), 467.
 - (١٠٨) كتلة فيينا من مقبرة الفرعون "حور-إم-جب" انظر:

Bergmann, ZÁS 27 (1889), 125ff.; J.H.Breasted, Ancient Records of Egypt (Chicago, 1906), 3:sec 11; A.H.Gardiner, JEA 39 (1953) 7; Helck VT 18 (1968), 472ff.

يذهب رأبي الخناص إلى أن النقش الذي تحمله هذه الكتلة لا يخرج عن تصريع هام حول السياسة الفرعونية (ولا بشير إلى حادثة بعينها) نسبها قائلها أو كاتبها إلى تحرر -إم-حب بصفته ناطقًا باسم الفرعون الضباط المسئولين المصريين عن أسيا وكوش،

(١٠٩) حول الاستيطان الأصلي في المرتفعات انظر:

J.M.Miller,in J.H.Hayes and J.M.Miller,eds.,Israelite and Judean History (Philadelphia, 1977),279ff.;Miller A History,83-85;also G.W.Ahlström,JNES 39 (1980)65, and the literature there cited.

وحول استيطان القبائل الإسرائيلية بصفة عامة انظر على وجه الخصوص:

Alt. Kleine Schriften,1:126ff.;M.Weippert, The Settlement of the Israelite Tribes in Palestine (London,1971);S.Mittmann,Beiträge zur Diedlungs-und Territorialgeschte des nordliche Ostjodari-lands (Wiesbaden,1970),208ff.;B.Mazar,BASOR 241 (1981), 75ff.;also the excellent survey of B.S.J.Isserlin,PEQ 115 (1983),85ff.,and review of the evidence by Gottwald,Herrmann,and Kochavi in Biblical Archaeology Today.

مع أن غُناصر عديدة من القبائل تملك تاريخًا طريلاً بصورة واضحة، إلا أنه يبدو أن هناك مسوغًا كبيرًا لاعتبار الفيدرالية الإسرائيلية رد فعل دفاعي من جانب العابيرو ورجع في أعماق التاريخ إلى عصر الهكسوس.

So W.R.Wall,ZAW 95 (1983),197ff.

ولسوف نعود إلى مناقشة مسالة استيطان إسرائيل في الفصل التالي.

د. ١١) حول الزيادة المهولة في كتافة السكان في الرتفعات الوسطى خلال العصر الحديدي الأول انظر: M.L.Chaney,in Freedman and Graf,Palestine in Transition 49-50;L.E.Stager, BA-SOR 260 (1985),3,25;Kochavi in Biblical Archaeology Today,55-56.

H.K.Beebe, BA 31 (1968),49;G.W.Ahlström JNES 41 (1982),133 and n.2; (۱۱۱) A.Mazar,in Biblical Archaeology Today,61ff.

وحول المستوطئات في "أراد" و"ضبان" و"جبعون" و"عاى" في مواقع لم يطأها أحد مُن قبل انظر: J.Callaway,BASOR 196 (1969),9

ومع ذلك فمع مرور الرقت أخذت الملامح المبيرة لنمط السكن وتخطيط المدن في الظهور: Y.Shiloh IEJ 28 (1978),36ff.and the literature in n.1 and 2;Stager,8ASOR 260 (1985),11ff.;A.Mazar,as cited.

وفي سبيل ملحوظة تحذير، يحتاج إليها المرء بصورة ماسة في تفسير مثل هذه المواقع الأثرية مثل "تل ماسوس" انظر:.N.K.Gottwald,in Biblical Archaeology Today,40-40

Cf.O.Negbi, Tel Aviv 1 (1974),159ff.;R.Amiran, Ancient Pottery of the Holy (111) Land (Jerusalem,1970),192.

(١١٢) قارن الملاحظات الحصيفة التي أبداها:

Isserlin.PEQ 115 (1983),90, and V.Fritz, BASOR 241(1981),70ff.;also Y.Aharon, BA 39 (1976),74ff.,and G.Mendenhall.ibid.,152ff.

C.Meyers, BASOR 252 (1983), 55;perhaps also Z.Gal,Tel Aviv 9 (1982), 79ff. (\\t)

N.Na'aman ZDPV 103 (1987),13-21.(\1)o)

E.F. Campell, Interpretation 29 (1975), 145; (١١٦)

قارن ولع النبطيين بالاعتقاد في أجملة من الآلهة ، وحول الأصول الاجتماعية المحتملة للتقاليد التي تثبذ الستخدام الصور والتماثيل انظر: R.S.Hendel.CBQ 50 (1988),365-82

(۱۱۷) انظر رقم ۹ه ٔ

(۱۱۸) لعله رفض غريب للأدلة الصلبة أن يزعم أحد أن الحركة الإسرائيلية، التى تتمثل فى 'تحالف واسع النطاق من العائلات المرسعة والجمعيات الدفاعية والقبائل، تلك التى تمكنت من الإطاحة بالسلطة المركزية، اضطرت إلى الدفاع عن نفسها فى وجه التسلل المضاد للثورة الذى قامت به السلطات المخلوعة ، وأن فى 'كنعان'، فى ظل تضعضع النفوذ الإمبراطورى المصرى، اضطر الإسرائيليون إلى التصدى لعدد كبير ومتنوع من هذه الدول الصغيرة'. انظر:

(N.K.Gottwald,in Palestine in Transition,30).

كم تسهل سيطرة نموذج ما على ذهن المره، من دفعه إلى نسيان الماجة إلى النهج التجريبي.

الفصل الحادى عشر

الخيول وابنة الفرعون

مصر والملكة المتحدة

فى سنة ١٠٧٥ ق.م. كانت إمبراطورية الرعامسة لا تزال على قيد البقاء، مع أن الضعف كان قد نب فى أوصالها، وكذلك الفقر، ولكنها كانت قد تحررت من الأوهام. ولم يكد جيل قصيير يمر وعبرت البلاد "انقسامًا كبيرًا" كى تبخل غسقًا موغلاً فى العمق من الحقبة "التانيسية" (= نسبة إلى "تانيس" العاصمة فى ذلك الوقت والواقعة فى محافظة الشرقية حاليًا المترجم) فما الذى حدث؟

تانيس وطيبة: فترة الانتقال إلى الأسرة الحادية والعشرين

يستطيع المرء، بطبيعة الحال، أن يتوسل، على نحو مقنع، بنوع من الارتباط بين العوامل الاقتصادية وتلك المناخية، في نشر الخراب في المجتمع المصرى في القرن الثاني عشر ق.م، فلقد أدى الدمار الذي لحق بالإمبراطورية الحيثية واجتياح شعوب البحر المشرق إلى حرمان مصر عمليًا من الوصول إلى المناطق الغنية بالفضة والحديد في هضبة الأناضول، في الوقت، بالضبط، الذي كانت فيه هذه المعادن قد أوشكت على احتلال أهمية قصوى في الخزائن والترسانات الدولية. وبحلول الربع الثالث من القرن الثاني عشر، كانت مناجم الفيروز في سيناء قد أغلقت، ومناجم النحاس الأحمر في تمنة " Timna كانت "الرجل قد خفّت" عنها كيلا نقول مُجرت، وبدأت مناجم الذهب في النوبة تكشف عن بعض العلامات على الإنهاك. وبناء عليه، فبحلول سنة ١١٨٥ ق.م، أصبح كل من الذهب والنحاس الأحمر، أكثر تكلفة، بصورة مفاجئة، عما كان

عليه الحال من قبل. ونجم عن فترة ممتدة من الجفاف في شمال شرق أفريقيا إلى ومبول فيضانات منخفضة متعاقبة، وبالتالى محاصيل أقل، (۱) وأصيبت البلاد بالتضخم وتفجرت فيها الإضرابات العمالية. وارتفع سعر كمية من القمح لا تزيد عن 7,7, بوشل (مكيال إنجليزي للحبوب = Λ جالون) من واحد "ديبين" من النحاس الأحمر عند نهاية حكم الفرعون "رعمسيس" الثالث إلى خمسة أضعاف بعد مرور أقل من عشرين سنة، ولقد أشارت التقارير الرسمية للمفتشين الذين يتقصون الحقائق مرة بعد أخرى إلى ملاحظات من هذا القبيل: "في السنة التاسعة والعشرين في الشهر بعد أخرى إلى ملاحظات من هذا اليوم العاشر، في هذا اليوم عبر العمال خمس نقط تفتيش للجبانة وصاحوا: نحن جائعون! ومرت سنة عشر يومًا من الشهر وهم ملازمون لأماكنهم (أي يرفضون العودة للعمل) "(۱).

وكان من المتعذر في ظل أسعار مرتفعة وأجور منخفضة، مقاومة الإغراء الذي تشكله الكنوز الهائلة التي ترقد مدفونة في المقابر الملكية والخاصة معًا على الضفة الفربية لـ 'طيبة"، فخلال حكم الفرعون 'رعمسيس' التاسع (الربع الأخير من القرن الثاني عشر) جات أولى التقارير حول سرقة المقابر سواء في الجبانات الملكية أو تلك الفاصة. وبدأ اللصوص بالجبانات التي يسبهل الوصول إليها، تلك التي ترجع إلى فترة الانتقال الثانية في الطرف الشمالي الجبانة، إلا أن اللصوص أخذوا يتدرجون حتى وصلوا بنهاية القرن إلى مدافن العصر الإمبراطوري ذاته، وبلغ بهم الأمر حد نهب المقابر التي يخلد فيها الراحة الأبدية جشماني الفرعونين "سيتي" الأول و"رعمسيس" الثاني، وحاولت السلطات أن تزرع الحراس وتلقي القبض على المذنبين، وحاولت السلطات أن تزرع الحراس وتلقي القبض على المذنبين، التحقيقات القضائية التي جرت في قضايا نهب المقابر التي نجت من صروف التحقيقات القضائية التي جرت في قضايا نهب المقابر التي نجت من صروف الظروف("). ولكن، وكما يحدث مع مشكلة المخدرات في مجتمعنا المعاصر، كانت الحاجة ماسة إلى حد بعيد لإعادة ترزيع ثروة بهذا الصجم، فضلاً عن أن الموظفين الحكوميين كانوا من الفساد بحيث لا يستطيعون أن يقوموا بما هو أكبر من مهاجمة المكوميين كانوا من الفساد بحيث لا يستطيعون أن يقوموا بما هو أكبر من مهاجمة رأس قمة جبل الجليد ليس إلاً. ويحلول القرن الحادي عشر ق.م. وجد الكهنة الاتقياء

أنفسهم مدفوعين إلى اللجوء إلى إخفاء مومياوات الأسلاف في سلسلة من المقابر، أي خطوة واحدة، كما كان عليه الحال، بعيدًا عن متناول اللصوص الذين لا يعرفون الكلل أو الملل فيما عقدوا عليه عزمهم. وفي نهاية المطاف، وخلال القرن العاشر ق.م. نقلوا في يأسهم العميق ما تبقى من مومياوات ملكية من الأسرة السابعة عشرة إلى الأسرة العشرين إلى بئر منجم في منطقة "الدير البحرى" حيث ظلت ترقد في سالام حتى اكتشافها خلال القرن التاسع عشر من عصرنا الحالي(أ).

يستدير المرء، إلى العامل البشرى، إن عاجلاً أو آجلاً، في إطار بكته الذي لا غنى عنه، عن "الأسباب" في التاريخ وقد تزوغ منا التفاصيل، غير أن الأدلة تجمع على أنه، عقب رحيل الفرعون "رعمسيس" الثالث "خلفه على عرش مصر، ولدة امتدت لسبعة أجيال، ملوك أثبتوا أنهم بلداء، نذروا أنفسهم للانغماس في الملذات وحياة الترف وبالتالي ففي السجل الكهنوتي لم يحدث أن سلموا الأجيال اللاحقة مبنى عظيمًا ابتنوه أو مأثرة خرجت من أيديهم تستحق التسجيل التاريخي"(د). ومع أن هذا الأمر، في جازء منه راجع إلى الافتقار إلى السجلات ذاتها، كما يذهب "ديودور الصقلي"، إلا أن هذا الانطباع صحيح: وقعت عائلة "رعمسيس" الثالث ضحية صراع شرس طويل الأمد، ربما نتيجة للظروف التي أحاطت بالاغتيال، ولقد كانت نهايتها مشينة تمامًا.

أما الفرعون رعمسيس الحادى عشر الذى عمر طويلاً، ولكن دون أن يكون له أثر فعال (بالتقريب من ١١٠٥ - ١٠٥ق.م.)، ولا يستطيع المرء إلا أن ينظر إليه بدرجة من الشفقة (ولكن السبب وراء هذه الشفقة يستعصى على التقصى بسبب نقص الأدلة) فلقد برهن على أنه أخر الرعامسة وأخر الفراعنة الإمبراطوريين. وكان قد فار بسمعته هذه التى يكتنفها الالتباس وهو لم يزل بعد على قيد الحياة: "أما بخصوص الفرعون، فكيف يستطيع الوصول، بأى حال من الأحوال، إلى هذه الناحية (= طيبة في الجنوب)؟ من ذا الذي يأتمر، في الحقيقة، بأمره؟ لا تعر ما قد يقدم عليه اهتمامًا!" إلى هذا الحد من ضائة الشأن هبط سيد "طيبة" خلال السنوات الأخيرة من حكم الفرعون "رعمسيس" الحادى عشر (٢). وكان تفجر حرب أهلية خلال العقد الأول من حكمه قد أسهم في تأكيد الانطباع بضعفه، ومع أن الاضطرابات لم تقصمه عن

العرش، إلا أنها أشاعت الفوضى فى "طيبة" ومصر الوسطى، وعزلت، بشكل مؤقت، صنيعته "أمين ـ حوتب" الذى كان يشغل منصب الكاهن الأعلى لـ "أمون". وكان الفرعون قد استطاع، بشق الأنفس، إبعاد المعارض الرئيسى "بانحسى"، المندوب السامى لمصر (= نائب الفرعون) فى "كوش"، إلى النوبة حيث كان التمرد قد بدأ، واكن ذلك جاء على حساب تعيين ضابط أخر من ضباط الجيش، يتملكه العطش إلى السلطة، وهو "حريحور" فى منصب الكاهن الأعلى لـ "آمون". وقد بدأ "حريحور" بحمل ألقاب فخمة "هو الذى - يسوس " الأرضين" ... الكاهن الأعلى لـ "آمون" رع - سا نوتر"، فيلد - مارشال" (= مشير) مصر العليا ومصر السفلى و الدوق" (=الأمير)" وفى السنة التاسعة عشرة من حكم الفرعون "رعمسيس" الحادى عشر، وبعد أن جاءه وحى مشجع من "آمون" ، أعلن "حريحور" نفسه، ودون مزيد من الجلبة، فرعونًا ("). واختفى من "آمون" ، أعلن "حريحور" نفسه، ودون مزيد من الجلبة، فرعونًا ("). واختفى "رعمسيس" الحادى عشر دون أن يسمع أحد، مرة أخرى، عنه شيئًا يذكر.

دخلت مصر الربع الثانى من القرن الحادى عشر ق.م. وهي في حالة من التردى على المستوى العسكرى والاقتصادى. ولم يعد هناك شك في ضرورة الحفاظ على الأشكال التقليدية للإمبراطورية. كان البيت الرعمسيسى قد ألحق الخزى الكامل بنفسه. و أعون "خي أعضاء هذا البيت جانبًا وأعلن تأييده له "حريحور". وفي الشمال راجت التعبيرات الشائعة حول "الوحى" في تلك الأيام أن "أمون" "عين" في منصب "مسئول الشمال لأراضيه أي أراضي "آمون" (أ)، شخصًا يدعى "نسو- با - نب حنصب "مسئول الشمال لأراضيه أي أراضي "آمون" (أ)، شخصًا يدعى "نسو- با - نب حالثة عند آخر "رعمسيس". ولقد حكمت عائلة هذا المحترم، الذي ارتفع عاليًا بصورة مفاجئة، في السلم الاجتماعي (عن طريق الزواج؟) (أ) إلى منصب الفرعون ولاة أربعة أجيال بعده، من "تانيس"، هذه المدينة الجديدة التي نهضت من بين أنقاض "بي حرعمسيس"، مثلما تنهض "العنقاء" (طائر أسطوري يقول عنه المصريون القدماء إنه شمال شرق الدلتا. وكانت "تانيس" قد بنيت على مسطحات تسمى "حقول العاصفة" بالقرب من مصب الفرع "البوباسطي" النيل الواقع في أقصى الطرف الشرقي، كي تحل محل من مصب الفرع "البوباسطي" النيل الواقع في أقصى الطرف الشرقي، كي تحل محل من مصب الفرع "البوباسطي" النيل الواقع في أقصى الطرف الشرقي، كي تحل محل من مصب الفرع "البوباسطي" النيل الواقع في أقصى الطرف الشرقي، كي تحل محل من مصب الفرع "البوباسطي" النيل الواقع في أقصى الطرف الشرقي، كي تحل محل من مصب الفرع "البوباسطي" النيل الواقع في أقصى الطرف الشرقي، كي تحل محل من مصب الفرع "البوباسطي" النيل الواقع في أقصى الطرف الشرق، المرت "الوحتان ٣٠٠ ١٣) وقد

هجر المقر الرعمسيسى العظيم، لسبب أولآخر، بنهاية الأسرة العشرين (مع أن إحدى مستوطناته، تلكأت في الاختفاء، حتى عاصرت السنوات الأولى لبناء "تانيس") وقد تمتع بنّاء والمدينة الجديدة بالحرية في استخدام المبانى المهجورة للعاصمة السابقة كمحجر ينتزعون منه ما يحتاجون إليه من أحجار (١٠٠). ولقد بلغ عدد الكتل الحجرية التي سحبها البناءون، إلى "تانيس"، وهي ترجع في الواقع، إلى الموقع القديم "بي-رعمسيس" من الكثرة الحد الذي التبس الأمر على الأثريين الأوائل فظنوا أن "تانيس" هي "بي-رعمسيس" نفسها (١٠).

مع وجود رجلين جديدين، أحدهما في الجنوب والآخر في الشمال، ظلل الهدف المأمول لنهضة قومية لمصر بعيد المنال. فلقد استمر نصف البلاد في تدهوره على امتداد قرن. ومع أن "حريحور" كان قد اغتصب، بشكل صفيق، الحقوق الملكية، إلا أن خلفاءه (مع استثناءات قليلة بارزة) تجنبوا كتابة أسمائهم في الخراطيش الملكية، واحتفظوا، وحسب، بتولى رئاسة كهنوت "أمون" وقيادة الجيش ومنصب المندوب السامي المصري (الذي كان قد دخل وقت ذاك مرحلة الاحتضار) في "كوش". وانقصم الرباط الذي كان يربط بين البيت الملكي وطيبة". ولم يعد الفراعنة يقومون بالرحلة المعروفة من الدلتا إلى "طيبة" للاحتفال بملك الآلهة "أمون"، ولم تعد مومياواتهم المحروفة من الدلتا إلى "طيبة" للاحتفال بملك الآلهة "أمون"، ولم تعد مومياواتهم المحنطة تصبعد النهر كي تُدفن في وادي الملوك(٢٠٠). ولم تعد ترد غنائم من الحروب أو ضرائب من أسيا كي تودع في خزانة معبد "أمون". وكان كل ما تركته "طيبة" وراها لا يزيد عن عبادة وكهانة إله كان يومًا إنهًا لإمبراطورية، وذكريات ماض كان مجيدًا.

وهكذا شهدت الأسرة الحادية والعشرون الانهيار المؤكد لـ "طيبة" ولما أصبحت علاقتها الرئيسية مع البيت الملكى أثرًا من أثار الماضي، تحطمت، دون أي إمكانية للإصلاح، تلك المكانة التي شمندرتها (=أبقت عليها مرفوعة عاليًا من "شمندورة" النوبية. المترجم) طوال ما يزيد على ستة قرون وجعلت منها ثاني عاصمة (= متروبول) لمصر، وأكسبتها لقب: "المدينة الجنوبية". وعلى نحو ما أوضحت عمليات التنقيب تدهور عدد السكان بشكل مفاجئ مع بداية الأسرة الحادية والعشرين، وهجرت قطاعات واسعة من المدينة. ويحلول سنة ٤٨ من حكم فصرعصون "تانيس" المعصروف باسم سن المدينية. ويحلول سنة ٤٨ من حكم فصرعصون "تانيس" المعصروف بالسم بسوسينيس" Psusennes الأول (بالتقريب ٢٠٠٢ق.م.)، وفي الحديث الوقور الذي

أرسله مين - خبر - رع ، الطيبى ذكر أن معبد "آمون انتزعت أحجاره، وتحول سوره الخارجي إلى أطلال، وجارت بيوت الأهالي على الأفنية المقدسة (١٢). ولعلها تثير الشفقة تلك النصوص - المسجلة، وقد حفرت بخفة زائدة، وهي تذيع أن الكاهن فلان الفلاني قد أصلح هذه البوابة أو جدد هذا السور: الحقيقة كانت لا مال هناك ولا أبد عاملة تكفي لبناء أي شيء جديد.

ومع ذلك كان الإله "أمون" قد أورث أتباعه مثل تلك التقاليد المقدسة ومثل هذه القاعدة الراسخة من السلطة حتى تمكنت عائلة "حريجور" من يسط سلطة هائلة على الوجه القبلي بأسره لمدة تصل إلى سنة أجيال. إلاّ أن ثروة معبد "أمون" ومدى سلطانه عند غروب الملكة الجديثة كانا يترنجان. فعند رحيل الفرعون "رعمسيس" الثَّالَثُ كَانَتَ مَلَكِيتَهُ تَصِيلَ إِلَى ٢٠٠ أَلِفَ 'إِكَرْ ، (الفدان يساوي أربعة ألاف و٢٠٠ مثرًا مربعًا في حين تصل مساحة 'الإكر' إلى أربعة ألاف مثرًا مربعًا، أي أن مساحة "الإكر" أقل قليبلاً من الفدان. المترجم) و٤٢١ ألف و٣٦٣ ألف رأس من المواشي و٤٣٣ بستانًا وه٦ مدينة (تسع منها في "كنعان") و٢٤ ورشة نجارة وأسطول من مراكب الشحن يصل عددها إلى ٨٢ مركبًا. وما يزيد على ٨٥ ألفًا من الأمتعة المنقولة، فضلاً عن الفلاحين الذين يعملون في عقارات الإله، إلى جانب الكهنة. وشملت التركة التي أوصى بها فرعون واحد هو رعمسيس الثالث له أمون نحوه ، ١ طنًا من الذهب والفضية وه ٢٠ طنًا من النحاس الأحمر وما يزيد على ألف جرة من البخور وأكثر من ٢٥ ألف جرة من النبيذ و٢١٠ مكاييل من القمع، بالإضافة إلى كميات ضخمة من الكتان والخضروات والطيور(١٤). وخلال الأسرة الحادية والعشرين امتدت "عقارات" "أمون" كي تغطى الوجه القبلي (١٠٥). فهنا كان الكهنة من الرتب العليا مستقلين بأنفسهم أو يكادون، ونقشت أسماء زوجاتهم اللواتي يعملن كـ عابدات مقدسات لـ أمون في خراطیش مزدوجة كما أو كن ملكات(١٦).

وفى ظل غياب سلطة ملكية و فى ضوء السلطة التى حازها الكهنة بحكم الواقع de facto لم يكن هناك ما يثير الاندهاش عندما نجد توجيهًا جديدًا للنظرية الرسمية تجاه الكهنوت، فلقد استولى الكهنة الآن على السلطة المدنية، وأصبح الكهان الأعلى

رتبة حكامًا يقيمون في مقار، لا تقع في "طيبة"، بل في قلعة جديدة تسمى "تيجوي" Teudjoy على الضفة الشرقية لنهر النيل، لا تبعد كثيرًا جنوبي الفيوم (١٤). وعوضًا عن الفرعون، تزايد الاعتماد على الآلهة إلى مدى واسع كمصادر السلطة السياسية. وإزداد ثراء عائلات الكهنة، والصورة المؤلفة من شظايا متناثرة التي نستطيع أن نعيد بناها، تقدمهم لنا وهم يشترون مساحات ضخمة من الأراضى سواء الزراعية منها أو أراضى المدن في طول الجنوب وعرضه، وكانت مثل هذه الصفقات تحظى بمصادقة وضمانة الوحى الذي يرسله آمون (١٨).

لم ينل حظوة الظهور في قائمة الملوك، سوى خلفاء "نسو- با- نيب - جد" في تانيس"، وجاء ظهور أسمائهم، وحسب، كأعضاء في الأسرة الحادية والعشرين، ولكن حتى هذا النظام، كان مشبعًا بعبادة آمون وتبجيله، مع أنه كان منفصلاً عن "طيبة" (مركز الثالوث المعروف آمون و موت و خونسو". المترجم) وعرفت تانيس كهنوتًا أعلى لم أمون - رع - ملك - الآلهة ولقد أطلق الفرعون هذا اللقب على نفسه شخصيًا، بل وظهر هذا اللقب أحيانًا في خرطوشه (١٠١). وشملت ألقاب أخرى، تعود إلى أيام الإمبراطورية الخوالي حاكم طيبة و محبوب أمون و مشرقًا في طيبة (٢٠٠). وأصبح آمون يهب البأس والنصر في المعارك (٢١)، وادعى الفرعون، نظير ذلك، أنه شيد صروحًا تذكارية في الكرنك" (هكذا!) بالغة الضخامة.

قد تبدولنا هذه المزاعم جوفاء، ولما كنا قد وهبنا بصيرة قادرة على إدراك ما حدث فى الماضى الغابر، فإن هذه المزاعم تشى بمحاولة مخلصة وإن كانت باعثة على الشفقة، للارتفاع إلى مستوى معايير الماضى المفقود. ويشتمل جزء من هذه المعايير على استغلال، لا غنى عنه، اصورة البطل - الملك الذى عرفته أسيا. ولكن كيف كان الحال فى أسيا الآن؟

تانيس وفلسطين:

إذا كنان العبرانيون الأوائل، بحكم ظروف دخولهم وتوزعهم في تلك البلاد لم ينخرطوا في اتصال طويل الأمد مع مصر خلال القرن الثالث عشر ق.م.، فإن

الغزو الذي قامت به شعوب البحر خلال القرن الثاني عشر قد استبعد تمامًا أي تأثير ثقافي ذي وزن قادم من وادي النيل. وكان "الشاسو" قد هددوا استخدام مصر لدرب الضيفة الغربية خلال حكم الأسرة التاسعة عشرة، وسببوا إزعاجًا للقوافل التي تستخدم الدرب الساحلي، هو الآخر، فلقد قطع الفلاسطينيون والتكريانيونTeukrians وقت ذاك الطريق البحري بصفة دائمة.

أكد القرعون "رعمسيس" الثالث، ربما مع بعض المسوغات، أنه وطنّ شعوب البحر في مستوطنات أو جيوب داخل أراضيه، وألزمهم بالدخول في خدمته: لقد وطنتهم في مستوطنات أو جيوب داخل أراضيه، وكان مجندوهم كثيرين حتى إنهم يصلون إلى مئات الألوف، وزودتهم جميعًا من عائدات الضرائب بالملبس والمأكل، على حساب الخزانة (العامة) وشون (جمع "شونة") الغلال. بصفة سنوية"(٢٢) ومع أنه لا نكران في أن بعض تلك المستوطنات كانت موجودة على أرض مصر(٢٢)، إلا أن الفرعون يشير أيضًا هنا إلى جيوب الفلاسطينيون والتكريانيين الذين استوطنوا في السهل الساحلي، وبزل هو عند إرادتهم وأصدر لهم ترخيصًا لاحقًا لاستيطانهم الذي كان قد بدأ بالفعل، حسب قاعدة: بعد الحادث Post eventum . وأعاد الفرعون بناء عدد من المدن في المنطقة، وزودها بالبوابات المزدانة بخراطيشه - كي يحدد إقامة المقيمين - وزود حامياتها بالرجال، حتى قبلت اسم "نختو" أي "قلاع"، وليس هناك شك، على وجه التقريب، في أن هذا الاسم ينطبق أيضًا على مدن الفلاسطينيون اللاحقة مثل "غزة" وعشقلون" وغيرها (٢٤).

مع أن الفرعون "رعمسيس" الثالث كان قادرًا، كما سبق لنا أن رأينا، عن طريق إعمال القوة العسكرية، على إعادة تأكيد سلطته على معظم أراضى فلسطين، وربما أجزاء من سوريا كذلك، إلا أن خلفاءه برهنوا على عجزهم عن الحفاظ على سيطرتهم على هذه الناحية. ولو أن كلاً من "رعمسيس" الرابع و"رعمسيس" الخامس استمرا، بصعوبة، كما يحق لنا أن نتصور، في عمليات التجارة البحرية مع "فينيقيا"، كما تابعا عمليات استخراج النحاس الأحمر والفيروز من مناجم سيناء ووادى "عربة"، ولم يترددا في تبنى الألقاب الفخمة التي تعود إلى زمن الانتصارات الإمبراطورية(٢٥). وتواصل الأشمياء المتناثرة التي تنتج عن عمليات التنقيب في فلسطين ذكر الفراعنة حتى

"رعمسيس" السادس(٢٦)، ممن كان الكنعانيون لا يزالون يعملون تحت ظل حكمهم ضمن قوة العمل غربى "طيبة"(٢٧). وبعد ذلك تلزم الهضاب الفلسطينية الصمت، مع أن الحديث كان لا يزال يدور حول الفرعون "رعمسيس" السابع في "إطلاقه السهام ضد بلاد خارو" ... ومتوغلاً في بلاد "خاتى" بعد أن سوّى جبالها بسهولها" (حرفيًا: قلب جبالها رأسًا على عقب)(٢٨).

في غضون خمس عشرة سنة من رحيل الفرعون "رعمسيس" الثالث فقد المصدريون سيطرتهم على ولاياتهم الشمالية التوابع، وكان عندئذ أن تصرك أبناء شعوب البحر، ولم يكد يمر على وصوالهم إلى المشرق قرن أو أقل، كي يقفوا مستقلين بأنفسهم بعيدًا عن كنف مصر. وكان قدومهم تحت ظل حكم "رعمسيس" الثالث، والحروب التي خاضها هذا الفرعون في محاولة لإعادة بناء إمبراطوريته، قد دمرت بالفعل العديد من المدن على امتداد الساحل، والآن ها هو التوسع الثاني للمجال الفلاسطيني يجلب ويلات إضافية إلى الإقليم (٢١). فلقد عانت كل من أغزة وعشقلون ا و أشدود من الدمار الشامل لأخر مدنها التي ترجع إلى العصر البرونزي المتأخر(٢٠)، بينما كانت المدن الساحلية الواقعة في أعماق الشمال مثل أبيك Aphek وثل أبوحوام " Tel Abu Huwam و تل كيسان " Tel Keisan قد تعرضت بالفعل لحرائق هائلة(٢١). وشرع الفلاسطينيون يوسعون أفاقهم، حيث اندفعوا خارجين من قلاعهم وأخذوا يؤسسون مدنًا جديدة بين المين والآخر(٢٢). وفي الجنوب استولوا على متحطات الطرق، التي كتانت تتبع في الماضي الإدارة المصيرية(٢٣)، سنمنا مدوا مستوطناتهم في الجنوب الشرقي على امتداد "نهل بيصبور" Nahal Besor). كما أشارت المصادر أيضاً إلى ريف شيفيلاه الذي تتمتع أراضيه بخصوبة عالية مكنت الأهالي هناك من زراعة الغلال، وهنا استولى الفلاسطينيون على 'لاخيش" وأسلموها للنيران (٢٥). واحتلوا مكنى Mikne (إيكرون؟) وأعادوا بنامها (٢٦)، كما استولوا على تل سيرا ° Tel Sera. وأقاموا مقرًا كبيرًا في تل 'الفارعة' إلى الجنوب ونستطيع أن نقتفى أثر أي عائلة من "الأمراء" خلال المقابر الضخمة التي تمتد لتشمل خمسة أجيال في الجبانة المجاورة^(٢٨).

أما في الشمال فإنجاز مرحلة مستقلة بذاتها من التوسع، متحررة في نهاية المطاف من الوصاية المصرية، أمر تقوم عليه أدلة، بالمثل، من نهاية حكم الفرعون رعمسيس السادس (أو قريبًا من ذلك العبهد) مع أن العبرانيين القدماء هنا (والمحدثين نسجًا على منوالهم) ربما يكونون قد أطلقوا هذا الاسم العرقي (=الإثني): الفلاسطينيون على عنصر مكون تكرياني: Teukrian أصلي (٢٩٠). وبخصوص بيت شان استمر المصريون يرون فيها دومًا القلعة الرئيسية على الدرب الذي يمر عبر وادى "يزريل" Jezreel إلى الأردن وشمالاً إلى دمشق، وربما تكون حامية الشعوب البحر قد أقيمت، تحت حكم الفرعون رعمسيس الثالث نفسه، في هذه المدينة المصينة جنبًا إلى جنب مع قوة مصرية (٤٠٠). وكانت مدينة مطلع الأسرة العشرين قد تعرضت، مع ذلك، لحريق وحشي (١١)، وفي الوقت نفسه كانت مستوطنات شعوب البحر الأبيض قد بدأت في الظهور في سهل "إزداريلون" وفي أسافل وادى الأردن حتى "تل السميدة" و"تل دير العبلا" Congeners يطوقون المرتفعات الوسطى.

تؤيد إلى هذا الصد أو ذاك الأدلة المستقاة من النصوص المكتوبة، الأدلة الأثرية. فقائمة الأسماء التي ترجع إلى "أمينوبي" (= آمون" في عيده)، وقد تعود إلى سنة ١٠١٠ق.م. على وجه التقريب تتبع قائمة بأسماء لأماكن الساحل الفينيقي وأعماق ـ سوريا بستة أسماء لأماكن، أربعة منها، تقع بكل تأكيد في السهل الفلاسطيني (٢٦): عشقلون" (٢٦٢) و أشدود" (٢٦٢) و غزة (٢٦٤)، و ياصور" (٢٦٧) (٢٦٥) و من شويراي " Subaray (٢٦٧)، وواحدة أخرى فقدت في فجوة في النص المكتوب (٢٦٧) ثم يتبع هذه المدن ثلاثة أسماء لشعوب البحر "شاردانا" Shardana (٢٦٨)، والتكريانيين " (٢٦٨) و الفلاسطينيون و النصادان (٢٧٨). ويبدو أن أسماء و التكريانيين " municipia (٢٧٠)، والفلاسطينيون أللاث المن المتبية التي احتلتها المجموعات الثلاث رهن الحديث خلال الفترة التي أعقبت انسحاب مصر من أسياء ولكن بينما كانت المدينتان الأوليان موجودتين منذ البداية، إلا أن الرحم الفلاسطيني ولكن بينما كانت المدينتان الأوليان موجودتين منذ البداية، إلا أن الرحم الفلاسطيني الأكبر كثيرًا منهما سرعان (على نحو ما قد يذهب بنا الافتراض) ما ابتلعهما (١٠٠٠). وبناء على ذلك تقلصت هذه المدن الست إلى "طرابلس" (= (tripolis)) كي تمتد قرب زمن

إنشاء المملكة العبرانية إلى "الـ "بنتابواس" (= pentapolis) التقليدية التى نعرفها من "التوراة" (٢٠). إلا أن مصادرنا تلزم الصمت بشأن المجموعة الشمالية وأولئك الذين توطنوا في وادى الأردن، مع أننا لو حكمنا بالاستناد إلى سهولة الوصول التى تمتع بها الفلاسطينيون إلى "بيت شان" (سفر "صامويل" الثاني ٢١: ١٠)، فإن سيطرتهم في الشمال لابد وأن تكون قد استمرت حتى مطلع القرن العاشر. ولكن ما إذا كان الفلاسطينيون قد احتفظوا بالسيطرة على البحر تظل نقطة مطروحة على بساط البحث. إلا أن الإشارات المتناثرة هنا وهناك توحى بأنهم نجحوا في ذلك، لمدة قصيرة على الأقل. فالسفن التكريانية لم تصادف صعوبة في تعقب مبعوث مصرى مسكين إلى "بيبلوس"، وفي المطالبة بإلقاء القبض عليه (٢٠)، وتحتفظ لنا التقاليد اليونانية المتاخرة كثيرًا عن ذلك التاريخ بذكريات "الليديين" Lydians (شعوب البحر) بشأن احتفاظهم بالسيادة على البحر اعتبارًا من السنة الثامنة من حكم الفرعون "رعمسيس" الثالث ولدة اثنتين وتسعين سنة لاحقة (٨٤).

استمرت على قيد البقاء الثقافة الفلاسطينية حتى خواتيم الألف الثانى، مع انقطاع جنورها بحلول نهاية القرن الثانى عشر ق.م. بتدمير الحضارة الإيجية Aegean وكشفت عن سماتها الخاصة فى الأوانى الفخارية "البوليكرومية" polychrome (= متعددة الألوان) التى ترجع إلى ذلك العصر (انظر شكل رقم ٨)(١٠). وحتى خلال القرن العاشر استمرت الأسماء الفلاسطينية مثل "جوليات" Goliath و أكيش" تعيد إلى الأذهان الأصل الذى انحدرت منه هذه المجموعة العرقية فى جزر بحر "إيجة"(٥٠)، وبينما استبدلت الأسماء القومية، بحلول القرن الثامن ق.م. بأسماء سامية (من "سام" وليس من السمو كما يوحى الاشتقاق)، إلا أن المدن الفلاسطينية ظلت تحتفظ برطانة" متميزة حتى القرن الأولى ق.م. (١٥).

هذه هى الخلفية التاريخية التى دارت إزاها "الميلودراما" الغريبة التى نطلق عليها نحن المحدثين اسم "عصر القضاة". ففى الذاكرة الجمعية للإسرائيليين فى سنوات تكونهم (كشعب مستقل) لا نعثر على ذكريات محفوظة عن مصر. وليس فى هذا ما يدعو للاندهاش طالما جاء تطور "إسرائيل ككيان سياسى بعد عصر الرعامسة وحدث ذلك، كما سبق ورأينا، فى المرتفعات بعيدًا عن السيطرة الإمبراطورية لمصر.

رغم هذا الصمت المقبول ظاهريًا، إلا أن سفر 'القضاة' بعد مصدرًا يكتنفه الإبهام لتاريخ القرنين السابقين على نشأة الملكية الإسرائيلية. ففي الوقت الذي تتفق فيه الأسماء الشخصية للأبطال الأفراد في حالات كثيرة مع أسماء الأعلام المعروفة عن نهاية العصير البرونزي المتأخر والعصور الحديدية الأولى(٢٥)، نجد أن ترتيب فقرات "السفر" بالغ الافتعال، فضالاً عن أن القصص التي يرويها، وكما رأينا، مفعمة بالمفارقات التاريخية anachronisms (كأن يقول أحدهم: ولقد أتصل تنابليون بونابرت من القلعة بنائيه "كليبر" تليفونيًا. المترجم)(٢٥) ويتعيّن على المؤرخ، إذا قرر أصالاً أن يلجأ إليها، أن يعامل سفر "القضاة" تمامًا مثلما يعامل أساطير "الكأس المقدسة" في • العصور الوسيطة (≈ تلك التي يروج في التقاليد الشعبية أن السيد المسيح استخدمها في "العشاء الأخير" وينخرط الأبطال في البحث عنها في القصيص الأسطورية، المترجم) أو غرام الإسكندر": كسلسلة من القصص التي تستند إلى شخصيات تاريخية، غير أن ملامحها غابت خلف ضباب الذكريات، ولكن ليس كمصدر تاريضي، يُعتمد عليه بأي حال من الأحوال. كما يتعيُّن عليه أيضاً أن يعي حقيقة بارزة واحدة: إذا تصور المرء أن الكشف الذي يحمل أسماء 'القضاة'، الأفراد،، سواء الكبار منهم أو الصغار، قائمة كاملة تمثل كافة الجماعات القبلية الذي يقال إنها تشكِّل "إسرائيل"، فإن التمعن الدقيق في سفري "القضاة" و"صامويل" الأول سرعان ما سيبدد هذا التصور، فبعضهم ترتبط -بأسمائهم أساطير مطولة، بينما يمر المؤلف بالبعض الآخر في جملة واحدة وحيدة، لكن ذلك لس السمة الأشد بروزًا لهذا الكثيف. فالحقيقة أن الأغلبية الساحقة من هؤلاء الأبطال الذين يستحقون الذكر، انبثقوا وعاشوا وأدوا أدوارهم في منطقة محمدورة داخل إقليم بيت "يوسف"، و"بنيامين" و"يهودا" في الشمال، حيث كانت "أورشليم" مركز الإدارة والديانة والثقافة(¹⁶⁾. وفي عبارة أخرى إدراج تقاليد شخصية في "القضاة" لا يعكس سوى سيادة "أورشليم" في عملية الاختيار، ولا يتصل من قريب ولا من بعيد بالحقيقة التاريخية في الفترة الزمنية رهن الحديث. ولو كنا نطك ملخصًا لتقاليد مماثلة، حازت تسجيلاً يشبه ذلك النوع، الذي عرفته "السامرة" Samaria في شمال البيلاد، فلريما يصدمنا عدد الأسماء والحواديث التي سقطت من يد الكتبة، ولم تجد لها مكانًا في سفر "القضاة" المقدس،

يعد تقسيم إسرائيل إلى اثنتي عشرة قبيلة، حتى بالاستناد السجل التوراتي calendrical استعملته ذاته، تقسيمًا مصطنعًا نوعًا ما، وقد يُعزى إلى معيار تقويمي calendrical استعملته الملكية المتأخرة أكثر مما يُعزى إلى أصول تاريخية (٥٠) وليس في وسعنا الوصول إلى أرض صلبة تصلح الوقوف عليها إلا في حالة واحدة: إذا رفضنا ذلك التقسيم، واسوف تبدو، إلى حد معقول، صحة المسلمة التي تقول بأن في إسرائيل، كما ظهرت، في لوح/صادود الفرعون ميري – ان بتاح ، ينبغي علينا أن نفهم ما تدعوه التوراة بيت يوسف ، المتربع على جبل إفرايم حول سيخيم (حيث تمتعت في حقيقة الأمر بوجود جنيني منذ عصر أخيتاتون (عالعمارنة) (١٠) على أن بيت يوسف يكشف عن بوجود جنيني منذ عصر أخيتاتون (عالعمارنة) (١٠) على أن بيت يوسف يكشف عن اتصال جانبي باتجاه الشرق عبر الأردن - فهل هذا المحود يعكس ممرًا أصليًا الدخول؟ - في ضوء وجود قبيلتي ماكير أسلام وجلعاد المحاريق الأم ، أي قبيلة نجد على الجانب الجنوبي لأبناء "بيت يوسف أقاربهم عن طريق الأم ، أي قبيلة بنيامين (حالجنوبيين)، وفي التراث الفولكلوري القبلي احتلت ذرية نفس الأم: راحيل المرتفعات الواقعة إلى الشمال مباشرة من أورشليم (١٥).

هذه هي إسرائيل وقت نشاتها الأولى، ولقد أضيفت في أوقات لاحقة نسبيًا، أقاليم أخرى تأوى عشائر تعد، بصورة تقليدية، جزءً من إطار القبائل الاثنتي عشرة، إلى "الفيدرالية" (=الاتحاد) الإسرائيلية. وتؤيد أي قراءة حصيفة لكل من السجلين الأثرى والنصوصي الرأي الذي يقول بأن استيطان "الجليل" حدث على امتداد القرن الحادي عشر حتى القرن العاشر بينما جات إضافة القبائل "الجليلية" (= نسبة إلى "الجليل") الأربع إلى هذه "الفيدرالية" خالال الفترة المبكرة للمسلكة، أي "الفيدرالية" (منى مرتفعات يهودا" جنوبًا، ربما تأخر التاريخ أكثر عن ذلك، فضلا عن أن الصورة الشاملة كانت حتى أكثر تعقيدًا وشربكة (= من شرك + ربك) في أن الصورة الشاملة كانت حتى أكثر تعقيدًا وشربكة (= من شرك + ربك) من البلاد الذي يسمى "هر يهودا" أي "جبل - يهودا" (منطقة الوادي "أو الوديان" من البلاد الذي يسمى "هر يهودا" أي "جبل - يهودا" (منطقة الوادي "أو الوديان" الضيق العميق) (منا ولا الفترة الملكة الما التجمعات الجنوبية الأخرى فأكثر مراوغة: الألف الثاني أو أوائل الفترة الملكة (-). أما التجمعات الجنوبية الأخرى فأكثر مراوغة: "عماليق في "التوراة") هما هيرد لها ذكر في أي نص معاصر، خارج "عماليق في "التوراة") هماكلة (= عماليق في "التوراة") هماكلة (حوضع بد) من المناد (= عماليق في "التوراة") هماكلة (حوضه بد) من معاصر، خارج "عمالك" (= عماليق في "التوراة") هماكلة (حوضه بد) من نص معاصر، خارج "عمالك" (= عماليق في "التوراة") هماكلة (حوضه بدله الكرة في أي نص معاصر، خارج "عمالك" (= عماليق في "التوراة") هماكلة (حوضه بدله المناد المناد

نطاق التوراة (مع أننا قد نستطيع أن نعثر على شواهد على وجودها الآن على المستوى الأثرى)(١١)، أما سيميون Simeon فواضح غيابها من كافة مجاميع الأدلة.

وتمثل دان حالة فريدة. فالاسم يستدعى إلى الذهن المقارنة الفذة مع اسم فرع مكون من فروع "شعوب البحر" المعروف باسم "دانون" Danune، (٦٢) ولكن ليس هناك دليل خارج نطاق التوراة على استيطان قسم كبير من فلول هذا التجمع أو هذا الفرع في جنوب فلسطين. وإلى أن يتوفر مثل هذا الدليل يحسن بنا أن نحتفظ بحكمنا.

وإذا كان المصنريون يعرفون عن كثب ما يدور في غرب آسيا القريب من حدودهم، في أواخر القرن الصادي عشر وأوائل العاشر ق.م.، إلا أنه لم يصل إلى أيدينا أي سجل مفصل منهم في هذا الشأن. وأيًا كانت العلاقة التي حاول الرعامسة في أواخر حكمهم أن يواصلوها مع الآسيويين، فلا شك هناك في أن الأسرة الحادية والعشرين كانت عاجزة عن بسط سيادتها على أي أراض شرقي الدلتا. وحتى "بيبلوس" التي تعد أقدم دولة في المشرق، استمالتها مصر إلى جانبها، طلبت من المصريين أن يدفعوا مقابل البضائع التي ترسلها إليهم، وجزم الحاكم الحالي بصورة قاطعة بأن المصريين دفعوا لأسلافه مقابلاً للخدمات التي حصلوا عليها منهم (١٣). وقال "ذكر" بعل"، حاكم "بيبلوس" رداً على القول بأن آباءه أرسلوا الأخشاب عن طيب خاطر:

بطبيعة الحال فعلوا ذلك، وإذا دفعت لى شيئًا فى المقابل، فلسوف أحنو حنوهم! واكن (آبائي) لم يقوموا بهذه الخدمة إلا بعد أن أرسل الفرعون له العمر الطويل والرخاء والعافية ست مراكب مشحونة بالمنتجات المصرية، وقد جرى تفريغ هذه المنتجات في مخازنهم (أي على سبيل الدفع) وأنت؟ ماذا بعثت لى؟ ... والآن إذا كان حاكم مصر سيدًا لى، وإذا كنت أنا تابعًا من أتباعه، ما كان ليضطر إلى إرسال طلبه مصحوبًا بالذهب والفضة: أد مهمة "آمون"!... واكنني است تابعك ولا تابع من بعث بك!

ولما كان فراعنة تانيس أعجز من أن يلزموا البيبليين (عنسبة إلى بيبلوس) بالامتثال لطلباتهم، فلقد تبنوا، عن وعى كامل، سياسة تجارية خرطتهم فى اتحادات للمنتجين (= كارتيلات) مع الدول التي أصبحت مستقلة الآن في الساحل المشرقي (١٤). وخلال هذه الدول كان الاتصال الدبلوماسي لا يزال قائمًا مع الدول الكبرى في عمق

أسيا، بما في ذلك 'أشور' التي بدأ المشرق يستشعر محاولاتها في شق طريقها نحو الساحل السوري(١٥). وحقيقة الأمر أننا نعثر في بلاط "تانيس" على أوامر عسكرية تعكس مأثر نوى البأس القدامي حتى الأمراء الرعامسة الأقوياء، وتصر الألقاب الخمسة التي يحملها "بيسوسنيس" Psusennes على النصر الذي حققه على الأسيويين(١٦). ولكن ما إذا كانت تلك الأوامر تعد دليلاً على أي نشاط عسكري قام به المصريون وقت ذاك في فلسطين فأمر مجهول تمامًا. حقًا تكشف مصادرنا المتناثرة بين الحين والآخر عن خدم نوى أصول أسيوية، ولكن السؤال حول ما إذا كانوا قد وصلوا إلى مصر كأسرى حرب أو من خلال تجارة العبيد يظل غير محسوم(١٦). حقًا كانت مصر لا تزال تتذكر بصورة واضحة، أراض في الشمال كانت تبسط عليها في يوم من الأيام سيادتها، كما توضح لنا، بصورة جلية، تفاصيل القسم الجغرافي من قوائم 'أمينوبي'، ولكن تلك الأراضي أصبحت تقع الآن في صقع لم يبعث إلى مصر بضرائب أو يستقبل منها مفتشين(١٨).

قيام دول العصر الحديدى في المشرق:

شسهد مطلع الألف الأول ق.م. عملية استيعاب (من وجهة نظر مصرية)
لعناصر عسيرة الهضم من العصر البرونزى المتأخر الغارب في غرب أسيا في إطار
بدا مألوفًا في الحال وسهل الضبط والتدبير. وهذا لم يكن "مقاطعة في البلاد الأجنبية
الشمالية"، كما قد يسميها أحد الكتبة في الملكة الحديثة، وقد خفِّضت إلى منزلة
الولاية التابعة، ولكن عوضاً عن ذلك أجزاء من "منطقة نفوذ"، تشتمل على مجموعة من
البول المتنافرة التي شرعت مصر تدرك بالتدريج أنها تستطيع استخدامها كمناطق
عازلة ضد مخاطر قادمة من مناطق أبعد.

بدأت فى المشرق، فيما عدا الساحل الفينيقى، تقوم دول جديدة لا تتصل إلى حد كبير، بالولايات التوابع البائدة التى عرفها العصر البرونزى، خلال القرنين الحادى عشر والعاشر ق.م. وعلى النقيض من دول العصر البرونزى، التى كانت، بصفة أساسية، تركات يورثها الأب لابنه، وتتماثل مع مدن فردية (= كل مدينة على حدة)،

وتتركز كل منها حول مدينة بعينها، نهضت الكيانات السياسية الجديدة، ذات السيادة، داخل نطاق تجمعات عرقية (=إثنية) أعطت في غالب الأحيان أسماءها القبلية الدولة الجديدة. فمنذ البدء قامت هذه الدول كتعبير سياسي عن "قبيلة": Voik وصممت بصورة توفر إطارًا تستطيع خلاله هذه "القبيلة" أن تعمل وظيفيًا. وبينما كان في طوع العائلات الحاكمة لمثل هذه الدولة أن تختار مدينة ما كمقر وعاصمة، إلا أن القبيلة أو المنطقة هي التي كانت تعين النظام السياسي لها.

ونظرًا للماضى البدوى للشعوب التى تشكل هذه الدول القومية، مالت صلات القرابة إلى السيادة كالمعيار الكامن للهوية السياسية، وارتقى الإله الذى كان فيما مضى إلهًا للقبيلة كى يغدو ربًا قوميًا أعلى، وذلك مع استبعاد سائر الآلهة الأخرى فى بعض الأحيان. ولما كانت مرحلة التكوين بالنسبة لها قد شهدت اقتصاداً رعويًا وحياة ترحال، كانت الحدود تحتل أهمية أقل بالنسبة لدول العصر الحديدى مما كانت تعنيه للمدن التركات التى عرفها العصر البرونزى، بل وكشفت دول العصر الحديدى عن نزوع شرير ومزعج نحو التوسع باقتلاع السكان الأصليين وحرمانهم من بلادهم السابقة (١٩).

يقدم التشكيل العرقى المشرق في ذلك الوقت شواهد، بالمثل، على الرياح الجديدة التى أخذت تهب في الفترة التى أعقبت حقبة شعوب البحر. ولقد عكس تكوين شمال سعوريا، وإن كان بشكل غائم، أوج الأيام الخوالي لاندماج الإقليم في إمبراطورية الحيثيين التي ترجع إلى العصر البرونزي المتأخر. ومن المعروف أن دول "سامال" Samal، و"سيليسييا" Cilicia، و"جورجوم "Gurgum، وكاركميش "Carchemish، و"خمات "Aleppo و نوخاششي وحمات (اللك التي حلت محل "أوجاريت" و حلب الكانت حيثية من ناحية تكوينها العرقي أم لا، فلقد استخدمت الهيروغليفية الحيثية المتأخرة في كتابة لغتها، وفي أعماق سوريا، وأكثر إيغالاً في الجنوب، فتح تفسخ كل من "أمورو" و"ترنيب وقادش" و"أوب" والكنها غدت الأن أعظم من أن تتحداها أي قوة عظمي، تلك كانت الإراميين"، وهم عبارة عن شعب ناطق بلغة سامية تتصل بـ/ وإن كانت متميزة تماماً

عن اللهجات الفينيقية في الساحل أو اللهجات الكنعانية ـ العبرية في الجنوب، وقد بسطت الجيوب الأرامية سيطرتها على وادى "العاصي" وأعماق سوريا، وفي بحر القرن العاشر كانوا يمرون بعملية إقامة دول قوية في "حمات"، و"جشور" Geshur (في شمال فلسطين) وفي دمشق على وجه خاص(۱۷). وعلى امتداد الساحل الجنوبي من "غزة" حتى "جبل الكرمل" احتفظ الفلاسطينيون والتكريانيون (الذين كانوا قد تسيّموا تحواوا كي يصبحوا ساميين بصفة جزئية وقت ذاك) بقبضة محكمة على السهول الساحلية العريضة، ومارسوا نفوذًا متزعزعًا وإن كان وقائيًا، كما فعل المصريون قبلهم، على الجبال البعيدة عن الساحل. وردًا على الوجود الفلاسطيني، شرعت "إسرائيل" و"يهودا" في إقامة دولة موحدة (۱۷).

لم يحافظ السكان الكنعانيون الأصليون على وجودهم مصانًا، إلا على امتداد الساحل شمالى "حيفا" الحالية، وعلى طول الساحل حتى "أرفاد"، في المدن - الدول العريقة "صور" و"صيدا" و"بيروت" و"بيبلوس" و"أرفاد". وقد ظهر هؤلاء الكنعانيون الساحليون الآن (= وقت ذاك) تحت هذا الاسم "الفينيقيون"(٢٢) وكانوا متطلعين نحو البحر أكثر من أي وقت مضى، ولسوف نتتبع طرق وتأثيرات نشاطهم البحري بعد قليل.

لعله من الغريب أن مصر هي الأخرى وقعت، خلال القرن العاشر ، بمعنى من المعانى، تحت تمنيف الدول الجديدة . فمنذ الهزيمة الساحقة التي تجرعتها القبائل الليبية في المعركة التي خاضها ضدهم الفرعون "رعمسيس" الثالث، أخذت هذه القبائل تعود إلى طريق متعرج أقل وضوحًا من التسلل إلى داخل الوادى والدلتا على هيئة مجموعات صغيرة تضع نفسها في خدمة الدولة كقوة مقاتلة من المرتزقة. ولقد هبطت قبائل "الميشويش" Meshwesh بأعداد كبيرة، واستقر أحد زعمائهم هو "بويو- وأوا -Buyu لليسويش" المعادد كبيرة، واستقر أحد زعمائهم هو "بويو- وأوا -Buyu لنتم خلال حكم الأسرة العشرين في زمام "هيراكليوبوليس" والثاني. وإذا تطلعنا تضم ثكنة عسكرية وإدارة للجيش منذ عصر الفرعون "رعمسيس" الثاني. وإذا تطلعنا شمالاً أكثر، فإننا نجد المناطق الغربية للدلتا حول "معايس" قد أصبحت بقعة تضع جالية "الملابو" يدها عليها (وفي الوجه القبلي أخذت قبائل الما محاسون " Mahaswen تظهر بين الحين والآخر خلال الملكة الحديثة التي كانت قد مالت الغروب، ولكنها لم تفز أبداً بموطئ قدم دائم) ومع نهاية الأسرة الحادية والعشرين نجحت رئاسة (= شياخة) بموطئ قدم دائم) ومع نهاية الأسرة الحادية والعشرين نجحت رئاسة (= شياخة)

قبائل الميشويش في "هيراكليوبوليس" في أن تجعل من نفسها عنصراً لا يستطيع البيت الصاكم في "تانيس" الاستغناء عنه، وكان المؤهل للمنصب هو "شيشنق"، الذي كان قد وصل إلى رتبة القائد العام generalissimo لكافة القوات المسلحة. وكان "شيشنق" هذا رجلاً عجوزاً أنجب أبناء يافعين خلال حكم "بسوسينيس" Psusennes الثاني، وكان قد اكتسب عدداً كبيراً من درجات القرابة مع العائلات البارزة. فالكاهن الأعلى لـ "منف" (= ممفيس باليوناني) كان ضاله عن طريق الزواج، وابنه الأكبر أوسوركون " Osorkon كان قد تزوج من ابنة الفرعون، وهناك ابن ثان له تزوج من إحدى بنات عائلة النبي الرابع لـ "أمون"، أما الابن الثالث فتولى منصب قائد أهيراكليوبوليس". وبالتالي فليس في الأمر دهشة كبيرة في أن يصعد "شيشنق" إلى العرش دون أي عائق، ويؤسس بيتًا (=أسرة حاكمة) جديداً، عقب وفاة "بسوسينيس" الثاني، في سنة ٩٢٠ق. دون أن يترك، كما هو واضح، وريثاً للعرش، وهو البيت الذي عده المؤرخ المصرى المعروف "مانيتو" إلاسرة الثانية والعشرين (١٧).

مشكلة المصادر:

إذا نحينا جانبًا القرن العاشر رهن الحديث في هذا الفصل، فهناك فترات قليلة في تاريخ المشرق لا يستطيع المرء إلا أن يخرج عنها بانطباعات متضاربة بشكل كامل طالما كان يعتمد على مصادر ثانوية. والمشكلة هنا ثلاثية الأبعاد: الصمت شبه التام من جانب مصادرنا النصوصية (=المدونة)(3) وعجزنا عن تقييم معظم المصادر اللاحقة، الفترة بصورة نقدية. والطبيعة الملتبسة السجل الأثرى. فـ "طيبة" التي تمدنا طوال خمسة قرون بنقوش ملكية، طيعة الطحن في طاحونة المؤرخين، توقفت عن الاستمرار كمركز يستقبل نقوش الانتصارات منذ انقطاع الصلة مع العائلة المالكة عند نهاية الأسرة العشرين. والسؤال حول ما إذا كان فراعنة الاسرة الحادية والعشرين قد أذاعوا، بالمثل، ما شهم على صواديد/ألواح وجداريات في عاصمتهم "تانيس" تصعب الإجابة عليه، ولكن يبدو أن هذا العمل أصبح من ذكريات الماضي، ولم تستطع عمليات المتقيب إلا الكشف عن نصوص تاريخية" محدودة العدد الغاية من هذا الموقع(٥٠).

وغنى عن الذكر أن القرن العاشر لم يترك لنا أي نقوش معاصرة من دولتي فلسطين وسوريا.

وإذا ما شققنا طريقنا إلى الوراء نصو المصادر المتنضرة على أمل أن تعطينا صورة تاريخية للعصر، فإننا لا نستطيع إلا أن نندب حظنا لغياب أي مقياس نستطيع أن نقيس به مدى الدقة التي تحوزها. وفي هذا الصدد نجد مصدرين: نتف من تاريخ كلاسيكي لمدينة "صور" تكرم علينا بها "يوسيفوس" في ملخص له(٢٦)، ونص سفريّ. "معامويل" والقصلين (= الإصحاحين) الأوليين من سفر "الملوك" الأول. فملخص "يوسيفوس" لا يتجاوز كثيرًا قائمة بأسماء ملوك، ولكنها تبدو متفقة إلى هذا الحد أو ذاك منع التقاليد "التوراتية" كما وردت في سنفر "الملوك" الأول في وضنعه أيروموس Eiromos (حيرام) Hiram في الربع الثاني من القرن العاشر، أي معاصراً على وجه التقريب مع "سليمان". ولو أن المصادر "التوراتية" أكثر شمولاً بكثير، وأكثر إغراء بصورة لانهائية. ومع أن المؤرخ التوراتي مضطر إلى الاعتراف بأنه يفتقر إلى أى وسيلة تمكنه من التثبت من الصحة التاريخية لهذه النصوص التورئتية، ومع ذلك فالمؤرخ يستطيع أن يجمع المواد التي تتصل بالموضوع من الحواديت... (و) عندئذ يبدو على العمل، الغنى بالمواد التي تصور عند المؤرخ قيمة عالية (٧٧). وإذا كنا لا نزال ميالين الشك، فإننا نقابل بمثل هذه التأكيدات: "لا يبدو أن هناك سببًا يدعو إلى الشك في جدارة الرواية بالوثوق فيها بشكل عام أو في دقتها بشكل جوهري في السياق التاريضي (٧٨) أو "لا يبدو أن هناك سببًا يدعو إلى الشك في وجود نواة تاريضية (٢٩) ولا تخضع الحالة لأي نقاش آخر، وهنا يتسامل المرء عن المفاتيح التي يملكها الكاتب ويفتقر إليها القارئ. وترداد حيرة المرء عندما يقرأ: " تعد مصادرنا نتاجات لتدوين ولتحرير في أوقات لاحقة، إلى الحد الذي يحول دون عزل العناصر الأصلية، في حالات أكثر كثيراً من المكس ، بأي درجة من الدقة (٨٠). ومع ذلك فالكاتب يشعر، بكل وضوح، أنه عزلها، ويستطيع أن يدمغ فقرة ما بأنها "تقرير أقل واقعية مما حدث في حقيقة الأمر." وهذه قصة أخرى "خرافية"، ورغم ذلك فهناك تفاصيل أخرى " تعد أمورًا حقيقية لا نقاش في صحتها وإلى جانب ذلك هناك روايات أخرى، مع ذلك، "يستحيل اعتبارها ... سجلاً تاريخياً (٨١) وهنا يشعر الرء بالحاجة إلى الصراخ: أي معيار من معايير التقييم تستخدم؟ ما الأدلة غير المنشورة التي تملك؟ ومن المحزن، في معظم الحالات التي من هذا النوع، أنه لا يأتينا أي جواب على أي من السؤالين.

لا يعد نهج الدرس العلمى المعيارى لتاريخ إسرائيل خلال الملكة المتحدة سوى هجوم ردى، من جانب "التفكير الاستهوائي" wishful thinking عند الأكاديميين. حقًا عندنا تلك الروايات المجيدة في سفري "صامويل" و الملوك الأول، وهما مدونان بصورة جيدة ويعتمدان في الظاهر على حقائق صلبة، فيا له من أسف بالغ إذا اضطرنا النقد التاريخي الصارم إلى صرف النظر عن تلك الروايات وعدم الركون إليها. دعنا، إذن، نرغمها على الخدمة ماذا في وسعنا أن نفعل خلاف ذلك؟ ودع عب، البرهان يقع على كاهل أخرين (٢٨). وبالتالي، وكما في حالة استعمال "يوسيفوس"، لنفس المواد، يهبط التناول التاريخي الحديث لعصر "شاؤول" و داود" و سليمان" إلى ما يقرب كثيرًا من شرح النص التوراتي"، وقد حُشى بالتأويلات الملغزة ذات الطابع السياسي أن الاجتماعي.

حقيقة الأمر أن الدراسة "التوراتية" أرست أسس سجل يبعث على الأسى فى تحليل المسادر، بصورة رصينة ومحايدة، فى سفرى "صاموبل" الأول والثانى حول المملكة المتحدة (٢٨). وبينما قد يشط المرء إذا عزا الأمر إلى دوافع أصولية مستترة، فالطريقة الشائعة فى التعامل مع المصادر عند قيمتها الاسمية على اعتبار أن هذه الوثائق كتبت فى معظمها فى بلاط "سليمان"، تنبع من رغبة موضوعة فى غير موضعها بالمثل، تتمثل فى ترميم أركان الإيمان ودعمها بأى حجج، مهما كانت زائفة. ويبدو أن التزامين، على وجه الخصوص، احتضنا نمو هذا الدفاع الجديد. الأول يتمثل فى حكم جمالى بشكل رئيسى: تُروى القصة المزعومة حول خلافة "داود" فى سفر "صامويل" الثانى ٩ - ٢٠ وسفر "المال الأصلى كتبه كاتب على درجة عالية من البراعة، إما أنه شاهد شخصيًا كثيرًا من الوقائع أو وجهه شاهد عيان (١٩٠١) وبالتالى هل صار علينا أن نستنتج أن الجودة الأدبية دليل على معاصرة المؤلف للأحداث؟ ولكم يتوق المرء (ريما بصورة منحوفة) إلى أن يرى التتيجة التى سيسفر عنها تطبيق مثل هذا المعيار على معالجة "جوفرى أوف مونماوث" Geoffry of Monmouth أنسطورى ظهر فى سلسلة من قصص الحب فى العصور الوسيطة. ولكن ليس معروفًا أسطورى ظهر فى سلسلة من قصص الحب فى العصور الوسيطة. ولكن ليس معروفًا

ما إذا كانت هذه القصص قد انبثقت فى "ويلز" أو فى شمال بريطانيا. المترجم)، وعلى قصمة "يوسف وأسنات" Joseph and Asenath المجهولة المؤلف وعلى غراميات الإسكندر" Alexander Romances أو على حشد من القصص الخيالية المماثلة. وإذا بهرنا المستوى الأدبى لمثل تلك الكتابات الواردة فى "صامويل" الأول والثانى في في والحق يقال، قصمة رائعة بكل المقاييس! ولكن كثيرًا من الدارسين يخطون خطوة أخرى فى هذا السبيل: أيجب النظر إلى قصة "الاستخلاف" هذه كأقدم نموذج على الكتابة التاريخية الإسرائيلية القديمة" (٨٠٠).

الملاحظة الثانية، وهي ملاحظة بريئة في حد ذاتها، تتمثل في أن الدول الملكية في العصور القديمة، اعتمدت، خلال ممارستها لهيمنتها في إقليم شاسع، على إطار ضخم من الكتبة حتى تتمكن من إدارته. وهذا صحيح. إلاّ أن الحجة تمضى إلى أن مثل هؤلاء الكتبة كانوا يحتاجون إلى تدريب، كانت توفره، في النظم المستقرة منذ أمد طويل، التقاليد البيروقراطية نفسها. ولكن في حالة "سليمان" لم تظهر الإمبراطورية (الإسرائيلية) إلى الوجود إلا البارحة، ولم تعرف لا كتبة ولا ألية تدريب الكتبة. وكانت الحاجة ماسة إلى إقامة الإطار العام بأكمله، على وجه السرعة، وأين توجد مثل هذه النماذج أفضل مما توجد في التقاليد الكتابية الفائقة الرقى لمصر، التي تعد أقرب الجيران إليها؟ ونحن نعرف، ولا نجهل، حجم الأعمال المكتوبة التي كان المكتبة المصريون يتدربون عليها أثناء دراستهم في دور التعليم في المملكة الحديثة: فإلى جانب مثل تلك الأشكال اللازمة في الاستعمالات اليومية كالخطابات والقصيص والمذكرات والبيانات وكانت هناك أيضنا الأشعار والترانيم وأداب الحكمة والروايات وقوائم الأعلام (= أسماء الأشخاص وأسماء الأماكن السارزة) وطوالع النجوم ("أعمال" التنجيم) Hemerologies والنصوص السحرية والطبية. وإذا كان "سليمان" قد استورد النظام المسرى، فلابد أن يكون قد حسمل معه كل هذه "الأشكال الأدبية" في نفس البقجة. وألا تشبه إلى حد ملحوظ، في حقيقة الأمر، الحكم الشائعة لـ "سليمان" (الحكيم) التي نجدها مسطورة على عبدل في سنفس اللوك الأول ٤: ٢٩-٣٤ مضمون بعض هذه الأشكال الأدبية التي عرفتها مصر؟ (٨٦) وبعد أن يقنع المرء نفسه بالتشابه في الاهتمام بالـ 'أدب' في بلاط "سليمان - كم يشبه بلاطًا في أوربيا. فى القرن التاسع عشر! - ولم يكن الأمر يحتاج إلى أكثر من خطوة واحدة أتصور شريحة من الكتبة الذين يهتمون بتدوين الماضى (الكاتب المصرى المعاصر الذى وقف، على سبيل الافتراض، كنموذج لطاقم الكتبة السليمانيين لم يبد مثل هذا الاهتمام بالتاريخ، ولكن ذلك فات على المدافعين عن الإيمان "التوراتي"). وبالتالى نستطيع أن نعزى "وثيقة الاستخلاف"، والملحمة اليهودية الكبرى، وحتى قصة "يوسف" إلى النشاط الأدبى لبلاط "سليمان"، ونستطيع عندنذ أن نرتاح لأن إيماننا في تاريخيتها الأساسية لم نكن قد وضعناه في غير موضعه (١٨٠). وقوائم "داود" لتعداد الأنفس، وحوليات سليمان" كلها تصبح حقيقة واقعة (١٨٠).

يصعب علينا أن نقرر ما إذا كان الأمر يستحق منا أن نبذل محاولة نحو تفنيد مثل هذه الحجج التي لا تتصل بالموضوع، فواحدة ذاتية بشكل كامل، والأخرى استنتاجية: a priori . ولكن نظرًا لأن مثل هذه المحاولة سوف تعزز إبراكنا الفترة رئيسية في التاريخ الإسرائيلي عندما كان التأثير المصرى موضع الاستلهام، فلا بد من بذلها.

ينبغى أن يكون واضحًا بادئ ذى بدء أن المستوى الأدبى لقطعة أدبية ما تتناول أحداث الماضي لا صلة له البتة بمدى قرب المؤلف زمنيًا من تلك الأحداث. و وثيقة الاستخلاف في سفر "مامويل" الثانى ١٣ إلى سفر "الملوك" الأول ٢ تكشف عن نفس السمات التى تكشفها القصص (المناظرة) في سفر "صامويل" الأول حول مطلع حياة "داود" تحت حكم "شاءول"، تركيز بارع على التحولات الدرامية في الحبكة والحوارات المتخيلة (التي يستحيل أن يكون المؤلف قد اطلع عليها مع ما تنطوى عليه من خصوصية شديدة) والحساسية للظلال النفسية والتصوير البارع للشخصية والمفارقة الساخرة وما أشبه. ولكن ما من خاصية من هذه الخواص تدل على أن العمل تاريخي بالضرورة، أو تؤيد التأليف المعاصر للحدث الذي يثناوله. وعوضاً عن ذلك فهي سمات حكايات الأبطال و"الفتاة" Mächen الماهرة الماهرة المالارة).

ثانيًا: الزعم الذي يرى أن حكم "سليمان" شكّل تنويرًا"، لا يقف على قاعدة صلبة، ويمكن أن يبدو بعيد الاحتمال. وكل ما في الأمر أن التجمعات السابقة على نشاة المملكة تطلبّت، وحسب، عند لحظة تحولها إلى أمم - دول أكثر تطوراً يقف على

رأسها ملوك، مطالب عملية، ليس إلاً، في تبنى هذه الآلية الجديدة الرامية نحو تعجيل سير أعمال النولة، وبالتحديد الكتابة (٩٠)؛ ولعلنا نعرف أن الكتابة خدمت، في مصر و"ميزوبوتاميا" (= بلاد الرافدين) على سبيل المثال، في لعظة تحولهما إلى أمة ـ دولة، كل على حدة، أو إلى مجتمع حضرى ثلاثة احتياجات رئيسية: يتمثل الأول في مسك الدفاتر، والثاني في إثبات الهوية، والثالث (وهو ملحوظ) في تخليد الذكريات. ولقد نبع الاحتياجان الأوليان من ضرورات الحياة اليومية التي خبرتها الإدارة المدنية، أما الاحتياج الثالث فيعكس الوعى الذاتي لرأس الدولة بدوره الجديد كتجسيد للمثل العليا التي ينشدها المجتمع. ونتج عن الاحتياج الأول قوائم الضرائب (التي تحدد هوية الفرد المنتج، ونوع السلعة، وحجم الكمية) واللوائح والبطاقات والمذكرات والقوائم وحتى الخطابات، وأنتج الاحستياج الشالث جيداريات النمسر، مع أو بدون نص شارح، وبيانات السير الذاتية والملخصات (ذات المعلومات القيمة التي كانت تنقل في الماضي شفويًا، مثل دليل الأدوية وما أشبه). على أن الآداب ليست ممثلة في هذه اللحظة من التطور الأولى للدولة، وإن ترد إلا بعد ذلك بوقت طويل في المستقبل. وإن تأخذ المواد التي تؤلف بهدف أن تكون دفاعًا أو عملاً دعائيًا لصالح البيت الحاكم أو فرعون بعينه أو عهداً مقدساً شكل قصة بطولية، تؤلف بحذق بارع وتودع في لفة بردي في الأرشيفات - فمن ذا الذي سيقرأها؟ - ولكن على هيئة بيان بسيط مباشر سيري (صفة من سيرة) يُنقش في الحجر ويُرسل إلى الجميع كي يروا ويسمعوا ما يقرأه لهم كاتب - قارئ. وتثبت الأدلة المستقاة من الدول المشرقية الأخرى في العصر الحديدي ('سامال'، 'كاركميش' و'سيليسيا' وبمشق على سبيل المثال لا الصصر) أن نشر نص الأمر بالبناء أو النص السنّيري أو نقش التمثال كان بمثابة عرف سار. وينبغى علينا ألا نتوقع إلا نفس العمل، دون زيادة أو نقصان من مملكة "داود" و سليمان ^(۱۱).

إلا أننا لسنا بحاجة إلى قصر التفنيد هنا على إقامة الدليل على استبعاد احتمال صحة المهد السليمانى (المنسوب لـ "سليمان") كتاريخ Date للمواد الواردة فى صامويل الأول وصامويل الثانى (أو إنتاجها المباشر Vorlage) إذ نستطيع أن نبرز فى هذا الصدد حجة تستند إلى دليل استقرائى. فوجود فقرات عديدة تهدف إلى

التسويغ etiological ينتقص، كما فعلت في حالة "القضاة" من درجة الثقة التي يستطيع المرء أن يضعها في القصص التي ترتبط بها تلك الفقرات، وتجعل من التاريخ السليماني، للتسجيل، بعد جيل واحد وحسب من وقوع الحدث، أبعد احتمالاً(٢٠). والمقيقة أن عمليات 'التسويغ' التي ترتبط باستيلاء 'داود' على 'أورشليم' ومعاركه المبكرة مع الفلاسطينيين تتصل بمواد من الهزال إلى الحد الذي يبدو معه "التسويغ" رهن الحديث بمثابة التفسيرالشافي الأوحد للتقاليد ذاتها(٩٢). وتزعم أو تفترض بشكل مسبق، فقرات عديدة وجود ملكية (إسرائيلية) ضاربة في أعماق العصور القديمة (٩٤)، في حين أن 'مؤاب' (= موآب) و عمون' و إيدوم' كانت بالفعل دولاً ملكية في نظر المؤلف (٩٠٠). ويقابل المرء هذا وهنالك تلميحات إلى موتيفات وتقاليد إما أنها نبعت أو تطورت إلى النقطة التي تفترضها الفقرات الواردة في سفر 'صامويل' في تاريخ لاحق بصورة بارزة^(٩٦). أما المفارقات التاريخية anachronism الصارخة فأكثر مما يسمح به في ثناياه سجل يعتمد على مصادر موثوق بها: النقود المسكوكة ("صنام ويل" الأول ١٦: ٢١)، الدروع الجديشة ("صنام ويل" الأول ١٧: ٤-٧، ٣٨-٣٩، ه٢: ١٣) استئناس الجمال ("صامويل" الأول ٣٠: ١٧) الفروسية (= ركوب الخيول) (وهذا أمر متميز عن شد الخيول في العجلات العربية: "صامويل" الأول ١٣: ٥ ، "صامويل" الشاني ١: ٦) المعاول والبلط الصديدية (كما لو كانت شائعة في الاسبتعمال: صامويل" الثاني ١٢: ٣١) وأساليب فرض الحصار المتقدمة ("صامويل" الثاني ٢٠: ١٥)(٩٧) ولم يكن لب وثيقة الاستخلاف (سفر "منامويل" الثاني ١٣ إلى "الملوك" الأول الإصداح الثاني) خاليًا من أي إشارات واضحة إلى أي تاريخ بعد وقت طويل من الأحداث الموصوفة. والمؤلف يدخل شخصياته في ملابس عتيقة. ("صامويل" الثاني ١٣: ١٨)(١٨) وهناك الحديث المرسل عن النقود المسكوكة ("صامويل" الثاني ١٨: ١١-١٢) واستدعاء قوات يصل حجمها إلى أبعاد هائلة لمطاردة خاطفة ("صامويل" الثاني ١٧: ١) وخوض معركة تسفر عن عشرين ألف ضحية ما بين قتيل وجريح ("صامويل" الثاني ١٨: ٧) ومرة أخرى استعمال الخيول ("لللوك" الأول ١: ٥). وعلاوة على ذلك يوصف أحد عدائي الجيش بهنذا الاسم النوعي أو اسم النوع كوشى"، وهو اسم يشير إلى فترة تقع بعد الربع الأول من القرن الثامن ق.م. ويعيد

إلى الأذهان بسالة الجيش النوبى تحت حكم الفرعون "طاهركا" فى عمليات العدو. ولا يمكن لهذه الفقرة أن تكن قد كتبت إلا عندما كان وجود الكوشيين كقوات شبه عسكرية شائعًا بدرجة تجعل من استعمال كلمة "كوشى" فى إحدى القصيص عملاً قابلاً للتصديق (١٩١).

يتمثل أحد الأساليب التي يحبذ المرء اللجوء إليها للتخفيف من حدة الحرج في إرجاع المفارقات التاريخية وعمليات التسويغ والعناصر ذات الطابع الفولكلودي إلى المشروحات المضافة إلى المتون أو إطار التحرير اللاحق، ولكن هذا لا يعدو كونه ذريعة التملص ليس إلاً. فالأغلبية الساحقة من الأمثلة التي حشدتُها تنتمي إلى صلب نسيج القصص المروية. إذ تنطوى هذه القصص ذاتها على تاريخ الراوى نفسه (ومن وجهة نظر المؤرخ الحديث) تطعن في نزاعة مصادره. وكلما كانت مصادره شاملة واستنفد هذه المصادر بشكل كامل، وكلما علا تقديره لها، كلما قل تدخله الشخصي وكلما سهل الكتشاف الإضافات التي يضيفها. ولكن المؤرخ في "صامويل" الأول والثاني ولا يحتاج المرء إلى نفي وجود عدد متنوع من "الأيدي" والمصادر المتعددة ـ لم يكن في حوزته أي وثائق أو تحت يده أي محدثين (= ناقلي معلومات) ممن لا ينظرون هم أنفسهم إلى وثائق أو تحت يده أي محدثين (= ناقلي معلومات) ممن لا ينظرون هم أنفسهم إلى الملكة المتحدة كذكري من ذكريات العصر البطولي.

وإذا كانت "وثيقة الاستخلاف" (ودع عنك الحكايات الشاؤولية الأسبق عهداً) ليست سوى تأليف متأخر العهد، وبالتالى لا تتمتع بقيمة اسمية عالية فى الكشف عن حقائق حكم داود (۱۰۰)، فيظل من المشروع أن نتسائل حول السبب الذى يقف وراء كتابتها (۱۰۱)، وعندئذ ينهال على المرء عدد من الأجوبة المحيرة. هل تهدف إلى أن تكون بمثابة إدانة لتقاليد الورع التى تصور "الملك داود الطيب القلب"، وهى التقاليد التي تتخلل معظم باقى "العهد القديم"؟ (ومع ذلك فبالتأكيد من "صامويل" الثانى الإصحاح ٢٠ حتى الملوك الأول" "الإصحاح الأول" لا يصور الكاتب أو الكتبة "داود" كشخصية شريرة أو ميكيافيللية، ولكن عوضاً عن ذلك كشخص أخرق طبع يفتقر إلى الحضور وإن كان ينطوى، بصفة أساسية، على نوايا حسنة)(٢٠٠١). هل تعد بمثابة بيان "معاد للملكية؟(١٠٠٠) (ولكن أين أفصح عن مثل هذا الرأى أى شخص على وجه الإطلاق؟) هل تترير "داود" من ذنب سفك تأتى كدعاية سياسية عاصرت المملكة المبكرة وهدفت إلى تحرير "داود" من ذنب سفك

دم ملكى؟ (١٠٤) (وقد يستطيع المرء أن يجادل، بحجج هزيلة وغير مقنعة، مع تحاشى الصعوبات التى تنطوى عليها العلامات المتشعبة على أن تألفيها جاء فى وقت متأخر) هل تحمل رسالة "مناهضة المسيحانية" (تيار فى الإيمان اليهودى يقول بظهور ملك من نسل داود يخلص بنى إسرائيل من الاضطهاد) تصدر عن العصور التى أعقبت الخروج ؟ (١٠٥) (وقد يكون الكاتب قد أضمر فى حقيقة الأمر شعوراً ربما يكون قد أفصح عن نفسه فى مثل تلك الرواية، ولكن ألا تؤدى البراعة ذاتها فى الصياغة إلى تعريض الرسالة لخطر عدم الوصول؟)

كون وثيقة الاستخلاف تقدم لـ داود صورة غير وبودة ، وكون ذلك كان موضع الترحيب في الماضي يقوم عليهما برهان كاف يتمثل في حذفها من سفر أخبار الأيام وهو السفر الذي يرفع بيت داود ، دون قيد أو شرط إلى أعلى عليين. ولكن وثيقة الاستخلاف تفسر أيضاً منعطفات أخرى في التاريخ لا نستطيع إلا النظر إليها على مسافة ما . كيف يستطيع قاطع طريق من بيت لحم أن يقتلع بيت شاؤول حتى ولو كان قد تزوج إحدى بناته؟ كيف استطاع غرباء الأطوار في التاريخ المتأخر أن يجدوا تعليلاً عقلانيا الخطيئة التي ارتكبها داود؟ كيف تأتى أن يخلف داود ابنه الأصغر "سليمان" في ظل ابنه الأخر الأكبر والأعلى شأنا وجلالاً، وهو معروف جيداً الشكل الذي عرفت خلاله للأجيال التالية: انحدرت من نسل "سليمان" الحكيم (وليس أسل عمنون " Amonon الشهواني أو "أبسالوم" (=أبشالوم) Mosolom المتعطش السلطة أو "أدونيا" Absolom الشهواني أو "أبسالوم" (=أبشالوم) Mosolom المتعطش السلطة أو "أدونيا" Absolom)، ولقد كان "سليمان" أورشليميًا حتى النفاع، فهو الابن الوحيد، من بين جميع أبناء داود" الذين كانوا رمن السباق، الذي ولد لامرأة من أورشليم فريسة أعضاء عصابة سرية ومدعى صناع الملوك، أي دولة كانت لتجد نجدتها على فريسة أعضاء عصابة سرية ومدعى صناع الملوك، أي دولة كانت لتجد نجدتها على أيدى سليمان" الذي يتميّز بالصلابة والصرامة، وليس داود" العاطفي اللين العربكة.

خلاصة القول، علاوة على إضفاء وثيقة الاستخلاف طابعًا عقلانيًا على التاريخ، فالوثيقة تقدم أيضًا نموذجًا يتعين أن يتحاشاه أولئك الذين ينوون إصلاح أو إعادة إنشاء دولة داود والحذر أيشوع ورزيروب - بابيل!

إلا أن الوظيفة المزدوجة من التفسير والتحذير، والمعالجة الأدبية الحساسة الموضوع تقرب بين "وثيقة الاستخلاف" وبين ذلك النوع من النصوص التي يمثلها التاريخ الذي كتبه "بيدبسي" Pediese حول العلاقات التي أقامتها عائلته مع مدينة تيجوي" Teudjoy في مصر الوسطى (٢٠١) فهذه الرواية الطويلة التي كتبها صاحبها في سنة ١٢٥ ق.م. تعرض خصائص الأسلوب والمعالجة الموضوع، التي تكشف، وقياساً مع الفارق Mutatis Mutandis، خلال "وثيقة الاستخلاف" عن اهتمام بالتاريخ المدبج لعائلة من العائلات على امتداد الزمن، والحساسية تجاه رد الفعل الذي قد يبديه الأعضاء/الشخصيات الأفراد، والمناقشات المتخيلة والاستخدامات البارعة للانحناءات التي تنطوي عليها الحبكة الدرامية (١٠٠١). وعلى غرار ما كان الهدف الملكة على أيدى الاستخلاف"، وكما يبدو لنا، هو (الكيفية التي قامت بها الملكة على أيدى أسليمان") ("الملوك" الأول ٢: ٢١)، كذلك نصت رواية "بيديسي" نحو شرح (الكيفية التي ضاحق خلالها الدمار بـ "تيجوي")

لا يشك أحد في أن "بيديسي" كان هو شخصياً وشخصياته الدرامية dramatis غير يشك أحد في أن "بيديسي" كان هو شخصياً وشخصيات بحوم حول كثير من التفاصيل التي وردت في ثنايا روايته. وعلى نفس المنوال يكون من فساد الرأى أن ننكر تاريخية شخصيات "وثيقة الاستخلاف"، إلا أن أحجامهم البطولية والأحداث التي شاركوا فيها، تظل محل شك في معظمها. والحقيقة أن "وثيقة الاستخلاف" قد لا تخبرنا إلا بنفس القدر من الضائلة عن القرن العاشر ق.م. الذي تخبرنا به قصة "موت أرثر" Morte d'Arthur عن القرن السادس بعد الميلاد.

وعندما نمضى بعيدًا فيما وراء وثيقة الاستخلاف وناتى إلى مجموعة المواد التى تصف حكم سليمان (الملوك الأول ٢ -١١)، فإننا نجد أنفسنا محاطين بجو مختلف تمام الاختلاف. إذ يتدهور فورًا كل من أسلوب الكاتب ومعالجته التفاصيل على حد سواء. فالحساسية العقدة والتفاصيل وتصوير الشخصيات تختفي كي يحل محلها الابتذال المعروف عن الحواديت الفولكلورية والأمثال وسجل الاسماء (١٠٨٠). ولا مناص هنا من التسليم بأثنا نواجه الآن مؤلفًا مختلفًا عن مؤلف وثيقة الاستخلاف.

ونستطيع أن نلخص "التيمات" الواردة في هذا القسم على النحو التالي:

- (١) رُواج "سليمان" من ابنة فرعون مصر. (٣: ١، ٧: ٩،٨ : ٢١، ٢٤)
 - (٢) حلم "سليمان" بـ جبعون"، طالبًا النصح الحكيم (٣: ٤-١٤)
 - (٣) مثل العاهرتين (٣: ١٦-٢٨ بالتصوير ١- ٢)
 - (٤) قائمة بضباط "سليمان" والمواد الغذائية (٤: ١-١٩، ٢٢-٢٧)
- (٥) ملاحظات عمومية حول حكمة "سليمان" (٤: ٢٩-٣٤ بتصوير ٢)
- (٦) قصة الطف المبرم مع "حيرام" وأعمال التحجير (الفصل/الإصحاح الخامس)
 - (٧) بناء ووصف المعبد (الفصل/الإصحاح السادس)
 - (٨) بناء القصر والمكاتب الإدارية (٧: ١-١٢)
- (٩) عمليات الثانيث التي قام بها "حيرام" الصائغ الصوري (نسبة إلى "مدينة مور") (٧: ١٣-٤٧)
 - (١٠) افتتاح المعيد (٨: ١-٢١)
 - (۱۱) مىلاة سليمان (۸: ۲۲–۸۳)
 - (١٢) تسابيع سليمان وقرابينه (٨: ١٥-٦٦)
 - (١٣) رؤية "سليمان" الثانية ووعد "يهوه" (٩: ١-٩)
 - (١٤) التنازل عن جزء من "الجليل" لـ "صور" (٩: ١٠-١٤)
 - (١٥) عمال السخرة في بناء المدن (٩: ١٥–٢٢)
 - (١٦) الأسطول التجاري في البحر الأحمر (٩: ٢٦-٢٨، ١٠: ١١-٢٢،١٢)
 - (۱۷) زیارة ملکة 'سبآ' (= بلقیس)(۱۰: ۱۰۰۱)

- (۱۸) دخل اسلیمان وثروته (۱۰: ۱۶-۲۱)
- (١٩) متاجرة 'سليمان' في الخيول (١٠: ٢٦-٢٨)
- (۲۰) أعمال الارتداد التي ارتكبها "سليمان" (۱۱: ۱-۱۳)
 - (٢١) خصوم "سليمان" (١١: ١٤-٤٤، كعقوبة على ٢٠)

تعد معظم هذه المواد من العمومية بحيث تعجز عن إعطائنا رؤية واضحة لأى حقائق تاريخية، لو كان لها وجود في الأصل قد تكون كامنة وراء كل ذلك الحشو المفكك (١٠٩). فمصنف المواد أو المؤلف يجاهد طول الوقت في سبيل إبهارنا بالمدى الذي بلغته حكمة "سليمان" وصيته، وكيف عاد ذلك عليه بفائدة مالية عالية. وكان بوسع أي شخص أن يكتب ذلك الوصف الذي ورد للمعبد طالما وقعت عليه عيناه قبل سنة ٨٦٥ ق.م، في الوقت الذي تصور فيه الصلوات والعهود (=الوعود) التي تنم عن الورع، "النفي": Exile من الإصحاح العاشر وحتى الثالث عشر. وإذا كان لنا أن نكثف قصة حكم "سليمان" إلى أساسياتها، فإنها تتلخص في "الحقائق" التالية:

- (١) كان سليمان رجلاً حكيمًا عظيم الحكمة، بل وألف كتابات في الحكمة.
 - (٢) بنى المعبد بعون فينيقى.
 - (٢) تزوج ابنة فرعون مصر.
 - (٤) امتلك أسطولاً في البحر الأحمر وانخرط في الأعمال التجارية.
 - (ه) زارته ملكة من العرب الجنوبيين.
 - (٦) بنى كثيرًا من المدن.
 - (V) عمل معه عدد من المسئولين الذين وصلت إلينا أسماؤهم.

ليس بين هذه "الحقائق" سوى السادسة والسابعة التى تنطوى على عناصر محددة، أما الأخرى فمبهمة وتعد بمثابة خرافات. ويشير صوغ شخصية "سليمان" استنادًا إلى مواد من قبيل الهيمنة الإمبراطورية والبراعة في عمليات البناء والتجارة

الخارجية (وخصوصًا في أعالى البحر الأحمر) والثروة والحكمة وزواجه من ابنة فرعون مصر العظيم، إلى شخصية موازية، بشكل واضح، تتمثل في الإمبراطور شبه الأسطوري الذي يرجع إلى الماضى السحيق، وهو الإمبراطور الذي أخذ شكله النهائي اعتباراً من القرن السادس ق.م، وصاعداً في شخص "سيزوستريس"، وهو لا يخرج عن كونه مزجًا بين الفرعون "تحوت - موسى" الثالث، و"رعمسيس" الثاني، وكلاهما عبارة عن شخصيتين تاريخيتين، وليسا، بكل تأكيد، من نسج الخيال، أما القصص التي تروى عنه (أي عن "سيزوستريس") عند "هيرويوت" (مؤرخ و"رحالة" يوناني زار مصر في القرن الخامس ق.م. وكتب تاريخه باسم: History وأفرد الكتاب الثاني منه لمصر في الفترة من ١٠ إلى لاه ق.م. وكتب تاريخه المعروف باسم -Bibliotheca histor مصر في الفترة من ١٠ إلى لاه ق.م. وكتب تاريخه المعروف باسم -radus ومن جانبه، فلقد أخذ "سليمان" سمت "سيزوستريس الإسرائيلي" (١٠٠).

مصر وإسرائيل على عهد كل من داود وسليمان:

نسعى كمؤرخين إلى شق طريق لنا خالل المأزق الذى يتمثل فى المصادر النصوصية الأقل شائًا، لكننا نجد أنفسنا وقد ارتددنا طوعًا أو كرهًا إلى سجل أقل مما يرضينا، يكشف عنه جاروف التنقيب. وعند هذه النقطة لم تظهر إلى الوجود أى نصوص جديدة. بل ولم يظهر حتى اسمى داود وسليمان فى أى نقوش سواء أكانت مصرية أو سامية غربية.

إلا أن السجل الأثرى، مع ذلك، لا يخذلنا، تمامًا مناماً يقودنا خذلانه لنا فى الكشف عن أى أدلة من النقوش المكتوبة، إلى الاعتقاد. فهناك لمرة واحدة تماسك فى الاتجاه العام للمعلومات المتوافرة. فالمدن التى ينسب إلى "سليمان" بناؤها، وعلى وجه الخصوص "حازور" (= حاصور" فى إحدى ترجمات "التوراة". المترجم) و مجدو" و "جزر تكشف عن ملامح معمارية متميزة مثل الأسوار ذات المكامن (وقامات للمدافعين ضد العدو الخارجي. المترجم) والبوابات الثلاثية التوصيل ومقار الحكام، تحمل طابعًا دامغًا

على نوايا واحدة أو عقل واحد وراء البناء (۱۱۱). وعلاوة على ذلك يكشف القرن العاشر حقًا عن أدلة على توسع الاستيطان وعلى نوع من تخطيط المدن، مما يستطيع المرء أن ينسبه لملكة مركزية قوية (۱۱۲) كما لا يمكننا إنكار وجود سلطة قوية معاصرة في "يهودا" و"النقب"، قادرة على بسط سيطرتها على دروب التجارة وبناء الحصون (۱۲۳).

وإذا كان لنا أن نتبنى مرقفًا مسبقًا، فبصفتنا علماء مصريات لا نستطيع أن نروغ من كثير مما تقوله "التوراة" عن مصر خلال حكم كل من "داود" و"سليمان". فالسجل إلى هذا الحد أو ذاك يدعو للقبول ظاهريًا. فليس داخلاً في باب المستحيل أن يكون بعض المصريين الجوالين قد دخلوا في نطاق مجموعات يهودية خلال الربع الأول من القرن العاشر (قارن "صامويل" الأول ٢٠: ١١، و"صامويل" الثاني ٢٣: ٢١) ولعله من المقبول عقلاً أن تكون مصر قد رحبت بنشوء بولة 'إسرائيل'، نظرًا اروح العداء التي كشفت عنها منذ البداية ضد الاحتلال الفلاسطيني السهل الساحلي. وحتى يكون من المقبول أن نفترض أن تكون مصر قد شنت عدة هجمات، في مطلع القرن العاشر ق.م. على الجيوب الفلاسطينية والكنعانية في "شيفيلاه" Shephelah، وقد لحق الدمار بنُحد هذه الجيوب: "جزر" في حريق هائل^(١١٤). ويكشف بعض فراعنة الأسرة الحادية والعشرين عن أدلة قوية على نوايا عدائية ضد أسيا في ألقابهم وأبقوناتهم (١١٥). ولكنه أيضنًا من المقبول عقلاً أن يكون البلاط المصرى قد منح العون وأسباب الراحة المادية للمنشقين والمتمردين على "سليمان" (١١٦). والكاتب الصالي (دوناك ريدفورد.) يجد شخصيًّا من الصعب عليه أن يرى في زواج "سليمان" من ابنة فرعون مصر حقيقة تاريخية (١١٧)، ولكن يتعين علينا أن نعترف بأن القرن العاشر، شهد، إلى حد كاف بصورة ملحوظة، صعود أعضاء عديدين من الجانب الأموى لعائلات نبيلة وأخرى ملكية في مصر، ممن أصبحوا يرون بعض الأهمية في عقد الزيجات لأسباب اقتصادية أو سياسية^(۱۱۸).

ولكن إلى أين نتجه انطلاقًا من هذه النقطة؟ لعل وصف قول ما بأنه "مقبول ظاهريًا" لا يشكل أكثر من الحد الأدنى من الفائدة من وجهة نظر المؤرخ. فالمرء يسعى لغحص "الاحتمال" probability، وليس ما إذا كانت حادثة مزعومة يمكن أن تكون قد وقعت. (فالإجابة في هذه الحالة الأخيرة سوف تكون باستمرار على وجه التقريب: نعم

يمكن أن...) وفي ظل الحالة الملتبسة الراهنة لمعارفنا، يبدو من باب النزق في أقصى طرف (وفي أقل القليل من باب الادعاء الصرف) أن نمضى في تدبيج مجلدات تتسم بالتعالم حول موضوعات مثل: "السياسات الخارجية لـ "داود" و"سليمان" أو اقتصادات الدفاع، أو دستور الدولة، أو الشرعية الملكية أو أجهزة الإدارة الحكومية. فعلى أكثر تقدير ان يكسب المرء من وراء ذلك سوى نظرة محدودة إلى ما رأى فيه كاتب سفر "تثنية الاشتراع" طبيعة المملكة المتحدة (١١٩).

فلنعلم أنفسنا أن نتعايش مع الغموض والالتباس، ويومًا ما قد يظهر دليل على متاجرة "سليمان" في الخيول أو زواجه من ابنة فرعون مصر، وإلى أن يحدث ذلك يجب أن تظل كل هذه الموضوعات في نطاق الـ "مدراش" Midrash (المصطلح مشتق من الفعل العبرى "درش" = بحث وفحص، والمصطلح يشير إلى نهج متكلف في تفسير التقاليد الشفوية النص المقدس وخصوصاً الأسفار الخمسة، المترجم) أو الروايات الخيالية.

الهوامش

- Brooks, Climate through the Ages (New York, 1970), 336. (1)
 - (٢) حول إغلاق المناجم انظر:

W.B.Emery, Egypt in Nubia (London,1965),206-7;R.Giveon, The Impact of Egypt on Canaan (Göttingen,1978),51ff.;B.Rothenberg,Timna (Aylebury,U.K.,1972),163; on the economics of the period, see J.Cerny,JWH 1 (1954),903-21;J.J.Janssen,SAK 3 (1975),127-86;idem,Commodity Prices from the Ramessid Period(Leiden,1075).

See T.E. Peet, The Great Tomb-Robberies of the Twentieth Egyptian Dynasty (*) (London, 1930).

G.Maspero,La trouvaitle de Deir el-Bahari (Cairo,1883);idem,Les momies royales (£) de Deir el-Bahari (Cairo,1887);J.E.Harris and K.R.Weeks,X-Raying the Pharaohs (New York,1973),chap,3.

- Diodorus, 1:63.1 (a)
- A.H.Gardiner,JMEOS 2 (1912), 61;E.F.Wente,Late Ramesside Letters (Chicago, (1) 1966),79.
 - D.B.Redford,Ld? 2 (1977),1129-33. (V)
 - Cf.Wenamun 2:35 (AH.Gardiner,Late Egyptian Stories (Brussels,1931)70). (٨) مصطلح 'ضابط': المربئة' انظر:

(A.H.Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica (Oxford,1947), 1:28*; A.R.Schulman. JARCE 2 (1963),87-88; D.Meeks, Année Lexicographique (Paris, 1981),2:332-33; (Paris, 1982),3:258),

إلاً أن المسطلع هنا يعنى ما يقترب من "المسئول المكلف" ويبدو من عبارة "وينامون" أن تعيينه جاء خلال هاتف إلهي.

(Paris, 1941),189,n.4.

(٩) كانت كانت-أمون ابنة مرافق (S³b) بسيط لأحد الفرسان يدعى نيب - سيني انظر: H.Gautier, Livre des rois (Cairo,1914),3:258(L);P.Montet, Le drame d'Avaris ولكن هناك محاولات نمو النظر إليها كالملكة السابقة للقرعون "رعمسيس" الحادي عشر، انظر: A.Niwinski,JARCE 16 (1979),50-51.

وربما تكون أم 'نسببانيب – جد': Nesubanebdjed مى نودجمى:Nodgme، زوجة 'حريحور'، ولكن حتى هذا الاحتمال بعيد الفاية عن أن يكون صحيحًا. انظر:.174,(1967) E.Wente,JNES 26

(١٠) يصعب تحديد تاريخ معين لإنشاء 'تانيس'. على أن الاسم بصرف النظر عن احتمال ظهوره في التركيبة اللغوية: "Shi-D" انظر:

R.A.Caminos, Literary Fragments in the Hieratic Script (Oxford, 1956)

إلاً أنه ظهر، لأول، مرة في أوينامون النظر: (1:3=Gardiner, Stories,61)

التي ترجع إلى الأسرة العشرين وفي:

Onomasticon Amenemope (A.H.Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica (Oxford, 1947),2:199*ff.

التي ترجع إلى مطلع الأسرة الصادية والمشرين. وكانت "بي-رعمسيس" لا تزال مقر الحكم تحت ظل الفرعين "رعمسيس" الثالث، قارن:

A.H.Gardiner,JEA 5 {1920},192,no.23,and 192-93,no.25;V.230},

واستمرت في الوجود حتى نهاية الأسرة..On,Am.10=Gardiner,Onomastica 2:171°ff) ومعنى القول أنها أي أبي-رعمسيس قد تعاصرت مع "تانيس" لدة قصيرة. وعلى نحر ما أصبع واضحًا الآن بصورة جلية فإن "تانيس" كانت قد تأسست خلاِل الأسرة العشرين الغاربة.

- J.Van Seters, The Hyksos, A New Investigation (New Haven, Conn., 1966), (11) 128ff.; M.Bietak, Tell el-Dab'a (Vienna, 1975), 2:179ff.; idem, Proceedings of the British Academy 55 (1979), 278-79.
- (١٢) المقبرة الملكية الأخبرة في "طيبة" هي غرفة الدفن الناقصة والواقعة تحت سطح الأرض، التي تركها الفرعون "رعسيس" المادي عشر في وادي الملوك (١٤ ..(12,501 P-m ولقد اختفى مصطلح "المقبرة الملكية" من نصوص "طيبة" الإدارية بحلول منتصف الأسرة الحادية والعشرين، كما اختفت إدارة الجبانة الملكية بعد ذلك التاريخ بجيل واحد. انظر:
- (J. Ğemy, A Community of Workmen at Thebes in the Ramesside Period (Cairo, 1973), 26,52.
- P.Barquet,Le Temple d'Amon-rê à Kamak (Cairo, 1962),pl.32b,and p.36-37. (۱۳)
- See lists in the Great Harris Papyrus:W.Erichson,Papyrus Harris I (Brus- (\)) sels,1933);J.H.Breasted, Ancient Records of Egypt(Chicago,1906),4:124ff.
- (١٥) قارن كيف تتبادل كلمة "طيبة" مع عبارة 'بيث أمون' و'مصر العليا' في الألقاب التي ترجع إلى الفترة . المتأخرة.
- See E.Graefe, Untersuchungen zur Verwaltung and Geschichte der Institution (17) der Gotesgemahlin des Amun (Wiesbaden, 1981).

- (١٧) مو اليوم كرم "تل الهية".انظر:
- R.J.Wenke, Archaeological Investigations at El-Hibeh 1980(Malibu, Calif. 1984).
 - A.H.Gardiner.JEA 48 (1962),57ff. (\A)
- Cf.P.Montet, Les constructions et le tombeau de Psousennès 1 à Tanis (Par- (\9) is,1951).
 - Ibid., 108, fig. 44, pt. 72 (no. 413); 136, fig. 51, 51, pl. 107 (no. 482). (Y-)
 - lbid.,149,fig.54;150,fig.55. (Y\)
 - P.Harris 76:8-9. (TT)
 - (٢٣) حول الإشارات المتأخرة لفلول شعوب البحر، انظر:
- A.H.Gardiner, Ramesside Administrative Documents (Oxford,1948),7:12-13 (mid-20th Dynasty);J.?erny,Late Ramesside Letters (Brussels,1939),19:21 (21st Dynasty);G.Daressy,ASAE 15 (1915),141 (mid-22nd Dynasty).
- (٢٤) حول كلمة "حصن"(12-13.17:11-12) ealth: هناك فقرتان ترجعان إلى حكم الفرعون "رعسيس" الثانى تكشفان طبيعة هذه المؤسسة: ("ريتينو" المستوطنات، حصون الملك، البلاد التي توطنت وزودت بالسكان) (13.30:15) و(في سبيل شغل الحصون التي بناها أي "جلالت" بالرجال من أولئك الذين أسرهم بسيف" (KRI II,206:16)
 - (دم) 228:15-16; (تجارة الفرعون 'رعمسيس' مع لبنان') KRI II,27:4
 - (الفرعون "رعمسيس" الخامس يفاخر بإطلاق صبحته نحو ابنان). انظر:

Rothenburg, Timna, 163; KRI VI, 10:9-10; 228:1-2, 15-16

ريتينو ملك يمينه خلال الأسر وقد حط عليها جزيتها ، و(هوجزار "خارو"...)

(J.Leclant, Orientalia 51 {1982},485,fig,83);scarab of Ramesses IV from Tel Fara South (A.Rowe, A Catalogue of Egyptian Scarabs,Scaraboids,Seals and Amulets in the Palestine Archaeological Museum (Cairo,1936),no.8);a bronze of Ramesses VI from Megiddo (KRI VI,278);scarbs of Ramesses VI from Gezer (P-M VII,375), Gaza (R.Giveon,Tel Aviv 4 {1977},66-67,fig1,no.2),and Beth Shemesh (Rowe,no.834)

وانتى لأشك كثيرًا فيما إذا كانت مناك أي جمارين ترجع إلى الفرعون "رعمسيس" السادس من تل "الفارعة" (as T.L.Mclellan, Journal of Field Archaelogy 6 {1979},67;cf.now A.Mazar,IEJ 35 {1985},98,n.9).

- KRI VI,269P1-4. (TV)
 - KRI VI,394;cf, (YA)

أيضًا العبارات التي تفقتر إلى الابتكار التي تمتع بها الفرعين "رعمسيس" التاسع (KAI VI):

ميحة الحرب التي يطلقها في البلاد الأجنبية هي: ساحق الجبال... الرعب منه يخلع قاوب الشماليين، (ibid,466) الذي يقوز في حومة الوغي، والخبير في سحق الأجانب، القائد الذي يشتت فلول العدو، من ينمغ البلاان الأجنبية بانتصاراته الباهرة. ومع ذلك ينبغي علينا أن نحذر من تضميب تلك العبارات لحسنا التاريخي: قرار استخدام عبارات من هذا القبيل ريما يكون قد حدث في ضوء حادث معين، وحقيقة الأمر أن الفرعون "رعمسيس" التاسع هذا هو الذي يشير إليه ملك "بيبارس" الماصر لـ "حريحود" (Wenamun 2,51-53) عندما قال إن "فرعون" بعث إلى أبائه مندوبين، قارن أيضنًا الزخرف المطعم لـ "رعمسيس" التاسع الذي يرجع إلى "جزر" (P-M VII,374)

(٢٩) للاطلاع على تفسير حصيف لمظم مستريات التدمير في مواقع المُشرق التي تفصل LH IIIB و U.Fritz,UF 5 (1973),123ff.;also see J.D.Muhly,AJA 86 (1982),135.

والحجة التى تقول بأن المستويين من التدمير اللذين وجدناهما في بعض المواقع إنما يعكسان ومسول موجنين من الفزاة حجة مرفوضة بشكل كامل:

W.F.Albright, CAH3 II,pt.2 (1975),507ff.;A.Malarnat, World History of the Jewish People. 1 seres (Tel Aviv,1971),3:29;R.W.Hutchinson, Prehistoric Crete (Harmondsworth,1962),314;

نجد في هذه المراقع إما تدمير مزدرج وقع في فترة وجيزة أو فجرة بين التدمير الذي حدث لمن العمر LH IIIC lb: البرونزي المتأخر وبين ظهور الفخار الفلاسطيني (Philistine) الذي نقابل فيه أراني مرحلة (T.Dothan,in Biblical Archaeology Today(Jerusalem, 1985), 167}, Tel (قارن، "أشدود E.Oren, IEJ 24(1974), 270). Tel Ma'arabim (ibid), Tel Mikne (S.Gitten and T.Dothan, IEJ 33 (1982), 128; 36 (1986), 106, 37(1987), 64, 67}, Tel Batash (IEJ 27 (1977), 168; 32(1982), 153)).

وراضع أننا نعرض الآن لمرحلتين متميزتين في التأسيس الأولى لـ 'شموب البحر': التدمير المساحب الغزو الذي قاموا به في سنة ٨ من حكم الفرعون 'رعمسيس' الثالث ومرحلة ثانية تتمثل في التوسع الذي ارتبط بالعنف وقاموا به خلال وقت وجيز في الجيل التالي عقب رحيل الفرعون، قارن:

A.Mazar,IEJ 35(1985),95ff.(esp.97,where a terminus of Ramesses VI's reign is strongly suggested for the breakout.

حيث يقترح كثيرون أن انتهاء حكم الفرعون أرغمسيس السادس كان إيذانًا ببدء الهبة.)

W.J.Pythian-Adams, PEFQS (1923), 13,27ff.; 62,77-78; T.Dothan, The Philstines (1) and Their Material Culture (Jerusalem, 1982), 36-37.

M.Kochavi,IEJ 24 (1974),261;26(1977),54;B.Mazar,BASOR 124 (1951), 25;IEJ (*\) 32 (1982),63;but cf.Mazar,IEJ 35 (1985),99(where an earlier date is suggested)

(حيث يقترح البعش تاريخًا أسبق زمنًا

E.G.Tel Qasile: A.Mazar, IEJ 25 (1975), 77ff. (YY)

Cf.Deir el-Balah: T.Dothan in E.Lipinski, ed., The Land of Israel: Crossroads of Civ-(YY) ilization (Louvain, 1985).63-67; Tel Jemmeh (G.van Beek IEJ 24 {1974} 139), where there are two strata (Phlistine) separated by a burnt level:

(حيث نقابل طبقتين (فلاسطين) يفصل بينهما مستوى محروق انظر:

Dothan, The Philistines, 34.

IEJ 28 (1978),194-95. (Y1)

D.Ussishkin, IEJ 25 (1975), 166; after Ramesses III: J.Leclant, Orientalia 51 (76) (1982), 486.

See n.29;also Dothan,in The Land of Israel,70-72. (٢٦)

E.Oren, IEJ 24, 139, 270. (TV)

W.M.F.Petrie, Beth-Pelet (London, 1929), 1:17ff.; Dothan, The Philistnes, 29-30; (YA) Mazar, IEJ 35 (1985), 98.

طرح البعض التأثير المزعوم القادم من بحر أيجة

(J.C. Waldbaum, AJA 70 {1966},331-40, see Dothan, in Biblical Archaeology Today,(171)

للتسائل:.44-48 (1970),139-44. (W.H.Stiebing,Jr.,AJA 74)

(٢٩) سكن التكرانيون "دور": Dor تحت حكم الفرعون "رعمسيس" الحادى عشر. قارن:.9-18.9 Wenamun المحدود معقولاً أن تستنتج أن الاختلافات الطفيفة بين الشمال روادى الأردن، ربين السهل الفلاسطيني: Philistine إنما ترجع هذا التشعب العرقي إلى شُعبتين،

E.Oren, The Northern Cemetry at Beth Shean (Leiden,1973); Philistine pottery (٤٠); F.W.James, The Iron Age at Beth (الفشفار الفلسطيني، مع ذلك فنادر) is, however, rare Shean (Philadelphia,966) 150.

A.Ben-tor,IEJ 25 (1975),169;J.B.Pritchard, in W.A.Ward,ed.,The Role of the (£1) Phoenicians in the interaction of Mediterranean Civilization (Beirut,1968),99-112;H.J.Franken, Excavations at Tell Deir 'Alla,vol. 1 (Leiden,1969); R.H.Dornemann, A.Hadidi,ed.,in Studies in the History and Archaeology of Jordan (Amman,1982), 1:135-40.

Gardiner, Onomastica,1:190*ff.(nos.257-60. (£T)

(٤٤) حول هوية هذا للكان، انظر:

A.Alt, Schweizerische Theologische Umschau 20 (1950),65.

(٤٥) كانت 'دور' بكل تأكيد مستوطنة 'تيكرانية' قامت نحو سنة ٧٥، ١ق.م. (انظر رقم ٢٩).

(يرى بعض الباحثين أن اسم 'ضكرين': Dhikerin (Dikera) التي تقع بين 'بيت جبرين' و'اشديد'. انظر: (R.A.S.MacAlister, The Philistines:Their History and Civilization {London,1911}, 75 and Ziklag (G.A.Wainwright,JEA 47 {1961},77)

مشتق من تَتِككرَ : Tjekker (Teukr(rians)، رهو الأمر الذي يشي برجود جبيب تَتِككرَ : Tjekker (Teukr(rians)، رهو الأمر الذي يشي برجود جبيب تَتِككرَ : S.Yeivin, The Israelite Conquest of Canaan, (Istanbul,1971), 113,n.213; B. Ma- (٤٦) zark The Philistines and the Rise of Israel and Tyre (Jerusalem,1971,10.

المن الثانث رمن العديث لا تتصل من قريب أو بعيد بثلك المن الذكورة في سفر "بشوع" ١٥: ٤٦-٤٤ ("عقرون" و"أشعود" و"غزة")، الذي بحذف، مثلما يقعل "أخبار الأيام" الثاني ٢٦: ٦" أشقلون"، لسبب بسيط هو أنها تعود إلى ما قبل تاريخ ١٠٥ ق.م. عندما دمرها "نبوخذ نصر" الثاني وهجرها سكانها بصفة مؤقتة.

- Wenamun 2,64-66. (£V)
- (٤٨) حول قوائم السيادة البحرية. انظر:
- R.Amiran, Ancient Pottery of the Holy Land (New York, 1970), 266-69, Dothan, (£4) The Philistnes.
 - (ءه) انظر صفحة رقم ٢٥٢ من النص الأمطى.
- Strabo,16.2.2;Neh.13:24;A.T.Olmstead, A History of the Persian Empire (Chica- (a1) go, 1948), 51;cf.Zech.9:5.
 - (٢ه) قارن بين أخرين 'عجلون'، قارن 'عجلي'، انظر:

P.Montet, Kêmi 17 (1964),63,63,fig.1) Yabin (cf.Yabin-ilu,EA 328:4 Abimelech (cf. EA 146-55);Ben Anath (W.Heck,Die Beziehungen Ägyptens zur Vorderasien2 (Wiesbaden, 1971),356);Eli (Ibid.,364).

(٣٥) انظر. ص ٢٧٧، وحول التنظيم والإطار اللاهوتي للمادة انظر الأن:

J.Van Seters. In Search of History (New Haven, Conn., 1983), 337-46.

(3ه) 'يشوع' يعيش في 'أفرايم'('يشوع' ١٠: ٥٠) تجتمع القبائل في 'شيلوه' ('يشوع' ٢٢: ٢١) واشكيم'(= سيخيم) ('يشوع' ٢٤: ١)، 'إيهود' (علمود) يأتي من 'بنيامين'(قضاة' ٢: ١٠-٣٠)، و وبورة' تأتي من أفرايم'(قضاة' ٤: ٥)، و جدعون و أبي -مالك (=ابيمالك)، كلاهما من 'منسي' وحكما من حاضرة ملكيم في 'شكيم' ('قضاة' ٢-٩). انظر:

(Ahisrrom, Who Were the Israelites?,69)

وقصة "يأفث" البطولية تصور "أفرايم" بصورة بارزة ("قضاة" ١٠: ١-١٢: ٧) و تولع"، دغم ولادته في "ساكر"، إلا أنه يقضى (= يحكم) من "أفرايم" ("قضاة" ١٠: ١-٢) و إبصان" قدم من بيت لحم ("قضاة" ١٠: ١-٨) و إبصان قدم من بيت لحم ("قضاة" ١٠: ١٠-١) و عبدون من "فرعتون" من "فرعتون" وقضى لإسرائيل من "أفرايم" ("قضاة" ١١: ١٦-١٥) و شمشون وهو من أبناء "دان" دفن في "أفرايم" (قضاة "١١: ١٦) و إبلي و صدونيل"، كلاهما، مقيمان في "أفرايم" وقصة "اللاري" والمحطية وقعت أحداثها في "بيت لحم" و"أفرايم" ("قضاة" ١١: ١) والحرب اللاحقة بين ألمبائل تقع في "بنيامين" ("قضاة" ١٠: ١) والحرب اللاحقة بين

(٥٥) للاطلاع على نقد لـ انظر:

Van Seters, In Search of History,231-32 and n.81;idem,Abraham in History and Tradition (New Haven,Conn.,1975),143-48;N.P.Lemche, Studia Theologica 38 (1984).

- Ahlsröm, Who Were the Israelites ? 66-67. (a1)
- K. D.Schunk, Benjamin (Berlin, 1963); W.C.Hayes and J.M. Miller, eds., Israelite (aV) and Judaean History (Philadelphia, 1977), 92-98.
- Ahlström, Who Were the Israelites?,63-64,92,95,I.Finkelstein, The Archaeology (aA) of the Israelite Settlement (Jerusalem, 1988),94-110;Z.Gal,TA 9 (1982),79-86.
- M.Noth, The History of Israel (London,1959),56-58;E.Lipinski,VT 23 (1973),380- (a4) 81;R.de Vaux, The Early History of Israel (Philadelphia,1978,547.
 - I,Finkelstein, JNES 47(1988), 250-51. (7-)
 - M.Kochavi,BAR 6 (1980),27; Finkelstein JNES 47 (1988),243. (٦١)
- See p.252. (انظر من ٢٥٢ مـن النـمن الأصـلـي) Y.Yadin, Australian Journal of (٦٢) Archaeology 1 (1968),9ff. On the Danite migration:حـول مَجِسرة بني دان) انظر A.Malamat, Biblica 51 (1970),1-16.
 - Wenamun 2:5 -13 (Gardiner, Stories, 67-68). (37)
 - حديثه ليس سري نسيج منسوج من الأكانيب.
- W.F.Albright, JAOS 71 (1951),260-61; idem, in Studies Presented to David Moore (%) Robinson (St.Louis, 1951),1:223ff.; CAH2
- II pt. 2 (1975), 507ff.J.Leciant, in W.Ward,ed., The Role of the Phoenicians in the Interaction of Mediterranean Civilizations (Beirut, 1968),9ff.
 - وحول واردات مصر في مواقع فلاسطينية انظر:
- A. Mazar,BA 40 (1977),85;T.Dothan, in Biblical Archaeology Today,174;deim,IEJ 36 (1986),107.
- (٦٥) للاطلاع على الاجتياحات التي قام بها 'ثيلجات بيليسبر' الأول الساحل الفيئيقي، خلال حكم الفرعون 'رعمسيس' التاسع على رجه الاحتمال، انظر: (275a(ANET²) وحول الهدايا التي قدمها فرعون مصر ("نس- با-ان-إب -جد' أو با-إسبا- خاع -ان- نيوت' الأول) انظر:
- E.F.Weidner,AfO 6 (1930-1931),88;M.Elat,IEJ 25 (1975),32;idem,JAOS 98 (1978);
- حول عقد الخرز المنزور للسيدة 'تابالتي'، الذي يجوز أن يقف دليلاً على زواج دبلوماسي مع الفرعون، انظر: E.Dhorme, in Montet, Psousennès, 139ff.;R.Borger, Einleitung in die assyschen Könogsinschriften(Leiden,1964),20-21.
- Cf.the "Chief generalissimo of His Majesty, chief steward of Amunrasonther, chief ("\") charioteer of His Majesty ... Onkhefenmut, "Montet, Psousennès, 59, fig. 21, pl.39; "general and commander (H3wty) of Pharaoh's battalions... Wenbanebdjed, "ibid., 84, fig. 31; see further D.B.Redford, JAOS 93 (1973), 4-5.

Cf.Akh-amun-nekhy and Akh-ptah-nekhy, (NV)

قارن 'أخ-أمون-نيخي' و'أخ - بتاح - نيخي' الذين يشار إليهم على وجه الخصوص بصفتهم 'خدم سوريين' في لوح/صابود الوقف لـ 'شيشنق' بن ناملوت' من أبيدوس' انظر:

A.Mariette, Catalogue général d'Abydos no.1225,10-11; A.M.Blackman, JEA 27 (1941), 92; cf. also Shepet, commander of Shield bearers, in El-Hibeh letters (mideleventh century B.C.: W.Spiegelberg, ZÄS 53 (1921), no.33, verso 2.

- Cf. R.A.Caminos, A Tale of Woe (Oxford,1977),67(If indeed Nhm is to be read). (٦٨)
 - G.Buccellati, Cities and Nations of Ancient Syria (Rome, 1967), 92ff. (٦٩)
 - (٧٠) حرل الماك الحيثية الحديثة، انظر:

J.D.Hawkins, CAH2, III, pt. 1 (1982), 372-44; O.R. Gurney, The Hittites 2 (Harmondsworth, 1962), 39-46; J.G. Macqueen, The Hittites (London, 1986), 154-56;

حول الاستخدام اللاحق لمسطلح "الجثيين"، انظر:

J.Van Seters, VT 22 (1972),64-81, on the Aramaeans, see B.Mazar, BA 25 (1962),98-120;A.Malamat, in D.J.Wiseman,ed.,Peoples of Old Testament Times (Oxford,1973),134-55;W.T.Pitard, Ancient Damascus (Winona Lake,Ind.,1987).

(٧١) حول دور الفلاسطينيين كتهديد أسهم في توحيد القبائل العبرية، انظر:

A.D.H.Mayes, VT 23 (1973), 151, ff.; cf. also K, Koch. VT 19(1969), 78ff.

(٧٢) حول المدن الفينيقية في العصر الحديدي، انظر:

M.Noth,WO 1,no,1 (1947),21ff.;D.Baramki, Phoenicia and Phoenicias (Beirut,1961);D.Harden, The Phoenicians (Hardmondsworth,1971);J.D.Muhly, in Biblical Archaeology Today,177-91;E.Gubel et al.,eds.,Studia Phoenicia,1 vol.1(Louvain, 1983).

(٧٣) حول الليبيين، انظر: الأعمال التي جرى الاستشهاد بها في الفصل الثاني عشر رقم ١٩من النص الأصلي.

Cf.A.Malamat, in T.Ishida,ed., Studies in the Period of David and Solomon (To- (Y1) kyo,1982),189-90.

(٧٥) كانت 'تانيس'، إذا ما قارنًاها بغيرها من المدن، مدينة جديدة لا تنطوى على تقاليد عريقة تعود بها إلى المصور الإمبراطورية لمصر. وعلاوة على ذلك كانت الأسرة الثانية والمشرون ليبية الأصل، وقد لا تكون قد شاطرت أو قدرت كل التقدير الملكة الحديثة التى ولعت بنشر سجلات النصر.

Cf.H.J.Katzenstein, The History of Tyre (Jerusalem, 1973), 78ff.; Van Seters, In (V1) Search of History, 195ff.

J.A.Soggin,in Hayes and Miller, Israelite and Judaean History, 335-37. (YV)

- Ibid,346. (VA)
- Ibid,361. (V1)
- Ibid,362. (A.)
- Ibid.,351-53,338,364. (A1)

Cf.the apt comments (التعليقات المايقة) of M.Liverani, Oriens Antiquus 16 (۸۲) (1977), 105).

(AT) الصورة أخذة بالتغير: من الأعمال العديدة في هذا الخصوص، بستطيع المرء أن بقرأ بغية إنعاش الذاكرة وجنى الفائدة تلك الأعمال العميقة مثل:

Van Seters, In Search of History, W.C. Hayes and J.M. Miller, A History of Ancient Israel and Juda (Philadelphia, 1986); B. Halpern, The First Historians (An Francisco, 1988).

E.Lipinski, in J.A.Emerton ed., Cogress Volume, Jerusalem 1986(Leid- (At) en, 1988), 160-61;cf.A.Ah, Kleine Schriften zur Geschichte des Vikes Israel (Munich, 1959), 2:15; T.N.D.Mettinger, King and Messiah (Lund, 1976), 31.

G. von Rad, The Problem of the Hexateuch and Other Essays (Edinburgh, 1966, (A) 176; cf.H.Gunkel, in Religion in Geschichte und Gegenwart³

(Tübingen,1957-),2:1112ff.;M.Burrows, in R.C.Denton,ed.,The Idea of History in the Ancient Near East (New Haven,Conn.,1955),110;

هذا الرأى منتشر على نطاق راسع، وللاطلاع على هجة مقنعة بأن وثيقة الاستخلاف بدأت مع "صموتيل" الثاني الإصحاح الثاني (ما لم يكن قبل ذلك) انظر:

Van Seters, In Search of History, 281-82.

Alt, Kleine Schriften, 2:94-96; but cf. M.V. Fox, VT 36(1986), 302-10. (A1)

Gunkel,in Religion in Geschichte und Gegenwart3,2:1112lf.;G.Von Rad, Gesam- (AV) melte Studien zum alten Testament (Munich,1961),225-37;idem,The Problem,203;M.Noth, in Religion in Geschichte und Gegenwart3,2:1498-1504; R.B.Y..Scott,VT Suppl.3 (1955),262-79;O.Eissfeldt, Introduction to the Old Testament (New York,1965),247;Lipinski, in Emerson,Congress Volume,157-64, Burrows, in Denton,Idea of History, 112; J.Blenkinsopp,VT Suppl.15 (1966),44-57; T.Ishida, Royal Dynasties of Ancient Israel (Berlin,1977),136,148;G.Rendsburg, The Reduction of Genesis (Winona Lake,Ind.,1986).

N.Na'aman, Borders and Districts in Biblicat Historiography (Jerusalem, 1986); (AA) E.W.Heaton, Solomon's New Men (London,1974); Z.Kalli, Historical Geography of the Bible: The Tribal Territories of Israel (Jerusalem, 1986); A.F.Rainey, Abr-Nahrain 27 (1989), 178; D.Edelman, JNES 50 (1990).69-73.

Hayes and Miller, A History, 152-60; (A4)

نتوفر أموتيفات فولكلورية الطابع حول الزوجة العاقر (أصمونيل الثانى الإصحاح الأول أبة رقم ١١)، القصة الفاحشة حول دعر الفازى (أمسونيل الأول الإصحاح الفامس)، ولختيار الابن الأصفر (داود: أصمونيل الأول ١٦: ١-١٣، سليمان نفسه)، (موتيف داود-جوليات) (مسوئيل الأول ١٧)، أموتيف فق العين المسوئيل الأول ١٧)، أموتيف فق العين F.M.Cross, in E.Tov,ed.,The Hebrew and Greek Texts of Samuel(Jerusalem, 1980),105-109);

المئة غلقة كمهر العروس (صمونيل الأول ١٨: ٢٥، صمونيل الثاني ١٤: ١٤). الأرقام هنا تنتمى لملكة الفيال، ومع ذلك فهي جزء لا يتجزأ من الحبكة القصصية: مثال: "صمونيل الأول ٤: ٢، ١٠ (أربعة ألاف والمنزل الأول الله القيام والمنزل الأول ١٤: ١٤ (يهودا تحشد عشرة ألاف رجل، و"إسرائيل الأول ١: ١ (قوات مختارة بحل)، "صمونيل الأول ١: ١ (قوات مختارة بصل قوامها إلى ثلاثين ألف رجل بالعدد)، "صمونيل الثاني ١٨، ١٠، ١٨، ١٠ (الثان وعشرون ألفًا ، وثمانية عشر ألف رجل لقوا حتفهم ذبعًا في معارك دارد ، صمونيل الثاني ١٨: ١٢ (الوزن الخرافي لتاج ملك بني عمرن).

(٩٠) حول ما يلي ذلك، انظر:

D.8.Redford, Pharaonic King-lists, Annals and Day-books (Toronto, 1986), 133-34.

(٩١) لأوانك الذين يميلون إلى الاعتقاد بأنه بالنظر إلى أننا أصبحنا نعرف (ألآن) أن أبناه 'إسرائيل' كانوا يتمتعون بنسبة أعلى معن يقرأون ويكتبون عما كان مفترضاً فيما مضى، وبالتالى كان ممكنا تماما للإسرائيليين القدماء أن يسلموا أعمالهم التاريخية والنبوية وخواطرهم حول غث الأشباء للكتابة منذ . البدء، ينبغى علينا أن نذكرهم ببعض الحقائق الرزينة:

أولاً: معرفة القراءة والكتابة صفة نسبية ويتعين علينا أن نعرف ممن يسبوقها في المديث أن يطلعنا على المقياس الذي تقاس به هذه المعرفة في لحظة تاريخية معينة. وإذا كان الأمر قد أسفر عن تناقض مع التقديرات السابقة للعلماء، جاز لنا نحن أيضنًا أن نهمل الموضوع بأكمله. وقد تشكك العلماء منذ وقت طويل في أن يكون عصر الملكية (اليهودية-الإسرائيلية) قد عرف كتبة ينسخون مستندات إدارية أكثر بكثير مما أوحت به الأدلة، والنصوص المدونة التي توفرت من الاستكشافات حتى تاريخه تؤيد هذا التشكك (قارن:

I.T.Kaufman,BA 45[1982],29-39;F.Vattioni,AION 28 [1978],227-28;A.R.Millard, in Biblical Archaeology Today,301-12).

ومع ذلك فالشقف الثافهة التي لا تزيد كثيرا عن عدة منات وحفنة الأختام وكذلك الأختام المصنوعة من الرحساص التي ظهرت إلى النور، لم توفر، تحت أي ظرف من الظروف، أسسنًا قوية للاعتقاد في وجود مجتمع يعرف القرامة والكتابة (lilerate) في إسرائيل القديمة. ولتد جاهتا محررات أكثر كثيرًا، بما لا يقاس، من مصر البطلمية، ولكن القول بأن المجتمع المصرى في القرن الثاني قم، كان يعرف القرامة والكتابة قول يعطى انطباعًا مضللا.

ثانيا: الحقيقة المجردة بأن بعض الإسرائيليين كان في وسعهم أن بكتبرا موضوعات إنشائية أدبية الطابع، لا يعني أنهم كتبرا مثل تلك الموضوعات فعلا. فلقد كان في طرع المصريين أن يكتبرا قصصاً حول "خوفو" و"بيبي" الأول و"عبيب" (=أبرفيس) و"خام ميزي" خلال حياتهم أو بعد وفاتهم بوقت قصير

هيث كانوا يمتلكون الأداة: القلم! ومع ذلك لم يقدموا على ذلك، والقصيص التي انصدرت إلينا منهم حول تلك الشخصيات الذائعة الصيت ألفت بعد انتهاء حياتهم بعدة قرون.

ثالثًا: يجب علينا أن نتذكر جيدًا أن التدوين في المصدور القديمة وحتى العصر الهيليني كان في كافة الثقافات (بما ذلك العبرية واليونانية، حاشا؛) مفكرة لمساعدة الذاكرة aide-memoire، ولم تكن الأمية وصمة عار تلحق بمن لا يجيد القراءة والكتابة. وعندما كانت التصورات الكبرى تتهيأ التشكل، كان أصحابها يجمعون نتف أفكارهم، وسواء أكانوا يجيدون الكتابة أم لا، تمهيدا لإلقائها شفهيا، وإذا كنا اليوم نماك نسخًا مما ارتجاوه، فإننا ندين بذلك المعلية ثانوية وخارجة عن جوهر الموضوع من طرق النقل.

- (٩٣) قارن سببية الظواهر الطربوجرانية: الأحجار ("مسهيئيل" الأول ٦: ١٨، ٣٣: ٢٨) بثر ("مسموئيل" الثانى ٢: ١٦) نصب ("مسموئيل" الثانى التذكارى ١٨: ١٨) عن الحقائق السياسية ("مسموئيل" الأولى ١٣: ١٤، ١٦: ٧ "مسموئيل" الثانى ٤: ٣، ٦: ٣٣) عن السوالف ("مسموئيل" الأول ٣٠: ٢٥)
- (٩٣) "محموثيل" الثاني ه: ٨(بالاستناد، بكل تأكيد على رجود إشعار من المعبد يقيد الوصول إلى الضريع: قارن إس. سونيرون،(.11-11.(1960) S.Sauneron,BIFAO 60)
 - (١٤) "همموشيل" الأول ٢: ١-١٠ (مزمور ملكي) .25-12:6-17-19;10:17
 - (٩٥) "ميمونيل" ١٤: ٤٧، ٢٢: ٣
- (٢٦) حكاية الرباء ("مسموثيل" الأولى ٤: ٨) تغليظ قلب الفرعون ("مسموثيل" الأولى ٢:٦) وإهلاك العساليق "=
 عسامو- لبيك" ("مسموثيل" الأولى ١٥: ٢) ومنوت "أبي- سالك" ("مسموثيل" الثاني ١١: ٢١) المسالة المناهضة لـ "بعل" التي عرفتها أواخر العصر الملكي ("مسموثيل" الأول ٧: ٢-٤) شريعة موسى ("الملوك" ٢: ٢)
- (٩٧) يظهر أن استخدام الأكوام وكباش الحرب في الجنوب الغربي، وخمدوسًا من جانب الدول الصغري خطوة سابقة لأرانها.

(۹۸) انظر:

E.A.Speiser, The Anchor Bible:Gens;s (New York, 1964), 289-90.

. (٩٩) الكوشيون (المدجاي) معروفون في فلسطين خلال العصور الأتونية (العمارنة).انظر:

(H.Klengel, in Ägypten und Kusch (Berlin, 1977), 227-33),

رنقل تجمعات كرشية وإعادة تولينهم في الشمال عمل معسريف منذ الأسرة التاسعة عشرة KAI) (:(1,206) ولكن هذه كانت إجراءات إمبراطورية توقفت مع انهيارها. ولدة ثلاثة قرون اعتباراً من سنة • ١٠ ق معلى وجه التقريب استمرت العلاقات مقطوعة بين النوية ومصر، وأصبحت النوية السنلى مخلخلة السكان، والكوشيون غائبون غيابا شبه كامل من مصر.انظر:

8.G.Trigger, History and Settlement of Lower Nubia (New Haven, Conn., 1959), 112-14; T.Säve Söderberg, Temples and Tombs of Ancient Nubia (New York, 1987), 38-39.

ومع ذلك، فمع نهرض معلكة "كوش" في النصف الثاني من القرن الثامن ق.م.، أخذ الكوشيون يتغلغاون في شمال وادى النيل. والإصحاح العشرون من سفر "إشعيا" يحمل أقدم إشارة على وجه الاحتمال إلى كرش في المهد القديم، باعتبار أن كافة الإشارات الواردة في فقرات أخرى متأخرة دين جدال (Redford,King-Lists,323 and n.165;similarly in Phoenician,Z. Harris, A Grammar of the Phoenician Language(New Haven,Conn.,1936),113)

وخلال نفس الفترة قفز اسم العلم "كوشى" كي يكتسب شعبية واسعة في ذخيرة أسماء الأعلام المصرية مع عودة النوية إلى البروز إلى مراكز الصدارة في مصر خلال الأسرة الخامسة والعشرين.انظر:

(711-663B.C.): J.Leclant, Enquête sur les sacerdoces et les sanctuaires égyptiens à l'époque dite "éthiopienne" (Cairo, 1954), 70-71.

تحت ظل حكم القرعون "طاهركا" برع الكوشيون في العدو،انظر:

(690-664B.C.):A.M.Moussa, MDAIK 37 (1981), 331-38, pl. 47.

(١٠٠) الاعتماد على أوثيقة الاستخلاف كوثيقة تاريخية عند قيمتها الاسمية يجعل من أي تقص للأمر - مهما كان صاحبه ضليعا واسم الاطلاع - مجرد تعرين ذهني، فارغ المحتوى، قارن:

A.Malamat, JNES 22 (1963), 1ff.idem, in Ishida, Studies in the Period of David and Solomon, 189ff.; Ishida, Royal Dynasties, 175ff.; F. Langlamet, RB 89 (1982), 5ff., and a host of others

- Cf. J.Van Seters, JSOT 1 (1976), 22-29, F. Langlamet, RB 83 (1976) 321ff. (\.\)
 - Cf. Van Setters, In Search of History, 283, (1-1)

الذي يقارن بين "داود" في روايات "شاؤول"، الذي يقود جنوده باستمرار في أتون المعارك وبين "داود" الآخر المذكور في "وثيقة الاستخلاف" الذي لم يخرج قط على رأس جنوده في أي معركة!

- L.Delekat, BZAW 105 (1967),26-36. (1-1)
- R.N.Whybray, The Succession Narrative (London,1968) 50ff.; cf.N.P.Lemche, (1-1) JSOT 10 (1978),9-25;idem,Biblische Notizen 24(1984),106-7.
 - Van Seters, In Search of History,290-91. (1.6)
- P.Rylands IX:F.L.Griffith, Catalogue of the Demotic Papyri in the John Rylands (1.1) Library, Manchester (Manchester, 1909).
- (١٠٧) هذه الغمسائص مشتركة مع نوع أدبى أخر، أعنى السيرة التاريخية المطولة لشخصيات فردية معينة، مما نجده خلال الفترة المماوية-الكوشية. وهنا أيضًا، نجد، بالتعارض مع سير أقدم، اهتماما أمميلا بمشاركة شتى الأفراد في الأحداث التاريخية الضخمة.
- (١٠٨) يصعب على المرء أن يتغيل كيف يستطيع أى شخص أن يصف سفر "اللوك" الأول ٣-١١ بننه "مؤلف بعناية وحسنق" (so B.Porten,HUCA 38 {1967},124) اللهم إلا غسلال التسفيسسيسر الأيزجيزي": eisegesis (الذي يقرم على قراءة المفسر 11 من غير موجود بالنص المقدس حتى يستقيم السياق!. المترجم)
 - (١٠٩) حول سفر "أعمال سليمان" وصيته العالى ككتاب في الحكمة. انظر:

M.Noth, VT Suppl.3 (1960),266;R.B.Y.Scott,VT Suppl.3 (1960),262,279;J.Liver, Biblica 48 (1967),75-101,Porten, HUCA 38 (1967),93-128.

D.B.Redford, in Biblical Archaeology Today,199-200. (\\.)

ليس هناك أسهل من أن يضل للره طريقه في خضم الدراسات التي تدور حول 'سيروستريس' كي يتوصل إلى النتيجة الخاطئة التي تقول إن الشخصية التاريخية التي تقف وراء الاسطورة هي 'سين – وسوت' الثالث من الأسرة الثانية عشر. انظر ما ظهر في الأونة الأخيرة عن هذا الموضوع:

C.Obsomer, Les Campagnes de Sesostris (Brussels, 1988);

والمقبقة الواقعة أن المضلة ترجع إلى الفهم المغليط الملخص الذي تركه لنا أمانيتين في هذا الشائر. Cf.Y.Yadin,IEJ 8 (1958),80-86;idem,Hazor (London,1972),135-64;K. Ken- (۱۱۱) yon,Royal Cities of the Old Testament (New York,1971)53-70;D.Ussishkin,IEJ 16 (1966),174-86; idem,BA 36(1973),78-105;Y.Aharoni,IEJ 24 (1974),13ff.; W.G.Dever,IEj 35(1985),217-30.

Cf.Y.Shiloh,IEJ 28(1978),36-51. (\\Y)

Finkelstein, JNES 47 (1988), 241-52. (117)

إلا أن هذا لا يصفى، مع ذلك، أولئك الذين يميلون إلى الاعتصاد على أى مادة أو كل المواد الواردة في سفرى "القضاة" و"صموئيل" كمجموعة من "نصوص البراهين" التي يستمدون منها، كلما شاءوا، هذا التفسير أو ذاك لكتشفاتهم: 268,(1978) 05 cf.IEJ

حيث يقترح المؤلفين، بلا مبالاة، أن هجران 'عزية سارتة' نجم عن معركة 'إبنزر (Ebenezerl) أو الحيث يقترح المؤلفين، بلا مبالاة، أن هجران 'عزية سارتة' نجم عن معركة 'إبنزر (1985),187

(حيث يستسلم المؤلفون للإغراء الذي يتمثل في أن يروا (معسكر آدان) {3ud.18: 12} في مستوى المناجم! وفي أقل القليل نستطيع أن نشكر مثل هؤلاء المؤلفين لأنهم يوفرون لنا فاصلاً فكاهيا.

(١١٤) الأدلية، على نحو ما هي عليه، يحملها سنفر "المُلوك" الأول ١٦:٩، وهناك مسح بارع لعالة السؤال تجده في:

A.R.Green, JBL 97 (1978), 353ff.; cf.also Malamat, in Ishida, Studies in the Period of David and Solomon, 198-99.

للأسف انخرط كم كبير من التكهنات التافهة التي تفتقر إلى أي موجب، في البحث عن الدافع الكامن وراء سلوك القرعون المجهول الاسم.قارن:

A.R.Schulman, JNES 38 (1979), 188.

يتمثل أحد الانطباعات التي تبعث على القلق التي تتركها السطور الشعرية المقتبسة بهدف الاستشهاد، في أنها مقحمة في قصة برنامج التشييد السليماني (نسبة إلى 'سليمان بن داود) لمجرد تفسير كيف هدث وأصبحت 'جزر' (وقت ذاك) ضمن أملاك العبرانيين.

Psusennes I (c.1050-1000 B.C.) is the best example (Montet, Psousennès, 74, (۱۱۵)

بعد 'بسوسينيس' الأول أفضل نموذج هنا، (نحو-١٠٥- ١٠٠٠قم (انظر. 'مونتيه' 'بسوسيينيس')

K.A.Kitchen, The Third Intermediate Period in Egypt (Warminster, 1073),274- (111) 75;B.Halpern, JBL 93 (1974),J.R.Barlett, ZAW 88(1976), 205ff.H.Donner,in Hayes and Miller, Israelite and Judaean History,386;R.North, in Homanaje a Juan Prado (Madrid, 1975),200ff.

Redford, in Biblical Archaeology Today, 203, n. 42. (۱۱۷)

(١١٨) حول الزواج التبادل لمائلة "شيشنق"، انظر: من ٢٩٩ (من النص الأصلي)، وحول "هنت -تورى، حفيدة الكامن الأطي "مين-خبر-رع" و"ما-كا-رع"، كريمة "بسوسينيس" الثاني انظر:

A.H.Gardiner, JEA 48 (1962), 57ff.;

وحول زواج الأميرات من عامة الشعب، انظر:

Kitchen, Third Intermediate Period, 276, 282.

(١١٩) قارن أعمالاً مثل ثلك التي وضعها:

Z.Kallai,ElJ 27(1977),103-9;S.Talmon, in G.Rendsgurg et al.,eds.,The Bible World (New York,1980),239-48.

الفصل الثانى عشر

مصر وإسرائيل في عالم "آشور"

تقوم أدلة كافية على أن مصر بذلت محاولة جادة لإحياء إمبراطوريتها بالقوة خلال فترة وجيزة ترجع إلى الجيلين اللذين يمتدان من الربع الأخير من القرن العاشر حتى الربع الأول من القرن التاسع ق.م. ولقد حشدنا دليلاً إلى جانب أخر في هذا الكتاب الذي بين يدى القارئ في سبيل البرهنة على النمط المتكرر لنمو قوة سياسية في فلسطين، وهو الأمر الذي كان ليثير قلق مصر، ويلحقه باتخاذها عملاً عسكريًا (أو التهديد باتخاذه) كي يفرض الفضوع على هذه القوة أو ينزل بها التخريب. ولم تخفق السلطة الفرعونية بالمرة في إبداء اهتمام كبير تجاه أي هيكل سياسي في فلسطين، يتجاوز مجتمعًا ممزةًا (أي وحدات عشائرية متنافرة) وكان أي تهديد لحرية المرور على امتداد الدرب الساحلي أو في أعماق البلاد، أو أي احتمال لاستخدام أي جزء من فلسطين كقاعدة للأعمال العدوانية، يثير على ضفاف النيل نفس رد الفعل: جزء من فلسطين كقاعدة للأعمال العدوانية، يثير على ضفاف النيل نفس رد الفعل: ينظر إليهما المصريون ككيانين يعززان مصالح مصر، نظراً لأن هذين القائدين وجها عداءهما نحو الفلسطينيين، أعداء مصر القدامي. إلا أن خسرانهم المعركة لصالح اسرائيل، وما تبع ذلك من سلام وارتفاع لمعدلات الرخاء تحت ظل مملكة "سليمان" ما كان له إلا أن يثير، هو الآخر، قلق المصريين.

هجوم شیشنق:

قاد "شيشنق" الأول مؤسس الأسرة الثانية والعشرين، في تاريخ ليس معروفًا على وجه التحديد حتى الآن، ولكن ريما يكون في مطلع حكمه (أي في ثلاثينيات القرن

التاسم)(١) حملة عسكرية كبرى عبر حدود سيناء على فلسطين. وقد ترك لنا قائمة بما يصل إلى ١٥٤ مدينة أنزلت بها القوات المصرية الدمار، وبينما لا تذكر هذه القائمة سواء "يهودا" أو "إسرائيل" بالاسم، إلا أن النطاق الجغرافي لأسماء – الأماكن يشير إلى أن المخططين العسكريين التابعين للفرعون "شيشنق" استهدفوا هذين القطاعين من البلاد، وعند نقطة معينة زحف الفرعون إلى "أورشليم" و(نهب كنوز بيت "يهوه" وكنوز بيت الملك وأخذ كل شيء معه. كما أخذ أيضًا كل التروس المصنوعة من الذهب التي كان "سليمان" قد طرقها)("الملوك" الأول ١٤: ٢٦) وأخيرًا أعطتنا "التوراة" بهذا، صلة محددة بين تاريخي مصر وإسرائيل، وهي أقدم صلة، بين الصلات القليلة النفيسة التي وصلت إلى أيدينا في هذا الصدد.

ركز دارسو التجريدة الكبرى التي قام بها "شيشنق" الأول على "يهودا" و إسرائيل ، إلى حد كبير، على قائمة أسماء الأماكن بصفتها انعكاسًا للطريق الذي سلكه المصريون(٢) والدليل الذي نستطيع الركون إليه فيما يتصل بالتأريخ الذي ورد فى "التوراة"("). والسؤال الذي يطل علينا برأسه هنا يدور حول ما إذا كان لا يزال من الجائز الأن أن نستخدم هذه القائمة التي تعد في واقع الأمر دليلاً رحالتياً (نعت اصطناعي من رحلة. المترجم)، في الربط بينها وبين مستويات التدمير التي كشفت عنها عمليات التنقيب، مثلما حدث في بعض الأحيان، ولقد احتج كاتب هذه السطور على مثل هذا الاستخدام لقائمة تعود إلى الأسرة الثامنة عشرة، وبالتحديد إلى عهد الفرعون "تحوت - موسى" الثالث في ضوء عجز جيوش التحامسة عن القيام بعمليات حصار ناجحة(1). ومع ذلك فبطول عصور الرعامسة كانت القوات المصرية قد أتقنت تكنيكات الهجوم، وبينما كانت كيمان (=أكوام) المصار وكباش العرب (آلات حربية تشبه المنجنيق) لا تزال في طريق التبلور في فترة العصر الحديدي الثاني، إلا أن جنود حفر الخنادق: sappers والسلالم "النقالي" المربِّجة والحواجز الساترة كانت معروفة بالفعل حيث تقوم عليها شواهد غير منكورة^(ه). وعلاوة على ذلك يوصف الفرعون "بسوسينيس" Psusennes الأول، أحد فراعنة الأسرة الحادية والعشرين في أحد الأشياء الصغيرة التي ترجع إلى مقبرته بأنه "غانم المن" seizer of cities، وهو تنبؤ غریب به "بوایورکیتیس" (= ملك مقدونی حكم من ٢٠٦ صنی ٢٨٨ق.م)(١). ولابد أن

تكنيكات الحصار الفائقة التقدم التي ظهرت بصورة فجائية تحت الضوء الساطع التاريخ في صادود/لوح "بي – عانخي" الذي يرجع القرن الثامن قد سبقتها فترة ملحوظة من المتطور، وليس من المستبعد أبدًا أن يكون الملوك الليبيون الذي يرجعون إلى قرنين سابقين كانوا بالفعل قد برعوا في ذلك الوقت في هذا الفن(٧). ويناء عليه فأرجح الاحتمالات أن يكون ذلك الدئيل "الرحلاتي" الذي وضعه "شيشنق" يمكن أيضًا أن يكون حصاد التدمير الذي أنزله والمدن التي استولى عليها، بعد قهرها سواء خلال الحصار أو الاستسلام الطوعي.

كان ليعد أمرًا أكثر من مرض لو وصلت إلى أيدينا رواية مصرية لوقائع الغزوالذي قام به "شيشنق". ولكننا لا نُملك في الوقت الحاضر سوى لوح/صادود مهشم في الكرنك ومنظر واحد للنصر مرسوم على الحائط الجنوبي لقاعة الأعمدة المسقوفة (^). على أن هذا الصادود/اللوح لا يمدنا إلا بعبارات قليلة متناثرة، تشير إلى مبادرة أسيوية لشن الحرب، ولكن هذه الإشارة تثير، مع ذلك سؤالاً حول ما إذا كانت تشير أصلاً إلى الحملة التي وقعت في السنة الخامسة من حكم "رحبعام". وعلى نفس المنوال يشير منظر النصر إلى الأسيويين "الذين شرعوا يهاجمون حدود جلالته" (١) ، ولكن هؤلاء يشار إليهم بالعبارات القديمة المقولبة مثل أتباع "مونتو" (=إله حرب ولكن هؤلاء يشار إليهم بالعبارات القديمة المقولبة مثل أتباع "مونتو" (=إله حرب مصري) الأسيوي، وذات مرة بصفتهم (كتانب جيش "ميتاني") (١٠). ولما كان من الصعب على المرء أن يعزو إلى "شيشنق" أن يكون قد شق طريقه موغلاً باتجاه الشمال حتى سهول ميزنوتاميا (= بلاد الرافدين)، فإن الاسم: ميتاني "، لابد وأن يكون قد استله موسى" الثالث في نفس المعبد.

تكشف، بصورة جلبة، استعراضات شيشنق لحملاته الأسيوية عن محاولة واعية لإحياء الأشكال التى سادت خلال حكم الرعامسة: الصادود/اللوح الذى يعلن ملابسات الحرب casus belli والصادود/اللوح الذى ينصب فى البلدان المقهورة،(۱۱) ومنظر ضرب الروس، وقائمة أسماء الأماكن(۱۱) أضف إلى ذلك أن "شيشنق" اتخذ مقره فى نفس رقعة الأرض الواقعة على الفرع الشرقى للنيل فى الدلتا حيث كانت تقوم يومًا ما "بى - رعمسيس" وأنه احتفظ بجزء من هذا الاسم القديم فى اسم مدينته الجديدة(۱۲)، وأن إحدى كتائبه كانت تسمى بأحد ألقاب "رعمسيس" الثانى وهو

وسر- ماعت - رع (۱٤) وفي الكرنك وقفت جدارية النصر الذي حازه جنباً إلى جنب مع سجل الحروب التي قادها الفرعون رعمسيس في الشمال، وتحت ظل خليفتيه تظهر بين الحين والآخر عبارات عابرة يفوح منها عبق الانتصارات الكبرى في هذا النص أو ذاك، ولكن الانطباع الذي يخرج به المرء لا يتجاوز "لعب الدور بمعنى تمثيله" ليس إلاً(١٥).

أما السؤال الذي يدور حول الكيفية التي توافقت بها الغارة التي شنها "شيشنق" مع الأحداث السياسية لحكم "رحبعام"، كما وردت غي سفر "الملوك" الأولى، الإصحاح: ٢/ فليس في حورتنا أي معلومات للإجابة عليه، فنهب "أورشليم" يرجع إلى السنة الخامسة من حكم "رحبعام"، وفي ضوء السياق الداخلي للفصل/الإصحاح الثاني عشر، يقع هذا التاريخ بعد الانقسام الذي حدث المملكة. ومع ذلك فالآيات من رقم احتى ١٦ من هذا القصل نفسه يضمها المؤلف معنا الاستثمار التأثير الدرامي أحمق والسياسي، المحنك يغتبه ملك صغير السن أحمق والسياسي، المحنك يخلي محله للملاغية (١٦). ثم تستخدم المطالب الفاحشة كنفسيرات تاريخية للأسباب التي تقف وراء نزول الكارثة الناجمة عن كل ذلك، وفي ضوء الحالة المثيرة للأسي لمصادر الملوك التي تتعلق بمطلع المملكة المقسمة، يخطئ المرء خطأ جسيما إذا قبل ذلك عند قيمته الاسمية (١٧). فالغزو الذي قام به "شيشنق" يمكن أن يكون قد وقع بكل سهولة ضد الدولة التي لم تكن قد قسمت بعد، في أواخر حكم "سليمان" وأوائل حكم "يربعام" (الذي كان يعيش في المنفي في مصر في وقت سابق) وربما يكون قد بدأ حياته السياسية كربيب يحظي بحماية مصر (١٨).

الأسر الليبية ومشاكلها:

استرجاعًا لأحداث الماضى يبدو أنا أن حكم "شيشنق" كان "زويعة في فنجان". وقد يكون الرجل مفعمًا بالنشاط واسع الحيلة، إلا أن الدولة التي وقف على رأسها كانت تفتقر إلى وحدة الهدف. فقبائل الـ "ميشويش" الذين استقروا الآن كجاليات منفصلة على امتداد الأجزاء المتوسطة والشمالية من مصر الوسطى كانوا بمثابة كيان مستقل ميال الصخب والعراك، وليس حريصًا على الاندماج. ولقد احتفظوا بإصرار وعناد بالقابهم في لغتهم الليبية، وباسمائهم الشخصية (الأولى) النابعة من معجم

أسماء الأعلام الليبية القومية، كما ظلوا حتى نهاية اعتلائهم للسلطة فى مصر يحافظون على وضع الريشة البربرية كعلامة تميزهم على الغطاء الذى يرتدونه على روسهم(١١).

تقف الطبيعة الجامحة للمزاج الليبى وراء تمردين عنيفين قام بهما المصريون القوميون: أهل البلاد الأصليين في زمام "طيبة" في الربع الثالث من القرن التاسع ق.م.، حقًّا لم ينجح أي منهما، إلا أن المجهود الهرقلي (=الجبار) الذي احتاجه استتباب النظام حطم في نهاية المطاف وحدة مصر (٢٠). فلقد شرع الرؤساء المحليون لقبائل الـ "ميشويش" و"اللابو" في الدلتا يرون دورهم بين الأهالي من المصريين كسادة فعليين والزمامات التي يقيمون فيها كما لو كانت إقطاعيات flefs مستقلة استقلالاً ذاتيًا. وبينما استمروا يمنحون فرعون الأسرة الثانية والعشرين، نسل "شيشنق" الذي كان يقيم وقت ذاك في "تانيس"، ولاء شفويًا، إلا أنهم كانوا يسخرون منه بين الحين والآخر بكتابة أسمائه في أي خراطيش متروكة خالية من أسماء أصحابها الأصليين. وقد أقام هؤلاء الرؤساء مبان تخليدًا لأسمانهم، وصوروا أنفسهم في أزياء كانت مقصورة في العادة، في أوقات سابقة على الملوك وحدهم، بل وبلغ بهم الأمر حد تبني أساطير ملكية، فأخذوا يتحدثون عن "نهج حوريس" في الإشارة إلى رسم الآلهة الأقدارهم. وبينما تولوا سلطات مدنية وعسكرية على حد سواء داخل نطاق مقاطعاتهم كي لا نقول إماراتهم، إلا أنهم كانوا يستشعرون فخرًا لا تخطئه عين بوظائفهم العبسكرية. كسما تبنوا لقب "الأول" أو "القسائد"، وهو اللقب الذي يوازي: القسائد (العسكرى): dux عند الإشارة إلى الحقبة الرومانية المتأخرة ، كما أنعموا على أبنائهم برتبة "الجنرال" (=اللواء). ومن المرجع أن الجنود الليبيين كانوا مرتبطين، داخل كل مقاطعة أو إمارة، مع رئيسهم برباط شبه إقطاعي وكان يمنحهم قطعًا من الأراضي، بحوزونها في مقابل أداء الخدمة العسكرية المنوطة بهم (٢١).

أما بالنسبة للمصريين أهل البلاد الأصليين، وبعد إقصائهم من موقعهم القديم كسادة في وطنهم maîtres chez eux، فلقد أخنوا ينسحبون شيئًا فشيئًا إلى باخل مجتمع محلى يسيطر عليه الكهنوت، أصبح فيه الحراك الاجتماعي أكثر صعوبة عما كان عليه فيما مضى. وكان الكهنوت في تلك الحقبة يضم عددًا قليلاً من العائلات

الأرستقراطية على قمته، ترأس قاعدة أوسع من الكهنة الذين يحتلون مراتب متوسطة. لكن أعضاء الكهنوت جميعًا حرصوا على وظائفهم ورواتبهم الخاصة، وسعوا اضمان توريثها للأجيال الأصغر في عائلاتهم، وعندما كانت الملكية لا تزال محورية في المجتمع المصرى، تفاخر الناس بصلاتهم مع العائلة المالكة في نقوشهم الضاصة. إذ كان ذلك يعطيهم منزلة معينة ودرجة من الأمان في مجتمع يستند إلى سلم الرتب. ومع ذلك، فبانسحاب الملكية إلى شرق الدلتا، وبدء تضعضعها التدريجي، اكتشف أعضاء الكهنوت أن الإطار الاجتماعي الذي تمتعوا خلاله بهوية خاصة لم يعد له وجود. وهنا لم يجدوا أمامهم سوى الانكفاء على أمجاد شجر النسب العريق، كمصدر لدعم وضعهم في المجتمع، وصاروا يضمنون في النقوش التي سينقشونها على تماثيلهم أشجارًا عائلية طويلة (٢٢).

ولم يكن هناك مفر من أن يكون طابع هذا "العالم الشجاع الجديد" Brave New World طابعًا محليًا ضيقًا، وأصبحت حركة الأفراد ، سواء على المستوى المادى أو الاجتماعي مقصورة بصورة متزايدة على زمام الجدود، أي مسقط الرأس(٢٢). وما كان من الضروري، أحيانًا، أن يبدأ به المرم، سرعان ما صار، مع ذلك، فضيلة خالدة: أن يمكث المرء في بيته قرار مسحيح ومفيد، أما التجول في الضارج فينطوى على الخطر والمجازفة. ولما أدت حالة الالتباس على المستوى السياسي التي سادت خلال تلك الحقبة بالمجتمع الإقليمي إلى الانطواء على نفسه طلبًا للحماية والاستقرار، فلقد شرعت الجماعة والعائلة تبدوان أكبر مما هما عليه: تعكس نصوص الحكمة التي ترجع إلى الحقبة التي أعقبت المملكة الحديثة روخ المدن الصنغرى والشكوك الريفية الفلاحية تجاه الغرباء. "لا تنزل في ناحية لا أقارب لك فيها .. لا تدع ابنك يتخذ زوجة لنفسه من قرية أخرى (٢٤) ، "خذ حذرك دائمًا من المرأة الغريبة .. لا تبح بكل ما في قلبك للغريب" (٢٥) "إله المدينة هو الذي تعتمد عليه حياة وممات أهلها". من لا يعبد إلهًا "مصريًا" يسلم نفسه لأيدى العدق (؟) إذا سافر إلى الخارج (٢٦). وأدت سيادة الروح المحلية الضبيقة في الحياة المصرية إلى امتدادات وتشعبات بارزة على المستوى الاقتصادي - الاجتماعي. ونتج عن فقدان الالتزام خارج نطاق الجماعة المحيطة المباشرة إحساس جديد بأهمية المتلكات الخاصة وحق المالك في التصرف فيما يملك. ويخصوص حق المالك

فى توريث ابنته عن طريق وصية، وجد أحد الكهنة الفرصة المناسبة كى يلمح إلى حكم الإله الأكبر (أى آمون فى أى تصريح تنظيمى): فليتصرف كل شخص فى ممتلكاته الخاصة كيفما شاء (٢٧) وفى لمحة نادرة من الاستنارة أفصحت عنها المصلحة الخاصة، تبنت الطبقتان العليا والمتوسطة فى هذا العصر التانيسي (نسبة إلى تانيس العاصمة) عادة وهب قطع من أراضيها للمعبد المحلى، وبموجب العقد كان يتعين على المعبد الذى يستغل قطعة الأرض أن يدفع حصة من ناتجها لمالكها السابق، كما يوافق على التكفل بالترتيبات الخاصة بمقبرة هذا المالك إلى الأبد (كالقرابين). ولما كان هذا يعنى استمرار دخل ثابت لذرية المالك، فلقد أدت هذه العادة إلى ضمان أمن اقتصادى لكل من القطاعين الكهنوتي والخاص على حد سواء (٢٨).

تلك، إذن، كانت مصر، التى - وإن كان الضعف قد دب فى أوصالها - إلا أن قوتها ظلت تحمل مع ذلك، صيتًا مهابًا فى نطاق سياسات كانت لا تزال تفتقر إلى خريطة واضحة المعالم لعصر جديد. وقد بدت بعض أطراف الإمبراطورية السابقة وكأنها قد ظلت على ما كانت عليه دون تغير - فالنوية ظلت بركة راكدة أما الساحل الفينيقى فظل تابعًا يبهره الإعجاب - ولكن رياحًا باردة جديدة كانت، فى واقع الأمر، قد بدأت فى الهبوب.

أيًا كان حجم القوة التي كشف عنها جنوب المشرق في الأونة الأخيرة في شكل دولة "سليمان" فذلك كان جزءًا من الماضي. إذ حل التمزق اللغوى والثقافي الآن محل أي نوع من "الإمبراطورية" كان "سليمان" قد أقامها معتمدًا على خليط من تجمعات جديدة تتحدث لهجات سامية غربية، وتستند بصفة جزئية على أصولها القبلية. وانقسمت المملكة العبرانية إلى دولتين وريثتين: "إسرائيل" التي يسودها الرخاء في أواسط المرتفعات، و"الجليل" و"الضفة الغربية" (السليلة الحقة للخليط القبلي الذي تشكل أواسط المرتفعات، و"الجليل" و"الضفة الغربية" (السليلة الحقة للخليط القبلي الذي تشكل خلال ألقرن الثالث عشر ق.م.) ومملكة "يهودا" الجنوبية الضعيفة التي تتركز حول "أورشليم" (٢٩) وفيما وراء البحر الميت دوادي "عربة" كانت ثلاث ممالك صحراوية أخذة في التبلور حول الأطراف الجنوبية للطريق التجاري المهم المعروف باسم الطريق في التبلور حول الأطراف الجنوبية للطريق التجاري المهم المعروف باسم الطريق الملكي "عمون" مصواب (ت مصواب) التي تضم المزارع الغنية الواقعة بين "وادي الدي البقاع، ومعواب (ت مصواب) التي تضم المزارع الغنية الواقعة بين "وادي الدي البقاع، ومعواب (ت مصواب) التي تضم المزارع الغنية الواقعة بين "وادي الدي البقاع، ومعواب (ت مصواب) التي تضم المزارع الغنية الواقعة بين "وادي الدي البقاع، ومعواب (ت مصواب) التي تضم المزارع الغنية الواقعة بين "وادي الدي البقاع، ومعون"

الولاء Wady Wala وبين الطرف الشمالي للبحر الميت، وإبدوم (= سعير القديمة)، وهي عبارة عن جيب من جيوب الشاسو في إقليم جبلي يقع بين أزرد :Zered و العقبة (٢٠).

لم يشكل أى من هذه التجمعات أى مشكلة لمصر.، وفى واقع الأمر كان الاتصال المباشر بينها وبين وادى النيل مقطوعًا إلى حد ما. وعندما هددت قوة كبرى قادمة من الشمال هذا الإقليم. تطلعت هذه التجمعات إلى حد كبير أو صغير نحو مصر كبطلها المنقذ. وهو ما حاول الفرعون أن يكونه (بأى درجة من النجاح؟ هذا ما سنعرفه حالاً)، وذلك لأن الحفاظ على هذه الإمارات التوابع كان يعنى ضمان منطقة عازلة ضد أى غزو يأتى من آسيا.

وكذلك الأمر بالنسبة لـ "فلاسطين" إذ لم تعد تشكل تهديدًا لأمن مصر، بل منطقة "إنذار مبكر" على سبيل الاحتمال ضد أى غزو من الشمال. ومع أن الإقليم الساحلى كان قد خضع وقت ذاك لحكم أحفاد النازحين إلى المنطقة عبر البحر المتوسط، إلا أنه استمر يتنفس نفس الحياة بفضل الدور الذى كان قد تكفل به خلال الأيام الخوالى للإمبراطورية المصرية. وظلت "غزة" إحدى المدن التى اتخذها المصريون مقراً للإدارة خلال الملكة الحديثة تحتفظ بدورها الرئيسى كـ "مملكة حدودية" وكمركز عصبى لكل من شمال سيناء وغرب "النقب" في نفس الوقت، وإلى جانب ذلك كإمارة تابعة أدت في أكثر من مناسبة دور "نائب" عن مصر.

عود على بدء... المصادر:

يستمر غياب المسادر التي ترجع إلى الأسرة الحادية والعشرين، وهو الأمر الذي نتحسر له، سواء بالنسبة لمصر أو غرب آسيا، حيث يربك المحاولات الرامية نحو كتابة تاريخ ما للعلاقات بين هاتين المنطقتين في الثلث الأول للألف الأول. وربما يعاني التاريخ المصرى أكثر ما يعاني، من هذه الفجوة في المسادر(٢١). فلم تظهر إلى النور نقوش تحملها نصب تذكارية وصواديد/ألواح نصر مثل تلك التي شكّلت العمود الفقرى الصادرنا خلال الملكة الحديثة، ولعل من المشكوك فيه أن يكون الفراعنة الليبيون قد

أذاعوا أيًا من تلك النقوش، والمواد المنقوشة التى تجود علينا بها المدينتان الملكيتان، تانيس و بوياسطة تنتمى بصفة رئيسية إلى مجال نقوش العبادات المصطلح عليها، أما البيانات التى تدور حول السير الذاتية وكانت تحفر، فى الغالب، على التماثيل المنفورة التى توضع فى المعابد فتسهب فى الحديث عن الأنساب وإيراد نتف الحكمة التى تتسم بالتقوى والورع، ولكنها توجز، إلى أقصى حد، فى الإشارات التاريخية. وهو وهناك نوع أدبى، تقوم عليه نماذج غزيرة فى تلك الفترة، وهو صادود/لوح الوهبة، وهو عبارة عن نوع من وسائل نقل الملكية المشروعة الخالية من أى إيماءات تاريخية. وإلى جانب ذلك نجد نصوصًا أقل قيمة لا تلقى سوى شعاع نحيل من الضوء كالخطابات والبطاقات الصاملة لتعليمات خاصة وسجلات مناسيب النيل كالخطابات والبطاقات الصاملة لتعليمات خاصة وسجلات مناسيب النيل والد فيلاكتريات قصيرة، والخارجة التى تحمل أيات قصيرة، يرتديها المؤمنون تحت أباطهم. المترجم) والعقود - تلك هى التصانيف المتناثرة والخارجة فى الغالب عن الموضوع مما يضطر المرء إلى غربلتها، على أمل لا يتحقق فى الغالب.

وكملجاً أخير يتعين على المؤرخ أن يخرج من مصر بحثاً عن مصادره. ولكن السجلات الأشورية، وهي تتميز بالغني والتفصيل لمعظم الفترة الزمنية التي نتناولها في هذا الفصل، لا تقدم لنا، في هذا الصدد، أقل معلومة من المعلومات، وخصوصاً تلك التي يرجع تاريخها إلى القرنين الثامن والسابع ق.م. (٢٦) أما اليونان وهضبة الأناضول وشمال سوريا فلا تمنحنا شيئاً، وخصوصاً اليونان وهضبة الأناضول اللتان تختفيان تحت أشباح عصر من الظلمات. ولا توفر المدن الفينيقية سوى نصوص قلبلة المغاية، وأكثرها ليس سوى قرائن في مجال الفن والعمارة. ولكن المرينتين نصوص على النامية من يهودا وإسرائيل بالذات في ظل ثروتهما النسبية من الكتابة التاريخية.

استلهم مؤلف سفرى "الملوك" الأول والثانى أركان عمله من نقطة التميز التى يحوزها عصر متأخر كثيراً عن عصر الأحداث التى يحكيان عنها، فهو يعرف الكثير عن حكم "يوشيًا" (٢٦) ("الملوك" الأول ١٣: ٢) وعن "النفى" (وكلاهما يخصان المملكة الشمالية "إسرائيل"، وكذلك عن البابليين "الملوك" الأول ١٤: ١٥ ، "الملوك" الثانى ٢١: الشمالية تنظره وأضحة لا لبس فيها، يقيس كل ملك من الملوك وفقًا لمعياري

الوحدانية الصارمة التى تقوم على نبذ عبادة الأوثان من جانب والتعلق المتزمت بأهداب طقوس العبادة من جانب آخر، وهما المعياران اللذان يعد حكم يوشيا أفضل مثال نمونجى لهما (الملوك الثانى ٢٢: ٢٥) وهو (أى المؤلف) لا يضن سواء فى إبداء إعجابه أو الإفصاح عن استيائه. وكان فى وسع أقل هبابة فى مصادره عن أى عمل يستطيع أن يحكم عليه من منظوره الأخلاقي، أو يفسره كتحقق لنبوة تحرك نوازعه الكامنة التعبير عن رأيه خلال التحرير، وإذا لم يكن فى حوزته أى أحداث أخرى للتعليق عليها أكثر مما هو متوفر حاليًا فيما خلّفه وراءه لنا، فليس معنى ذلك أنه كان انتقائيًا في اختياره لمواده، ولكن عوضًا عن ذلك لم تكن مواده لتحتوى على أكثر من ذلك. فقد نقل إلينا كل ما أعطته له مصادره.

ومع ذلك فهذا "المؤرخ" الذي تحمل أراءه تشابهًا كبيرًا مع تلك الواردة في سفر تثنية الاشتراع، المنشور في القرن السابع عشر ق.م. (٢٤) لم يستنفد كل القماش الذي كان تحت يده في تقصيل رسالته، التي تبعث على الملل، بالتمام والكمال، إذ يظهر مصدران متميزان خلال عملية التحرير التي تقوم به يده الثقيلة، أولهما يتمثّل في مجموعة القصيص التي تدور حول الأنبياء والثاني في نوع من التأريخ الذي ينطوي على ملاحظات تاريخية. وقصص الأنبياء (جنول رقم ٢)^(٣٥) تعالم بصفة أساسية، وإن لم تكن بصفة شاملة، العلاقات مع الملوك وتعطى أهمية كبرى للنبوءات وتحققاتها. وبركز أكبر مجموعة، وتلك التي انضغرت بشكل كامل كروايات، حول أعمال "إيليا" وأليشع، وتصنع منهما بطلين رئيسيين في الصراع بين 'بعل' ويهوه'، ومتنبئين بالمصير، وعنصري تحريض agents provocateurs في السياسات الإسرائيلية والدمشقية. ولكن يصعب علينا أن نقول شيئًا حول حجم التاريخ الذي نستطيع افتراض وجوده في كل هذا: حقًّا الشخصيات فريدة وأصيلة دون شك، ولكن القصيص قد تعكس المشهد من القرن السادس، بل وربما بعد ذلك، أما عن الباقي فنبوءات "إيليا" و شيمائيل"، والأنبياء المجهولي الأسماء الذين ورد ذكرهم في سفر "الملوك" الأول ١٢: ٢٥، ١٣: ٢٢ و الماوك الثاني ٢١: ١٠-١٥ فيبدو كل منهم عالمًا غيبيًّا بشكل مصطنع، والملاحظات التي تتعلق بـ "إشعيا" تأخذنا، بالأولى، إلى الضوء الكامل للسفر الذي يحمل رسالته.

الجدول الثاني- قصص الأنبياء

المحتوى	الفقرة أوالفقرات	النبى
ذكر السبب الذي حال بون رحيمام ومهاجمة	اللوك الأول ١٠:١٠- ٢٤	۱ – شمیعا
إسرائيل .		<u>.</u> _
نبوءات خسد 'يربعام'	الما وك الأول ١١:١٠-	۲ – أخيا
	\A:\£.£.	
نبوءة ضد 'يربعام' لإقحامه شعائر وثنية	"الملوك" الأول 1:17 ع.V	٢
نبومة ضد 'بتشايع'	الللوك الأول ١:١٦- ٧،٤	٤ – يامو
إدانة الخاب	"الملوك" الأول ١٧-٢١	ه – إيليا - م
نبوءة ضد ملك إسرائيل بشان الهجوم على	"الملوك" الأول ٢٢:١- ٢٨	٦ – ميخا
'یافث'(رقم ۹)		
نبوءة بموت أخاريا من جراء تساؤله بشأن بعل	اللوك الثاني ٢	۷ – آبلتا.
موت 'إيليا'، 'أليشع' ببرهن على هالة السحر التي	"الملوك" الثاني ٢	٧ – يائلتا. – ٧
تحف الإله.		
نبوءة الدمار الذي سيلحق بالصملة ضد مواب	"اللوك" الثاني	٩ - "اليشع
(=مواب)		
قصص الفوارق لـ اليشع (إصحاح ٦ ضد 'ملك	اللوك الثاني ١٠٤-٨ : ١٥	١٠ – ` أليشع`
إسرائيل، ٨: ٧-١٥ بخصوص حزاعل		
تصريض أياهو على التمرد وما نجم عن ذلك من	"الملوك" الشاني ١:١-٣٠,٢٧:	١١ - ` أليشع`
مذبحة	71-1.	
موت آليشيع	"الملوك" الثاني ١٢:٤-٢١	۱۲ – ` أليشع`
نبورة باستعادة "يربعام" الثاني لامبراطورية إسرائيل	اللولك" الثاني ١٤:٥٥–٢٧	۱۲- 'یونان'
'إشعيا' والغزر الأشوري	"الملوك الشسائي ١٨:١٨ - ١٩:	١٤ - 'إشعيا'
	19-1-74.7.	
نبوءة ضد منسى والتنبق بدمار الورشليم	اللوك الثاني ٢١:١٠-١٥	10
[<u> </u>	

تقف الفقرات التأريخية (٢٦) بارزة، بشكل واضح كإطار يبدو كفواصل زمنية من سفر "الملوك" الأول ١٤: ٢١ حتى نهاية "الملوك" الثانى. وإذا نظرنا إلى الصيغ المقوابة التي يتكون منها هذا الإطار بمعزل عن سياقاتها فإنها تنطبق بصفة أساسية على الأسرة التي بدأها "داود" في "أورشليم" كما حددت اسم والد الملك وعمر جلالته عند التنصيب ومدة ولايته واسم والدته ونسبه ومسقط رأسه وملابسات وفاته ومكان دفنه.

الجدول التالث - فقرات التأريخ التي تحمل ملاحظات تاريخية

						_		
مكان الدفن	الوفاة	الكان	' l	اسم الأم	الحكم	العمر	ذكر الأب	الاسم
			الحمو					
مدنية داود	طبيعية	عمون	-	نعمة	1٧	٤١	نعم	رحيمام
		_	أبشالهم	معكة	٣			أبيا
-	مرض بالقدم	-		معكة	٤١	•	•	اسا
•	طبيعية	-	شيلخى		70	۲٥	•	يهوشفاظ
	•	-	· -		٨	77		يهورام
•	قتلاً	-	_	ليلند	\ 	77	•	أخزيا
-	أغتيالأ	بير سبع	-	ظبية	٤٠	٧		يهيواش
	أغنيالأ	أورشليم	-	يهوعدان	79	۲٥	•	أمصيا
	في لاخيش							
-	الجزام	•.	_	. ليلاي	۲٥	17	-	.عزريا
•	طبيعية		مبادرق	يروشا	17	۲٥		يوثام
-	 -	-	-	_	17	۲.	•	أحاز
_	مجهرلة		زكريا	أبى	49	۲0		حزقيا
مقبرةفي	طبيعية		-	حفصيبة	90	١٢		منسى
جنينة ⁻ عزى								
	اغتيالاً	يطبة	ھارومن		7	**	-	عمون
مقبرته الخاصة	فتلاً	بمنقة	عداية	يديدة	۲۱	٨	•	يوشيا
•	طبيعية	لبئة	إرميا	حموطل	۲ شهور	77		يهرأحاز
-		روبة	فداية	زبيدة	11	۲٥		إلياقيم
	-	أررشليم	إيل-ناثان	نحوشتا	۲ شیور	1.4		يهوياكين
	-	لبنة	إرميا	حموطل	11	17	•	جدليا

ولكن المؤلف لا يمنح كل هذه المعلومات عن كل ملك، إذ يبدأ ذلك، وحسب، مع نهاية حكم "منسى". أما بالنسبة للقرون الأقدم فهناك فجوات واضحة ومعلومات لا يمكن، كما يتضع للعيان، الركون إليها. ولا يشرع الكاتب في ذكر العمر عند التنصيب إلا مع "يهوشاباط " Jehoshaphat على سببيل المثال، (٢٧) ومع "يوآش" ماعه Joash وحسب، يبدأ في إضافة اسم المدينة التي جاءت منها الملكة الأم. و"أبيا" Abiya وأسا" (وهما أب وابنه) يذكر الكاتب لهما نفس الأم، وأربعة وحسب من أحد عشر ملكًا قبل حزقيا " Hezekiah يعطيهم الكاتب جدودهم من جانب أمهاتهم. وإلى "منسى" (باستثناء "أحازيا" Ahazia يكتفيا من غموض عند الإشارة إلى موضع دفنهم .

وعلى النقيض من ذلك نجد "تأريخ" ملوك إسرائيل مفعم بالتحدى إلى حد يدعر للأسى في إيراده للمعلومة إثر المعلومة، الأمر الذي بقود المرء إلى الشك فيما إذا كان لذلك "التأريخ" وجود. ففي العادة لا نقابل سوى مدة الحكم وأبوى الملك، وليس هناك أي بيانات على وجه الإطلاق عن الملكات الأمهات، (٢٨) وموضع الدفن يشار إليه على هذا النحو وحسب: "في السامرة" أو "في تيرزا" ولا يحتاج المرء إلى أن يفترض وجود أي "تاريخ" مستقل لإسرائيل كي يفسر هذا "التاريخ" الهزيل!

مع ذلك يسجل تاريخ "يهودا"، بإخلاص، السنة التي نصب فيها أحد الملوك في ضوء سنة الحكم الموازية في المملكة المجاورة. وليس هناك سبب يدعو إلى الافتراض بأن ذلك جاء نتيجة لبحث "مدرسي" قام به مؤرخ سفر "تثنية الاشتراع" بصفة شخصية، وعوضًا عن ذلك يتعين أن يعكس العادة الجارية التي كان يقوم بها مسئول "الأرشيفات" في "يهودا" اعتبارًا من مدة مبكرة، وفي هذا الصدد يتعين علينا أن نتذكر أنه خلال القرنين التاسع والثامن في مصر فرضت الشراكة في الحكم (كأن يتولى العرش ملك صبى شرعى ووصى عليه لمدة أو أخرى في نفس الوقت) وانقسام الملكة إلى عدد من المقاطعات المستقلة بحكم الأمر الواقع بين الحين والآخر، إعطاء تواريخ محددة في ضوء نسقين من سنوات الحكم (١٩٠٠). وليس هناك سوى الاعتبارات العملية

وحدها التى تقف وراء هذه العادة. ولقد عبرت الحياة التجارية للمجتمع، بكل مظاهرها المختلفة سائر الانقسامات السياسية البائسة التى كانت تظهر بشكل مؤقت، وأخذت الصفات التجارية تعبر الحدود التى كانت قائمة فيما مضى بسهولة. واضطرت، بالتالى الوثائق التجارية إلى أن تحمل، بحكم الضرورة، تواريخ تتفق مع الاختصاص القضائى للكيان السياسى لهذا الطرف أو ذاك من الأطراف المبرمة للعقود. ولا شك هناك فى أن تداخلاً معاثلاً فى الحياتين السياسية والتجارية لـ إسرائيل ويهودا هو الذى يكمن عند جنور الظاهرة فى ذلك التاريخ الذى عرفناه عن يهودا .

هناك نقطة أخرى يجدر التوقف عندها، وتتمثل في وجود تواريخ متعارضة للملوك الإسرائيليين في تأريخ "يهودا"، مع أن كل المعلومات التي يمكن الاستناد إليها في تعيين البنوة ومدة الولاية مأخوذة بالفعل في الحسبان. وبناء عليه فليس هناك أي داع لافتراض وجود "تاريخ منفصل لملوك بني إسرائيل".

بصرف النظر عن إطار التأريخ، و قصص الأنبياء والأقسام الافتتاحية الموسعة التي يقدمها مؤرخ سفر 'التثنية في الجدول الرابع'. نجد أن عددًا من الملاحظات التاريخية مبشوثة في ثنايا سفري 'الملوك' الأولى والثاني ومتصلة بالأسرة الداودية (نسبة إلى 'داود') على أن هذه الملاحظات ليست متباينة الواحدة عن الأخرى تباينًا واسعًا، بل تتجمع بصفة أساسية، تحت ثلاثة تصانيف: ملاحظات تتعلق بعمليات بناء أو إهداءات في معبد 'أورشليم' وأخرى تدور حول أنشطة تشييدية خارج 'أورشليم' ثم ثالثة تنصب على أنشطة عسكرية، ويبدأ سجل عمليات البناء بالخطط التي وضعها ويوشيا' وجمع المنح المالية، وكلاهما يعود إلى السنة الثالثة والعشرين من حكمه، ويستمر أي السجل ببناء 'يوثام' لبوابة المعبد والتجديدات التي أضافها 'أحاز' 'مجرى العيون' (= قناة صناعية تجرى على قناطر) الذي بناه 'حزقيا' والمذابح التي بناها أمنسي' والتجديدات الشاملة التي أدخلها 'يوشيا' سلسلة من الإزالات) التي كانت تجد بإضافات ملموسة إلى مبني (وفي حالة 'يوشيا' سلسلة من الإزالات) التي كانت تجد بكل تأكيد بدء سجلها على هيئة نقش بنائي تحشيني يمكن أن يكون راجعًا إلى

(ربما السنة الثالثة والعشرين). وليس في وسعنا أن نعرف ما إذا كان مؤرخ سفر "التثنية" كان يستطيع التوصل إلى قائمة كاملة: ما كان، بالنسبة لـ حزقيال ٢٤٤٢-٨، ليعطى الانطباع بوجود ركام ناتج عن عمليات تشييد ملكية داخل نطاق المعبد، وعلاوة على نقوش المبني، هناك عدد من الفقرات تشير إلى إهداءات مننورة في المعبد: استبدال التروس المسنوعة من الذهب بأخرى مصنوعة من البرونز تحت ظل حكم "رحبعام" (وهو الأمر الذي يصادف الإشارة إلى الفرعون "شيشنق") والنذور التي قدمها كل من "أسا" و"يوشيا" و"أمصيا" و"أحاز" و"حزقيا" و"منسى"، وتستدعى هذه الإشارات، منفردة ومجتمعة، إلى عين الذهن أحد أكثر أنواع بطاقات التعليمات شيوعًا في النقوش القديمة، نص التدشين سواء المدون أو المحفور على أحد الأواني. وكانت مثل هذه الأواني (أو مستلزمات العبادة المصنوعة من مواد نفيسة) تحفظ، عادة، بعناية فائقة من جيل لأخر، وكان بالإمكان أن تستمر معروضة بعد عقود وربما بعد قرون من صنعها. وحتى لو لم تكن هذه الأشياء ذاتها معروضة، فإن "قائمة الجرد" الخاصة بمفردات العبادة التي يمنحها ملك معين (وحتى قائمة الجرد بالمفردات المستبعدة!) تقوم عليها شواهد في السجل الأثرى (الأركيولوجي) في نصوص مشابهة (14) وبناء عليه فإننا لا نشطح بعيدًا إذا انتهينا إلى أن نقوش المباني والإهداءات المنذورة، وكلاهما ظاهرة على معبد الجبل، يمكن أن تكون قد وفرت المسدر الأساسي لكل الملاحظات التي تخص معبد "أورشليم"(٤١).

الجدول الرابع

المستر	المضمون	الفقرات	ائلك
المعيد	غزو شيشنق ، دفع الجزية	"اللوك" الأول ١٤ : ٢٥-٨٨	۱– رحبعام
محرر "التثنية"	تقرير عام حول الحروب	اللوك الأول ١٥ : ٦-٧	۲– أبياً
محرر ْ التثنية ْ	محور شعائر الرجال-الموامس	"الملوك" الأول ه١٢:١	۳ أسا
	هيم "الأم" لصنمها	"الملوك" الأول ه ١٣:١٨	
	نذر النثور	"اللوك" الأول ١٥:٥١	
ملحوظة معبد(أو نقش ننوري			
قائمة جد أو سجل كهنوتي أخر		الملوكية الأول ١٥ : ١٦-٢٢	
نقش يرجع لبناء ما (؟)	الحرب ويناء رامه واستثجار ابن حداد		
قصص الأنبياء(فصل ۲۲،۲۰)	(الحروب والسلام مع إسرائيل)	"اللوك" الأول ٢٧:٥٤	٤- يهوشافاط
	القضاء على الموامس – الرجال	"اللوك" الأول ٢٢:٦٤	
منقر اللوك الأول ١٢:١٥	تحطم أسطول "ترشيش"	"الملوك الأول ٢٧:٧٦-٤٩	<u> </u>
صابود (اوح) آمتصیا			
صابود (لوح) أمتصيا	هبة أنوم و للبنة (!)	"اللوك" الثاني ١٨: ٢٠	ه- يورام
ملحوظة معبد	تتويج ومقتل "عتليا"	"الملوك" الثاني ١١	٦- يوأش
منادود(اوح) نصر	تجميع الأموال لترميم المعبد	"الملوك" القاني ١٢: ١٤-١٦	
ملحرظة معبد	تجريد المعبد الننور ادفع ما	اللوك* ۱۲ : ۱۷–۱۸	
,	فرضه "حزاعيل"		
(إطار،تاريخي)	أخدة الثار من قستلة الأب	"اللوك" الثاني ١٤ : ٥-٧	٧- أمصيا
نقش من بناء أومنادود نصر	وإنزال الهزيمة ب "أدوم"		
	الحرب مع 'إسرائيل' وتدمير	"الملوك" الثاني ١٤ : ٨-١٤	
	الحائط ونهب المعبد		
(إطار تاريخي)	تنصيب الشعب له	الملوك" الثاني ١١:١٤	۸– أمصيا
نقش من بناء + ملحوظة نصر	بنى 'إيلات'	"اللوك" الثاني ١٤:٢٢	
	1	•	-

	··		
(إطار تاريخي)	حكم نيابة عن أبيه المريض	"اللوك الثاني ه١:ه	٩- يوثام
نقش من بناء + ملحوظة نصر	بنى البوابة العليا للمعبد	"اللوك" الثاني ه١:٥٦	
قصمن الأنبياء و إشعيا ٧	حاصر 'أورشايم'	"الملوك" الثاني ١٦:ه	١٠- أحاز
(ذاكرة شعبية = فراكلور؟)	أنوم تعيد الاستبلاء على أيلات	"اللوك" الثاني ١٠١٦	
ملحوظة من معبد	يرسل الننور وكنوز المعبد إلى الشور	"اللوك" الثاني ١٦ : ٧-٩	(۱۰ أحاز)
	کی نیشتری سکون آبلجات- بیلیسیر [*]	ا عول: الثاني ١٦: ١٠-١٨/٢٢١٨	
	تشیید، وتجدیدات ومستلزمات		
	عبادة جدية في المعبد		
محرر الثثنية (من قصص	تمرض ضد 'أشور' وإنزال	"اللوك" الثاني ۱۸ : ۷–۸	۱۱ - حزقیا
الأنبياء والتقاليد الشفوية)	الهزيمة بالفلسطينيين		
ملحوظة معبد	أزال هية "موسى" النحاسية	"اللوك" الثاني ١٨:٤	
ملحوظة معبد	جسرد العسباد من كنوزه كي	ا كالمولية الثنائي ١٨ : ١٥-١٦	
.	يعطيها للأشوريين		
نقش من بناه ما	تشبید مجری مائی	"اللوك" الثاني ٢٠:٢٠	
ملحوظة مبعد مع تأثيرات مز	أقام مذابح وتماثيل ومستلزمات	"اللوك" الثانى ٢٢: ١-٢٣: ٢٣	۱۲– منسی
محرر التثنية	عبادة في المعبد		
ملحوظة معبد (أوصادود=	العثور على سفر القانون وتملهير	"اللوك" الثاني ۲۲: ۱۳-۲۲:۲۲	۱۲ - يوشيا
اوح) أعاد هموغها محرر التثنية	وتجنيد العبارات ويضع قصة الفصح		
(إطار تاريخي)	ً لقى مصرعه في معركة		
(إطار تاريخي)	الفرعون تبخو ينصبه ملكا	"الملوك" الثاني ٢٣: ٢٩-٣٠	۱۴-إلباقيم
	یفرض ضرائب کی یدفع	"اللوك" الثاني ٣٤:٢٢	
محرر سفر 'الثنية'	الجزية لـ "نيخو"	اللوك" الثاني ٢٢:٥٢	

إلا أن المجموعة الثانية من الملاحظات - التي تتناول أنشطة البناء خارج "أورشليم" وفتتميز بأنها محدودة أكثر كثيرًا ومقتضبة إلى أقصى حد. ولا يرتبط سوى ملك "يهودى" (نسبة إلى مملكة "يهودا") واحد فرد ببناء البلاد وهو عزريا" في بنائه له إيلات (٢٠٠). أما الباقون فكلهم ملوك "إسرائيليون" (نسبة إلى مملكة "إسرائيل"): "يربعام الذي بني سيخيم (شكيم) و"بنويل" و"بثيل" (في فقرة يتضح عليها تأثير مؤرخ سفر سفر "التثنية") و"بعشا" الذي بني "رامة" و"أومري" وأأخاب اللذان بنيا "السامرة". وما من معلومة من المعلومات ممحصة recherché بل ويمكن أن يكون مؤرخ سفر "التثنية" قد استقاها من المعلومات العامة أو قصص الأنبياء. وتشير الإشارات المقضبة ذاتها إلى عدم الاحتياج إلى استحضار أي مصادر إضافية.

أما الملاحظات الخاصة بالأنشطة العسكرية فتشكل بقجة مختلطة المحتويات. فبعضها غامض إلى حد أنها لا تعتمد على أى شيء آخر أكثر من افتراض عام من جانب مؤرخ السفر حول الوضع الذي يحتمل أن الأمر كان عليه (قارن على سبيل المثال سفر الملوك الأول ١٥، ٢، والآن كانت هناك حرب بين "رحبعام" وبين "يربعام طوال أيام حياته"، الملوك الأول ٢٢: ٤٤-٥٤، (٢٤) إلثي كما تعتمد قصة المرب بين أمصيا ويهوآش" (الملوك الثاني ١٤: ٨-١٤) التي تذكرنا بالنقش النذري وقائمة جرد النذور، على التاريخ الطوبوجرافي (=التضاريسي) لـ أورشليم" بعد أن هندمه الفولكلور، وجمله، وهكذا فإننا نكون قد دُفع بنا إلى الوراء في صميم التقاليد المحلية لـ أورشليم" وذاكرة الفولكلور معاً.

ويأخذنا، من جانب أخر، عدد لا يخلومن مغزى من الإشارات إلى "إيلات" و"عصيون جابر" و"إيدوم" (="أدوم") إلى قلب مصدر أخر تمامًا. ويمكننا أن نعدد هذه الإشارات على النحو التالى:

١- أسطول البحر الأحمر الذي بناه "سليمان" في "عصيون جابر" ("الملوك" الأول
 ١٠ ٢٦-٢٦) .. نجاح

٢- أسطول "يهوشافاط" الذي لمقه الدمار في "عصيون-جابر" ("الملوك" الأول
 ٢٢: ٧٤-٤٩) _ فشل

٣- تمرد 'أبوم' و"لبنة (١٤٤) ('الملوك' الثاني ٨: ٢٠-٢٢) ـ فشل
 ٤- هزيمة 'أمصيا' لـ "أبوم' (مثل رقم ٥)

٥- إعادة بناء "إيلات" على أيدى "عزريا" ("الملوك" الثاني ١٤: ٧، ٢٢) - نجاح

تشير هذه الملاحظات، بتركيزها على بناء المدن والهيمنة السياسية، وبعباراتها المقتضبة إلى مصدر واحد وحسب (وقد يستطيع المرء أن يضيف، وبون تنميق أو تأويل من جانب المحرر الذي اقتطف النص)، وهو لوح/صادود النصر والسيرة الذاتية. وهذه كانت شائعة في العصسر الحديدي وكانت تميل دائمًا إلى معارضة أنشطة أسلاف المتكلم (أو الموقف الذي كان سائدًا قبل عصره) بأيام السعادة والصفاء، والإنجازات الباهرة في ظل حكمه هو(٥٠). وقد يكون في طوع المرء أن يعيد بناء منطوق لوح/صادود "عزريا" على النحو التالي: أنا "عزريا" بن "أمصيا"، بن "يهوأش" ملك أيهودا". كان الأدوميون، فيما مضى، خاضعين له "داود"، والد والدي، وعلى عهد "سليمان"، بن "داود" اعتادت الغلايين أن تمخر العباب باتجاه الجنوب انطلاقًا من "عصيون – جابر" ... ولكن اعتبارًا من عهد "يهوشاباط" توقفت حركة تلك الغلايين، وخلال عصر "يورام" ثار ابنه "أدوم" و"لبنة" ضد "يهودا". ولكن "أمصيا"، والدي أنزل وخلال عصر "أيهرام" ألى سلطان "يهودا" واستولى على "صلع" وأعاد تسميتها ... الهزيمة به "أدوم" وأعادها إلى حظيرة "يهودا" واستولى على "صلع" وأعاد تسميتها ... كما أعاد "إيلات" إلى سلطان "يهودا" وأعاد بناءها... وبنيت شخصيًا فيها."

وإذا كان للبحث عن المصدر النهائى للملاحظات التى تدور حول النشاط فى المجال العسكرى ومجال التشييد، كما وردا فى سفرى "الملوك" الأول والثانى أن يأخذنا إلى الوراء إلى الألواح/ الصواديد القائمة فى زمام معبد "يهوه" والقصر الملكى فى "أورشليم"، فإن مصدرًا آخر، وهو عبارة عن نقش على نصب تذكارى هو أيضًا، سرعان ما يقفز إلى الذهن، بصفته كان جزءًا لا يتجزّأ من ذلك المجمّع الشهير، وأعنى بذلك جدارية الزخرفة على أحد أوجه قاعدة أحد الأعمدة، وهذه العادة (التى نجدها خلال العصر البرونزى فى كل من مصر و"خاتى") "تنطوى على حفر شخصيات، أحيانًا تكون مصحوية بنصوص تعريفية، تسير فى مواكب على امتداد واجهة معبد ما أو قصر ما

نحو المدخل، وفي المشرق قد يتنوع التكوين الاحتفالي كي بشمل قطاعًا من العوام وكتبة وموظفين رسميين وجنودًا يظهرون إلى جانب الملك ووريث عرشه(٤٧). وحتى على اللوح/ الصادود، كان الحاكم يتكرم بالسماح لسكرتيره بالظهور في الصورة الزخرفية المنمنمة جنبًا إلى جنب معه (٤٨). وتهدف كل هذه الإشارات إلى مواجهة الزائر، عند دخوله إلى زمام معبد "أورشليم" والمبائي الملكية الملحقة بكمية ملحوظة من النقوش الاحتفالية والزخارف الجدارية. ولقد ألمحت فقرات "التوراة" التي تصور روايات شهود العيان حول معبد الجبل إلى كافة جداريات الحوائط والبوابات المنقوشة والتماثيل (مم نصوص؟)(٤٩). ولقد توصلنا الآن في هذا الصدد، خلال التنقيب الأثرى (الأركبولوجي) عن ألواح/صواديد تتصل بما يدور حوله الحديث(٥٠). وفي أرجع الاحتمالات أن هذا التربين الذي يلجأ إلى استمدام الكتابة، اشتمل أيضنًا على زخرفة أوجه قواعد المعبد بجداريات مناظر القنص Orthostat منقوشة، على نحو ما هو معروف من زخارف 'كركميش'، التي ترجع إلى بداية بناء المعبد، وتحتفى بذكري سليمان ابنه مع مستخوليه، ولا يجب علينا أن نصصور المصدر النهائي لمثل تلك التفاصيل التشخيصية prosopographic في هذا الشكل من هذا النوع من السجل الكتابي الملموس، والظاهر للجميع، في سنفر "الملوك" الأول ٤: ٢-٦ والفقرات المشابهة عوضيًّا عن وثيقة مشكوك في صحتها التاريخية منسوية لعصر "سليمان".

ندخل اعتباراً من حكم 'يوثام' تحت ظل جسمور (= مجموعة) من النصوص التى نستطيع إرجاعها إلى القرن الثامن ق.م. حول سيرة 'إشعيا' النبى، تلك السيرة التى نملك عنها وثائق معاصرة، وترجع إلى تاريخ يبدأ من السنة التى شهدت موت "عزريا" (إشعيا ' ١: ٦) على أن الحدث الضخم الذى وقع في سنة ٢٧٥-٤٣٧ ق.م.، ويتمثل في التحالف الذي جمع بين 'إسرائيل' وبين 'دمشق' ضد "يهودا بهدف تحويلها إلى "دمية' تحت ظل حكم 'ابن طبائيل' (= طبئيل)(٥١) فلقد نرك سجلاً شبه معاصر في الإصحاحين السابع والثامن من سفر 'إشعيا'، وهذا هو كل ما نحتاجه كي نستدعيه كمصدر الملاحظات الواردة من تحت ظل حكم كل من "يوثام" وأحاز (اللوك' الثاني كم صدر الملاحظات الواردة من تحت ظل حكم كل من "يوثام" وأحاز (اللوك' الثاني مؤرخ سفر "التثنية". وبنفس الروح لا تعد الأيتان لا ولم من الإصحاح الثامن عشر مؤرخ سفر "التثنية". وبنفس الروح لا تعد الأيتان لا ولم من الإصحاح الثامن عشر

سوى مقدمة يسوقها نفس المؤلف ارواية التمرد (١٨: ١٣ وما بعدها) بل واقد أشتقها منها في حقيقة الأمر.

وقد يعترض معترض عند هذه النقطة أن مصدرًا سمته "التوراة" تعرُّض بذلك التجاهل، إذ يحيل المؤلف القارئ نحو خمس عشرة مرة في سفري "الملوك" الأول والثاني، إذا تاق لمزيد من التفاصيل، عن حكم ملك ما، إلى (كتاب "ديورنال" حول أعمال ملوك "يهودا")(٥٢). والآن تلك المؤلفات المسماة بـ "دفاتر اليومية" كانت معروفة معرفة وثيقة في مصر (حيث انبثق هذا الشكل لأول مرة، إلى الوجود) وكانت محفوظة عند مؤسسات من نوع المعابد والمجالس البلدية والمحاكم وحتى قصس الفرعون نفسه (٥٢). ولقد نجا من صروف الظروف عدد ليس بالقليل بحال من الأحوال، كي يصل إلى أيدينا، ولكن إذا أمَّل المرء أن يجد يوميات تتناول أحداثًا تاريخية، فإنه أن يجنى سوى خيبة أمله. فالدافع الأول وربما الوحيد وراء تنوين مثل هذا السجل كان عمليًا بصفة خالصة: الاحتفاظ بحساب جار للأعمال والتعاملات التي تنطوي على أهمية خاصة للمؤسسة، وخصوصاً ما يتعلق منها بالشنون المالية، جارية على قدم وساق. وفي حالة القصير الملكي، يدون دفتر اليومية وصول وانصراف المبعوثين والشخصيات الزائرة وتحركات الملك وتقدم الجيش (عندما يكون الملك على رأس حملة ما)، ولكن أولاً وقبل كل شيء، استلام البضائع من كافة الأنواع، وتوزيع الرواتب والحصص المقررة. وتكشف لنا قصة "ونامون"(٤٠) أن شكل دفتر اليومية كان قد انتقل بصفته وسيلة للتسجيل إلى الإدارات البلدية في مدن المشرق مع خواتيم المملكة الحديثة - وعود على بدء تبرهن الفقرة رهن الحديث على أن المضامين كانت قيودًا حسابية. ولا يخامرنا كثير شك في أن المدن البعيدة عن الساحل مثل "أورشليم" قد استعارت هذا الشكل من الساحل. ولكن دفتر اليومية ليس مجرد يوميات أو دورية كما نفهم المسطلح في عصرنا الحديث، كما أنه أقل من مجموعة من الحوليات، (٥٥) وحتى إذا دخل عليه اختصار، فإنه ما كان ليصلح على وجه التقريب، كمصدر تاريخي. وأقرب مقابل له عندنا الآن هو "دفتر الأستاذ" الذي يحتفظ به رئيس الخدم لمسترواته.

وحتى الفحص العابر للفقرات التى تستشهد بـ (كتاب "ديورنال" حول أعمال ملوك "يهودا") سوف تكشف بما لا يسمح بأى ظل من الشك، أننا لا نستطيع، بصرف

النظر عما يكونه ذلك الكتاب، أن نصنفه تحت أي ظرف من الظروف كـ "دورية". حقًا يشير أكثر ما يشير إلى أحداث، ولكنه عندئذ يشير إليها بطريقة مقولبة وشكلانية، إلى الحد الذي يدفعنا إلى التساؤل عما إذا كان مؤرخ سفر "التثنية" قد رأى في مصدره هذا نوعًا من الحوليات، بل وفي حقيقة الأمر، ما إذا كان قد رأى مصدرة هذا على وجه الإطلاق. فإحدى عشرة فقرة من الفقرات الخمس عشرة (مع تغييرات طفيفة) تعطينًا الصيغ التافهة (A) أما باقى الأعمال (N) و (B) فهى كل ما قام به من أعمال، فهل هي لم تدون... وفي ثلاث من الأربع الباقية نجد عنصرًا ثالثًا،(C) "قويّه" تضاف. وهكذا فإننا لا نجد أي معطيات محددة إضافية يشار إليها في أي من هذه الحالات، بل مجرد إعطاء الانطباع بأن مثل ذلك الشيء موجود. ففي الفقرة التي تتصل بحكم "يهوشافاط" نجد عبارة "كيف قاتل" أضيفت كعنصر جديد، ولكن هذه العبارة، إذا كانت أصلية، ساقطة في الترجمة السبعينية (= أقدم ترجمة لـ "العهد القديم" من العبرية إلى اليونانية التي كانت بمثابة اللغة المشتركة في المنطقة في القرن الثالث والثاني ق.م. وقد شارك فيها في الحقيقة اثنان وسبعون مترجمًا بواقم سنة من كل قبيلة من القبائل العبرانية الـ ١٢ . المترجم) - فإنها تحمل إشارة إلى معركة "يافث" التي ورد ذكرها بالتفصيل في ٢٢: ٢٩-٣٣ من "قصص الأنبياء". أما الفقرة التي ترتبط باسم "أسا" فتحيلنا إلى "أعمال ديورنال بشأن المدن التي بناها (وهذه مفقودة عود على بدء في الأسفار الستة Hexapla)، وفي القسم التالي نجد أن بناء مدينة هو الموضوع: جبا "بنيامين" !Geba of Benjamin وهناك عنصر مضاف لهذه الصيغة في حالة "حزقيا" حيث يستشهد بـ "أعمال ديورنال" فيما يتعلق بتشييد "مجري عيون" (= قناة صناعية تبنى على قناطر) من "جيهون" إلى "شيلوام" Siloam، التي تعد مأثرة خُلُدت لكل من يملك عينين كي يراها في نقش "شيلوام" الذائع الصيت.

ولعل أكثر المواضع كشفًا تلك التي وردت فيها تلك الصيغة أو العبارة هو سفر "الملوك" الثاني ٢١: ١٧ (منسني)، وهو الورود الذي يضيف إلى النموذج البسيط ط+A والفطيئة التي ارتكبها". وليس هناك دفتر يومية" آخر تضمن في أي يوم من الأيام، مثل هذه العبارات التي تحمل إدانة صريحة ذات طابع أخلاقي من هذا النوع. وفي الحقيقة تشير هذه العبارة، بوضوح، إلى الاستهجان الذي تحمله الآيات من ١٠ حتى ١٠ ما، التي تأتى مرة أخرى من "قصص الأنبياء".

تكفى نظرة واحدة إلى الإحالات الواردة إلى "كتاب ديورنال" حول أعمال ملوك إسرائيل كي تتأكد شكوكنا، إذ ترد الصيغة الأساسية A+B عدة مرات (بالخطأ في الملوك" الثاني ١٥: ١١) ومع إضافة صيغة رقم C في أربع حالات أخرى. مرتان مع "زمري" Zimri و"شلاوم" Shallum، إحداهما تحال إلى "أعمال ديورنال" بشأن المؤامرة التي كان كلاهما متهمًّا فيها، وهي المؤامرة التي كان قد تم تدوينها للتو في الآيات السابقة! ومن الاستشهادات الأربعة الباقية، تلك التي تتعلق بحكم "بربعام" ـ "كيف حكم وكيف قاتل" ـ فتشير إلى ما ورد من قبل، في قصة النبيين 'أخيا' و'شبمائبل". أما الإشارة إلى 'أخاب' - "البيت العاجى الذي بناه، وكل المدن التي بناها" - فلا تحتاج إلى مصدر أخر سوى ما سبق لنا أن قابلناه بالفعل في عمل من أعمال التنبق، تمكن مؤرخ سفر "التثنية" من الوصول إليه، أقصد سفر "عاموس" (قارن ٣: ١٥). وتقوينا الإضافة التي لحقت بالصيغة التي تخص "يهوأش" إلى الوراء إلى نفس المصدر المزعوم لـ (كيف قاتل مم "أمصيا" ملك "يهودا")، ولكن هذا الموضوع كان قد سبق له أن عولج في الآيات من ٨ إلى ١٤ في الحدوبة الفولكاورية التي نمت حول حادثة جرت في التاريخ الطوبوجرافي (التضاريسي) لـ "أورشليم"، وأخيرًا "كيف قاتل "بريعام" الثاني واستعاد "دمشق" و"حمات" فيلا تتجاوز كونها تقريرًا لتحقق نبوءة "يونان" النبي (= يونس عند العسرب) في ١٤: ٢٥، وهذا عبود على بدء تلميح إلى حيوبة تنبؤية (مفقودة الأن).

لعله من الملاحظ كم هى شحيحة، لو وردت أصلاً، فى الإشارات إلى (أعمال "ديورنال") حول أى من الملكتين، تلك الإشارة التى تنطوى على أى مغزى على وجه الإطلاق، بينما نجد أن تلك الإشارات الشحيحة التى تحتوى على ما هو أكثر من الصيغ الأساسية ترتبط بالمعلومات التى يُستشهد بها أو تُقتبس بتوسع زائد فى "قصص الأنبياء". ولا يجد المرء مناصلًا من الاستنتاج هنا أن مصدرًا رسميًا، مثل ذاك الذى حمل هذا الاسم/العنوان rubric (أعمال "ديورنال") لم يوجد قط، وأن الاسم أطلق كاسم مستعار على قصص النبوءات التى كان مؤرخ سفر "التثنية" قد مال عليها واستخدمها فعلاً.

قائمة ملوك مزخرفة:

بينما لا نجد في القيمة الاسمية لهذه القائمة أي رابط استقرائي يربط بين إطارها التأريخي وبين الملاحظات التاريخية، إلا أن القياس ينتصر بقوة لصالح اندماجهما في وثيقة واحدة مفردة توصل إليها مؤرخ سفر "التثنية".

شهد كل من المشرق وشمال شرق أفريقيا، خلال الربعين الثاني والثالث من الألف الأول ارتفاع شعبية جنس أدبى من الكتابة التاريخية-التأريخية chronicle history، مختلف في نشأته عن تلك الأشكال التأريخية المشتقة من الحوليات. وكان هذا الشكل المشرقي بصفة أساسية عبارة عن قائمة بأسماء اللوك، محشوة بملاحظات موجزة أو توصيفات شخصية و(في مرحلة لاحقة) كانت تزخرف بحكايات مستمدة من الفولكلور. وأفضل مثال على هذا الشكل المشرقي نجده في كتاب "مانيتون" الـ "إيجيبتياكا" Aegyptiaca، ولكن هذا العمل الذي صنفَّه كاهن مصرى في القرن الثالث ق.م. لا يمثل سوى مرحلة نجت من صيروف الظروف في عملية طويلة المدي^(٥١). ويمدنا الشكل الرعمسيسي من قائمة الملوك، كما انعكس في "قائمة تورينو"(٥٠) بالشكل الأولى لهذا الجنس الأدبي، وهو الشكل الذي يهدف إلى تسجيل الطول الدقيق لولاية كل فرعون، وكان يتضمُّن أحيانًا (وإن كان نادرًا) طول عمر الفرعون وفي أحيان نادرة للغاية، تقريرًا تاريخيًا. ولكن يبس أن الفترة الكوشية -الصاوية (٧١١-٢٥ق.م.) هي التي حفرت، بالضرورة، بولعها الشديد بالماضي والعودة إلى كل ما هو قديم، النمو المتسارع لهذا الشكل التأريخي بل وطرحت المثال الذي سار في أعقابه مانيتون بعدها بقرنين من الزمان. ويبدو من المؤكد أن مصر مارست درجة محددة من التأثير على الشكل التأريخي الفينيقي، كما تمثل في (حوليات "صور") و(تاريخ "فيلو" Philo) بالإضافة إلى الأعسال المفقودة لكل من "موخوس" Mochus و ديوس Dius وغيرهما، مم أن الكتاب الفينيقيين لم يجلسوا كي ينقلوا الجنس الأدبي الأجنبي نقلاً حرفيًا(٨٠). فهنا أيضًا نجد أنفسنا نعرض لقائمة ملوك حُشر فيها طول العمر وملاحظات بين الحين والآخر عن حقائق تاريخية، وهذا توليف لأمور متباينة كان الكتاب بأتونه عن وعي كامل. فنجد "يوسيبيوس" Eusebius، خلال روايته عن "فيلو"

أو في الحقيقة عن التاريخ الفينيقي الأقدم الذي نقله "فيلو" إلى اللغة اليونانية، يتحدث عن ثلاثة خيوط مضفورة في الشكل النهائي للعمل(٢٥١)، "سلسلة قوائم ملوك فينيقيا" و"سجلات المدينة" و"أراشيف المعبد"، والتوازي هنا مع سفري الملوك" واضح: تأريخ ممزوج بملاحظات تاريخية وأخرى تنبؤية وقصص تدور حول العبادات، وعلاوة على ذلك فالفترة الزمنية التي حفز فيها الوعي الذاتي بالتاريخ القديم في فينيقيا"، عملية جمع المواد ووضع هذا التأريخ الأقدم تناظر نفس الفترة لما حدث في مصر، أي من القرن السابع حتى السادس ق.م. والكاتب "سانشونياتون" anchuniaton الذي يزعم "فيلو" أنه اعتمد عليه وترجمه إلى اللغة اليونانية لا يمكننا وضعه في قرن أخر أفضل من القرن السادس ق.م. (١٠٠) أما مصدره الذائع الصيت "هيرومبالوس" Hierombalos المابع فقضل عصر نستطيع وضعه فيه هو العصر الذي يمتد من القرن التاسع حتى السابع ق.م. (١٠٠).

ولعله من الملاحظ أن طبيعة وتاريخ مصدرنا المزعوم "التأريخ اليهودى" (إذا كان ان نصك مثل هذا المصطلح) (٢٠) اللذين أوصيا بسفرى الملوك الأول والثانى يناظران بصورة وثيقة "التاريخ الفينيقى" وتقاليد قائمة الملوك المانيتونية (نسبة إلى مانيتون"). (وقد لا يكون ذلك ملصوطًا بما فيه الكفاية نظرًا لأن "يهودا" تقع داخل نطاق النفوذ الثقافي لمصر وشرق البحر المتوسط، وما كان في وسعها إلا أن تشارك في تبنى كل من الشكل والموضوع (=التيمة) والمعالجة للتقاليد الأدبية العامة للكل، ويبدو واضحًا من واقع الأدلة التوراتية الداخلية التي توصلنا إليها في وقت سابق، أن التزيخ، الذي يشبه تلك التأريخ التي عثرنا عليها في "فينيقيا"، كان قد بدأ في القرن "بوشيا"، وقد يعكس استمرار النشاط الأدبي الذي تقدم "التوراة" شواهد عليه تحت "بوشيا"، وقد يعكس استمرار النشاط الأدبي الذي تقدم "التوراة" شواهد عليه تحت حكم "حزقيا" (١٣٠). ففي المركز نجد قائمة ملوك كهيكل عظمي (= دون لحم أي دون تقاصيل. المترجم) بحتل فيها انحدار خط القرابة عن طريق الأم (=الحق الأموي) والتأريخ المتوطع مع إسرائيل مكانة بارزة، ثم أضيف اللحم إلى هذا الهيكل العظمي على هيئة ملاحظات تاريخية وقصص تعليمية. على أن الملاحظات التاريخية مستقاة على هيئة ملاحظات تاريخية وقصص تعليمية. على أن الملاحظات التاريخية مستقاة بشكل كامل مما كان معروضًا على الملا ومعروفًا على نطاق واسع في "أورشليم"،

ولا يتصل من قريب أو بعيد بحوليات البلاط أو دفاتر اليومية^(١٤). ولو كانت هذه الحوليات متاحة لكاتب التأريخ، لكنا قد وقعنا على رواية أكثر غني بلا حدود، وإن كانت مختلفة بصفة جوهرية عما في حوزتنا الآن. وعلاوة على ذلك، لو كان أي نوع من أنواع الموليات قد نجا من صروف الظروف من عصر أسليمان، لما كنا قد وجدنا أنفسنا وجهًا لوجه أمام تلك الكتلة من الهراء الذي لا يليق إلا بعقول الصبية، مما نقابله في سفر 'الملوك' الأول من الإصحاح الثالث حتى الثاني عشر. ولا تختلف تجربتنا مع "مانيتون" في هذا الصدد: كنا ننتظر تاريخًا يستند إلى حقائق صلبة من واقع الكتابات التي حملتها النصب التي لم تعد موجودة الأن، ولكن أمانيتون أراها رأى العين -ألم سكن قادرًا على قراءة الهيروغليفية ؟ - إلاّ أنه يلقى بنا باستمرار إلى الوراء في روايات الفولكلور الغربية، تلك التي يستلها من مكتبة معبده. ففي الحالتين نبالغ نحن المحدثين في تقييم كل من توافر. سجلات البلاط لـ مؤرخ مبكر بالنسبة للأول وبالنسبة للآخر احتفاله (= اهتمامه) بهذا النوع من التسجيل. فالتجميع المدرسي (= المنهجي) للأدلة كان أمراً غريبًا كل الغرابة بالنسبة له. ولم يكن للماضي من دور اللهم سبوي التركيز على مقولة أخلاقية بسيطة، والخرافات التي تحض على التقوى أهم بكثير من سجلات البلاط، تلك التي كانت غير متاحة وغير ذات صلة بالأمر في نفس الوقت.

مصر في ظل عاصمتها تانيس، شريك تجاري محتمل:

إذا كانت تأريخ "فينيقيا" قد خذلتنا في البحث عن سجل خاص للاتصالات مع مصر، فإن نتائج البحث الأثرى تساعدنا إلى حد محدود في ملء الصورة الثقافية.

لم تمل تقاليد المرزلة (المصرية) المجيدة، التي لم يحد عنها الملوك الليبيون دون مرور التجار من وإلى دلتا وادى النيل والساحل الفينيقى، واقد حافظ الملوك الليبيون هؤلاء على العلاقات الودودة مع "بيبلوس"، مع أن المبادرة في هذا الشئن ربما تكون قد جاءت من الجانب الفينيقي، إذ كشفت عمليات التنقيب التي جرت في ساحل "فينيقيا" عن تماثيل منذورة أو كسر تتعلق بذلك الأمر، مهداة من "شيشنق" الأول

و أوسمور كون الأول و أوسمور كون الثاني، وقد صحبت الهدايا التي أرسلها الملكان الأولان نصوص فينبقية تتحدث عن قبومها في الأصل من مصر ثم عن إهداء ملك "بيبلوس" لها إلى "بعل" بالأمسالة عن نفسه(١٥). ومع "صبيدا" (="صبيدون") تمتعت أيضًا الأسرة الثانية والعشرون بعلاقات طيبة، كما تشهد على ذلك الهدية المصنوعة من المرمر التي أهداها "أوسوركون" الثاني(٦٦) وقد تشيير هدايا من نفس المرمر وقد نقشت عليها أسماء "أوسوركون" الثاني، و'شيشنق" الثاني و'تاكيلوت" Takelot الثاني إلى جهود مماثلة قامت بها "صور" في سبيل تعميق العلاقة مع مصر(١٧). ومن المؤكد أن المصريين استمروا طوال العصر الحديدي يشترون الأخشاب من "صور"(١٨) أما الفينيقيون فكانوا قد استوعبوا لعدة قرون نطاقًا عريضًا من المفردات الثقافية والدينية من مصير، دون أن يخدش ذلك روحهم الخلاقة الأصبيلة، وعندما تفجر ازدهار جديد وانتقائى للفن الفينيقي في القرن الثامن ق.م.، لم يكن مستغربًا أن يستعير المجدون الفينيقيون، على نطاق واسع، من مصر سواء من ناحية الد موتيفات أو الأشكال المعمارية (٦٩). وفي الوقت نفسه الذي ظهر فيه هذا الفن الجديد - كانت التقاليد اليونانية لتترامن في وقت لاحق معه كمعاصرة لحكم "تاكيلوت" الثالث حوالي ٧٦٠ ق.م. ـ كانت حقبة التجارة الفينيقية والاستعمار الفينيقي قد بدأت في غرب البحر المتوسط.، وكان في قيعان سفن الفينيقيين أن شقت المفردات الفنية المسرية والمتمصرة طريقها إلى الجزر البعيدة وشبه الجزيرتين الإيطالية والأببيرية(٧٠).

إلاً أن توثيق التأثير المصرى على الملكتين العبرانيتين اللتين قامتا في العصر المديدي ينطوى على صعوبة أكبر، وربما أكثر مراوغة (انظر مناقشة أكثر استفاضة في الفصل الثالث عشر) فلقد كان الاتصال أقل مباشرة نظراً لأن الأراضى الواقعة بعيداً عن الساحل، وجدت أن الوصول إلى طريق البحر مستعص عليها، والدرب البري يصسعب عليها اجتيازه، والسبب في ذلك ليس راجعًا إلى الظروف المدحراوية وحسب، بل أيضاً إلى وقوعه تحت سيطرة أناس آخرين (= غير عبرانيين). ومع ذلك فهناك أدلة كافية على أن كلاً من "يهودا" و"إسرائيل" أقامتا اتصالات منتظمة مع مصر (قارن هوشع ٧: ١١، ١٢: ١ إلخ،) وبينما ظلت مصر بمثابة القوة الكبرى الوحيدة في المنطقة التي تستطيع المدن المشرقية الاعتماد عليها، إلا أن عيني المراقب

المصيف ما كانت اتخطئ ضعفها وانقسامها الكامنين. وأيست ملاحظة ركبها الشطط وضريًا من مبالغات الكتاب، تلك التى أملت على "إشعيا" أن يصف مصر فى الفصل (=الإصحاح) التاسع عشر من سفره كبلد يعمه الفوضى ويمزقه الانقسام. وأى شخص يسير فى أواسط القرن الثامن ق.م. من "يهودا" حتى الدلتا ويصعد جنوبًا مع نهر النيل كان ليقابل ما لا يقل عن سبع إقطاعيات Fiefs لكبار رؤساء قبائل الميشويش "Meshwesh، بالإضافة إلى مملكتين فى الوجه البحرى ومملكتين أخريين فى مصر الوسطى ثم ممتلكات معبد "آمون" الشاسعة فى زمام "طيبة". أما الملك "الشرعى"، ملك الأسرة الحادية والعشرين، فلا يسيطر بشكل مباشر إلاً على "تانيس" العاصمة وما حولها بالإضافة إلى "أتريب" و"منف": كان كافة الأعيان الأخرين دنيويين (علمانيين غير دينيين) وكانوا يعربون له عن ولاء شفوى ، إلا أنهم كانوا يديرون إقطاعياتهم بصورة مستقلة.

ولعله من الشيق أن نفحص معرفة العبرانيين بالدى المصرى، كما ينعكس فى أسماء الأماكن التى قامت عليها أدلة قوية فى الوثائق التوراتية التى تمتد من القرن الثامن حتى السادس ق.م. (باستثناء أسماء الأماكن فى رواية سفر "الخروج"، وهو الأمر الذى أدعو القارئ الكريم إلى متابعته خلال مناقشتى اللاحقة) والأماكن التى يرد ذكرها بصورة مستكررة أكشر مسن غييرها هى "زعران" (تانيس) و"منف" ذكرها بصورة مستكررة أكشر مسن غييرها هى "زعران" (تانيس) و"منف" بالمصرى القيديم: "المدينة" وكفى) التى ذكرت خسمس مرات ثم "مسجدول" أربع مرات (٢٧). وبعد ذلك تأتى "صايس" و"بوباسطة" و"بليزيوم" و"هيراكي وبوليس" مأسوان" حيث وردت كل منها مرة واحدة (٢٧). ومما له مغزي غياب كل من "بى سبدو": و"بير حضى المناع المنة حاليًا) و"بي - جرر" Pi-gerer و"سامبحدت" Pi-sapdu و"بير - خبى " Pi-gerer و"سامبحدت" الخيال و"بير - خبى أن أي المنائيل أو أحد أبناء "يهودا" يعتزم القيام برحلة سواء على مستوى الواقع أو الخيال إسرائيلي أو أحد أبناء "يهودا" يعتزم القيام برحلة سواء على مستوى الواقع أو الخيال المفكر في دخول مصر عن طريق الفرع الرئيسي النيل ("النهر العظيم") وبناء عليه فإن أبناء طوميلات"، أو عن طريق الفرع الرئيسي النيل ("النهر العظيم") وبناء عليه فإن أبناء السرائيل" و"يهودا" كانوا أكثر معرفة بموطن فراعنة الأسرة الثانية والعشرين العشرين والعشرين والعشرين والعشرين العضود قراعة الأسرة الثانية والعشرين

وبتدهورهم إلى دولة "رديف" هي "رع - نوف" Ra'-noufe (أي الطرف الأدنى للفرع البوباسطى بين "بوباسطة" و"صايل")، وهي الدولة التي حكمتها الأسرة الثالثة والعشرون (٢٥). وفي ظل هذه المعرفة السابقة لإسرائيل بإقليم "رع - نوف" في شمال شرق الدلتا يتعين علينا أن نرى الانتشار الكاسح للجعران المجنح في فنون النحت على الأحجار الكريمة التي نقلها الإسرائيليون (٢٦). إذ إن موطن عبادة وأسطورة هذا الجعران المجنح كانت متركزة في ذلك الربع الشمالي الشرقي من مصر السفلي (٧٧). وتقول تقاليد متأخرة إن "خبري" الجعران انبثق من جبين أوزيريس" كي يطير من أون "عبريس" عوريس" - وتول تقاليد متأخرة إن "خبري" الجعران انبثق من جبين أبوزيريس" كي يطير من أون "عبريش" ماليوبوليس Lord of Mesen تحديس" - "سيد مسين" مالذي يقيم في "صايل").

ألم الضعف السياسي بمصر، إلاَّ أنها ظلت، مم ذلك، مستودعًا ومصدرًا للثروة، وفي نفس الوقت ممر عبور إلى أصبقاع عديدة في أواسط أفريقيا. ولا يحتاج المرء إلى أكثر من مطالعة القائمة التي تشتمل على التركات التي أوصبي بها "أوسوركون" الأول للألهة (٧٩) أو التعديل الذي أدخله الأمير "أوسوركون" الابن على إيرادات "أمون" (٨٠) كي يقف على الحقيقة التبي تقول إن غياب الأعمال المعمارية على النطاق الإمبراطوري لا يتصل من قريب أو من بعيد بالثروة التي تحوزها البلاد. ومع أن شمال النوبة ظل، إلى حد كبير غير مأهول بالسكان^(٨١) والإمبراطورية الأفريقية بلغت نهايتها، إلاّ أن السلم القادمة من الجنوب استمرت تتقاطر، وإن كان على نطاق أضيق عبر النيل وخلال الواحات (٨٢). وفي الشمال يبدو مرجحًا أن يكون الملوك الليبيون قد رأوا في "الطريق البحري" Via Maris باعثًا على نفس القدر من القلق الذي رأه فيه أسلافهم من فراعنة المملكة الحديثة. ولكي يحافظوا على أمن التجارة التي كانت تمر عبر هذا الطريق القديم، كأن المصريون يرسلون هدايا دبلوماسية من المنتجات الأفريقية العجيبة إلى ملك "أشور"، (٨٣) كما أوفدت مصر في سبيل ذلك أيضنًا السفراء والكتاب إلى كل من "أشور" و"السامرة" والمدن الفلسطينية(^{AL)}. وقد رجب سكان غرب أسيا، من جانبهم، بالتجارة في المنتجات العجيبة الواردة من مصر ـ الذهب والضيول والكتان والقرود والأفيال والتماسيح(٥٠) ـ وفي المقابل أخذوا يرسلون إلى مصر السلع التي نعرف من تجربة مصر الإمبراطورية أنها كانت تسعى وراها: الزيت (هوشع ١٠: ١) والمرهم (تكوين ٢٧: ٥) والنبيذ والشبة والتوابل(٢٨). وليس أدل على مدى أهمية هذه العلاقات التجارية من استعارة الدولتين العبريتين، على وجه السرعة خلال العصر الحديدى لنظم الموازين والمكاييل والأرقام التى كانت مستخدمة في مصر(٨٨).

خطر آشور:

وصفنا في وقت سابق العداء القومي الطويل المدى، الذي ظل قائمًا بين المقاطعة "الأشورية" Assyria ألتي تمركزت حول مدينة "آشور" Ashur في أعالي وادى "دجلة" وبين الإمبراطورية الحيثية التي رأت مجال التوسع بالنسبة لها في اتجاه الشرق داخل سهول "ميزوبوتاميا" (= بلاد الرافدين) (انظر الفصل السادس). وبانتهاء خطر شعوب البحر إلى غير رجعة والزوال المفاجئ الهيمنة الحيثية في أسيا الصغرى، غدت هذه العوائق في ذمة الماضي، ولكن الوضع المضعضع في ذلك الوقت لـ "أشور" لم يسمع المشوريين باستغلال الفراغ في القوة الذي نجم عن ذلك. واستمر ذلك كذلك حتى تولى الحكم "تيلجات - بيليسير" Tilgath-pileser (١٠١٥-١٠٧٠ ق.م على وجه التقريب)، العاصر افرعون مصر "رعمسيس" السادس، وهنا انبثقت حكومة قوية إلى حد كاف في "أشور" كي تدرس مرة أخرى احتمالات الاندفاع في اتجاه الغرب(٨٨).

واكن مجموعة عرقية أخرى وقت ذاك، تعارض أيضًا 'أشور' بحكم وضعها الجيو - سياسى، كانت قد تبنت الهدف السابق للحيثيين، وأخذت تتحرك شرقًا باتجاه ميزويوتاميا (= بلاد الرافدين) ـ تلك كانت الآراميين. وهذه كانت قوة يأبه لها، شابة ومفعمة بالحيوية، وتحمل كل القدرات التي نعرفها عن أي دولة قبلية. ويخبرنا "تيلجات - بليسير" أنه اضطر إلى قيادة شماني عشرة حملة تأديبية ضد انتهاكات الآراميين، حتى فاض به الكيل في نهاية المطاف فاندفع غازيًا سوريا. فما كان من المدن الفينيقية التي ضربها الذهول "صيدا" و"بيبلوس" و"أرفاد" إلا أن لجأت إلى عادة قديمة قدم الزمان، "رشوة" القادم الجديد بالهدايا وتسهيل عمليات قطعه للأشجار في الجبال، بل واصطحابه في رحلة لصيد الأسماك في البحر المنوسط(٨٠). ولكن مأثر "تيلجات -

بيليسير أثبتت أنها سريعة الزوال. فلقد عجز خلفاؤه تمامًا، لمدة تصل إلى مائة وخمسين سنة، عن مقاومة الضغط الآرامي. ويحلول الربع الثالث من القرن العاشر ق.م. وفي نفس الوقت الذي كان أشيشنق ينصب نفسه على عرش مصر، كان الغزاة الآراميون قد وصلوا أدجلة (١٠٠).

إلاً أن الأراميين أنفسهم وجدوا من الصعب عليهم أن يحافظوا على قوتهم الدافعة (= زخم) وما إن حشد رأس دولة كفء القوة العسكرية المنظمة لـ "أشور"، حتى شرعوا في التقهقر. واثلاثة قرون بالتمام والكمال عقب وصول "أداد- نيراري" الثاني إلى الحكم كانت قصة "أشور" هي قصة التوسع شبه المستمر الذي لا يكاد يعرف انقطاعًا في الوقت الذي تحوّلت فيه "أشور" إلى "كرباج" العالم القديم (٩١١-١٧٣ق.م.) وقد امتدت إمبراطوريتها في أقصى مدى لها من شمال شرق أفريقيا إلى جبال القوقاز ومن البحر المتوسط حتى جبال إيران.

وفيما يتعلق بمصر وعملائها التجاريين وجيرانها في المشرق، فلقد جات لحظة الصدق خلال عهد "شالمانسير" إلى داخل شمال سوريا، مواصلاً بذلك الميزة التي فاز بها سلفه على الآراميين في "ميزبوتاميا" (= بلاد الرافدين) ودعم مركزه في مقاطعة "بيت الديني" Bit-Adini، ولكنه عندما اتجه جنوبًا كي يتقدم في أعالى "الماصي"، قوبل بمقاومة صلبة. وفي نهاية المطلف انتفض شمال سوريا بأسره إلى التحرك، وتوحدت اثنتي عشرة دولة مستقلة تحت قيادة "حداد - إيزير" حاكم "دمشق"، وكان من بينها كل من "حمات" Hamath، و"سيليسيا" و"أرفاد" و"إسرائيل" (يرد ذكر "أخاب" طماله) وموصري" و"عمون" وحتى قبيلة عربية. والتقي هذا الائتلاف الذي ضم نحو سبعين ألف رجل بالأشوريين عند "قرقر" " Qarqar على نهر "العناصي" في ٨٥٨ ق.م. وتقاتل رجل بالأشوريين عند "قرقر" " Carqar على نهر "العناصي" في ٨٥٨ ق.م. وتقاتل الجمعان حتى بلغت الأمور بينهما إلى حالة من الجمود. كما فشلت عمليات الهجوم المتكرر التي شنها "شالمانسير" خلال السنوات اللاحقة في كسر وحدة الجبهة الآرامية التي اصطفت ضده، ولم يستطع الأشوريون أن يشقوا لهم طريقًا في سوريا، إلا بعد أن أطاحت مؤامرة داخلية بـ "حداد - إيزير" من على عرش "دمشق" وأحلت محله أن أطاحت مؤامرة داخلية بـ "حداد - إيزير" من على عرش "دمشق" وأحلت محله "حمات" حمات" حمات "حمات" حمات "حمات "حمات الكري مثل "حمات"

ودمشق والسامرة استمرت تقاوم الهجوم الأشورى بدرجة معقولة من النجاح. واضطر أشالمانسير إلى أن يرضى بالهدايا الدبلوماسية المعتادة من مدن الساحل الفينيقى التى يشوب سلوكها الحذر(١١).

لعل العامل المثير للإهتمام في تحطيم هذا الائتلاف هو "موصري"، التي تعني ممبورة شبه مؤكدة "مصر" (^(٢٢) فالفرعون المصرى الذي ينتمي للأسرة الثانية والعشرين وهو معاصر، وإن كان أقدم معاصرة، لـ "شالمانسير" الثالث هو "أوسوركون" الثاني (٨٧٣-٨٤٤ ق.م.على وجه التقريب) ونصوص عديدة ترجع إلى حكمه أو حياته تكشف عن اهتمام بالغ بشئون أسيا. ويتسامل المره عما إذا كان هذا اللقب: "قاهر الأسيوبين" الذي حمله "أوسوركون" عند جلوسه على العرش يشى بخطط موضوعة سلفًا، (٩٢) وإذا كان هو المقصود بـ "أوسوركون - مي ـ أمون" في القرار الذي حمله الوحي ويحتفظ به المتحف البريطاني، لصالح أمير مولود، فإن نبوءة "أمون" هذه تكتسب معنى جديدًا: (أنا أمون سوف أجعل الفرعون مي أمون نجلي الطيب القلب يرسله (أي يرسل الأمير) على رأس جيش جرار واسوف يعود (أي الأمير) حاملاً الأخبار ... سيدة السحر (الحية المقدسة Uraeus) سيدة "بوبق" سوف يجرى تثبيتها على جبينه واسوف يقول له كل رئيس من رؤساء كل البلدان الأجنبية: "سوف... سوف!)^(١٤) ولقد كشفت عمليات التنقيب التي جرت في "السامرة" عن هدايا من المرمر بعث بها "أوسوركون" الثاني (إلى 'أخاب' Ahab على وجه التقريب)، وأحد السفراء (المصريين) ربما يكون قد تكرم بالسماح بحفر اسمه على أحد الأختام بالخط العبري^(٩٥). وقد يكون "أوسوركون" قد زها بنفسه لإسهامه في الائتلاف الذي حارب في "قرقر"، ولكن قواته الضئيلة التي لا تتجاوز ألف رجل لا تشير إلا إلى رمزية المشاركة، وربما إلى مراهنة على جانبي الصراع خشية تجرع كأس المسران مع هذا الجانب أو ذاك. فعندما اتضح خالال السنوات التي أعقبت تلك المعركة الكبرى أن "أشور" لم تخسر كما لم تكسب، ارتأى 'أوسوركون' أو خليفته أنه من باب الحصافة أن ينضم إلى الفينيقيين ويرسل الهدايا الدبلوماسية إلى العاصمة الآشورية، ولم يكد يمر جيلان ووجدنا مبعوثي مصير يقيمون في "أشور "(٩٩).

ودام نفس هذا النمط غير الحاسم من المواجهة بين القوة الأشورية التي اتخذت في وادى 'بجلة' قاعدتها وبين أراضي ساحل البحر المتوسط لما يزيد على مائة سنة بعد معركة "قرقر"، وكان "حراعيل" الذي قوِّض خلال الربع الأخير من القرن التاسم ق.م.، ورغم أنف الأشوريين، معظم الدول الواقعة بين "دمشق" حتى "غزة" لصبالح حكمه،(٢٧) قىد رحل عن دنيانا فى سنة ٨٠٠ ق.م. على وجه التقريب، بعد أن أورث ابنه أبر-حداد" Bar- Hadad الثالث (؟) بولة رفيعة الشأن في المشرق. ومع أن "بر-حداد" عاني قبل وفاته حوالي ٧٧٥ ق.م.، من تضعضم المناطق الضاضعة لسلطته نتيجة للتمرد الذي حرَّض عليه "يهوأش" ملك إسرائيل(٩٨). إلاّ أنه حافظ على قلب مقاطعته سليمة تحت إمرته. وقادت محاولة جديدة لتشكيل ائتلاف أخر من جانب "بر-حداد" إلى فرض الحصار على ملك "حمات" الذي راوده العزوف عن اتخاذ أي خطوة في عاصمته، وهو الحصيار الذي لم ينقذه منه، (فيما هو واضح) سوى تدخل جاء في حينه، قام به لصبالحية أداد سنيراري" ملك "أشبور" في سنة ٧٩٦ ق.م. بل وشن "أداد- نيراري" هجومًا على دمشق نفسها، إلا أنه لم يستطع الاستيلاء عليها، وقنع باستلام الهدايا المعهودة من كل من "صبور" و"صبيدا" و"إسرائيل" و"إيدوم" (= أدوم") بالإضافة إلى المدن الفلسطينية (٩٩). ومع ذلك لم تهدأ الهجمات الأشورية. والمصادر الأشورية تدرج في قوائمها ما لا يقل عن أربع غارات في بحر ثماني عشرة سنة انتهت في سنة ٥٧٥ق.م. ضد دمشق (۱۰۰). وكانت مصر التي كانت تعاني من الضعف الناجم عن الصراعات الداخلية غائبة من كل هذه السجلات.

شهدت سنة ٥٤٥ ق.م. إحدى أهم نقط التحول في تاريخ المنطقة، وهي الأهمية التي غالبًا ما تفوت على الشخص العادى والمتخصص على حد سواء. رحل "يربعام" الثاني قرب ذلك الوقت، وكان "تاكيلوت" الثالث قد جلس للتو على العرش في "بوياسطة" في مصر كشريك في الحكم، ولكن ما من حدث من هذين الحدثين التافهين هو الذي أعطى هذه السنة أهميتها بأي حال من الأحوال. فما كان يجرى في "أشور" في سنة ٥٤٧ق.م. بعث أهمية جديدة في تلك السنة أو الاثنى عشر شهرًا التي نستطيع أن نقارنها بتلك الأهمية التي انطوت عليها سنة ٨٦٥ ق.م. (التي شهدت سقوط أورشليم") أوسنة ٣٣٦ق.م. التي عبر فيها الإسكندر الأكبر مضيق "هياسبونت"

Helespont (هـو المضيق الذي عرف في وقت لاحق باسم "الدردنيل" وهو يربط بين بحر إيجة" اليوناني وبحر مرمرة التركي) أو سنة ٢١ ق.م. (التي انتصبر فيها أوكتافيان في معركة "أكتيوم"). ففي تلك السنة أي سنة ٥٤٥ أطاحت حرب أهلية نشبت في "أشور" بالعائلة المالكة ورفعت جنرالاً يدعى "بول": Pul، عرفه التاريخ باسم تجلات - بيليسير" Tiglath-pileser الشالث إلى عرش الإمبراطورية. ولكن هذا المغتصب للعرش أثبت أنه عبقرية تنظيمية وأستاذ من أساتذة الإستراتيجية، يجدر بنا أن نقارنه مع أهاني - بعل" أوسيبيو" Scipio (يعرف التاريخ أكثر من سيبيو" واحد أولهم الجنرال الروماني بوبليوس كورنيليوس سيبيو" الذي رحل في سنة ٢١١، وهو الجنرال الذي ذاع صيته بالانتصارات التي حققها ضد الجيش القرطاجني في إسبانيا خلال الحرب البونية الثانية من ٢١٨- ٢٠١، وهي الانتصارات التي عرقلت بشكل مؤقت غلال الحرب البونية الثانية من ٢١٨- ٢٠١، وهي الانتصارات التي عرقلت بشكل مؤقت محاولات قرطاجنة لغزو إيطاليا. وثانيهم "سيبيو" أفريكانوس الأصغر و"سيبيو" أفريكانوس الأكبر، ويبدو أن المقصود هو الأول بينهم. المترجم) فلقد استطاع، خلال الحملات التي لا تهدأ واللجوء، كيفما اتفق، إلى عمليات الترحيل الجماعي، أن يجهن الصفر و"سرائيل" ويحلول سنة ٢٧٢ق.م، بلغ به الأمر حد تهديد مصر(١٠٠١).

واجه "تيجلات - بيليسير" في البداية مناوئين عنيدبن إذ كانت دولة "أورارتو" Urartu ("أرارأت" في "التوراة") المحدثة النعمة قد توسيعت في شيمال سيوريا و"زاجروس" الشمالية، وبالتالي طوقت أعماق الأراضي الأشورية. وكانت "أرياد "موريا في شيمال سيوريا حليفًا له "أورارتو"، ولكن ما من دولة في أي مكان آخر في سيوريا شعرت بالاضطرار إلى تقديم أي هدايا. وكانت حركة "تيجلات - بيليسير" سريعة. ففي غضون سنتين لا غير من العملات البارعة أنزل هزيمة ساحقة به "أورارتو" وتوجه إلى سوريا في سنة ٧٤٧ كي يتلقى جزيتها (١٠٠١). وفي السنة التالية وسيم، بالقوة المسلمة، نطاق غزواته في شمال سوريا، ورحل حاكم الأعداء وفرض الحصار على "أرباد"، التي سقطت بعد ثلاث سنوات من الحصار (١٠٠١). وشهدت سنتا ٤٤٠ و٧٢٨ نهب وسلب "أولوبو" ullubu و كولانو" Kullanu في الشيمال، وصيار واضيعًا، أن "تيجلات - بيليسير" الثالث لم يهدف إلى ما هو أقل من استئصال جميع الدول في المشرق شرقي حدود مصر.

يستطيم المرء أن يتخيل الذعر الذي لابد وأن يكون قد استبدب دمشق " و السامرة عندما نظروا فرأوا تقدم القوة الأشورية التي لا تقالم باتجاه الجنوب، خصوصاً وأن الدولتين كانتا قد تضعضعتا إلى حد كبير على أيدى مغتصبي الحكم، وهما "رزين" Rezin في "دمشق" و"مناجم" في "السامرة" جزار بيت "يربعام" ("الملوك" الثاني ١٥: ١٤-١٦)، وكانت أول خطوة مفاجئة يقدمان عليها هي عرضهما تقديم جزية إلى "تيجلات - بيليسير" على سبيل الاستعطاف، وهو العرض الذي دخل حيز التنفيذ في سنة ٧٣٨ ق.م. على وجه الترجيح.(١٠٤) أكان من جراء ذلك أن تفجرت هبة ضد الآشوريين(؟) خطفت بالقوة ابن "مناهم"، الذي لم يعمس في الحكم طويلاً كي تحل محله "فقع" Pekah، "كتلة الجمر المتوهجة"، كما وصفه "إشعياء" ("إشعياء" ٧: ٤)؟(١٠٥٠) وعلى أي حال، حاول كل من "رزين" و"فقع" في سنة ٧٣٦ ق.م. على وجه التقريب أن يبعثًا الحياة مرة أخرى في تحالف قديم يجمعهما ضد الأشوريين. وفي نفس الوقت كان "هانو" Hanno تَعاكم "غزة" و"ميتيني" Mitini حاكم "عشقلون" و"حيرام" حاكم "صور" قد عقدوا العزم على تشكيل جبهة ضد "تيجلات - بيليسير"، ولم يشذ عن هذه المجموعة سوى "أحاز" Ahaz حاكم "يهودا"، وعندما أبدى عزوفه عن التعاون معهم، حاصرت القوات الدمشقية والإسرائيلية أورشليم بهدف الإطاحة بـ "أحاز" وإحلال "دمية" محله^(١٠٦) .

ومرة أخرى رد تيجلات - بيليسير بسرعة وتصميم أذهلا أعداءه. وانطلاقًا من إستراتيجية مهاجمة الأضعف، أى الحلفاء الساحليين، وزرع إسفين بين "إسرائيل" و"دمشق"، هبط على "فينيقيا" في ربيع سنة ٢٧٤ ق.م، كي يستولي على "سومور" و"أركا Arka و"بيبلوس"، ويجبر "صور" على دفع الجزية وتجرع المعاناة ترحيلاً جزئيًا لبعض سكانها(١٠٠٧). كما هاجم "أكشو" Accho وحواها إلى كومة من الرماد، وضم أراضي "نفتالي" Naphtali، واستطاع الأشوريون أن يزحفوا دون أدني مقاومة عبر فلاسطين أنها المصر، وهو الأمر الذي مكن "تيجلات - بيليسير" من دخول "غزة" هانو" فهرب إلى مصر، وهو الأمر الذي مكن "تيجلات - بيليسير" من دخول "غزة دون عائق. وأخذ ملك الآشوريين غنائم بما فيها مبلغ (وهو هزيل في حد ذاته) يقدر بما يصل إلى ثمانمائة "تالنت" talent (وحدة وزن ترجع إلى أصل بابلي شاعت في الشرق بما يصل إلى ثمانمائة "تالنت" talent (وحدة وزن ترجع إلى أمل بابلي شاعت في الشرق

الأوسط القديم وهي تساوي ٥ مطلاً على وجه التقريب. المترجم) من الفضة وفرض جزية بصفة سنوية، ونصب صادود/لوح نصر في معبد "غزة (١٠٠١). وبعد ذلك بسنتين، وفي أعقاب صراع مينوس منه، لم يظهر إلى النور عنه بعد أي سجل أثرى، سقطت دمشق ، ورُحل سكانها وقُتل "رزين" وضم الأشوريون بلاده كمقاطعة تابعة. أما إسرائيل فأقلتت بصورة مؤقتة من مصير مماثل نتيجة لاغتيال "فقح" في وقت مناسب واستسلام "هوشع" بشكل فورى، الذي اضطر، مع ذلك، إلى أن يشهد مكتوف اليدين ضم أراضي "إسرائيل" إلى "الجليل" و"الضفة الغربية"، وتقليص دولته إلى رقعة أكبر قليلاً من زمام "السامرة" (١٠٠٠).

لم تقتصر دلالة هذا النوسع الهائل الذي كسبته القوة الآشورية على المشرق، بل امتدت أيضاً إلى مصر. ففي سنة ٧٣٧ ق.م.، وعلى سبيل متابعة التدمير النهائي لم "دمشق" وقهر "إسرائيل"، قام "تيجلات - بيليسير" الثالث بتعيين شيخ إحدى القبائل العربية جنوبي "غزة في منصب الغرض خاص ad hoo وهو "خفير بوابة مصر" كنوع من حراس الزحوف العسكرية (١١١١)، وذلك لأن الآشوريين كانوا يتوقعون، على ما يبدو، انهيارًا وشيكًا لمصر. وبينما كان الأشوريون مشغولون في الفترة من ٧٣٧ حتى ٥٧٧ ق.م. بأماكن أخرى، إلا أن ذلك لم يكن سوى الهدوء الذي يسبق العاصفة. وقد يكون ق.م. بأماكن أخرى، إلا أن ذلك لم يكن سوى الهدوء الذي يسبق العاصفة. وقد يكون الأمر قد بدا للمراقبين على ضفاف النيل أن "أشور" رأت التوسع في أفريقيا "قدرها البديهي"،

كوش وآشور: نزاع حول مصر:

أصبحت مصر تشكل بحلول سنة ٧٣٥ ق.م. فراغًا سياسيًا. وفي تلك السنة احتفل "شيشنق" الرابع في "تانيس" بالعيد الثلاثيني (= الحب - سد) التقليدي (١١٢) غير واع، على ما يبدو، أو غير مكترث بالأحداث الخطيرة التي كانت على وشك الوقوع على بعد ٤٠٠ كيلو مترًا وحسب إلى شمال شرق مصر. أما بخصوص جاره "تاكيلوت" على بوباسطة" فلا نعلم عنه شيئًا في هذا الشأن، سوى أنه استمر يحاول قتل الثالث في "بوباسطة" فلا نعلم عنه شيئًا في هذا الشأن، السابة العنراء "شيبين"

وبت Shepenwepet في تلك السنة تحتل وظيفة المحبوبة المقدسة -Shepenwepet والزوجة الإلهية لـ آمون في طيبة ، وبالتالي تشغل منصب الحاكم الصوري للوجه القبلي، وفي أماكن أخرى كانت فسيفساء المشيخات والمالك التي تتكون منها الدلتا ومصر الوسطى قائمة، كما سبق لي أن وصفت قبل ذلك. والحقيقة أن حكام مصر في ذلك الوقت قدموا ، بكل تأكيد ، إلى العالم الخارجي جبهة ممزقة غاية التمزق ومضعضعة وتضن بالولاء للحكومة المركزية وتفتقر إلى قوة الإرادة (١١٣).

هناك قوة أخرى في وادى النيل، كانت بحلول سنة ٧٢٥ ق.م. قد كشفت عن قوة ووحدة وحمية أي ما كانت تفتقر إليه مصر. وكان العصر المظلم الذي غرقت فيه "كوش" عند نهاية المملكة الحديثة قد دام حوالي قرنين، وكان، على نحو ما سبق لنا أن أشربنا، قد أدى إلى قطيعة فعلية للإقليم الواقع جنوبي الشلال الثاني من مصد ذاتها (١١٤). وفي سنة ٨٦٠ ق.م. تركز الاهتمام على زمام "بنقلة" Dongola بعاصمتها الإقليمية القديمة 'نباتا' Napata حيث أخذت عبادة 'أمون' في الازدهار منذ مطلع الأسرة الشامنة عشرة، وذلك لأن في هذه الرقعة كان يقوم مركز أخذ في التشكل حول عائلة تضم زعماء كوشيين ذوى نفوذ. وبينما يلف الغموض أصولهم، إلاّ أنهم كانوا يرجعون إلى أرومة سودانية وقد يكونون قد تمتعوا بعرق زنجى في سلالتهم (م١١). وتشير عمليات الدفن مع رفع كومة بسيطة فوق المقبرة في القطاع الأقدم من الجبانة القبلية في "كوررو" Kurru إلى ثقافة محلية ضيقة، تختلف عن الثقافة التي هيمنت على المنطقة اعتبارًا من الألف الثالث. ولكن بعد سنة ٨٠٠ ق.م. تكشف الأدلة الأثرية الغنية عن أن هؤلاء الرؤساء كانوا قد شرعوا في توسيم نطاق إقليمهم، وأن يقعوا بصورة متزايدة تحت تأثيس (= إشعاع) الصفسارة المصرية، إذ بدأت تظهر المقابر -المساطب الربعة والمستوعة من الصحر في كوررو، كما أخنوا يقلُّون الشكل المصرى للملكية، وتبنى الرئيس "ألارا" Alara لقب "ملك"، بالإضبافة إلى نسق كتابي هدوغليفي تام الريش (= مكتمل النمو)(١١٦) ويرجع إلى تأثير الأطلال الرعمسيسية القديمة في النوبة، وعلى وجه الخصوص معبد "أمون" وعباداته، فضل إلإلهام الذي جعل "الارا" وخليفته يتبنيان هذه الثقافة القادمة من الشمال،(١١٧) إلاَّ أنها كانت فصيلة من الثقافة المصرية التي تعد عتيقة الطراز نوعًا ما ومفعمة بروح التقوي التي

تتسم بالمحافظة والوقار، وكان الالتزام بمثل تلك الأصولية الجادة المظهر، التي تبدو أقوى عند 'المهتدين الجدد' هو الذي عزز عند الكوشيين النفور من معاصريهم من الليبيين، حكام مصر الذين هبطت ـ ويا له من هول الأهوال! ـ أخلاقياتهم، ولم يحقلوا باحترام القوانين القديمة التي تفرض الامتناع عن مأكولات معينة، وكانوا يسلكون باستمرار بصورة تتسم بالندر والخداع،

وخلقت الحمية الدينية التي كشف عنها الملوك الكوشيون الجدد رابطة من المصلحة الذاتية المتبادلة مع 'طيبة' والمصريين الجنوبيين بصفة عامة. ولقد نذر "الارا" شعقي قاته لـ "أمون" أمالاً أن يقف الإله المعظم مع بيته، وقد قوبل شقيقه "كاشطا" Kashta الذي خلفه حوالي ٧٥٠ ق.م. بالترحاب من جانب سكان زمام "طيبة" وسمحوا له أن ينصب صواديد/ألواح. أما ابنه 'بي - عنضي' Pi-anhky الذي تولى الحكم بدوره بعد رحيل عمه "كاشطا" في سنة ٧٢٥ ق.م. فلقد أرسل أخته الصغرى آمون - يريديس إلى 'طيبة'، ولكن ليس لكي تعمل عمل الأميرات الأخريات المنذورة كمغنية أو كاهنة. إذ كان شقيقها قد عينها شريكة في الحكم Coregent مع "شيبين -وبت التي كانت تشغل وظيفة "المحبوبة المقدسة (١١٨). ولم تكن "شيبين - وبت" قد أقصيت من منصبها الملكي كما لم تكن قد عانت من تقلمي سلطانها، ولكنها اضبطرت إلى تبنى هذه الصبية الكوشية كـ "ابنتها" بكامل سمات الأبهة والرموز الملكية (١١١). ولم تهدف هذه الخطوة إلى مجرد وضع سابقة يجب أن يحذو حذوها كل الحكام اللاحقين الذين يرغبون في بسط سيطرتهم على "طيبة" طوال القرنين التاليين، لكنها ضمنت أيضنًا تأييد زمام 'طيبة' بأسره لـ 'بى- عنضى'، وعندما نقل حامية إلى داخل المدينة، (١٢٠) كانت حدود الأراضى التي يسيطر عليها "بي - عنخي" قد امتدت، حتمًا، حتے، "أسيوط".

وبناء عليه فالتقدم الذي يسترعي الانتباه للآشوريين نحو الدلتا في الفترة من سنة ٧٤٥ حتى ٧٢٧ ق.م. يجد له موازيًا غريبًا في الاندفاع الذي قامت به قوة لا تقاوم بنفس الدرجة في الاتجاه المضاد في أعالي النيل خلال نفس السنوات. وبينما يجب أن تظل نقطة مطروحة للنقاش، تلك التي تدور حول ما إذا كان تيجلات ـ بيليسير الثالث قد أضمر أي مخطط بعيد النظر بشأن مصر السفلي والوسطى، فإننا لا نستطيع

إذكار أن الكوشيين فعلوا ذلك. إذ بصفتهم عبادًا أتقياء له آمون ومشمولين برعايته، استشعر الحكام السودانيون أن رسالتهم تقضى عليهم بأن يصلوا شواطئ البحر المتوسط كي يبسطوا الإصلاح في مصر. والسؤال الذي يطل علينا الآن هو من من هاتين القوتين الجديدتين الكبريين هي التي ستقوز في هذا السباق الدائر حول مصر السفلي وهل ستظل مصر السفلي هذه تشكل فراغًا في القوة ؟

لم تكن مصر السفلى على استعداد للاستمرار في ارتداء مظهرها المعتاد كبيدق ساكن في خضم هذه اللعبة السياسية بين هاتين القوتين العظميين. فهذا الدور السلبي على المستوى السياسي والتجارى استبدله المصريون في الثلث الأخير من القرن الثامن بدور البطل الأول الذي يتميز بالنزعة الهجومية، إن لم نقل القتالية. وتشير المصادر الأشورية إلى أن العمليات التجارية بين مصر وفلاسطين وبين لبنان في سبيل جلب الأخشاب سببت قلقًا بدرجة كافية له تيجلات بيليسير الثالث كي يفرض حظرًا سافرًا من جانب السلطات الأسورية (۱۲۱). ومن الشائق أن قوائم البحرية thalassocracy تساموس Psammous أبساموس المسائق أن قوائم من الأسرة الثالثة والعشرين صورة لنهضة مصرية في مجال التجارة البحرية، (۲۲۱) وبينما تعد هذه القوائم متذبذبة في قيمتها التاريخية، إلا أنها تحتفظ في غالب الأحيان بنواة فريدة من الحقيقة (۲۲۲). ومن الراجح أن الازدهار التجاري الذي تجمعت خيوطه على الساحل الفلاسطيني الجنوبي من وأدى النيل وجنوب بلاد العرب هو الذي دفع تيجلات بيليسير الثالث إلى تحويل غزة إلى "بيت - كارى" hāt kân، وفي وقت لاحق دفعت "سرجون" الثاني إلى أن يشجع بصورة نشطة نشوء تجارة مباشرة بين مصر وأشور" على الحدود المرية المارية المارة بين مصر وأشور" على الحدود المرية (۱۲۲).

يخطئ المرء إن لم يرصد وراء هذا الابتعاث لاهتمام مصر بالشمال، تلك الحيوية التى صاحبت التوسع الذى قامت به مملكة غرب الدلتا تحت قيادة مدينة "صايس" (١٢٥) فقرب نهاية حكم "شيشنق" الثالث، في الربع الثاني من القرن الثامن، وقعت "صايس" داخل زمام مشيخة "اللابو"، وهي واحد من الجيوب الأجنبية التي نستطيع أن نتتبع وجودها إلى الوراء في مصر حتى الألف الثاني الذي كان قد دخل مرحلة الغروب، وقبيل رحيل "شيشنق" الرابع، بعد أن استمر في الحكم أربعة عقود (=أربعين سنة)،

كان أحد رؤساء "اللابو" ويدعى تفناختى "Tefnakhte" تقوم شواهد على وجوده فى مايس ويمتد سلطانه إلى "صايس" وخويتى "Xoite بالإضافة إلى مديريات غرب الداتا (٢٢١). وبمطلع الفترة التى يغطيها صادود/لوح "بى ـ عنضى '(٢٢١) كان قد نجح فى تقويض أركان الدلتا بأسرها، وضمان خضوع الوادى موغلاً فى الجنوب حتى "هيرموبوليس" (=الأشمونين حاليًا)، ولكن الأمر لم يخلُ من معارضة عنيدة من بعض القطاعات. ومع أن "بى ـ عنضى يزعم أنه هزم "تفناختى" هزيمة مريرة، إلا أنه لمما بنطوى على مغزى أنه لم يتحرك بجيشه أبعد من "منف" كما رضى بالخضوع الرمزى الذى أبدته الدلتا، وكانت صايس" أقوى كثيرًا بكل وضوح مما يريد لنا "بى ـ عنضى" أن نعتقد وظل "تفناختى" مستقلاً إلى حد يكفى لنقل منصبه إلى ابنه "بوكشوريس" أن نعتقد وظل "تفناختى" مستقلاً إلى حد يكفى لنقل منصبه إلى ابنه "بوكشوريس" والعشرين "الخاصة بالأسرة السادسة والعشرين (٢٨٠).

تضع السيادة، التى بلغتها "صايس" فى تاريخ مصر من نهاية الأسرة الثانية والعشرين حتى بدايات الأسرة الخامسة والعشرين فى سنة ٧١١ ق.م. عندما وقع "بوكشوريس" فى الأسر وضرب عنقه (١٢١)، ظلاً مختلفًا على السياسة الدولية المشرق. فبدلاً من الشخصية التافهة التى احتلت عرش "تانيس"، صعد إلى سدة الحكم الآن ملك مفعم بالنشاط وعازم على التصدى لقوات أكثر تفوقًا من قواته وقادر على محاربتها حتى يصل بالحرب معها إلى حالة من الجمود. ولو لم يمد "موشع" الذى تاق إلى كسب التأييد لمسعاه فى الاستقلال، يده إلى "تف - ناختى" الجالس فى عرش "صايس"، فلسوف يكون من المحير أن نتصور إلى من كان ليتجه (١٣٠). وفى رأيى أن هذا الاعتبار يوفر، احتمالاً قويًا، وفقًا لما تحت أيدينا من أدلة ظاهرة، للاقتراح الذى طرحه "جودكة Goedicke قبل عشرين سنة بأنه يتعين علينا أن نفسر "سو" (العبرية) في سفر "الملوك" الثاني ٧١: ٤ بأنها ترجمة له "صايس" (١٣١) أو اسم 'نسبة" مشتق من السم المكان: "صايس" (١٣١) وعلى نفس المنوال في سنة ٧١٠ ق.م. عندما حصل "هانو" من المتصور أن أي شخص أخر سوى ملك "صايس" كان في طوعه أن يعطي أملاً من المتصور أن أي شخص أخر سوى ملك "صايس" كان في طوعه أن يعطي أملاً وأرعياً بتقديم دعم مؤثر. حقًا كان "أوسوركون" الرابع حاكم كل من "بوباسطة" و"رع-

نوف أقرب من الناحية الجغرافية إلى الحدود الفلسطينية، واكن صادود/لوح "بى - عنخى" يصوره كشخص سهل الانقياد خائر العزيمة يقف إلى جانب أى قوات محاربة يلوح لها النصر فى الأفق. ولا يخلو من مغزى ألا يكون ظهوره فى المصادر الأشورية إلا حاملاً طيعًا للجزية (١٣٤). وخلال هذا قد تكون أكتاف مبعوثيه قد سارت كتفًا إلى كتف مع مبعوثي "يهودا" و"فلاسطين" و"الضفة الغربية (١٣٥).

هناك شطفتان من قرينة، في حورتنا تؤيدان في حقيقة الأمر أن تفناختي هو الذي شغل نفسه، ردًا على تلك المناشدات التي صدرت عن كل من إسرائيل و غزة ، بالتدخل المسلح في الشئون الأسيوية. تتمثل الشطفة الأولى في رواية متأخرة يوردها كل من "ديودور الصقلي" و بلوتارخ ((۱۳۱) : "نفدت مؤن تفناشتون"، والد "بوكشوريس" Bocchoris الحكيم خلال حملته في بلاد العرب نظرًا لطبيعة البلاد الصحراوية الوعرة... واضطر إلى أن يمضى دون طعام ليوم كامل، ثم عاش على زاد بسيط في منزل أحد أبناء القبائل العادية." وتمضى الرواية بنغمة "هيلينية" نوعًا ما، كي تصف البهجة التي صادفها "تفناشتون" في تلك الحياة البدوية الخشنة، التي تتناقض مع الحياة الحضرية المتقدمة التي اعتاد عليها، وختم بتفجير مقولة أخلاقية ضد حياة الرفاهية، وهذه قصة ربما تكون قد اشتقت من ذاكرة حية الحملة التي قادها "تفناختي" عرر شبه جزيرة سيناء عصحراء وعرة .. كي يقدم العون له "هانو" حاكم "غزة".

وبتمثل الشطفة الثانية من القريئة في نتيجة مستقاة من الجداريات التي تحملها الحجرة الخامسة في "خورسوباد" Khorsobad (۱۲۷). فالأزياء والعتاد الحربي وقسمات وجه بعض المحاربين، المرسومة هنا في المعارك وعمليات الحصار التي ترتبط ب إكرون " Ekron وجيبيتون " Gibbethan تشير، فيما يبدو، إلى وادى النيل. وإذا كان الصواب قد حالف "ريد" Reade في تحديد تاريخ هذه الجداريات بحملة فلسطين في سنة ٧٢٠ ق.م.، (١٢٨) صار ازامًا علينا، بالتالي أن نستنتج أن المصربين كانوا قد استجابوا بالفعل قبل معركة "رفع" Raphia المناشدة التي رفعتها إليهم فالاسطين، وأرسلت قوات معاونة إلى مدن الساحل الفلاسطيني. إلا أن الملامح الزنجية ابعض الرجوء المرسومة في هذه الجداريات (١٢١) تواجهنا بمشكلة، ذلك لأن العناصر السودانية في قوات وادى النيل لا ينبغي أن ننتظر منها وجودًا قبل سنة ٧١١ ق.م.

وإذا كنا قد تعرفنا، بمدورة صحيحة على النوع العرقى، فلقد تعين علينا إما أن نعيد تتريخ (= تأريخ) الجداريات فى الحجرة الخامسة إلى وقت متأخر فى الحكم، أو نفترض أن الفنان/النحات أدخل تفاصيل مبنية على مفارقة تاريخية فى تصويره لحادثة وقعت فى وقت أقدم كثيرًا(١٤٠).

حالف النصر الأولى "كوش". ولابد أن القلق أخذ يستبد بصفة متزايدة بـ 'بى -عنخي في السنوات التي أعقبت سنة ٧٢٠ ق.م. أي عندما بدأت الدلتا والوادي تصطف وراء "تفناختي"، (مع أن الدعايات الرسمية كانت تضفى عليه لامبالاة ساحرة خلال هذه الفترة) وفي نهاية المطاف وبعد أن ضرب أتباع تفناختي الحصيار على "هيراكليوپوليس" قام "بي - عنخي" بإرسال قوة عسكرية، وفي الوقت الذي فر فيه "تفناختي" إلى أمان نسبي في زمام "صايس"، كان التحالف الذي شكله قد انهار، وأحبطت محاولته في سبيل توحيد مصر (حوالي ٧١٧-٧١٦ق.م)(١٤١) إلا أن "بي ـ عنخى" لم يبذل جهدًا جديًا في سبيل تقويض النظام الحاكم في الدلتا، ولم يفعل سوى أن استبدل الإدارات المحلية بحكام تابعين له، أما الحكام بالوراثة في كل من "بوياسطة" و"صايس" ("أوسوركون" الرابع و"بوكشوريس"، بن "تفناختي" بالتوالي) فترك لهما الحبل على الغارب كي ينشغلا بالمكائد الأسيوية أو يرسلا جزيتهما إلى "أشور". وعندما هبطت في ربيع سنة ٧١٢ ق.م. قوات التأديب الأشورية على "أشدود" في الساحل الفلاسطيني، بدا الأمر وكنان مصدر هي الأخرى (التي كانت 'أشدود' قد تأمرت معها) مرشحة للغزو. ولقد دفع رحيل "بي - عنضي" قرب ذلك الوقت وصعود شقيقه الأصغر "شاباكا" Shabaka بروح جديدة من الحماس إلى النظام، وفي أواخر سنة ٧١٢ (أو في يناير/طوبة ٧١١ ق.م.) غزت كوش مصر. وسرعان ما سقطت "منف" بسبهولة ووقع "بوكشوريس" في الأسر وضرب عنقه. وبسط السودانيون حكمهم على مصر بأسرها العليا والسفلم (١٤٢).

مصر والعرب:

منذ التحركات التي قام بها كل من "تيجلات - بيليسير" الثالث و"سرجون" الثاني في جنوب غربي بلادهما، أخذ يتضع أن "فلسطين" و"سيناء" مقدرٌ لهما أن تشهدا المواجهة بين مصر و آشور ". واقد وقع على كاهل عنصر عرقى معين أن يلعب دوراً مهماً كوسيط هنا وهو جيب العرب (١٤٢١). وكانت مصر قد ظلت تحافظ على استمرار علاقة تفى بالغرض مع القبائل الأقدم من سكان "عربة" Arabah حتى نهاية الألف الثانى، ليس بهدف تشغيل مناجم المواد الفام فى مناطقهم وحسب ولكن أيضاً كى تسيطر على تجارة البخور (١٤٤١). وفي أعقاب تدهور وانسحاب الإمبراطورية المصرية، تقوم بعض الأدلة التي ترجع إلى العصر الصديدى الأول على رخاء مطرد بين قبائل "النقب"، في ظل مسعاها لاستغلال دروب التجارة المحلية. كما تقوم أدلة أيضاً على عملية استقرار مطردة تتركز حول موقع "تل ماسوس" Masos الواسع والغنى بموارده، وهي العملية التي قد تعكس المشيخة التي غدت تعرف في التاريخ تحت هذا الاسم عامد والمناب و كتبة التوراة": عماليق". المترجم) (١٤٥٠).

إلاً أن المنطقة بأسرها وقعت بعد ذلك تحت سيطرة المقاطعات الأسيوية التوابع، الأمر الذى أسفر عن قصم الرابطة المصرية - العربية (131) والسؤال الذى يدور حول التاريخ المحدد الذى بدأ فيه عدد ملحوظ من رجال القبائل العربية تسللها فى اتجاه الغرب عبر "النقب" إلى داخل "سيناء" سؤال مفتوح للنقاش. ولعلنا نرتكب خطأ فادحاً إذا أخذنا الأقوال التى وردت فى مثل تلك المصادر المتأخرة التى لا يجوز الركون إليها كتاريخ عند قيمته الاسعية (121). ومع ذلك ففى النصف الأول من القرن الثامن، يبدو أن الوحدة Dzziah الخاصة به "يهودا" تحت ظل "عزيا" العربية إلى إعادة تأكيد "يهودا" اسيطرتها على "عربة" و إيدوم (= أدوم) وعصيون - جابر "مادي القلاسطينين (121). وعشية صعود "تيجلات - بيليسير" الثالث إلى سدة في أيدى الفلاسطينيون والمعينيون، الذين يشكلون قبيلة عربية ترتاد شمال الحكم، كان الفلسطينيون والمعينيون، الذين يشكلون قبيلة عربية ترتاد شمال ولما له مغزى أن "تيجلات - بيليسير" عندما وجه ضرباته فى الجنوب، لم يصادف فى والسهل الساحلى و"غزة" والدرب الذى يعر بسيناء إلى أعماق مصر (101). ويشيو والسهل الساحلى و"غزة" والدرب الذى يعر بسيناء إلى أعماق مصر (101). ويشير

نصب صادود/لوح في "غزة وعند مستنقعات مصر وهزيمة المعينيين وتكبيدهم خسائر في الأرواح تصل لتسعة ألاف وأربعمائة شخص ما بين قتيل وجريح، (١٥٢) إلى الأهمية التي علقها ملك "أشور" على السهل الساحلي والدروب التي تمر خلاله.

قام كل من "تيجلات- ببلسير" الثالث و"سرجون" الثانى بتعيين شيوخ محليين كامراء زحف مع تعليمات بمراقبة شاملة للمداخل السينائية إلى الدلتا(١٥٢). وفي ضوء معاملة المصريين التقليدية لبدو هذه المنطقة كا فصيلة دنيا تجهل كل قانون معروف"، كانت هذه السياسة مستنيرة على أقل تقدير، وربما إلى هذه الفترة يرجع تاريخ نزوع العرب نصو تأييد دول غرب آسيا في مواجهتها مع مصر. حقًا شرد السيميونيون "Simeonites" (= الكيمزيون) بصفة جزئية "المعينيين" Me'ites تحت ظل حاكمهم حرقيا " Hezekiah من زمام "غزة" الكبرى، (١٥١) ولكن بحلول عهد الغزو الذي حاكمهم "حرقيا" Esarhaddon كان أبناء القبائل العربية التي ترتاد شمال سيناء قام به "إزارهادون" Esarhaddon كان أبناء القبائل العربية التي ترتاد شمال سيناء كامنين مستكينين بشكل تام وبأعداد غفيرة إلى الحد الذي كان فيه دعمهم للآشوريين حاسمًا في إحراز النصر.

شخيحة هي الأدلة التي وصلت إلى أيدينا من مصر بشأن العلاقات بين هؤلاء العرب القدماء وبين الإدارة الفرعونية. ولا يزال مطروحًا للنقاش ذلك السؤال الذي يدور حول ما إذا كنا نستطيع فهم اسم أهل الرمل: حريو- شاع الذي عثرنا عليه على جعران له أشاباكا على أنه يشير إلى بدو سيناء، مع أن ذلك يبدو مقبولاً من الناحية الظاهرية (١٠٥٠). على أن تعبير منتيوأسيا الذي وجدناه في نصوص طاهركا التي ترجع إلى تكاوا لهده لاهسم يعد كذلك تعبيراً قديمًا بالمثل يمكن أن يسير على الفلاسطينيين و اليهود (= أبناء مملكة يهودا القديمة) بل والاشدوريين أنفسهم (١٥٠١). وعلى وجه الإجمال لم تكشف مصر خلال هذه الفترة رهن الحديث إلا عن قدرة محدودة السيطرة على سيناء، كما لم تكشف أيضًا عن أي رغبة واسعة في التسامح مع تسلل مجموعات البدو الرحل إلى داخل الدلتا. وخلال النصف الأول من الألف الأول كانت هناك مجموعات أسيوية مقيمة بمصر أقل بكثير عما كان عليه المال في الملكة الحديثة الحديثة (١٥٠١). وتضافر عزوف المصريين عن فرض سيطرتهم على المداخل في الملكة الحديثة (١٥٠١). وتضافر عزوف المصريين عن فرض سيطرتهم على المداخل في الملكة الحديثة (١٥٠١). وتضافر عزوف المصريين عن فرض سيطرتهم على المداخل التسي تؤدي إلى شرق الدلتا، على نحو ما كان عليه الحال قديمًا، مع الضغط الذي التسي تؤدي إلى شرق الدلتا، على نحو ما كان عليه الحال قديمًا، مع الضغط الذي

لا يكل ولا يمل للعرب في اتجاه الغرب إلى وجود دائم لمجموعات ديدانية Dedanite في "وادى طوميلات" اعتبارًا من حوالي ٥٠٠ ق.م. فصاعدًا (١٥٨).

وخلال هذا القرن والربع قرن الذي انقضى ما بين غزو "شاباكا" لمصر في يناير/طوبة ٧١١ (لوحة رقم ٣٢) وسقوط "أورشليم" في سنة ٨٦٦، يستطيع المرء أن يستشعر تجديدًا للاهتمام القديم قدم الزمان بالسيطرة على الطريق البحرى Via Maris وبضمان أن تكون الحكومات في الساحل المشرقي على علاقة وبودة مع مصر، في الوقت الذي كان يجرى فيه تجاهل إلى حد كبير لاحتياجات البول الواقعة في قلب البلاد (=البعيدة عن الساحل). ولا نستطيع أن نؤكد أن التجارة كانت تشكل أولوية بالنسبة للفراعنة السودانيين. إلا أن الثابث أن غزة "وعشقلون" كانتا في ذلك الوقت قد أصبحتا مستفيدتين من تجارة ناشئة تمر من جنوب جزيرة العرب عبر "النقب" و عربة Arabah (١٥٠). ولكن كثيرًا من العطور والمنتجات المدارية التي كانت تعبر هذا الدرب كانت متوافرة للأسرة الخامسة والعشرين (=السودانية) في موطنها في أقصى الجنوب على ضغاف النيل.

آشور على ضفاف النيل:

اندفعت الأسرة الضامسة والعشرون إلى المسرح الفلسطيني، وكانت في ذلك تواصل سياسة صايس وإن كانت هذه المرة بفاعلية أكبر وعدوانية لابد وأن تكون قد أذهلت معاصريها، خصوصًا وأن الموقف الأولى الذي أفصح عنه الكوشيون غداة غزوهم لمصر أشار إلى أن الأفق بات يشى ببشائر تقارب بينهم وبين "أشور" في المستقبل القريب (١٦٠). ولقد بدأ "شاباكا"، "ملك مصر وكوش، الذي زين تاجه بحية مزدوجة كرمز لهذه الحقيقة إنفاذ برنامج إعادة تشييد أسوار أحواش لكافة المعابد في مصر العليا والسفلي على حد سواء (١٦١). وعندما أخذ "حزقيا" حاكم "يهودا" المبادرة في سنة ٤٠٧-٣ على وجه الترجيح (بتحريض من بابل؟) في تنظيم المدن الفينيقية والفلاسطينية ضد "أشور"، فإننا نرجح أنه وجد عند مصر استعدادًا لتأييده (١٦٢).

أيكرون "الفلاسطينية"، صعدت الدعوة إلى "ملوك مصر والقواسين والعجلات الحربية وفرسان 'كوش' - جيش تفوق أعداده الصصر" (١٩٢١). وتنتصر السهولة والسرعة اللتان قاد خلالهما "شاباكا" قوة عسكرية ضخمة إلى سهول 'إلتيكيه' Eltekeh كي تشتبك مع الأشوريين في سنة ٧٠١ ق.م. لصالح احتمال وجود جيش ضخم عامل يقف مستعدًا في الدلتا لمثل هذا الهدف على وجه التحديد، بالإضافة إلى وجود قواعد معينة في شمال سيناء وسهل فلسطين. وحتى مع أن مصادرنا عن معركة 'إلتيكيه' لا تزال مقصورة على السجلات الأشورية - أما المعطيات المصرية من جداريات ونصوص مكتوبة فتلجأ إلى صور مقولبة يتعذر أن تنطبق بشكل محدد على أشياء أو أماكن أو أشخاص معينين -(١٦٠)، فلا شك هناك في أن هذه المعركة كانت نكسة خطيرة وغير منتظرة القوات الأشورية، فضيلاً عن أنها أسهمت بصورة ملصوظة في انسحاب سيناكريب' بشكل دائم من المشرق (١٦٥).

رحل "شاباكا" في مطلع سنة ٢٩٧ ق.م، وخلف على العرش ابن أخسيه "شيبتكو" Shebitku بن بي عنخي". وفي خريف سنة ٢٩٧ ق.م، تلقى التتويج في "طيبة"، وهو أول ملك كوشي نعرف أنه فعل ذلك، (٢٦١) واستلهم من الألقاب التي حملها الفاتح الأكبر فرعون مصر "تحوت – موسى" الثالث، جزءًا من ألقابه بصورة تنم عن التقوى والورع (٢٧١). ولقد تعرض "شيبتكو" لعملية سحر (بفتح السين وتسكين الحاء) عجيبة في التقاليد اللاحقة، إذ بينما نسيته أو كلدت قائمة ملوك وادى النيل، كان له أن يحيا في الذاكرة العبرية، ولكن بعد أن توهم العبرانيون أن اسمه هو اسم قبيلة كوشية (٢٨١). وترسم ألقابه المستعارة الإطار العريض لسياسته تجاه الشمال: "باحترام كبير يحظى في كافة البلدان، قوى الذراع الذي قهر الأقواس التسعة، وضمن النصر "لامناً ويظهر "شيبتكو" على واجهة المعبد الصغير المنفود لـ "أوزير" سيد الأبدية، النصر أعاد تجديده وقام بتوسيعه في الكرنك، وهو يتلقى السيف من "أمون"، ويشرح هذا المنظر الوعود المرتقبة وعبارات الفخر بالنصر في كافة الأرجاء الاجنبية (٢٠٠١).

وبدأ الحاكم التالى "طاهركا" بداية مبشرة في وقت ما في سنة ٦٩٠ ق.م. فلقد التقويج في "منف" في سنته الأولى، ثم أعقب ذلك تجل رسمي في معبد "آمون" في "طيبة" في السنة الثالثة (٦٨٨ ق.م.) وفي السنة السادسة أي في ٦٨٥ ق.م. جاء النيل

بفيضان عال بشكل خاص(١٧١). ومنذ ذلك المين شرع "طاهركا" يأخذ زمام المبادرة في تعاملاته مم دول فلسطين(١٧٢). وفي قوائم الجرد التي ترجع إلى معبد "كاوا" في النوبة، تشير السجلات إلى العطايا التي قدمها "طاهركا" إلى هذا المعبد المحلى بصفة منتظمة إعتبارًا من سنته الثانية حتى العاشرة بون استثناء سنة واحدة(١٧٣). وظلت العطايا تشتمل حتى سنته الثامنة على أوانٍ من الذهب والفضة والبرونز، بالإضافة إلى الأقمشة والمواد العطرية وأدوات العبادات، ولكن هذه العطايا لم تضم شيئًا مما يمكن أن نعتبره جزية أو غنيمة من غنائم الحروب الأجنبية. ثم في السنة الثامنة بالذات تضم القائمة "تمثالاً من البرونز الملك وهو يقمع البلدان الأجنبية (١١١,١5) "و"كل نوع من أنواع الأخشاب بما في ذلك السنط والأرز ووالبرسي، persea (الا ااا) وأبناء رؤساء "التيحينو" (≈الليبيين) (22 ١١١) وفي الجزء السردي الملحق بالسنة العاشرة يذكر "شجر الأرز والعرعر والسنط (الا 14)... أرز حقيقي ... والبرونز الأسيوى (١٤,١٥) والبستانيين الماذقين من بلاد منتيو بأسيا (٧١،20-١٧١) وفي منابود/أوح (4-١١،٦٠) يقول سبجل ورد منقوشنًا عليه: 'أمر جلالته بإرسال الأرز الحقيقي القادم من لبنان إلى الجنوب" ويتحدث حاكم "طيبة" من قبل "طاهركا" وهو يدعى "مونتو. إم - حات المثل عن الأرز المقيقي القادم من أفضل مدرجات سفوح الجيال (جبال لبنان) التي دأب المرف على أن يشيد منها المركب المقدس، ومن "البروبنز الأسيوى" الذي يستخدم في صناعة مستلزمات العبادة(١٧٤). وفي ضوء هذه الفقرات يكون من الأرجع أن فورة من النشاط العسكري قد سيطرت على "طاهركا" في أعقاب سنة ٦٨٤ ق.م. مباشرة، وقد نفترض أن توجيه حملة ذات طابع تأديبي ضد قبيلة ليبية ما، كانت قد اعتادت بث الفوضي في الحدود الغربية للدلتا في تلك السنة، أعقبه إرسال تجريدة أكثر طموحًا في أسبيا خيلال سنتي ٦٨٣-٦٨٣ ق.م. وريما يكون هذا التوغل الأخبير في المجال الأسبوي هو المناسبة التي تقف وراء إقامة تمثال للفرعون، نحتت عليه قائمة بأسماء الإمارات الأجنبية التي غزاها (١٧٥)، وكان هذا النوع الأدبي (genre) من النصوص قد أصبح شانعًا خلال المملكة الحديثة، ولكن حتى النماذج الأكثر تفصيلاً كانت تضحى في الغالب بالدقة في سبيل تمجيد شخص الفرعون. إذ تعد قوائم "طاهركا"، ببساطة، إعادة إنتاج، على نحو يفتقر إلى الخيال، لأفضل الأماكن المعروفة التي قد نصادفها في

أى قائمة من الملكة الحديثة، ومع ذلك فالحقيقة التي تقول إنه استخدم هذا النوع الأدبى ـ وهو أول من يقدم على ذلك منذ "شيشنق" الأول قبل ذلك بما يصل إلى مائتين وخمسين سنة ـ تكشف أن "طاهركا"، مثل سابقين أخرين، كان يتطلع إلى الوراء إلى عصر الإمبراطورية.

وخلاصة القول: هناك قرائن ذات وزن معقول على وجود متزايد القوات المصرية في المشرق خلال العقدين اللذين يبدأن من سنة ٧١٠ حتى ٢٩٠ ق.م. وبعدئذ من سنة ١٨٥–١٨٦ و٢٨٢–١٨٦ تشير كل المؤشرات إلى أن الصملات الرسمية التي شنها المصريون توغلت حتى وصلت إلى الساحل الفينيقي شمالاً. وفي ضوء هذه الأدلة المصرية تكتسب العلاقات الودية بين "طاهركا" وبين كل من "بعلو" الاه المالم عصور" و"عبدي – ملكوت" حاكم "صيدا" معنى جديدًا (١٧١). وأقد اقترح البعض اقتراحًا مقبولاً ظاهريًا بأن "طاهركا" حول جانبًا من التجارة الجنوبية التي تخضع اسيطرته ألى "صور" ،(١٧٧) ويتساعل المرء عما إذا كان الملوك الاثنان والعشرون الذين جلسوا في عرش "خاتي" الذين عدمم "إزارهابون" Esarhaddon في وقت لاحق بصوت خاضعين تمامًا الشخصه، كانوا يشكلون في الأصل تحالفًا هشًا تنظمه وتقوده "صور" بتحريض من "طاهركا" ويبدو من الأرجح أن "عشقلون" على الأقل من بين المدن بتحريض من "طاهركا" (١٧٨) ويبدو من الأرجح أن "عشقلون" على الأقل من بين المدن الفلاسطينية انحازت بشكل سافر إلى جانب مصر، إذا جاز انا أن نستند في حكمنا هنا إلى التلميحات التي وردت في المصادر الأشورية عن غزو سنة ٢٧١ ق.م. (١٧١٠).

بينما قاد اهتمام مصر، مثلما كان عليه الحال منذ القدم، إلى تركيز معظم جهودها على السهل الساحلى، إلا أن هناك أدلة كافية على أن القرنين الثامن والسابع تميزا بتوطيد العلاقات التجارية والسياسية بين مصر ويهودا (١٨٠٠) ومع أننا لا نملك دليلاً مباشراً على أن حزقيا قاتَح مصر فيما يتعلق بالاستعدادات المقاومة الموجهة ضد الأشوريين، إلا أن أهداف البلدين توافقت في حقيقة الأمر، ولعل الظهور المفاجئ لـ "ساباكو Sabaco في التيكيه Eltekeh كان بمثابة أحد الاسباب لاستئصال التهديد المباشر لـ "أورشليم (١٨٠١). ويلمع الشعيا إلى أن "يهودا" كانت قد بدأت تجنى الفوائد من التجارة المصرية عبر "النقب (١٨٢١) وبعض المواد في قوائم

المِزية التي دفعها "حزقيا" إلى "سيناكريب" تشير إلى قدومها في الأصل من أفريقيا (١٨٣). ولقد أثلج مستقبل التحالفات السياسية مع مصر الصدور في "يهودا" كما ملأت القلوب في البلدان الفلاسطينية بالسرور، كما تكشف الموقف المؤيد بشكل عام تجاه مثل هذه التحالفات بشكل صريح في وابل الذم الذي ورد ضدها في سفر إشعيا" (على سبيل المثال: ويل للبنين المتصردين... الذين ينزلون إلى مصر طلبًا للمعونة...إلغ)(١٨٠٤). ولما كنا نقف على خاتمة القصة، فإنه من المناسب أن ننسى الانطباع الذي تركته مصر على عهد "طاهركا" أول الأمر في الشرق الأدني. ويعبر صادود/لوح جديد برجع إلى زمام "دهشور" عن الزهو المتوهج الذي كان "طاهركا" يتأمل خلاله الانضباط واللياقة البدنية اللذين تتمتع بهما قواته الجيدة التدريب، كما يبرز الصادود/اللوح الروح المعنوية التي تفعم قلوب هذه القوات (١٨٠٠). ويكون مغفورًا يبرز الصادود/اللوح الروح المعنوية التي تفعم قلوب هذه القوات (١٨٠٠). ويكون مغفورًا موجة المستقبل"، وإذا كان "منسيّ حاكم "يهودا" قد أرغم على إرسال قوات معاونة المشتراك في حملة "أشور بني – بعل" Ashurbanipai ضد مصر، فإن ذلك لا يحتاج المتفسير في حد ذاته كتغير مفاجئ في سياسة "يهودا".

واكن عقارب الساعة لا يمكن أن تعود إلى الوراء. لقد كان في طوع الفرعون تحوت موسى الثالث أن يستولى على جميع الإمارات principalities في غرب أسيا بالقوة، وهو ما فعله في الواقع. إلا أن "طاهركا" وجد من العملى، وربما أقل تكلفة أن يتخذ من معظم تلك الإمارات حلفاء، وذلك لأن الموقف الذي كانت مسيرة الأحداث تقرضه على مصر كان موقف الدفاع. وليس في وسعنا أن نفسر سعى "طاهركا" إلى كسب ود المدن الفينيقية إلا كدعم لجناح عسكرى تحسباً لضرية توجهها "أشور" ضد مصر. وإذا توغلنا أكثر جنوباً فإننا نجد المدن الفلاسطينية في وضع مقلق، نظراً لأنها كانت أكثر عرضة للهجوم من "صور" و"صيدا" في الشمال. وبينما كانوا تواقين إلى علاقات وطيدة مع مصر، إلا أنهم لم يكونوا قادرين على التوقف عن إرسال الجزية إلى "تشور" (١٨٨١). وكانت الدول البعيدة عن الساحل مثل "يهودا" في نفس الموقف الذي يتهدده الخطر. كما كانت "يهودا" في ذلك الوقت واقعة تحت حكم شخص متردد هو منسسي "الذي روعته القوة الأشورية، وكان عاجزاً، على وجه الترجيح عن النهوض بالنشاط المؤثر ضد الآشوريين الذي انخرط فيه والده (١٨٨٠).

خلال ثمانينيات القرن السابع ق.م. نجم عن الضعف الذي ألم بـ سيناكريب انخراط "طاهركا" في شئون المشرق ، بصورة أكثر عداء الأشوريين عن أي وقت مضى، إذ بدت تلك الحرب الأهلية التي اندلعت في آشور لدة ثلاثة شهور فور اغتياله (۱۸۸) وكانها، في الحقيقة، نهاية تلك الدولة. وإذا كان "طاهركا" قد فسر تلك الأحداث على هذا النحو، فإنه يكون قد أخطأ للأسف، ذلك لأن مارس/برمهات الأحداث على هذا النحو، فإنه يكون قد أخطأ للأسف، ذلك لأن مارس/برمهات سنة ۱۸۱ ق.م. لم يكد يحل إلا وكانت الحرب الأهلية قد انتهت بشكل مفاجئ، وتربع بشكل مكن "إزارهادون" Esarhaddon بن سيناكريب"، في العرش الأشوري. ولم يمر وقت طويل قبل أن يصبح نقمة على "طاهركا" وكارثة على مصر.

تبنى منذ البداية 'إزارهادون'، الذي لم يستطع إلا أن يرى في التحالفات التي عقدها "طاهركا" مع كل من "صور" و"صيدا" إلا مدماة للصرب casus belli إستراتيجية الصرب الشاملة ضد مصر. ولم يكن المركز التجاري الذي أسسه قبل ما يزيد على أربعين سنة "سرجون" جنوبي "غزة" سوى الخطوة الأولى نحو تأسيس عدد من القواعد في الجنوب ضد مصر. وكان عهد "إزارهادون" قد شهد استيلاء القوات العسكرية الأشورية على جنوب "النقب"، وتنصيب حاكم في "تل بيماه" Tel Jemmeh وَإِقَامَةَ عدد من الحاميات في مواقع تمتد من "رفح" حتى "بير سبع" Beer Sheva(١٨٨). وفي غضون اثنتي عشرة سنة من ارتقاء "إزارهادون" العرش، كانت القوات الآشورية تتحرك بحرية في شمال سيناء، حيث أبعدت، شيخ قبيلة محلية عن موقعه مقيداً بالأغلال - هل كنان يتنامر علنًا مع "طاهركا"؟ - وأرسلته إلى "أشور" (١٩٠١). وبعد ذلك بسنتين تحوَّل 'إزارهادون' ضد حلفاء مصر الفينيقيين. وأسفر الهجوم النموذجي، المفاجئ والمستند إلى تخطيط جيد عن تدمير "صيدا"، وإعدام ملكها بعد محاولة فاشلة للهرب، واستسلم "بعلو" حاكم "صور" وأجبر على إبرام معاهادة مع "إزارهدون"، وهي المعاهدة التي ربطته بشكل كامل، على المستوى الاقتصادي والسياسي بـ "أشور -(١٩١). وكان 'طاهركا' عاجزًا عن إنقاذ حلفائه، الأمر الذي حاصره بالغم وربما ألحق أكبر الضرر بصورته في المشرق.

وكما لوكان يذيع على الملأ سيطرته التي لا منازع لها على فلسطين والساحل، استدعى إزارهادون: (كل الملوك الذين ينتسمون إلى "بلاد - هاتى" أي سوديا

وفلسطين ومن ساحل البحر وفرضت عليهم أن يبنوا لى مدينة فى موقع جديد ويطلقوا عليها اسم 'كار-إزارهادون') (١٩٦٠). وكان فى هذا برهان السيادة: كان "إزارهادون" هو الذى تأتمر كل فلسطين بأمره.

ولما لحق الضرى به "طاهركا" (كما بدا عليه الأمس)، وقهر "إزارهادون" كل "فينيقيا"، ووضع "النقب" في قبضة قوية، بدا أن الوقت قد حان المواجهة الأخيرة مع مصر. وتكشف أحداث العقد التالي بوضوح أن الهدف الرئيسي له "أشور" لم يكن عملاً تذيبيًا أو وقائيًا، بلكان ضم مصر بكل بساطة إلى إمبراطوريتها، وكان المتوقع، بلا أدنى شك، أن القراءة المتأنية لهذه السياسة سوف تنتهي إلى سقوط الدولة التالية في "سلسلة الدومينو" التي كانت قد بدأت في الانهيار منذ خمس وستين سنة في إطار الانتصارات التي حققها "تجلات - بيليسير" الثالث، وهذا هو الأمر الذي جراً الاشوريين بثقة غير مبررة. وذلك لأن مصر لم تكن دويلة مثل دمشق أو "صيدا"، إلا أن أحداث سنة ١٠٧ ق.م. ربما تكون قد أوحت له "إزارهادون" بأن الكوشسيين، حكام مصر، ليسوا خصومًا هينين، وأن في وسعهم أيضًا أن يستبسلوا في ميدان القتال حتى يحققوا إنجازًا باهرًا، على الأقل عندما يتحررون من العمي الذي ينتج عن الزغالة تتصيبهم بها دعايتهم هم أنفسهم.

أيا كان السبب، أخفقت المحاولة الأولى لغزو مصر. ففى مطلع ربيع سنة 3VF ق.م. زحف الجيش الأشورى عبر شمال سيناء ولكن المصريين ردوه على أعقابه عند الحدود الشرقية للدلتا على وجه الاحتمال(١٩٢٠). ويطبيعة الحال لا تذكر المصادر الأشورية شيئًا في هذا الصدد، ولم نقرأ شيئًا بهذا الخصوص إلاً في مدخل مقتضب لتأريخ لاحق: " في شهر أدارو" Addarru في اليوم الخامس انهزم الجيش الأشورى في معركة دموية أمام أعتاب مصر".

ربما يكون أحد أسباب الهزيمة الأشورية كامنًا حقًا في الطريق الذي اختاره الأشتوريون لاقتحام مصر السفلي. فالأرجع أن "إزارهادون" اختار، مثلما كان يفعل معظم أسلافه، الطريق الذي يسير بامتداد الساحل عبر "رفع" و"العريش" ويحيرة "سيربونيس" Sirbonis وينتهى عند "صايل" Sile التي تعد محطة حدودية جيدة

التحصين. فهذا هو درب القوافل، بصفة رئيسية، خلال العصور الوسيطة من سوريا حتى 'الصالحية' اسم طريق بلاد عليه في "التوراة" اسم طريق بلاد الفلسطينيين (١٩٤) ولكن هناك دربًا يقع جنوبًا أكثر، يضرب في اتجاه جنوبي من العريش ، ويمكن سلوكه في دخول مصر عن طريق وادى طوميلات و البحيرات المرة . وكان البدر من النقب وسيناء قد طرقوا هذا الدرب منذ أقدم العصور، ولكن ندر، إن لم نقل لم يحدث، أن سلكه جيش ضخم جيد التجهيز.

ولابد أن الهزيمة التي حاقت بـ "إزارهادون" في سنة ١٧٤ ق.م. أنعشت أمال "طاهركا". وصار الوقت ملائمًا الأن كي يأخذ زمام المبادرة ويعود كي يوجه ضرباته في أسبيا. ففي الشهور القليلة التي أعقبت هزيمة الأشوريين، توغلت قوات طاهركا" في الساحل الفلاسطيني وحولت "عشقلون" إلى قاعدة إمدادات، وربما يكون قد حاول تنظيم تحالف من المكام المطلبين(١٩٥). إلا أن النتيجة التي كانت لتسفر عنها مباراة الشطرنج، تلك التي تدور بين القوتين العظميين كانت لا تزال عصية على التنبق، أما من جانب 'إزارهادون' فلقد استشعر القلق. فأخذت الصلوات تصعد إلى "شمش" إله الشمس في "أشور": "هل يخطط "إزارهادون" ويبذل قصاري جهده في سبيل الانطلاق مم قواته وعجلاته الحربية ودروعه كي يزحف عبر نهر الفرات إلى عشقلون "؟... هل يخطط (المصريون) ويبذلون قصارى جهودهم في سبيل شن الحرب ضد 'إزارهادون'، ملك "أشور" في زمام 'عشقلون'؟ (١٩٦١) كانت الفالات (= جمع فال. المترجم) مطلوبة في مثل هذه الظروف. ومع الزحف في مطلع صيف سنة ٧٧١ ق.م. زار "إزارهادون" معبدًا في حرّان في أواسط بلاد الرافدين (= ميزوبوتاميا) وخلال هذه الزيارة وضع تاجان على رأسه، في إشارة لا لبس فيها إلى أن هذا التاج المزدوج الذي تحرسه اثنتان من حيات الكوبرا ويرمز إلى مصر سوف تعلوان جبهته عما قريب(١٩٧٧). وإذا كان هذا فالأ حسنًا، فإن كسوف الشمس الذي حدث في شهر يوليو/أبيب من تلك السنة بدا فالاً سيئًا، وصيار لزامًا أن يسكن روع القوات الأشورية(١٩٨).

إلاً أن إزارهادون كان لا يزال متوتراً. والدرب الذي يعترم سلوكه على وجه اليقين لا يزال محل شك نوعًا ما: نستطيع أن نتتبعه حتى نصل إلى "رفح"، ولكن بعد

ذلك ينبرى الملك الأشورى طلقًا في وصف الأراضى الرهيبة التي عبرها هو وجنوده والشعابين ذات الرأسين والكائنات الخضيراء الطائرة التي تعين عليه أن يتغلب عليها. (شكل ٩) وكأننا نعود مرة أخرى إلى ضوء الحقيقة عندما يخبرنا أنه تلقى العون مأكلاً ومشربًا من جمال القبائل العربية المحلية، ويذكر نقطة "الرسو" (= رؤية اليابسة بالنسبة للبحارة، وتنطوى العبارة هنا على تشبيه واضح للصحراء بالبحر المترجم) في مصر وبالتحديد "مجدول" على الحافة الشرقية للدلتا. شمال شرقى مدينة "القنطرة" الحديثة (١٠٠١). وأيًا كان الدرب الذي اختار "إزارهادون" أن يسلكه عبر سيناء، إلا أنه ظهر في الدلتا على غير توقع من أحد وفي نقطة هي أبعد النقط التي كان على بال ظاهركا" أن يظهر فيها. ولم يستطع الكوشيون أن يحشدوا قواتهم ويبدأوا أعمال المقاومة عند "بيت "فاس خبرى" Was Khupri قرب مدينة "فاقوس" الحديثة، (٢٠٠٠) قبل أن

لعب عنصر المفاجأة هنا دور أعجوبة من العجائب. حقًا خاض 'طاهركا' قتالاً مستميتًا مع علمه أن موقفه بات ميئوسًا منه، وجرح خمس مرات (هذا ما يخبرنا به 'إذارهادون')، إلا أنه اضطر إلى التقهقر إلى "منف"، التي لم يكن عند 'طاهركا' الوقت الكافي لتحصينها. وفي مطلع يوليو/أبيب سقطت المدينة خلال قتال دام نصف يوم، وهرب "طاهركا" على عجل في اتجاه الجنوب، تاركًا مملكته وأسرته كي يقعوا أسرى في أيدي الأعداء (٢٠١).

وصف المعاصرون السنوات الثمانية التالية من تاريخ مصر من ١٧١ إلى ١٦٣ ق.م. بأنها "فترة حمى البلاد الأجنبية" أو "ذلك الزمن الشؤم" (اللوحتان رقم عصية على كانت فترة عمت فيها الفوضى، وبينما أثبتت الأسلحة الأشورية أنها عصية على كسر شوكتها، إلا أن الإدارة الأشورية برهنت على عجزها عن ضبط البلاد، ولعب حكام الدلتا الذين وجدوا أنفسهم بين بحر "كوش" وعدى أشور": دور تقسيس قرية براى" Vicar of Bray (= قسيس صالح لكل العصور ومتوافق مع كل الحكام. المترجم) قدر استطاعتهم. وحاول "إزارهادون" استمالة الحكام المطيين، وعين الأشوريون "نيخو" محلى الهم. إلا أنه أثبت، مع ذلك، أن المصالح الأشورية العليا لا تفعم المناح المناح الأشورية العليا لا تفعم

قلبه: عندما قدم 'طاهركا' من الجنوب في السنة التالية لهجوم 'إزارهادون' وأعاد الاستيلاء على 'منف'، انضمت الدلتا بأسرها إليه. وعندما عادت القوات الأشورية إلى الظهور في مصر تحت قيادة 'آشور بني بعل'، بن 'إزارهادون' في سنة ١٦٦ ق.م. وعاود 'طاهركا' الهرب، أقنع 'نيخو' ببراعة فائقة العدوبانه كان عاجزًا في وجه القوة الكوشية، ونجح في أن يضمن لنفسه التعيين من جديد كنائب للأشوريين. ولكن 'الجلوس على السور' على هذا النحو بين قوتين أقوى كثيرًا من 'صايس' الضئيلة لم يستمر طويلاً في خداع العسكرين المتعارضين، وعندما في سنة ١٦٤ ق.م. رحل 'طاهركا' عن دنيانا وخلفه "تانوتامان" Tanwetaman، كان 'نيخو' معزولاً، وضرب مرموقًا. إلا أن تقدم "تانوتامان" دون منازع نحو منف' ترك "نيخو' معزولاً، وضرب الكوشيون في الأرجع عنقه (١٠٤٠).

وكان الفصل الأخير في هذه الدراما، من وجهة النظر المصرية، هو الأسوأ، ولكن من جانب التاريخ فجر يوم جديد. لم يستطع "أشور بني بعل أن يتجاهل اغتيال نائبه في مصر: "نيضو" أو تقدم الكوشيين. وفي سنة ٦٦٣ أرسل تجريدة تأديبية طاردت "تانوتامان" حتى النوبة، وهذه المرة استمرت تتعقبه حتى 'طيبة". ولأول مرة منذ ألف سنة نُهبت 'طيبة" التي كانت لا تزال موالية للأسرة الخامسة والعشرين، بصورة وحشية وحُملت كنوزها إلى "أشور"، بما في ذلك الفضة والذهب والأحجار الكريمة والأمتعة الشخصية وحتى المسلات (٥٠٠). وكسبت الجيوش الآشورية الغلبة في سائر أرجاء أفريقيا ـ ولكن ابن "نيخو" كان لا يزال على قيد الحياة!

الهوامش

(١) المجة التي تذهب إلى أن تجريدة 'شيشنق' جرت في أراخر حكمه:

(W.F. Albright, BASOR 130(1953),;D.B.Redford,JAOS 93 (197. 3),10,n.62) ليست حجة مقنعة. إذ يشير نص "جبل السلسلة" الذي يرجع إلى السنة الحادية والعشرين من الحكم، انظر: (R.A. Caminos,JEA 38 (1950) pl.13)

إلى بناء "قصر واسع" (أياً كان)، وهو المبنى الذي تركه "شيشنق" غير مكتمل بوفاته قارن:

Spencer, The Egyptian Temple, A Lexicographical Study (London, 1984), 69-70). يبدر أننا لا نجانب الصواب كثيراً إذا ارتأبنا أن كثل الكررنيش (لم تنشر بعد) التي ترقد الآن في

للتحف الخارجي للكرنك، بخرطوش "أوسركون" الأول على وجهها، قد جاءت أصلاً من هذا المبني. أما جدارية النصر، من ناحية أخرى، فتقع على الوجه الخارجي لـ "بوابة بوياسطة"، ولسنا على يقين من أن هذه البوابة كانت تشكل جزءًا من ذلك القصر.

- See K.A. Kitchen, The Third Intermediate Period (Warminster,1973), 295 ff.; M. (Y) Noth,ZDPV 61 (1938),277ff.;S. Herrmann,ZDPV 80 (1964) ,55 ff.;M.Mazar,VT Suppl. 4(1956),57ff.;N.Na'aman, Tel Aviv 12 (1985),91-93.
- Albright,BASOR 130 (1953),4 ff.;idem,BASOR 141 (1956),23 ff.; D.N.F reedman, (*) The Bible and the Ancient Near East (New York,1961),295 ff.;A.R.Green,JBL 97 (1978),359,n.30;J.M.Miller,JBL 86 (1967),276ff.;

هناك بيليوجرافيا إضافية في:

- J.H. Hayes and J.M.Miller, Israelite and Judaean History (Philadelphia, 1977), 678-79.
- D.B.Redford,in A.Hadidi,ed.,Studies in the History and Archaeology of Jordan (£) (Amman,1982),1:115 ff.; Idem, JSSEA 12 (1982),55 ff.
 - A.R. Schulman, Natural History 73 (1964),13 ff.; (o)

حول تكنيك - الحصار الأشوري، وهوالتكنيك الذي ساد خلال المصر البرونزي انظر:

- I. Epha'al, Tel Aviv 11 (1984), 60-70.
- P. Montet, Les constructions et le tombeau de Psousennès (Paris, 1951), 74, fig. (1) 27(714).
 - (٧) انظر على رجه المصوص:
- A.J. Spalinger, JSSEA 11 (1981),37 ff. And the literature there cited.
 - (رالأدب الذي استشهد به الكاتب.)

Stela:G. Legrain, ASAE 5 (1904), 38 ff.; Gordseloff, RHJE 1 (1947), 95 ff.; Kitchen, (A) Third Intermediate Period, 294; triumphal scene: G.R. Hughes, ed., Reliefs and Inscriptions at Kamak, vol. 3: The Bubastite Portal (Chicago, 1954).

Hughes, Bubastite Portal,pl.3,col.7. (1)

لعلها إمكانية خلابة أن يكرن نشاط "شيشنق" العسكرى، الذى يحدد المسابود/اللوح انطلاقه من "كوم-وير" على الجانب الشرقى للدلتا: km-wr كان من وحى عمليات التوسع التي قام بها "سليمان" في وقت أسبق في "النقب"، وحول تجارة "سليمان" مع الجنوب، انظر:

A. Malamat, in Studies in the Period of David and Solomon,201ff.;S.Yeivin,JQR 50 (1960),1933 ff.;Idem,JEA 48(1962),75 ff.

حول تدمير المواقم في "النقب"، التي كان من الجائز نسبتها إلى "شيشنق"، انظر:

C.Meyers,BA 39 (1976),148 ff.and 151,n.4;R.Cohen,IEJ 36 (1986),114-15.

Hughes, Bubastite Portal,cols.18-19,23; on Milanni,see D.B.Redford,Ldå 4 (\.) (1982),149 ff.

Kitchen, Third Intermediate Period, 299, n. 303. (11)

(١٢) حول منظر ضرب الرأس حتى الموت، بصفته نوعًا فنياء انظر:

H. Schafer, Junker Festscrift (Vienna, 1957), 168 ff.;

حول قوائم أسماء الأماكن، انظر الأن..62-1061, (1980) H. Beinlich,Ld? 3 (1980),1061

هناك أيضًا منظر أخر يمثل ضرب الرأس وهو طويوجرافي في نفس الوقت أي يشير إلى موقع جغرافي لـ "شيشنق" الأول عند "الهبة"..El-Hibeh قارن:;P-M IV,124

أيضاً هناك:.E. Feucht,SAK 6 {1978},69 ff.

ولكن المنظر، للأسف، في حالة مهشمة للغاية.

CF. Caminos, JEA 38 (1950), pl.13, cols.39-40 (\r)

"المقر" يدعى "بيت إيزيس" لـ الكا" الكبرى لـ "رع-حور-أخثى"، قارن أيضا:

D.B.Redford, King-lists, Annals and Day-books (Toronto, 1984), chap.9.

Cf.P .Tresson, Mélanges Maspero (Cairo,1934),1: 817ff.(line 13):'3 n thrw n sr- (\) m3't-r'.

حول الـ Thrw انظر:

W.F. Albright, The Vocalization of Egyptian Syllabic Orthography (New Haven, Conn., 1934), 52,

(الذي يرى بحق أن الكلمة مشتقة من الكلمة العبرية التي تعنى أن يندفع (العصان). ويبدو أن محاولات النين قالوا بانحدار الكلمة من أصول أخرى قد بات بالفشل لاستحالتها من الناهية الفيلولوجية أي التاريخية اللغوية. قارن:

W.Helck, Die Beziehungen Ägyptens zur Vorderasiens 2 (Wiesbaden,1972), Die Beziehungen Ägyptens und Vorderasiens zur Ägäis (Darmstadt,1979),135 ff. (Cf.D.B.Redford,JAOS 103 (1983),482)).

أن تكون الكلمة هي الحيثيي ((ANET²,239,n.3) فهذا ما أشك فيه كثيرًا، فلقد كان الحيثيون مرجوبون بالفعل على الساحل الفينيقي تحت ظل الفرعون "تحوت-موسى" الثالث. انظر:

Urk 1V,686:5.A.R.Schulmann renders "foreign troops" (JARCE 5(1965),35n.g. with references),but it is surely not their alien origin that distinguishes them:

يطرح 'شولان' (القوات الأجنبية)... ولكن المؤكد أن أصولهم الأجنبية ليست أهم ما يميزهم: أحد قادة الله " thrw " في "هيراكليوبوايس" تحت حكم الرعاسية يحمل اسمًا مصريا أصيلاء انظر:

See D. Kessler, SAK 2 (1975), 103 ff., pl.2).

على أن الصلة الراضحة مع الجنر: DHR يجعل ذهن المره يتجه إلى القول بأنها "قوات الهجوم" (م١) .13, (١٩٦١) Redford,JAOS 93

(١٦) قارن الأزراج الثانية زيجا فريجا:

Snefru-khufu M.Lichtein, Ancient Egyptian Literature (Berkeley, Calif., 1976),1:216-2),

Rhampsinitus-Cheops (Herodotus, 2.124.1), Psammetichostl-Apries (Herodotus, 2.161.2), Cyrus-Cambyses (Herodotus, 3.16, 29, etc.)

(١٧) قارن في هذا الصدد الاختلاف الراسع بين النص "المازوريتي" والنص السبعيني (أي الترجمة السبعينية المشهورة التوراة إلى اللغة اليونانية). انظر:

W. Gooding, VT 17 (1967), 173-89; Hayes and Miller, Israelite and Juaean Hitory, 232-33; on the form of criticism of 12:1-19, see I.Plein, ZAW 78 (1966), 8-24.

(۱۸) حول سيرة "يريعام"، انظر:

H. Seebass, VT 17 (1967), 325-33; R.W. Klein, JBL 89 (1970), 217-18.

ليس هناك أي غسرورة تحتم حمل الإشارة التي وردت في سفر "الملوك" الأول (١١: ٤٠) إلى "شيشنق" محمل الجد. فلقد كان "شيشنق" الاسم الفرعوني الوحيد الذي عرفه مؤرخو سفر "تثنية الاشتراع" في على الفترة وبالتالي فلقد افترضوا أنه الفرعون المني في هذا المقام.

(١٩) حول الليبيين انظر:

G. Möller,ZDMG 3 (1924),36ff.;W.Hölscher,Libyer und Ägypter (Glückstadt,1937); J. Yoyette,Mélange Maspero (Cairo,1961)4,no.1:121ff.;F.Gomaa, Die Libyschen Fürstentümer des Deltas (Tübingen,1974);J.Osing, Ldà 3 (1980),101ff.; R.A.F. Azzani,Egypt Dynasties XXII-XXV,Iconography of Religions,XVI,10 (Leiden 1988).

كان "الميشويش"، مثلهم في هذا مثل، قبائل "أولاد على" المحدثين، انظر:

M. Awad, Bull Soc Geog Egypt 32 (1959),11

ينقسمون إلى شعبتين، إحداهما تقيم في مصر، والأخرى ظلت تعيش على الساحل الليبي إلى الفرب، حيث كانوا لا يزالون يعيشون على أيام "ميروبوت" ،انظر:

(4.191,1; W.W.How and J.Wells, A Commentary on Herodotus (Oxford, 1928), 1:358).

ولقد استمر الليبيرن طوال فترة سيادتهم في مصر، معنيين بالناحية الغربية بنفس القدر الذي كانوا فيه معنيرن عنده بالجال الأسيوي الذي لم يكن مآلوفا بالنسبة لهم. وفي مصر سرعان ما اكتسب الليبيون صيتا منفرا اسلوكهم غير المتحضر انظر:

J. Cerney CAH3 II,pt.2 (1975),616 ff.;G.Maspero, Memoires sur quelques papyrus du Louvre (Paris,1875),110 ff.

(٢٠) ترد قصة التمردات في ثنايا سيرة ابن الفرعون 'أوسركون '، انظر:

R.A.Caminos, The Chronicle of Prince Osorkon (Rome, 1958).

وتستخدم بعض النصوص المعاصرة في بعض الأحيان، مصطلع "سورة الغضب"، الذي قد يعنى أيضنًا "لحرب الأهلية"، ولكن ذلك قد لا يشير إلا إلى أمزجة الملوك الليبيين، كل على حدة، أو سجاياهم، قارن: "لقد عملت في خدمة بهم (أي الملوك/الفراعنة) ولم يمسني أي أذى من جراء سورة غضبهم" (CGC 42208f,15) وكنت أنا الذي أهدئ قلب (جلالته) عندما تستبد به سورة الفضب" (CGC 42211) (CGC 42211)

- (٢١) للاطلاع على أبحاث مستفيضة حول الأسر الليبية في التاريخ المصرى، انظر الأعمال في رقمي ٢١) لاطلاع على أبحاث أعمال كل من:(Yoyotte,Kitchen,and Gomaa)
 - D.B.Redford, A Study of Biblical Joseph Story (Leiden, 1970), 6. (YY)
- E.Otto, Die Biographischen Inschischen der ?gyptischen Sp?tzeit (Leiden, 1954), (۲۲) 87-88.
 - Onkhsheshongy 21/24-25;cf.15/15. (Y1)
 - ANET2,420. (Yo)
 - P. Insinger,28/11-29/. (٢٦)
 - CGC 42208,c,14. (TV)
 - (۲۸) حول صادود/اوح 'الهبة'، انظر:

(D.Meeks, in E.Lipinski,ed.,State and Temple Economy in the Ancient Near East (Leiden,1979),605-88;and the addditions in D.Berg,The Genre of Non-Juridical Oracles in Ancient Egypt*(Ph.D.diss.,University of Toronto,1988,154 ff.

(٢٩) نجد التناول الأحدث ويمعني ما الأكثر مواكبة للتطور لهذه الفترة عند:

J.M. Miller and J.H. Hayes, A History of Ancient Israel and Judah (Philadelphia,1986) ,218-376.

(٣٠) حول ممالك الضفة الغربية، انظر بين أغرين:

K.H. Bernhardt and J.M.Miller,in Hadidi, Studies in the History and Archaeology of Jordan 1:163-74; J.R.Bartlett, PEQ 104 (1972), 26ff, ; J.F.A.Sawyer and D.J.A.Clines, eds., Midian, Moab and Edom (Sheffield, 1983); J.A.Sauer, BASOR 263 (1986), 1-26.

(٢١) لا نعرف دراسة أهاطت بالمسادر المسرية هول هذه الفترة بشكل شبامل، ولكن معظم الدراسات التاريخ، انظر في هذا المسدد: التاريخية تواجه القارئ، بشكل واف، بالمشاكل التي تعور حول تعوين التاريخ، انظر في هذا المسدد: Redford,King-lists,305-31.

(٢٢) بصرف النظر عن تلك المسادر التي استشهد بها، قد يستطيع المرء أن يرجع إلى الترجمات التي تتصل بالمضوع في:

(ANET2; A.K. Grayson, Assyrian and Babylonian Chronicles (Locust Valley, N.Y. 1975); Idem, Assyrian Royal Inscriptions (Wiesbaden, 1972-76).

(٢٣) بناظر كل من "حزفيا" وأبوش إ" الملك المثالي عند مؤرخ سفر "تثنية الاشتراع"، انظر:

(G.E.Gebrandt, Kingship according to the Deuteronomic History (Atlanta,1986),1-43;Cf.l.W.Provan, Hezekiah and the book of Kings (Berlin,N.Y.,1988).

(٣٤) حول مؤرخ سفر تثنية الاشتراع"، انظر ضمن أخرين:

E.W. Nickolson, Deuteronomy and Tradition (Oxford,1967);M.Weinfield, Deuteronomy and Deuteronomic School(Oxford,1972);M.Noth, The Deuteronomistic History (Sheffief,1981);J.Van Seters,In Search of History (New Haven,Conn., 1983),322-53; F.H.Cryer,BN 29(1985),58 ff.

حول التاريخ التالي بفترة وجيزة لسنة ٥٨٧، انظر:

W.Wurthwein, Die Bücher der Könige (Götlingen, 1984), 485 ff.

M.Noth, Uberlieferungsgeschichtliche Studien (Tübingen, 1957); A. Rofé, JBL. 89 (τ_0) (1970), 427-40; Idem, VT Suppl. 26 (1974), 143-64, idem, The Prophetical Stories: Narratives about the the Prophets in Hebrew Bible, Their Literary Types and History (Jerusalem, 1988); Van Seters, In Search of History, 303-6.

See S.R. Bin-Nun, VT 18 (1968),414-32; Van Seters, In search of History,292- (17) 303; T.Ishida, The Royal Dynasties of Ancient Israel (Berlin,1977),156-57.

حول قائمة الملكات-الأمهات، انظر:

R.D. Nelson, The Double Redaction of the Deuteronomist History (Sheffield, 1981), 29-42.

(٣٧) ينطوى سن 'ربعام' عند صعوده إلى العرش كما ورد في (سفر اللوك الأول ١٤: ٢١) على مغالطة وأضعة.

Ishida, Royal Dynasties, 157. (TA)

(٣٩) انظر بمنفة عامة:

Kitchen, Third Intermediate Period; W.J. Munane, Ancient Egyptian Coregencies (Chigago, 1977).

الشراكات في المكم لا تتصل بشكل مباشر في كل عذا، طالما لم ينطرُ الأمر، بالضرورة، على نسقين تأريخين، انظر:.55-44 (1986) A.Schaefer,ZAW 113 (1986)

(. ٤) مثل هذه القوائم شائعة. ويصرف النظر عن قوائم الجرد الواردة من "قطنة"، انظر (ص ١٤٥)، وقارن، بين قوائم أخرى، قائمة النئور التي قدمها الفرعون "تحوت موسى" الثالث للثالوث الطيبي، "من السنة الأولى حتى السنة السائسة والأربعين وللابين السنين ({275}{275})، والهبات والإحسانات التي قدمها الفرعون 'رعمسيس' الثالث للآلهة خلال السنة الواحدة والثلاثين هذه من الحكم تعد عيشًا على تائمة النعص النسفة التي تشكل بردية "ماريس" ١٠ انظر:

- (J.H. Breasted, Ancient Records of Egypt (Chicago, 1906), 4:87-206);
- قارن قائمة القرابين التي قربها الفرعون "أوسركون" الأول إلى الآلهة خلال فترة لا تتجاوز السنوات الثلاث والربع سنة، انظر:E. Naville,Bubastis (London,1891),pl.51
 - ونستطيع أن نمد هذه القوائم بسهولة كبيرة حتى حدود الإملال.
- (٤١) بطبيعة الحال يجوز فصل كل من مصدري المواد العلمية، فصلاً تاما عن النص الحالي للملوك بوثيقة وسيطة من التقاليد "للدراشية": .midrashic ولعلى أشك فيما إذا كانت "إنذارات الغزو" التي ترجع إلى الحوليات الملكية قد ظهرت في المسادر، انظر:
- T. Vuk, Wirderaufte Freiheit. Der Feldzug Saheribs gegen Juda nach dem Invasionsbericht 2 Kon 18:13-16 (Jerusalem, 1984).
- (٤٢) الفقرة الواردة في 'أخبار الأيام' التي تتعلق بنشاطه في مجال النشييد ('أخبار الأيام' الأول ٢٦: ٩١٠-١٤، ١-) تبدر، مثلها في هذا مثل المسادر غير الملكة، موضع شك غير منكور: لم تكن هذه الآلة العربية العربية المروفة باسم 'المنجنيق' قد ابتكرت بعد وظلت مجهولة لمدة أربعة قرين ثالية على رجه التقريب! قارن: A.Ferril, The Origins of War (London,1988),170-74.
 - (٤٣) مستقاة على وجه الاحتمال من قصيص الأنبياء: قارن فصل رقم ٢٠
- (٤٤) تنقيحًا لـ البنى والمبيئة الإمومية عن المقصودة مون شك (المدد ٢٣: ٢٠-٢٠، تنتية الاشتراع ١:١) قارن: R. Giveon, Les Bedouins Shosou (Leiden,1971),76.
 - (ه٤) قارن مثلا:نص كيلامووا "Kilamuwa (القرن التاسع ق.م.)، انظر:
- H. Donner and W.Rölling, Kanaanäische und aramäische Inschriften (Wiesbaden,1962-1964),1:no.24;M.Miller,PEQ 104 (1974),9-18;F.M.Falies,WO 10 (1979), 6-22;Van Seters, In Search of History,194.
- (٤٦) تكشف النماذج التي تعود إلى مصر في عصر الرعامسة ع*ن* أن أبناء وبنات الفرعون، كانوا ينتابعون في المناظر المرسومة وفقا لميلادهم، مع عبارات توضع بنوة كل منهم ولقبه واسمه، انظر:
- K.A. Kitchen, Pharach Triumphant (Warminster, 1983), 101-13.
- M. Vieyra, Hittite Art (London,1955),pls.35-38;H.G.Güterbock,JNES 13 (1954), (£V) 102-14.
- H. Frankfort, The Art and Architecture of the Ancient Orient (Harmondsworth, (£A) 1954), pl.162.
 - (٤٩) قارن سفر "المارك" الثاني ٢١: ٧، ٢٢: ١١ وحرقيال ٨: ٧٠:٤٣،١٠ ٨. ٨.
 - J. Naveh,IEJ 32 (1982),195-98. (0·)
 - W.F. Albright, BASOR 140 (1955), 34. (01)
- Noth, Uberlieforungsgeschictliche Studien, 72-78; J. Liver, Biblica 48 (1967), (a1) 77-78.
 - Redford, King-lists,97-126;idem,Ldà 6 (1986),151-53. (4*)

- Wenamun 2,8. (0 £)
- CF.H.Grossmann, Die älteste Geschictsschreibung und Prophetie Israels 2 (00) (Göttingen,1910),Vi, who postulates daybooks or summartes made from them.
 - التي يفترض أن دفاتر اليومية والملخصات إنما تعتمد عليها انظر:
- J.A. Montgomery, JBL 53 (1934),46-52; Idem, The Book of Kings (Edinburgh, 1951), 31-37, and G. Fohrer, Introduction to the Old Testament (Nashville, Tenn., 1968),97,
 - بلمحان كلاهما إلى وجود حوليات مترخة (= مؤرخة) كمصدر.
 - Redford, King-lists, 206-30. (a 1)
 - (ov) Ibid.,1-18.
- (٥٨) للاطلاع على أدلة لا تعرف الالتباس على اعتماد الأداب الفينيقية على مصر، قارن: تصديح 'زكر- بعل' (القرن العادى عشر قم.) الذي يعترف فيه بأن "بيبلوس" مدينة لصر في مجالي البحث والعرف، وكذلك الأعمية البارزة لإله الحكمة المسرى تحوت في التواريخ الأسطورية التي دبجها الكتاب الفينيقين، انظر: 0n.6-61
 - Eusebius, Praepartatio Evangelica 1.9.21. (+1)
- Cf.W.F. Albright, The Bible and the Ancient Near East (New York, 1965), 470; (٦٠) idem, Yahweh and the Gods of Canaan (New York, 1968), 225; Cf.also R.du Mesnii de Buisson, Nouvelles études sur les dieux et les mythes (قان أيضا) de Canaan (Leiden, 1973), 70; كن ندران المقيقة أن الأمر منا يدير حيل قرائن دين أدلة ولكن بعض العبارات سلبية الدرجة كبيرة)، انظر:
- H.W. Artridge and R.A.Oden, Philo of Byblos, The Phoenician History (Wishington ,D.C., 1981),3-9.
- ألا) " هيرومبالوس": Hierombalos ـ والسؤال الذي بدر حول ما إذا كان هذا الاسم الشخصى أصيلاً أولا سؤال غير أساسى: (Artridge and Oden,Philo,24,n.22) إلا أنه معاصر لـ شخصية تدعى "أبى-- بعل"، ملك "بيروت"، ورغم أن ذلك الشخص لم نتمرف عليه بعد، إلا أن الاسم كاسم لشخص مرجود في "فينيتيا" وإسرائيل" منذ أوائل القرن التاسع حتى أواسط القرن السابع قم انظر:

 P-M2 VII.388;ANET2.291.296.321.
- (٦١) وضع الكتابة التاريخية في إسرائيل مجهول بالنسبة لنا، نظراً لأن الإشارات إلى ملوك إسرائيل وماثرهم، الواردة في سفريُ اللوك الأول والثاني لا تشكل مصدرا مستقلا، بل ولا تزيد عن "تفكير استهرائي مرفق، دبجه البحاث في محاولة لجمله يبدو كتابة تاريخية.
 - (٦٢) قارن: سفر 'الأمثال' ٢٥: ١
- (٦٤) كان بلاطا كل من "إسرائيل" و"بهودا" يحتفظان بدفاتر يومية على وجه الاحتصال، ولكننا لا نعرف شيئا عما إذا كان بلاطا كل من "إسرائيل" و"بهودا" يحتفظان بحوليات رسمية، وببنما طرحت "أشور" على وجه الاحتمال، "نمونجا"، إلا أنه يبدو أن الحوليات في مصدر قد ضربتها تغيرات عديدة حتى لم تعد ينطبق عليها وصف "الســـجل المنظم للأهــداث التي تقع خــلال "حسول" أوعــام"، مما نما إلى علمنا وجـوده في المملكة المدينة انظر:

D.B.Redford, in F. Junge,ed., Studien Zu Sprache und Religion Ägyptens (Göttingten, 1984,327-41.

P. Montet, Bybios et L'Egypte (Paris,1929),49-57,figs.17-18,pls.36-38; Idem, (%) Fouilles de Bybios (Paris,1937),1:116,no.1741,pl.43;Donner and Rölling Kananäische und armäische Inschriften,2:nos.5-6.

W.Von Bissing,ZA n.s.12(1940),155ff.;W.Cilian,Levant 2 (1970),28 ff.(found at (11) Ashur whither they were carried as booty)

(وجدت في "أشور" حيث حمات إليها على سبيل الغنائم)

(٦٧) نقلت إلى إسبانيا في وقت لاحق، وهناك كشفت عنها عمليات التنقيب.انظر:

I.Gamer-Wallert,Ägyptische und ägyptisierende Funde von der iberischen Halbinsel (Wiesbaden, 1978).

H.F.Saggs, Iraq 17(1955), 127-28. (3A)

See I.J.Winter, Iraq 38 (1976),16;J.D.Muhly,in Biblical Archaeology Today (34) (Jerusalem,1985),184;P.Wagner,Der ägyptische Einfluss auf die phönizische Architektur (Bonn,1980);G.E.Marfoe, BASOR 279 (1990),13-26.

Muhly,in Biblical Archaeology Today,178-80;Gamer-Wallert,Ägyptische Funde. (Y-) Zoan:Num.13:22;Isa.19:11,13,30:4;Psalm 78:12,43, Memphis:Hos. 9:6;Isa. (Y\) 19:13:

Jer.2:16,44:1,46:14,19,Ezek.30:13.Daphnae:Jer.2:16,43:7,8,9;44:146:14;Ezek.30:18.

Thebes:Nah.3:8;Jer.46:25;Ezek.30:14,15,16,Migdol:Jer.44:1,46:14,Ezek.(YY) 29:10,30:6.

Sais:2Kings 19:9(see subsequent discussion);Bubastis: (انظر النقيات اللاحق) (۷۲) Ezek,30:17;Pelusium: Ezek,30:15;Herakleopolis:Isa,30:4;Aswan:Ezek,30:16.

A.H. Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica (Oxford,1947),2:153"ff. (V£)

Piankhy Stela, lines 19,114(see N.-C.Grimal, La stèle triomphale de Pi (Vo) (ankh)y(Cairo,1981);

في زمام "تانيس" على وجه الاحتمال، انظر:

(Yoyotte,in Mélanges Maspero,4,no.1:129,n.2;J.Vandier,RdE 17(1965),17 ff.)

استخدم كاسم لملكة أرسركون الرابع الواقعة بين أصابل وأبوباستيس (= بوباسطة).انظر:
W.Helck,Die altägyptische Gaue {Wiesbaden,1974},190;H.Gauthier, Diction-)
naire des des noms géographiques contenus dans les textes hiéroglyphiques
{Calro,1926},1: 190;3:130;P.Montet,Géographie de L'Egypte ancienne {Paris,
1959}. 1:201)

وترتبط ارتباطا وثيقا بالعبادات السائدة قرب المدود الشرقية، انظر:

(E. Chassinat, Le Temple d'Edfu(Cairo, 1892-1934), 1:130; Montet, Kêmi 8 (1946), 64pl.15; G. Daressy, BIFAO 11(1914)35-36).

(يبس أن المصللع أعيد تفسيره في رقت لاحق كي يعني 'هيرو-نفر' (= يوم سعيد)، انظر: P. Dem.31169 recto ii.4.

أصبح رائجا في الأونة الأخيرة إنكار أن يكون كل من 'أرسركون' وتاكيلوت' اللذين نقابل اسميهما منقوشين بفي الواقع، على العديد من النصب القائمة في الكرنك أعضاء في الأسرة الثالثة والعشرين على نحو ما أوردها "مانيتو" في تاريخه ولسوف يرد المؤلف المالي (ريدفورد) على هذا الإنكار، الذي يستند إلى مقدمات زائفة وأدلة مضللة في ثنايا هذا الكتاب في الوقت المناسب.

(٧٦) حول الجعران المجنع المرسوم على الأختام الإسرائيلية، انظر المناقشات والأداب التي استشهد المؤلفان
 بها في كل من:

(A.D.Tushingham, BASOR 200(1970), 71ff.; A.F.Rainey, BASOR 245 (1982), 57 ff.

See J. Vandier, RdE 17 (1965), 172 ff.; (vv)

وحول التطابق بين "خبري" والشمس، انظر:

K. Mysliswiec, Studien zum Gott Atum (Hidesheim, 1978), 1:75ff.; E.Brunner-Traut, Gelebte Mythen (Darmstadt, 1981), 7 ff.

A. Kamal, Stèles ptolémaiques (Cairo,1905),187;G.Darssy,BIFAO 11(1914), 29 ff.; (۷۸) والأسطورة موجودة في النصوص المصاحبة لمنظر تقريب قرابين في الفورة موجودة في النصوص المصاحبة لمنظر تقريب قرابين في الفورة موجودة في المصاحبة المصاحبة المعارية المحارية موجودة في النصوص المصاحبة المحارية المح

E. Naville, Bubastis (London, 1891), pl.51. (v4)

ينسب البعض هذه الثروة، بشكل ساذج، إلى عملية النهب التى أنزلها "شيشنق" بد "أررشليم" قبل ذلك المسليم " قبل ذلك A.R. Millard and K.A.Kitchen, BAR,15,no.3 (1989),20-34. وقد يجول واحد، انظر: 34-34. وقد يجول في خاطر المرء أن يحث مثل هؤلاء المؤلفين على أن يواصلوا استكشافاتهم قليلا على نفس هذا الطريق، كي يجيبونا على هذا السؤال: هل يرجع التدهور الإقتصادي الذي لحق بالأسرة العشرين إلى "نهب" بني إسرائيل للمصريين (سفر الخروج" ١٢: ٣٥-٣٦)، أو ما إذا كانت السطور التي تعبر عن قلق الفرعون "أمين أم حاب" الثالث المنقوشة على مجموعة تماثيله إنما تعكس المرض الذي أصاب الفرعون من جراء وواجه من "سارة" إذ تكرين" ١٢: ١٧)

- Caminos, The Chronocle of Prince Osorkon. (A.)
- G.A. Reisner, Archaeological Survey of Nubia (1908-1909)(Cairo,1911), 29; (AN) B.G.Trigger, History and Settlement of lower Nubia (New Haven,Conn.,1959), 1959), 112 ff.;T.S?ve-S?derberg,Kush 12 (1964),37;cf.W.B.Emery,Egypt in Nubia (London,1965), 206 ff.
- Caminos, Chronocle of Prince Osorkon, 125-26; D.B. Redford, JSSEA 7 (1977), 7-8. (AY)
 M.Elat, IEJ 25 (1975), 32; idem, JAOS 98(1978), 22 ff.; H. Tadmor, IEJ 11(1961), 143 ff. (AY)

See H.Tadmor, in H.Goedicke and J.J.M.Roberts,eds.,Unity and Diversity (Balti- (At) more, 1975),42

حول المسريين في بلاط أداد- نيراري الثالث قارن أيضا:

A. Reilenburg, Ancient Israelite Seals (London, 1950), 31, no.9 (يخص نيديسي خاتم من السامرة)

(قارن أيضا: مرمر 'أوسركون' الثاني من 'السامرة'، انظر:

G.A. Reisner et al. Harvard Excavations at Samaria (Harvard, 1924), 1:247), fig. 205; 2:pl. 56q.

Elat, JAOS 98 (1978), 120 ff. (Ao)

E. Chassinat, Le Temple de Dendera (Cairo,1936-),4:66,5:71;S.Sauneron, Le ri- (A1) tuel d'embaumement (Cairo,1952),3:1-2;D.J.Wiseman, iraq 28)1966),155.

(AV) الذراع الملكي، انظر::Y. Aharoni,BA 31(1968),24; the Deben

"الديبين" (= حوالي ٩١ جراما، وقد قيس عليه الشيكل الإسرائيلي):

Idem,BASOR 184 (1966),18;R.B.Y.Scott,BASOR 200 (1970),64.

وحول تأثير نسق العلامات الهرانيكية على الكتابة العبرية خلال القرن الثامن حتى القرن السابع، انظر: Aharoni,BASOR 184 (1966),13ff.;idem,BA 31 (1968),15;idem,BASOR 201 (1971),35-36;A.F.Rainey, BASOR 202 (1971),23ff.;S.Yeivin,IEJ 16 (1966),152 ff.; idem,JEA 55 (1969),98 ff.;I.T.Kaufman,BASOR 188(1967),39 ff.

G.Roux, Ancient Iraq (Harmondsworth, 1966), 252-53. (M)

(٨٩) حول "الجزية" انظر:. Tadmor, Goedicke and Roberts, in Unity and Diversity,37

Roux, Ancient Iraq,254. (1.)

(۹۱) حول معركة "قرقر"، انظر:

ANET2,278-79;Elat,IEJ 25-35;Tadmor,in Goedicke and Roberts, Unity and Diversity,38-40;J.A.Brinkman,JC\$ 30 (1978),173-75;W.T.Pitard,Ancient Damascus (Winona Lake, Ind, 1987),126-28.

(٩٢) حول تطابق موسری: Musri مع Egypt (= مصر)، انظر:

A.T. Olmstead, History of Assyria (New York,1923),134;idem, History of Palestine and Syria (New York,1931),384;E.Meyer,Geschichte des Alterums (Stuttgart and Berlin,1928),2:2,333;Tadmor,in Goedicke and Roberts, Unity and Diversity,39.

H. Gauthier, Le Livre des rois d'?gypte (Cairo,1914),3:337-38;H.K. Jacquet- (٩٢) Gordon,JEA 46(1960),14,n.1.

I.E.S.Edwards, Hieratic Papyri in the British Museum,4th ser.(London, 1960), (41) 2:pls.16:34-17:37.

(٩٥) انظر هامش رقم ٨٤

ANET 2 281:J.V.Kinnier-Wilson, The Nimrud Wine Lists (London,1972), 102, (11) 127, 139 and passim; Tadmor, in Goedicke and Roberts, Unity and Diversity,42.

Pitard, Ancient Damascus, 151-58. (AV)

J.M. Miller, ZAW 80 (1968),337-42. (4A)

(۹۹) حول سجلات آداد– نیراری:Adad-nirari، انظر:

ANET²,281-82;H.Tadmor,Iraq 35 1973 ,141 - 50;W.H.Shea,JCS 30 (1978), 101ff.; on the date عول الثاريخ انظر: Pitard, Ancient Damascus,163-66;on the Zakkir stela:حول الوح/صادرد "زاكر"انظر

Donner and Rölling, Kanaanäische und aramäsche Inschriften, 2:no. 202; ANET 501-2; E. Lipinski, AlON 31(1971), 393-99.

Pitard, Ancient Damascus, 175-77. (\...)

(۱۰۱) بصفة عامة انظر:

H.W. Saggs, The Greatness That Was Babylon (New York,1962),116-19;

حول الحالة المؤسفة لحوليات 'تيلجات-بيئيسير' الثالث وتحليلها وترميمها البارعين، انظر:

H. Tadmor, Proceedings of the Israel Academy of Science and Humanities 2 (1968),168-87;

رحول لجونه إلى عمليات الترحيل الجماعي، انظر:

B. Oded, Mass Deportations and Deportatees in the Neo-Assyran Empire (Wiesbaden, 1979), 19.

H.W.F. Saggs, Iraq 17 (1955), 146. (1-1)

ANET2,282;Saggs,Iraq 17 (1955),133(Letter15). (۱۰۲)

H.Tadmor, Scripta Hierosolymitana 8 (1961),252-58;B.Oded, in Hayes and (1-1) Miller, (1978)49; see 2Kings15:19-20(1,000 talents).

So W.H.Hallo, BA 23 (1960),48. (\.a)

Pitard, Ancient Damascus,184-86;Oded in Hayes and Miller, Israelite and (1.1) Judaean History,425-26(cf.2Kings 16:5);D.J.Wiseman,Iraq 18(1956),125 reverse 5-8 (Cf.chron.28:16-18:

حول هوية "ابن طبئيل" في سفر "إشعياء" ٧: ٦، انظر:

W.F. Albright, BASOR 140(1955), 34ff.; B.Mazar, IEJ 7 (1957), 236-37; Pitard, Ancient Damascus, 184, n. 104.

Wiseman, Iraq 108 (1956),117-29;ANET2,283b; (\.v)

حول الإستراتيجية الشاملة، انظر:88, (1966),48;H.Tadmor,BA 29 (1966),88 (1960),48;H.Tadmor,BA 29 (1966),88 (الذي يفترض اهتماما ثانويا بتأمين التجارة الساحلية)، وحول علاقة "صور" بـ "إشور"، انظر:

G.Kestemont,in E.Gubelet al.,eds., Studia Phoenicia (Louvain, 1983), 1;53-78.

M.Dothan,IEJ 25(1975),164;D.J.Wiseman,Iraq 13(1951),21ff.;A.Alt, Kleine (١٠٨) Schriften zur Geschichte des Volkes Israel (Munich,1953),2:150ff.

ANET2,283; Wiseman, Iraq 13(1951),21ff.; Tadmor, BA 29(1966),88ff.; Oded, in (\.\) Hayes and Miller, Israelite and Judaean History, 425; N.Na'aman, TA 6(1979),68-69.

CF.2Kings 17:1;Hallo,BA 23(1960),50;Pitard, Ancient Damascus,186- (11.) 87;Oded,Mass Deportations,64;

حول إنشاء مقاطعات "مجدن" راجالعان بالاقتطاع من الأراضي الإسرائيلية، انظر:
Oded,in Hayes and Miller, Israelite and Judaean History,427;

وحول الحكم الأشوري في الضفة الغربية، انظر:.177ff,(1970)B.Oded,JNES 29(1970),

ANET2,282;Tadmor,BA 29(1966),89;Na'aman,TA 6 (1979),69. (\\\)

P.Montet,Le Lac sacré de Tanis (Paris,1966). (۱۱۲)

(١١٢) مما لا يخلومن مغزى أنه خلال عقد (السنوات العشر) الحرب السوريو- إفرايمية:Syro-Ephraimitic وتدبير المكاتد الذى نزعت إلبه الدول الساحلية في إطار جهودها في الإعداد لتنظيم الدفاع ضد الأشوريين، لم تحدث إشارة إلى فكرة الثوجه إلى مصر طلبًا للمون حقا عرب "هانو": Hanno من غزة إلى مصر طلبًا للمون حقا عرب "هانو": مصر، انظر: الرابع مصر، انظر: المحدد طلبًا للجوء، لكن ذلك لم يكن سوى تعقيب على الأفق الطبيعي لمينة واقعة على الحديد مع مصر، انظر: (Na'aman, Tel Aviv 6 [1979] 74ff.

خلاصة القول أن مصر لم تكن وقت ذاك، وحتى ما بعد سنة ٧٣٠ ق.م قوة سياسية يستطيع أي من كان أن يسعى إليها، من الناهية الواقعية البحتة، طلبا العون.

(١١٤) انظر من ٣٣٧ (من النص الأمبلي). تقوم شواهد على وجود تجارة محدودة للغاية، انظر: Caminos, Chronocle of Prince Osorkon,125-26ff.;

ولكن هذا الحجم من التجارة لا يستحق الذكر إذا ما قررن بالكميات التي سُجِلت خلال الملكة الحديثة. G.Reisner HTR 13 (1920),30;J.Leclant, Recherches sur les monuments thé- (۱۱ه) bains de XXVeDynastie (Cairo,1965),331-32.

A.J.Arkell, A History of the Sudan to 1821 (London, 1959),116; D. O'Connor, in (\\\) Ancient Egypt, A Social History (Cambridge (Cambridge,1983),269-70; J.Leclant and J.Yoyotte, BIFAO (1951),7; S.Wenig, Africa in Art: The Arts of Ancient Nubia and the Sudan (Brooklyn, 1978,2: 56,63.

E.Russmann, The Representation of the King in the 25th Dynasty (Brooklyn, (\\\)) 1974),25-26.

L.F.MacAdam, The Temple of Kawa (Oxford,1949),1:16Leclant and Yoyotte, (\\A) BIFAO 51(1951),15;P-m2V,227;Gauthier,Livre des rois,4:5(2,1),n.2;J.Leclant, ZÄS 90(1963),74ff.

H.Kees, Das Priesterum im ägyptischen Staat (Leiden,1953),266; Kitchen, (\\1) Third Intermediate Period in Egypt,151;Redford,King-Ists,314.

Breasted, Ancient Records of Egypt,4:sec.821.(17.)

ND 2715:Saggs,Iraq 17(1955),127ff.;N.Postgate,Taxation and Conscription in (171) the Assyrian Empire(Rome,1974),390ff.;cf.Tadmor,BA 29(1966),88.

حول استغلال الأشوريين للأخشاب اللبنائية انظر:.40-14, J.Elayi, JESHO 31(1988), 14-40. الحب Eusebius, Hiernymus Chronikon (ed.Helm), 85; Aegypti post Foenices mare op- (۱۲۲) tinuerunt.

"شالمانسير الغامس ربما يكون قد نظم، خلال حملته الإسرائيلية، عمليات عسكرية ضد "معور" في سبيل وقف النشاط البحري للمصريين على الساحل الفينيقي، انظر:.152,(1950) A.Malamat,IEJ 1(1950) (۱۲۲) حول قوائم السيادة البحرية، انظر:

R.Helm, Hermes 60 (1926), 241ff.; Burn, Minoans, Phillistines and Greeks (Oxford, 1931), 63.

C.J.Gadd,Iraq 16 (1954),179,H.Tadmor,JCS 12(1958),77ff.;idem,BA 29(1966) , (\YE) 92; Elat, JAOS 98(1978),27ff.

(١٢٥) قد يكون من الأفضل أن نطلق على الـ"...": "Archaismus" التى توصف في غالب الأحيان بأنها واجعة إلى أصل كوشى"، "للثرة الصاوية" فهي تعتبر ظاهرة تتصل بعض الاتصال مع بعث النماذج القديمة في الفن والكتابة والديانة والمجتمع، وليس للكوشيين صلة بها: لم تفعل الأسرة الضامسة والعشرون سوى تقليد بدعة مؤقتة، صادفت شيوعها بالفعل في مصر، انظر:

H.Brunner LdÄ 1(1975),386ff.;idem,Saeculum 21 (1970),151ff.;R.A.Fazzini, Miscellanea Wilbouriana (Brooklyn, 1972), 64-65f; H.Kees,Das Priestertum im ägyptischen Staat(Leiden,1953),198;J.Yoyotte, Histoire de l'art (Paris,1961),1: 238.

Yoyotte, Mélanges Maspero, 1. no. 4:152ff.; idem, BSFE 24(1957), 53, fig. 1:D.B. (\\1) Redford, BES 5 (1983), 85-86.

See Grimal, La stèle triomphe de Pi(ankh)y. (۱۲۷)

(١٢٨) انظر النقاش الكامل عند "ريفورد" في: King-Lists الفصل التاسع،

(۱۲۹) يتضع من الريط بين التأريخ الأشوري المعاصر وبين المواد المتوافرة من نصوص "السرابيوم": -Sera (۱۲۹) يتضع من الريط بين التأخر عن ينابر/طوية (Peum أن وصول "ساباكو": Sabaco إلى مصدر يمكن أن يرجع إلى تاريخ لا يتأخر عن ينابر/طوية سنة ٧١١ ق.م. ويبدو من المحتمل أن إعدام 'بوكشوريس' جاء بعد ذلك بوقت قصدير نسبيا النظر مناقشتي لتأريخ الفترة في:.JARCE 22 (1985).5-15

(١٢٠) لم يكن للمناشدة التي رجهها "هوشيا" إلى محمر أن تأتي إلا في سنة ٧٢٦ أره ٧٧ ق.م.، حول هذا
 التأريخ انظر: 1.Reade, Syro-Mesopotamia Studies,4 (1981),1-9.

ويبدر مؤكداً أن التمرد الذي قام به 'موشيا" كان جزياً من انتفاضة أرسم ضد "آشور".انظر: Miller and Hayes, A History of Ancient Israel and Judah.334-36.

> H.Goedicke, BASOR 171(1963),61ff. (171) D.R.Redford,JSSEA 11 (1981),75ff. (171)

كافة الاقتراحات الأخرى تبدر أقل احتمالا بكل تأكيد، فليس هناك برهان من أى نوع على أن اسم "أوسركون" يمكن اختصاره كي يشبه الكلمة رهن الحديث، انظر:

(Kitchen, Third Intermediate Period, 373-74),

بل ولا يمكن أن تكون ترجمة لكلمة 'نسو' (= ملك) بالمصرية القديمة، انظر:

(Oded,in Hayes and Miller, Israelite and Judaean History, 433),

وهى الكلمة التي يظهر فيها عند رسمها بحروف غير مصرية، بصفة دائمة، حرف تون": n غير خاضعة للتماثل: S³nsw

>Εἰονσίξimn-m-nsw> Αμενεμη; nsw-bity>in-si-ya, see further Redford, King-lists, 327 and n.187.

(١٢٢) عن حملة 'غزة'، انظر:

ANET2,285;H.Tadmor,BA (1966),91;N.Na'aman,Tel Aviv 6 (1979),68ff.

Tadmor, JCS 12(1958), 78; Albright, BASOR 141 (1956), 24. (\TE)

كون 'أوسركون' (Siikanni) آخر سلالة الأسرة الثالثة والعشرين موضوع نوقش في موضع آخر، انظر: Redford, King-lists,chap.9.

يبدو من الراجع أنه يظهر على هذا الشكل برعر: لا إالام، دافع كمية غير محددة من الجزية، تشمل مرة أخرى خيرلاء في أعقاب الانتصار الذي حققه "سرجون" في أغزة"، انظر:

A.G.Lie, The Inscriptions of Sargon II King of Assyria vol.1: The Annals (Paris, 1927), 22:123-25.

(١٣٥) قد تنعكس الجزية التي دفعها "أوسركون" في خطاب من "نمرود" يبلغ فيه الملك أن مبعوثين من مصر وغزة وليهودا" و"موآب" و"عمون" قد وصلوا بالجزية، انظر:

Saggs, Iraq 17 (1955), 134, Tadmor BA 29(1966), 92ff.;

للاطلاع على رسالة غير كاملة تشير إلى خمسة أحصنة كجزء من الجزية المفروضة عليها، انظر: R.F.Harper, Assyrian and Babylonian Letters (Chicago,1892-1914),no.1427.

Diodorus, 1.45, 1-2: A. Burton, Diodorus Siculus, Book 1. A Commentary (Leiden, (171) 1972), 144-45; Plutarch, Die Iside et Osiride 8.

قيل إن النقش موجود في مطيبة ، ولكن هذا يقوم دليلا، وحسب على اجتذاب هذه المدينة الكبرى للأطلال ني الفولكلور الذي يرجم إلى الفترة المتأخرة.

M.El-Amin, Sumer 9 (1953), 35ff., figs. 2-6. (\YY)

J.Reade, JNES 35 (1976),100ff. (\YA)

Ibid.,100 and n.2. (\T1)

Cf.Tadmor,BA 29 (1966),94. (\٤.)

تجدر الإشارة، مع ذلك، إلى أن الطريقة البروجنا توسية "prognathous" الجنوبية" في تصوير الوجه الإنساني الجانبي (البروفيل)، التي ننسبها إلى الفن السوداني خلال الاسرة الخامسة والعشرين كانت معروفة بالفعل في مصر قبل سنة ٧٢٠ ق.م.، انظر:

Neferut net Kemit:Egyptian Art from the Brooklyn Museum (Tokyo, 1984), no.57,

والملاحظات الواردة مناك بقلم :R.A.Fazzini

See Spalinger, JSSEA 11 (1981) (\£\)

D.B.Redford, JARCE 22 (1985), 5-15. (111)

E.A.Knauf,BN 20 (1983),34-33;21(1983),37-38;22(1983),25if.;idem,Ismael, Un-(١٤٣) tersuchungen zur Geschichte Palästinas und Nordarabiens im 1.Jahrhundert (forthcoming);see also M.A.K.Muhammed,ASAE 64 (1981),A.A.Saleh,"Arabia (من الطبع أوقت ذاك))and the Arabs in Ancient Egyptian Records".(in press)

A.A.Saleh, Orientalia 42 (1973),370ff.;P.Parr,in Hadidi,Studies in the History (NEE) and Archaeology of Jordan 1:129-30.

حول الفشار "الديني": Midianite الراجع إلى شمال غرب شبه جزيرة العرب، الذي عثر عليه في "تل الفارعة" و"تل الهودية" «انظر:

T.Dothan, The Philistines and Their Material Culture (Jerusalem, 1982),28 and literature there cited (والأنب الذي رجع إليه المزلف ني كتاب)

M.Kochavi,BAR 6 (1980),27;1.Finkelstein,JNES 47 (1988),241-52. (\10)

(١٤٦) حول التوسع الذي قام به "سليمان" في وسط "النقب"، انظر:.149), C.Meyers,BA 39(1976), 149.

(١٤٧) قارن على سبيل المثال: 28,49. (1978) Elat,JAOS 98 (1978)

(١٤٨) انظر ص ٣٢٨ (من النص الأميلي) و:

J.Bright, A History of Israel (Philadelphia, 1959),239-40;

وحول النجارة مع شبه جزيرة العرب، انظر:.86,1965) N.Gleuk,BA 28

(١٤٩) لا زلنا نفتقر حتى الآن إلى أدلة كافية عن تاريخ فلسطين (Philistinia) خلال القرنين الأوليين من الألف الأولى، والمدينة الوصيدة الفلسطينيين التي يرد نكرها في الفقرات التي تعيد سرد سيرة "دايد" هي مدينة "جاث"، البعيدة عن الساحل ("صحوثيل" الأولاد: ه وما بعدها، "ك وما بعدها، "صحوثيل" الثاني الثاني الا عدم ١٢٠ م ١٠٠٠، ١٠ م ١٠٠٠) ولكن القائمة في "صحوثيل" الأول ٦: ١٧ تشير إلى السياق التالي اللاممية السياسية (على الأقل بالنسبة المؤلف القديم): "أشدود"، "غزة" ، "عشقلون"، ويذكر سفر المحموثيل" الثاني، "أسواق الشوارع" في "عشقلون"، الأمر الذي يبشر بالأهمية التجارية المدينة، ومع "عاموس" نجد أنفسنا قد بلغنا أرضاً لكثر صلابة؛ بينما اختفت "جاث" في تعمير "يوزيا":الاعتمال، اللالملالية الماللة ا

و ُغَرَة ' تغشّض بالقصور و ُعشقاون ' تعرف ملكا يحمل في يده صواجانًا (ُماسك القضيب ' في إحدى ترجمات الكتاب القدس) (ُعاموس ' ١ : ٨) وكانت هذه المينة، في تبدل غير مسجل في حظوظها، قد مدت سيطرتها على الإقليم المجاور إلى جهة الجنوب – الشرقي المدينة، قارن:

A.Alt,Kleine Schriften zur Geschichte des Volkes Israel,3:420,n.1;N.Na'aman Tel Aviv 6 (1979),70),

ولعلني أظن أن "غزة" (رغم افتقاري إلى دليل في هذا الصدد) قد استوات على أراض في شمال "سيناه". ويستطيع المرء أن يستشعر الإحساس بالقوة الذي تمتع به كل من "هانو"، ملك "غزة" و"ميتيني" الأول ملك عشقلون، وهو الأمر الذي دفعهما فيما بين ٢٥٥-٧٢٤ أن يطرحا جبهة موحدة سرعان ما انهارت، ضد "تيلجات ميليسير" الثالث، ويقومان بالتوسع، بجسارة ملحوظة، في "شيفيلاه"، انظر:

A.F.Rainey, BASOR 251(1983), 14-15.

Tadmor, BA 29)1966),89, idem, in B.Uffenheimer, ed., Bible and Jewish History (100) (Tel Aviv.1972),

(١٥١) انظر ص ٣٤٢ (من النص الأصلي).

Oded, in Miller and Hayes, Israelite and Judaean History,425; Na'aman,Tel (101) Aviv 6 (1979) 68-69.

Tadmor,JCS 12 (1958),77-78;idem,BA 29 (1966),89;Na'aman,Tel Aviv 6 (NeT) (1979).69.

(١٥٤) انظر سفر آخبار الأيام الأول ٤: ١١٤

Toronto ostracon: bibliography in J.Leclant, LdÄ 5 (1983),512,nn.93-94. (*o)

M.F.Laming MacAdam, The Temples of Kawa (Oxford, 1949), 1:nos.6,20-2. (101)

D.B.Redford, JAOS 93 (1973), 17. (NeV)

F.V.Winner, Ancient Records from North Arabia (Toronto, 1970),115- (NoA) 17;W.J.Dumbrell, BASOR 203 (1971),33ff.;A.Lemaire, RB 81 (1974),63ff.

ُ (١٥٩) نلاحظ كيف، أحمى "سرجون"، عقب النصر الذي أحرزه عند "غزة"، جزية كل من "بيرعو" ملك موصري :Musri (مصر= Egypt) وسامسو وملكة شبه جزيرة العرب و إيتاعمار ملك سبب ، انظر: A.G.Lie, The Inscriptions of Sargon II, King of Assyria,vol.1:The Annals,22:123-25.

(١٦٠) حول الأدلة على وجود مراسلات دبلوماسية بين "شابلكا" ومعامسريه الأشوريين، قارن طبعات خاتبه

التي عثر عليها في قصر "سيناكريب" في "نينوي"، انظر:

A.H.Layard, Discoveries in Nineveh and Babylon (London, 1853), 156-59.

وحول إعادته للهاربين السياسيين، انظر:.7-6,(1985) D.B.Redford,JARCE 22

Cf.Cairo JdE 44665:J.Leclant, Enquêtes sur les sacerdoces et les sanctuaires (\7\) égyptiens à L'époque dite "éthiopienne" (Cairo, 1954), 35.

(١٦٢) قارن سفر كشعياء ١٨: ١ وما بعده، حيث يستنكر النبي العبراني، بقوة، الخطوة التي أقدم عليها

ANET2 .287. (177)

(ملوك مصبر " هنا هم رؤساء مناطق الدلتا، أي المكام الليبيون الذين يصبر الأشوريون على ومسقهم . بالغطاء ب اللوكاء انظر: (pace N. Na'aman, VT 29(1979),65). والإشارة الوحيدة التي وردت في سفر "الملوك" الثاني إلى "طاهركا" بصفته ملكا لمصر وقت الأحداث أدت إلى كمية هائلة من كتابات تاريخية "منقحة". ولما كان "شاباكا" قد صعد إلى العرش في سنة ٢٧٥قم. وتمتع باكثر من ١٥ سنة في منصبه، فيتنسس على ذلك أنه كان جالسا في كرسي العرش في سنة ٢٠٠/انظر: (Redford,JARCE 22(1985),13)

وليس خليفته الثانى، حتى ولو كان ابن أخيه "شيبيتكو" الذي خلفه مباشرة، على العرش، قد شاركه فى تولى مقاليد الحكم لاء ثلاث سنوات، فإن إسباغ هذا الشرف كان لا يزال في سنة ٧٠١ في على المستقبل؛ انظر:
Murnane, Ancient Egyptian Coregencies, 180-90

حيِّن نُجِد أن حالة المشاركة في الحكم الواردة إنما تعتمد، وحسب، على استدلال من سفر "اللوك" الثاني ١٩: ٩ نفسه) على أن وصول "طاهركا" (= ترهاقة" في إحدى ترجمات "العهد القديم") إلى مصر من مسقط رُأْسَهُ فَي "النويَّة". مَوْمَدُوف بعبارات صريحة لا تحمل أي لبس، في نص كارا" المشهور (: ٢٨). والأن ها قد تعلق من هناك، وكنت معه لأنه (شبيبتكر النين استدعاهم من هناك، وكنت معه لأنه أحيني أكثر مما أحب كافة إخوته وجميم أبنائه .. وكانت أمى لا تزال في أرض النوبة، فلقد تركتها وأنا شداب في العشرين من عمدي، عندما انحدرت مع جلالته إلى مصر السفلي". وهكذا لم يقرر أن استدعاء الأمراء كان متصلاً بأي عال من الأحوال بأي استعدادات للحرب (إذا صبع قبل K.A.Kitchen,RdE :(34,1982),65)كان "شبيتيكو" يشكل، بكل بساطة، بلامك في "منف" عقب رحيل سلفه: "شاباكا". ويناء عليه بكون "طاهركا" لا بزال صبياً يعيش في النوية في سنة ١٠٧قم،، وكانت رحلته التي ستأخذه لأول مرة إلى مصد نفسها لا تزال بعيدة أمامه في رحم المستقبل. وحملنا الإشارة التي وردت في سفر 'اللوك' الثياني إلى 'طامركا' ١٩: ٩ على مسمسمل الجسد (قسارن: Na'aman VT 29 1983-1983} 65;Kitchin,RdE 34{982-1983} أمر يفتقر إلى كل مسرغ، فضلا عن قيادته لنا إلى نتائج مصللة. (بطبيعة المال كانت قوات النجاريد المسرية تنقسم أحيانًا إلى فرق مختلفة، ولكن الممالات لم تَكُنَّ تُغْرَف باسم القائد الأبنى مستوى (أي قائد هذه الفرقة أو تلك)، في هذه المالة الأمير...مع الفرقة الثانية") والأمر بكل بساطة، كان "طاهركا" هو الاسم الفرعوني الوسيد الذي يعرفه مؤلف سفر "اللوك" الثاني للفترة التي كان يكتب تاريخها، ولذلك افترض، عن طريق الخطأ، أن "طاهركا" كان جالسا بالفعل أن نفى العرش، وللإطلاع على تقاليد "طاهركا" كفار، انظر:

Strabo, 1.3.21; 15.1.6; G.Goosens, CdE 22(1947), 239ff.

(١٦٤) قارن المنظر النموذجي لضرب الرأس حتى الموت، انظر:

J.Leclant, Recherches sur les monuments thébains de la XXVe dynastie dite éthiopienne (Cairo, 1965), 2:pl.82b; 1:339, n.4);

تتضمن الرثائق الماصرة التي تتعلق بالتجارة التي ترجع إلى سنوات ٧٠٢،٧١٠ و٧٠٠ أهيانا عبارة (فلينعم بالضحة وليرهب النصر من قبل "أمون"!)، انظر:

(J.Malinine, Choix de Textes juridiques(Paris,1953), P.Louvre 322b, d, and e); The Toronto scarab(see n.154)

التى تقول: "لقد نبع أعدامه فى مصر العليا ومصر السفلى، وفى كافة البلدان الأجنبية، وسكان الرمال الذين ثاروا ضده سقطوا صرعى على يديه، ولقد جاءا طوعا كأسرى أحياه، كل منهم يمسك بزميله "حول جدارايات" جبل بركل"، انظر: رقم ١٨٥ (١٦٥) لا يقل العبر الذي أهرق ونثر وانصب على حملة 'سيناكريب' على 'فلاسطين' و'يهودا' في سنة ٧٠١ ق.م، عن فيضان عميم. ومن بين المساهمات الاكثر معتمدية والاكثر أهمية، يستطيع المره أن يستشهد بما يلي:

Tadmor,BA 29 (1966),86-102;B.S.Childs, Isaiah and the Assyrian Crisis (London,1967); Oded, in Hayes and Miller,Israelite and Judaean History,446-51;D.Ussiskin,IEJ 29(1979),137-42;idem,The Coquest of Lakish by Sennacherib (Tel Aviv,1982);M,Hutter, BN 19(1982),24ff.;F.Gonclave,L'expédition de Sennacherib en Palestine dans la literature hébraique ancienne (Paris,1986),352-63;P.Dion, Bulletin of the Canadian Society of Biblical Studies 48(1988),3-25.

حول المنظور المصرى لحملة أسيناكريب، انظر:

F.J.Yorco, Serapis 6 (1980),221-39;K.A.Kitchen,in M.Görg,ed., Fontes ataque Pontes (Wiesbaden, 1983),243-53.

أدى الاهتمام المفرط وغير النقدى بالإشبارة التي وربت إلى "تاررقيا"، مع تقييم خياص يرى أن سيفر "الملوك" الثنائي (۱۸: ۱۷-۲۹:۳۹) يضم سيجلا لصادئين منفيصلين، ببعض العلماء إلى اغيتراض أن "سيناكريب" قام بحملتين، الأولى في سنة ٢٠١ والأخرى في ،١٨٨٠ قارن:

Bright, History, 285-88; W.H. Shea, JBL. 104(1985), 401-18; cf. H. Horn, Andrews Uni-) versity Seminary Studies 4(1966), 1-28).

أصبح هذا العمل، مع ذلك، تمرينا على العذق، ومسخا ساخرا المنهج العلمي من ذلك النوع الذي فقد قدرته حتى على التسلية أو الإمتاع.

Cf.J.Von Beckerath, JARCE 5 (1966),53,n.33. (\\\)

الفعل أن يظهر مستخدم في هذا النقش اليدوي (=الجرافيتو) في الدلالة، على الأرجح، على "التتويج".

Leciant, Recherches,237,n.1. (\1\v)

M.Astour,JBL 84(1965),422-25. (١٦٨)

Leclant, Recherches,340,n.3. (\74)

Redford, JARCE 22(1985), 14, fig. 3. (\Y-)

Redford King-lists,300,n.19;Leclant,Recherches,347;idem,LdÄ 6 (1986), 156- (\Y\) 67;Yoyotte,BIFAO 51(1952),16;J.Leclant and J.Yoyotte,RdE 10(1949), 37ff.; W. Helck, ZÄS 93 (1966),74-79.

ُ (١٧٢) حول السياسة الخارجية التي تبناها أطاهركا تجاه الشمال، انظر:

A.J.Spalinger,Orientalia 43(1974),295-326;idem.CdE 53(1978),22-47.

MacAdam, Kawa,1:5ff.,33ff. (\vr)

J.Leclant, Montouemhät, quirieme prophète d'Amon et prince de la ville (Cai- (۱۷٤) ro, 1961), 197, line 2;2:213, line 11.

Cairo 770. Taharqa's involvement is reflected in Lybia in an unpublished Kar- (۱۷۰) nak stela.

ينعكس تورط "طاهركا" في ليبيا في النص غير المنشود والمنقوش على صابود/لوح الكرنك.

- ANET2,290. (1V1)
- S.Yeivin, JQR 50 (1959-1960).226. (\vv)
 - Katzenstein, History of Tyre, 263. (NVA)
- R.Borger, Die Inschriften Asahaddons Königs von Assyrien (Graz, 1956), 102. (191)
- في إطار الهيمنة التي يسطها "طاهركا" على سهل فلسطين :Philistine، يجب على المره أن يذكر قطعة الشخليلة (عالمملاصل) التي عثر عليها خلال عملية التنقيب التي جرت في "مقنة"، انظر:

(S.Gitin, BAR 16, no.2 (March-April 1990), 41)

ويشير تقديم النثور إلى "أمون-رع"، سيد عروش الأرضين، الذي نجده سائداً في "الجبل المقدس"(أي "جبل بركل" في "قرون الأرض":Homs of the Earth. إلى الشكل الناباني (نسبة إلى "ناباتا"، عاصمة "كوش")، للإله والأولى إلى مستودع خلال عصر الأسرة الخامسة والمشرين، وليس الأسرة السادسة والمشرين (كما يعتقد، على ما يبدو واضحاء المستكشف الذي قام بعملية التنقيب)

(١٨٠) مع انتهاء المنطقة العازلة بين "دمشق" و إسرائيل"، اضطرت دول جنوب المشرق، أكثر من أى وقت مضى، إلى التوجه إلى مصدر طلبًا العون. ويستطيع المرء أن يرتأى أن التأثير اللغوى والمؤسسى والمثقائي، أيا كان، الذى تركته مصر على "بهودا" (انظرص ص ٣٥٠-٣٩٤من النص الأصلى) حدث خلال هذه الفترة، قارن، على سبيل المثال، التأثير المصرى الصارخ الذى يتبدى جليا في أدوات العبادة التي ترجع إلى "بير-سبع"، انظر:.71 (124),fig.172) (4.21).

(۱۸۱) انظر ص ۲۵۲

(۱۸۲) سفر "إشعيا" ۳۰: ٦--٧

ANET2,288a. (\AT)

(۱۸٤) سفر الشعيا ٦٠: ١-٥، ٢١: ١-٣

A.M.Moussa, MDAIK 37(1981),331-37. (\A6)

يدل برنامج التشييد الضخم في مصرالذي تقوم عليه أدلة قوية خلال هذا الحكم (J.Leclant,LdÃ6) ((1986) على تنظيم فعال لقوة العمل. ومناظر النصر الذي حازه 'طاهركا' مقولية ومبنية على مفردات الملكة القديمة، انظر:

Leclant, Recherches, 297-98; R.A. Parker et al., The Edifice of Taharqa by the Sacred Lake at Karnak (Providence, R.I., 1982), 57, pl. 27.

حول التقاليد التي تروى عن 'طاهركا' كفار انظر:

.34(1953),34لك. Janssen,Biblica 34(1953),34لك. Strabo, إ,3.21,15.1.6; Goosens,CdE 22(1947),239-44; Janssen,Biblica 34(1953),34لك. أن يستطيع المرء أن يتوقف أمام الجداريات الملغزة التي كانت فائمة ذلت يوم مي جبل البركل التي جنب "سبالنجر": Spalinger انتبامنا إليها، انظر:

JSSEA 11 (1981),46-49and fig.4.

قهذه الجداريات تصور جنودا يرتدون خوذا أشورية، بتجرعون كأس الهزيمة على أيدى قوة مصرية خويية تركب المجلات الحربي، ويحاول "سبالنجر" أن يضع نقطة نهاية Terminus ante quem المكم "سيناكريب" استنادا إلى الخوذة المخروطية الشكل ويجود المنظر في قسم من المبد بناه "بي-عنفي"، انظر: "سيناكريب" استنادا إلى الخوذة المخروطية الشكل ويجود المنظر في قسم من المبد بناه "بي-عنفي"، انظر: أنفار.49;cf.D.Dunham, The Barkal Temples (Boston, 1970), plan B502). ومع ذلك فهذا النوع من الخوذ استمر خلال عهد أسيناكريب وجزء كبير من القرن السابع ق.م.، انظر:
D.Ussishkun, The Conquest of Lakish by Sennacherib (Tel Aviv1982),pls.66,69-)
72 and passim;H.Hall,Babylonian and Assyrian Sculpture in the British Museum(Paris,1928);

قارن النموذج الرائع الذي نجده قرب الرامسيوم"، انظر:

Leclant, Recherches, 181(E,1))

والقاعة رهن الحديث كانت، على نمو شبه مؤكد، لا نزال تحت الزخرفة في أواخر سنوات الحكم، انظر: P-m VII,219-20.

ينطوى هذا المنظر على ما يحدونا إلى أن نرى فيه سجلا تركته لنا الأسرة الخامسة والعشرون لإحدى الحملات الأولى التي قام بها "طاهركا" أو "إلتيكيه".

See R.Zadok,WO 9 (1977),35ff.;ANET2,294. (1A1)

(۱۸۷) حول حکم "منسی"، انظر:

Oded, in Miller and Hayes, Israelite and Judaean History, 452-58

لعله من الراجح أن أمنسي"، كان مضطرا، انساقا مع غيره من توابع "إيزارهادون"، أن يوقع معاهدة تبعية، تلزمه بتقديم الدعم للأهداف الأشورية وأن يمتنع عن التفكير في التمود، انظر:

Miller and Hayes, A History of Ancient Israel and Judah,370-72;

تمثلت المطالب الأشورية اللاحقة في ضرورة إقامة مواقع للحاميات، انظر:

(Oded,in Miller and Hayes,Israelite and Judaean History,455),

وريما يكون نفوذ "أشور" قد امتد إلى شمائر العبادة، انظر:

(M.Weinfield, JNES 23(1964), 202-12)

وعسلاقت (أي أمنسي) الوطيدة في وقت سسابق مع أمسور قسارن: Katzenstein,History of) 46-1778 لا تعني أنه التفرط، بمسورة نشطة، في الهبة، ويبدو أن الجزية المفروضة على أيهودا في ذلك الوقت لم تكن ثقيلة، انظر:

R.F.Harper, Assyrian and Babylonian letters Belonging to the Kouyunjik Collection(s) of the British Museum (Chicago, 1892-1914), no. 632.

Roux, Ancient Iraq,293-94. (\AA)

(۱۸۹) حول مقر إقامة الحاكم الأشوري في "تل يميه": Tel Jemmehوالمثور هناك على مفردات تخص قصرا أشوريا، انظر:

G.Van Beek,IEJ 24 (1974),139,274;27(1977),172;Na'aman,Tel Aviv 6 (1979),72-73,81.

ANET2,290,302;R.Campell Thompson, The Prisms of Esarhaddon and Ashur- (\%-) banipal (London,1931),18.lines 39ff.;Borger, Inschriften,50.

Borger, Inschriften, 107-9; ANET2 (Suppl.), 533-34; Katzenstein, Tyre, 267ff. (\4\)

ANET2,291;Borger, Inschriften,48. (14Y)

On URU Sa.LU of Esarhaddon chroncle,see S.Smith,Babylonian Historical (۱۹۳) Texts (London,1924),10-11;ANET²,303;H.von Zeissl,Äthiopen und Assyrer in Ägypten (Glückstadt, 1924),36.

يصعب علينا الفصل بين هذه البلدة وتلك الموجودة في بلاد "بابل"، ويبدر أكثر من مرجع أن الحقيقة، وعلى نحو ما يعتقد كل من "لاندزببرجر": Bauer(ZA 37{1937},87) وعلى نحو ما يعتقد كل من "لاندزببرجر": Landsberger تكمن في حشر حمله أشورية صغيرة ومحلية في هذا التأريخ حتى يتم تفادى الحرج الناجم عن الاضطرار إلى ذكر هزيمة كانت قد ألمت بالأشوريين إلا أن محاولة "فيخت": (Fecht (MDAIK 16(1958),116ff) إلى أن يرى في الاسم إشارة إلى حصن "صايل" العدودي، تنطوى على سذاجة بالغة، بل وتنهار أمام الرسم غير المرجع للكلمة بعلامات وحروف أجنبية، انظر: .30-300 (1974) Spalinger, Orientalia 43(1974),300-30

(١٩٤) حول هذه الطرق، انظر:

J.Clédat,ASAE 15 (1915),16;C.S.Jarvis, Three Deserts (London,1936),11fl.; J.Baines and J.Malek,Atlas of Ancient Egypt (New York,1980),19-20, 188;Y.Aharoni, The Land of the Bible:A Historical Geography (London,1979),197-200.

ANET2,293;Borger, Inschriften,102;M.Etan,JAOS 98(1978),33. (14e)

J.A.Knustzon, Assyrische Gebete an den Sonnengott (Berlin,1893), 2:nos . 69,(193) 70; Tadmor,BA 29 (1966),100.

S.Parpola, Letters from Assyrian Scholars to the Kings Esarhaddon and Ashur- (19V) banipal (Neukirchen-Vluyn,1970),no.117.

L.Waterman, Royal Correspondence of the Assyrian Empire (Ann Ar- (NA) bor, Mich., 1930-1936), no. 276.

(١٩٩) حول رواية 'إيزارهادون' الخيالية، انظر:

ANET2,292.

تحولت المشكلة التي تدور حول أي طريق سلكه إيزارهادون في دخوله مصدر إلى التعرف على موقع مجدول التوراتية، انظر: مجدول بصفة جزئية. وفي العادة كان الباحثون يستقرون على أنها مجدول التوراتية، انظر: (J.Simons, Geographical and Topological Texts of the Old Testament (Leiden, 1959), sec. 424.

يقد تم التعرف في الأونة الأخيرة عليها في الموقع تي ٢١ : (Site T 21) على بعد عشرين كيلو مترا شمال شرقي مدينة "التنطرة" الحديثة، انظر:(44-7,4984)E.Oren,BASOR 256

وإذا صبع هذا، فإن "إيزارهادون" يكون قد دخل مصر، دون شك، عبر الطريق الساحلي قادما من "غزة". ولكن المشكلة التي تفرض نفسها علينا في هذا الصدد، نتمثل في أن بردية: P.Dem.31169، وهي بردية جغرافية على جانب عظيم من الأهمية، وأو أنها في حاجة ماسة إلى طبعة جديدة، تذكر وجود أربع مدن على الأقل تحمل كل منها اسم "مجدول" وتقع على الحدود الشرقية لمسر، انظر:

(D.B.Redford, in A.F.Rainey,ed., Egypt, Israel and Sinai (Tel Aviv, 1987), 143, n. 14)

- ولعله من المعقول أن واحدة أو أكثر منها كانت واقعة جنوبي مدينة 'القنطرة'، كي تحرس المدخل الذي يقود إلى وادي طوميلات'.
- (۲۰۰) الد 'إشكوبري' الأشوري، كان دون شك، قاعدة تحمل اشأم التتويج الخاص بالفرعون "سيتي" الثاني (۲۰۰) الد 'إشكوبري Gauthier, Le livre des rois d'Egypte 3:130-39;

يجدر أن نماثل بينها ربين الاسم المشابه الوارد في بردية P.Dem 31169 التي يضعها "دارسي" في زمام "الصالحية"، انظر:G.Daressy (ASAE 17(1917),128)

انظر أيضًا:. 19-118-1958) Fecht,MDAIK 16(1958)

- ANET2,293. (Y-1)
- Leclant, Montouemhât,83,line 6;P.Rylands IX,vi.16-18. (Y-Y)
- D.B.Redford,LdA 4 (1984), 368-69;idem,King-lists,326-27. عن أنيض (١)، انظر: ٢٠٢) عن أنيض الم
 - (٢٠٤) عن "تانوتامان": Tanwelaman وإعادة الاستيلاء على مصر، انظر:

Spalinger, JAOS 94 (1974), 316-28; A.Leahy, GM 83 (1984), 43-46; S.M. Burstein, JSSEA 14 (1984), 31-34.

ANET² (Y.o)

ظهر جانب من الفنائم في الحفائر التي قام بها المنقبون في "أشور"، انظر:

W.K.Simpson, Sumer 10 (1954),193-94;V.Vikentiev, Sumer 11(1955),111-16;idem,Sumer 12(1956),76ff.;B.Parker,Iraq 17 (1955),119,Leclant,Orientalia 27 (1958),96;30 (1961), 394;P.Barguet, Le temple d'Amon-rê à Karnak (Cairo,1961),135.

الفصل الثالث عشر

مسألة التأثير المصرى على إسرائيل الملكة: وهم أم حقيقة ؟

يكون أمراً غريبًا حقًا إذا كانت 'إسرائيل' و'يهودا' خلال العصر المديدي قد عاشتا عمرهما القصير نسبيًا كدولتين مستقلتين معزولتين عن المؤثرات الصادرة عن أقرب أعظم أمة - دولة كبرى في المنطقة أي مصر. (تقع العاصمتان "أورشليم" و السامرة على بعد لا يزيد عن ٤٤٠ و٤٧٠ كيلو متراً من منف عاصمة مصر، على التوالي) ومع ذلك إذا ما تحلى المرء بالصراحة التامة، فلسوف يجد نفسه مضطرًا إلى الإقرار بأن علامات التأثير الممرى في 'التوراة' أو الاقتباسات المحددة التي قنصتها الثقافة الإسرائيلية من مصر قليلة بشكل ملحوظ ولا تطفو على السطح بشكل مباشر بكل تأكيد، على الأقل عند القراءة العابرة لـ "التوراة". أين إذن نستطيع أن نجد تلك التأثيرات؟ أم أننا مخطئون في الافتراض الذي انطلقنا منه؟ لا شك في أن ثقافة العبرانيين القدماء، بجنورها التي تضرب في ماضيهم البدوي في قبائل "الشاسو" اقترضت بشكل شديد الكثافة من "الكنعانيين" وأشباههم الذين عاشوا في سوريا وعلى الساحل. ولم تكن "إسرائيل" أكثر من جماعة بشرية تتحدث اللغة الكنعانية التي تنتمي إلى العائلة الفرعية: السامية الغربية، أما أسلوبهم أي الإسرائيليين في الحياة وثقافتهم المادية فهما نابعان ومتوطنان في المشرق. ولم يتصلوا مطلقًا اتصالاً مباشرًا في فترة التكوين من تاريخهم بمصر، ولقد بدا الفرعون لهم باستمرار من خلال رؤية مستعارة من أهل الحضر من الكنعانيين، كسيد وطاغية أو يكاد أن يكون كذلك.

ومع ذلك فعلى امتداد خمسة قرون كان تأثير الإمبراطورية المصرية ملموساً على المتداد القرن الغربي للهالال الخصصيب، ومع أن هذا التاثير تقلص بتفكك هذه

الإمبراطورية، إلا أنه لم يتوقف كلية بأى حال من الأحوال. وبالتالى فإننا محقون تماماً في بحثنا عن آثار ذلك التأثير المصرى في التوراة، طالما جرى هذا البحث بأسلوب متوازن ومنطقى وطالما وضعنا محاذير معينة في ذهننا.

أولاً: لا نخدم أى غرض علمى إذا أطلقنا العنان للحماس أو قذفنا بالحذر الرياح وتخيلنا وجود كلمة أو عبارة مصرية وراء كل "هابكس" hapax (⇒ تعبير) عبرى أو وجود عادة مصرية خلف كل عرف عبرى غير مشروح بطريقة أخرى، وقبل وقت ليس بالبعيد عنا بدأ رد فعل طيب ضد اتجاه مماثل يتخيل أن نصوص 'العهد القديم' كتبت بتأثير "بابلى ـ كلى" Pan-Babylonian منتشر فى كافة ثناياها. وأرجو ألا تحل محل هذا الاتجاه الآن "نسزعة مصرية – كلية"! ولقد تلقى كاتب هذه السطور، عندما كان لا يزال طالبًا على أبواب الدراسات العليا تأنيبًا مفيدًا من أستاذ التاريخ اليوناني عندما مال في مقال دراسى له نحو "التأثير الأجنبي في فن الحقبة اليونانية العتيقة". فلقد تطلع فحوى بذلك التوجس الذى لا يستطيع سوى أستاذ الكلاسيكيات أن يكنه لطالب ينخرط في دراسات الشرق الأدنى، وهمس: "حسننا! تستطيع أن تفعلها. لكننى لا أظن أنك سسوف تخلص إلى أن كل شيء جاء من مصر!" وبصرف النظر عن دوافع الأستاذ، إلا أن سخطه بدا إيماءة تحذير: الالتزام العلمي بمنطقة معينة أو نسق معين لا ينبغي أن يتحول إلى نوع من التذرع المُغرض.

ثانيًا: حتى إذا استطعنا عزل كلمة ما أو موتيف أو عرف أو عادية من العاديات المصنوعة بيد الإنسان، مما لها على وجه الاحتمال أصل مصرى، فإن المرء لا يستطيع أن يفترض بصفة تلقائية أن عبرانيى المملكة الإسرائيلية استعاروها مباشرة من مصر المعاصرة لهم، فتراث الإمبراطورية المصرية التى ترجع إلى العصر البروبزى كان عظيم الشئن، وليس معقولاً ألا يستمر حيًا أو ألا يستلهمه العبرانيون. ونظراً للانخفاض الحاد في عدد المصادر المدونة من الأسرة الحادية والعشرين حتى الأسرة الرابعة والعشرين، فلقد أصبح أكثر صعوبة بشكل جوهرى مما كان عليه الحال في المملكة الحديثة أن نصف الثقافة المصرية بتفصيل محدد خلال العصر التانيسي (= نسبة إلى تانيس") أو عصر الهيمنة الليبية.

ثَالتًا: لعلها حقيقة ثابتة تلك التي تقول إن "يهودا" وعلى نحو خاص "إسرائيل" تمتعنا خلال العصر الحديدي الثاني باتصال أشد قربًا مع الساحل الفينيقي مما كانا

يتمتعان به مع وادى النيل. وتكشف الأساليب الفنية والمعمارية بشكل واضع أن إسرائيل استعارت الموتيفات المصرية عبر الفينيقيين، وإذا كان ذلك كذلك، فلماذا لم تستعر أيضًا المواد المعجمية والأفكار؟ باختصار: أيًا كانت شاردة تلك المؤثرات للصرية التى قد نجدها هنا وهناك إلاّ أنها قد تعزز ببساطة اعتقادنا في وجود الصلة الفينيقية.

أيديولوجية الملكية:

نبدأ بمجال الملكية. فهنا يبدو أن بونًا شاسعًا يقوم بين الملكية المقدسة الفراعنة التي يعبر المسريون عنها بمبورة عقائدية خلال أدوات أسطورية وأساسية لمفهوم النولة المصرية من جانب وبين الصورة الباهنة والسريعة الزوال المملكة الاسرائيلية. وكانت الهوية الأسطورية للفرعون وكذلك دوره قد ضربا بجذورهما في التربة المصربة خلال النصف الأول من الألف الثالث ق.م. وقامت العبادة الملكية بتشيتها بصورة غير قابلة للتغيير لكل الأزمنة^(١). فكان فرعون مصر تجليًا لراعى الأسر المالكة على الأرض: حورس، ابن الإله - الشمس، متمتعًا عند الموت بالتأليه كالإله "أوزيريس". ولقد سما الفرعون فوق الخلق مثل رب جوهري معين هبط من علياته إلى الأرض ويصفته هذه كان ضامنًا للخصوبة وحافظًا لنظام الكون ومتقبلاً مقدسًا للعبادة. ولو أن تغير الأزمنة، أفضى بطبيعة الحال، إلى إدخال تعديلات هنا وهناك. ففي الألف الثاني برزت إلى مقدمة الصورة وظيفة الفرعون الأرضية (=الدنيوية)(٢) إذ أصبح مختارًا من قبل الألهة، وبدا شبيهًا بوالده "رع"، وانصب تركيز كبدر على قوته البدنية وبراعته الحربية، وقدرته على الانتكار وفطنته المشربة، وبحلول بداية الألف الأول جلس الأجانب على عرش منصير، وانعكس ذلك في حدوث ضبعف أشيد للرابطة بين الدور الأسطوري وبين الحقيقة الدنيوية. وهبط لقب "الفرعون" أو "الملك" الذي كأن مشحوبًا يومًا بالهبية والإجلال إلى مرادف لا يزيد إلاّ قليلاً عن "رأس دولة". وانتشر حكام المدن النين أخذوا يطلقون على أنفسهم لقب ملك في نفس اللحظة الواحدة من الزمن، ولسنا واثقين مما إذا كان قلب الجد إلى هزل، الناجم عن كل ذلك، الذي لحق بأسطورة "حورس" كان قد ولد في غضون ذلك في العقل المصري(١). وأصبحت الرابطة بين

الحاكم كربيب وبين إله معين يختاره ويشمله برعايته أقوى وأمتن خلال النصف الأول من الألف الأول⁽¹⁾.

من جانب آخر نجد الملكة monarchy العبرانية تنتمى النوع المشرقى من الملكية kingship وتختلف بصورة ملحوظة عن الملكية التى عرفتها مصر (أ). فهنا نجد الملك "قادم متأخر" ينتفع بهالة السحر (الكاريزما) المضفاة عليه، ولكنه يرتبط باتفاق تعاقدى مع شعبه، وكذلك مع الإله القومى، وك "مخلص" (soter لقب كان يطلق على "زيوس" رب الأرباب في الأساطير اليونانية القديمة. المترجم) وكان يقود الجنود في المعارك ويقيم ميزان العدل، إلا أنه كان مدينًا للإله القومى، الذي يعد هو نائبًا ووكيلاً له. وبصفته قائدًا لأمة كانت قد تحررت قبل وقت وجيز من تقاليد البداوة، كان يزهو بكونه ملكًا وبشجرة طويلة من الأنساب، ومع ذلك كان الرب هو الذي يختاره وهو الذي يحفظ عليه استمراره في موقعه. وعلى هذا النحو كان الملك العبراني في كثير من الصيخ نسوعًا من "الوسيط" بين الإله والشعب، وهو في هذا يشبه إلى حد كبير السيطًا بين شعبه والفرعون. وكان خاضعًا لقسم بالولاء، مثلما كان الملك خاضعًا للهد": كلاهما يقفان موقف التابع.

وبناء عليه فليس فى مقدورنا أن نقارن البتة بين الملكية المصرية وتلك العبرانية سواء على مستوى الأصول أو الصيغ أو الأيديولوجية، ولكن الهياكل الاجتماعية – السياسية التى تملك وعيًا ذاتيًا وتكون قد حققت درجة من الرقى قد تقلّد النماذج الموازية التى تقف منها موقف الإعجاب. فهل هذه هى حال الملكية فى إسرائيل؟

حتى هنا يصعب علينا أن نرصد أى 'طلاء مصرى' على أعراف ومفاهيم الملكية الإسرائيلية. ففى طقوس التدشين، على سبيل المثال، يزعم كثيرون أن "الميثاق" ("المزامير" ٢: ٧) و"العهد" ("الملوك" الثانى ١١: ١٢) اللذين كانا جزءًا لا يتجزأ من ملقس التتويج فى "يهودا" إنما يرسمان "لقبًا خماسى الأبعاد" من ذلك النوع الذي عرفته مصر (١)، ولكن الكلمات العبرية رهن الحديث لا تتصل من قريب أو من بعيد برسم أى ألقاب ملكية (٧). ولقد شبه البعض تسمية الملك المسيحيانى (عبالعبرية مشياح" وتعنى الممسوح بالزيت، وهو الملك المنتظر في العقيدة اليهودية أن يظهر كى يخلص بني إسرائيل من عبوديتهم الأجانب ويعيد أمجاد عصرهم الذهبي، وهو ملك

منحدر من نسل داود". المترجم) في سفر "إشعيا" ٩: ٦ بالألقاب الخمسة أو "الاسم العظيم" الذي دأب الفراعنة على حمله، إلا أن الاسم العبري يتكون من أربعة ألقاب وحسب، وليس بينها ما يشبه ولو من بعيد أي اسم مصري (١٨). ورأى أخرون أن القصة المتوهجة التي تدور حول الطفل المنحوس الذي نتج عن الجماع (غير الشرعي) بين داود" وبين "بتشابع" إنما تذكرنا بمفهوم الـ "كا" (=القرين) الملكي في مصر القديمة، إلا أن هذا الرأى مقحم ومغرض ويفتقر إلى الحساسية بسمو المستوى التي كتبت عنده القصية العبرية (١٠).

كأن مسح الملك بالزيت في "إسرائيل" و"يهودا" جزءًا لا يتجزًّا من عملية تنصيب الملك (١٠)، وعلى النقيض من ذلك، كان المسح بالزيت كرمز في مصر، مستبعدًا، فيما يبدو، من طقوس التتويج (١١)، إلا أن الأدلة التي وصلت إلى أيدينا تشير إلى أنه كان مع ذلك ساريًا عند تعيين المسئولين والأتباع(١٢). والسؤال الذي يدور حول ما إذا كان ذلك السريان قد وفر للطقس العبرى موازيًا ذا معنى، خصوصاً وأن الملك أصبح الآن هو رسول "يهوه وتابع من أتباعه، سؤال خلاب ولو أنه ينطوي على فكرة بارعة المستعة، ومن جانب أخر هناك أدلة قوية على عرف مشترك من السبع بالزيت عند التتويج في المجتمعات التي عرفت الملكية في سائر أرجاء غرب أسيا، أو على الأقل خلال العصير البرويزي المتأخر(١٢)، وبالتالي فإن هذه الظاهرة في إسرائيل قد تكرن محلية النشأة عوضيًا عن أن تكون مستعارة من مصر. أما بخصوص المستلزمات، فلقد زعم البعض أن الكلمة العبرية التي تعنى "تاج" وهي 'نيزير' nezer مشتقة من الكلمة المسرية القديمة "ن ص ر" التي تعني 'لهب"، وهي الكلمة التي كان المسربون يستخدمونها للحية - الكوبرا التي كانت تقف على غطاء رأس الفرعون وعن طريق الميتونيمية metonymy (=استخدام اسم معين للدلالة على اسم آخر يرتبط به ارتباطًا ما كالصولجان الدلالة على الحكم، المترجم) الدلالة على التاج نفسه(١٤). وبينما نجد من الصحيح أن التاج المصرى المزدوج والتاج المعروف باسم 'الأتف' انتقلا من مصر كي يدخلا في الأيقونات المشرقية خلال العصر الحديدي(١٥)، إن لم يكن قبل ذلك، إلا أنه ليس من المؤكد أبدًا أن حكام الدول الفلسطينية استخدموهما كرداء للرأس. زد على ذلك أن معادلة "نيزير" العبرية بـ "ن ص ر" المصرية تبدو موضع شك من الوجهة اللغوية: الكلمة المصرية كانت لتظهر في عبرية الألف الأول كـ "نيصير" (١٠) ولكن مسند ذراع عرش "سليمان"، وهو على هيئة أسد، ("الملوك" الأول ١٠: ٢٠–٢) يذكرنا، بكل تأكيد، بالنموذج الأصلى المصرى الذي كان شائعًا منذ أيام أخيتاتون (=العمارنة) وصتى الأسرة العشرين، إلا أنه يبدو أنه دخل المجال الإسرائيلي عبر وسيط هو الحرفية الفينيقية (١٠). وتواجهنا المزامير الملكية بين الحين والآخر بمفهوم الملك كابن أو صورة الإله (قارن خصوصًا المزامير ٢، ٨، ٢٧ و ١٠٠) واكن يتعين علينا أن نقر بأن الأدب الذي وصل إلى أيدينا لا يركز بشكل خاص على ولكن يتعين علينا أن نقر بأن الأدب الذي وصل إلى أيدينا لا يركز بشكل خاص على الم يلعب أي دور على الإطلاق في التصوير التاريخي لملوك "يهودا" و إسرائيل كما يتضح من سفري "الملوك". وفي الختام يمكن أن يقال أيًا كان مدى بروز تأثير بلاد الرافدين (= ميزوبوتاميا) في طبيعة الملكية العبرية، إلا أن إسهام مصر فيها لم يتجاوز حده الأدني. فالشكل المشرقي الملكية انبثق وتطور من عناصر محلية إلى حد كبير.

الموظفون الحكوميون والآليات:

اعتاد الباحثون طوال نصف قرن أن يبحثوا عن نظائر للمسئولين في الملكتين العبريتين (وخصوصًا أولئك الذين وردت أسماؤهم في سفر "صامويل" الثاني ٨: ١٦- ٢٦ وسفر الملوك الأول ٤: ٢٠٠٦) في المناصب الحكومية في مصر المجاورة (١٩) ويسوق بعضهم حججًا على أن "داود" وسليمان" كانا ليحتاجان خلال إقامتهما لبيروقراطية دولة حيثما لم تكن هناك سابقة من قبل، إلى نموذج، وهل هناك نموذج أفضل مما تستطيع أن توفره لهما الخدمة المدنية (=السلك الحكومي) الضاربة لعشرات القرون في أعماق الماضي والمتميزة بكفاءة عالية كالتي عرفتها مصر؟ ولقد ارتثت "إسرائيل" في "المدن- الدول" الكنعانية ضيقًا شديدًا ومحلية عميقة في أفاقها، الأمر الذي صرفها أي "إسرائيل" عن تقليدها: كانت "الإمبراطورية" تمثل في سائر الأحوال قفزة هائلة على "المدينة – الدولة". زد على ذلك أن الوعي بالإدارة المصرية لا يمكن أن يكون الإسرائيليون قد اكتسبوه خلال ارتشاح ثقافي بطيء، وذاك لأن

الأمر كان عاجلاً وملحًا. لا، لابد وأن يكون الكتبة المصريون قد وفدوا إلى بلاط "أورشليم" بصفتهم مستشارين.

ينبغى أن نعبر هنا عن عديد من المحاذير قبل أن 'نبلع' هذه الحجة برمتها. ففي المقام الأول نجد أن القضية بأسرها مسلمة من المسلمات a priori فلا أعرف نصبًا توراتيًا يذكر اسم كاتب مصرى وفد إلى بلاط "داود" أو"سليمان" على حد سواء، بل وليس هناك لقب واحد في الخدمة المدنية العبرية يمكن أن يكون منقولاً بحروفه أو مترجمًا بمعناه عن أصل في اللغة المصرية القديمة (٢٠). ثانيًا: بينما كانت الأغلبية الساحقة من مدن العصر البرونزي المتأخر في "كنعان" شنوبًا خيسًلة ـ حتى إن وصفها ب مدن - دول برفع معظمها إلى مرتبة أعلى كثيرًا مما كانت عليه في الواقع - إلا أن المدن الساحلية كانت أكثر رقيًا بل وتماثل في حجم السكان المجتمم اليهودي الذي وقفت "أورشليم" عاصمة له. وكانت الدروب الطبيعية للاتصال بين الجيال والساحل لتضم العبرانيين موضع احتكاك بهذه النماذج أول ما تضم. وأخيرًا: تنبع الإدارة اليومية أدولة ما بدرجتها النسبية في التركيب وبطبيعتها المحددة من الظروف المحلية المجتمع والاقتصاد والأوضاع السكانية، فضلاً عن أن تضع مشاكل عملية بصفة أساسية. وقد يجوز استزراع آليات عمل دولة نشأت وتطورت في مكان آخر، ولكن في حالة واحدة: إذا سادت ظروف مماثلة، وإذا أثبتت أنها أليات قابلة للتطبيق بصورة عملية، وكذلك الألقاب سوف تأخذ، بصورة تلقائية، شكلها مع أخذ مدى الإدراك المحلى ووظيفة المستول رهن الحديث في الاعتبار، واسوف تستعار أي تلك الألقاب عندئذ دون تعديل ولأغراض تعزيز المكانة الذاتية ليس إلا.

تعد "بيبلوس" بمثابة الدولة المسرقية التي نعرف عن إدارتها من المسادر المعاصرة أكثر مما نعرف عن أي دولة أخرى في المنطقة. ففي الربع الثاني من القرن الصادي عشر ق.م. تعطينا قصة "وينامون" صورة حية عن بلاط "بيبلوس"، وأو أنها تأتينا من خلال عيني بحار مصرى لم يكن يتقن اللهجة المحلية، وبالتالي كان عرضة لافتراض عرف مصرى أو مصطلح مصرى عندما يجد نفسه حائرًا في تصور الشكل الكنعاني. فال "الشعيخ"، "ذكر - بعل" ماذا يكون سوى "ملك" بكل تأكيد في نظر وينامون"، وطبقًا للأعراف المعمول بها في مصر يعطيه لقب "كبير" chiei"، أما كاتبه

الضاص أو sopèr في اللغة الغينية يصبح كاتب - خطابات في نظر وينامون (٢٤،٢). وحقيقة الأمر أن هذا الكاتب حرر خطابًا ذات مرة، ولكنه ثنى بعدئذ كي يعمل كرسول.(٢٤،٢ ٧٧)، كما شغل وظيفة متعهد أغذية (٢٨،٢). وتمشيًا مع موقعها، عرفت ببيلوس ترئيس مرفة (٢،٢٤) وقوة عمل، تقوم تحت إمرة مشرفين، بقطع الأخشاب (٢٠٢٤-٢٢). وكان بوسع الملك أن يستدعى مجلسه طلبًا التشاور والنصح والدعم المادي (٢٠،٢)، وكان بوسع الملك أن يستدعى مجلسه طلبًا التشاور النصح والدعم المادي (٢٠،٢)، وكان بلاطه يتكون من كادر من الوصافاء البالغين، ضمن مجموعات أخرى نستطيع تخمينها (٢٠٨٦-٢٩)(٢٢) وكان تذكر - بعل في الحقيقة يحتفظ بمصريين ضمن مستخدميه، ولكن يبدو أن وجودهم هناك هدف إلى الزهو من جانب مدينة طالما تباهت بعلاقاتها الطويلة الأمد مع وادى النيل: باان-ان-انمون تعيد اللغة المصرية، فيما هو واضح، وكان في وسعه أن يكتب نقش صادود/ لوح بالهيروغليفية بصورة مقوومة (٢،٢٠)،

وتقف "بيبلوس" على وجه الترجيع كنموذج لذلك النوع من المدن الساحلية الذي ينتمى إليه كل من "عشقلون" و"غزة" وحتى "تل الفارعة"، وهو النوع الذي عرفت فيه الإدارة، وهي كنعانية بشكل أساسي، "طلاء" بعدد من الوظائف "التي تنتسب للرفاهية أكثر من أي شيء آخر"، استلهمتها من أصول مصرية. ولعل السؤال الذي يدور حول ما إذا كانت مثل هذه المظاهر من التباهي والتفاخر إنما أوحى بها وجود عدد من الصريين المنفيين من بلادهم لشغل هذه الأدوار أو الوظائف سيستمر مفتوحًا للنقاش.

قد يكون انتماء "أورشليم" إلى هذا التصنيف "البيبلى" (= نسبة إلى "بيبلوس") من عدمه هو موضوع الجدل، ولكن الأدلة يصعب الركون إليها في إثبات هذا الارتباط بدرجة أكبر بكثير من المعلومات الواردة في قصة "وينامون"، وإذا ما نحينا جانبًا الطبيعة المشكوك في أمرها القوائم الثلاث للملوك الإسرائيليين (١٤٦)، فإن طبيعة دوائر اختصاص المسئولين تحت حكم "داود" و"سليمان" تتحدد في الشطر الأعظم منها من واقع مضمون التقاليد "الداودية" (= نسبة إلى "داود") و"السليمانية" (= نسبة إلى "سليمان") فهناك قائد للجنود وقائد أخر للحرس الملكي ـ وهذان المنصبان لا يتصلان من قريب أو من بعيد بما كان معروفًا في مصر ـ ورهط كهان: "كوهينيم" وهذه وظيفة

محلية النشأة لا نعرف لها أى ظلال تشبهها فى مصر من أى نوع. ويعيد المسئول المكلف بأعمال "السخرة" إلى الأذهان الإشراف الذى تنطوى عليه آلية مشاريع الأعمال الكبرى المعروفة من أيام "أخيتاتون" (=العمارنة)(٥٠)، إلا أن المسئول المصرى المكلف بأداء نفس النوع من العمل كان يحمل لقبًا تام الاختلاف ـ "الكاتب الملكى والمشرف العام على المجندين" ـ كما أن مجال نشاطه كان أوسع(٢١). أما منصب "ذاك – الذى - يقف -- على - البيت" (أى القصر)، لو كان مستولاً أقل شأنا بكثير، و"الوزير" الذى فإنه يطرح لفزاً، وذلك لأن "حرى - بير" كان مسئولاً أقل شأنا بكثير، و"الوزير" الذى يقارن معه اللقب فى غالب الأحيان، كان يتمتع بدائرة اختصاص أوسع بدرجة كبيرة لفاين بصفته رئيساً الخدمة المدنية بأسرها. وإذا كان الملك العبراني يحتفظ بكاتب أو كاتبين المسئلة العبراني يحتفظ بكاتب كالمالية بصفته رئيساً الخدمة المدنية بأسرها. وإذا كان الملك العبراني يحتفظ بكاتب وليس هناك أى سبب من أى نوع يستدعى أن نفترض استلهام العبرانيين لأى وظيفة مصرية. وكان تسجيل الحسابات احتياجاً أساسيًا بما لا يقاس، إلا أننا لا نملك دليلاً مصرية. وكان تسجيل الحسابات احتياجاً أساسيًا بما لا يقاس، إلا أننا لا نملك دليلاً على أن "إلى - هوريب" Elihoreph أو "أخييا" Akhiya ، وهما عبريان، قد كتبا بالقلم الهيراطيقى.

ولعل اللقب الذي قاد العلماء، أكثر مما فعل أي لقب آخر، إلى تخيل وجود نموذج vorlage مصرى هو مازكر mazkir أي المذكر (في الترجمة السبعينية للعهد القديم من العبرية لليونانية)، وهو اللقب الذي عودل برق وحور من الجذر المصرى وحم الذي يعنى كرر، عمل مرة أخرى، تصرف مرة تأنية ولكن معنى الجذر ليس مختلفًا بصفة أساسية وحسب، بل إن الوظيفة المشتقة مختلفة أيضًا. وذلك لأن الروحو هو الشخص الذي يقف بدلاً من ... ممثلاً لم ورجل الصف الأول وفي وظيفته يأتي قريبًا مما يمكن أن نطلق عليه في مصطلحات الرئاسة الأمريكية سكرتير عام البيت الأبيض (= رئيس هيئة العاملين في البيت الأبيض)(٢٠) وليس لصاحب هذا المنصب أي صلة من أي نوع بر الاستدعاء الذاكرة.

وقد يحق لنا أن نأمل، في العثور في أليات الحكومة على بعض النظائر الممارسة للمسرية، والحقيقة، أن أملنا هنا لا يخيب. فكما سبق لنا أن نوهنا في وقت سابق إلى

أن فرض السخرة (أو العمل الإجباري) على عهد "سليمان" قد يرجع في كثيراتينه إلى ما كان شائعًا خلال العصر البرونزي ذاخل حدود الإمبراطورية المصرية في كنعان". ولقد أشار كاتب هذه السطور في موضع آخر التي الأقاليم الاثنى عشرة التي وقع على كاهلها أن تمدّ واحد منها كل شهر، البلاط الملكي بالطعام والأعراف المصرية التي تقضى بتقسيم قاعدة الضرائب إلى اثنى عشر جزءًا كي تلبي احتياجات الميزانية السارية دون انقطاع على أساس جدول شهرى بصفة سنوية (٢٨). وقارن آخرون بين لجوء المصريين، بين الحين والآخر، إلى نظام الشراكة في الحكم وصود كوسيلة لعبور ناعم من عهد لأخر وبين الحكومة الثنائية، الممائلة، في "إسرائيل" اعتبارًا من عهد "داود" وصاعدًا، مع عدم وجود أدلة من مصور على ذلك النظام خلال القرن العاشر (٢٠).

هناك مقوم مفترض في التشكيل السياسي لإسرائيل القديمة، يضعه كثيرون موضع التعارض مع الحكم المطلق في مصر، وهو الميل نحو الديمقراطية ألذي انتهى، فيهما يقول الزاعمون، إلى نوع من الجمعية التي تتكون من مجلسين تجت ظل الملكية (٢٠). والآن تعد الديمقراطية أحد أكثر المصطلحات التي يساء استخدامها في عصرنا الحالى، إذ إنها تُعامل كمرادف في نفس الوقت للحكومة المنتخدامها في الجماعة المعنية والعدالة الاجتماعية والمساواة أمام القات الحكومة المتعيير والاجتماع، بل وحتى النهج الإنسانوي تجاة الحياة بشكل عام، وأسفر هذا التوسع في نطاق تطبيق الكلمة، علاوة على ذلك، عن تفكير مشوش، ولكنه يبدو وكأنه محاولة بارعة وإن كانت تفتقر إلى أي مبرر لاشتقاق كل الخيرات، الاساسية من نسق محدد الحكومة، وهذا في الحقيقة إطار متطور يتعارض مع الحقيقة التاريخية (٢١). ذلك لأن النظام وتاريخه الخاص وأعرافه الاجتماعية المعينة ولا تنبع من ميل ذلك المجتمع نحو شكل معين من الحكومة، سواء أكانت ديمقراطية أو كانت غير ذلك ومن الأفيضل، بالتالي، في القضية الراهنة أن نرجع إلى الفهم الحرفي للمصطلح ك حكم الشعب وأوجماعة من المواطنين حصلت على حقوقها المدنية.

استنادًا إلى هذا التعريف لا يستطيع المرء أن يعثر على مثل هذه المؤسسة في أي مكان في الشرق الأدني القديم خلال العصور التاريخية. وحتى مفهوم "مواطن" ـ فرد حر يدين بالولاء لـ "مدينته" أو his polis بما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات ـ يعد غريبًا بشكل كامل على الأَدْهان في الشرق الأدنى القديم، بمَّا فَي دَلكَ الجيوب المشرَّقيّة القروية، تلك التَّى شكُّل العبرانيون جزءًا منها لا يتجزًّا. ففي المشرق، لم يكن الفرد شيئًا، إلا "شخص حي (في لغتنا "جسم ذافئ") أو "رأس" أو " نفر من أنفار"(٢٦)، أو أحد الخدم أو "أحد الرعايا" دون أدنى حق من الحقوق الأساسية كحق الانتقال من مكانَ لَخر^(٢٢). ولا أرى أي فائدة ترجى من وراء إلإشارة إلى الظاهرة العَرضية التي تتمثل في "الجمعية" أو "المجلس" في محاولة لإثبات قضية "الديمقراطية البدائية"، وذلك لأن مثل هذه المجامع التي كانت تضم أعضاء مختارين من الجماعة المعنية كانت. منتشرة في كل مكان في سائر أرجاء المنطقة، بما في ذلك تلك الدول التي تعرف نظمًا غير ديمقراطية مثل النظام الفترعوني. ولقد سمعنا من قبل عن الـ "عد": " "d" أي "الاجتماع السرى" أو ب خ ر" (= م ب خ ر"=الجمعية") (٢٤) ولقد وفرت لنا "فينيقيا" في العصر الحديدي الم "معد" أي "المجلس المجدول" (٥٥) والم "م ب خ ر ت " أي "الجمعية". ولم تتأخر ممير هي الأخرى في طرح "المجلس" أو بالتحديد "مجلس الحكام" خلال معظم فترات تاريخها (٢٦). ولكن ما من هيئة من هذه الهيئات كانت منتخبة بالمعنى الذي نفهمه في العصر الحديث، مع أنها كانت مقبولة، دون شك، في تلك الأزمنة، كممثل للسكان بصفة عامة بصورة سيئة التعريف(٢٧). حقًا يخفي علينا في الوقت الحاضر أسلوب الختيار أعضاء هذه المجالس والجمعيات، مع أن العمر والمحتد كان لهما، على وجه الاحتمال، وزن وأي وزن. وكانت كافة هذه الهيئات إما إدارية أو استشارية، وأحيانًا كانت تتمتم بسلطات قضائية إضافية، ولكن لم يكن بينها ما يعد هيئة تشريعية. وكانت إسرائيل جزءًا لا يتجزًّا من العالم الثقافي الذي أنتج هذا الجهاز الحكومي، ولم تكن لتختلف بأي حال من الأحوال عن جيرانها. أما القصة التي يرويها أنا سفر 'اللوك' الأول الإصحاح (حالفصل) الثاني عشر، فلا تدخَّل في مجال الكتابة التاريخية بل مجال الفولكلور، حيث يمثل فيها "الرجال الكبار سنًّا" حكمة الشيوخ، بينما يمثل "الشبان صغار السن" مليش الشباب. وعندما نقرأ في القصة عن جمعية تشريعية ذات مجلسين، فهذا لا يعد حكمًا باسُّا وحسب . هل يمكن لأي شخص أن يفتقر إلى المساسية إلى هذا المد تجاه الـ "موتيفات" الأدبية ؟ ـ

ولكنها تنضع أيضًا بضلال التفكير الاستهوائي. ويخصوص إسرائيل في العصور القديمة يحالفنا الصواب إذا افترضنا وجود ما هو أكثر قليلاً من "مووت" moot (مجلس عند الأنجلوساكسون القدماء) قبلي أو طائفي لا يكاد يختلف في شيء سواء في طبيعته أوهدفه عن نفس المؤسسة الجرمانية القديمة (٢٨).

الرواية الملكية:

منذ أكثر من نصف قرن مضى انبهر عالم المصريات الألمانى "ألفريد هرمان" بالم تنزعة Tendenz والأشكال الأدبية لمجموعة من النصوص المصرية التى تركز حول أعمال معينة للفرعون إلى الحد الذي جعله يسك مصطلحًا جديدًا هو Königs-novella أي "رواية الملوك" أو "قصة الفراعنة" في سبيل تحديد ملامحها، ومع أن كلاً منها كان مبنيًا، بوضوح، على حادثة تاريخية، إلا أن الحقائق كانت تتعرض لتجميل شعرى يتفق مع المفاهيم السياسية المصرية، بينما الفرعون الفرد كان يختفي وراء قناع الفرعون – النموذج الأصلى، ويدور التركيز حول "تيمات" من قبيل الذكاء الخارق الذي يتمتع به الفرعون، وتقواه أمام الآلهة وحدبهم عليه (وهو الأمر الذي غالبًا ما يتبدى في الأحلام) والتحبب التلقائي من جانب البشر (الذين يمثلهم رجال البلاط) والنجاح الذي يتوج أعماله الجبارة.

ولعله من المهم أن نتذكر أن "رواية الملوك" ليست شكلاً أدبيًا بصورة جوهرية ولو أن دارسى "التوراة" ينظرون إليها على هذا النحو- بل ولا تتناظر هذه العبارة نفسها مع أى مصطلح فنى مصرى قديم، فليس فى اللغة المصرية القديمة أى كلمة أو عبارة يمكن أن نترجمها إلى "رواية الملوك" أو "رواية الفراعنة"، وتضم النماذج التى ساقها "هرمان" مجموعة غير متجانسة لا تكثيف عن أى شىء مشترك فيما بينها سوى التركيز على عمل ما من أعمال الفرعون مع معالجة أدبية ثقيلة الظل، وإذا ما رتبنا على سبيل الاستعراض عينة نموذجية من النصوص التى تناولها "هرمان" (جدول رقم ه) ، فلسوف يكون في وسعنا أن ندرك، بصورة أفضل، الطبيعة المتباينة المادة رهن الحديث.

الجدول الخامس - نماذج على رواية الملوك:

الموضوع	النسوع	
-		١- مونتو- حوتب الأول؟
تملق رجال البلاط	سجل مقابلات ملكية	٢- سنوسرت الأول . لفة
		برلين الجلدية
-	سـرد منمق. دفـتـر يومـيـة	٣ - سنوسرت الأول. صواديد
	وسجل مقابلات ملكية	كل من تود و إليفانتين و طبية
نصيحة أحد رجال	سرد منمق. سجل مقابلات	٤- صادود "نفر~ رع - ان
البلاط الفرعون في المكتبة		
الفرعون يرفض النصبح	منادود نصر إبداع ملكي؟	٥- صادود "كا - موسى"
الفــرعـون يرفض	سىرد منمق. دفتر يومية.	٦ - حــوليــات تحــوت -
النصح تملق رجال البلاط،	سجل مقابلات ملكية	موسى الثالث
		و تحوت - موسى الثالث
		"جبل بركل
تملق رجال البلاط.	سجل مقابلات ملكية	۷ - "تحـــوت - مـــوسـی"
		الثالث، الصرح السابع
-	طائفة من الأعمال الجبارة	٨ - مسانود أبوالهسول
		لـ أمين-حوتب الثاني
حلم	مستقى من "طائفة من	٩ - صادود حلم "تحوت -
	الأعمال الجبارة	موسى الرابع
تملق رجال البلاط،	سجل بمقابلات ملكية	١٠ - خطاب الافـتــاح
. /		L'أخناتون*
تملق رجال البلاط،	سجل بمقابلات ملكية	۱۱ مسادود ریدیسیا :
*		Redesiyeh

		۱۲ – صانود کبان: الاسلامان
تملق رجال البلاط.	سجل بمقابلات ملكية	۱۲ – نقش منثور
نصيحة من رجال البلاط.	سرد، سجل بمقابلات ملكية	١٤- نص مبنى الأقصر
الفرعون في المكتبة	in the same	المسيد - المواجع المادي
-	دفتر يومية وسجل بمقابلات	ه١- منشية الصدر ،
	ملكية	·
القرعون يرفض النصح.	معالجة أدبية أصيلة	١٦ - بـي - عـنـــــــ
ملم	استنادًا إلى شهود عيان.	وبتائوتامان
	جاء أحدهم كي يخبر	
	جلالته دفتر يومية مع	الثاني (صابود أسوان)
٠.	سرد ثقيل	سيستى الأول (مسادود
	·	الكرنك
		وسيتي الأول (صادود "بيت
		شان")
حلم	-	۱۸- میری - ان - بتاح
		(صادود الكرنك)
الفرعون في المكتبة	إبداع ملكي؟	۱۹ – رعب سیس الرابع
		(صادود أبيدوس)
	-	۲۰ - سیمیندس (نص
		السلسلة)
	دفتر يومية مع سرد منمق	۲۱- شیشنق (مسابود
		إهناسيا)
'		

في سائر الأحوال تأتى الحادثة التاريخية التى يقع عليها الاختيار النشر على ميئة صادود/أوح، بعد تنميق سردها من جدول يمكن أن نطلق عليه اسم الأعمال الجبارة الفرعون. فتشييد أو ترميم المعابد، ونحت التماثيل، واختيار الآلهة ـ كلها تصور قداسة الفرعون وقوته الجسدية وعبقريته الذهنية. ولكننا لا نستطيع أن نضع الإبداعات

الناتجة عن كل ذلك تحت عنوان واحد فريد في ضوء ما يتعلق بما ذكرناه حتى الآن كمصدر وكشكل، و"رواية ملكية" مصطلح غير مناسب بشكل خاص من زاوية نظرة المقدماء نحو الموضوع ومحاولة المحدثين في سبيل فهمه على حد سواء.

والمصادر (مرتبة حسب مرات تكرارها) التي تقف وراء القطع الواردة في جنول رقم ٥ أربعة: سجل مقابلات ملكية" (حمست - نسو)، ودفتر يومية بيت الفرعون، ومعالجة تستند إلى تفويض خاص، و طائفة من الأعمال الجبارة". وكانت "المقابلة الملكية" التي كانت تدعى "جلسة الفرعون" عبارة عن انعقاد البلاط رسميًا، وكان ذلك شائمًا خَالِلُ الملكتينَ الرُّسَيُّطَة والقديمة، وخالل هذا الاجتماع كان الفرعون يلقى خطابًا هو خطاب نوايا في الغالب، وأحيانًا بكون تَقْرَيْرًا. وقد يتمثل نظيره المعاصر في خطاب العرش أو الحديث الدوري الذي يدلى به الرئيس الأمريكي أمام الكوتجرس، ففى كليهما تؤخذ بغين الاعتبار في غالب الأحيان خطوط السياسة المستقبلية للبلاد وتقرير النجاح في الآونة الأخيرة، ويعد دفتر يومية بيت الفرُّعون بمثابة يوفيات يحتفظ بها سكرتير ملكي يدون فيها حسابات الدخل يومًا بيوم والإنفاق وسجل بالأحداث ذات الأهمية الخاصبة في حياة الحكومة، ولا تزيد بعض الصواديد/ إلالوح التي استشهدنا بها قبل قليل عن حسابات سواء فوُّض بها الفرعون أو وضعها بنفسه، حيث تحمل كثيرًا من مفردات وعبارات ملكية، لكنها لا تُستقى سواء من أي حديث رسمي أو أي بند من بنود اليوميات، وأخيراً فأتى إلى يُجاائِفة الأعمال الجبارة (أعمال الفرعون) فهذه عبارة عن اسم كان (القدماء) يطلقونه على نوع أدبى من جدال يدور بين رجال البلاط سواء أكان شعرًا أو نثرًا، يهدفون من ورائه أن يذاع بين الأهالي، وفى ثناياه كان يسرى الاحتفاء بإنجازات الفرعون في مجال قنص الحيوانات البرية أو محاربة الأعداء.

فى معظم هذه الصالات كان الكاتب يزود المصدر بسجل موجز ومقتضب، وهو السجل الخام الذى يوفر أساسًا للنص كما وصل إلى أيدينا. وكان الكاتب يقوم بتنميق السجل عن طريق استخدام الصور البلاغية والعبارات الخاصة التى تشكل جزءً من المخزون المتداول بين الذين يؤلفون خلال تقاليد شفاهية، وكان هناك عدد مخزون آخر من تلك الموضوعات قد أصبحت معيارية يقاس عليها (= تنتمى الغة

الفصحى). وهذه تشمل التصفيدة التقائي الذى يصدر عن رجال البلاط عند ختام خطاب جلالته والنصيحة التي يسديها مجلس البلاط لجلالة الفرعون (وتكون في العادة محافظة وتلقى الرفض من جانبه باستمرار) ولجوء الفرعون إلى المكتبة كي يستشير أحد المراجع، ومشيئة الإله التي تنقل خلال الأحلام ووصول رسول ملكي حاملاً أنباء سيئة.

فى كل هذه الأنواع الأدبية التى تختلف الواحد عن الأخر اختلافًا شاسعًا، لا نستطيع بالمرة أن نرصد أى شىء يمكن أن نقارنه واو من بعيد بأى قطعة باقية على قيد الوجود من الآدب العبرى. وكما رأينا، كان وضع الفرعون وما يستتبعه من تملق لا يجد ما يوازيه فى إسرائيل، وموضوع الحلم يبلغ من الشيوع فى الفولكلور حداً يجعل من غيسر المجدى أن نرى فى "الرؤى التواراتية" نظائر للروايات الملكية يجعل من غيسر المجدى أن نرى فى "الرؤى التواراتية" نظائر للروايات الملكية في مصر بارزة الغياب فى الأدبية الأخرى

أخناتون وموسى: مصدر تمويه كلاسبكى

مناك "اكتشاف" لم يكف لحظة عن ملء قلوب الطلبة والعوام على حد سواء باعتزاز متواضع وعيونهم بنور المعرفة. يتمثّل هذا الاكتشاف في التشابه المزعوم بين الديانة التي قال بها "أخناتون" والوحدانية التي دعا بها "موسى". حتى "فرويد" نفسه جرفه الحماس لما تصور أنه أكبر من مجرد تشابه سطحي، (٢١) وجعل كتاب لاحقون، لم يتحملوا بصورة وثيقة بالمصادر الأولية، من "أخناتون" معلمًا لم "موسى" وسباقًا بشر ب "المسيح" (٤٠٠). ألم يمكث الإسرائيليون في مصر مدة تصل إلى ٣٠٠ سنة شملت فترة أخيتاتون (=العمارنة)؟ وإذا كان تاريخ "الخروج" ليتحدد على عهد الفرعون "رعمسيس" الثاني، أفلا يمكن لم "موسى" الذي كان قد بلغ (عندنذ) الثمانين من عمره أن يكون قد عاش شطرًا من حياته تحت ظل "أخناتون (جالاع برجع مؤرخون أن يكون قد عاش شطرًا من حياته تحت ظل "أخناتون (جالاع) وألم يرجع مؤرخون أن يكون قد عاش شطرًا من حياته تحت ظل "أخناتون (جالاع) وألم يرجع مؤرخون أخيتاتون (حالاع) بكل تأكيد تلك بديهية لا تحتاج إلى برهان، فنحن نستطيع أن نقتفي

أثر الوحدانية التى نادى بها "موسى" عند "جبل سيناء" إلى الوراء حتى نصل فى نهاية المطاف إلى تعاليم "أخناتون"، الفرعون المارق. وحتى أولئك الذين ينكرون وجود اتصال مباشر بين الاثنين، يسمحون لأنفسهم بعقد مقارنة بين النسقين ويستبد بهم العجب أمام نقط التشابه بينهما.

ومع ذلك ينبغى إصدار دعوة تحذير المحقق الذى يجرف الحماس بضرورة الغوص أكثر قلبلاً فى أعماق الموضوع. وذلك لأنه إذا فعل ذلك، فلسوف يدرك أن الخوج يتعذر أن يكون قد حدث وقت ذاك وتحت تلك الظروف، وأن يكون قد شمل الشخصيات التى تقول الأسفار الخمسة إنه شملها (٢٠). والحقيقة أنه من المرجع ألا يكون أى قسم من الإسرائيليين حتى موجوداً في مصر خلال الملكة الحديثة إلى الحد الذى يؤدى إلى نشوء روايات النزول (=الإقامة) والعبودية في مصر في أوقات لاحقة. وبعد إزاحة هذا الاحتمال، حسب الأدلة المتوافرة، على هذا النحو، فإن الطالب اليقظ الضمير سوف يجد من الصعب عليه أن يمضى قدماً مع المقارنة بين هذا وذاك.

ومع ذلك فلافتة "الوحدانية" توفر في الغالب الصافر لمواصلة تجاهل الحقائق التاريخية، وعلى أي حال، لا ينبغي لأحد أن يحول، بادئ ذي بدء، دون عقد أي مقارنة (مع أنها، إذا أعدنا النظر إلى الماضي قد تعد تضييعًا للوقب). ولكن عند المقارنة يتعين على المرء أن يتجنب الانزلاق إلى افتراض مغزى أكبر لنقطة اتصال مزعومة مما هو عليه الحال في حقيقة الأمر. فمن السهل الإشارة إلى مظاهر النشاط الانساني والعالمية والبنوة الإلهية والعدالة والمسيحانية في كل من المقيدة الإسرائيلية وتلك التي دعا بها "أخناتون" في "أخيتاتون (=العمارنة)، ولكن كل ذلك شائع بدرجة كبيرة في كافة الديانات القديمة (بما في ذلك الديانة القياسية في مصر) إلى الحد الذي يكون فيه من باب التضليل حقًا افتراض وجود اتصال محدد بين هذه وتلك.

هناك سؤال ينهض منذ البدء يتصل بالضرورة بما نقوم حاليًا بمقارنته. فمن جانب نجد أن الديانة الأتونية تبدو واضحة، في ضوء المصادر النصوصية والعدود التأريخية والمضمون، أما "السوددانية الموسوية" من جانب آخر في ويل" المشاعل (Will-o-the-wisp إشارة إلى أضواء باهرة وغامضة تظهر ليلاً للسائرين كي

تضللهم وتأخذهم بعيدًا عن وجهتهم إلى مستنقعات لا يؤمن أذاها، وفقًا الفولكلور الإنجليزي). وقد يرفض معظم الباحثين أن العبرانيين كانوا قد اقتربوا مجرد اقتراب (= هوبوا) في أفكارهم الدينية خلال القرن الثالث عشر ق.م.، وهو العصر المختار تقليديًا لـ موسى، من أي نقطة تشارف المقام السامي لـ الوحدانية، ويفضلون في هذا الصدد أن يروا الحركة النبوية للعصس الحديدي التي بلغت ذروتها مع أسفار "إرميا" و"التثنية"-"إشعيا" كالنقطة التي تبلور عندها مفهوم متطور لما وراء الطبيعة مما يجوز أن نطلق عليه اسم "الوحدانية". فهل سنعزل إذن الديانة الإسرائيلية التي عرفها القرن الثالث عُشر ونقارنها مع تلك المعتقدات التي قال بها "أخناتون"؟ أم أننا سنسمح لأنفسنا باعتصار مفاهيم الملكية الإسرائيلية التي عرفها القرن التاسع كي توفر لنا مادة المقارنة؟ وهل نستطيع عن طريق تمطيط نقطة ما أن ندمج المفاهيم المتقدمة التي وردت بسفريُّ "التثنية - إشعيا" التي انبثقت خلال القرنين السادس والخامس في مفهومنا؟ ترى ما النتائج التي ستنتج عن هذا التلفيق المؤسف الذي لا يزيد ولا ينقص عن تخليط هائل grand melange للنقط المحشودة من فترة زمنية تصل في طولها إلى تسعة قرون من التطور، وهو ما يمكن لنا أن نقارنه مع حركة معينة هرطقية تضع نصب عينيها التوجه بشكل محدد إلى جيل واحد فرد(٤٤). لعل من الواضح أن عقد مثل تلك المقارنة عمل لا معنى له،

مناك سؤال ثان يمكن البعض أن يطرحوه، وهو يتصل بالتسمية: هل يكون الفظ
"ديانة" مصطلح مناسب لكل من الظاهرتين؟ تمجيد ما وراء الطبيعة من جانب مجتمع ما
بطريقة معينة، وهو الأمر الذي ينطوى على شعائر خاصة، وشريعة مددة
السلوك وعلاقة بين المقدس والبشرى يعد توصيفًا نزيهًا الديانة العبرية القديمة، لكنه
ليس كذلك بالنسبة لبرنامج "أخناتون". والديانة العبرية، على الأقل في مرحلة التكون
"التي نظل عليها من العصر البرونزى المتأخر، إيمانية بما يشمل ذلك الإقرار بالإيمان
بيهوه [=التشهد باسم "يهوه")(٥٤) ولكن ما طرحه "أخناتون" لا ينطوى بحال من
الأحوال على إيمان، فهو عبارة عن بيان ملكي حول علاقة الفرعون بوالده أكثر من كونه
ديانة الناس. وهذا البيان يقحم بصفته هذه دورًا تعليميًا على الملك يرى لزامًا عليه في
ضوئه، نظرًا لأنه الفرد الوحيد الذي يضصه الإله بالكشف له عن إرادته، أن يوضح

للناس طبيعة الإله وموقع الملك في عملية الخلق. وليس هناك ما يمكن أن نقارته في الديانة العبرية المبكرة مع تعاليم "أخناتون" (٢٦): ليس هناك من يقوم بدور تعليمي رئيسي، وعندما ظهر الأنبياء في أوقات لاحقة، أثبتوا أنهم خارج دائرة هذا النسق. فالديانة العبرية محلية بصفة أساسية انبثقت بين مجموعة عرقية خاصة، ومرت بتطور طبيعي على امتداد قرون فيما قبل التاريخ ولكن برنامج "أخناتون" عبارة عن تعديل واع وعيًا ذاتيًا لنسق قائم في الواقع، نهض عند نقطة معينة في الزمن، وتأسس في الدوائر العليا المملكة وصادف عائقًا غير منتظر يضم حاشية من كبار المسئولين (٢٧).

إذا كنا الآن قد بدأنا مقارنتنا بمحاولة عزل طبائع الإلوهيات في برنامج ·أخناتون ودفع الديانة العبرية المبكرة إلى مقدمة الصورة، فإننا نقابل تنافرًا بل تناقضًا صارخًا. وذلك لأن إله 'أخناتون' إله سماوى وشمسى نتعرف عليه بصفته "الضوء" وقرص الشمس"، وهو خالق النور وبالتالي فالنور جوهره(٤٨). حقًا الاسم الذي يعرف به لم يكن مستجدًا، ولكنه في صبياغته الجديدة يلخص طبيعة الإله على وجه الدقة: ("رع-حور-أحتى" هو الذي يبتهج في الأفق في اسمه "النور الكامن والأتى من قرص-الشمس".) وعلى النقيض من ذلك يبدى الإله العبرى "يهوه" سمات تتعلق بالطقس وبـ "جهنم" (جي - هنم أي وادي قبيلة "هنم" والاسم عبري.المسرجم) نظرًا لارتباطه بصورة وطيدة بالرياح والزلازل والنيران والرعود. ومثل هذا الإله لا يمكن النور أن يشكل جوهره بحال من الأحوال، مع أن الرطان المجازي المتأخر قد يربط بينه وبين النور، بنفس الطريقة التي رأت فيه معظم الثقافات القديمة رمزًا للطهر والحق. وهو، في التقاليد الشعبية (=الفولكلورية) المعتمدة ، إله مستجد، لم يكن معروفًا للآباء باسمه هذا: "يهوه". أما "قرص - الشمس" على مستوى التشخيص، فرمز باهت لا يبعث في العابد سوى رجفة خافتة. ولكننا نجد "يهوه" على الجانب الآخر إلهًا مفعمًا بثورة الغضب وروح الانتقام وبزّاعًا لأعمال العنف بين الحين والآخر، ولكنه في نفس الوقت قادرًا على بسط أيات الرحمة والغفران، تمشيًّا إلى حد كبير مع طبقة الأرباب الكنعانيين.

وذلك لأن يهوه في حقيقته قوة من قوى البيئة الطبيعية، وهو يستطيع الكشف عن ذاته بصورة مباشرة خلال الظواهر الكونية وبالتالي لا يستشعر حاجة ماسة إلى

وسيط. وعندما دخل مجتمع إسرائيل نور التاريخ وأصبح يملك وعيًا ذاتيًا تحول "يهوه" كي يصبح "إله التاريخ" وأخذت "أعماله الجبارة" تشيع في الخارج كما لو كان ملكًا عظيمًا (13).

من جانب آخر نجد "قرص-الشمس" (= آترن") ربًا ملكيًا لا زمنيًا دون أى منشر res gestae وبينما نجد "يهوه" إلهًا- بطلاً ينبغى نفخ انتصاراته حتى حدود الإملال ad nauseum نجر "قرص- الشمس" (= "آتون") رمزًا رفيع المستوى، إذ يعد إسقاطًا الملكية باتجاه السماء على نطاق عالمي. واسمه ينقش داخل خرطوش مثلما تتقش أسماء الملوك، أما سلطانه فيمتد كي يشمل العالم أجمع. وعلى غرار ما هو ملك يجلس في عرشه في السماء كذلك يعكس ابنه "أخناتون" ملكية والده على الأرض (٥٠). مفهوم مشتق من السماء والأرض في نوع من الحكم الثنائي الملكية العالمية، وهذا الأسرة الثامنة عشرة، لكنه كان خاصًا ببرنامج "أخناتون" - ومحوريًا - لبرنامج أخناتون" (٥٠) وفي هذا الضوء يتضع لنا مغزى التركيز طوال حكمه على مثل تلك الاحتفالات بالسلطان الملكي الفيوبيل (= الحب - سد") الذي لم يحتفل به فرعون سابق على مثل ذلك النطاق الضخم مثلما جرى الاحتفال به في السنة الثالثة من حكم المترجم) الضخم الذي يقام لاستقبال الجزية من البلدان الأجنبية، (٥٠) ومنح الإنعامات والمكافأت لـ "النبلاء".

كل هذا غريب كل الغرابة بالنسبة لم يهوه . فعندما ارتقت اسرائيل إلى مستوى المملكة كان من الطبيعى أن يشارك الإله القبلى (=العرقى) إلى حد محدود فى رطان وعتاد مثل هذا الشكل الأرقى من الحكم. إلا أن هذه المظاهر الملكية لإلوهية يهوه اليست سوى أمور هامشية تماماً تبدو كجزء من المجاز البلاغى فى تمجيد المزامير (= ترانيم دينية منسوية لم داود الملك-النبي) ((10) بينما لا نقابل العالمية (توجه الديانة إلى كافة الناس عوضًا عن قبيلة أو شعب معين دون سواه المترجم) إلا فى الملاهوت المتأخر الذى كان قد حقق تقدمًا كاملاً نعرفه الآن من سفرى المتثنية وإشعيا (اللذين يدينان بنزعتهما العالمية هذه للاهوتيات العالمية التى عرفها القرن السادس والخامس ق.م. أكثر مما يدينان لم أخناتون البعيد زمنيًا).

تتحدى طرق تمثيل الألومية هي الأخرى عقد المقارنة بينهما. فرغم أن "أخناتون أبدى طوال حكمه نفورًا مطردًا لأي تصوير يشبه فيه الإله، بالحيوان أو الإنسان سواء في الفن أو الأدب، إلا أنه سمع لنفسه بتصوير "القرص" (= آتون") بشكل ينطوى على رمز، في القرص" يمد خلال هذا الرمز العديد من الأذرع - وهذا تجريد، نعم، واكنه مع ذلك "أيقونة" (٥٠٠). وعلاوة على ذلك لا يشكّل الرمز المقدس الجديد سوى جزء من قواعد جديدة للفن صنعمت، كما هو واضح، كي تنقل للمتلقى جانبًا من "معني" تعاليم "أخناتون" (٢٠٠). أما في إسرائيل، فرغم الاتجاء العام المعادي للأيقونات في ديانة "الدولة" خلال العصر الحديدي (٧٠) - ترى هل نعرف شيئًا عن مرحلة التكوين الأقدم؟ - فيبدو ألاً وجود هناك لأي إحجام عن وصف الإله في الأدب باستخدام ألفاظ جريئة شيئة هذا الإله بالإنسان. دع عنك أن الديانة الإسرائيلية لم ترتبط في أي مرحلة من مراحل تاريخها بشكل فني مميز.

لا يعرف الوضع المركزي والرئيسي الذي احتله "أخناتون" في النظام الجديد أي نظير له بين الإسرائيليين الأوائل. فـ "أخناتون" يشغل "قلب المسرح" في كل منظر فني رسمه أو نحته القنانون، فهو وحده الذي يعرف "والده"، "قرص الشمس" (="أتون")(٨٥), وهو أي "أخناتون" يتلقى فروض الطاعة والخضوع بل وأيات العبادة على نفس المستوى الذي يتلقاها عنده "القرص" أي الإله نفسه. فلقد علقت أهمية كبرى، ربما إلى الحد الذي عصارت عنده أهم ملمح فرد في النسق الذي جاء به "أخناتون" بأسره، برابطة البنوة التي تقوم مع والده "قرص-الشمس" (='أتون")، ووُخلُف أوسع نطاق متنوع من الاستعارات في النصوص لوصف هذه العلاقة الضاصة(١٩٥). ومع الشعب المصرى لا يتمتع قرص-الشمس" (='أتون") بأي علاقة خاصة أو مباشرة أكثر مما يتمتع به في عملية الخلق أو من خلال وسيط هو ابنه، وكما يصبح أكثر وضوحًا بشكل مطرد، تبلور عملية الخلق أو من خلال وسيط هو ابنه، وكما يصبح أكثر وضوحًا بشكل مطرد، تبلور "قرص-الشمس" في تفكير "أخناتون" من تأليه والد "أخناتون" وليس سواه، الفرعون "أمين - حوتب" الثالث الذي حمل كنية تنطوى على مغزى، هي: ("قرص-الشمس" أمين حدوتب" الثالث الذي حمل كنية تنطوى على مغزى، هي: ("قرص-الشمس" أمين مثل هذا الإله لا يمكن أن يكون إلهًا شخصيًا إلا بالنسبة لابنه وحده، وهذا الباهر). فمثل هذا الإله لا يمكن أن يكون إلهًا شخصيًا إلا بالنسبة لابنه وحده، وهذا الباهر). فمثل هذا الإله لا يمكن أن يكون إلهًا شخصيًا إلا بالنسبة لابنه وحده، وهذا

هو السبب في أنه لم يكن مشربًا بتلك الصفة المرغوبة شعبيًا ألا وهي الرحمة (١٠٠). كما لم يطلب الامتثال لأي شريعة للسلوك الأخلاقي، مختلفة عما كان سائدًا في المجتمع المصري منذ أزمنة سحيقة.

على النقيض من ذلك، يعد "يهوه" إلى حد كبير، إله شعبه ويضم منذ البدء كافة المكونات التى تجعل منه إلهًا شخصيًا. إذ نجد تركيزًا قويًا على شريعة أخلاقية صمارمة، وأصبحت هذه الشريعة جزءًا لا يتجزّأ من الديانة العبرية، على نحوما هو معروف فى سائر ديانات الشرق الأدنى القديم. بل وما هو أكثر من ذلك، هناك رياط بينه وبين شعبه، وهو الرباط الذى لا يعرف له وجود بين أى إله مصرى وبين شعبه، وذلك الرباط هوالميثاق أو العهد. فلقد اختار "يهوه" شعب إسرائيل ودخل فى علاقة تعاقدية معه.

ناتى الآن إلى ملمح محدد للإلهين أوحى أكثر من أى ملمح آخر بنوع من العلاقة المباشرة: الموقف من تعددية الآلهة. ظهرت كتابات كافية وطرحت أسانيد كافية كى تبرهن بما لا يدع أى ظل من الشبك، على أن الديانة التى دعا بها "أخناتون" (= الآتونية) كانت وحدانية دون فصال تنكر كل إله آخر. إذ لا تتردد مثل هذه الألفاظ والعبارات في كل موضع وكل موقع: "الواحد" و"الفرد" (= واع" باللغة المصرية القديمة) و"لا نظير له من نوعه"، وما يشبه ذلك في هذا الاتجاه. ولكن قشط كل صيغ الجمع للآلهة والإشارة الصريحة إلى أن الآلهة قد "كفت" عن الوجود، وهو الأمر الذي يحسم النقاش دون أى جدال(١٠). وإلى جانب النفي الماسم للآلهة جاء رفض الأسطورة، وهي الوسيلة التي كانوا يعملون خلالها بصورة فعالة. فلم نعرف أي أساطير عن "قرص-الشمس" (= أتون") ذاك ولم توصف بالتفصيل عملية خلقه للعالم والبشر.

ولكن بالنسبة المراحل الأولى في تطور الديانة العبرية، لم يكن هناك أي تصور لـ "يهوه" إلا بصفته إلهًا بين غيره من الآلهة.

أما بالنسبة للأساطير، فرغم أن الكتب المقدسة كما تنزلت خلال مرشح كتاب سفر "تثنية الاشتراع" والكهنة الذين جاء عقب "النفى البابلي"، وعانت من "التطهير"

من معظم الإيماءات التى ترجع إلى نسج الخيال، إلا أن ما تبقى يكفى لإدراج "يهوه" باطمئنان، فى طبقة الآلهة الكنعانية من الأبطال – الخالقين. فالقصاصات التى تشير إلى "قهره" لـ "رحاب" و"لوياثان" أو "المياة" تعيد إلى الأذهان معركته الافتتاحية مع الوحش "بحر" (١٢). وخلقه للرجل من الطين والمرأة من أحد الضلوع (تكوين" ٢) فليس سوى نوع من الجهل المتوافر فى معظم الحكايات الأجنبية المعاصرة، وقصة الفيضان، رغم تحريرها على أيدى كهنة – كتاب فتظل داخل نطاق نوع معروف من الأساطير.

تكف الاختلافات التي عددناها هذا عن إثارة الاندهاش متى أمعن المرء النظر في الوسطين الاجتماعيين المختلفين جملة وتفصيلاً اللذين صاغ فيهما كل من "أخناتون" والعبرانيون الأوائل "ديانتيهما" على التوالى. فديانة "يهوه" كانت أبوية، بصورة حادة تفضل الذكور وتهبط بمنزلة الإناث، (١٣) وتشدد على الطهارة الشعائرية وتجنب النجاسات. فكانت مناسك عبادته في الأصل خلوية (= من الضلاء) في الأصل إلى أقصى درجة، وجرى الحفاظ عليها بصورة شبه وثنية في العصور اللاحقة، عندما تحول ما فرضته الضرورة ذات يوم كي يصبح الآن فضيلة (كالصوم مثلاً). وكانت المذابح تبني من الطين أو الحجر الغفل غير المنحوت، (١٤) وأقام الإله وراء ستائر تنسدل على مقصورة (= ضريح) يمكن حملها على الاكتاف، ولم يكن هناك أدنى شك في أن يهوه الإله يقطن داخل هذا البيت، أما حضوره فماثل في صوفية "الشكيناه" Shekinah.

أما دائرة "أخناتون" فكانت دائرة أرقى بلاط فى العالم، وهو البلاط الذى طبع برنامجه، على نحو لا يمحى. ولقد ظل هذا البلاط طوال أجيال وأجيال واقعًا تحت تأثير قوى، إن لم نقل، خاضعًا لتأثير سيدات من العائلة المائكة، كما كانت أعراف هذا البلاط ونمط الحياة فيه وفنونه مفعمة بنوع ما من الطاقة الأنثوية. وكانت النظافة والطهارة أمرًا مفرهغًا منه. فتقلصت شعائر العبادة إلى حدود دنيا، لكنها، أيًا كانت، لم تكن خلوية خشنة. فالمذابح المتقنة الصنع المنحوتة فى الحجر المقطوع فى المحاجر ومستلزمات الشعائر المصنوعة من الذهب الخالص والإلكتروم (= سبيكة من الفضة والذهب. المترجم) تغص بها المراكز التى تؤدى فيها العبادات. وفى حين فرض المفهوم والذهب. المترجم) تغص بها المراكز التى تؤدى فيها العبادات. وفى حين فرض المفهوم الخشن لشعب قادم من البرارى أن يقيم "يهوه" الإله، فعليًا، فى خيمته، طرح المفهوم المصرى الاكثر رقيًا فكرة ألاً يكون للإله بيت أرضى: (السماء بيتك: "معبدك") مكذا كان

يترنم المترنم المصرى (١٠). وكانت الأضرحة الأرضية التى تضم أحواشًا مفتوحة على السماء تحفها موائد القرابين في حقيقة الأمر أماكن الرؤية ومراكز الناس كى يؤدوا العبادات، وليس مقر إقامة لـ "قرص – الشمس".

العبادة:

وعندما نأتى إلى العبادة، فعلى نفس المنوال نجد من الصعب أن نعثر إلا على ملامع سطحية متناثرة هنا وهناك تذكرنا بالأعراف المتبعة في مصر. فشعيرة تقريب القرابين عند الإسرائيليين ظهرت منذ وقت طويل فسياقها الصحيح داخل التقاليد الكنعانية التي عرفها العصر البرونزي المتأخر، ولقد فطنا إلى ذلك بفضل الأدلة التي قدمتها لنا "أوجاريت". أما أعيادها فترتبط بالتقويم الزراعي المعروف في المشرق، والإقتراح الذي يقول بوجود نماذج جنينية وراها يبدو شطحة من شطحات الخيال (٢٦). ومن جانب آخر نلاحظ أن العبرانيين لم يستلهموا دورات الأعياد الكبرى في التقويم المصري على وجه الإطلاق (٢٦).

ويخصوص نقط الاتصال على المستوى المعجمى، أو ما يشبه من نهج يقتضى ألا يهمله المرء خلال عرضه هذا فإنها هزيلة إلى أقصى حد. فمحو نص سحرى مكتوب بالحبر على إحدى البرديات وشرب الماء الناتج عن عملية الغسل هذه: الماء المر" (سفر العدد" ٥: ٣٢-٢٤) تتماثل مع العادة المصرية الأصيلة التي تقوم على بلع محلول العبر المذاب في الماء لنص مكتوب لأغراض سحرية أو علاجية. و"عمل السحر الضمنى ضد الأشرار في المزمور رقم ٦٨: ٢ الذي يجرى خلاله صب اللعنات على الأعداء أثناء نويان الشمع قدام النار "يعيد إلى الأذهان السنة التي استنها المصريون بصنع تماثيل وتجد عادة مصاحبة أنغام "الهارب" (") وأعداء الفرعون من الشمع وتلقيمها للهب النيران (١٨). الليبية المتأخرة، (١٠) كما نجد أن أسماء بعض الأدوات المستخدمة في أداء العبادات مشدقة، بكل وضوح، من الأسماء المصرية الموازية، مع أن هذا الأمر يشير إلى استعارة الكلمات خلال اتصال علماني ثقافي، عوضاً عن أن يكون بالضرورة عبر

العبادات (١٠١). ورمز العبادة الذي يضم حية برونزية ("العدد" ٢١ :٨، ٩) التي تدعى "نيس" nes بالعبرى قد تخفى في طياتها الكلمة المصرية (ن – س – ر – ت) التي تعنى "الحية المتوجة"، وهي الكلمة التي أصبحت "نيس" NHC في العصر المتأخر (٢١) بإدخال الصائت: المعلى الكلمة، (التي تعرضت لعملية تحات لغوى طال الساكنين الأخيرين منها) ويذكرنا قربان "الصببان" الأساسي لرب العهد، ذلك القربان الذي يقربه إليه رؤساء المجموعات القبلية الاثنتي عشرة ("العدد" ٧: ١٢ – ٨٨) قربان "الصببان" إلى الإله كي يحفظ السلام الذي عقده رؤساء الإمارات الاثنتي عشرة في مصر عشية تأسيس الأسرة السادسة والعشرين (٢١). غير أن بعض الاشتقاقات تستغل حسن الظن، فهل كلمة "شؤول" العبرية بمعنى "العالم السفلي" ترجع حقًا إلى الكلمة المصرية التي تعنى "بحيرة البوص" (١٤٠) أو هل "توهو" و"بوهو" اللتين وردتا في سفر "الخررج" الإصحاح الأول أية رقم ٢ مشتقتان من جذرين مصريين يعنيان "يتره" و"يهرب" على التوالي (سفر "صامويل" التوالي (١٠٠) كما أن المقارنة التي يعقدها البعض بين نصب "أبشالوم" (سفر "صامويل" الثاني ١٨: ١٨) مع السنة التي استنها المصريون بإقامة ألواح/صواديد تذكارية (١٨) ليست مقنعة.

ومع ذلك فمن المؤكد أن بعض المصطلحات الفنية التى تطلق على الزى الكهنوتى مصرية فى أصلها فكلمة "الوشاح" أو "الحزام" (بالعبرى: أبنت") سفر "الخروج" (٢٨: ٤، ٢٩: ٩، ٣٠: ٢٩، سفر اللاريين ٨: ٧، ١٣، إلخ) مستعارة من جذر مصرى يعنى "لف"، بينما كلمة "إيفود" ("الخروج" ٢٨: ٤،، سفر "صامويل" الأول ٢: ١٨، ٦: ١٤، ٢٢: ١٨، إلخ) التى تتخذ فى الغالب من الكتان فلقد انحدرت من كلمة مصرية شائعة لنوع من الكتان يتميز بنوعية نسجه (٧٧).

وليس هناك أدلة كافية سواء على متى أو تحت أى ظرف من الظروف استوعبت الثقافة الإسرائيلية هذه السمات المغايرة. فبعضها، مثل أزياء الكهنة يرجع ، بوضوح، إلى الاستعارات الكنعانية من الملكة الحديثة عندما كان النفوذ الإمبراطورى لمصر فى عنفوانه (۱۷۸) وبعضها الآخر، مثل الموتيف الفولكلورى لرؤساء القبائل الاثنتى عشرة، يعود إلى فترة متأخرة تماماً. كما لا يتوفر يقين عندنا بشأن الدرب الذى سلكه التأثير كى يصل إلى وجهته. إلا أن كلاً من الكنعانيين والفينيقيين يمكن أن يكونا قد لعبا دور الوسطاء هنا، مثلما فعلا في مناح أخرى من مناحي الثقافة (۱۷۸).

المفردات والتعبيرات:

نستطيع رصد قدر من التأثير المصرى فى المفردات العبرية بل وفى الصور البلاغية ذاتها، مع أن هذا القدر قد لا يصل فى حجمه إلى تأثير اللغات السامية الغربية الأخرى على شقيقتها العبرية (٨٠). وعود على بدء ترفع المشكلة القديمة رأسها: هل نستطيع أن نظمئن باستمرار إلى أن إسرائيل على عهد الملكية دون سواه هى التي قامت بالاستعارة، أم أننا سنعود إلى مواجهة ارتحالات تنتمى إلى طبقة أقدم كثيراً من طبقات التاريخ الكنعاني في المنطقة؟

من بين أربعين كلمة متفرقة نستطيع أن نرجعها بصورة مقنعة إلى اشتقاق مصرى، نجد نحو ثلاث عشرة كلمة عبارة عن أسماء لصنوعات (بما في ذلك الأثاث والأوزان والمكاييل) في حين أن خمسًا منها عبارة عن أسماء القمشة وملبوسات. وكما سبق لنا أن رأينا تقف العبادة وراء استعارة عدد أكبر كثيرًا من هذه القائمة، في حين أن أدوات كتابية معينة ("ختم" و"حبر" و"تختبوش" "الوحة الكاتب") تكشف عن اعتماد إسرائيل على فن الكتابة الذي نشأ وترعرع على ضفاف النيل. وقد عرفت إسرائيل حق المعرفة مثل هذه المصطلحات السياسية: "الفرعون" و"زوجة الفرعون" و"الساحر"، كما ألفت أيضًا المراكب المصرية(٨١). أما السلم التجارية القادمة من الجنوب ولابد أنها شقت طريقها إلى داخل 'إسرائيل' و'يهودا" وهي حاملة لأسمائها المصرية: أعواد البوص وزهور اللوتس وخشب السنط والأبنوس والقرود والنطرون والذهب والمرمر وسائر أحجار البناء، والأشكال المعمارية وخصوصًا تلك التي تتصل بمعبد "سليمان" فاحتمالات ظهورها في اللغة العبرية أكبر قليلاً(٨٢). ومن بين أسماء الظواهر الطبيعية لم يرسخ في البقاء، على ما يبدو، سوى "يؤود" (أي النيل) فاللغة العبرية تملك ثروة من الكلمات لمثل هذه الأشياء. ولقد شق عدد محدود من المصطلحات الغنية (=التكنيكية) التي ترجع إلى المجتمع والبيروقراطية المصريين طريقه أيضًا إلى اللغة العبرية: إبيون (فقير) (من الاسم المصرى العام 'بن' بمعنى شر أورديء) وعُجات بمعنى خبر" (من اسم الجمع المصرى:عقو = حصص والأولى جرايات ، (٨٢) وجر بمعنى زائر ، عريب من الاسم المصرى كارى أي جار (٨٤). وأخيرًا كانت الكلمة المصرية التي تعنى "سلطة" وكانت تستخدم في الغالب للدلالة

على الفرعون من الشيوع بحيث نقلت بصروفها إلى اللغة العبرية خلال سفر 'إشعياء' (٣٠: ٣٠)(٥٨).

ويبدو أنْ التعبيرات المصرية أيضًا أثرت بين المين والأخر على اللغة العبرية. فتعبيرات مثل "بيت الأبدية" و"سور البرونز" و"كسير الذراع" (بمعنى "ضعيف" أو"غير فعال] تعيد إلى الأذهان تعبيرات مصرية شائعة،(٨٦) في حين أن مفاهيم مثل "طريق الحياة وشجرة الحياة (٨٧) تبدو مغروسة في تربة الحكمة والأساطير المصريتين. أما صورة الإله في مظهره الخالق ك فخراني (٨٨) وفي قدرته الرعوية كراع (٨٩) فتملك أيضًا أوراق اعتماد مصرية رائعة، وربما تكون قد أثرت تأثيرًا عميقًا على الفكر الإسرائيلي، وبين الحين والآخر تغرق المزامير العبرية في ذلك التقييم المتشائم للظروف الراهنة كما يتضح في المزمور رقم ١٧: ١-٣(٩٠): تخلص يا رب لأنه قد انقرض التقى لأنه قد انقطع الأمناء من بني البشر، بالكذب يتكلمون كل واحد مع صاحبه وهنا قد يكون في وسع المرء أن يقارن بين هذه الروح وبين عبارات كره البشر" التي ترجع إلى الأدب المصرى خيلال المملكة الوسيطة مثل: القلوب مفعمة بالجشع وليس هناك من يستطيع المرء أن يوليه ثقته... لم يعد هناك أناس يتحلون بروح الإنصاف وهجرت البالاد كي يمرح فيها الظالمون (١١) وعود على بدء: ذلك الشخص الذي أصبح معه تقلب الحظوظ في المجتمع مصدرًا لإثارة العجب (قارن سفر "صامويل" الأول ٢: ٤-٥)(٩٢) يرجع إلى "موتيف" كثير الشيوع في أدب التشاؤم في مصر خلال الألف الثاني: "حقًّا الأغنياء يندبون حظهم بينما يمرح الفقراء... الأمراء يتضورون جوعًا بينما تمد المواند للخدم"^(٩٢).

تشى هذه الإشارات إلى التأثير المصرى على اللغة والعبارات الذى عرضنا له للتو بنفوذ عميق لضفاف النيل أكثر من مجرد استعارة واعية من جانب إسرائيل فى مجالات التجارة والعبادة وذلك النطاق غير المتبلور الذى يعرف فى اللغة المصرية باسم "الحكمة" فى اللغة العبرية. ولقد وقعت إسرائيل، بحكم قربها الشديد من ساحل البحر المتوسط وفى نفس الوقت من البلاد التى تقود إلى شمال أفريقيا، داخل نطاق الإشعاع الثقافى المصرى، ولم تستطع أن تناى بنفسها عن أن تستقبل، بصورة لا واعية، تلك المؤثرات المصرية على المستوى اللغوى والمعجمى.

ترانيم وقصائد شعر:

كان لبيدو غريبًا حقًّا لو لم تسفر العلاقات الطويلة الذي التي ربطت بين مصر وكنعان خلال العصر الإمبراطوري عن نقل صور وأشكال فنية مصرية معينة داخل نطاق الترانيم وقصائد الشعر(١٤). وصحيح أن الأعمال الأدبية المنظومة في أوزان شعرية شكلت تقاليد شفوية انتشرت في سائر أرجاء الشرق الأدنى القديم - إلاّ أن مراكز معينة (مثل مصر) هي التي عرفت مصدرًا محليًا بلغ من القوة حدًا دفع المناطق المجاورة إلى محاكاته. وتكفى نظرة سريعة إلى الأشكال المهذبة للتخاطب التي نعرفها من جسمور "أخيتاتون" (=العمارنة) كي نتاكد من أن هذه كانت الحالة، ولقد كان العمد الكنعانيون، نتيجة لإقامتهم الجبرية في مصر خلال صباهم أكثر ألفة من سائر بني قومهم بهذه الأشكال المهذبة التي كانت تجرى في بلاط الفرعون، وهذه الأشكال تغص بها الرسائل الخاصة التي بعثوا بها إلى الفرعون. ولقد كان 'اللاهوت' الشمسي، دون سائر الجوانب الأخرى الأكثر استغلاقًا من اللغة المجازية المصرية، هو الذي أسر الكنعانيين وخلب لبهم. فالفرعون كان بالنسبة لهم هو: "إلهى" و"شمسى" و"شمس السماء و ابن الشمس وهو " عفى كالشمس في أجواز السماء و شمس كافة البلدان - وهذه كلها عبارة عن ترجمات مباشرة لعبارات مصرية محلية. وحقيقة الأمر تعد تحية مطولة وردت في رسالة أرسل بها "أبي – ملكي" ملك "صبور" (13-5-147) في الواقع ترنيمة مصرية للشمس نقلت رأساً وحرفياً إلى اللغة الأكدية.: "سيدى هو الشمس التي تشرق على البلدان الأجنبية كل يوم، على نحو ما قرر والده الشمس الروف (لفظ الشمس في اللغة المسرية القديمة مذكر خلافًا لكلمة "الشمس" في اللغة العربية. المترجم)، وهو الذي يمنح الحياة خلال أنفاسه الزكية ومتى غاب دب الوهن في البدن، وهو الذي يهدئ كافة البلاد بقوة نراعه، ويطلق زئيره في كبد السماء مثل الإله بعل فإذا بالأرض ترتجف لزئيره (١٥).

وقد استمرت المجازات اللغوية الشمسية راسخة بصورة عميقة في الذخيرة الشعرية لـ "كتعان"، وخصوصًا في المدن الساحلية لمدد طويلة بعد انتهاء عصر الإمبراطورية المصرية. وتستمد المدائع الرائعة لطبيعة وأعمال الإله في المزمود رقم 1.18 للكتوب خلال الربع الثاني من الألف الأول ق.م. إلهامها من مصدرين هما

ملحمة كنعانية قديمة والترانيم الشمسية المصرية. والآيات من ٢ إلى ١٨ تصف "يهوه بصفات "بعل" الذي حقق الظفر على الأمير "يم" الذي "يصعد إلى الجبال" ويؤسس الأرض على قواعدها في حين أن الآيات ٢ ومن ١٩ حتى ٣٠ تعتمد بشكل خاص على العبارات والصور الشعرية التي تفعم بها ترنيمته لقرص-الشمس(١٩). (جدول رقم ٢)

مزامير الندم:

يقع ثلث المواد بالتقريب الواردة في سفر 'المزامير' تحت تصنيف 'الشكوي الذاتية' أو مزمور الندم (١٠٠). وهذه عبارة عن تضرعات شخصية للإله يطلقها أحد ضحايا المرض أو الاكتئاب أو النزعة التبريرية ، الذي يعزى بلامه إما إلى الآثار المؤذية لأعمال السحر أو إلى سلوكه الآثم هو ذاته. وتراه يقرر إيمانه بالحرب ، ويندد باعدائه أو يعترف بذنويه ويتعهد بأن يعود إلى طريق الرشاد ويودي الشهادة متى شفاه أو أنقذه من محنته. ويركز نوع أدبى أخر يتصل بهذا النوع، على محنة الضحية السابقة من نقطة الشفاء اللاحق على من أنقذه وصار لزامًا عليه الأن أن يسوق شكره. وتبرهن نماذج عديدة من نفس هذا النوع الأدبى من العالم المسماري (= مجموعة البلدان التي كتبت لغاتها بالخط المسماري في أسيا الغربية. المترجم) على أن هذا النوع في اللغة العبرية ليس سوى جزء من الظاهرة الأكبر كثيرًا لـ "ندم" الضحايا في العالم المقديم (١٠٠٠).

جنول رقم ٦

مقارنة بين ترنيمة "أخناتون" لـ "قرص الشمس"("أتون" المترجم) والمزمور رقم ١٠٤ ترنيمة "أخناتون":

أنت يا أيها القرص الحي العظيم... سيد السماء والأرض، تشرق في جمالك على أنت يا أيها البلاد.

رفعت السماء عاليًا كي يشرق ضياؤك عليها.

بدلت الفصول كي تزود بالقوت كل ما خلقت يداك.

وعندما تغرب في الأفق الغربي، ترتمي الأرض في الظلام في كنف الموت.

عندئذ يخرج الأسد من عرينه وتشرع التعابين في العض.

ولا يبزغ الفجر إلا عندما تشرق في الأفق،

ومنا ينهض الكافة كل إلى عمله.

يقفر السمك في النهر أمامك،

وأشعتك تتخلل الماء.

وتبحر الفلايين باتجاه كل من الشمال والجنوب،

وضعت كل كائن في مكانه المنحيح،

ووفرت لهم احتياجاتهم، وزودت كلاً منهم بما يقتات عليه.

كم هي عديدة أعمالك.

المزمور رقم ۱۰۴

يا إلهي يا "يهوه" أنت عظيم...اللابس النور.(١-٢٠)

الباسط السماوات كخيمة (= شقة : في ترجمة الكتاب المقدس) (٢)

صنعت القمر للمواقيت.(١٩)

"الشمس تعرف مغربها" (۱۹)

تجعل ظلمة فيمىير ليل.(٢٠)

فيه يدب كل حيوان الوعر، والأشبال تزمجر لتخطف."(٢٠)

عندما تشرق الشمس...(٢٢)

"الإنسان يخرج إلى عمله." (٢٣)

"هذا البسعر الكبير واسع الأطراف، هناك دابات بلا عدد، مسغار حيوان مع كبار. (٢٥)

"هناك تجرى السفن." (٢٦)

"كلها إياك تترجى لترزقها قوتها في الفصل الموقوت (= في حينه)" (٢٧) يا إلهى "يهوه" ملآنة الأرض من غناك. (٢٤)

تقوم أدلة قوية على وجود مزمور الندم ذاك في مصر كذاك (١٩). ويأتي ما يزيد على تسعين بالمائة من النماذج التي تصل إلى ٢٥ وزيادة من قرية العمال في "دير الدينة" على الضغة الغربية لـ "طيبة" وترجع إلى الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين، ولكن أقدم هذه النماذج تعود إلى حكم الفرعون "توت – عنخ – أمون"، على أن النماذج المتفرقة التي ترجع إلى فترة الانتقال الثانية تثبت أن الحفظ العشوائي لها شوه وجهة نظرنا تجاه الموضوع. إذ حفظت مزامير الندم المصرية على صواديد/ألواح إلى جانب تصوير المتكم في وضع ينم عن التقوى ويرفعه إلى مصاف العباد، وكانت مخصصة العرض العمومي في معبد ما أو أحد الأضرحة. ويشي النص بكافة العلامات التي تميز التأليف الشفوى – الصبياغة (١٠٠٠). وكان في العادة يتضمن ضبراعة للإله ووصفًا المرض (العمي أو أحد أمراض الصدر) واعترافًا بالذنب وتعهدًا يقطعه المتكلم بأن يشهد على قدرة الإله على نجدة الإنسان. وامتدادًا للموقف كان الضحية الذي تعافي بشهد على قدرة الإله على نجدة الإنسان. وامتدادًا للموقف كان الضحية الذي تعافى والتمتع بحمد الرب من جانب الكل جماعات وأفرادًا.

رغم وجود عدد من التوازيات، إلا أنه لا شك في اعتماد إسرائيل على مصر في صدغ "مزمور الندم". ولو أن "الموقف الصياتي" الذي ينبع منه المزمور" يصبل في الشيوع حد نفى وجود أي اعتماد من جهة على أخرى، ولم يكن من باب الصدف أنه لم يظهر في مصر إلا بعد الاتصال المكثف بآسيا، وهو الأمر الذي سنحت فرصته خلال العصر الإمبراطوري.

وفى الشعر، نستطيع أن نرصد وجود تشابه إلى درجة ما على مستوى النوع والمعالجة بين ما وصل إلى أيدينا من شعر الحب (العنزل) وبين "أغنية الأغانى" ("نشيد الإنشاد" و"نشيد الأناشيد"). ورغم أن "أغنية الأغانى" ("نشيد الإنشاد") ترجع إلى تاريخ النفى" أو ما بعد النفى، فإن هذا الشكل يرجع إلى شعر الحب المصرى الذي يعود تاريخه إلى ما قبل ذلك بألف سنة، (١٠١) وبينما تعرضت هذه القطعة الشعرية التي انتقلت إلى "التوراة" لـ "إضفاء مسحة روحانية" spiritualized من جانب مفسرين كليلى البصر جامدى الإحساس، فإن الأصل يظل عملاً شعريًا مثيرًا للرغبة وإن كان قد غلب عليه الحياء، نظمه صاحبه داخل نطاق بلاط يتسم بالرقى.

الحكمة:

في مصر، تطرح مصادرنا، اعتباراً بكل تأكيد من عصور قديمة تصل إلى القرن الأخير من الألف الثالث ق.م. تصنيفًا غير متبلور من المؤلفات ترتبط بصورة وثيقة بتدريب الكتبة (١٠٠١). وعلى امتداد التاريخ المصرى خلقت الصاجة لشغل الوظائف التى تتطلب معرفة القراءة والكتابة ونقل المهارات أو مباشرة الخبرات الفنية الخاصة، بصفة مستمرة توتراً بين دافعين لا صلة بينها: الرغبة الطبيعية للأب الذى ينبغى على ابنه أن يخلفه في مهنته والضرورة الملحة بنفس الدرجة في اختيار الشخص الأنسب لشغل الوظيفة. وفي كل الفترات (وإن كان ذلك على وجه الخصوص في مطلع الملكة القديمة) كان أبناء الكاتب الكبير ينتهون، في معظم الأحيان، إلى امتهان مهنة الكتابة أيضًا، ولكن الأمر احتاج بمرور الوقت على التعقيد البيروقراطي إلى إنشاء مدارس رسمية، تابعة للبلاط الملكي. وتصف لنا صورة قلمية ساحرة ترجع إلى الأسرة التاسعة عشرة (١٠٠١) سلوك التلميذ المثالي والنهج المرغوب إلى التعليم: فيلزمه أن يكون يقظًا ومهندم الملبس وأن يكون مجهزًا بكتبه، والمساب والقراءة ضرورتان له ، ويلزمه أن يجرى حساباته في صمت تام، دون أن يرفع بها صوته، ويجب عليه أن يكون مثابراً ويحاكي معلميه.

وفي سبيل تيسير التعليم جمعً الكتاب كمًّا من النصوص، المعدة إن لم تكن، المُؤلِفة، بغرض خدمة العملية التعليمية. وكثير من، إن لم نقل معظم هذه النصوص مكتوبة نثرًا، وتتصل بنوع الروتين الإداري الذي كان الكاتب أن يواجهه خلال أداء عمله في مجاله: حسابات، مذكرات، رسائل، برقيات، تقارير. إلاّ أن قدراً معينًا من تلك النصوص اشتمل على مؤلفات سواء أكانت شعرًا أو نثرًا، لكنها كانت تهدف إلى أن تعلم وأن تمتع في نفس الوقت. وعن طريق نسخ هذه النصوص تحت إشراف المدرس كان للتلميذ أن يصل بخطه إلى مستوى طيب، ويتقن الأسلوب المقبول للتأليف، ويستوعب مبادئ الحكمة التي تمتع بها الأسلاف. وتكشف المكتبات، سواء تلك التي نجت من عوادى الظروف، أو التي أعيد بناء ما حوته من واقع قوائم الكتب وقوائم الجرد عن نطاق المواد التي كان من المفترض أن يكون الكاتب الذي يستكمل مرائه ملمًا بها:(١٠٤) القصيص وقوائم الملوك (=الفراعنة) والحوليات واليوميات وبحوث الأساطير وقوائم العلامات والتضاريس الجغرافية وكتب الشعائر ونصوص (=أعمال) السحر والأدلة (= جمع دليل كدليل الرحلات) وعمليات الجرد والرسائل والحسابات. وحتى المجاميع التناصة التي كانت بحوزة الكتاب لم تكن تعدم وجود القصيص وأشعبار الحب والترانيم والسحير والطب والتنبؤ بالمستقبل عبر الأحلام (= تفسير الأحلام الذي شاع في العالم القديم. ويعد كتاب "تفسير الأحلام" الذي كتبه المتنبئ اليوناني الشهير: "أرتيميدورس" Artemidorus في القرن الثاني الميلادي أقدم مجلد مستقل في هذا المجال. المترجم)(١٠٠).

نستطيع أن نفصل قدرًا من هذه المواد ـ القدماء أنفسهم صنعوا نفس الأمر ـ ونجمعها تحت هذا العنوان العريض: "الترشيد". و ما إذا كان هذا المصطلح ينبغى أن يُفسر على أنه "نوع أدبى"، غدا مثار جدل بين الدارسين، والكلمة تشير، والحق يقال، إلى ما هو أكبر من مجرد شكل سواء على مستوى المضامين أو الأغراض. على أن هذا "الترشيد" يمكن أن يتكون من تدريب عملى يتلقاه صبى من معلم محترف، ومن كاتب متمرس على كيفية الكتابة، أو تربية على السلوك القويم من فرعون إلى وصفاء (أو رجال بلاط) أو حتى من إله إلى أحد أتباعه. ويمكننا أن نطبق هذا المفهوم على نوع "الترشيد" الذي يأتي من القراءة المتأنية أو "رسالة ساخرة" أو من معجم. ولكن

"الترشيد" في مصر كان إلى هذا الحد أو ذاك يعنى نوعًا من التأليف (=الإنشاء) يقوم خلاله حكيم (أب أو ملك أو أي شخص أرفع مقامًا) يوجه فيه حديثًا يشتمل على حكمة دنيوية (١٠٦) إلى تابع (ابن أو أحد الرعايا أو متدرب أو ما أشبه) وبناء عليه فإن "الترشيد" هنا سيتحول إلى "مونولوج" تعليمي ومقوم السلوك. وأي انحراف عن هذا التشكيل الأساسي يمكن أن يؤخذ على أنه توسيع أو حتى إساءة استخدام المصطلح (١٠٧).

وقد بختلف كثيرًا مضمون "الترشيد" ومرماه: فالدعاية، تقوم أدلة على وجودها، جنبًا إلى جنب مع إسداء النصح حول "أسلوب حياة الرجال" والمواد المرجعية موجودة مع السخرية والسيسر، ولكن كل ذلك مقصود منه، بشكل عام، أن يعلم بصورة أو بأخرى(١٠٨).

ولقد لاحظ العلماء منذ وقت طويل تشابهًا ملحوظًا بين "الترشيد" المصرى ونصوص "الحكمة" التوراتية مثل تلك التي وردت بصفة رئيسية في سفر "الأمثال"، على مستوى المفردات والمضمون (۱۰۱). فالمعادلة المصرية التي تبدأ بـ "إذا كنت ..." وأحسن ... من واستخدام صبيغة المخاطب التي تظهر في اللغة العبرية بصورة صارخة، في النصوص المتشابهة، (۱۱۰) وبينما تذكر أن الدردشة المالية بين الأب وابنه تعكس ببساطة الموقف الراهن ـ أبي علمني أيضًا ! ـ أمر تشترك فيه كلتا التقاليد المصرية والعبرية (۱۱۱). وعود على بدء مثل هذه "الموتيفات" كالعبيط النمطي والرجل المثالي (صموت ومعبور ومطيع) والجلد كوسيلة تعليمية والأذن كمتلقى التوجيهات والارشادات (۱۲۱).

رغم أننا ربما نتفق على أن هذه التشابهات إنما تنبع من خلفية مشتركة من "الحكمة" تشترك في وراثتها كل من مصر وكنعان" من العصور الساحقة، فقد يكون من الصعب أن ننكر أن اعتمادًا مباشرًا بصورة أكبر يبدو كامنًا وراء بعض الفقرات الخاصة وأن المسألة هي مسائلة اعتماد إسرائيل على مصر. والمثال الأكثر شهرة وفي حقيقة الأمر المثال الأولى في هذا المجال نص ("حكمة "أمينويي") الذي كتب على وجه الاحتمال خلال الأسرة العشرين (حوالي القرن الثاني عشر ق.م.) وإن استمر شائعًا بين الناس حتى الأسرة السادسة والعشرين (حوالي القرن السابع ق.م.) (117).

فسفر الأمثال" ٢٢: ٢٣ إلى ٣٣: ١١، بـ "أقواله "الثلاثين" إنما يعكس بصورة تلفت النظر، "الفصول الثلاثين لنص "أمينوبي" في المضمون الأمر الذي لا يسمح المرء أن يهرب من الاستنتاج بأن الأول (= سفر "الأمثال") ليس سوى "نسخة" أخرى من الأخر(= حكمة "أمينوبي") (١٤٠١). ولكن سفر "الأمثال" مقعم بتوازيات فردية في مواضع أخرى، (١٠١٥) والعديد من هذه التوازيات نجدها في "المزامير". ومن بين التوازيات الأخيرة الأكثر سحرًا وروعة هناك تشبيه "الرجل المثالي" ("التقي") و"الرجل المفصوب" ("الملعون") في "المزمور" رقم ١ بشجرتين مختلفتين: فأصل هذا "الموتيف" كامن بكل وضوح في الفصل الرابع من ("حكمة "أمينوبي") (١٠١١). أما "المزمور" رقم ٢٤: ١١-١٤ الذي يبدأ على هذا النحو: هلمو أيها الأبناء! استمعوا إلى كي أعلمكم مخافة الرب" (= "يهوه") يحمل أكثر من مجرد تشابه عابر (قياساً مع الفارق) بدعوات مصرية مماثلة ترجع إلى أزمان تضرب في البعد حتى عصر "أخيتاتون" (=العمارنة) (١١٧).

ما فحصناه حتى هذه النقطة في شكل الأدلة التي تنهض على التأثير المصرى على مستوى "الأدب" على إسرائيل يوحي بوجود طريق غير مباشر أخذه هذا التأثير عبر طرف ثالث أو وسيط. فمصر، خلال الإمبراطورية وما بعدها غرست روابط مباشرة مع مدن الساحل المشرقي، ولم تحظ المناطق الجبلية في أعماق البلاد إلا باهتمام أقل من جانب المصريين، كما سبق لنا أن رأينا. وإذا كانت الأنواع الأدبية والأساليب اللغوية والمؤلفات المحددة قد استمرت تعيش بشكل أو آخر في البقجة الثقافية للآسيويين الذين يقيمون بالقرب من الحدود المصرية في الألف الأول ق.م. فإن الأرجح للغاية أن يكون ذلك قد حدث في المدن البحرية من "غزة" في الجنوب حتى "بيبلوس" ("بنت جبيل" حاليًا) شمالاً، وإذا كان الفزو والاستيطان اللذان قام بيما "الفلاسطينيون" و"التكريانيون" قد أحدث فجوة بمعني الكلمة في حياة المدن الواقعة في سهل الساحل الجنوبي، فإننا نستطيع عندئذ أن نضيق نطاق بحثنا كي نقصره على ذلك الشريط الساحلي الواقع بين "أكشو" Accho و أرفاد" Arvad ومنا يتعين علينا أن نفترض - شخصيات مثل "هيرومبالوس" والاتراك على اتصال مع/ أو علينا أن نفترض - شخصيات مثل "ميرومبالوس" والكتبة، كانت لا تزال على اتصال مع/ أو مصر التي تعرفها الفترة المتدة من الاسرة الحادية والعشرين حتى مشربة بروح مصر التي تعرفها الفترة المتدة من الاسرة الحادية والعشرين حتى

الأسرة السادسة والعشرين، وهي "الصفوة" التي خلَّدت أعمال الخلق ذائعة الصبيت التي أنتجتها المملكة المصرية الحديثة، وأبقت على قيد الحياة كلاً من الأسلوب والشكل، وإن كان ذلك قد حدث بصورة هجيئة. وتمامًا مثلما وقفت إسرائيل مدينة لـ "فينيقيا" فيما يتعلق بمعظم التأثيرات المصرية في الفن والمعمار والكتابة التاريخية، (١١٨)، حدث معها أيضًا نفس الأمر في مجال الأدب المصرى والأسلوب اللذين مرا خلال منخل الساحل المشرقي قبل أن يصلا إلى "أورشليم" (١١١).

وقد تكون كلمة "منخل" مصطلع غير مناسب، وذلك لأن أحد أبرز الخصائص التي تميز الفقرات العبرية المشتقة من اللغة المصرية تستدعى التعليق: ليس بين هذه الفقرات المختارة periscopes (= مختارات من الأسفار يقرؤها الكاهن على مدار السنة الإكليركية. المترجم) ما يعد ترجمة حرفية. وملاحظة هذه الحقيقة أسفرت عن بزوغ تنويعة من التفسيرات: استقى الكتاب العبرانيون من وحى الذاكرة، وكانت عملية النقل طويلة المدى وإسرائيل ليست مدينة لمس إلاً بدين عام في مجال الحكمة. وحقيقة الأمر كل هذه المقترحات تطرح رؤية متبصرة، وإن كانت محدودة، للمشكلة، ولكن ما من أحد يتمسك بهذين العاملين اللذين يعملان هنا ـ طرح المفردات والـ 'تيمة' في لغة أجنبية والتأليف الشفوى والنقل(١٢٠). وما من عبراني يعيش في "أورشليم" كان من المكن أن يحشو الحكمة التوراتية" بكل هذا العبارات والصور الكثيرة المستوحاة من مصر، ما لم تكن قد وصلته في لغته هو أي العبرية. وما كان لتلك الفجوة بين الصياغة والاقتباس في اللغة العبرية من ناحية والأصول المصرية لها من ناحية أخرى لتنشأ لو كان المكيم العبراني يملك تحت يديه ترجمة وافية وكان راضيًا عنها، وعود على بدء، بالنسبة لتلك المرحلة الانتقالية التي تبدى ضرورية الآن في عملية النقل، يجد المرء نفسه وقد انجذب إلى مدن الساحل الفينيقي، حيث تميزت طبقة المثقفين (=الإنتليجنسيا) بالفة طويلة المدي مع الثقافة المصرية وفي بعض الأنحاء كانوا يتحدثون اللغة المصرية بطلاقة ملحوظة. فهنا يقوم المجتمع الذي ترجمت فيه الأصول المصرية إلى لغة سامية، يون أن تكون هذه الترجمات، بالضرورة، ترجمات مكتوبة، ولكن خلال ترجمات شفوية لاقت الاستحسان وصادفت المحاكاة وإن لم تكن رسمية.

الهوامش

(١) الدراسات حول اللكية المصرية يعجز عنها الحصر، انظر على وجه الخصوص:

H.Frankfort, Kingship and the Gods (Chicago,1949);H.W.Fairman, in S.H. Hooke, ed.,Myth,Ritual and Kingship (Oxford,1958),74-104;G.Posener,De La divinité du pharaon (Paris,1960);W.Barta, Untersuchungen zur Göttlichkeit des regierenden Königs (Munich,1975);D.Lorton,JAOS 99(1979),460ff.

See D.B.Redford, "Kingship in the 18th Dynasty,"in Symposium on Egyptian King- (۲) ship(Denver (على بشك الصدور)

(٢) للاطلاع على أحوال مصر في القرن الثامن ق.م.انظر ص ٢٣٥-٦ في النص الإصلى

M.A.Bonhême,Les noms royaux dans L'Égypte de la 3ème période intermediare (£) (Cairo,1987),266ff.;Tanis, Bubastis, Herakleopolis, and Hermopolis,where "Kingships" are attested for the eightth century B.C.,all were dominated by gods with "royal" connections.

كانت 'ثانيس' و'بوياستيس' و'هيراكوليوبوليس' و'هيرموبوليس'، حيث نستوثق أن 'الملكيات' قامت هناك خلال القرن الثامن ق.م.، كانت خاضعة جميعا لسيطرة الآلهة التي تحتفظ بروابط 'ملكية'.

(٥) أفرخ مفهوم العبرانيين الملكية نطاقا واسعا من الأدب، انظر، بين أخرين:

G.Buccellati, Cities and Nations of Ancient Syria (Rome, 1967); I.Engnell, Studies in the Divine Kingship in the Ancient Near East (Oxford, 1967); B.Halpern, The Constitution of the Monarchy in Israel (Chicago, 1981); T.Ishida, The Royal Dynasties in Ancient Israel (Berlin, 1977); A.R.Johnson, Sacred Kingship in Ancient Israel (Cardiff, 1967); T.N.D.Mettinger, King and Messiah (Lund, 1987); K.W.Whitlaw, The Just King (Sheffield, 1979).

- G. von Rad, Gesammelte Studien zum Alten Testament (Munich, 1961), 205ff. (1)
 - K.A.Kitchen, Ancient Orient and Old Testament (London, 1966), 106ff. (Y)
- (٨) للاطلاع على استخدام الألقاب الضماسية في الأدب المصرى، بصرف النظر، عن الاسم الضماسي للفرعون، انظر:H.Ranke,ZÄS 79(1954),72,

حول الفقرة التي وردت في سفر 'إشعيا'، انظر:

A.Alt,in Festschrift Alfred Bertholet (Tübingen,1950);cf.also S.Morenz,ZÂS 79 (1954),73-74.

- N.Wyatt,UF 19 (1987),399-404. (1)
- Cf.Mettinger,King and Messiah,185ff.and n.1(references). (\.)
- Barta, Untersuchungen zur Göttlichkeit des Regierenden Königs, 45-50. (11)
- E.Kutsch, Salbung als Rechtsakt im Alte Testament und im alten Orient (Ber- (۱۲) lin, 1963), 34ff; E.Martin-Pardey, Ld? 5 (1984), 367-69.
- Cf.Kbo 1,14 rev.rev.6-10: see now A.Harrack, Assyria and Hanigalbat (Hilde- (\r) sheim, 1987),74.
- M.G?rg BN 3 (1977),26;4 (1977),7-8 in the wake of Sethe,Ember, (\)\(\exists\) and Calice;R.Gundlach,in M. Görg,ed.,Feschrift Elmar Edel (Bamberg,1979) ,210.
- W.F.Albright, Archaeology of Palestine (Harmondsworth,1949),pl. 12 (Balu'ah (10) stela);H.Frankfort, Art and architecture of the Ancient Orient (Harmondsworth,1954),pl.168 (Phoenician ivories);

للاطلاع على تأثيرات أيقونية أخرى، انظر:.63-55,(1980) A.J.'Amr,PEO 120

Cf.Coptic NHC from nsr, "flame': J.Osing,Die Nominalbildung des Ägyptischen (\n) (Mainz,1976),178.

- See F.Canciane and G.Pettinato, ZDMG 81(1965), 103-8. (\v)
- Cf.J.de Savignac,VT 7 (1957),82-90,Mettinger,King and Messiah,265-74;cf.Görg (\A) BN 3 (1977),7-13;V.A.Toben, in S.Groll,ed.ed.,Pharaonic Egypt,the Bible and Christianity (Jerusalem,1985),237-48.

تذكرنا الصبورة الضلابة التي وردت في المزمور رقم ١١٠٠ ، عن الملك الجالس بجانب الإله وأعداؤه تحت قدميه، بذلك النوع الشائع من التماثيل المصرية التي تصبور الفرعون والإله جالسين الواحد بجوار الآخر، والأقواس التسعة" تحت قدميهما أو مرسومين على جانبي المنصة، انظر:

O.Keel, Die Welt des Altorient in Bildsymbolik (Zurich, 1972), 233, 246.

(١٩) المؤيدون الرئيسيون هم:

R.de Vaux,R8 48 (1939),394-405;idem,Les institutions de l'ancien Testament (Paris,1961),183-203;J.Begrich,ZAW 58 (1940),1-29;E.W.Heaton, Solomon's New Men (London,974);T.N.D.Mettinger,Solomonic State Officials (Lund,1974); Ishida,Royal Dynasties,68;cf.also U.Rutersworden, Die Beamten des israelitischen Königzeit (Stuttgart, 1985).

(٢٠) القول بأن 'شيشا' (= شوشا' في إحدى ترجمات الكتاب المقدس) الذي ينكر سفر 'أخبار الأيام' الأول أنه مسجل ككاتب لـ داود ' يحمل اسما متاثرا في صيفته بالمصطلح المصرى لكاتب الرسائل، (ss s't cl.A.Cody,RB 72{1965},391-93)

هر قول مشكوك فيه إلى حد كبير.، قارن:.Rulersworden,Beamien,88,n.126

- mő'ed;J.Wilson,JNES 4 (1945),245. (بالعبرى) mw'd = Hebrew (٢١)
- (۲۲) منذ رقت طویل، رعن حق: GolénischefK، انظر: .147, (1969) G.Posener, RdE 21
 - (٢٣) لمعرفة المزيد من المغنيين المصريين في البلاط الكنعاني أو البلاطات الكنعانية، انظر:

H.Hickman, Le métier de musicien au temps des pharaons (Paris,1954),286-87.

- (٣٤) يبدوأن ترتيب هذه القدوائم، جدزئيدا، تفكيد بائس في رضع ونظام دخول "الشخصيدات الدرامية" Dramatis personae ويناء عليه ففي القائمة بين الأولى والثانية (Temp.David) يحتل : "بوآب" المركز الأولى، بينما في الثالثة يكتسب ابن الكاهن دورا بارزا في تتصيب سليمان" على المرش ويشغل مركز المحدارة، وفي مواضع أخرى يثير السياق السلالي عدة مشاكل. فبينما نجد من المقول أن يكون "بهوشافاط" الذي عاش عمرا مديدا قد عمل في خدمة كل من "داود" و"سليمان" في منصب مركزير"، فهل من المكن أن يكون كل من "صادوق" و" Abiathar" اللذين ينتميان إلى جبيل "شاؤول"، لا بزالان يشغلان منصبيهما تحت ظل حكم "سليمان"؟ زد على ذلك تقفز القائمة من المسكري إلى المدنى إلى المدنى الى المقدس مرة أخرى الى المقدس مرة أخرى بصورة أقل إقتاعا مما نقعل القائمة الثانية، أو حتى الثالثة.
- I. Mendelsohn, BASOR 167 (1962), 31-35; A.F.Rainey, IEJ 20 (1970), 191-202; (10) Rutersworden, Beamten, 72-73.
 - D.B.Redford, Akhenaten, the Heretic King (Princeton, N.J., 1984), 47. (Y1)
 - (٣٧) المؤلف (ريدفورد) يعد رسالة موجزة عن الـ "وحمى"
- D.B.Redford, in J.W.Wevers and D.B.Redford, Studies in the Palestinian World (YA) (toronto,1972),141-56;

هذه الألية قديمة للغاية ومعروفة على نطاق واسع في مصر، حتى وأو اعترفنا باتجاء مضاد التأثير، انظر: A.R.Green.BASOR 2333(1979),59ff.;

حرل التقسيمات الإدارية الخاصعة للضرائب على عهد "سليمان"، انظر:

Y.Aharoni, TA 3 (1976), 5-16.

E.Ball, VT 27(1977).268-79; W.H.Shea, ZDPV 101 (1985), 15. (٢٩)

ومع ذلك فالمشاركة في المحكم كالية، تنبع بوضوح زائد، من ضرورة عملية، بحيث يتعذر علينا أن نتصور استعارتها من الفارج. ولنلاحظ كيف أصبح نواب الرئيس رؤساء الولايات المتحدة في أغلب الحالات خلال السنوات المخمسين الأخيرة (ترومان وجونسون ونيكسون ويوش)، ولم يكن هذا الأمر بكل تأكيد، مبرمجا منذ البداية في النسق الأمريكي، فضلا عن ضبألة احتمال نقله عن نسق آخر، ولكن قيمته العملية أخذت تشرق على أفق الناخبين الأمريكين.

Cf.A.Malamat, JNES 22 (1963), 247-53 (T.)

(حيث نجد مثل قده المسطلحات المحملة مثل هيئات استشارية والجمعية السياسية والواطنين. والواطنين والواطنين

D.G.Evans, JNES 25(1966),273-79; Mettinger, King and Messiah, 111-30.

(٣١) تستند أسس حربتى إلى تحصانتى الشخصية: Habias corpus بالإضافة إلى مبادئ أساسية معينة ترجع إلى المجتمع الألماني والقانون الروماني. الأولى أي الحصانة الشخصية عبارة عن قرار ملكي، وخلال سنوات عمرى قامت حكومات منتخبة انتخابا ديمقراطيا بتعليقها أو إلفائها، وكان ذلك دائما لمسالح الأمن العام، وقد يحول توسيع نطاق حق الانتخاب دون انفراد شخص ما بسلطة غير دستورية، ولكنه لا يحول دون أن يصبح خادم أسود أو شخص أسادى أو شخص أبله ممثلا لنا، وفي ظل أغلبية من طبقة العمال القروبين الجنوبيين (جنوب الولايات المتحدة) بين الناخبين، لا تستطيع الدولة الديمة المدينة النجاة من البربرية.

(العبارة اللاتينية تعنى نصيا: أنت تملك الجسم، ولغويا 'جسمى ملكك!' والعبارة تعمل معنى مسكوت عنه نستطيع أن نترجمه مثلا إلى: 'جسمى ملكى' أو إلى 'متى كان جسمى ملكا لشخص آخر سواي؟' إلغ، والعبارة عنوان للحق القانوني الذي يملكه المواطن الذي تقيد حريته سواء بالحبس أو الاعتقال أو سواهما في تقديم التماس إلى المحكمة النظر في مشروعية هذا التقييد. وعندئذ يكون لزاما على المحكمة أن تنظر في هذا الالتماس. وكأن البرلمان الإنجليزي قد قرد هذا الحق، ثحت ضفوط الرأي العام، في سنة ١٦٧٨، وقد أدرج هذا الحق، ثحت ضفوط الرأي العام، في سنة بالامرد وقد أدرج هذا المحكمة أن السلطات استمرت في تقليص نطاقه وتصعيب إجراءات، ولعل هذا ما يشير إليه 'ريدفورد' هنا. ولكن حكومة الرئيس 'جورج بوش' الابن – المنتخبة ديمتراطيا إلى هذا الحد أوذاك. هي التي ألفته عمليا أو علقته في ١٩ يونيو/بؤونة ٢٠٠٧، وذلك عندما قضت السلطات التي مصلت عليها هذه الحكومة بحكم الأمر الواقع، في خضم ربود أفعال الأمريكيين على أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١، بأن من حقها 'حبس أي أمريكي لأجل غير مسمى، نون السماح له بالاتصال بمصاميه بناء على طلب الرئيس الأمريكي ' تحت ستار أن هذا الأمريكي ون المحبوس مقاتل من الأعداء enemy combatant عول الإلغاء، انظر صحيفة واشنطون بوست' يوم ١ المتبور/بؤونة ٢٠٠٢ ، الترجم)

Hebrew nephesh (نـــــــــــــــــــ) "breathing (human)thing" ;Egyptian "tp" (رأس) or (۲۲) hsb(حسب)counted one" معدود

- Buccelati, Cities and Nations, 58-61. (TT)
- C.H.Gordon, Ugaritic Textbook Glossary (Rome, 1965), nos. 1816, 2037. (YE)
 - (٢٥) انظر ص ٣٧٠ (من النص الأصلي)، وانظر:

R.S.Tomback, A Comparative Semitic Lexicon of the Phoenician and Punic Languages (Ann Arbor, Mich., 1978), 191.

مع اختفاء الملكية في المدن الفينيقية، أصبحت هذه الجمعيات أن المجالس، بصفتها أقليات حاكمة على أساس مؤسسى، تشكل العمود الفقرى للإدارة، انظر:

D.Harden, The Phoenicians (Harmondsworth, 1971), 71-72.

S.Gabra, Les conseils de fonctionnaires dans L'Égypte pharaonique (Cai- (Y1) ro,1929); A.Theodorides, RIDA 16 (1969), 109ff.; idem, AIPHOS 22 (1978), 83ff.; D.Meeks, Année Lexicographie (Paris, 1980), 1:388-89.

(٢٧) ليس من المستساغ على سبيل المثال أن نقراً في الإشارات في مصر القديمة إلى 'شعب مدينة كذا" شيئا يشبه "الجمعية الشعبية"(Ishida,Royal Dynasties,20)، أو أن نقابل استعمالا لمصطلحات طنانة مثل 'صدود الشعب"(166-1969) RA 58(1964)، و'من سسات تمثيلية حضرية"، أو ماشابها (77-283(1969) H.Reviv,JESHO 12) فعثل هذه الأراء تعطى الانطباع بميول 'ديمقراطية'، في حين أن كل ما لدينا من أدلة لا يزيد عن حكم الكبار أو الحكماء geronlocracy أو حكم خاصة من ملاك الأراضى الزراعية، ولو أن الكتاب كانوا، في بعض الأحبان، يستطيعون الإشارة إلى الدول في الوثائق القانونية بذكر شعوبها رحسب دون أي إيمامة للوكهاء انظر:

Buccelati, Cities and Nations, 58;64, n. 173.

- Tacitus, Germania 11-12;OCD2 ,464. (٢٨)
- S.Freud, Moses and Monotheism (New York, 1959). (٢٩)
 - Redford, Akhenaten, 226, 232. (1.)
- (٤١) حول شطحات الخيال التي تنتج عن محاولة تضفير intermesh النص الحرفي التوراة مع التاريخ المعرى، انظر، على وجه الخصوص:

H.H.Rowley, From Joseph to Joshua (London,1950),70-71 and passim.

- (٤٢) انظر ص ٢٦٠ (من النص الأميلي)
- (٤٢) انظر ص ٤٠٨ (من النص الأصلي) وما يعدها.
- (£2) هذا يفسد، في رأيي، ما كان يمكن، اولاه، أن تكون مقارئة مفيدة للغاية، تلك التي قام بها:

V.A.Tobink see Pharaonic Egypt, The Bible and Christianity (Jerusalem, 1983), 231ff.

(٥٤) حول العقيدة، انظر:

G.von Rad, The Problem of the Hexateuch and other Essays (New York, 1966), 1-78.

- Tobin, in Pharaonic Egypt,249-50. (£3)
 - Redford, Akhenaten. (1V)
- D.B.Redford, JARCE 13 (1976), 53.. (£A)
- Tobin, in Pharaonic Egypt, 261, 265. (14)
 - Redford, JARCE 132 (1976), 49ff. (3-)
- (١٥) حول مفهوم الملكية في الأسرة الثامنة عشرة، انظر:".Redford, "Kingship
 - D.B.Redford, JARCE 17 (1980)21-23. (aY)
- C.Aldred, Akhenaten, King of Egypt (London, 1988), 178-81. (T)
 - Tobin, in Pharaonic Egypt,261,265. (+1)
- Redford JARCE 13 (1976),55-56;idem,Akhenaten and Nefertity (New (**) York,1973).
 - (٥٦) حول أسلوب أخيئاتون (=العمارنة) الفني، انظر بصفة رئيسية:

C.Aldred, Akhenaten and Nefertity (New York, 1973).

- J.S.Holladay, in P.D.Miller et al.,eds.,Ancient Israelite Religion (Philadel- (•Y) phia,1987),249ff.
 - J.Assmann, SAK 8 (1980), 15. (6A)

- Redford, JARCE 17(1980)25-26. (61)
 - Ibid.,26. (٦.)
- D.B.Redford, BES 3 (1981), 87-102. (٦١)
- C.Kloos, Yahuweh's Combat with the Sea (Leiden, 1986). (31)
 - Cf.Lev.12:5,Num.5:11-30,12:14,Deut.22:18-21:11-12. (٦٢)
 - Exod.20:24-26. (%)

سفر "الفروج" الإمنجاح العشرون الآيات من ٢٤ إلى ٢٦،

- M.Sandman, Texts from the Time of Akhenaten (Brussels,1938),71:8. (%)
- (٦٦) عيد 'القصيح' أو'بسيح' من الكلمة المصرية 'با-سيح' p³ sh التي تعني 'ضيحية وقربان' (ولو أن المعنى السي شائعا للكلمة)
- (١٧) قد يستطيع المرء أن يستشهد منا بشعائر اليوبيل الملكي (عيد الـ 'هب سد') والأعياد الأوزيرية، تلك التي ترتبط بالعبادة الجنائزية، والأعياد التي ترتبط برأس السنة والفصول، وشعائر الخصوية التي يجري الاحتفال بها بالارتباط بالفيضان، والاله 'مين' المنتصب العضو وغيره من الألهة من نفس النوع، إلا أن إسرائيل ليست مدينة هنا بخردلة فيما يتعلق بالأصل أن الشكل أن المعتقد، لمصر.
 - Wb 11,83:7;5 Schosske,LdÄ 5 (1984),1014;R.Fuchts,LdÄ 5 (1984),10990. (\lambda)
- 2 Kings 3:15;S.M.Olyan, Asherah and the Cult of Yehweh in Israel (Atlan- (33) ta,1988),30-31.
- J.Yoyotte, Les principautés du Delta (Cairo, 1961), pl.1; P.Bucher, Kêrni 5 (V-) (1935), pls.1,11.
- Cf.Kalahat, "cauldron," (1 Sam.2:14,Mic,3:3) from Egyptian krht: M.Ellenbogen, (٧١) Foreign Words in the Old Testament (London,1962),149; ah "brazier". (منة منه) (Jer.36:22-23), from an Egyptian word of the same meaning: Ellenbogen,21;pah, "plate" (Exod.39:3,Num.17:31) from Egyptian ph3:ibid,13.
 - See n.16.M.Görg (BN 14 (1981),11ff.) (VY)

تشير إلى اشتقاق من الكلمة المصرية "نسو" التى تعنى: "الملك" وتستدعى إلى الأذهان البيارق التى تحمل خرطوش الفرعون (=الملك)، ومع ذلك هناك صدويات لغوية وأيقونية يتعين على مثل هذا الرأى أن يتخطأها كى يحظى بالقبول النهائي.

- Herodotus, 2.151. Cf.A.B. Lloyd, Herodotus Book It. A Commentary (Leiden, 1988), 3:130. (VT)
 - M.Görg, BN 17 (1982), 26-34; Cf. W. Willall, ZAW 92(1980), 325-32. (Y1)
 - Wilfall,ZAW 92(1980),431-34;BN (1981) 18-19.Bohu: (Va)

يبدو اسما ساميا غربيا لـ 'الفرضي المائية'، قارن:

M.Astour, Helenossemitica (Leiden,1965),115,n.6,and 116,n.1;H.W.Atridge and R.A.Oden,Jr.,eds.Philo of Byblos.The Phoenician History (Washington,D.C., 1981),80.n.43.

- B.Ockinga, BN 31 (1986), 31ff. (V1)
- I.Friedrisch, Wiener Beiträge zur Theologie 20 (1968), 32,47,52; Ellenbogen, For- (VV) eign Words, 2; M.Görg, Biblische Zeitschrift 20, no 2 (1976), 242ff.

المسطلحات الأخرى التى تطلق على بنود الزى الكهنوتي، مع ذلك، لا صلة لها، إلا قليلا، بمصر. والكلمة التي تعنى "زهُر" أو ربما "وردى الشكل"(sic)(حمكذا) سامية غربية والكلمة نفسها انحدرت إلى مصر ككلمة مستعارة خلال الملكة الحديثة (WB V,636) حيث تستخدم كحلية تربط إلى غطاء العجلة العربية، انظر:

P.Anastasi IV,16,9;R.A.Caminos,:Late Egyptian Miscillanies (Oxford,1954),213. (Koehler- أوعباءة -Görg أي أيجاد صلة بين الكلمة المبرية ميثيل التي تعنى تقفطان أوعباءة -Baumgartner,2:579 (pt لم تكن مانعة، من العصر البطلمي، انظر:

ويبدو أن الكلمة كانت تنطق، على وجه الاحتمال، مكذا ma ،ar، وبالتالي نكون أي صلة لها باللغة العبرية معدومة.

- (٧٨) قارن 'إيفود': Ephod التي كانت معروفة بالفعل في النصوص الأوجاريتية والأكادية من 'راس شمرا'، انظر:(Koehler-Baumgartner,1:75(references
 - (٧٩) انظر من ٣٦٦ (من النص الأصلي)
 - (٨٠) انظر على رجه الخصوص:

T.O.Lambdin, JAOS 73 (1953), 145(f.; Ellenbogen, Foreign Words; R.J.Williams, in J.R.Harris, ed., The Legacy of Israel (London, 1971), 262-69.

- Ellenbogen, Foreign Words, 145, 154. (A1)
- (AY) أولام أن القاعة الأمامية (عالرواق) أن ما أشبه (الملوك الأول ١: ٣) يبدو، في حقيقة الأمر، مشتقة من اللغة الممرية، انظر: (,2216,(1980) M.Görg,BN 13
- و الرسان (بالمنى الاصطلاحي) في سفر 'اللوك' الأول ٧: ١٨ قورن، بصورة بارعة حقا، بالمذر المسرى الذي يعني دعم، انظر: (21-Görg,20
- إلا أن التفسيرات التي قالت بأن المصطلحات الآخرى مشتقة من أصول مصرية فيبدو أنها متكلفة وبعيدة الاحتمال، قارن:
- Cf.M.Görg,BN 1{1976},29-30;5 {1978},12;13{1980},19;ZAW 98{1977},115-) 18;GM 20 {1976},22-23;Y.M.Grintz, Leshaonenu 89{1974-1975},163-68).
 - M.Görg,BN 19 (1982),22-23. (AT)
 - M. Görg,BN 25 (1984),10-13. (AL)
- هذا أمر يبدو، مع ذلك، موضع شك، على نصو ما تكشف ثنا اللغة القبطية، في حالة krr (=أجانب) فحرف أل^{ت من} الثاني يخفى وراءه حرف "أ"، وفي حالة K³ry تمول حرف الـ "راء" كي يكتسب معقة لهرية بطول الملكة الحديثة.

- Ellenbogen, Foreign Words, 112. (Ao)
- Williams, Legacy, 264-66; cf. J.K. Hoffmeir, Biblica 67(1986), 378087; cf. also A. Jirku, (A1) ZDMG 103(1953), 372.
- Williams, Legacy,267;WB III,342:2-4;C.Kayatz,Studien zu Proverbien 1-9(Neu- (AV) kirchen-Vluyn,1966ff.
 - S.Morenz,ZÄS 84 (1959),79-80. (AA)
 - D.Muller,ZÄ\$ 86 (1961)),13. (A4)
 - (٩٠) (قارن المزمور رقم ٢ه أية ٢ ورقم ١٤٢ أية ٤) Cf.Psalm 53:3,142:4,etc.(
 - R.O.Faulkner JEA 42 (1956),26),29. (11)
- (٩٢) عظام الرجال الأشداء تهشمت، ولكن الضعيف اكتسب القرة، وأولئك الذين طعموا خير الغذاء، أجروا أنفسهم نظير لقمة عيشهم، إلا أن الجوعي كف جوعهم عنهم.
- lpuwer:M.Lichttheim,Ancient Egyptian Literature (Berkeley,Calif.,1976), (47) 1:149-63.
- A.Barucq,L'exression de la louange divine et la prière dans la Bible(عنان =)CF. (٩٤) et dans L'Égypte(Cairo,1962).
- See W.F.Albright,JEA 23(1937),191ff.;also D.B.Redford, The Nature of Kingship (١٥) during the 18th Dynasty"(على وشك الصدور)
 - (٩٦) النص مرجود في:
- Sandman, Akhenaten,93ff.,and V.A.Tobin, The Intellectual Organization of the Amarna Period*Ph.D.diss.,Hebrew University,1986),29ff. A translation appears in Tobin,29ff.;see also P.Auffret,Hymnes d'Egypte et d'Israel (Göttingen, 1981).
- كما أننى مدين الدراسة ثاقبة الرؤية للمزمور ١٠٤ تضمنتها ورقة عمل قدمها البروفيسور بول ديون Paul Dion إلى النادى الشرقى في مدينة تورونتو الكندية، كانت وقت كتابتي لهذا الكتاب لا تزال غير منشورة،
- S. Mowinckel, The Psalms in Israel's Worship (Nashville, Tenn., 1962), 1:225- (1V) 46;2: 1-25; J.W. Wevers, VT 6 (1956); G.W. Anderson, BJRL 48 (1965), 16-29; E. Gerstenberger, in J.H. Hayes, Old Testament Form Criticism (San Antonio, Tex., 1974), 198-205.
- G.Widengren, The Accadian and Hebrew Psalms of Lamentation (Stock-(%A) holm, 1936); W.H.Hallo, 88 (1968), 71-89.
- Cf.A,Erman, Deksteine aus der theanischen Gräherstadt (Berlin,1911); see also (11) S.Allam, MDAIK 24 (1969), J.J.Clère, RdE 27 (1975), 70ff.; M.G?rg, in Fontes atque Pontes, ed., M.Görg (Wiesbaden, 1983), 162ff.
- Cf.R.C.Cully,VT 13 (1963),113-25;idem,Oral Formulaic Language in the Bibli- (\...) cal Psalms (Toronto,1968).

(١٠١) للامللاع على أكثر الدراسات غزارة بالمعلومات، بصورة تثير الإعجاب حول الموضوع وما تتصل به من مشاكل، انظر:

M.V.Fox, The Song of Songs and the Ancient Egyptian Songs (Madison, Wis., 1985).

(١٠٢) حول تدريب الكتبة في مصر القديمة، انظر:

R.J.Williams, JAOS 92 (1972), 214-21; H.Brunner, Altögyptische Erziehung (Wiesbaden, 1972).

- P.Anastasi V.22/6-23/7; Caminos, Late Egyptian Miscellanies, 262-63. (\-Y)
- D.B.Redford, Pharaonic King-lists, Annals and Day-books (Toronto, 1986), 215- (1-1) 223.
 - A.H.Gardiner, The Library of A.Chester Beaty (London, 1931). (\.a)
- المنظور البعض في الآونة الأشيارة الرأى الذي يذهب إلى أن الحكمة المسارية انجاذبت من المنظور الطمائي- الدنيوي إلى الأكثر قداسة ودينية على امتداد القرون بصفته زعما واهيا يسهل تفنيده، انظر: (H.H.Schmid, Wesen und Geschichte der Weisheit {Berlin, 1966}, 8ff.; Williams, VT Suppl. 28, [1975], 245,

وقول بريستيد، تبسيطى، ولو أنه صحيح، واكن ما من أحد يستطيع أن ينكر التناقض الصارخ بين النصح البراجماني، إن لم نقل نهاز الفرص الذي صدر عن شخص يدعى بتاح - حوتب، فهو قلما ما يذكر الإله في الألف الثالث، والورع المسرف في التبتل والتباكي واستدرار العطف، على نحو مقزز، مما نجده عند أمينوبي الذي يدعى الصلاح باستمرار في أواخر الألف الثاني. على أن الربط بين الورع وبين الأخلاق لم يكتمل حتى العصور البطلمية، قارن:

M.Lichtheim,Late Egyptian Wisdom Literature in the International Context (Göttingen,1983),186-87.

(۱۰۷) ليس هذا هو المكان الذي نستمليع أن نجرى فيه بحثًا مسهبًا حول المسألة الشائكة التي تتعلق بالأنواع الأدبية genres في الأدب المصرى القديم، انظر:

H.Brunner,ZĀS 93 {1966},29;J.Assmann et al.,Fragen an die altägyptischen Lebenslehren {Göttingen,1979},235-83;S.Purdy,ZĀS 104{1977},112ff.; M.V. Fox ZĀS 107{1980} 128;R.J.Williams,JAOS 101 {1981},7)

ويكفى أن نقول الأن،استباقا لموقف يتنباه المؤلف الصالى (ريدفورد) في دراسة قادمة تتناول التقاليد الشفاهية في مصر القديمة، إنه يتمين علينا أن نسمح للقدماء أن ينقلوا إلينا تصنيفانهم هم. ففي غالب الأحيان نفرض تصنيفاتنا نمن (التي تنبع في غالب الأجيان عرضا ويصورة تفتقر إلى الاتساق، من الاستغراق في مثل هذه الأمور آلبائغة التباين من قبيل الغرض والشكل وألأسلوب) واستخلاصها، بصورة لا واعية من لغة المترجمين.

(١٠٨) حول التعليم بصفة عامة، انظر:

W.Mckane, Proverbs: A New Approach (London, 1970), 51-150,

وفي سبيل الاطلاع على أمثلة محددة متعلقة بالأمر، انظر:

R.B.Yscott, Proverbs, Ecclesiastes (New York.1965),xlii-xlii;Whybray,Wisdom in Proverbs (London,1965),53-54;H.Brunner, Handbuch der Orientalistik²,vol. 1.pt.2 (Leiden,1970),113-39;idem,LdÄ 3 (1980),964-68;M.V.Fox,ZÄS 107 (1980),128.

(١٠٩) كلمة "الحكمة" (العبرية) ليست ترجمة شافية، مع ذلك، لكلمة sb³yl التي يحسن ترجمتها عوضا عن ذلك إلى musar، انظر:(Whybray, Wisdom 62

بينما نجد تشابهًا بين روح التظاهر الذي نجده في الحكمة في سفر "الأمثال" وبيت تشخيص "ماعت" في مصر، انظر: (رما بعدما) (Kayatz,Studien zu Proverbien,93-98 and passim)

واست أجد مقابلا حقيقها لمفهوم "ماعث" المصرى في اللغة العبرية على نحر ما فعل البعض، فيما يبدر وإضحاء، لنظر:

H.Gese, Lehre und Wirklichkeit in des alten Weisheit (Tübingen,1958),33-38;U.Skladny, Die Altesten Spruchsammlungen in Israel (Göttingen,1962),89-92.

P.Humbert, Recherches sur les sources égyptiennes de la litterature sapientale (11.) d'Israel (Neuchêtel,1927),57;Kayatz, Studien zu Proverblen,26ff.; J.M. Thompson, The Form and Function of Proverbs in Ancient Israel(The Hague, 1974),40,62.

Whybray, Wisdom, 35-36, 45. (111)

Ibid.,59-61-67,65-67;N.Shupak,RB 94 (1987),98-119. (\\T)

Translation:Lichtheim, Literature,2:146-63;A.Alt,in M.Noth and D.W. Thom- (117) as,eds.,Wisdom in Israel and the Ancient Near East (Leiden,1955), 16-25;see also S.Morenz,ZÂS 84(1959),79-80;R.J.Williams,JEA 47 (1961),100-106; W.Helck,AFO 22 (1968-1969),21-27;G.E.Bryce, A Legacy of Wisdom:The Egyptian Contribution to the Wisdom of Israel (London,1979);

حول التاريخ، انظر:R.J.Williams،JAOS

يبدى أن افتراض وجود مصدر مصرى عام خلف المثلين ٢٢،٢٢ في سفر "الأمثال" و أمينويي، يقف دون ضرورة فضلا عن تعسفه، انظر:

I.Grumach,Untersuchungen zur Lebens-lehre des Amenope(Munich,1972).
Scott, Proverbs, Ecclesiastes, 135ff.; McKane, Proverbs, 369-74; M.V.Fox, ZÃS 107 (112) (1980),130-31.

CF.the list in R.J.Williams, VT Suppl.28(1975), 245 and n.85. (\10)

Lichtheim, Literature, 2:150-51, (111)

Cf.Davies, The Rock Tombs of Amarna (London,1909).6:pl.32;Urk (V,1998 (\)V)

إيه يا كل الأحياء الذين يسمون على سطح الأرض، ويا كل الذي سيغدون شبانا يافعين في يوم قادم! لسوف أحدثكم عن الطريق الأفضل كي تحيوا حياة طيبة قارن أيضا:

B.Couroyer, RB 57(1950), 174-79.

(١١٨) انظر ص ٣٦٦ (من النص الأصلي)

C.I.K.Story,JBL 64 (1945),319-37;Scott,VT Suppl.3 (1955),262-79; Williams,VT (\\\\) Suppl.28(1975),260-51.

(١٢٠) أحيل القارئ مرة أخرى إلى الدراسة القادمة التي سيعالج فيها المؤلف التقاليد الشفاهية في مصر القدمة.

الفصل الرابع عشر

أربعة تقاليد رئيسية عن الأصول

تكفى لحظة واحدة من التفكير لإثبات الرأى الذي يقول بأن التاريخ الإنساني لم يعرف ، إلا فيما ندر بصورة نسبية ، حركة قام بها شعب من الشعوب كي تستأصل بصفة نهائية أو تقتلع بصفة كاملة شعبًا أقدم من أرضه أو السكان الأصليين لبقعة ما . والجانب الأكبر من الطبيعة المتفاوتة ما بين الإخفاق والنجاح لتاريخ العالم القديم إنما نتصل بصورة أقرى كثيرًا بحركة الجزر والمد في الهيمنة السياسية والثقافية أكثر من الانتقالات السكانية على نطاق واسع أو حتى الاستعمار . فالتوسع المتتابع السيطرة الأشورية والبابلية – الجديدة والفارسية والهيلينية والرومانية لم يؤد إلى تغييرات حادة في السكان بصفة أساسية ، وحتى عمليات الترحيل للمتمردين أو هجرة المجموعات التي تشكل الصفوة ربما لم تحدث إلاً لأسباب عامة تتعلق بدرجة الأمان. وإذا ما حدثت ارتحالات من النوع الذي يؤدي إلى الاستئصال (= الإبادة) فليس من المستغرب أن يكون هذاك شيطان في غضبون ذلك كي يدفع الثمن ، فليس في وسع الضحايا ، على وجه الاحتمال أن يقبلوا بنفوس راضية المزاعم التي ترفعها الجماعة الوافدة أو الغازية بأنها تفعل ما تفعله في ظل قبول أو استحسان إلهي ، أو أن بلاد الضحايا قد أعطاها الإله القادمين الجدد : فالحق المطلق الذي يملكه الإنسان في أن يعيش في أرض جدوده . هو حق لا نزاع فيه ، وهو علاوة على ذلك مغروس في أعماق الروح الإنسانية ، وهو حق يجد حتى أي إله من شبه المستحيل عليه أن ينقضه .

تتمثل إحدى عمليات الانتقال المدمرة الشعوب التي يغطيها النطاق التأريخي لهذا الكتاب في غزو شعوب البحر ، فهنا نقف على الاقل على أرض أمنة إذا افترضنا

انقلابًا واسع النطاق للدول المعنية وتصركات ملحوظة المجموعات العرقية . وقد لا يكون من المستغرب نتيجة لذلك أن نجد في مأثورات الفولكلور الشعبية للقبائل القادمة استغراقًا في البحث عن هذه الأصول ، و توقا نحو تبرير الاستيلاء على أرض لم تكن يومًا أرضهم . ولطالما تتذكر مدن الساحل الجنوبي (في المشرق) أن أسلاف بعض سكانها على الأقل إنما نزحوا من جزر بحر « إيجة » وغرب آسيا الصغرى ، وسفر « عاموس » ٩ : ٧ يعكس تقاليد مشابهة عن الأصول بين أراميي العصر الحديدي .

وعلى نفس المنوال استشعرت إسرائيل تحت ظل مملكتها هي الأخرى اهتمامًا واعيًا بأصولها ، وهذه الأصول هي التي اتخذت في نهاية المطاف ، شكل « التوراة » (= الأسفار الخمسة والأدق الستة الأولى من الكتاب المقدس) التي نعرفها (١) وهذه « التوراة » التي جمعها كتبة - كهنة (١) (في أرجح الاحتمالات وحرروها ونسخوها على الأقل جزئيًا « تنزلت » روحيًا من لدن الصفوة الروحية في « أورشليم ») تضم أربعة تقاليد كبرى تحتل مصر فيها مكانة بارزة ، سواء كمؤثر ثاقب أو كمكُون مباشر ، وتتمثل هذه التقاليد في قصص الخلق وجدول الأمم ، والإقامة في مصر و « الخروج » . ومن بين هذه التقاليد الأربعة نجد أن التقليدين الأول والثاني، من إنتاج الكهنة ، إلى حد كبير وإن لم يكن بشكل كامل ، أما الثالث والرابع ، من جانب أخر فلقد تمتعا بوجود ونسنخ أقدم .

قصص الخلق:

سطُّر العلماء صفحات لا تحصى ولا تعد تعليقًا على قصتًى الفلق اللتين وردتا في سفر « التكوين ١ : ١ - ٢ : ٤ - ٢٤ ، وكاتب هذه السطور ليس على استعداد سواء لتناولها بالنقد أو حتى لتلخيصها . ولطالما شاع الزعم بأنهما ، أى هاتين القصستين ، تكشفان عن اعتماد واضع على قصص الخلق في بلاد الرافدين (= ميزوبوتاميا) (٢) بينما تعكس القصص الملحقة حول أصل بعض مظاهر الحياة المتحضرة تشابهات بارزة مع حواديت فينيقية (١) .

وكان ذلك ليبدو ، وكانه يضع نهاية للبحث عن مصادر التاثر عن كاهل الكتب أو الكتبة العبرانيين ، لو لم تكن أداة الخلق الرئيسية في الخلق في سفر « التكوين » الإصحاح الأول أقصد « الأمر الإلهي » : قال الرب : « ليكن ... » وهذا لا يذكرنا بأي أسطورة مصرية .

يستمد النموذج الأسطوري الأكثر شيوعًا في مصر القديمة حول أصل وطبيعة العالم^(ه) تفاصيله المتباينة من المدى الرحب لوادى النيل: الفيضان السنوى الذي يحيل الوادي إلى نوع ما من « بحر بدائي والأرض الجافة التي تظهر عندما بنحسر الماء ، والغرين الأسمر المفعم بالحياة ، وفي معظم إن لم نقل كل قصيص الخلق البدائية في مصير ، نجد أن المادة الأزلية - الأبدية التي كانت موجودة عند البدء ، دون أن يجد أصلها أي تفسير ، هو الماء ، المحيط الأولى ، أي « نون». $^{(1)}$ ومن الماء خرجت ربوة $^{(4)}$ جلس عليها الإله الخالق في شكل حيوان زاحف أو كائن حشرى أو طيري ، ومن نقطة العلو هذه انضرط في عملية الخلق التي أخذت هيئتها الأكثر سمواً في عملية بصىق وتخصيب ذاتى و « جلد عميرة » (= جلد أباظة)(٨) أو ما أشبه . ولما كان هذا اله موتيف » قد تحقق في شكله الكلاسيكي في عباد الشمس التي عرفتها « أون (= هليوبوليس) وكان الإله الخالق يجرى تصوره كصقر والربوة الأولية كبيضة فقست ومن نصفيها بالتالي ارتفعت السماء وانطرحت الأرض ^(٩) ولقد سحر التفكير الأسطوري الخلاق تلك الربوة إلى صور أخرى كى تعطى نطاقًا أوسم للتداعيات: زهرة اوتس (= بشنونة) و قصبة (= بوصة) عائمة (۱۱) بل وحتى رأسا بشرية (۱۱) وفي كل الأحوال لم يأت خلق البشر التائي في لحظة واحدة ، بالنسبة للراوي ، ولكن صار لزامًا عليه أن يجمع أجزاءه من مصادر متباينة . فهناك « موتيف » شعبي وواسم الانتشار يحمد لإله الشمس بكاءه وانتحابه عندما نظر فرأى الأرض مجدبة لاحياة تدب فيها في صباح يوم الخلق قبل انبتاق الإنسان : سقطت دموع (باللغة المصرية « ريمى » rimi) إله الشمس على التراب ومنها خرج البشر (باللغة المصرية « رومي » : romi ونلاحظ هنا شبه الجناس بين الكلمتين)(١٢) وتذهب رواية أخرى إلى أن « خنوم » الإله الفخراني الذي تركزت عبائته في جزيرة « إليفانتين » كان يشكل الإنسان والحيوان على عجلته من طمى النيل وينفخ فيهما من نفسه (= روحه)(١٣) ولقد تمتعت هذه الفكرة بدرجة مساوية من الانتشار وامتداد نسبى فى أعماق الزمن القديم ، ويقول « أمين — حوتب » فى القرن الثانى عشر ق . م : « ما الإنسان إلا طين وقش وخالقه هو الإله » . وتركز بعض النصوص الأخرى على تشكيل جسم الإنسان كما لو كان عمالاً من أعمال صانع السلال ، وتتحدث عن « عقد الروس وتثبيت الأعناق وضفر عظام الظهر . «(١٤) .

وينصب اهتمام « موتيف » آخر ، وإن كان أقل انتشارًا على وجه التقريب ، من نموذج « المحيط الأولى - والربوة » على الاتحاد الجنسى كالعنصر الأولى في عملية الخلق . فالسماء (وهي أنثى) والأرض (ذكر) كانا متحدين ومتحاضنين في عناق (سرمدى) في قلب « نون » ، وتفتق فعل الخلق من فصل الزوجين عن طريق إدخال عنصر الهواء (أو الضوء أي « شو ») يعنى أن الولادة القادمة لابنها سوف تكون سماوية ، وأن الأجرام السماوية المنيرة وجميع رهط النجوم سوف تظهر في حينها دون تأخير وتجد مدارها في بطن السماء ، كي تبلعها مع حلول الليل. (١٥)

وتقوم أدلة في حقيقة الأمر ، على أن مصر القديمة عرفت ذلك التصنيف من قصص الخلق الذي يُدفع فيه إله - بطل إلى التحرش بتنين أو وحش كاسر هو رمز الفوضى ، ولكن الحبكة كانت في العادة تنفصل عن الخلق كي تخدم كه حدوثة ه تنصيب أو عمل من أعمال الإتيولوجيا (علم التسبيب والأولى التسويغ) الكسوف الشمسي على سبيل المثال. (١٦) وبصفتها قصة من قصص الخلق نجد إشارة إليها في الشمسي على سبيل المثال. (١٦) وبصفتها قصة من قصص الخلق نجد إشارة إليها في م تماليم الفرعون ميري - كا - رع ه التي ترجع إلى القرن الواحد والعشرين ق.م. وربما أقدم من ذلك كثيرًا (١٧) يقول والد « ميري - كا - رع » البشر هم سرب الإله . ومن أجلهم برأ السماء والأرض عندما قهر وحش الماء ، وهو الذي خلق النفس لأنوفهم حتى يحيوا . فهم صور منه ،(١٨) خرجت من بدنه » وفي « الأشمونين » لنشأة الكون ، ولو أن الدراسين المحدثين لا يعرفونه حق المعرفة ، مع انطوائه على درجة معينة من التوفيقية بين عدد من العناصر المستعارة من هنا وهناك ، على المحيط الأولى الذي يتميَّز بأربع صفات سلبية : اللاقاعية (نوبو) والظلمة (كاكو) واللامحدودية (حاحو) واللاقابلية للإدراك .(١٩) وقد شخصت سائر هذه المفاهيم الأربعة ، التي استعصت على الوصف عن طريق النهج المتدرج الذي تقوم عليه نظرية النوبع ، الذي تقوم عليه نظرية النوبع ، الذي تقوم عليه نظرية الزبعة ، التي استعصت على الوصف عن طريق النهج المتدرج الذي تقوم عليه نظرية الأربعة ، التي استعصت على الوصف عن طريق النهج المتدرج الذي تقوم عليه نظرية الأربعة ، التي استعصت على الوصف عن طريق النهج المتدرج الذي تقوم عليه نظرية المربع مياه نظريق النهج المتدرج الذي تقوم عليه نظرية المترج الذي تقوم عليه نظرية المربع المربع المربع عليه نظرية المربع المربع المربع علي الوصف عن طريق النهج المتدرج الذي تقوم عليه نظرية المربع علي الوصف عن طريق النهج المتدرج الذي تقوم عليه نظرية المربع المربع المربع المربع على المربع عليه نظرية المربع المربع المربع المربع على المربع السي المربع المربع المربع المربع المربع المربع المربع المربع على المربع المر

« أناكسيماندر » Anaximander » غير المحدود » لأغراض العبادة غلال أربعة أزواج من الآلهة ، وهؤلاء اصطلح على تسميتهم « الثمانية » (باللغة اليونانية » ogdoad « الثامون ») وهم يعدون بمثابة الآلهة العظمى الأولية ، أى الآلهة التى تحظى بالإجلال وقد خرجت من صلبه ... وبعدهم ظهر إلى الوجود كافة ما خلق» (٢٠) وبينما تظهر الربوة التى انبثقت من الماء ورفع السماء هما أيضًا فى القصة الأشمونينية ، فإننا نستطيع أن نضيف أيضًا تلك المعركة التى دارت مع الوحش (فى هذه المالة يكون الوحش هو ثعبان نيهيب – كاو) قارن PT229 ، « يا قادوم « أتوم » الكامن فى فقرات ظهر « نيهيب – كاو » الذى ينهى الصراع فى « الأشمونين » ... ! (٢١)

لا يحتاج المرء إلى أن يزيد شيئًا حول الطبيعة الخشنة غير المصقولة لهذه المفاهيم الأساسية . فمثلما هو الأمر في معظم الثقافات تنشأ معظم المعتقدات الروحية الرئيسية في أعماق الماضي السحيق ، إن لم نقل فيما قبل التاريخ ، وتجد الصفوة المثقفة (الإنتلجينسيا) المجتع في طور لاحق وهو أكثر صقلاً ، نفسها وقد حملت على عائقها عبء تركة بدائية بصورة محرجة . ولقد أعاد الحكيم المصرى تفسير وتشكيل مجمل تقاليده في كل مصقول وفي نفس الوقت يستعصى التنبؤ بعواقبه .

تكشف عناصر عديدة في حواديت الخلق هذه بالفعل عن حساسية وبصيرة عاليتين . فالتركيز على « الوجود » و « الانبثاق إلى الوجود » ومفهوم المخلق الذاتي يفاجئنا بأنه مفهوم متقدم بشكل استثنائي . فالزمن السابق الخلق يوصف بألفاظ توحى بالسعى الدوب وراء فكرة « اللاوجود » (٢٢) زد على ذلك أن الخلق ذاته يسمى في الغالب الأعم «الفعل الأول (= الحدث) » وعند خلق الإنسان ، يبدر أن هناك افتتاناً مسيطراً بالنفس الذي ينفث في الخلق كالعنصر الرئيسي الذي ينعش اللحم الخامل. (٢٢)

وصل البحث وراء « المبدأ الأول »: (في مصر القديمة إلى نروته العليا بتآليف ما أصبح يُعرف به « اللاهوت المنفى » Memphite Theology (^{٢٤)} وهذا اللاهوت عبارة عن نص درامى - طقوسى مزوّد بتعليق في خاتمته ، وقد عثر عليه منقوشنًا على كثلة من الحجر محفوظة الآن في المتحف البريطاني ، وهو يرجع إلى حكم « شاباكا »

(٧١٢ - ٧٩٧ ق . م) الذي يقبول إنه عشر على النص الأميلي مكتوبًا على بردية « صنعها الجدود ، وأكلها الدود حتى استعصت على القراءة من أولها لآخرها » . وبينما أجتنب صدق هذا التصريح Vorlage التحدي ، وانطرح تاريخ أقدم للنص (٢٥) ، إِلاَّ أنه ما من أحد يستطيع إنكار أن مضامين النص لم تصبح (مرة أخرى؟) معروفة إلاً في مطلع المقبة الكوشية حوالي ٧١٠ ق.م. وقد حظى النص بالذيوع خالل القرنين التاليين . على أن التعليق إلى جانب أفكار أخرى جديدة تعزز الفرضية التي تقول بأن جوهر الإله الضالق « بتاح » كامن في « القلب » و « اللسان » ، وبعبارة أُخْرِي « العقل » و « النطق الخالق » . فالعقل يتصبور الوجود والكلمة الخالقة تجسُّد ما سبق للعقل أن رسم صورته . وبالتالي قإن الخلق نفسه يصبح بمعنى من المعاني انبثاقًا من الخالق ، أو على الأقل ذلك الجزء منه الذي يحمل القوة الحيوية : « وبناء عليه فالذي حدث أن القلب واللسان كسبا السيطرة على كل عضو أخر من أعضاء الجسم خلال التعاليم التي تقول بأن « جلالته (« بتاح ») موجود في كل بدن وكل لسان ، وكل الآلهة وكل البشر وكل المواشى وكل ما يستحف على وجه الأرض وكل ما يطير في الهواء ، وذلك عن طريق إعمال التفكير وإصدار الأوامر بكل ما يرغب فيه « ونستطيع أن نمد كلية الوجود التي يملكها « بتاح » كأساس لسائر الخلق » : « لا وجود لأى كيان دونه ، فالوجود هو وجوده الذي يستمر في الوجود كما سبق له أن قرر ^{ي(٢٦)} .

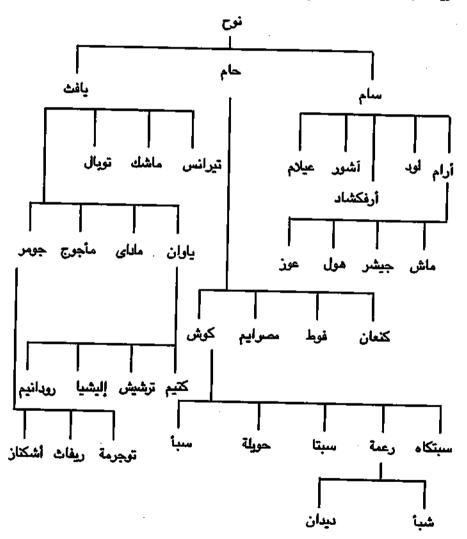
عرف نصف القرن الماضى علماء أيدوا بكل ما أوتوا من قوة ، الرأى الذي يقول إن عديداً من هذه النماذج والتفاصيل التي مرت علينا في إطار عرضنا الحالي إنما تشكل الخلفية التي مارست تأثيراً ملحوظاً على مؤلفي سفر « التكوين » ١ - ٢ ، والقد أخنت أعداد هؤلاء العلماء في التزايد في الآونة الأخيرة. (٢٧) وبينما لا يستطيع المرء حتى الآن أن يتحدث عن حركة « تمصير شاملة » Pan- Egyptianizing ، فمن المستحسن أن نستعرض هذه التيارات حسب قواعد المنظور ، مع أن أساطير الخلق تملك في داخل نطاق مصر ذاتها تاريخًا طويلاً ، إلا أن مباحث علمية راقية مثل «اللاهوت المنفي » لم يكن لها أي تأثير على العالم الخارجي حتى فترة التجديد الثقافي خلال فترة التجديد الثقافي خلال فترة الحكم التي امتدت من الأسرة الرابعة والعشرين إلى السادسة والعشرين ،

وهي الفترة التي عرفت بإحياء كل ما هو قديم ، ففي تلك الفترة التي يصل طولها إلى قرنين ، ولنقل من سنة ٧٢٥ إلى ٥٢٥ ق. م. وجدت كل من مصر وسائر شرق البحر المتوسط بما في ذلك جزر بحر « إيجة » نفسها وقد قذفت الأحداث بها جميعًا في خضم وحدة من المصالح الثقافية والاقتصادية والأكثر أهمية من كل ذلك الروحية . ولكن هذه الفترة لم تخضع مطلقًا لاستكشاف مناسب من جانب العلماء . وحتى يأتى مثل ذلك الوقت الذي تُستكشف فيه بشكل كامل تشابكات التخصيب الثقافي المتبادل خلال العصير الكوشي - الصياوي من « أيونيا » lonia (= منطقة في العالم القديم كانت تضم القطاع الأوسط من الساحل الغربي لهضبة الأناضول. للمترجم) حتى إيران ومن السنودان حتى أورارتو » Urartu (= أحد بلدان العالم القديم . وكان يقع في جنوب غرب أسيا حول المنطقة الجبلية الواقعة جنوب شرق البحر الأسود وجنوب غربي بحر قزوين) فلسوف يكون من السابق لأوانه أن يلزم المرء نفسه بحكم أيًا كان على احتمالات التأثير المصرى على قصة الخلق التي وردت في سنفر « التكوين » . وقد يثبت أن الأمر أمر حالة بسيطة من حالات الاستعارة المباشرة ، وإن صحبتها نيَّة مغرضة تتمثل في « نزع الطابع الأسطوري » (في سبيل تأسيس الديانة العبرانية . المترجم) ، أو كما قد يتضم أنه لا يزيد ولا يقل عن حدث ثانوى الأهمية في نموذج أكثر إتساعًا وأكثر تعقيدًا بما لا يقاس ، من التبادل الثقافي .

قائمة الأمم:

إذا كان سفر « التكوين » يطرح علينا في الإصحاحين الأول والثاني ، احتمالات مغرية التأثير المصرى على الفكر العبراني خلال القرنين السابع والسادس ق .م. ، فإن الإصحاح العاشر من السفر نفسه قدم الحجة الحاسمة على ذلك التأثير .(٢٨) وذلك لأن هذا الإصحاح يمدنا بمحاولة بدائية لرسم شجرة أنساب البشرية جمعاء باستخدام المعلومات الهزيلة التي كانت متاحة منذ نهاية تلك الفترة الزمنية ، بعد أن شوهتها النظرة ، القصيرة البصيرة النابعة من « أورشليم » .

تضم « قائمة الأمم » شجرة أنساب ذات شكل أولى ، يمطه الكاتب عند بعض النقط حتى تأخذ الأنساب معه شكل الروايات ، ونجد هذا الجدول في أيات ٢ - ٧ ، ٢ ، ٢ ، ٢٢ و ٢٣ . وبعد تعداد نسل كل ابن من الأبناء ، يضيف الكاتب عبارتين ، إحداهما تعطينا مرجعًا جغرافيًا الشعب الذي سبقت الإشارة إليه ، والثانية موجزًا سريعًا . ومن هذه الآيات تخرج شجرة العائلة المقدمة في جدول رقم ٧ على هذا النحو :



أشكناز:

أحفاد « يافث » و « سامر » يستمر بهم المؤلف حتى الجيل الثالث من « نوح » ، أما أحفاد « حام » فيصل بهم حتى الجيل الرابع . والسؤال حول ما إذا كان لهذا صلة من أى نوع بوصول « حام » متنخراً في « الثالوث » ، حيث إن أعضاء الأصليين هم « يافث » و « سام » و« كنعان » فسؤال لا يزال محل أخذ ورد . ومن بين هؤلاء الأحفاد الذين حددهم المؤلف بتفصيل ملحوظ ، لا نجد سوى « السيثيان » هؤلاء الأحفاد الذين حددهم المؤلف بتفصيل ملحوظ ، لا نجد سوى « السيثيان » الشرقيين والقبائل العربية الشمالية ، ((۲۲) كما أن الأراميين » يظهرون أيضاً في شجرة الأنساب . وبالتالي فإن هذه القائمة تنطوى على ثغرات خطيرة ، ولم يسدها سوى الأنساب الروائية ، تلك التي أقمحت في أوقات لاحقة ، ولو أن هذا « السددان » لم يكن إلا بصفة جزئية .

وتستخدم الأنساب الروائية بصورة شبه متواترة فعل « قال » ... ولا نجد صيغة المبنى المجهول الفعل « قال » ، إلا في الآيتين ٢١ ، ٢٥ وحسب . وتحتوى الآية : ٢١ على حشو زائد ، دون أي ضرورة ، ولما لم تكن هناك أي عبارة موازية ، في حالة «يافث» أو « حام » ، فإننا نستطيع أن نصنفها باطمئنان ، كهامش شارح . (٢٠٠) وتحمل إلينا الآية رقم ٢٥ خبر الفرعين اللذين انحدرا من « عابر » Eber الذي ورد ذكره أيضاً في الآية رقم ٢١ .

وتحمل الأقسام الروائية العائلات المنحدرة من اثنين من أعراق « حام » ، وهما « مصرايم » « وكنعان » ، وعرق يدعى « أرفكشاد » Arphacsad من الأعراق السامية الخمسة ، أما « يافث » فيكون حظه هو التجاهل . وإذا كنا نواجه هنا ، كما يريد لنا كثيرون أن نعتقد ، « جدول الأمم » اليهودى فلسوف يتعين علينا أن نقر بأنه جدول ناقص بصورة غير مفهومة ، هل حذف الكاتب – الكاهن ، الذي يفترض أن يكون قد قدم إطار هذا الإصحاح ، (٢٦) قدرًا ملحوظًا من مصدره « اليهودى » ، أم أن يكون مستوى ذلك القدر الآخر متدن بشكل ملحوظ ؟ لعل من الواضح أن هذا الجزء الروائى من الأنساب يحتاج إلى فحص أكثر عمقًا .

كما برهن « سيمونز » ، بما لا مزيد عليه (٢٢) ، فإن الآيات من ٨ حتى ١٢ ، تلك التى تقص خبر « نمرود » مقحمة على السياق الراهن ، فه « نمرود » لم يرد له ذكر ، وحسب في الآية رقم ٧ ، حيث كان المرء أن يتوقع هذا الذكر ، ولكن هذا القسم يستخدم صيغة wayyehi (عبارة باللغة العبرية تعنى « جاءت كى تمر » wayyehi (عبارة باللغة العبرية تعنى « جاءت كى تمر » pass , Google ويخوض في التاريخ أكثر مما يخوض في الأنساب . ونقطة الانطلاق في الآيتين ٨ ، ٩ كانت شرح أحد الأمثال ، أما في الآيات من ١٠ إلى ١٢ فنقطة الانطلاق تتمثل في إسهاب القول في الإشارة المجردة التي وربت إلى « أشور » في الآية رقم ٢٢ . ولكن طالما كان أصل « أشور » راجع إلى مملكة « نمرود » ، وطالما كان « نمرود « بن « كوش » خلال تعيين خاطئ لهويته ، فإن الآيات من ١٠ - ١٢ ترتبط بالآيتين ٨ ، ٩ وليس في وسعهما أن يرحلا إلى الآية رقم ٢٢ أو فيما حولها .

على أن الآيتين ١٢ ، ١٤ تقفان متفردتين في الجدول بإصرارهما على استخدام كلمة « الأغيار » في صيغة الشخص الثالث (= الغائب) في حالة الجمع بدلاً من « الأسماء الإطلاقية » eponyms (= الأسماء التي ينسب إليها ، أي تطلق على أسماء مغايرة وإن كانت ترتبط بها بصورة أو بأخرى ، مثل اسم البطل الأسطورى : « رومولوس » الذي أطلق على مدينة « روما » . المترجم) والكاتب أي كاتب هذه الآيات ، لا يستطيع أن يمر على هذه الأسماء الثمانية باعتبارها « أبطالاً يحملون أسماء إطلاقية » ، ويبدو أن كل ما يستطيع قوله في هذا الصدد لا يتجاوز أن أصل هؤلاء الأشخاص إنما يرجع إلى مصر . واكن خلال استخدامه لصيغ الجمع كان قد قطع كلاً من سلاسة الأنساب وصدقيتها . ولقد أنزات الآيات من ١٦ حتى ١٨ نفس الضرر بالطابع العام للإصحاح وذلك لأنها تحدد تسعة أفراد من « الأغيار (= غير اليهود ، والكلمة نفس الإيحاءات التي تحوزها كلمة « العجم » عند العرب ، المترجم) كذرية فرعية إضافية لـ « كنعان » ، الذي كان ولداه قد ورد ذكرهما من قبل (الآية رقم ١٥) ويبدو من شبه المؤكد أن هذا القسم مكتوب بصورة متسرعة وعلى نحو مقحم إلى حد يدعو للأسف ، وقد وضعه مؤلف يستشعر الحاجة إلى ضرورة أن يحظى الكنعانيون بتناه في أكثر احتفالاً (٢٢).

والأيتان الرابعة والعشرون والخامسة والعشرون ، اللتان تتناولان نسب « أرفكشاد » Arphacsad مشتقتان من نفس التقاليد كما يتضبح لنا في سفر « التكوين » ١١ : ١٧ – ١٧ . ولكن بينما يستمر الإصحاح الأخير مع نسسل « فبالج » : Peleg ، فإن الإصحاح الأخير مع الحصر على أبناء «يقطان » Joktan شقيق « فالج » .

لعله من الواضح ، بالتالى أن الأنساب التى يغلب عليها الطابع الروائى فى « جُدول الأمم » لا تشكل وحدة بحد ذاتها ، بل تجميعًا غير متجانس لمواد من هنا وهناك . واكن بعض هذه المواد غير مناسب لأنساب « جدول الأمم » ويعض المواد الأغرى عبارة عن عملية تسويغ مدسوس (على سبيل المثال : الاستطراد الذى يدور حول « نمرود ») وليس فى محله المسحيح داخل نطاق شجرة نسب رسمية ، ويعض المواد الأخرى لا تخرج عن كونها تنبوًا لما سيأتى ذكره فى الإصحاح التالى . وبناء عليه فبصرف النظر عن الحكم الذى نصدره على مدى صدق المضمون الوارد فى هذه الأنساب الروائية ، فإن المرء لا يجد مفرًا من الإقرار بأنها ثانوية الأهمية وذيلية الطابع بالنسبة للجدول الأصلى . ولقد بدأ مؤلف سفر « التكوين » بقائمة بأبناء « سام » و « يافث » ، وهى القائمة التى حشر فيها ، هو أو مؤلف آخر لاحق ، عددًا متنوعًا من الشروح والملاحق . وكما يجوز المرء أن يتوقع ، كانت المواد التى يستقى متنوعًا من الشروح والملاحق . وكما يجوز المرء أن يتوقع ، كانت المواد التى يستقى مؤلفنا منها مثل هذه الإضافات ، أسهل منالاً عندما يتعلق الأمر بالحاميين أو الساميين ، الذين كانوا مألوفين أكثر لبنى إسرائيل من أبناء « يافث » البعيدين عنهم .

إلا أن « جدول الأمم » يغفل ، بما يدعو إلى الاستغراب حقاً ، كل ذكر لنسل إسرائيل . وحتى عندما يتناول المؤلف ذرية « سام » فإنه يتحاشى بصورة لا تكل ولا تمل ، فرع « فالج ، ولربما قنع مؤلفنا بإيماءة لا يكاد يلحظها المرء إلى سلسال العبرانيين خلال الإشارة مرتين إلى « عابر » (الآيتان ٢١ و ٢٥) أما « يقطان » شقيقه ، من جانب آخر ، فلقد منحه المؤلف ما لا يقل عن ثلاثة عشر ابناً ، لا يخدم تعدادهم فرداً فرداً سوى التأكيد على تجاوز « فالج » وإهماله . وفي ضوء المركز الرئيسي الذي يحتله « فالج » في سلسلة نسل « إبراهيم » ، فالم الا يستطيع أن

يدخل عدم التوازن في الإصحاح العاشر من سفر « التكوين » في باب الصدفة . فالإصحاح بأكمله كان ليبدو ملحقًا تكميليًا لنسل « إبراهيم » في الإصحاح الحادي عشر من سفر « التكوين » . وهذا الإصحاح الأخير جادت به يدا مؤلف لسفر « التكوين » بعد فترة « النفي » (البابلي) . وكان هذا المؤلف قد هدف إلى تتبع جدود العبرانيين ، وبالتالي إلى تحديد أصل العرق الذي ينتمي إليه هو نفسه. (٢٠) وخلال هذه العملية شعر أنه مضطر إلى وضع إسرائيل داخل نطاق سياق أعرض الشعوب أجنبية كانت مألوفة لديه ، وجاء « جدول الأمم » كنتاج لجهوده ،

قادنا النقاش الذي جرى حتى الآن إلى التشكك في وضع تاريخ تأليف الإصحاح العاشر من سفر « التكوين » بعد فترة « النفى » ، فهل إمعان النظر في « الأسماء الإطلاقية » eponyms ذاتها يؤكد هذا التشكك ؟ فلنبدأ بفحص أنساب « جدول الأمم ».

يضع هذا الجدول « اليافثيين (= أبناء « يافث ») في قوس ضخم مرسوم ، يمتد شرقًا حتى « إيران » (الميديين Section) وغربًا حتى اليونانيين – الأيونيين على الساحل الغربي لهضبة الأناضول. (٢٠) وهذا النطاق بشمل « زاجروس » و «أرمينيا » وسائر أرجاء آسيا – أي الإقليم الجبلي الذي يهدد ويطوق « الهلال الخصيب » في الشمال والشمال الشرقي وهو أي ذلك القوس متمدد زمنيًا مع الإمبراطورية الناشئة لد الميدين » والإيرانيين في أواسط القرن السادس ق م ولكن قائمة أبناء « يوان » Yawan التي تضم « قبرص » و « رويس » تنخذنا إلى داخل نفس النطاق الزمني أو نطاق زمني متأخر بصورة طفيفة . (٢٦) إلا أن التوزيع العرقي (= الجنسي racial الذي جرى تصوره هنا لم يكن ليظهر النور لولا الاستعمار اليوناني لشرق البصر الني جرى تصوره هنا لم يكن ليظهر النور لولا الاستعمار اليوناني لشرق البصر الميرانيون يعرفون اليونانيين خلال « النفي » (« حزقيال » ٢٧ : ٢٧ ، ١٩) ، ولكنهم لم يشرعوا يألف ونهم إلا بعد « النفي (إشعياء ٢٦ : ١٩ ، « يونيل » ٤ : ٢ ، « زكريا » و ٢٠٠ ، « دانيال » ٨ : ٢٠ ، ١٠ ، ٢٠ ، ١٠) وأكبر أبناء « يافت » هدو «جومر » Gomer » وهو د الكيمزيين Cimmerians الذين تسمّوا على اسمه (٢٨)

ويظهر هذا الشعب ، حسب المصادر الأشورية في « أورارتو » في أواخر القرن الثامن ويجرى تصنيفه مع « الميدين » Medes (سكان بلاد « ميديا » جنوبي بحر « قزوين ») و «الماناي » Manai في النصوص التي ترجع إلى عهد الملك الأشوري « إزارهادون » (٢٩) وفي سنة ١٤٤ ق. م. اجتاح « الكيمزيون » أولئك « ليديا » : Lydia كي يسمتولوا على « سرديس » : Sardis ويذبحوا « جيجيز » ولكن الهيارهم بعد ذلك كان سريعًا بصورة نسبية ، ومنذ حوالي سنة ١٦٠ ق. م. انهيارهم بعد ذلك كان سريعًا بصورة نسبية ، ومنذ حوالي سنة ١٦٠ ق. م. فصاعدًا حل محلهم « السيثيان » Scythians . (سكان « سيثيا » وهو الاسم القديم لإقليم يقع في جنوب أوروبا وجزء من أسيا ، ويمتد في شمال شرقي البحر الأسود وشرقي بحر الأورال) (١٠) والآن نجد أن المؤلف ينسب « الأشكناز » (= السيثيان) بالبنوة له عجومر » ، وفي عبارة أخرى فإن تعاقب « السيثيان » على موطن أسلافهم من الكيمزين معروف المؤلف ، ونقطة البدء هنا يتعيّن أن تكون ، بالتالي الربع الأخير من القرن السابع ق. م.

يصل عدد أبناء « حام » إلى أربعة : « كوش » و « مصرايم » و « ليبيا (بوط) Put (الله على الله و الله على الترتيب ليس جغرافيًا ، بل سياسيًا (الله على المورد الترتيب ليس جغرافيًا ، بل سياسيًا (الله التي تمتعت بها الاسم « كوش » ، على « مصرايم » يعد انعكاسًا لا لبس فيه السيادة التي أنزلها بها مملكة (= نبأتا) منذ غزوها مصر في سنة ٧١١ ق. حتى الهزيمة التي أنزلها بها « بسماتيك » Psammetichos الثاني (حوالي ٩٣ ق.م.) (الموتى بعد ذلك التاريخ استمرت « كوش » تحتل المرتبة الأولى في التقاليد ، كما نستدل على ذلك من كتابات كل من « هيرودوت » و « ديودور » (الله الله والمشرين والثالثة والعشرين (حوالي كانت السيادة الليبية ، خلال الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين (حوالي حوم و ١٠٠٠ ق. م.) قد طواها الماضي البعيد . وفي الآخر تأتي « كنعان » كذكري باهتة المدي الذي كان نفوذ وادي النيل قد بلغه ذات يوم (الكن « كنعان » كذكري باهتة المدي الذي كان نفوذ وادي النيل قد بلغه ذات يوم (الكن « كنعان » كذكري كونها اسمًا ، أما أمجادها فلقد أصبحت جزءً من ماض سحيق ، ولا يعرف أي من الإصحاح العاشر من سفر « التكوين » أو قصص الآباء شيئًا ذا بال ، سواء عنها أو عن سكانها الخرافيين ، وأحد أبناء « كوش » يدعي « سبنتكا » Sabtecah الذي كان من ماحين ، على الوجه الظاهر ، سوي الملك الكوشي « شابتاكا » Shabtaka الم يكن ، على الوجه الظاهر ، سوي الملك الكوشي « شابتاكا » Shabtaka

(٦٩٧ - ٦٩٠ ق. م.) واكن المؤلف هنا يتذكره على هيئة من الأسلاف الذين يحملون « أسماء إطلاقية » . موجز القول : كانت الأدلة لتشير إلى أواخر القرن السابع أو أوائل السادس كنقطة البدء terminus a quo للوضع الذي يقف وراء قائمة الحاميين .

قد يحملنا وجود « عيلام » على رأس الساميين إلى الوراء إلى منتصف القرن السابع ، قبل القضاء على تلك الدولة على أيدى « أشور ~ بنى – بعل » . إلا أن الاسم الثانى : « أشور » يوحى بنقطة ختام terminus ad quem عند ٢١٢ ق ، م ، عندما زالت الدولة الاشورية من الوجود . ولكننا إذا ما أخذنا هذه النقط سواء في البدء أو الختام مأخذ الجد ، فإننا نكون قد تجاهلنا على وجه الاحتمال وعلى وجه أخرق في الوقت نفسه استمرار أسماء كبيرة على قيد البقاء ، حتى بعد اندثار الأماكن التي تسمّت بها ذات يوم . فالتقاليد تتشبث دائمًا بالبقاء وتملك أسماء الأماكن في الغالب الأعم قدرة على العيش على الألسنة أمادًا طويلة . أما « أرفكشاد » فيفسره المفسرون عادة بأنه الاسم الذي أطلقه المؤلف على « بابل » ، وكان غيابه من جدول الأمم (لولا وروده في الآية رقم ١٠) ليعد أمرًا عصيًا على الفهم . (١٤) وقد يكون « لود » هو تظل لغزًا (١٤)

إلا أننا نجد الأدلة تتفق بالإجماع أو تكاد فيما يتعلق بالأنساب التي وردت في « جدول الأمم »: النصف الأخير من القرن السابع ق .م. هو نقطة البدأ للتوزيع السياسي والعرقي الذي يكمن وراء « جدول الأمم » . والصورة التي تتكشف ، على نحو ما فعلت ، ليست سوى النظرة الأخيرة لأبناء « يهودا » كأبناء دولة مستقلة ، للعالم قبل أن يطويهم « النفى » ، وكانت هي الصورة أيضًا ، مع بعض التعديلات ، التي كونوها عندما عادوا من إقامتهم الجبرية في الخارج .

أيًا كانت الأدلة التي نستطيع للمتها من تلك الأنساب الروائية فهي عاجزة عن هز هذه الفرضية: الأبناء السبعة لمصر يشكلون الفرع الأول للحاميين الذي نقابلهم في تلك الأنساب الروائية . ولكن العضو المؤكد الوحيد هو « فتروسيم » Pathrusim ، وهو اسم جمع في حالة المذكر ، ولقد صيغ استتادًا إلى الاسم المصرى : « با – تا – رسى »

« أي » الأرض الجنوبية » وهو اسم الوجه القبلي ، وقد انبثق خيلال عصر الملكة الحديثة ، ولكنه لم يصبح اسمًا عامًا بالصبيغة المذكورة التو (أي بإضافة أداة التعريف في اللغة المصرية القديمة للمفرد المذكر : « با » . المترجم) إلاّ في المرحلة الديموطيقية (٢٩) ويجمع العلماء على أن « كافتور » Kaphtor هو « كيفتيو » Keftiu ، وهو اسم أحد الأقاليم الإيجية (ربما « كريت ») ، و « ليهابيم » هو « اللابو » وهؤلاء عبارة عن قبيلة ليبية ، (٠٠) وفي رأيي الخاص ، ليس هناك داع يدعونا لرفض القول بأن الـ « لوديم » هم « الليديون » سكان أسيا الصغرى .(٥١) ويشير المؤلف في مكان أخر في « التوراة » إلى « اللوديم » بصفتهم مقاتلين شرسين (قارن " إشعيا " ٦٦ : ١٩ ، " إرميا " ٤٦ : ٩ ، " حزقيال " : ٢٧ : ٢٠) ، ولم تكن سبوى شراسة الليدين هي التي دفعت « هيرودوت » إلى وصعفهم بأنهم أفضل المقاتلين في سائر أرجاء أسيا ،(٢٥) وفي سنة ٥٥٥ ق م بخل بيسماتيك » الأول ، ملك مصر في تصالف مع « جيجيز » ملك « ليبيا »(٢٠) وبيدى من المرجح أن الليدين بدأوا يدخلون مصر كمرتزقة بموجب المعاهدة التي عقدها الطرفان معًا . ويوحى سياق حرفيّ « العين » و « النون » الساكنين Consonants في كلمة « عناميم » بالاسم « عين » الذي يطلق كثيرًا على ينابيع المياه في الدلتا المصرية .(٤٠) ، إلاً أن تعيين « أولبرايت » لهويتهم باعتبارهم شعب « عانامي » ، وهو شعب كان يقطن ساحل شمال أفريقيا على عهد « سرجون » ملك أشور (٧٢١ - ٧٠٥ ق.م) هو أفضل اقتراح في هذا الصدد حتى تاريخه. (٥٥) وبحكم موقعها في القائمة قد يظهر أن « نفتوحيم » naphtuhim أحد أسماء الدلتا ، مادام كان الاسم التالي مباشرة هو « فتروسيم » وهو اسم الوادي أو الوجه القبلي .(٥٦) وعلى هذا النحو قرأها كل من « إيرمان » (عالم مصريات ألماني ١٨٥٤ - ١٩٣٧) و« شبيجلبيرج » (= عالم مصدريات ألماني ، أحد أبرز أعماله : نصو ديموتيكي Demotische Grammatik هایلدلبیرج ۱۹۲۷) (۱۹ أن « فتموحیم » ینطوی فی نظر « إیرمان » علی تنقیح جزافي ، وعند « شبيجلبيرج » نجد اسم « ناثو » Natho لا ينطوى وحسب على تنقيح بل على سوء فهم أيضًا (٨٠) على أن سياق هذه الحروف الثلاثة الساكنة « الباء والتاء والحاء » يشير إلى وجود اسم الإله المصرى « بتاح » وكان « هيرش » Hirsch قد أعاد بناء اسم « نيسوت - بتاح » ؟ Niwt-pth بمعنى « محدينة بتاح » (= منف) كالنموذج Vorlage المصرى Vorlage ورغم الاعتراض الذى ساقه « شبيجلبيرج » بأن النموص المصرية القديمة لم تكشف لنا عن وجود مثل هذا المكان ، (١٠) إلا أن الفكرة مغرية وتجد تأييدًا لها في اسم « نيوت أمون » (بالعبرى : « نو – أمون ») أى مغرية وتجد تأييدًا لها في اسم « نيوت أمون » (بالعبرى : « نو – أمون ») أى (مدينة « أمون ») وهو لقب متأخر زمنًا لـ « طيبة » . (١١) وأخيرًا نأتى لـ « كسلوحيم » Müller وهو اسم غامض تمام الغموض . وينطوى التنقيع الذى أدخله » Müller في الاسم كي يصبح « ناسمونيم » Masmonim والتعرف عليه بالتالي في اسم قبيلة تعيش في شمال أفريقيا ، ذكرها « هيرودوت » ، على تعديل محفوف بمخاطر شديدة لا تقبله اللغة العبرية . (١٦) ولكن يود المرء أن يرى في اسم « الكسلوحيم » شكلاً « مشلفطًا » لاسم « الكالاسيريين » Kalasiries ، أي طبقة المحاربين الذين ورد ذكرهم في نصوص ديموطيقية وفي كتابات المؤلفين الكلاسيكيين، (١٣) ولكن هذا يحتاج أيضاً إلى افتراض مسبق مهما كان واهياً .

ولكن يبدو أن هناك أمراً واحداً مؤكداً : كاتب الآيتين ١٣ و ١٤ عرف هذه الأسماء كالقاب لشعوب بأسرها ، ولم يستشعر أي حاجة أو أي مسرغ كي يستنبط لهم أسلافًا نحونهم أسماهم . وحقًا كان المؤلف محقًا في بعض الحالات مثل (" لوديم " و " لهابيم " وربما أيضًا " عناميم " ، ولكنه في حالات أخرى مثل (" فتروسيم " و " كفتوريم " وربما أيضًا " نفتوحيم " كان يبني أسماء أعراق من أسماء أماكن . إلا أن القول بأن " مصر " أنجب شعويًا عوضًا عن أبناء معينين ، ثم يورد أسماهم في قائمة ، لعمل ينطوي على إضعاف الصورة التي تتشكل استنادًا إليها صيغة الأنساب . ومضمون الآيتين ١٢ ، ١٤ يقدم موضع مصر إزاء عدد من الشعوب والدول ، لم ير المؤلف ، من قبل ، أي ضرورة لوجود أي تعبير عنها في إطار الصورة التقليدية للأنساب . وعندما نعكف على رسم خريطة المدى الجغرافي الذي تبلغه " عائلة " مصر ، فإننا نجدها وقد وصلت إلى / وتوغلت في " ليبيا " وتمتد بامتداد ساحل شمال أفريقيا عتى جزر بحر " إيجة " وآسيا الصغرى ، دون " كوش " أو ساحل فلسطين وسوريا . حتى جزر بحر " إيجة " وآسيا الصغرى ، دون " كوش " أو ساحل فلسطين وسوريا . وهذا هو على وجه التحديد نطاق نفوذ ومصالح مصر خلال الشطر الأكبر من العصر الصاوي (الأسرة السادسة والعشرين) .

على أن الإشارة الموجزة إلى ذرية "كنعان" في الآية رقم ١٥ تصملنا إلى داخل نفس الفترة . و "حيث " لا تنطوى على إيماءة إلى " الحيثين " في الألف الثاني وموطنهم ، بل إلى الدول التي عرفتها سوريا وأطلق عليها الأشوريون والبابليون ، فيما بينها أي تلك الدول ، وبشكل جماعي اسم "خاتي " (أو « هاتي ») اعتبارًا من القرن التاسع (١٠) حتى القرن السادس ق.م. (١٠) وأن يضع المؤلف " صيدا "كأول أبناء " كنعان " ، بدلاً من " صور " ، التي لم يشر إليها بالمرة ، أمر يشير إلى أن حيظ " صور " كان يعاني جرزاً في ذلك الوقت " ، بينما كانت " صيدا " تحستل مركز الدينة التي تقود " فينيقيا " . ومثل هذا الوضع ساد فيما بين تدمير " بنوخدرصر " لـ " صور " في أوائل القرن السادس ق.م. (١٦) وهبة " تينيس " بنوخدرصر " لـ " صور " في أوائل القرن السادس ق.م. (١٦) وهبة " تينيس " Tennes

لا مناص أمامنا من الوصول إلى النتيجة التى تقول بأن الأنساب الروائية ، مثلها مثل الأنساب الواردة فى "جدول الأمم" إنما تعكس وضعية الشعوب والدول فى القرنين السادس والخامس (١٨) فتك كانت ، بصفة رئيسية ، صورة العالم ، التى حملها اليهود معهم إلى منفاهم ، وقد أدخل عليها أحفادهم الذين عانوا من النفى إلى بلادهم الأصلية بعد مرور ثلاثة أو أربعة أجيال ، تعديلات طفيفة . وإذا صادفنا أى عناصر راجعة إلى عصور قديمة ، فريدة فى هذه الصورة ، فذلك مرجعه إلى الوضع السياسي والعرقي لعالم إسرائيل في العصر الصاوى ، دون أى تقاليد عبرانية مستقلة ، قديمة العهد . وبلك المعلم مصر " التي تلوح في " جدول الأمم" ليست سوى مصر الفرعون " بيسمائيك " الأول وسلالته ، أى الأسرة السادسة والعشرين . والزعم الذي يقول بأن المبرانيين كانوا ، بالضرورة ، يألفون مصر منذ أبعد والزعم الذي يقول بأن المبرانيين كانوا ، بالضرورة ، يألفون مصر منذ أبعد العصور القديمة يسخر من بديهية ناصعة . ولكن المحرر الذي جلس كي يخط المعلم بعد « النفي » كان يذيع أقواله لمعاصريه ، ومصر التي استشعر الضرورة ما خطه بعد « النفي » كان يذيع أقواله لماصريه ، ومصر التي استشعر الضرورة الني عصره هو .

فترة الإقامة وقصة ، الخروج ، :

لا نعرف على وجه الاحتمال أي تقليد مقدس أخر ، ينطوي على أهمية مركزية بالنسبة لإعادة بناء تاريخ إسرائيل على نحو ما يقدمه لنا سفر « التثنية » بالعهد القديم ، من « خروج » العبرانيين من مصر ، فلقد أصبح هذا « الخروج » بمثابة نموذج أصلى الخلاص ، ورمزًا للحرية والجوهر الأصلى لديانة عالمية عظيمة . ومع ذلك بالنسبة المؤرخ يظل أكثر الأحداث البارزة بأسرها مراوغة في التاريخ الإسرائيلي . فمن المفترض أن المادث وقع في مصر، ومع ذلك لا تعرف المصادر المصرية عنه شيئًا ، أي شيء وغداة « الخروج » كان تعداد بني إسرائيل يبلغ على وجه التقريب ، مليونين ونصف (كما نستنبط من سفر « العدد ٤٦ : ١) ، إلاّ أن تعداد المصريين بأسرهم لم يكن ليتجاوز ، في ذلك الوقت ، ما يتراوح بين ثلاثة أو أربعة ماليين ونصف العبيد أن لعواقب كانت وخيمة على مصر - فقدان قوة عمل العبيد ، سلب ونهب الذهب والفضة من مصر (« الضروج » ٣ : ٢١ - ٢٢ ، ٢١ - ٢٦) الإجهاز على جيش ، ومع ذلك فلا توجد عند أي لحظة في تاريخ البلاد خلال الملكة الحديثة بأسرها أضعف إيماءة ممكنة للتأثير الصاعق الذي كان لمثل هذا الحدث أن يحدثه سواء على الاقتصاد أو المجتمع . وكما سبق لنا أن رأينا كان المصريون يكلفون الأسيويين الذي نزلوا في مصر خلال المملكة الحديثة وقطاعًا من المصريين أنفسهم. بأعمال التشييد ، ولكن « مدن التشوين » التي تحكي عنها قصة « الخروج » (١١:١١) ظاهرة إسرائيلية بصورة خالصة (= لا يعمل في بنائها سوى إسرائيليين وحسب) . فضيلاً عن أن الاستيعاب المطرد المقيمين الأسيويين خلال المملكة القديمة لايرد له ذكر بالمرة في سفر « الخروج » ،

الواضح أن هناك خطًا ما . فهل نتناول الموضوع من زاوية صحيحة ؟ هل كنا نقرأ المصدر الأول في « الضروج » على نصو بالغ السداجة ؟ هل هناك أدلة غابت عن ذكائنا ؟

قادتنا المماعب التي تستعصى على الحل أو تكاد عند تفسير حكاية « الخروج » ظبصفتها تاريخًا إلى وصفها بأنها أسطورة أكثر من كونها تقريرًا مفصلاً لحقائق تاريخية » وبالتالي يستحيل تمامًا أن نعِّين لها موضعًا جغرافيًا. (٧٠) وهذا ملاذ غريب حقًا ، ذلك لأن النص لا يشبه نصوص الأساطير (على الأقل في ظل التعريف الذي يقول بأن النص الأسطوري يصور حادثة لازمنية تدور في عالم الآلهة .) ولكن الكاتب « التوراتي » يعتقد ، بكل تأكيد ، أنه يصور تاريخًا : history محدد التأريخ ، ويوفّر لنا مادة من الأنساب ، نستطيع عن طريقها أن نحسب التأريخ dates . كما كان يعتقد أيضًا أنه من المكن أن نعيِّن موقع هذه الحادثة على سطح الأرض ، كما حشا حكايته بتفاصيل مستقاة من الطوبوجرافيا (أسماء الأماكن). أما القول بأن التشابه في نمط العقدة أو « الموتيف » (وخصوصاً في « أغنية البحر ») لـ « الإله - البطل » ضد « الوحش أو التنين - البحر » إنما يشير إلى أساس أسطوري للقصمة ، التي لم تكتسب تاريخيتها إلاً في وقت لاحق ، فقول ينطوي على براعة في الصنعة أكثر مما يلقى ضبوءًا يبدد الغموض ، ففي النهاية ، فجرت المأثر التي جادت بها يدا الفرعون « رمسيس » الثاني في ميدان المعركة إعمالاً غزيرًا الخيال باستخدام المجاز الشعرى المستمد من « موتيف » البطل - الإله ضد « الفوضى » ، إلا أن « قادش » كانت معركة بالمعنى الحرفي الكلمة ، مع ذاك !

وهنا ينبغى أن نعطى أهمية كبيرة لتاريخ المصادر في « الخروج » ١ – ١٤ الذي يتعين أن نحكم عليه استقرائيًا بالاستناد إلى التفاصيل التي تقبل تحديد تأريخها وهذه التفاصيل ، ينبغى علينا أن نعترف ، بأنها قليلة وفي معظمها ذات طبيعة تختص بأسماء أماكن . (٢١) ومع ذلك فالبحث الذي انصب على أسماء الأماكن هذه مضى إلى أبعد كثيرًا عن مسرح المقال الكلاسيكي الذي نشره « كازيل » Cazelle قبل خمس وثلاثين سنة .(٢٢) ونستطيع أن نتحدث اليوم بحق عن إجماع الأدلة . (٢٢) فأيًا كان ذلك الذي قدم المعلومات الجغرافية التي أصبحت الآن تزخرف قصة « الضروج » فهو لا يعلك أي معلومة واحدة أقدم من العصر الصاوي (القرن السابع حتى السادس ق.م.) . وشرق الدلتا وسيناء اللتان يصفهما ، ليستا سوى شرق الدلتا وسيناء اللتين كانتا معروفتين على عهد ملوك الأسرة السادسة والعشرين وأوائل حكم السادة كانتا معروفتين على عهد ملوك الأسرة السادسة والعشرين وأوائل حكم السادة الفرس : تعكس أسماء الأماكن الاهتمام بالصدود الشرقية ، وهو الأمر الذي

يتبدى في تلك الفترة في بناء الحصون وشق القنوات . وهو يعرف « جوشن » التي كان العرب من بنى قيدار Quedarite يترددون عليها ويلاد « رمسيس » الخرافية ، ولكنه لا يستطيع أن يحدد موقع البلاط المصرى بأى صورة من الصور إلا في أكبر مدينة وأشبهر مدينة في عصره في شمال شرقي الدلتا ، وهي « تانيس » ، المقر الملكي اعتبارًا من حوالي ١٠٧٠ إلى ٧٢٥ ق. م (قارن المزمور ٧٨: ١٢ ، ٢٢) وهي المدينة التي ظلت على قيد البقاء كمدينة وحاضرة كبرى في العصور الرومانية ،(٧٤) وهو يُسلك في الخدمة ، على سبيل الخطأ ، الرقعة المجاورة التي تغص بالمستنقعات « بحيرة البوص a بحر البوص a بحر البوص a ، وهو مشهد العبور الخوارقي (a الإعجازي) لـ « إسرائيل » إلى بر الأمان ، والدرب الذي يألفه هو الدرب الذي يعبر نفس الرقعة كقناة « نيخو » Necho (٦١٠ - ٦٩٥ ق ، م.) من « بوياسطة » إلى « البحيرات المرة » ، ثم ينتقل شمالاً بعين ذهنه عبر الحصن الشهير في « مجدول » إلى بحيرة « سيربونيس » (= بعل سافون) Ba'al Saphon حيث سبق لـ « حـ ورس » أن طرد « ست » إلى خارج مصر ، وباختصار ، بخصوص جغرافية « الخروج » ،لم يكن المصنِّف (= الكاتب) - الذي جاء عقب « النفي البابلي » ـ لنسخة « التوراة » المتوافرة بين أيدينا حاليًا ليعرف شيئًا حقيقيًا من تفاصيل العصور القديمة ، ولقد وجد نفسه مضطراً إلى أن يستوفيها من مصر التي يعرفها في عصره ، ومما ينطوي ربما على مغزى بارز أنه ذكر أماكن عديدة ، مما كان الأسيويون ، وخصوصا المرتزقة من اليهود يقيمون فيها خلال القرنين السادس والخامس ق .م. (٧٦) .

وعندما نتحرك بعيدًا عن أسماء الأماكن ، نجد أن الأصل المصرى لتفاصيل محددة وحتى الموضع المصرى للحكاية قد دخل نطاق الإبهام والغموض فى حقيقة الأمر . حقًا يذكر المؤلف النيل والحياة النباتية على ضفافه ، بالإضافة إلى استخدام الطوب المصنوع من الطين فى البناء (خصوصًا وأن ذلك كان شانعًا فى الدلتا) كما يبدو آن أفات معينة (كالضفادع والناموس (= البعوض) والنباب) مناسبة للبيئة النيلية ، وتقوم شواهد كذلك ، على معرفة المؤلف بالسنة الزراعية فى وادى النيل كما يتضع من الإصحاح التاسع ، الآيتان : ٩ : ٣١ – ٣٢) . لكننا إذا صرفنا النظر عن هذه الملامع ، وهى قليلة كما هو واضع ، من الحبكة ، فإن القصة يمكن أن تحدث فى أي مكان أخر .

يشحذ إمعان النظر في حكايتي « العبودية » و « الخروج » الخيال في سبيل استنباط خلفية مصرية ، ولكن التفاصيل التالية يمكن التفاضي عنها في العرض . فاللقب « فرعون » كلى الحضور (= موجود في كافة ثنايا الحكاية على وجه التقريب) ويستخدم بمعناه الذي كان يستخدم به في الألف الأول ق. م كمرادف لكلمة « ملك » ، أو حتى يسىء المؤلف فهمه كي يستخدمه كاسم لشخص (= اسم علم) (قارن « الخروج « ٦ : ٢٩)(٧٧) وولادة « موسى » وتهريبه في سلة من السمار شبهها كثيرون بالمسير الذي لاقاه « حورس » في الروايات المتأخرة للأسطورة ،(٧٨) ولكن « ولادة البطل » تتمتم برواج أوسم كثيرًا في العصور القديمة ، وليست مصومة في أصلها . (٧٩) أما العصا التي تتحول إلى حيَّة تسعى (« الخروج » ٤ : ٢ - ٤ ، ٧ : ١٠ - ١٢) تعبيد إلى الأذهان « الموديل » (= النموذج) المصنوع من الشمع الذي يتحول إلى تمساح حى بمجرد الإمساك به ، (٨٠) والسحرة الذين يستطيعون محاكاة هذه الحيلة يشتقون تسميتهم من كلمة مستعارة من اللغة الممرية. (٨١) وإذا مدرفنا النظر عن الغموض الذي يكتنف تعيين بعض اللعنات ، فإن هذه « اللعنات العشر ، لاتختص بها البيئة المصرية. (٨٢) دون سواها . ومع أن الطاعون والطوفان كانا معروفين تمامًا في مصر القديمة ، إلا أن « موتيف » تحويل ماء النهر إلى دم (٧: ٢٠ - ٢٤) معروف من « ميزوبوتاميا » (= بالاد الرافدين) ، وكذلك النباب على وجه الاحتمال . (^^^ أما « الظلام » (۱۰ : ۲۱ - ۲۳) فكان المصريون يخشونه بكل تنكيد ، وكان عدم شروق الشمس يعنى الدخول في حالة من القنوط (٨٤) ولكن الأمر معه لا يصل إلى حد تأويله إلى لعنة من اللعنات . وذبح الابن البكر قد يجد ، في المقيقة، ما يوازيه أحيانًا في أساطير مصد القديمة (وإن لم يكن على نطاق واسع) ، ولقد لفت البعض النظر ، فيما يتعلق بطبع الكفوف المطلخة بالدم على سجف الأبواب (٢٢: ١٢) ^(٨٥) إلى الاستخدام السحرى للون الأحمر في طرد الأرواح الشريرة apotropaic بين المسريين ، وتعيد إمكانية جرح مشاعر المسريين عن طريق تقريب أضاحي من حيوانات يعتبرونها إلى هذا الحد أو ذلك محرمة (= تابو) ، إلى الأذهان ، تلك التقوى التي ارتبطت بتقديس شامل الحيوانات في الفترة المتأخرة والاشمئزاز الذي نجم عن ذلك التقديس ، تجاه قتلها حتى بالخطأ ^(٨٦) ويعيد « عامود النار » إلى الذهن ، على ، نحو لافت للنظر ، صورة مجازية كانت شائعة في الرطانة البلاغية التي تصف فرعون مصر خلال قيادته لقواته في خضم المعارك كه قرص شمس (أو أي شعلة متوهجة أخرى) على رأس جيشه »(٨٧) وأخيرًا نأتى إلى طي مياه البحر كي نصل إلى القاع الجاف وإطلاق الفيضان كي يغرق الأعداء ، فهذه « الموتيفات » معروفة في الفولكلور المصرى .(٨٨)

ليس فى كل ذلك ما يوحى بمعرفة وثيقة بمصر . ولكننا نستطيع تفسيره بأنه نزوع نحو « نزع الطابع الأسطورى » ، أو حتى نوع من « التأويل العبرانى » interpretatio Hebraica لأساطير وسمات ثقافية معينة ، وهو النزوع الذى انغمس فيه الإسرائيليون الدخلاء الذين كانوا يعيشون بين المصريدين ، أو على مقربة منهسم بما لا يسمح لهم إلا بمعرفة محدودة ومشوشة بتقاليد مضيفيهم وعاداتهم .

مع تأخر القصة في سفر « الخروج » زمنيًا وفقدانها لأي درجة من الوثوق بهأ وغذلانها لكل محاولة الاعتماد عليها ، فإن ما من أحد يستطيع نكران أن التقاليد التي تقول بخروج إسرائيل من مصر كانت قائمة لمدة طويلة . فنقابل هذه التقاليد في الشعر المبكر (الإصحاح الخامس عشر من سفر « الخروج » على سبيل المثال) ويشير إليها بصفة مستمرة الأنبياء (¹⁴⁾ ولا يستطيع المرء إلا أن يخلص إلى وجود ذكريات قديمة ومتواصلة حول نزول طوعي إلى مصر قام به الرعاة ، وقد لعب أحدهم ويسمى « يعقوب » ، وهو الشخصية التي اكتسبت في وقت لاحق صيّتا عريضًا كأحد الآباء ، والأسلاف) دورًا قياديًا . وتمضى التقاليد كي تبلور الأمر فتقول إن أولئك الذين قاموا بذلك النزول إلى مصر لم يغتنوا ويتكاثروا ، وحسب ، بل وحازوا أيضًا نفوذًا واسعًا طوال أربعة أجيال في مصر . وبالتالي نشأت كراهية عميقة من جانب أهل البلاد الأصليين تجاه هؤلاء الأسيويين الدخلاء الطفيليين ، الذين أجبروا على الانسحاب المسرقي الذي جاءوا منه .

هناك سلسلة واحدة من الأحداث التاريخية التي تستطيع أن تتلامم مع هذه التقاليد المتأخرة ، وهي نزول « الهكسوس » في مصر واحتلالهم لها (انظر الفصل

الخامس). فذكريات هذا الحدث الضخم في تاريخ المشرق لم تستمر على قيد البقاء في المصادر المصرية وحسب. وكان ليكون غريبًا في حقيقة الأمر لو أن سكان فلسطين الناطقين باللغة السامية ، حيث خرج « الهكسوس » ، كما نستدل من حفائر حقبه BII MB ، ألا يحتفظوا هم أيضًا في ذكرياتهم الفولكلورية بتلك اللحظة من لحظات المجد (وهو مجدهم) . وحقيقة الأمر أننا في قصة « الخروج » نجد أنفسنا وجهًا لوجه أمام الرواية « الكنعانية » لهذا الحدث الضخم ، حيث تصور أحد الآباء : القائد الكبير « يعقوب » ومدة النزول التي دامت أربعة أجيال وذكرى السيادة السياسية واحتلال المشارف الشرقية للدلتا وهكذا . فلقد أصبحت جزءً لا يتجزأ من القصص التي تنور حول أصول كل الجيوب السامية في المنطقة ، ومن هناك امتدت شمالاً وغربًا حتى شاعت بين غير السامين أنفسهم .

لما كنا لا نملك شيئًا على وجه التقريب من شواهد نصوصية على فولكلور الكنعايين في المشرق ، فإنه يصعب علينا أن نعشر على آثار لتقاليد « خروج » بعيدًا عن الرواية العبرانية . ولكن مثل هذه الآثار موجودة في حقيقة الأمر . ف « سترابو » (مؤرخ وجغرافي يوناني لم يصل إلينا من كتبه سوى « جغرافيا » ولد ٢٣/ ٤ ق.م. ورحل ٢٣ بعد الميلاد على وجه التقريب ، المترجم) يحتفظ لنا بذكري جيش غرق في البحر على الشاطىء الفلسطيني شمالي « إكر » Acre (مدينة ساحلية تقع عند المطرف الشمالي لخليج « حيفا » وتكتب أيضا Akko) وكان على علم بظواهر ممائلة عند جبل كاسيوس Mount Casius « قرب مصر » (١٠٠) وتذهب أساطير أسيا إلى أن جاليات معينة تعيش في أسيا وعلى وجه الخصوص في « ميزوبوتاميا » يرجع أصلها إلى مصر ، (١٠١) وفي العصور الرومانية الأولى كان من المعتقد أن سكان فلسطين قد انبثقوا من قبائل « مصرية وعربية فينيقية » (١٩٠) .

ولكن أفضل ذكريات محفوظة خارج نطاق « التوراة » بشأن النزول و « الخروج » نتمثل في تلك التي حفظتها لنا أسطورة « فينيقية » ، لا تزال موجودة حتى اليوم في المصادر الكلاسيكية. (١٢) فمنذ القرن الخامس ق.م. على الأقل وربما أقدم من ذلك – كانت التفاصيل شائعة بالفعل في كتابات « هيرودوت » – تتذكر التجمعات المشرقية

نزيل فتاة تدعى « يو » 10 وزواجها من الملك الحاكم وتسبجل قوائم أحفادها ابنها « إبافوس » Epafos (أى « أبو فيس) . ولقد حكم نسل « يو » مصر لمدة أربعة أجيال ، وبعد ذلك انسحب حفيدها البعيد « أجينور » Agenor إلى « فينيقيا » حيث أصبح ملكًا عظيمًا ، ورحل أخوه « بيلوس » (= بعل) إلى « ميزوبوتامبا (= بلاد الرافدين) وقد فر « داناوس » بن « بيلوس » إلى « أرجوس » عقب مشاحنة مع أخيه « إيجبيتوس » (١٤) ومع ذلك ترتبط كل من المستوطنة الأصلية والأخيرة في إطار العناصر الرئيسية للحركة بـ « فينيقيا » : يقال إن شقيق « إبافوس » هو « فونيكس » Phoenix و « إبافوس » هو « فونيكس » Kadmòs و « إبافوس » نفسه نجده في مرحلة من مراحل سيرته الحياتية مقيمًا في « بيبلوس » بينما « كادموس » Kadmòs بن « أجينور » يقود ، بالاتفاق مع « داناوس » الأجانب المطرودين من مصر . (١٠٥)

موجز القول ، بالتالى ، قد نقرر أن ذكرى طرد « الهكسوس » تعيش فى حقيقة الأمر فى فولكلور السكان الكنعانيين فى جنوب المشرق . إلا أن التفاصيل الدقيقة تعرضت التشوش والتعديل بمرور الوقت فى سبيل « حفظ ماء الوجه » . ولم يعد الأمر أمر غزو بل نزول سلمى لمجموعة يحمل أعضاؤها خلفيات رعوية ، إلا أنهم سرعان ما وصلوا إلى مركز السيطرة السياسية. (٢٠) ولم يأت رحيلهم عن مصر نتيجة لهزيمة مخزية تجرعوها حتى أخرها ، ولكن إما طوعًا أو هربًا من عداء مستحكم أو عودًا على بدء كخلاص من أسر العبودية . ألسنا محقين إذا ارتأينا عقبة مستعصية فى التنافر بين تقاليد العبودية التي يقول بها سفر « الضروج » ١ : ١١ – ١٤ وبين الحقيقة التاريخية التي نتمثل في طرد « الهكسوس » : الكاتب التوراتي دمج هنا خرافة أخرى من نسج الخيال ، ينبغي له في الحقيقة أن يشكر مصر عليها .

خلال الفترتين الصاوية والفارسية أخذ نوعان من القصص الشعبى شكليهما وكلاهما تفوح منه رائحة النعرة الوطنية المفرطة ، أول هذين النوعين وجد حبكته فى غزو مصر من جهة الشمال وما استتبع ذلك من التدمير الذي أنزله الاحتلال الأجنبي بمصر وطرد القوات المصرية القادمة من جنوب البلاد للغزاة الأجانب ، أما النوع

الثاني من هذا القصيص الشبعبي فركز على « الغزو » الذي قامت به الشعوب الموبوءة أو المجزومة (= المصابة بمرض الجزام) (عادة ما يكونون أجانب) والخطوات التي اتخذت في سبيل تخليص مصر من رزاياهم . ويحتاج الأمر إلى كثير من الفطنة كي نتحقق أن النوع الأول انطوى على « موتيف » متكرر في التاريخ المصرى - « طيبة » الجنوبية حاولت ثلاث مرات أن تقوم مقام رأس حربة في حروب تحرير ضد الشمال (الخاضع للحكم الأجنبي) - ولكن في إطار الصياغة الحالية ، تعزو القصبة الأمر بصورة أكبر الحمية القومية التي اتقدت نتيجة للغزوات المدمرة (أو محاولات الغزو) التي قامت بها النول الأشورية والبابلية الجديدة والفارسية ، اعتبارًا من ٦٧١ إلى ٥٢٥ ق ، م. غير أن النوع الثاني من القصص ، من جانب آخر ، بضرب جنوراً أعمق ، مع أنه أخذ شكله هو الآخر ، وصار مناسبًا لمقتضى الحال خلال انتشار الجبوب الأجنبية في كل مكان في مصدر من العصبور الصاوية فصباعدًا . وعلى نحو ما نعرفها خلال العصر الهيليني - لم تنج من عوادي الدهر نماذج أقدم زمنًا - فهي نماذج تكشف أن النوعين من العقدة كليهما يستطيعان أن يندمجا في حكاية واحدة ، مع أن كليهما ظلا قادرين في نفس الوقت على أن يردا منفصلين .^(٩٧) ويكل تأكيد تحمل أقدم القصيص التي ومنات بكل تفاصيلها إلى أيدينا - (« هيكاتايوس » الأبديري) Hecataeus of Abdera تقدم دليلاً أقدم ولو أنه غير كامل - أي السرد الوارد عند « مانيتون » في تاريخه المنون « إيجيبتياكا » Aegyptiaca (النصف الأول من القرن الثالث ق.م.)(١٨) ولقد جاء « الهيكل العظمى » للسرد الذي يورده « مانيتون» على هذا النمو:

⁽أ) ١ - الفرعون (أمين - حوتب / حور) يرغب في رؤية الآلهة .

٢ -- ابن الفرعون (أمين - حوتب) « بابيس » الرائى يعلن أن الفرعون يستطيع أن يحقق رغبته إذا طهر البلاد من مرضى الجذام .

٣ - الفرعون يرسل كل المجزومين إلى المحاجر شرقى النيل .

٤ - « أمين - حوتب » الرائي يتنبأ بوقوع غزو لمدة ١٣ سنة .

ه - « أمين - حوتب » ينتص .

- ٦ المجزومون يطلبون السماح لهم بالإقامة في « أباريس » (= أواريس)
- ٧ في « أباريس » يختار المجزومون » أو سارسيف » Osarsiph كاهن
 ١ أون » (= هيليوبوايس) قائدًا لهم .
- ٨ « أسارسيف » يسن قوانين تستند للوحدانية وأخرى تقوم على التمييز
 العنصري .
 - ٩ « أوسارسيف » يدعو الرعاة كي يعودوا إلى « أباريس » .
 - ١٠ الرعاة يعودون ،
- ۱۱ الفرعون يخبئ للصور والتماثيل ويرسل ابنه الذي لم يكن قد تجاوز خمس سنوات إلى مكان آمن .
 - ١٢ الفرعون يرفض محاربة الرعاة وينسحب إلى إثيوبيا.
 - ١٢ الرعاة يسلمون مصر إلى الخراب.
- ۱٤ تكرار اسم « أوسارسيف » PN Osarsiph وتعيين شخصيته بصفته موسى .
 - ١٥ « أمين حوتب » وابنه « رابساسيس » يطردون الرعاة .

لعله من الواضع أن الأرقام من ١٠ -١٦ مع إضافة ١٥ ليست سوى تنويع على « تيمة » (الغزو - من - الشمال) . والحقيقة أن تفاصيل رقمى ١٢ و ١٣ إنما تشير بشكل مباشر إلى استلهام المنظور الشعبى للأحداث فى القرنين السابع والسادس . والمعروف أن كلاً من « طاهركا » و« تانوتامان » لجآ إلى انسحاب متسرع من « منف » إلى النوية ، إحجامًا منهما عن الاشتباك مع الأشوريين في ميدان القتال . أما في ذبح الحيوانات المقدسة فكان الرعاة هنا يحاكون الأعمال التي ذاعت عن الفرس (٢٠)

ولكن البنود من ١ - ٨ (١٠٠٠) بالإضافة إلى بند ١٥ ، متى حملناه محملاً أخر ، تشكل حكايتنا عن المدنسين ، وهنا نستطيع أن نستنبط الحقيقة التاريخية الكامنة

بسهولة . فـ « أمون - حوتب » الفرعون (أو « حور » وهذه عبارة عن كنية ليس إلاً) فهو « أمين - حوتب » الثالث ورغبته في رؤية الآلهة ليست سوى تفسير شعبى (= فولكلورى) لبعض الفقرات الواردة في نقوشه .(١٠١) أما « أمين - حوتب » الثالث في الأسرة الثامنة عشرة فلقد كسب شهرة واسعة لحكمته خلال حياته وظل ببحُّل لمدة تزيد على خمسة عشر قرنًا بصفته « نصف إله » يشفى من الأمراض . (١٠٢) وإرسال المدنَّسين إلى المحاجر شرقي نهر النيل تفسير تسويغي لحَّمي التحجير والتشبيد التي اجتاحت عهدى « أمين - حوتب » الثالث و « أمون - حوتب » الرابع (= أخناتون) ، التي لا تزال سجلاتها النصوصية قائمة بارزة للعيان لكل من يملك عينين . ولقد نُقشت صواديد / ألواح لتخليد ذكري أعمال التحجير في « طرة » قبال « منف » على الضيفة الشرقية لنهر النيل في مصبر الوسطى تحت ظل حكم الفرعون « أمين -حوتب » الثالث، (١٠٣) كما يعد صادود / لوح الذي أقيم عند « جبل السلسلة » أبرز نُصب في الموقع بأسره .(١٠٤) ويشير نص الصادود / اللوح الأخير إلى ضخامة العملية بما لا يجعلها تختلف كثيرًا عن عملية تطويق المجزومين التي يحكى عنها « أمين - حوتب » بن « بابيس » : المناسبة الأولى التي أصدر فيها جلالته أمرًا .. ببدء كافة الأعمال من جزيرة « إليفانتين » جنوبًا حتى « سام - بحدت » شمالاً ،(١٠٠) وإلى قادة الجيش بتجنيد عمال سخرة عديدين لقطع أحجار الحجر الرملي لبناء « بنبين » (أبرز رمز من رموز العقيدة الشمسية ويتخذ دائمًا شكلاً هرميًا . المترجم) ضخم للاله « رع - حور - أختى » ... والترم الأمراء ورجال البلاط والمشرفون والمديرون بنقل الأحجار » ولقد ارتبط استخدام المصطلح اليوناني « المجنوم و « المدنس » بما يوحى بالازدراء في الأصل المصرى القديم (وتحديدًا الديموطيقي) وفي العادة بالعناصر غير المرغوب فيها وغير المقبولة اجستهاعيا سواء أكانت مصرية أو أجنبية ، وفي حالتنا الراهنة يبدو واضحًا أن أتباع « أخناتون » هم الحقيقة. التاريخية الكامنة وراءه المجرومين » ، ومما يؤكد ذلك الطبيعة المناهضة للصور والتماثيل لتشريع المجزومين ، ورقم ١٣ للاحتلال ، وهو الرقيم الذي يوازي فترة إقامة « أخناتون » في « أخيستاتون » (= العمارنة). (١٠٦) زد على ذلك أن سيرد « مانيتون » يذكر لـ « أوسارسيف » أنه كان كامن « أون » (= هيليويوليس) حيث كانت عبادة الشمس متوطنة ، أما الاسم : « أوسارسيف » فلريما يمكننا تفسيره باعتباره اسم الازدراء الذي أطلقته التقاليد اللاحقة على « أخناتون ».(١٠٧)

من كل ما أوردناه حتى هذه النقطة يتضع أن النصف الأول من التقاليد التى ذكرها « مانيتون » حول « أوسارسيف » (النموذج – أ) ينحدر من حكاية تسويغية تتصل بصلة قوية بفترة « أخيتاتون » (= العمارنة) في تاريخ مصر . والقصة الأصلية تختم ، على وجه الاحتمال ، بفرعوني الأسرة التاسعة عشرة « سيتى » الأول وابنه « رمسيس » الثاني ، اللذين وضعا في نهاية المطاف نهاية لفترة « أخيتاتون » (= العمارنة) التى قامت كفترة فاصلة ، وبالتالي تتفق مع قائمة الملوك المنقحة للعصور المتأخرة الرعامسة ، وهي القائمة التي تُحذف فيها أربع فترات حكم (هي فترات حكم (أمي فترات حكم كل من « أخناتون » و « سمنغ – كا – رع » و « توت – عنغ ~ أمون » فترات حكم كل من « أخناتون » و « سمنغ – كا – رع » و « توت – عنغ ~ أمون » و « أي » . المترجم) كي تُضاف سنواتها إلى الفرعون « حور – إم – حب » ، بحيث تلى الأسرة التاسعة عشرة حكم الفرعون « أمين » حوتب » الثالث مباشرة . وبذلك فإن النموذج – أ يكون قد انبثق ، على وجه الاحتمال ، قرب نهاية الملكة الحديثة ، كما تحكى أساطير عديدة عن ملوك أجلاء ينتمون للأسرتين السابعة عشرة والثامنة عشرة (١٠٠٠) ، ولكن يبدو أن هذا النموذج لابد أن يكون قد وصل إلى أيدى «مانيتون » في رواية عشرة من العصر الصاوى أو العصر الفارسي .

إلاً أن مصير الضحايا في أسطورة « أوسارسيف » يختلف عن المصير الذي انتهى إليه الهكسوس . فهؤلاء طردوا في خضم حرب تحرير ، بينما دخل المجرومون في أسر العبودية . ومن أسطورة « أوسارسيف » هذه أو من نموذجها الأولى انبثقت تقاليد « العبودية » التي رواها سفر « الخروج » . وفي سبيل حجة معقولة بأن وجهة الاعتماد ربما تكون قد عكست رأسًا على عقب نستطيع أن نسوق هذا الدفع القانوني المفحم : إسناد العمل في المحاجر والبناء بالأحجار الثقيلة للأسرى تقوم عليه أدلة أحسن من العمل في ضرب الطوب الأخضر (= غير المحروق) في مصر ، (1-١) وبالتالي يكون مناسبًا أكثر في حكاية تدور أحداثها في مصر ، فاستخدام الطوب الأخضر ، بطبيعة الحال ، منتشر في كل مكان في مصر ، وعلى وجه الخصوص ، في

الدلتا ، ولكن « مدن - التشوين » ظاهرة أسيوية ، وضرب الطوب كعمل مناسب لجالية مأسورة ترسف في الإمبر العبودية معروف على نطاق واسع في الإمبر الطورية الآشورية الحديدة .(١١٠)

وإذا كنان المرء عاجزًا عن مقاومة الدافع إلى قراءة النصوص القدسة ، دون أي نقد ، بصفتها تاريخًا ، فإن كتل المواد التي تصف حياتي وسيرتيّ « موسى » و« يوسف » تغص بالفخ إثر الفخ . وذلك لأن « الكتاب المقدس » بأسره لا يعرف شخصيات أكثر إلغازًا أو أدعى الحيرة . فه موسى » ، في الشكل النهائي الذي أعطاه المحرر - الكاهن للأسفار الخمسة ، مرتبط بالتقاليد الأربعة الكبرى : « الخروج » نفسه والتشريع على جبل سيناء (١١١) والتيه في البرية والمراحل الأولى من الغزو (= غزو « كنعان »)(۱۱۲) والسؤال الذي يقول : إلى أي تقليد من هذه التقاليد انتمى « موسى » ، إذا كان قد انتمى إلى أي منها أصلاً ،(١١٢) هو سؤال ظل يحاصر البحث العلمي طوال عقود طويلة ، ولعله من المغرى أن يصتج المرء بأن التشريع وعرف « القصيح » وما يرتبط بذلك من أعياد زراعية لا تتصل من قريب أو من بعيد بـ « الخروج » ، وينبغي حذفها من القائمة السابقة .(١١٤) ونفى الأنبياء الكامل لأن تكون إسرائيل قد امتلكت في البرية قوانين دينية محكمة ، وهو ما ينسب الأن الوساطة التي قام بها « موسى » في كل من « الخروج » و « اللاويين » لا يمكن أن يكتسب معنى إلاً اذا كان ذلك رأياً مقبولاً من الجميع وقت ذاك .(١١٥) ومعنى القول أن « منوسى » ، إذن ، لنم يصنبح « مشرعًا » كبيرًا إلاً بعد « النفي » . من جانب أخر ، ارتباط « موسى » نوعًا ما بصياغة عهد « يهوه » ، بصفته « نبيًا » ، قد يؤدى إلى تمتعه بجنور أعمق في التقاليد الإسرائيلية .(١١٦) وهذا لا يعنى أننا نقول إن ذلك هو الأصل التاريخي له « موسى » ، ولكنه كان يؤدى دورًا شبه كهنوتي كإحدى وظائفه في تلك التقاليد .

يستولى ارتباط التقاليد الموسوية بمصر على صدارة عالية فى أذهان العوام والعلماء على حد سواء (١١٧) إلا أن مثل هذا الاعتقاد لا يستطيع أن يتطلع إلى منشأ الرواية طلبًا للتأييد ، ذلك لأن « موتيف » الطفل الذي تكتنفه المخاطر لا يتصل ، البتة ،

على نحو أصيل بمصر . ولا يستطيع المرء أن يؤسس هذا الارتباط على مواجهة موسى » مع « الفرعون » ، طالما أن ذلك سوف يبدو وكأنه فُرض فى وقت لاحق على تقاليد أسبق زمنًا كان الزعماء الإسرائيلون يتفاوضون فيها بشكل مباشر مع فرعون مصر. (١١٨) ومع ذلك ، لطالما قيل إن اسم « موسى » PN Moses (بالعبرى : موشيه) يتمتع بأوراق اعتماد رائعة كاسم مصرى ، والحقيقة أن هذا صحيح . فاللاحقة التى تدخل على الفعل – موسى وتظهر فى أسماء معروفة على نطاق واسع مثل « تحوت – موسى » و « أمين – موسى » و « بتاح – موسى » كانت تنطق خلال الملكة الحديثة – ماسى ، وفى الألف الأول – موسى ، وعلاوة على ذلك ، بينما لا يتصجر النطق ، بل يواكب الزمن ، فإن حرف الصفير الذى يُرسم به الاسم فى اللغة العبرية يعنى أن الاسم لابد وأن يكون قد دخل هذه اللغة قبل القرن الثامن ق ، م ، وريما حتى فى أواخر الملكة الحديثة نفسها ، (١١٩)

وكون « موسى » كان فى الأصل شخصية « كهنوبية » ذات اتصالات مديانية Midianite ويرتبط بمركز عبادة قديم للقبائل الإسرائيلية المبكرة فى « كادش » أمر أصبح فى الآونة الأخيرة شائعًا وألا يقدم الوجود فى بلاد « سعير » المجاورة التى تقطنها قبيلة من قبائل الـ « شاسو » تحمل الحروف الأربعة المقدسة Tetragrammaton (حروف « اليود » و « الهى » و « الواو » و « الهى » فى اللغة العبرى أى « يهوه » وأقدم نص ظهرت مجتمعة هكذا فيه هو لفائف البحر الميت التى يصل عمرها إلى ألفى سنة) كاسم لها ، تأييدًا لمثل هذا الاقتراح؟ .(١٢٠)

يصعب في ظل الوضع الراهن من معارفنا أن ننتهى إلى قرار في هذا الشأن . ولكن المرء لا يستطيع أن يتحرر من الجزع الذي ينتابه عندما يتحقق من أن قصتنا المطولة والمفصلة عن « موسى » ، بكافة الأدوار التي قام بها ، متأخرة سواء أكانت قد صنتفت في زمن « النفي » أو بعده ، وأنه ، رغم أن شخصية مثل هذا الزعيم الطاغي السحر قد يكون محور أسطورة تعود إلى عهود أقدم كثيراً ، إلا أن هذه المرحلة الأسبق زمناً من صياغة التقاليد ، عبارة عن رسالة لم تصل إلى وجهتها ، بالنسبة لنا . وعلاوة على ذلك لا يستطيع المرء إلا أن يشعر في مجمل التقاليد الموسوية ، كما

هى بين أيدينا الآن ، بأنها عنصر شائع ، وحيوى ولا ينتج عنه سوى انطباع عام ، فمنذ البداية يقدم رفض « موسى » من جانب شعبه توترًا يتخلل مجمل السرد ، أما بطء فهمه وعقدة لسانه فيجعلانه عديم القيمة من الناحية الفعلية لإلهه . وبالإضافة إلى ذلك ممتلئ شكًا في قدرته وأحيانًا في إلهه هو الآخر . إلاّ أن كل ذلك إنما يشكًل ستارة خلفية قد تنعكس عليها قدرة « يهوه » بأبعاد أكبر . وكل ذلك قد يكون ممتعًا بدرجة عالية ، لكنه ينتمي إلى الحيل الفنية وليس تاريخًا . كما يلعب المؤلف في المقام الثاني على تقاليد موسوية أولية لا يسمح لنا بمراها . فالغالبية الساحقة من « الحقائق » التي يعطيها لنا الآن عن « موسى » متأخرة بصورة واضحة لا لبس فيها ، وعديمة القيمة ، بالتالي ، فيما يتعلق بمهمة الكشف عن الأساس التاريخي

ويتمثل سبب أخر للجزع في الشك في أنه حتى التحرير الكهنوتي الحالى لقمية « موسى » ليس مصدرًا أوليًا ، ولكنه يخفى ويحذف تفاصيل معينة كانت معروفة على نطاق واسع في ذلك الوقت . فالدفن في جبل « نيبو » Mount Nebo (سفر « تثنية الإشتراع » ٣٤: ١ - ٦) والتلميح إلى أصل له « موسى » في كهنوت قبيلة « دان » ليستا سوى إشارتين عابرتين إلى قصتين مفقوبتين الأن . فإلى أي حد كانت هاتان القصتان لتنقلا ، لو لم تضيعا ، مركز بحثنا عن « موسى » التاريخي إلى الضفة الغربية ووادى نهر الأردن ؟ يعتقد البعض أنه من بين جميع القبائل الإسرائيلية ، لا تكشف سوى قبيلة « لاوى » (= ليفى) عن أسماء مصرية في سلسلة أسماء الأعلام (= الأشخاص والأماكن غير العمومية ، المترجم) الخاصة بهذه القبيلة ، ولكن هذا الأمر مضلل نوعًا ما . فبصرف النظر عن « موسى » ، فإن الاسمين الوحيدين اللذين يرجعان ، بصفة يقينية ، إلى أصل مصرى هما « حفتى » (= نسبة إلى « حفن ») وفنصاس (= « بانحسى » أي « الجنوبي » بالمسرى ، المسرجم) ، وعود على بدء ، نجد أنفسنا في بيئة معينة في « شيلوه » ، (١٢١) مع كهنوت يقول بصريح العبارة إنها تعود إلى زواج « موسى » في سفر « صامويل » الأول ٢ : ٢٧ - ٢٨) . مرة أخرى : تعد الإشارة الموجزة إلى زواج « موسى » في سفر « العدد » ١٢ : ١ (ووأتي عقب ذلك مباشرة تأكيد المؤلف أن هذا الزواج قد انعقد فعلاً) زلة غير مقصودة ، تدلنا على وجود حادثة في وقت ما ولكنها غدت مفقودة الآن . ويفترض كثيرون في العادة أن هذا السفر يعد المصدر النهائي اكثير من الأبحاث المدراشية tangential midrash حول السيرة المبكرة لـ « موسى » التي يجدها المرء في « اليودايكا » Judalca (= الموسوعة اليهودية) التي ترجع إلى الفترة الواقعة بين العهدين القديم والجديد (١٢٢) ومع ذلك الا يجوز أن يكون هذا إشارة إلى حكاية سابقة الوجود تربط بين « موسى » وبين « كوش » ؟ وعلى وجه الخصوص ، ظن كثيرون أن « أرتابان » Artapan احتفظ بتقاليد أصيلة خارج نطاق « التوراة » ، مع أن الصحيح تمامًا أن معظم أعماله تأخذ شكل تفنيد ضمني لكتابات المؤرخ المصرى " مانيتون "(١٣٢) وعلى وجه الخصوص القصة التي يرويها حول غن الكوشيين والحصار الصارم الذي فرضوه على الأشمونين » (عميرمويوليس) ، وشارك فيه " موسى " ، (١٢٢) فهي عبارة عن استرجاع واضح اذكرى الغزو الذي قام به " بي - عنخي " حوالي سنة ٧١٧ ق.م. (١٢٥) وهناك أيضًا توازيات بين " موسى " و " تف - ناختى " الصاوي (نسبة إلى " صايس ") (نحو الجيوش ضد شبه جزيرة العرب حيث أثبت سكانها أنهم أصلب عودًا . (١٢٢)

ما الذي حدث حقيقة في ، الخروج ، ؟

لعله من السخف أن نصاول الإجابة على هذا السؤال ، ولكن يبدو أن من الضرورى طرحه . فإلى هذه النقطة أسست المناقشة لهذا السيناريو : تذكر المصريون احتلال الهكسوس وطردهم من البلاد بصورة دقيقة إلى حد كبير فى تقاليد قائمة الملوك ، مع أن الذاكرة الشعبية خلال الفواكلور مالت إلى الخلط بين أحداث سقوط " أباريس ") وبين حصار " مجدو" . (١٧٧) وفى " كنعان " استمرت الذاكرة الشعبية أيضًا تتذكر هذه الأحداث ، ولكن هنا لم توجد رواية محددة أو قائمة ملوك كى تلجم الخيال . فالذاكرة تركز على قرن من الاحتلال ، وهى الفترة التى ترجمت إلى مدة أربعة أجيال ، بأسماء القادة (الآسيويين) الأجلاء : " شيشى " و " يعقوب " و " يو " و " أبوفيس " ، والبغض المتبادل بين المصريين والآسيويين ، وانسحاب الهكسوس إلى فلسطين ، والنكبة التى صاحبت هذا الانسحاب .

قد يستطيع المرء أن يتوقف قليلاً أمام هذه النقطة الأخيرة . إذ تخبرنا المصادر المعاصرة لطرد الهكسوس بوقوع اضطرابات جوية لافتة النظر وغريبة على وادى النيل ، مع أنها ليست مجهولة بشكل كامل هناك . وتسجل قصاصة اليوميات المحفوظة الآن على ظهر (بردية " رند " الرياضية) (١٢٨) الأحداث الأخيرة التي قادت إلى سقوط " أباريس " (= أواريس) على هذا النحو :

" فسى السنة الحسادية عشرة الشهر العاشر – واحد (١٣٩) دخسل" أون" (= هيليويوليس) ، الشهر الأول ، اليوم الثالث والعشرون – فحل الجنوب ؟ شق طريقة شسمالاً حتى بلغ " تارو" (١٣٠) ، اليوم العشرون (+×) – وتردد أن " تارو" اقتحمت > ؛ السنة الحادية عشرة ، الشهر الأول (ميلا " ست ") (١٣١) – أعطرت السماء "

قد نستطيع أن نماثل بين هذه العاصفة المطيرة وبين السيل الذي انهمر كي ينزل دمارًا شديدًا ويجرى تسجيله على صادود / لوح الفرعون " أحموسي " إلى جانب الإجراءات التي اتخذها الفرعون كي يخفف البلاء الناتج الذي لحق بالأهالي :

قذفت السماء بوابل من المطر ، وغطى الظلام الأفاق الغربية بينما كانت العاصفة على هبوبها دون توقف ... وتفجر المطر عن رعود (؟) على قمم الجبال أعلى من ضجيج "الكهف" الكائن في : أبيدوس ، ثم اكتسح السيل كل بيت وكل جرن كان الأهالي قد لجأوا إليه ، وغمرهم الماء كما يغمر زورقًا من البوص ... ولمدة × أيام لم يسطع شعاع ضوء على الأرضين - (١٢٢)

يبدو لنا أن التشابه الصارخ بين هذه العاصفة - الكارثة وبعض والعنات التقليدية أكبر قليلاً من صدفة . (١٣٢) والتؤيل اللاحق من جانب الكنعانيين لمثل هذا الصدث بصفته عقابًا إلهيًا نزل على المصريين في هذه اللحظة من لحظات انتصارهم لم يكن سبوى تأويل طبيعي يحمله الكنعانيون عليه أي على الحدث . ولم تكن هناك لم يكن سبوى تأويل طبيعي يحمله الكنعانيون عليه أي على الحدث . ولم تكن هناك إلا خطوة واحدة تلك التي تفصل بين تأويل الكارثة كعقاب نزل بالمصريين لـ (طردهم للهكسوس) وبين تفسيره كضغط (إلهي) مورس لـ إطلاق سراح (عبيد ، هم بنو إسرائيل)

هناك أسطورة أخرى أسهمت فى تشكيل تلك التقاليد ، وهذه الأسطورة كانت مصرية محلية تتمثل فى إعادة صوغ حادث أخيتاتون (= العمارنة). فهنا نجد أن "القائد المارق" والاستعباد السابق لمجموعة مناهضة للمجتمع يطرحان "تيمتين لخلتا التقاليد الكنعانية وعدلتاها بصفة جزئية.

منذ الحرب العالمية الثانية " فقست " تلك المحاولة التي تسعى كى " تفسر خلال ضربة واحدة بعض أو كل الظواهر التي صاحبت " الضروج "عدة نظريات وهكذا فإن فيضانًا عالبيًا بشكل غير عادى نجم عن انهمار أمطار غزيرة في الحبشة (= إثيوبيا) يُطرح بصفته عاملاً حفازًا هيًا لوقوع سلسلة من الكوارث ألطبيعية ، التي انحدرت إلينا في السرد القصصى كـ " اللعنات العشر " . (171) أو مننبًا (= جرم سماوى بذيل) اقترب كثيرًا من الكرة الأرضية خلال مروره في أجواز السماء فلم تنجم عنه تلك " اللعنات " وحسب بل وموجة من موجات الجزر والمد في البحر الأحمر وثورات بركانية ، وهي التي تقف وراء عامود النار والمخان ، وجبل الإله وتساقط المن في البرية وربما كيل شيء أخر من هذا القبيل تود أن تضيفه مما يكون ذلك المؤلف اللوذعي قد غفل عنه . (١٣٥) أو ، عود على بدء ، ثورة بركان جزيرة "ثيرا" (جزيرة يونانية تقع في بحر " إيجة ") ، وهو الأمر الذي أدى إلى موجة من موجات الجزر والمد اجتاحت وأغرقت جيشًا مصريًا خلال مطاردته لجموعة من معجوات العبرانيين الهاربين ، ولكنهم أنقنوا من المصير الذي لاقاه الجيش المصرى لأنهم صعدوا ربوة مرتفعة . (١٣١٠)

ينطوى هذا النهج على العديد من الأخطاء ، الأول : فيما يتعلق بأمر الدوافع – وإننى لأعرف جيداً أن روح الإنصاف تفرض علينا ألا نستذنب (= نلصق ذنبا) الدوافع – يتمثل الهم الأول لأولئك الذين طرحوا مثل هذه النظريات في تفسير معجزة يسلمون بحدوثها ، دون إخضاع تاريخيتها للفحص الدقيق ، وبذلك ينتسبون لمملكة الانكباب الغريب الذي عرفه القرن التاسع عشر على توفير تفاسير مجالانية وعلمية لعجزات السيد المسيح ،كما وردت في نصوص الأناجيل التي وصلت إلى أيدينا ، دون إبداء أي شك في صحة هذه النصوص على نحو ما تسلمناها ، الثاني : تروق نظرية أ

سائدة تركز على وجود عامل رئيسى واحد بصفته مسئولاً عن مجمل الحادث ، لأولئك النين يبلغ بهم الكسل حد تجاهل أدلة وجيهة تلوح فى أنساق أخرى لا يملكون عليها أى قدر من السيطرة . وهذا أمر يقود إلى اتخاذ موقف منحاز إلى حد خطير : الأدلة التي لا أستطيع السيطرة عليها ليست مهمة ، ولسوف أرفضها ببساطة ، أما المعلومات التي لا أستطيع السيطرة عليها ليست مهمة ألسبقة فإنني أستطيع أن أحرفها وأن أعيد تؤيلها مرة أخرى . (١٣٧) وفي الحقيقة الفعلية لم يحدث إلا نادرًا تمامًا أن منطقة ملغزة في التاريخ ، انكب عليها المعلماء لمعدة أجيال وجدت حلاً كاملاً شاملاً بصوة مفاجئة عن طريق حادث فرد ، لم يلاحظه ولم يسبجله أحد في السجلات المعاصرة . فهذا النوع من « افتح يا سمسم » ينضح بالوهم البحت . الثالث : التفسيرات الثلاثة لقصة « الخروج » التي ألمحنا إليها التو ، تقبل دون أي تشكل ، كنقطة بدء أحدث شكل لقصة « الخروج » التي ألمحنا إليها التو ، تقبل دون أي تشكك ، كنقطة بدء أحدث شكل كتبه الكهنة لرواية « الخروج » . ولم يحدث أن قام أحد بتقييم هذه المصادر قبل الانطلاق منها . ومع ذلك يعتمد « جويدكه » Goedicke في إعادة بنائه لـ « الخروج » التي الجديرة ، الخروج » الخرافية « الخروج » . ولم يحدث أن قام أحد بتقييم هذه المصادر قبل الانطلاق منها . ومع ذلك يعتمد « جويدكه » Goedicke في إعادة بنائه لـ « الخروج » التماد عليها .

ولعل من المفارقات ألاً تستمر حية « تيمتا » « النزول » و « الخروج » ، وهما «تيمتان » محليتان في أصلهما البعيد ضمن صميم الذاكرة الشعبية للجيوب الكنعانية في جنوب المشرق ، ليس في هذه التقاليد ، ولكن بين مجموعتين بشريتين لم تنخرطا في الأحداث التاريخية على وجه الإطلاق : اليونانيين والعبرانيين ، وفي حالة العبرانيين ، كان « الخروج » جزءًا لايتجزأ من سلسلة من قصص « الأصول » التي أصبحوا وارثيها غداة استيطانهم البلاد ، وأخذوا في انتحالها ، نظرًا لفقدانهم لتقاليد خاصة بهم من ثقافة أقدم كانوا يستنسخونها ، ولقد تركزت حفنة من هذه الحكايات حول « جد » (= سلف) يدعى « أبرام » استمرت ذكراه تعيش في منطقة « بير سبع » و « النقب » ، ونشأت حفنة أخرى في « سيخيم » (= شكيم) في المرتفعات وتدور حول شخصية زعيم كنعاني يدعى « يعقوب » . ولقد أخذت القصيص التي تروى عنهما شخصية زعيم كنعاني يدعى « يعقوب » . ولقد أخذت القصيص التي تروى عنهما شكلها في وقت متأخر كثيرًا وخدمت احتياجات تسويغية etiological استشعرها

الإسرائيليون خلال الألف الأول ق .م. ولكنهما نفسيهما كانا ، دون شك ، شخصيتين تاريخيتين حسنى الطوية bona fida من شخصيات العصر البرونزي الوسيط .

مفارقة أخرى أخيرة تكمن فى الاستخدام الغريب الذى تلعبه قصة « الخروج » فى الديانة الحديثة ، كقصة رمزية التحرر من الطغيان . فأى قراءة نزيهة لسفرى « الفروج » و « العدد » لا تستطيع إلا أن تكشف أن الطغيان الذى تحرر منه الإسرائيليون ويالتحديد ، طغيان الفرعون ، كان أرحم فى حقيقة الأمر ، بالمقارنة مع طغيان « يهوه » الذى كانوا على وشك إخضاع أنفسهم له . و « الخروج » كقصة التحرر تعد كريهة الطعم إلى أقصى درجة ممكنة – ولعلنى أفضل قصة « ليونيداس » التحرر تعد كريهة الطعم إلى أقصى درجة ممكنة – ولعلنى أفضل قصة « ليونيداس » « إسبرطة الشجاع الذى تصدى فى أواخر القرن الخامس ق ، م . ومعه قلة قليلة المبيش الفارسي الغازى عند هذا الممر فى أواسط بلاد اليونان . المترجم) – وفى عصر يبدى فيه أناس عقلاء استعدادهم لتشكيل أرائهم المنحازة استناداً إلى سابقة مضى عليها ثلاثة آلاف سنة ، تكون غاية فى الخطورة .

يوسف :

لا نعرف قطعة أخرى من النثر في أي موضع آخر في « التوراة » تستطيع أن تضارع المستوى الأدبى التي بلغته قصة « يوسف » كما وردت في سفر « التكوين » ٧٧ – ٠٠ ، أما خارج نطاق « التوراة » فليس هناك سوى قلة قليلة بين الأعمال الأدبية التي ترجع إلى الشرق الأدنى القديم وتستطيع أن تباريها في روعة الأسلوب والتكوين . فالقصة مركبة حول عقدة بارعة الانعطافات والتناسقات ، وتكشف عن وحدة واندماج تنم عن أن مؤلفها كان نفس الشخص أي لم يشترك في تأليفها أكثر من مؤلف . وأسلوب المؤلف هنا يقوم على الاقتصاد والبعد عن الزخارف ، وفي ضوء التأثير الدامي ، يحقق ذروة كان ليفقدها لولا ذلك . وكل آلية وكل أداة تقف رهن إشارته ، يستطيع أن يؤخر وأن يسرع خطا العقدة كي يصعد التوتر ، ويستطيع أن يطور

الشخصية بصورة أكثر براعة ومع ذلك أرشق مما نقابله في أي موضع آخر في الكتاب المقدس ، فيما عدا ، على وجه الاحتمال ، « وثيقة الاستخلاف ، فالمؤلف لقصة « يوسف » يستخدم مفارقة لطيفة ورائعة على امتداد عمله كي يوفر له الوحدة الداخلية . وقد يكون التكرار في الأعمال الأدبية قاتلاً ، ولكنه يفيد ، في قصة «يوسف» ، التأكيد ، وربما يؤدي التفصيل إلى الملل ومع ذلك فمؤلفنا يجيد استخدامه ويحقق من ورائه أحسن النتائج ، ولو أنه لم يلجأ إليه إلا لمامًا . باختصار ، تكشف ورائه أحسن النسعة أو نحو ذلك التي تستغرقها قصة « يوسف » عن كافة علامات التأليف دون التسجيل. (١٢٨)

ذلك لأن قصة « يوسف » ، وكما تحقق كثيرون منذ مدة طويلة ، رواية قصيرة novella أو قصة قصيرة . وهي تشترك مع قصص تنتمي إلى مصر وأخرى إلى الشرق الأدنى من نفس النوع الأدبى في عدد من الخصائص الخاصة . وكما في قصم الفولكلور والحكمة هناك تفضيل لاسم « الإله » – النوع في مقابل اسم الإله المعين ك « أمون » و « رع » و « ست » إلخ (١٣٩) وبالمثل نجد تفاديًا لاسماء الأعلام ، سواء أكانت أسماء أشخاص أو أماكن ، كما نقابل تفضيلاً لألقاب القرابة « أب » و « أخ أصغر » و سأز الألقاب ، عوضاً عن أسماء الأشخاص وأسماء و « أخ أكبر » و « أخ أصغر » وسائر الألقاب ، عوضاً عن أسماء الأشخاص وأسماء الأماكن ، وبينما نجد قلة قليلة منها أي من هذه الأسماء ، حاضرة إلا أنها مكبوتة بصفة عامة ، وكل هذه اللامع تسهم في خلق جو من اللازمنية واللامكانية في وضعية القصة : كما تروى الآن ، والحق يقال ، في مصر ، ولكن الشكل الأساسي العقدة لا يتطلب وضعية نبلية .

ويساعد التعرف على النوع الأدبى لقصة « يوسف » كد « رواية قصيرة » فى تفسير السبب الذى يحول دون اتساق كامل للقصة كحلقة في سلسلة قصص « الآباء » في سفر « التكوين » . فليس هناك تغير وحسب فى الأسلوب عندما يمر المرء من الأجزاء القصييرة المفككة التي تتناول « أبرام » و « إسحاق » و « يعقوب » إلى الإصحاح / الفصل السابع والثلاثين من سفر « التكوين » (حيث تبدأ قصة « يوسف ») ، الإصحاح / الفصل السابع والثلاثين من سفر « التكوين » (حيث تبدأ قصة « يوسف ») ، بل هناك أيضًا تغير في اهتمام المؤلف وغرضه . فعلى العكس من السرد الأقدم ،

لا تكشف قصة « يوسف » ذاتها عن أي اهتمام من أي نوع ، بعبادة طوب وجرافية (= تقديس أماكن معينة واتخاذها قبلة مثلاً عند أداء الفروض، المترجم) أو البحث عن الأصول ، والإله وملائكته في تسناياها لم يسنزلوا إلى الأرض ولا يقفون على سلالم ولا يقطعون وعودًا ولا يفجرون مدنًا أو ينخرطون في مباريات مصارعة مع أحد . ولقد ركز سفر « التكوين » ١٢ - ٣٦ بصورة متكررة على العهد الذي قطعه الرب مع الآباء ، وكدر الوعود المرة تلو المرة ، وسعى إلى إقامة سوابق للاحتلال الإسرائيلي وارتباطات العبادة ، ولكن في قصة « يوسف » تازم هذه الأصوات الصمت ، وتكف هذه الهموم عن العمل كمنابع إلهام الرواية . ويمتد عجز القصة عن الوقوف كحلقة في سلسلة قصيص الأباء إلى التفاصيل الوقائعية ذاتها ، ويقول سفر « التكوين » ٤٥ : ١١ إن نزول « يعقوب » وعائلته كان إجراء لغرض خاص ad hoc بتمثل في مساعدتهم على النجاة بحياتهم في السنوات الأخيرة من المجاعة ، ولكن يتضع في مكان أخر أن غرضيهم كان الاستقرار في مصير، وعود على بدء تأتي قصية « يوسف » بكل أبناء « يعقوب » إلى مصدر ، حيث كان لهم أن يعيد المدوا طوال عمرهم ، وحتى الرضيع « بنيامين » (= بني يُمن) بقى في مصر حتى رزق فعلاً بعشرة من البنين ! وهذا ما يتناقض بصورة قاطعة ، مع تقاليد القبائل الأفراد ، كل قبيلة على حدة في العصور اللاحقة حيث كان الجدود أصحاب الأسماء الإطلاقية بيعيشون ويتزوجون ويكونون عائلات ويلفظون أنفاسهم الأخيرة في « كنعان «(١٤٠) وأخيرًا ، بالتناقض مع استخدام اسم « يوسف » في كل موضع من القصة كاسم إطلاقي لـ « بيت يوسف » (أفرايم ، مسى ، ماكير) في أواسط المرتفعات ، فإن اسم « يوسف » بطل « الرواية القصيرة » (= النوفيلا) غائب تمامًا أو يكاد من بقية أسفار « التوراة» حتى نصل إلى الفترة الواقعة بين العهدين القديم والجديد ، باختصار يمكننا حذف قصة « يوسف » من حكايات الآباء دون إلحاق أي خدش بالمسيرة الرئيسية للتاريخ الخاص بإسرائيل المبكرة .

رغم أن الحقيقة التى تقول إن العقدة الأساسية ، كما سبق لنا أن أشرنا ، لا ترتبط بأى صورة خاصة بوضعية نيلية ، إلا عددًا من التفاصيل التى تلون الرواية الحالية لـ « موتيف » العقدة هذه تشير ، فى الحقيقة ، إلى مصر . وأبرز ما فى ذلك أسماء الأعلام (= أسماء الأشخاص) المصرية ،(١٤١) إذ بينها أربعة ترد في فقرات تتماس بصورة أكبر مع الخط الرئيسي للقصة (« تكوين » ٢٩ : ١ ، ٤١ : ٥٥) : « صنفنات - قعنيع » و « أسنات » و « فوطيفار » و « فوطي فارع » . ولما كان الاسمان الأخيران صيغتين لاسم واحد ، فيكون عندنا ثلاثة أسماء مصرية في القصة . وهناك إجماع على أن اسم « صفنات - فعنيح » ليس سوى رسم لاسم مصرى نمطى يعنى : (الإله « نون » يتكلم ويعيش) . وقد بدأ هذا الاسم في الأسرة الصادية والعشرين ، وأصبح شائعًا في القرن التاسع وحتى السابع ق . م وبعد ذلك أخذ يضمحل هتى تلاشى ، مع أن نماذج متفرقة منه استمرت على قيد البقاء خلال العصور اليونانية -الرومانية ، واسم « أسنات » كان يشتق في العادة من اسم يعني : الإلهة « نيت » التي تقوم شواهد على وجوده ، بصفة خاصة من العصور اليونانية - الرومانية ، ولكنه ينتمي إلى طائفة من الأسماء التي بدأت في الظهور في الملكة الحديثة كي تصبح شائعة الغاية في الألف الأول ق. م. غير أن تفسير اجتماع حرفي النون + التاء الساكنين consonants بأنه يعنى الإلهة. « نيت ه (= إلهة الصيد التي ترجع عبادتها في « صايس » في غرب الدلتا إلى ما قبل التاريخ . المترجم) فقابل للتساؤل ، إذ يجوز أن يعنى أيضًا « نوت » (= إلهة السماء التي تبلد « رع » (= الشمس) كل صباح من بين فخذيها . المترجم) إذا شكُّلنا الكلمة المصرية التي تعني " إله " أي أضفنا الصوائت إلى حروفها السواكن ، و « يخص الإلهة » اسم تقوم على وجوده أدلة كاسم شخص في الفترة المتأخرة .(١٤٢) واسم « فوطيفار » ويديله (= فوطي -فارع) مركبان على نمط شائع كثيرًا من الأسماء ، وبالتحديد « با - دى » + اسم إله ، أي « هو - الذي - أعطته - ن » (= عطية « نيت » أو « نوت ») وهذه الأسماء بدأت عند نهاية الملكة الحديثة ، وزادت في الانتشار خلال الأسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين وأصبحت شائعة للغاية اعتبارًا من الأسرة الكوشية ، الخامسة والعشرين حتى العصور اليونانية - الرومانية . وبالتالي نستطيع القول بأن الفترة التي حققت خلالها الأنماط الشلائة لهذه الأسماء أعلى درجة من الذيوع نظير الأنماط الأخرى ، كانت القرنين السابع والسادس ق م ، أو الفترة الكوشية - الصاوية .

نقابل هذا وهناك ألقابًا وكذى مما ظن كثيرون أنها ترجع إلى أصول مصرية ، ولكن بعضها لا يملك سوى مرجعية بالغة العمومية بما يجعل من المحتمل أن تظهر فى أى نظام إدارى . ومثالاً على ذلك نذكر و رئيس الخبازين » ، (« تكوين » ، ٤ : ٢ - ٣) الذى يبدو أن الأدلة تقطع الآن بظهوره فى بلاط « أورشليم » فى القرن السلبع قيم، (١٤٤٠) أما « والد الفرعون » وسيد كل آل بيته « (٥٥ : ٨) فليسا مركبين على أى نموذج مصرى خاص : اللقب المصرى الدقيق « والد الإله » يرتبط بدلالة غاية فى الاختلاف ، وعلى أى حال يحتفظ لقب « والد » الملك فى اللغة العبرية بأوراق اعتماد المحيلة (١٤٤٠) وكذلك « الحرس » (= الشرطة) التى يحمل « فوط يفار » فيها لقب « كابتن » (= رئيس الشرط) مؤسسة معروفة فى « يهود! » عند نهاية العصر الملكى ، وايس هناك حاجة إلى اقتراح وجود اشتقاق مصرى وراءه (١٤٥٠)

من جانب آخر ، نجد بعض المصطلحات تملك نماذج مباشرة لها في مصر ، في مسطلح « نظار » في سفر « التكوين » ، وهم المسئولون الذين نصبح « يوسف » الفرعون أن يعينهم ، هو لقب آرامي شاع في الإدارة المصرية خلال العصر الفارسي (٢٥ - ٤١ ق م.) (١٤٦) وكلمة « ساريس » saris التي نجدها في سفر « التكوين» ٧٧ - ٢٦ ويترجمها المؤلف إلى « ضابط » أو « خصبي » ، طالما تعرف عليها كثيرون بصفتها « شا - ريشي » ، وهو اللقب الأكدى الشائع للإدارة الأشورية (١٤٧) والسؤال حول ما إذا كانت تعنى هنا في حقيقة الأمر « خصبي » سؤال خارج نطاق البحث الحالي . إلا أنه يبدو أن اللقب لم يُعرف إلا في ظل الإدارة الفارسية لمصر ، وكان يشير إلى الحكام الرفيعي المستوى . (١٤٨).

حقًا لا تبدى قصة « يوسف » اهتمامًا بالتسويغ الدينى لإسرائيل ، إلا أنها تبدى المتمامًا واسع العينين بالكيفية التي وصل خلالها اقتصاد إنتاج الحبوب وتخزينها وملكية الفرعون للأرض والمنقولات إلى الحالة التي كانت مألوفة للمؤلف ، باختصار كان « يوسف » هو الذي قام بهذه الإصلاحات الاقتصادية والزراعية .

وعلى نصو مقصلً ، ماذا كان يعرف المؤلف (أويظن أنه يعرف) عن هذه الأمور ؟ بالنسبة لهذا المولف كان الفرعون هو الذي يملك كافة أراضي مصر ،

فيم المعدا أراضي المعبد ، كما كان الفرعون يملك جميع المواشي ، وكان سكان مصر • عبليدًا له ، في الوقت الذي كان الكهنة فيه موظفين مدفوعي الأجر عنده ، وفي موسم البذار كانت البذرة (= التقاوي) توزع على الفلاحين ، وعند الصصاد كان خمس المحصول يذهب إلى الفرعون . والآن هذا تصوير نزيه إلى حد كبير ، وإن كان عامًا الواقع الأمور في وادى النيل خلال فترات عديدة موزعة بشكل متناثر على أماد طويلة ، بدءًا من المملكة القديمة وصباعدًا (رغم أننا لم نكن لنسمع على وجه الاحتمال عن « أراضى الكهنة،(١٤٩) ولم نكن لنسمع عن أن « يوسف » كان مسئولاً عنها في القرن التاسع عشر أو السابع عشر أو الخامس عشر ق.م، أو في أي قرن آخر يرغب المرء أن يضعه . ولكن هناك بعض التفاصيل التي نستطيع أن نعرض لها بالشرح . كان توزيع التقاوى وبالتالى التقدير الضمني للمحصول التي سينتج عند الحصاد معروفًا على نطاق واسع في كافة فترات التاريخ المصرى ، مع اختلاف تفاصيل الآلية التي كانت تحكمه من وقت لآخر. (١٥٠) ولقد تمتع الكهنة في المملكة الحديثة بمواقع متميزة ، بصفة عامة ، مع أن الالتزامات المعقدة الواردة في مصادر الملكة الحديثة تكشف عن أنهم كانوا خاضعين الفرض الرسوم والضرائب على الأراضي الملكية التي تقع تحت أيديهم ، بل وأداء خدمات معينة من هذا النوع أو ذاك . ولو أن ذلك بطبيعة الصال قد بيدو بالنسبة للدخلاء ، بعيد الشبه عن فرض ضرائب أو رسوم ، ولكننا نملك وثيقة وأضحة ترجع إلى القرن السادس ، بأنه فيما عدا « زمن المتاعب » ذاك (إشارة فيما يبدو إلى الاحتلال الأشوري ٦٧١ - ٦٦٢ ق . م) كانت المعابد الكبري تعفي عادة من الضيرائب. (١٥١) ويخصيوص الخمس الذي كان يذهب إلى الفرعون ، يمكننا أن نستخلص هذه النسبة من أي موضع أخر في الهيكل الضريبي لمس في الفترة المتأخرة . (١٥٢) واكن بردية « ريلاندز ٩ Rylands IX تقدم دليلاً سياطعًا لا لبس فيه . وفي هذا الصدد تقرر البردية أن دخل المعبد (من المبوب الصالمة للأكل) كانت توزّع كرواتب على « العشائر » الأربعة التي ينقسم إليها الكهنة بواقع عشرين بالمائة لكل واحدة (بي . ريالاندز ٩ - ١٢ ، ٨) أما العشرون بالمائة المتبقية فكانت تسمى « حصة الفرعون » (بي ، ريلاندز ٩ - ١٧ ، ٣ - ١٥ ، ١٨ - ٤) ويمكن التصرف فيها حسب طلب الفرعون . (١٥٢) وأخيراً نأتى إلى النص الوارد في سفر « التكوين » « ٢١: ٤٧ ، الذي يقررر باللغة العبرية أن « يوسف » نقل الأهالي إلى مدن ، وهو الأمر الذي يلوح بشكل مريب شبيهًا بنقل « سيزوستريس » للأهالي عندما بني مدنًا جديدة على روابي عالية حتى يحميهم من الفيضان السنوى.(١٥٤)

وتقابل بعض التفاصيل العابرة المتنوعة درجة معينة من التوازي مع نصوص مصرية . وتجد التجارة التي تمتع بها البدو - الجمَّالون (= أصحاب الجمال) الذين يعيشون في الضفة الغربية مع مصر في العصور (« تكوين » ٣٧ : ٢٥) أفضل نظائر لها في القرن السابع حتى القرن الثالث ق م وتجد كل من معرفة دائرة البروج (« تكوين » ٣٧ : ٩) والبقرة التي ترمن لـ « السنة » والأهمية المسنودة للاحتفال بعيد ميَّلاد القرعون (= الملك) انعكاسًا في مصد في النصف الثَّاني من الألف الأول ق.م. ويبدو أن سفر « التكوين » ٤٢ : ٣٥ يرسم صورة لمعنى « النقود المسكوكة » في « كسف » (بالعبرى) : « الفضة » (مه الفضة على محفوظة في جراب صغير بحيث يمكن حشره في قم زكيبة من الخيش. (٢٥٦) وتستطيع عقد مقارنة بين حقل تنصيب «يوسف» وبين إجراءات مشابهة في العصور الفرعونية ، وخصوصيًّا تلك التي عرفها القرنان السابع والسادس ق.م. والاتهام الذي يصبه « يوسف » على إخوته بأنهم « جواسيس» لم يقدموا إلا : « لتروا عورة الأرض (= البلاد) جئتم » (« تكوين » ٢٢ : ٩) نفخ فيه ، مع أنه ربما يستخدم كلمة تستعمل لجواسيس المخابرات الذين يرسلون قبيل القيام بغرق ، طالما كان مؤلاء الإخوة قد نكروا بالفعل أنهم قدموا من « كنعان » (٧:٤٢) ، ومثل هذا الاتهام يفقد معناه ما لم يكن من المعروف أن هناك قوة معادية تتملك في « كنعان » وتريد الانقضاض على مصر ، وهذا توصيف سياسي غير معروف في الملكة الحديثة وإن كان مألوفًا في العصر الصاوي .

كثيرًا ما عزت الدراسات العلمية لخلفية قصة « يوسف » تفاصيل معينة تتمتع بنظائر تصادف أن تأتى من الملكة الحديثة ، في حين أن الاحتجاج بأن المعلومات (= المواد) التي ترجع إلى فترة الانتقال الثالثة لا يجب عليها أن تضطرنا إلى تخفيض تاريخنا فلريما – من يعرف ؟ – يكون الحفظ العشوائي وحده هو الذي سلبنا معلومات مشابهة ترجع إلى المملكة الحديثة ، وهذا ليس موقفًا منصفًا في حقيقة الأمر ، حيث إنه يبدى فى لحظة ما ثقة تتولد من النهج التجريبى ، وفى لحظة أخرى يزعم وجود شك بالإشارة إلى هامش نحيف لما يمكن أن يكون ممكنًا ، ولكن المرء لايستطيع أن يكون تجريبيًا فى لحظة ثم لا أدريًا (= شكاكًا) فى اللحظة التالية .

والحقيقة أننا نستطيع أن نسوق دفاعًا قانونيًا مفحمًا في سبيل تأريخ القصة بالقرن السابع أو السادس ، بصرف النظر عن القضية مثار الخلاف حول خلفية التفاصيل . فالعديد من « الموتيفات » ، وليس بينها ما هو هامشي أو ثانوي ، تشي بعقدة قصة « يوسف » . ونستطيع إدراج هذه « الموتيفات » في القائمة التالية : شاب حديث السن يتغلب على كثير من المصاعب ، ويتحمل كثيرًا من المحن وفي نهاية المطاف يضرج على رأس (« موتيف » من الدمور إلى الجوخ أو من « السجن إلى العرش ») ، ليضرج على رأس (« موتيف » من الدمور إلى الجوخ أو من « السجن إلى العرش ») المحكيم الذي ينبثق من ركن غير منتظر (أحيانًا من الجب) كي ينقذ الملك والأمة ، والمصلح الكبير والمسرع وأخيرًا المسئول عن النظام الأمثل الذي نصوره الآن . والمسلح الكبير والمسرع وأخيرًا المسئول عن النظام الأمثل الذي نصوره الآن . والمسئول بين هؤلاء الثلاثة جميعهم هو شخصية « الحكيم » وهي شخصية مفضلة عند والمسئون على امتداد التاريخ المصرى . إلا أن هناك اختلافًا ملحوظًا بين الطريقة التي يستخدم خلالها المؤلف « حكيمه » في هذه القصة والوظيفة التي يقوم بها الحكماء في القصص التي يرجع تاريخها إلى الألف الثاني ق. م .

 (= بروش) سقط سهواً في بحيرة ، ويستطيع أن يعيد تثبيت روس مقطوعة في مواضعها مرة أخرى بين أكتاف أصحابها ، كما يستطيع استئناس الحيوانات المفترسة وهلم جرا. (١٥٨) والساحر أيضًا « كاتب حكيم » يستطيع أن يطلق التنبؤات ، وتحيا « تعاليمه » خلال الكتابة (١٥٩) ولكن هذا يعكس وظيفة يؤديها في ولمنه مصر في مجال أدب الحكمة .

وعلى النقيض من دافع التسلية التافه الذي يكمن وراء مثل تلك القميص التي كتبت باللغة المصرية السيطَّة : Middle Egyptian ، فإن قصص الفترة المتأخرة تسند إلى الحكيم دورًا أكثر جدية بمراحل . فعندما تقع أميرة فريسة للمرض ويرسل أحد الحكماء كي يقيلها من بلائها (وهو الأمر الذي يقوم به عن طريق تشخيص مرضها والتوصية باسم الإله الذي سيحمل إليها الشفاء) (١٦٠) وعندما يحتضر الفرعون نفسه ولا يبقى أمامه سوى عدة أيام قبل مغادرة عالم الأحياء ، فإن مقرنًا شابًا طالما حرمته ، عن عمد ، غيرة قرنائه من المكماء من الاتصال بالفرعون يظهر كي ينقذ الموقف(١٦١) وينقطع فيضان النيل ، وتنجم عن ذلك مجاعة فيستدعى أحد الحكماء كي يتحرى الأمر. (١٩٢١) وتتعرض البلاد والفرعون الخطر على أيدى ساحر نوبي (= «أسود») فيستدعى أحد الحكماء كي ينقذهما (١٦٢) ويتحول معبد ما إلى أطلال ، وتظهر « إيزيس » الفرعون في الحلم ، وفورئذ يُستدعى أحد الحكماء كي يحل المشكلة. (١٦٤) وهذه هي بالتحديد نفس الوظيفة التي يؤديها « دانيال » مرتين مع « نبوخدرصر » (سفر « دانيلا » : ٢) شم ممع « بيلشاصر » (سفر « دانيال » : ٥) في قصص ترجع إلى تاريخ هيليني . وفي هذه القصيص التي ترجع إلى « دانيال » يدخل أيضًا « موتيف » الإيداع في السجن ظلمًا ثم إعادة الاعتبار في نهاية المطاف ، وهذا عبارة عن نمط من المقدة تشترك فيه حكايات مثل « مردخاي » و « طوبيت » Tobit و « أهيكار » : Ahikar في إسرائيل و « عنخ - شيشنقي » و « حي - حور » في مصر ، وكلها ترجع إلى النصف الثاني من الألف الأول ق.م.

وينبغى أن يكون واضحًا حتى عند أى تصفح عاجل اسفر « التكوين » ، أن شخصية « يوسف » ووظيفته في القصة الواردة فيه تنطبقان على دور المخلص وشخصية المرء غير المرغوب فيه في البداية ، فيما نعرف من القصص اللاحقة . في وسف » أودع السجن ظلمًا ، وحرم من الدخول إلى حضرة الفرعون ، وفي وقت

لاحق أعيد اعتباره واستدعى أيضًا عندما أقضت الأحلام مضجع الفرعون ، ومضى كى ينقذ الأمة من مصير شنيع ، وذيوع هذا النوع من القصص الذى يرجع إلى الفترة الليبية حتى العصور الهلينية ليس من باب الصدفة .

وهنا نخلص ، استناداً التقييم حصيف الأدلة ، إلى أن قصة « يوسف » التوراتية أيست سبوى « رواية قصيرة » أبدعها مؤلفها في وقت ما خيلال القرن السابع أو السادس ق.م. (أي عند نهاية المملكة اليهودية أو فترة « النفى » (البابلي) . وهي توفر بوضيعها الحالي توسيعاً حراً لـ « تيمة » نزول بني إسرائيل في مصر ، مع أنها غير ضرورية تماما السرد الجاري الأباء : وصل يعقوب وعائلته إلى ضفاف النيل دون عون من « يوسف » في التقاليد الأقدم ، ولما كانت قصة « النزول » و « الخروج » عون من « يوسف » في التقاليد الأقدم ، ولما كانت قصة « النزول » و « الخروج » أيست سوى اقتباس إسرائيلي لتقاليد كنعانية أقدم زمناً ، فإن قصة « يوسف » ليست سوى النموذج العبري لخط قصيصي واسع الانتشار ، كان رهن الاستعمال ليست سوى النموذج العبري لخط قصيصي واسع الانتشار ، كان رهن الاستعمال كي يودعوا كثيراً في مصر والمسرق في الوقت الذي كان المحرون فيه قد جلسوا كي يودعوا « الأسفار الخمسة » (= التوراة ») أوراق التدوين . وليس هناك سبب يدعو إلى الاعتقاد بأنها تملك أي أساس في الحقيقة الواقعة – غياب القصة من التقاليد الأقدم زمناً المأنبياء ينطق بلسان فصيح ضد مثل هذا الاعتقاد – وقراشها كتاريخ ينطوي على خطأ فادح .

الهوامش

- T.L. Thompson, The Origin Tradition of Ancient Israel (Sheffield, 1987) (1)
 - (٢) حيل مصادر « الأسفار المبسة » ، انظر :

A,Hurvitz, RB 81 (1974), 24-36,S.E.McEvenue, The Narrative Style of the Priestly Writer (Rome, 1971)' G.Vink, The Date and Origin of the Priestly Vode in the Old Testament (Leiden, 1969)' P.Weimar, BN 24 (1984), 12ff., 138ff.' Z.Zevit, ZAW49, (1982), 481 - 511.

E.A.Speiser, Genesis (New York 1956), 8 ff, ' W.G. Lambert , JJS 16 (1965) (1) (,287-300

Eusebius, Praeparatio Evangelica 1.10.8-13' H.W.Attridge and R.A.Oden, Jr. Phi- (ξ) to of Byblos, The Phoenician History (Washington, 1981).

(ه) حول قصيص الخلق المصرية ، انظر :

S.Sauneron and] . Yoyotte, La naissance du monde (Paris, 1959)' J.Assmann, LdÄ 5 (1984), 677 - 90

Cognate with West Semitic word nun, "fish" F. Cornelius,m Geistegeschichte der (٦) Frühzeit (Leiden, , 1960)2:1,75-78.

- A. A. Saleh MDAIK 25 (1969) , 11 off. (v)
- P.DDerchain, in Religion en Ègypte hellénistique et romaine (Paris, 1969)31ff. (A)
 - S. Morenz, Aegytische Religion (Stuttgart , 1960) 187ff. (1)
 - E.A.E Reymond, CDE 40 (1956),61ff.' ff.idem , JEA 48 (1962) (1-)
 - Lucian, De dea Syria 7, 454-55, (11)
 - Assmann, LdĀ 5(1984) , 681. (\r)
- S.Sauneron, BIFAO 62 (1964), 33-37' idem, Le Temple d'Esna (Cairo, 1963), (\r) 2 : 35ff.
 - Cf.H.II,37-38f (Speil 80) : Middle Kingdom (11)
- CT H. Te Velde, Studia Aegyptiaca 3 (Budapest , 1977), 163ff.* E. Hornung , (%) Das Amduat (Wiesbaden, 1963) , 2 : 188,

حول ابتلاع الأطفال ، انظر :

H. Frankfort, The Cenotaph of Sety I at Abydos (London, 1933),82ff.

See D.B.Redfrod, S.Groll, ed., Studies in Egyptology Presented to Miriam Lich- (11) theim (Jerusalem, 1990),834.

W.Helck, Die Lehre für könig Merikare (Wiesbaden, 1977),83. (\V)

Snn, the same word can mean "statue " : J.J.Clère, in Hommages Sauneron (\A) Cairo, (1979), 357, n . 1

ومما يلفت النظر أن التبجيل الذي شمل أنواعا كاملة من الحيوانات في العصبور المتأخرة (وهو الأمر الذي أستفر عن قيام جبانات ضخمة إلى الحد ألذي استعض عنده الإغريق والرومان) إنما ينبع من الاعتقاد بأن كافة أعضاء نوع معين ما هي إلا « صور « للإله الذي ترتبط به ، انظر :

A. Hunt and C.C. Edgar , Select Papyri (London, 1927) .2.no. 329.

K.Sethe, Amun und die acht Urgötter von Hermopolis (Berlin, 1929), J.Wilson, (14) in H.Frankfort, Before Philosophy

(Baltimore, 1946), 61' Assmann, Ldà 5) 1984), 879-90.

E.Chassiant, Le Temple d'Eduf (Cairo 1892- 1934), 1:288 (*.)

A.w.Shorter, JEA 21 (1835), 43' B.Altenmüller, Synkretismus in den Sargtexten (*\) (Wiesbaden, 1975), 96-98.

H.Grapow , ZÄS67 (1931) 34ff,; (YY)

(عندما لم يكن أي مخلوق قد رأى النور ، وعندما كانت الأرض غارقة في ظلام كامل ،) انظر :(H. Junker, das Götterdekret über das Abaton (Vienna, 1913

ومع ذلك فالعقل المصرى لم يتصور مطلقا ، أن الخلق نشأ من عدم ، انظر :

W.Altenmüller, Wo 10 (1979), 116

R.J. Williams in G.E.Kadish, ed., Studia in Honor of John A. Wilson (Chicago, (۲۲) 1969), 93-94.

J.H.Breasted ZÄS 39 (1901), 39-54 C.Desroches Nobleourt, MDAIK16 (Yt) 1958), 83ff. W.Erichesn and S.Schott, Fragmente memphitischer Theologie in demosticche Schrift (Wiesbaden, 1954) J.G.Grifiths, The Origin of Osiris and His Cult (Leiden, 1980) H.Juker, Die Götterlehere von Memhis (Berlin, 1940) K.Sethe, Dramatischte Texte zu Atlägyptischen Mysterienspielen (Berlin, 1928).

F.Junge, MDAIK 29 (1973) , 195-204) . (Ye)

O.Koefoed-Petersen, Les stèles égyptiennes (Copenhagen, 1948), no. 37. (٢٦)

(۲۷) قارن ، بين آخرين :

A.H.Sayce in S.R.K. Glanville, ed., Griffths Studies (Oxford, 1923), 419ff.

(Hermopolitan Cosmogony)' R. Kilian, VT 16 (1956), 420- 38 (the Ogdoad); S.Hermann, TLZ86 (1961) , 413 - 42. عالمان =

(Onomastica)' J.k.Hoffmeier JANES 15 (1983), 39-49 (Hermopolitan cosmogony)'K.Koch, ZThJ 62 (1965), 251-93 (Nemplhite theology)' H. Goedicke,m in Biblical and Related Studies Presented to Samuel Iwry (Winona Lake, Ind., 1982) 1982), 37-76(creation of Eve)' J. Duchesne - Guilleman, CARAIBL (1982), 512-23 (spirit of god).

(۲۸) حول، تکرین ، ۱۰ انظر :

G.Hölscher, Drei Drdkartem (Hedelberg, 1948) J.Simons OTS 10(1954), 15-48 W.Brandenstein, in Sprachgeschichte und Wortbedeutung (Bern, 1954), 57 - 83 R. North, A. History of Biblical Map Making (Wiesbaden, 1979), 31-34 J.Van Seters, In Search of History (New Haven, Conn., 1983), 27-28; Thompson, The Origin Tradition, 77-80.

(٢٩) باستثناء « سبتكاه » وريما أيضاً « سبتا » ، فإن شبه جزيرة العرب هي موطن كافة أبناء ه كرش » ، ، ، انظر : 23 -422 (1956) 424 M.Aslour, JBI 48

Cf. Simons, ORS 10 (1954), 170 (T.)

S.R.Driver, An Introduction to the Literature of the Old Testament New York, (TN) 1956), 14-15' of .thompson, The Origin Tradition, 77-80, 191 - 49.

Simons, OTS 10 (8 1954), 143ff. (TY)

Ibid., 167-68. (TT)

D.B.Redford, A Study of the Biblical Joseph Story (Leiden, 1970) , 34-35. (٢٤) فيما يتعلق بالطبعة اليهوية (نسبة لـ ه يهوه ») بعد - النفى لسفر ه التكوين » ، انظر :

N.E. Wagner, CJT 13 (1967)' also, F.V.Winner, JBL 84 (1965) ,1-19, Van Seters, In Search of History, Idem, Abralham in History and Traditon (New Haven, Conn., 1975 9, 125-30 and passim.

E.Dhorme, Syria 13 (1932) , 35 - 36 . (70)

Kitten and Ridanim;the former is KTY in contemporary Semitic inscriptions (see (71) G.A.Cook, A Textbook of North-Semitic Inscriptions (Oxford, 1903) 56,66,78,352; Y.Aharoni,Arad Inscriptions (Jerusalem,1981),12-13; Koehler-Baugartner,2:480);the latter is usually taken to be Rhodes

« يرى كثيرون أن الأغيرة هي جزيرة أرودس" ، أيضا:

H.Gunkel, Genesis (Göttingen,1901),153;Dhorme,Syria13 (1932) 48; J. Simons, Geographical and Topological Texts of the Old Testament (Leiden,1959),80),

مع أن "شميدتك" Schmidike اقترح، وهو اقتراح أقل احتمالا بدرجة كبيرة، الاسم الممدى: "رتينو"، وهو مصطلح غامض أطلقه المصريون على "سوريا"، خلال الألف الأول، انظر كتابه:

Die Japhethiten der biblischen Völkkertafel (Breslau, 1926),84.

أما الاستمنان الآخران الواردان في هذه الآية، فالاسم الأول وهو "ترشيش" تعرف الباحثون عليه في "ترتيسوس" Tartessos في غرب البحر المتوسط، انظر:

Dhorme,Syria 13 {1932}, 45-46; W.F. Albright, BASOR 83 {1941}, 21-22; U.T?ckholm, opuscula Romana 10 {1974-1975},41-57; M.Elat, OLP 13 {1982}, 55-69),

إلا أن هذا لم يفض إلى قبول عام.، قارن:

J.D.Muhly, in Biblical Archaeology Today (Jerusalem, 1985), 185).

تعد "إليشيا" بمثابة مشكلة. فغالبا ما كانت تترادف، في ألماضي، مع "أليشيا" (قبرص) و هو اسم شاع خلال الألف الثاني، انظر:

(Dhorme, Syria 13 {1932}, 44, Speiser, Genesis, 66; Koehler-Baumgartner, 1:55); Simons, OTS سيمونز Simons, OTS سيمونز Simons, OTS من لا يزال رهن الاستعمال في أواسط الألف الأولى؟ و لقد اقترح "سيمونز Elaioussa", وهو السم الذي أورده "سترابو"، و هو "إليوسيا" Elaioussa، وهو اسم جزيرة تقع قبال ساحل أسببا الصغرى، و لقد قارن "سكينر": Skinner إليسيا "Elissa" المؤسسة الاسطورية لـ "قرطاع"، انظر: ((Genesis {Edinburgh, 1910}, 198))

و لكن لم يحظ أي من الاقتراحين بالقبول،

M.I.Finley, Early Greece: The Bronze and Archaic Ages (London,1981), (TV) 90ff.; J.Boardman, The Greeks Overseas (London,1980); R.H.Pfeiffer, JBL.56 (1937),92-93; idem, Introduction to the Old Testament (New York,1948),206.

القول الذي يذهب إلى أن هذه الآية إنها تعكس الوضع الذي كان سائدا في الفترة من ٧١٠ إلى ١١٠ ق.م. هو قول شديد الفموض، و عوضا عن ذلك فهي تعكس الوضع الذي قام في بادئ الأمر خلال تلك الفقرة، ولكن ننظرا لأن اليوبانيين مكثوا في جزيرة قبرص لعدة قرون، فهذه الآية لا تقيم سوى نقطة بده وحسب.

Skinner, 196; Simons, Geographical and Topographical Texts, 38-39. (TA) Dhorme, Syria 13 (1932), 29ff.;L.F. Hartman, JNES 21 (1962), 25-37; A.J. Spa- (T4) linger, JAOS 98(1978), 400-409.

Helck,LdÄ 5 (1984),990-91. (£.)

Egyptian Pywd, Coptic Phaiat, Persian Putaua; R.G.Kent, 2(1943), 306; the (£1) name of the tribe that came to prominence in the ninth century

'اسم قبيلة اكتسبت أممية بارزة في القرن التاسع ق.م.، انظر: (H.K.Jacquet-Gordon.JEA 46(1960)20)

و في وقت لاحق أصبح هذا الاسم اسمًّا إطلاقيا بدل على ليبيا،، انظر:

G.Posener, La première domination perse en Égypte (Cairo,1936),186-87;Simons,Geographical and TopographicalTexts,secs. 149, 198,1313; Koehler - Baugartner,3:866-67.

Pace Hölscher (Dreid Erkarten,52-53) (£Y)

الذي أدى تصوره المسبق الذي افتقر للتروى بأن نهر القائمة يجرى من الشرق للغرب إلى هذه النتيجة التي عنه النتيجة التي عنه النتيجة المرابعة ال

- E.Drioton and J.Vandier, L'Égypte4 (Paris, 1962), 594-95; see also W.Spiegelberg, (£7) Ägyptolgische Randglossen zum alten Testament (Strasbourg, 1904), 9-10; D. B.Redford, JARCE 22 (1985), 5 15.
- (٤٤) يقول 'هيروبوت' (١٩٠٣ وما بعدها) إن 'قصبيز' فشل في غزر 'كوش' وأثبت أنه أقل مستوى من ملكها، و حول التقاليد الشعبية التي تقول إن الحضارة دخلت مصر من 'كوش'، انظر:

Diodorus 3.3; A.B.Lloyd, Herodotus Book II.A Commentary (Leiden, 1988), 3:94, 168.

- Simons, Geographical and Topographical Texts .19. (£a)
- E.G.Kraeling,Rand McNally Bible Atlas,49;Astour,JBL 84 (1965),421ff. (13)
- Hölscher, Drei Erdkaten,46-47; Simons, OTS10 (1954),174; idem, Geographical (£V) and Topographical Texts,9.
 - Hölscher's strange localization of Lud on the Palestinian coast (£A)

تعيين "هواشر" بصبورة غريبة لموقع "لود" على الساحل الفلسطيني. انظر:

(Orei Erdcarten,51-52)

هو أمر غير ذي موضوع.

I.e. from about 600 B.C. on:cf.H.Gauthier, Dictionnaire des noms géographiques (٤٩) contenus dans les textes hierographiques (Cairo,1931), الرجاب القالم القرائدة الأخرى الرادة عن الـ "باثروس" (= تنتروس" في "الثوراة) (قارن سفر "إرميا" المارية الأخرى الرادة عن الـ "باثروس" (= تنتروس" في "الثوراة) (قارن سفر "إرميا" ١١؛ ١٥،١ تفترض حدوث الشنات (=الدياسبورا))

Gauthier, Dictionnaire,3:117;Simons: (0.)

على أسس غير كافية، كما يبدو لي، تأتى معارضته، قارن:

Geographical and Topographical Texts,56.

Skinner, Geographical and TopographicalTexts, 57;idem, Genesis, 212; Speis- (a1) er, Genesis,68.

Herodotus, 1:80-81. (+Y)

F.K.Keinitz, Die politische Geschichte Aegyptens vom 7. bis zum 4. Jahrhundert (๑४) vor der Zeitwende (Berlin, 1953), 12; Spalinger, JAOS 98(1978), 400ff.

Gauthier, Dictionnaire 1:145- 46 ; P. Montet, Géographie de l'Égypte ancienne (« ٤) (Paris, 1957), 1:66.

- JPOS 1 (1921),191-92. (00)
- ZAW 10 (1890),118-19. (01)
- OLZ 9 (1906),276ff.;Spiegelberg,Ägyptologische Randglossen,6. (6V)
- (۵۸) اسم المكان 'ناثو' Natho ليس Natho أي 'أحراش الدلتا'، بل N³y-t³hwt حرفيا 'أولئك الذين ينتسبون إلى بوار رعسيس الثالث'، انظر:

A.F.Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica (Oxford, 1947) ,2: 146*ff.W.Helck, Die altägyptische Gaue (Wiesbaden, 1974),178.

(Hirsch, Vierteljahrschrift für Biblelkunde,2:413ff.W.Vycichl (ZÄS 76 {1940}, (+1) 88-89)

- OLZ (1906),278. (%)
- Gardiner, Onomastica, 2:248f. (31)
 - OLZ 5 (1902),474. (31)
- Spiegelberg, ZÄS 43 (1906), 87ff. (37)
 - Simons, OTS 10 (1954), 167. (%)
- D.J.Wiseman, Chronicles of Chaldaean Kings (London, 1956)25,68ff. (%)
 - D.Baramki, Phoenicia and the Phoenicians (Beirut, 1961), 30-31. (33)
 - D.Barag, BASOR 183 (1966), 6ff. (7v)
 - (١٨) بكل تأكيد ليست نهاية الألف الثاني، حسب إس. هيرمان، انظر:

S.Hermann, A History of Israel in Old Times (London, 1975), 42.

- Cf.K.Baer, JARCE 1 (1962),44. (34)
- (G. W. Ahlström, Who were the Israelites? (Winona Lake, Ind.,1986), 46-49; (Y-) CF.S.Mowinckel, in Die Religion in Geschichte und Gegenwart4 (Tübingen, 1980),1274-78; C. Klos, Yhwh's Combat with the Sea (Leiden, 1986), 139 ff.
- (٧١) التفصيل الطويوجرافي يُعزى، في العادة، إلى الصياغة التوراتية لقصة 'الخروج'، فالتركيز الأسبق السرد كان يحدد مكان الحدث الرئيسي في البحر و حسب، انظر:

P.Weimar, Die Meerwundererzählung (Wiesbaden, 1985).

و لعل تقسيم المصادر التقليدي لـ "الغروج" ١-١٤، مع ذلك، يجعل المشكلة ثيدو أكثر تعقيدا مما هي عليه في حقيقة الأمر. المرجع السابق و ما بعده، انظر:

M.North, Exodus (London, 1962).

- H.Cazelle, RB 62 (1955)),321-64. (YY)
 - (٧٢) لزيد من التفاصيل، انظر:

D.B.Redford, in A,F.Rainey,ed., Egypt, Israel, Sinai (Tel Aviv, 1987), 137-61.

(٧٤) حول "ثانيس" انظر أحدث البحوث:. 194-1946, (1986) M.Romer,LdÄ 6

في هذا المسدد أثبيت الميهود الرامية إلى تقديم تواريخ الفقرات الواردة في روايتس "يوسف" و "موسى" حتى تقع على مقربة من مقر الإقامة الملكي في "جوشن" كدليل على الصدق التاريخي الرواية "التوراتية" (انظر على سبيل المثال:

N.Sama, Exploring Exodus (New York.1986),10)

إنها لا تغرج عن التشبك بالفطأ. فحتى لولم تكن المصادر التى اعتمدت عليها تلك الجهود فولكلورية الطابع في الأصل، فعلى امتداد الأسرة الثامنة عشرة كان مقر الإقامة الملكى بصفة رئيسية في "منف" (= منفيس) أو في زمامها، مع فاصل زمنى قصير لا يتجاوز نحد خمس و عشرين سنة عندما انتقل البلاط الملكي خلالها إلى "طبية" و "أخيتاتون" (=العمارنة)، ولعله من الخطر أن نففل عن الأصل فلقد جات الأسرة الثامنة عشرة في أصلها من "طبية" كموطنها و مسقط رأس فراعنتها الأواثل.

(٧٥) الكلمة المبرية (sup) مشتقة غالباً من الكلمة المصرية " (twiy) بحيرة البرمن في شمال شرق الداتا. و لقد أريق كثير من الحبر في الكتابة عن هذا الجسم من الماء، أحيانا، في محاولة للتشكيك في صحة تعبينه كالموقع المراد، انظر:

J.R.Towers, JNES 18(1959), 150-53; N.H.Snaith, VT 20 (1965), 395-98; N.Lohfink. JBL 85 (1966), 137-58; B.S.Childs, VT 20 (1970), 406-18; B.F.Batto, JBL 102 (1983), 27ff.;

انظر : التعليقات اللائمة التي أفصيح عنها "كلوس": Kloos,Yhwh's Combat وكذلك: Weimar,Die Meerwundererzählung 258-61.

Cf.Migdol (Jer.44:1);cf.J.Fitzmyer,JNES 21 (1962),19. (Y1)

(ينبغي أيضًا أن نلاحظ غياب تقالب "الخررج" في نصوص التوراة القديمة، انظر:

S.Norin, Es Spaltete das Meer (Lund, 1977), 195-96.

- J.Osing,LdA 4 (1982),1021. (vv)
 - W.Helck, VT 15 (1965), 48. (YA)
- D.B.Redford, Numer 14 (1967),209-28; J.S.Ackerman, in K.R.r.Gros (V1) Louis, Literary Interpretations of Biblical Narrative (Nashville, Tenn., 1974).
- A.Erman, The Ancient Egyptians: A Source Book of Their Writings (New York, (A-) 1966),38.
 - (٨١) See p.385 انظر ص ه٢٨من النص الأصلي)
 - (٨٢) حول التوازيات المنتشرة للأفات الفردية، انظر:

F.Dumermuth, ZAW 76 (1964),323-25;

وحول الانتقال الأدبي و التنسيق المالي لرواية الأفات في سفر "المروج"، انظر:

G.Fohrer, Uberlieferung und Geschichte des Exodus (Berlin, 1964),62-70; D. J. J. McCarthy, CBQ 27 (1965), 336 - 45; idem, JBL 85 (1966),137 - 58; M.Greenberg, in Fourth World Congress of Jewish Studies (Jerusalem, 1967),1:51-54; W.H.Schmidt, Exsodus, Sinai und Mose (Darmstadt, 1983),49-54.

S.N.Kramer, Ar Or 17 (1949),399-405;idem,The Sumerians (Chicago. 1963), (AT) 162 - 64; W. G. Lambert and A.R.Millard, Atra-hasts:The Babylonian Story of the Flood (London,1969),III,46-iv,4

CF.W.Helck, Die Prophezeiung des Nfr-tj (Wiesbaden, 1970), 43-45. (A1)

M.Gilula, Tel Aviv 4 (1977), 94ff.; Y. Koenig, Journal Asiatique 273(1985), 8-10. (As)

Herodotus, 2.65-76; A.B.Lloyd Herodotus Book II.A Commentary (Leiden, 1975), (A1) 1:141ff.; 2:291ff.

D.B.Redford, JARCE 13 (1976), 49-50. (AV)

(٨٨) يبرع السعرة باستمرار في شق الماء، قارن:

Westcar 6,8-14(Lichtheim, Ancient Egyptian Literature (Berkeley, Calif. 1976), 1:217): I Khamois 3, 30-31 M. (lichtheim, Ancient Agyptian Literature (Berkeley, Calif., 1980). 3:130.

حول المياه التي يُحول مجراها لإغراق الأعداء، انظر:Herodotus,2.100 (انتقام "نيتوكريس" من قتلة أخدها)

(٨٩) أمثلة على أنبياء القرن الثامن: "هوشيا" ١١: ١، ١٢: ٩، ١٢ و "عاموس" ٢: ١، ٩: ٧، إلخ و حول تاريخ "الخروج" ١٥ انظر الان: Ahlström, Who were the Israelites?,50-51

Strabo 16.2.26. (1.)

Diodorus 1.28.1;Herodotus,2.104;A.Burton, Diodorus Siculus Book 1.A Com- (٩١) mentary (Leiden,1972),118.

Strabo,16.2.34. (11)

(٩٢) انظر على رجه القصوص:

M.Astour, Hellenosemitica (Leiden, 1965), 83-92, and passim

وفي مواضع متفرقة من النص المنكور)

وإننى أستخدم اسم ه فينيقى » ، بنفس المعنى الذى استخدمه الكتاب الكلاسيكيون أى الدلالة على ساحل البحر المتوابر . ١٦ - ٢ - ٢ - ٢٠)

Apollodorus, 2, 13 - ;cf. J.Bearard, Syria 29 (1952), 1-43 idem, RHR 151 (15) (1957), 221 - 30.

Jacoby, FGr,Hist.IA.3,frag,31,86; IIIA, 264 frag. 6; R.B. Edwards, Kadmos the (%) Phoenician (Amsterdam,1979),23-29.

يحمل فرار "إبافوس" إلى "بيلوس" غللالا أوزيرية، أنظر:

J.G.Griffiths, Die Iside et Osiride (Cardiff, 1970), 443.

ويت سمامل المرء عما إذا كانت هناك علاقة من نوع ما بيسن ذبسع ولدى 'إيجبتوس' و بين نبح الموارد الأول.

(٩٦) يتنزج أيون أه من داخيل المائلة المالكة، و كان أيوسف المائلة الما

(٩٧) نجد معظم هذه القصص مترجمة في:

M.Stern, Greek and Latin Authors on Jews and Judaism,vol.1 (Jerusalem, 1974); see also S.K.Eddy,The King Is Dead (Lincoln,1961);D.B.Redford, Pharaonic King-lists, Annals and Day-books (Toronto,1986),281-96.

Redford, King-lists, 282-83. (1A)

A.T.Olmstead, History of the Persian Empire (Chicago, 1948), 89-90. (11)

(١٠٠) باستثناء ٤-ه التي تتنبأ، بصفتها التي تحملها الأن، بـ ١٠-١٢

Redford, King-Lists,248-51, (1.1)

D.Wildung, Imhotep und Amenhotep (Berlin, 1977). (1.1)

Urk IV,1677,1681. (1-1)

Urk IV, 1962, Redford, King-lists, 293, n. 113. (1.1)

I.e., from the First Cataract to the Mediterranean. (1.0)

(أي: من الشلال الأول إلى البحر المتوسط)

(١٠٦) أي السنوات الإهدى عشر كاملة تعت ظل حكم "أخناتون" و سنتان تحت ظل حكم "توت" عنخ - أمون".

See D.B.Redford, in N.Swelin,ed.,Alexandrian Studies Presented to Daoud (۱۰۷)
Abu Daoud (forthcoming) (على وشك الصدور)

(۱۰۸) قارن قصة 'أبوفيس' و 'سقن - ن - رع'،

See p.221ff.;also Redford in Rainey Egypt, Israel, Sinai,145-47. (1.1)

لعله من الصحيح أن ضرابى الطوب في المنظر المشهور الذي يرجع إلى مقبرة "رخمي – رع" يشار إليهم بصفتهم "المسورين الذين أحضرهم جلالته كي يعملوا في معبد أمون"، انظر:

(N.de G.Davis, The Tomb of Rakhmere at Thebes (New York, 1943), pl.59);

إلا أن هؤلاء العبيد لا يبدون أي اختلاف عن المصريين، كما أن النص لا يشير إلى المكان الذي شهد أسرهم.

B.Oded, Mass Deportations and Deportee in the Neo-Assyrian Empire (Wies- (\)) baden,1979),54-58.90,111.

ويطبيعة المال لا يستطيع أحد إنكار أن ضرابي الطوب كانوا يشكلون جزما ضخما من القوى العاملة، وتحت أيدينا النصوص و الجداريات التي تثبت ذلك، قارن:

(Cf.K.A.Kitchen, Tyndale House Bulletin 27 (1976-47);

ولكن أن يكلف المصريون الأسياويين ، بصفة رئيسية ، باداء هذا النوع من العمل ، فهذا ما لم يكن عليه المال.

E. Nielson, VT 32 (1982), 87-98; H.Gese ZAW 79 (1967), 143-44; G. W. Coats, (\\\) Noses; Heroic Man, Man of God (Sheffield, 1988), 177.

M.Noth, A History of Pentateuchal Traditionss (Englewood Cliffs, N.J., 1972), (۱۱۲) 156-75.

(۱۱۲) ظهر، في حقيقة الأمر، تيار حديث ينجذب، فيما يبدو، إلى الوراء إلى هذا المرقف، انظر: E.F.Campell, Interpretation 29 (1975),144;W.H.Schmidt, Exodus, Sinai und Mose (Darmstadt,1986),103.

J.Muilenberg, VT 9 (1959) ,347-65, idem, in J.P.Hyatt, ed., The Bible and Modern (\\\\) Scholarship (Nashville, Tenn. ,1965), 87; B.S.Childs, The Book of Exodus (Philadelphia, 1974), 353; cf. Hos. 12:13.

Cf.S.Herrmann, Israels Aufenhalt Ägypten (Stuttgart, 1970), 70 A.H.J.Gunneweg, (\\V) Geschichte Israels (Stuttgart, 1984),26-27;M.Metzger, Grundriss der Geschichte Israels (Neukirchen-Vluyn, 1983), 34;H.Donner, Geschichte des Volkes Israel (Göttingen,1984),109;G.Fohrer, Geschichte Israels (Heidelberg, 1982), 64;M.I.Chaney, in D.N.Friedman and D.F.Graf,eds. ,Palestine in Transition (Sheffield,1983),65.

Noth, History of Pentateuchal Traditions,71. (\\A)

See J.G. Griffiths, JNES 12 (1953), 225-31; cf. J. Cerny, ASAE 41 (1941), (114) 349-54;

و لكن ينبغي عليك الأن أن تنظر في الملاحظات التي أبداها:

J.Vergole, Bulletin de la Société d'égyptologie de Gèneve 4 (1981),89-95; أيضًا انظر:

Astour, Hellenosemitica, 229ff.;idem,Ugaritica 6 (1969),15 and n.39 (الذي يشتق الاسم من mi، وهو إله أرضى من ألهة الطبيعة (نقبض السماري) سادت عبادته في أرجاريت و بقارنه بـ "موس": Mus الإله حالثمبان.

M.Weinfield, Tarbiz 56 (1987), 449-60; H.Schmid, Die Gestalt des Mose (Darm- (۱۲۰) stadt, 1986), 41-42(lit.); Coats, Moses, 25-29(lit.).

(۱۲۱) حول "حفني":Hofni، انظر:

H.Ranke Die Altāgyptische Personennamen vol.1 (Gückstadt, 1935), 239:12-13 (="tadpole"(⇒شرغوف); for Phinehas,see ibid, 113:13 (≍the Southemer" (⇒ الجنرين).

الرشحون الأخرون المفترضون، مثل مارون و "مرارى لا يتصلون من قريب أو بعيد باللغة المصرية.

Cf.J.G.Cager, Moses in Greco - Roman Paganism (Nashville, Tenn. 1972); (177) T.Rajak, JJS 29 (1978);11-22; G.Vermes, in Moise, L'homme et L'alliance (Parls,1955),66-74.

ينبغى أن نلاحظ أن 'إيجيبتوس': Aegyplus في أسطورة أحفاد 'يو' :)lo انظر ص ٤١٣ من الكتاب الأصلى) الذي ذهب إلى بلاد العرب تزوج من إثيوبية، انظر:.Apoilodorus,2.1.5

J.J.Collins, in Charlesworth,ed.,The Old Testament Pseudepigrapha (New (NYT) York,1985),2:892;A.M.Denis,Museon 100 (1987),40-65.

Collins,in Charlesworth, Pseudocpigrapha, 2:898-900. (171)

N.C.Grimal, La Stèle triomphale de Pi(ankh)y au musée de Caire (Cairo,1981). (١٢٥)

Cf.the Tefnakhte story in Diodorus, 1.45; Plutarch, De Isida et Osirida 8. (۱۲٦)

See p 128;D.B.Redford, Orientalia 39 (1970), 1-51; idem, King-lists, 245. (\\Y\)

A.B.Chace,H.P.Manning, and L.Bull, The Rhind Mathematical Papyrus: (\\YA) B.M.10057 and 10058 (Oberlin,Ohio,1927-1928),pl.108, (par.30, no. 87);Redford,King-lists,110.

(العله المرسى على سبيل الافتراض) Pesumably Ahmose (۱۲۹)

(١٣٠) حصن حدودي على الجانب الشرقي للدلتا، يقع شمال شرقي 'أباريس' (=أواريس)

(١٣١) أيام النسىء، تدرج قبل الشهر الأول من سنة التقويم، و تتوافق في أواسط القرن السادس ق.م. على وجه العموم مع الأسبوع الثالث في شهر أغسطس/مسري.

C.Vandersleyen,RdE 19 (1968),pls.8,9,;W,Helck, Historisch-biographische Tex- (۱۲۲) te der 2 Zwischenzeitzeit (Wiesbaden, 1975) "106-7.

(١٣٣) عن الأربئة، كما تظهر الأن في قصة 'الخروج'، انظر:

Noth, Exodus, 62-84; Z.Zevit, JQR 66 (1975-76),189-92; J.L.Ska, Biblica 60 (1979),23-35;191-215;Schidt, Exodus, Sinai und Mose, 40-54;N.H.Sama, Exploring Exodus (New York,1986),63-80.

G.Hart, ZAW 69 (1957),84-103;70 (1958),48-59. (\rt)

E.Velikowsky, Ages in Chaos (New York, (1946); Worlds in Collision (New (170) York, 1950).

(رسائل شفویة متنوعة) H. Goedicke, various oral communications (۱۲۱)

انظر:

H.Shanks, BAR 7,no.5 (September-October 1981); idem, BAR 7,no.3 (May-June 1982); E.Oren, BAR 7, no.6 (November-December 1981); I.Wilson, The Exodus Enigma (London, 1985).

(۱۳۷) هذه المثالب لا تظهر على صورة أنقى مما تظهر به فى أعمال فيلوكوفسكى، انظر: (N.135) ومع أننى لا أستطيع أن أعرض بخير أو شر للأجزاء الفلكية فى أعماله، إلا أننى على ثقة كاملة أنه يرتكب، كلما عالج الأدلة المستقاة من المصادر المصرية، أشد الأخطاء جسامة و أكثرها مدعاة الفسحك، و مع أننى أن تعدادها هنا سوف يكون أدخل فى باب إضاعة المساحة المتاحة، إلا أننى سأكون سعديدا بتزريد أى قارئ بتفاصيل أكثر فى هذا الصدد.

See the Redford, Joseph Story; C. Westermann, Genesis 12-50 (Darmstadt, (\YA) 1975), 56-68; idem,Genesis (Neukirchen,1981),1-19; Thonpson, The Origin Tradition, 116-31;

حول الببليوجرافيا (قائمة الكتب) و النقاشات على امتداد العقدين الماضيين، انظر: L.Ruppert,BZ 29 (1985),31-48;J.Scharbert BN 37 (1987),104-28.

M. V. Fox. ZÄS 107 (1980),123-26;R. J. Williams, JAOS 101 (1981).11-12, (۱۲۹)

(١٤٠) في سفر 'التكوين' إصحاح ٢٨ يـتزوج 'يـهوذا' و يستـقر في 'كنعـان' وينـشي لنفسه عائلة هناك، ويتروج 'سيميون' من كنعانية (تكوين' ٤١: ٢١) و يموت 'أفرايم' في فلسطين (اخبار الأيام' الأول ٦: ٢٠-٢٠، و منسي يتزوج من أرامية (أخبار الأيام' الأول ٧: ١٤، وابنه 'ماكير' كان موجودا في البيت في جلعاد (العدد' ٣٢: ٤٠)، قارن 'أخبار الأيام' الأولى ٢: ٢١-٢٢)

See A.R.Schulman, SAK 2 (1975),235-43. (\1)

Ranke, Personnenamen, vol.1,177:24; (\it\)

ومع ذلك قلقد وفرت القوة النسوية الفرصة لظهور حرف راء بعد 'التاء'.

E.Mazar,IEJ 37 (1987),62. (117)

Redford, Joseph story, 191, n.7. (124)

Koehler-Baumgartner, 2:353. (\20)

Redford, Joseph Stary, 207-8; G.R. Driver, Aramaic Documents of the fifth Centu- (\11) ry B.C. (Oxford, 1965), 15-16.

Koehler-Baumgatner,3:727; (\&V)

حول الخصيان، انظر:

G.H.Kadesh, in Kadesh, Studies in Honour of John A. Wilson,55-62,

انظر أيضًا:.20-14,(1990) M.Görg,BN 53

Redford, Joseph Story, 200-201;also P.Rylands IX passim, (۱٤٨) من اللهب الذي يطلق على الحكام الفرس المطلس .

- Cf.B.Menu, Recherches sur L'histoire juridique, économique et sociale de l'an- (\\2\) cienne Égyptienne (Paris,1982),1-42.
 - B.Menu, CRIPEL 3 (1975),143-49. (\o.)
 - P. Aylands IX, 6, 16. (\.\)
 - Redford, Joseph Story, 237, n.3. (NoY)
 - (١٥٣) في العقيقة استمرت عائلة الكاهن "بيديسي" تحصل على هذا المرتب حتى نزعته منها السلطات تحت P.Rylands IX,9,13,19,11,4.
 - Diodorus, 1,57.1. (\o t)
- (١٥٥) كان استعمال كلمة 'فضة' في الدلالة على 'النقود' قد استقر تعاما في ظل الملكة العديثة في مصر، رغم ان الاستعراك كانت تقيم، عادة، بوحدات وزنية من النحاس و المسطلحات المستعملة تشير إلى وحدات قيمة، بدلا عن نقود معدنية، انظر:
- الماليل Janssen, Commodity, Prices from the Ramessid Period (Leiden, 1975), 101-105).
- ولقد استمر التبادل خلال هذه الفترة يقوم على المقايضة أو المقايضة -النقود.(المرجع السابق ص وكوروما بعدها.
- (١٥٦) 'ونامون' (١، ١١) يشير إلى وجود فضة في حقيبة، ولكن هذه لم تكن أكثر من قطع صغيرة، و بالمجام تسمع بإدخالها في كيس و لا تحوز أهمية كافية التوقف أمامها.
 - (١٥٧) نجد أحدث نقاش حول هذا المضوع عند:
- J.Quaegebeur,in S.Groff,ed.,Pharaonic Egypt, the Bible and Christianity (Jerusalem,1985),162-72.
- (١٥٨) قارن بردية 'ريست كار' حيث نستطيع أن نقف على دور الحكيم في أدب الملكة الرسيطة في أنقى صوره.
 - Chester Beatty IV, verso 2:5ff (101)
 - بردية تشيستر بيتي رقم ٤ ظهر البردية. ٢: ٥ و ما بعدها.
- Thotemheb in the Bentresh stela:ANET2,29-31(22nd to 26th Dynasty date) (11-)
- Meryre, in P.Vandier:G.Posener,Le Papyrus Vandier (Cairo,1985) (dated be- (111) tween c.650 and 350 B.C.
- Imhotpe in Siheil famine inscription:P.Barguet, La stèle à Séhel (Cairo, (۱۹۲) 1953);ANET2,31-32 (Ptolemaic date).
- Si-Osir In Khamois II: Lichtheim, Literature, 3: 138-51) Ptolemaic date) (137)
- Phritiphantes in Chaeremon (Redford, King lists, 278 88 and n. 99 (Pto-(118) lem aic date)) following Codex Laurentianus, rather than the Latin which

Phritibautes:H.st.J.Thackeray,Josephus against Apion (London,1976),1:280, n.1(Contra Apionem 1.289).

النص اللاتيني هو أقبل النصوص جدارة بالقبول نظرا لاحتراثه على بلبلة العروف الشفوية والنسخ الشفوية والنسخ الخاطئ لحرف (upsilon) اليوناني، وهو الحرف الذي ينبغي أن نتوقع وجوده في العصر البيزنطي. Redford, Joseph Story, 97; J.J.Collins, JBL 94 (1975), 224-27; J.M. Lindenber- (١٦٥) ger, in Charlesworth, Pseudepigrapha, 2: 479-507.

الفصل الخامس عشر

مصر وسقوط "يهودا"

في الوقت الذي اختفي فيه جيش "أشور - بني - بعل وراء الأفق في صيف سنة ٦٦٣ ق.م. كي يعود إلى 'أشور'، لم يتنبأ إلا قليلون بأي شيء أخر لدلاد النبل سوي وضع الخضوع بشكل مؤقت، بعد أن انتهت إلى منزلة التابع بشكل دائم الملك العظيم الجالس في "نينوي". ففي الدلتا استمرت العائلات المالكة للأراضي الزراعية من السادة الليبيين، في حراسة تركاتهم بشكل يحرك مكامن الحسد، ولما كانت تضمر باستمرار الشك كل في الأخرى، فلقد كانت بالتالي عاجزة تمام العجز، عن الاتحاد فيما بينها. وفي أعالى نهر النيل شكُّت المدن الكبرى مثل "هيراكليوبوليس" (= "الكاب" حاليًا قرب الكوم الأحمسر ١٢ ك شمالي مدينة 'إدفو'-أسوان. المترجم) و'هيسرموبوليس' (= "الأشمونين" حاليًا) و أسيوط نمامات مستقلة، وكان زمام "طيبة" قد أصبح وقت ذاك معزولاً من الناحية الفعلية عن الشمال تحت إمرة عمدة - كاهن يدعى "مونتو-إم-حات (= مونتو في المقدمة بالمصري). وإذا ما أوغل المرء في أعماق الجنوب، وخصوصًا في ذلك الشريط من الوادي الذي تحكمه مدينة 'طيبة''، فإنه يكتشف وجود روابط أقوى بالمملكة السودانية، ولم يكن هناك من يستطيع أن يتأكد من أن تانتوتامان Tantwetaman لن يزحف مرة أخرى هابطًا مع تيار النيل، مع أن "أشور - بنى - بعل كان قد ألحق به الهزيمة من قبل. ولم يكن ذلك لأن أحدًا سوف يرجب به في الشمال: عائلات الدلتا كانت تبغضه بغضها للأشوريين، وحتى وجود ابن "نيخو" الأول المدعد تنابوشيزيباني" Nabushezibani (إذا ما دعوناه باسمه الأشوري) كي يقوم بدور أشبه بدور المندوب السامي (= نائب الملك) لم "أشور" على مصر، لم يبد قادرًا على

أن يضمن أى ولاء أو حتى موقفًا متناسقًا من جانب هذه العائلات^(١). ولقد تمركزت فى القلعة في منف عامية أشورية قليلة العدد وإن كانت قوية، تستغل كافة المزايا العائدة من تفكك مصر^(٢).

ولكن المستحيل أصبح حقيقة واقعة في غضون عقد واحد لا غير: جرد المصريون عائلات الدلتا (الليبية الأصل) من سلطانها، وطربوا الحامية الأشورية وعادت مصر تتنفس أجواء الوحدة من جديد تحت قيادة 'صايس'. كيف حدث كل ذلك؟

الإصلاح الصاوى لمصر:

مادئ ذي بدء، بتعيُّن علينا أن نعزو الإنجاز بأسره إلى قوة بصيرة رجل واحد، حنكته الدبلوماسية هو "نابوشيزيباني" بن 'نيخو"، الذي سنطلق عليه من الأن فصاعدًا اسم الميلاد الذي حمله وهو "بيسماتيك"، (") ولو أن استيلاءه على السلطة وتأسيسه لأسرة جديدة هي الأسرة السادسة والعشرون لا يرد لهما ذكر في الوثائق المعاصرة، وهي على أي حال شحيحة الغاية، ونجد أنفسنا مضطرين إلى الركون إلى ذاكرة الأجيال اللاحقة، وخصوصًا ثلك الحكايات التي سمعها المؤرخ والرحالة اليوناني "هيرودوت" عندما زار مصير. قد مُعيرودوت الذي قدم إلى مصير بعد وقت قصير من سنة ٥٠٥ق.م. عاش داخل نطاق غسيق الغروب للأسرة السادسة والعشرين، أخر النظم المستقلة العظيمة التي استمرت على قيد البقاء في ذاكرة تواقة لمصر التي كانت يومُّا ما عظمي ولكنها أصبحت الأن تدين بالخضوع للفرس، ولقد تضافرت كل من حداثة العهد والحمية القومية (المصرية) كي تشحذ هذه الذاكرة وتجعلها أحد من أي ذاكرة عرفتها أي فترة سابقة في تاريخ مصر(1). وتهدف إحدى الحكايات التي سمعها "هيرودوت" إلى وصف صعود "بيسماتيك" إلى سدة الحكم(4). تقول الحكاية إنه كان واحدًا من الاثنى عشر حاكمًا الذين يتقاتلون فيما بينهم في الدلتا، ولكنهم اتفقوا، على مضض، على إبرام هدنة فيما بينهم، وهي الهدنة التي جرى التصديق عليها شعائريًّا في معبد "هيفايستوس" Hephaistos في "منف". وصيار عليهم أن يحضروا إلى المعبد

بصفة سنوية كى يجددوا التزامهم بالاتفاق حول الهدنة بصببان النبيذ (طقس عرفه العالم القديم، ومصر بينه، ويقوم على سكب النبيذ على الأرض قربانًا للآلهة – المترجم) وأعلنت إحدى النبوءات أن الملك القادم للبلاد هو الذى سيصب نبيذ القربان من وعاء مصنوع من البرونز، ونتيجة الحسد الذى تولد عن ذلك عند الحكام الاثنى عشر، حظروا دخول الأوعية المصنوعة من البرونز إلى المعبد. وذات مرة، عندما اصطف الحكام من أجل صببان النبيذ، كان "بيسماتيك" في أخر الصف. وجاء الكاهن المحتفل ووزع عليهم كئوس الصبيان، إلا أنه لم يجد الكأس الثانى عشر، كى يعطيه لم "بيسماتيك"، فما كان منه إلا أن رفع خوذته، بسلامة نية، وصب منها قربانه. وعندنذ أدرك الحكام الاثنا عشر دفعة واحدة أن النبوءة قد تحققت، وقاموا بطرده من المعبد، فاضطر أن ينجو بجلده إلى أحراش الدلتا. وتنبأ هاتف إلهى آخر بأن "بيسماتيك" سوف يتلقى عوبًا من الرجال البرونز الذين سيخرجون إليه من البحر، وذات يوم وبينما كان يسير على ساحل البحر البرونز الذين سيخرجون إليه من البحر، وذات يوم وبينما كان يسير على ساحل البحر المدونز الذين سيخرجون إليه من البحر، وذات يوم وبينما كان يسير على ساحل البحر المدونز الذين المناطئ، وبمساعدة هؤلاء حقق المدومين بالسلاح، كانت الأمواج قد قذفت بهم على الشاطئ، وبمساعدة هؤلاء حقق "بسماتيك" الظفر على غرمائه.

حقًا تطل هذه الحكاية المطولة على الأحداث من بعد بعيد، إلا أنها تحتوى على قدر ما من الحقيقة. فالحكاية تتذكر، بشكل صحيح، فترة الجمود والفوضى التى أعقبت انسحاب الأشوريين. ويبدو صحيحًا أيضًا على الأرجح نكرها هروب بيسماتيك من وجه العداء الذي جاهرته به عائلات الدلتا إلى المستنقعات البعيدة في الشمال طلبًا للسلامة. ومن المؤكد صحة موضوع المساعدة العسكرية التي تلقاها، كما سنرى، من القراصنة اليونانيين.

قليلة في الحقيقة في السجلات الرصينة التي ترجع إلى الفترة الأولى من حكم هذا الفرعون، ولكننا لن نكون قد شططنا بعيدًا كثيرًا عن الهدف المنشود إذا أعدنا بناء سيرة بيسماتيك وفقًا للخطوط التالية: في الوقت الذي كان "أشور - بني - بعل ينسحب فيه من بيسماتيك النيل، كان "بيسماتيك قد نُصب في منصب أوريايس Orpayes (= ولي عهد) وكربيب له "أشور" في "أتريب"، على بعد خمسة وستين كيلو مترًا شمالي القاهرة

العديثة، ولكن تعاونه مع الغازى، لابد وأن يكون قد جعل منه شخصًا ملعونًا بالنسبة لعكام المدن المجاورة، واضطر، كما يجوز لنا أن نتخيل، إلى مغادرة "أتريب" فور انسحاب الأشوريين أو بعده بقليل، والهروب إلى تركته القديمة في "صايس". ومن المرجع تمامًا أن "بيسماتيك" حاول في البداية أن يستخدم كل الاستخدام الدعم الذي قدمته له الحامية الأشورية في العودة إلى "منف" وفي ردع الفصائل المحلية عن التعرض له، ويبدو أيضًا أن عون الخامية الأشورية هو الذي مكنه أولاً من إجباط المحاولة الثانية التي بذلها "تانتوتامان" نحوالاستيلاء على الشمال، ثم من إنزال الهزيمة بالنوبيين الغزاة شمالي "منف" مباشرة (١).

وقت ذاك كان الساحل مفتوحًا وتحولت الرياح لصالح أبيسماتيك. ويحلول سنة ٦٦٠ ق.م. كان قد بدأ في إعادة تنظيم الاقتصاد والنظام الضرائبي لمراكز مصس الوسطى، ولم تكد تمر أربع سنوات واستشعر من القوة ما جعله يشرع في الدخول في مفاتحات جادة مع "منتو - أم - حات" في "طبية"، وكان ذلك الرجل النبيل، المعين من جانب النوبيين ورئيس إدارة محلية لا تزال تدين بالولاء لـ "تانتوتامان"، يحوز من الواقعية قدرًا يجعله يدرك التغير الذي دخل على شكل السلطة السياسية التي قامت في مصر(Y). وقت ذاك كان "بيسماتيك" إما قد طرد أو على وشك أن يطرد الحامية الأشورية من "منف"، كما كانت الغارات التي شنها "الكيمزيون" في ربيع سنة ١٥٧ق.م.،^(٨) والحرب العيلامية ـ الأشورية (٩) قد حالتا دون "أشور - بن - بعل واتخاذ أي عمل من أعمال القصياص. وعند ذاك أذعن "مونتو- إم- حات" للاقتراح الذي أشار عليه به "بيسماتيك" بتعيين ابنته الصغيرة "نيتوكريس" Nitocris في وظيفة كهنوتية رفيعة في طيبة"، وفي شتاء سنة ٦٥٦ ق.م. حمل أسطول صغير من السفن الملكية الفتاة الصغيرة إلى "طيبة" (١٠). وفي "ضربة معلم" masterstroke دبلوماسية الطابع، أحجم "بيسماتيك" عن إقصاء "شيبون - ويريت" Shepwenweret الثانية عابدة "أمون" المقدسة و الرئيس الاسمى (مع حذف تاء التأنيث) لزمام طيبة، وكانت سليلة أسرة كوشبية ملكية. ولكنه ألزم، عوضًا عن ذلك، هذه 'الكاهنة العظمى' بتبنى 'نيتوكريس' كربيبتها وشريكتها الصغرى. ولذلك اضطر عدد كبير من المدن والوجهاء أن يتنازلوا

عن بعض ممتلكاتهم ويضائعهم للأميرة الصغيرة كجزء من "مهرها"، وعاد زمام "طيبة" بصورة قانونية وصفة دائمة إلى التاج المصرى. ولم تكد تمر سنتان أى في سنة ١٥٢ ق.م. اتخذ "بيسماتيك" إجراء تديبيًا ضد عدد من الجيوب الليبية على مشارف أسافل الوادي، وهو الأمر الذي بسط سيادة "بيسماتيك" على ذلك العنصر العرقي(١١). وفي نفس الوقت على وجه التقريب فاتح "جيجيز"، ملك "ليديا"، في إطار بحثه عن أى عون يستطيع الحصول عليه ضد التهديد القادم من الشمال الذي شكّله الكيمزيون لبلاده، "بيسماتيك" لإقامة تحالف فيما بينهما، وبناء على ذلك عبرت قوة عسكرية من الجنود اليونانيين يرجعون في أصلهم إلى ذلك الجزء من "أيونيا" الواقع تحت سيطرة الليديين، البحر المتوسط، كي تدخل الخدمة العسكرية في مصر (١٢١). وكان هؤلاء الجنود هم البحر المتوسط، كي تدخل الخدمة العسكرية في مصر (١٢١). وكان هؤلاء الجنود هم والنصف اللاحقة جنوبًا كي يعمل في خدمة الفراعنة بأعداد أخذت في التزايد بشكل والنصف اللاحقة جنوبًا كي يعمل في خدمة الفراعنة بأعداد أخذت في التزايد بشكل دائم. وبهم أصبحت القوة العسكرية المصرية، التي لابد أن يكون "بيسماتيك" قد ارتأي دائم، وبهم أصبحت القوة العسكرية المصرية، التي لابد أن يكون "بيسماتيك" قد ارتأي أستطاعت مصر مرة أخرى أن تقدم نفسها للعالم الخارجي كدولة موحدة تتمتع بالقوة.

على هذا النحو دشنت الأسرة السادسة والعشرون، أو الأسرة المعاوية آخر فترة من تجديد إمبراطورى وثقافى يستند إلى إلهام قومى كان لمصر القديمة أن تعرفه. ومع أن العائلة التى ينتمى إليها حكام "صايس" ترجع إلى أصول ليبية ـ تولوا فى الحقيقة منصب (رئيس قبيلة "اللابو") جيلاً إثر جيل (١٠٠) ـ إلا أن أحدًا من المصريين لم يشعر بأن بيسماتيك" أو حاشيته التى تضم عددًا من المستشارين النابهين أجانب أو دخلاء، وكانت النهضة مصرية خالصة، رسمت وفقًا لخطوط مصرية وقيست على مثل تلك النماذج القديمة حتى إن البعض سعى، لأسباب وجيهة فيما نظن، إلى الحديث عنها بصفتها ولعًا ثقافيًا بكل ما هو قديم (١٠٤)، وخلال المائة وأربعين سنة التى قضاها "بيسماتيك" وأحفاده الأكفاء في حكم مصر، وصلت الحدود، كما كان الحال في العصر الكلاسيكى تحت ظل الملكة القديمة، من البحر المتوسط حتى الشلال الأول.

وعلى المستوى الداخلى عرفت البلاد إعادة تنظيم صارم، منح البلاد قرة بما لا يقاس. فقى العاصمة التى نُقلت وقت ذاك إلى "صايس" أخذ بلاط ضخم شكله، الأمر الذى أعاد إلى الأذهان الأمجاد التى طواها الزمن للإمبراطورية المصرية، وتحول العبد المحلى للإلهة تنيت" Neith إلى خزانة الدولة من الناحية الفعلية (١٠٥). ووضع "بيسماتيك" نظامًا إقطاعيًا قويًا تحت إمرة وزير وأعاد تنظيم الهيكل القضائى، وهو الأمر الذى وضع نهاية لقرون من النزعة الإقليمية الطابع التى تتسم بالضعف وضيق الأفق والجمود. وفي المديريات نجع "بيسماتيك" في حرمان عائلات ملاك الأراضي الزراعية من السلطة السياسية بإقامة حكومات محلية قوية مسئولة أمام العاصمة "صايس": كل مركز خضع لحاكم وسكرتير عام (= وزير محلى) وكان هذان مسئولان عن الإنتاج الزراعي وتوزيع الأراضي الزراعية على فلاحيها، وبسط العدالة ووضع أحكام القانون موضع التنفيذ.

لم تتردد ثروة مصدر الكامنة والدخل الذي تستطيع استدراره من التجارة الخارجية في السيطرة على سياسات الفراعنة الصاويين، فجزء كبير من مسئوليات حاكم المركز أصبحت تتصل بجمع الضرائب، التي امتدت حتى شملت المعابد ذاتها، وهناك بعض الأدلة، قبل نهاية سيادتهم في ربوع مصر، على العمل بموجب ضريبة، وإن كانت بدائية، على الدخول(٢١). وفي ضوء الأهمية المعاصرة التي علقت على الحركة التجارية، لا ينبغي لنا أن نندهش من أن نجد أن "ناظر ميناء" (مكلف بتحصيل مكوس المودر) و"ناظر شحن" كانا من أهم الألقاب التي يحصل عليها الموظفون في النظام الحاكم.

عمل اهتمام الصاويين بالتجارة الضارجية عمل إكسير الإنعاش في مصر (شكل رقم ١٠) ففي أرجح الاحتمالات شهدت الهيمنة الليبية الطويلة الأمد تقلصًا في الاهتمام القومي (= اهتمام المصريين) في إرسال سفنهم بعيدًا عن أرض الوطن سعيًا وراء البضائع التي يريدون الاتجار فيها. وعلى أي حال كان الاندفاع وراء المبائل التجارية أمرًا لا يتلام تمامًا مع روح المصريين، الذين كانوا قد اعتادوا، كما كان يسير الحال معهم من قبل، على مباشرة رقابة إمبراطورية على الأجانب الذين كانوا منتجاتهم بأنفسهم إلى مصر. ولقد شهدت القرون

الثلاثة الأولى من الألف الأول التداول المستمر للبضائع المصرية في سائر أرجاء المشرق، ولم يكن ذلك راجعًا إلا لدور الوسيط الذي قام به التجار الفينيقيون (١٧). والآن ومع كل ذلك، تولت زمام الأمور في مصر عائلة جديدة، وهي عائلة تملك ميلاً قويًا نحو التجارة، وليس هناك لحظة أكثر مواتاة يستطيع المرء أن يتخيلها في التاريخ: كان النشاط التجارى للفينيقيين قد بلغ ذروته، والسفن اليونانية تجوب أرجاء البحر المتوسط كي تستعمر الشواطئ النائية، والدروب تمتد مفتوحة إلى جنوب شبه جزيرة العرب ويلاد القوقاز وإيران والبنجاب.

نستطيع أن نعيد بناء خطوط التجارة الخارجية لمسر استنادًا لمثل تلك المصادر الأدبية مثل الكتاب الكلاسيكيين و التوراة ، والتلميحات المتناثرة في النصوص الأكدية، وخصوصاً من جداريات المعابد التي ترجع الفترة البطامية في مصر، وينبغي البحث عن مصادر إلإلهام التي نبعت منها في النماذج الأولى للعصر الصاوي. حقًا جرى إنشاء مركز جمارك عند الشلال الأول، إلا أن مصر تمتعت بتجارة أقل مما كانت تتمتم به فيما مضى مع عدوها اللدود: المملكة السودانية في الجنوب. ومع ذلك أحكمت مصر سيطرتها على الدرب الذي يمر بالواهات الغربية خيلال الداخلة والخارجة و"الدش" Dush ، وهو الدرب الذي كان بمثابة درب بديل باتجاه الجنوب إلى أعالى نهر النيل، (١٨) وبحلول نهاية القرن السابع ق.م. كانت مصر قد بدأت تفصح بوضوح عن اهتمام متجدد بالسواحل التقليدية لبلاد "بونت" عند الطرف الجنوبي للبحر الأحمر. وفى هذا الصدد يستطيع المرء أن يندهش للإقدام وعمق البصيرة اللذين تمتع بهما 'نيخو' الثاني الذي حفر قناة تربط بين نهر النيل والبحر الأحمر عبر وادي طوميلات' وبنى الأحواض على الساحل، في زمام مدينة "السويس" الحديثة على وجه الترجيح. ولا يساور المرء شك كبير في أن كل ذلك إنما جاء في إطار التحضير انشاط بحرى، يحمل طابعًا تجاريًا على الأقل في جانب منه، مع الجنوب، (مع أن هذا الفرعون كان محاصراً، هو الآخر بالهموم العسكرية)(١٩) وفي خضم كل هذه العمليات البحرية اختفى أحد أطقم البحارة الفينيقيين الذين يعملون في خدمة الفرعون "نيخو" في البحر الأحمر، كي يعود إلى الظهور مرة أخرى بعد مرور ثلاث سنوات عبر مضايق "جبل طارق". ويصب "هيروبوت"، مخبرنا الذي ننقل عنه هنا، ازدراءه على هذه الحكاية: فوفقًا لمعارفه الجغرافية الخاصة كان من المستحيل أن يدور هذا الطاقم البحري هذه الدورة من البحر الأحمر حتى البحرالمتوسط (٢٠).

ولقد استمرت مصر، رغم الاضطرابات السياسية التى كانت أخذة بخناق آسيا الغربية فى ذلك الوقت، تتمتع بحق الوصول الحر بصورة نسبية إلى المنتجات التى تتوق إليها: النبيذ وحجر الشبة من فينيقيا والأعشاب الطبية من فلسطين والمواد العطرية والبيتومين (= قار معدنى) من الضفة الغربية، كما تدفق سيل من المنتجات المجلوبة من جنوب شبه جزيرة العرب عبر "سيناء" كى يتجمع فى "غزة (٢١).

ولكن 'صايس' غدت بموقعها الجغرافي هذا بشيراً يبشر بـ "الإسكندرية"، ويتطلع باتجاه الشمال والغرب معًا، ولا ينبغي أن يكون مثار دهشة لأحد أن يرفع حكامها عاليًا شأن التجارة التي تمتعوا بها مع بلاد اليونان. وفي أعقاب المرتزقة الذين جلبهم بيسماتيك" من بلاد 'جيجيز'، جاء التجار والمغامرون اليونانيون، وهم عازمون على إقامة المستعمرات، ولكن بينما لم يجد المستعمرون اليونانيون صعوبة كبيرة في التمكين لانفسهم في أي مكان آخر على طول الساحل المشرقي، اختلف الأمر معهم في مصر التي تتمتع بكثافة سكانية عالية إذ نشأت أمامهم الصعاب. ولقد كان المركز التجاري المبكر الذي أقيم عند مصب الفرع الكانوبي (= أحد الفروع السبعة للنيل في مصر القديمة ~ المترجم) للنيل بؤرة نزاع بين الأجانب وأهالي البلاد الأصليين من المصريين، ولكي يتجنب "بيسماتيك" أي مشكلة قد تنجم عن صراع الثقافات، أسس قرب نهاية حكمه مدينة تجارية مخصوصة بعيداً عن الساحل في أعماق البلاد داخل نطاق الزمام حكمه مدينة تصايس العاصمة. ولقد منح 'بيسماتيك' هذه المدينة، وهي "نكراتيس" (= نقراش الصالية)، كسوق مركزي لمجموعة من المدن اليونانية، وهي "نكراتيس" الصفقات التجارية في القمح والبردي والزيوت والنبيذ والفخار بين وادي النيل وأعماق الزد المونان (٢٢).

الأسرة السادسة والعشرون ويهودا:

عندما حلت السنة الخامسة عشرة للفرعون "بيسماتيك" في الحكم (٦٥٠ ق.م.) كانت الأمور تسير حقًا على خير ما يرام في الجنوب أي الوجه القبلي. وكان "بيديسي" Pedeise بن "يرتيرو" Yerteru قد انضم إلى محكمة المدل العليا، وزاد مقدار الفضة والقمع (الذي جمعه على سبيل الضرائب التي فرضها على الأمالي) بما يصل إلى مائة في المائة"(٢٢). ولم تجد سنة ١٥٠ ق.م. بلاد الجنوب (الوجه القبلي) لخريطة ص ٢٦٦ في النص الأصلي) وحدها، بل وبلاد المشرق بأسرها وقد دخلت في نظاق ضوء المشفق المصري كي تنعم بوهج مصر التي عادت مرة أخرى إلى الانتعاش. وفيي ذلك الوقت كان "منسي" العجوز بمثابة "قس قرية "براي" براي" Vicar of Bray وقي ذلك الوقت كان "منسي" العجوز بمثابة "قس قرية "براي" وكان الدنيا أن تعرف واحدًا مثله، قد دخل عقده الرابع على عرش "يهودا" في سنة ١٥٠ ق.م. أما معاصروه الأصبغر سنا "سيل – بيل Sil-bel حاكم "غزة" و"ميتيني" Mittini الشاني حاكم "عمون" و"موصري" الهيدا المعدد القديم" طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط—"عمون" (= أدوم" في "العهد القديم" طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط—المرجم) فكانوا قد بلغوا ذروة حياتهم السياسية (١٤٠).

لم يحظ منسى، كى نقول أقل القليل عنه، إلا بإعلام سيى. فاليوم يمكننا أن نصفه بأنه سياسى واقعى، وفيما يتعلق بالشئون الدينية كان متسامحًا ومنحازًا المتعددية. ولكن السعار الذى صاحب عمليات تحطيم الصور والتماثيل فى عصر لاحق، وتشويه التاريخ عن طريق ادعاء الحكمة المتأخرة (= بأثر رجعى) وصماه بأنه عابد من أسوأ عبدة الأصنام، جلب غضب الإله على شعبه (٢٠). ومع ذلك كانت عبادة "السيد" (= بعل) وقرينته (عشيرة) المعروفة فى المدينة المحلية وما حولها "إله مدينة dei civitatis فى حقيقة الأمر، متفشية فى ديانة المشرق منذ وقت مبكر يرجع على أقل تقدير إلى العصر البرونزى المتأخر، وربعا إلى وقت أقدم من ذلك كثيرًا. ومع أن عبادة الثنائي "السيد" والسيدة كانت أكثر شيوعًا فى الساحل المشرقي، إلا أنها أى تلك العبادة كانت أيضًا معروفة فى المدن الأشد خشونة والبعيدة عن الساحل فى أعماق البلاد، مثل

"حمات" Hamath وممشق و أورشليم". ولكن هذه المدن وجدت عند هذه النقطة ازامًا عليها أن تتباهى بعبادات ذات نزعة أشد تطهرية، وحدث ذلك فى الأصل فى موطنها الأول وسط التجمعات الأكثر تقشفًا فى سهوب الصحراء، حيث انبثقت هذه الدول الداخلية بمعنى البعيدة عن ساحل المشرق. مثل ذلك الإله لم يكن سوى "يهوه" الذى لم يكن ليمانع، فى حقيقة الأمر، فى اتخاذ قرينة مثل "عشيرة" (٢٦). ولكن "جريمة" "منسنى" الذى لم يكن بارتكابها نشازًا بين الغالبية الساحقة من الملوك (الإسرائيليين) قبله، تكمن فى التعامل مع المعبد فى "أورشليم" تمامًا مثلما اعتزم "سليمان": "مصلى ملكبًا" حيث يجوز، مع ما يملكه "يهوه" من سيادة على المطرح، استضافة عبادات الآلهة الأخرى، ولم يكن هناك أى شىء غريب على وجه الإطلاق فى ذلك بالمقاييس للعاصرة، إلا أن ذلك لم يكن ليناسب الإطار العقلى المجددين المتطهرين الذين ظهروا بعد ذلك مجلين وحسب.

ومع ذلك أثبت حكم "منسنى" أنه عصر خيم فيه السلام على ربوع بلاده، ولم يكن ذلك راجعًا، بكل تأكيد، إلا إلى تسليمه، على نحو شامل، بالإطار الأكبر لإعادة صوغ ميكل القوة الدولية في عصره. وفي ستينيات القرن السادس ق.م. وجد لزامًا عليه أن يئتزم التزامًا دقيقًا بالخط الذي انتهجه الأشوريون تجاه زملائه في فلسطين والضفة الغربية، فلقد استمر الأشوريون يحتفظون بحاميات لهم في مدن إقليم "شيفلاه" مثل "جزر" والاخيش" حتى سنة ١٩٦٩ ق.م. (٢٧) وحتى خلال السنوات التي أعقبت هذا التاريخ الأخير مباشرة، كان "أشور – بني – بعل لا يزال قادرًا على توجيه ضريات ناجحة للقبائل العربية المتاخمة لفلسطين (٢٨). ولكن نجم "بيسماتيك" كان يواصل الصعود، وربما يكون أي حاكم أصغر شائًا قد وجد نفسه في ورطة بكل معنى الكلمة، إلا أن "منسنى" كان قد خضع باستكانة ومذلة لد "أشور"، وأصبح وقت ذاك مستعدًا بنفس الدرجة للخضوع لمسر. وأسفر ذلك عن غياب كامل للأعمال الحربية في مملكته لخمسة عقود (= خمسين سنة). ولقد أوضحت عمليات التنقيب التي جرت في "أورشليم سواء في الجبل الغربي أو السفح الشرقي لمدينة "داود" الأصلية (٢٠)، على نحو جلي، كيف أن الرخاء الذي ساد عصره انعكس في اتساع الرقعة التي تحتلها منازل رعاياه

ودور عبادتهم خارج نطاق خط أسوار "حزقيا" الدفاعية. فعلى منحدر "وادى قيدرون" فوق ينبوع "جيهون" Gihon اكتشف المنقبون أطلال الأضرحة المبنية من الحجر، في ارتباطها بالكهوف والجبانات التي تتجه نحو مشرق الشمس (٢٠٠)، ولم يكن السياق المادى والخزفي إلا ليتناسب باعجوبة مع حكم "منسني" عندما أصبحت عبادة الشمس شائعة بين الإسرائيليين بصورة بارزة.

الغزو السيثياني:

لو لم تتدخل قوة أخرى فى المعادلة السياسية، ربما كان فى وسع مصر و آشور"، خلال السنوات التى أعقبت سنة ١٥٠ ق.م. أن تتفقا، بصورة ضمنية، على الحفاظ على منطقتى نفوذ منفصلتين لهما، ولكان فى طوعهما أن تقتسما العالم القديم فيما بينهما. ولكن عنصراً جديداً خرج من صقع لم يكن الأحد أن يتوقع منه هذا الخروج، كان على وشك أن يصطدم بالدولتين المجهدتين العجوزين اللتين بنيتا حضارتين عظميين فى وادييهما اللذين يرويهما نهران عظيمان: كانت هناك دوامة هائلة تتجمع فى الشمال.

فى القرون الأولى من الألف الأول ق.م. كانت تقيم فى سهول الإستبس فى جنوب روسيا أمة شبه بدوية كانت تربى الخيول ومعروفة باسم "الكيمزيين" Cimmerians وكان أبناؤها مجبولين على حب الحرابة ودائمى الحركة، وكانت هذه الأمة تنتمى من الناحية اللغوية إلى العائلة الهندو-أوربية، ولقد ذكرها "هومير" (فى القرن العاشر إلى التاسع ق.م.) كثمة بعيدة تكاد أن تكون مجهولة لا يعرفها أحد. وحوالي سنة ٧٥٠ ق.م. عانى قطاع من هؤلاء الكيمزيين من التشريد على أيدى شعب أسيوى يرتبط بهم بصلة قرابة قوية يدعى "السيثيان" واضطر هذا القطاع إلى الرحيل فى اتجاه الجنوب عبر جبال القوقاز، وسرعان ما اكتسبوا جميعًا ملامح حركة شعبية، هبطت على "أورارتو" خلال العقود الأخيرة من القرن الثامن ق.م. ثم تحركت قليلاً باتجاه الجنوب كى تكتسح مملكة "فريجيا". وفي سنة ٢٧٩ ق.م. ردهم "إزارهادون" بصعوبة بالفة على أعقابهم، فوجدوا أنفسهم منجذبين نحو جزر بحر "إيجة" عبر هضبة الأناضول وبعد

عدة عقود من السلب والنهب بمسورة دورية نجحوا في الاستيلاء على سارديس " Sardis وقتلوا "جيجيز" ملك "ليديا"، الذي ظل حليفًا لـ "بيسماتيك" حتى ذلك الوقت (٢١).

وغداة الاضطراب الذي أحدثه الكيمزيون جاء الآن 'السيثيان' عبر نفس الطريق. وكان هؤلاء السلابون – النهابون ليمارسوا تأثيرا ضاراً على القرون الثلاثة من تاريخ الشرق الادنى، لولا الفضل الذي يعبود إلى حملة الإجهاض التي قادها ضدهم داريوش' الأول، وإلا لكانوا قد ضمنوا فقرة طويلة حقًا في التاريخ الذي كتبه عيروبوت'. ففي مطلع سبعينيات القرن السادس ق.م. دفع الظهور المفاجئ التهديد الذي شكله جيش 'السيثيان' على حدود 'إزارهادون' ملك 'أشور' إلى أن يقدم ابنته كزوجة إلى 'بارتاتوا' Partatua رئيس 'السيثيان'(۲۲). بعدنذ، وربما من باب التعاطف مع 'أشور' استداروا على 'ميديا'، التي كانت بمثابة قوة ناشئة ومعادية لـ 'أشور' في غرب إيران(۲۲). وعند هذه النقطة تجرى رواية 'هيرودوت' على هذا النحو:(۲۲)

وقعت معركة انهزم فيها "الميديون" وفقدوا سلطانهم في أسيا، التي استولى عليها بأسرها من بعدهم "السيثيان" ... وخلال السنوات الثماني والعشرين التي عاشتها السيادة السيثيانية في أسيا، أدت أعمال العنف والتقصير في مراعاة القانون إلى في فضى مطلقة. وإلى جانب الجزية التي فرضت بصورة جزافية على الأهالي وانتزعت منهم بصورة قهرية، سلكوا سلوك اللصوص لا غير، يجوبون البلاد أعاليها وأسائلها على متن الخيول كي يصادروا ممتلكات كل من بصادفونه. وفي نهاية الأصر دعا "السياكساريس" Cyaxares و"الميديين" أعدادًا غفيرة منهم إلى مادبة عامرة حيث أكلوا حتى سكروا كي يلاقوا في النهاية مصير الاغتيال، واستولوا (أي الميديون) على "نينوي" وأخضعوا الأشوريين لإمرتهم.

بالنسبة لـ "هيروبوت" كان هجوم "السيثيان" على الساحل المشرقي، الذي حدث قبل سقوط "نينوي" بثماني وعشرين سنة، قد انطوى على دور لـ "بيسماتيك" الأول، الذي

حاول في رهان مستقتل أن يشتري رضى الغزاة خلال المفاوضات (٢٥). وفي نهاية المطاف نجح هو و السيثيان النين كانوا قد توغلوا حتى وصلوا إلى حدود مصر ذاتها، وانسحبوا طوعًا عن طريق "عشقلون" بعد أن أسلموها للسلب والنهب. لكن القصة التي تشير إلى هزيمتهم باستمرار بعد إصابتهم بـ "مرض المرأة" تنضح بمحاولات التسويغ etiology وبنفس الظلال البذيئة التي تلف الحكاية التي يحكيها سفر "صامويل" (= صموئيل) الأول حول الكيفية التي نزل بها بلاء البواسير بالفلسطينيين في نفس الزمام الذي مر خلاله "السيثيان"، من جراء تدنيسهم لفلك "نوح".

ولقد قوبلت الرواية التي بوردها "هيرودوت" حول غارة خاطفة هبط خلالها "السيثيان" على ساحل المشرق، بقدر متنوع من درجات القبول من جانب العلماء. فلقد رفضها البعض باعتبارها رواية خيالية، قيست بشكل زائف، على نمط غارات "الكيمزيين" Cimmerians على أسيا الصغرى. بينما رأى فيها أخرون تشويهًا المهمة التاريخية التي قامت بها قوات المرتزقة من "السيثيان"، التي كانت تعمل في خدمة الأشوريين في المراكز الأشورية في فلسطين، وما نجم عن تلك المهمة من مناوشات مع مصر. وفي الوقت الذي كان الدارسون القدامي لـ "التوراة" يفسرون فيه النبومات السابقة لـ "إرميا" النبي بأن مؤلفها استوحى فيها غارات "السيثيان"، ترجع التيارات الصيثة بين الدارسين هذه الإصحاحات إلى تاريخ متأخر اللغاية، كما تميل إلى رفض تاريخية الغارات ذاتها(٢٦).

والحقيقة أن غارة يقوم بها فرسان جوالون من نوع "السيتيان" الذين يُعرفون بئنهم كانوا كذلك، بعيدًا في الجنوب تقبل الدخول في نطاق مملكة الإمكان. وإذا كان في طوعهم، انطلاقًا من قاعدتهم في كردستان الإيرانية(٢٧)، أن يباشروا عملياتهم كما يحلو لهم في سائر أرجاء المملكتين الجبليتين القويتين: "فريجيا" وليديا"، فإن هناك أسبابًا أكثر من وجيهة للاعتقاد بأنهم كانوا يستطيعون حتى بدرجة أكبر من السهولة أن يسيطروا على الدروب المطروقة جيدًا لساحل البحرالمتوسط. وكان هناك الكثير مما يستطيع جذبهم في المدن الساحلية مثل "عشقلون" و"غزة"، ودع عنك، احتمالات النهب والسلب على امتداد نهر النيل.

أما بخصوص تاريخ الإغارة، فحقيقة السنوات الثماني والعشرين التي استمرتها سيطرتهم تقف ساطعة. ولمو أن هذه الفترة لا تتوازى، كما هو واضح، مع أى ولاية حقيقية لحكم ما، ولكننا نستطيع أن نحسبها عن طريق جمع عدد السنوات الواقعة بين أول ظهور لهم في الغرب (أي الغارة) واندحارهم المفاجئ، المعاصر لـ "هيروبوت" - عن طريق الاستدلال-بسقوط 'نينوي'. والمصدر الأخير للحادثة الأخيرة، الذي نجا من عوادي الظروف كي يصل إلينا في العديد من التواريخ اللاحقة، هو "التأريخ البابلي (٢٨). وبنحن قد نحدس بأن مصدر الغارة نفسها كان هو بالمثل نفس التأريخ (٢٩). وثمانية وعشرون سنة قبل سقوط 'نينوي' في ١١٢ ق.م. سوف تضعنا عند سنة ١٤١-. ٦٤ ق.م.، أي السنة الرابعة لـ "بيسماتيك" الأول في الحكم، ولعله من المثير حقًّا للاهتمام أن "يوسيبيوس" يضيف إلى تأريخه لهذه السنة هذه الجملة المرجزة والجافة في أن واحيد Scythii usque ad Palestinam penettraverunt (= عندئذ اخستسرق "السيثيان" فلسطين)(٤٠) وفي بحر عدة شهور اغتيل "عمون" ملك "يهودا" الشاب وابن "منستى" في مؤامرة من مؤامرات القصر، وصعد ابن "عمون"، وكان فتى يافعًا على أكتاف هبة شعبية، إلى العرش(٤١). ولا يملك المرء إلا أن يشتبه في وجود صلة ما بين هذا العمل الذي يتسم بالاندفاع من جانب العوام الذين أطبق عليهم الذعر وعمليات التخريب التي نجمت عن غارة حديثة العهد قام بها وقت ذاك برابرة همج لم تقع عليهم الأنظار من قبل وربما كانوا لا يزالون يجوبون الأرياف(٢٠).

الإمبراطورية الصاوية في المشرق:

بدأ "بوشيًا" Josiah الملك الصبى حكمه فى عالم كانت مصر فيه قد شرعت فى إعادة تأكيد هيمنتها، عن بصر ووعى كاملين فى المناطق التقليدية لمسالحها على المتداد ساحل المشرق. وكان فى طوع مصر أن تأخذ زمام المبادرة فى المشرق، ليس بصفتها وكيلاً عن "أشور" التى كانت قد بدأت انسحابها (وكانت مصر قد وقعت تحت سيادتها لمدة وجيزة)، ولكن باعتبارها بديلاً يعمل من وحى مصالحه، وفسر "أشور-

بنى – بعل فى حقيقة الأمر استقلال بيسمانيك فى العمل على أنه عصيان، إلا أنه لم يكن فى وسعه أن يعمل شيئًا ذا بال فى سبيل الانتقام، فلقد أعقب الحرب المعلقة مع عيلام اندلاع حرب أهلية كثيبة مع شقيق آشور - بنى – بعل الوصى على عرش بابل (١٥٢–١٤٨ ق.م) وجاءت على أثر ذلك غارة تأديبية خاطفة ضد العرب فى المضفة الغربية شرقى "البحر الميت ولكن هذه الغارة كانت بمثابة آخر ظهور الجيش الأشورى فى جهة الغرب وسرعان ما استُؤنفت الحرب الفادحة العواقب مع عيلام واستطالت حتى غطت معظم العقد (= عشر سنوات). ونستطيع أن نصف النصر النهائى الذى أحرزه آشور – بنى – بعل بأنه نصر فادح الثمن لأنه أوصل آشور إلى مرحلة الإجهاد حتى صارت غير مستعدة التصدى لعاصفة التذمر التى كانت لتهب عما قريب.

على امتداد الفترة الصاوية كأن بوسع المرء أن يرى القادة العسكريين وشبه العسكريين بوتيرة متزايدة في مواقع عسكرية في شرق الدلتا. وأخذت التحصينات وصوامع التخزين تنتشر في خط يمتد من "البحيرات المرة" حتى "بحيرة ساربونيس" Sarbonis وفي أحد هذه التحصينات: "دافني" Daphnae (= دوًّار الملك" باللغة المصرية) كانت قد تمركزت قوة عسكرية من الجنود الأيونيين hoplites قبل نهاية حكم "بيسماتيك" الأول(٢٤). كما كان المصريون يتحركون أيضنًا، فيما وراء حدودهم الشرقية باتجاه الشمال. وربما يكون "بيسماتيك" قد تابع نجاحاته الدبلوماسية في أعقاب انسحاب "السيثيان" مباشرة بالاستيلاء على مدينة "أشدود" الفلسطينية، إذا كان لنا أن نصدق "هيرودوت" (٤٤). ولا يمكن أن يساورنا شك في أن "بيسماتيك" مد سيطرته المباشرة، قرب نهاية حكمه، على امتداد الساحل حتى بلغ شمالاً "فينيقيا"، حيث فاخر بأن ضباطه يشرفون على إنتاج الأخشاب المنشورة وتصديرها(٤٠). واستعادت مصر مرة أخرى عن طريق إنزال فينيقيا إلى مرتبة التابع ، مشق العصور القديمة، وقدمت نموذجًا أصليًّا للدعاية السياسية: الجداريات والنقوش على المعابد البطلمية، بعد ذلك بخمسة قرون حيث تعكس الظفر الذي حققه الصاويون مع هذه اللازمة التي تتكرر باستمرار: "وأبناء "فنخو" (= فينيقيا) يحملون إليك (=إلى الفرعون) جزيتهم (٤٦) ولكننا لا نملك في الوقت الحاضير معلومات كافية حول الكيفية

التي دخلت بها الدول الفلسطينية، فيما عدا "أشدود"، إلى الحظيرة الفرعونية. إلا أنه من الجائز جدًا أن تكون "غزة" و عشقلون قد دخلتا هذه الحظيرة طوعًا، وجاء ذلك متزامنًا مع الضعف الذي كان قد أخذ يدب في أوصال "أشور" والغارة التي شنها "السيثيان" والمبادرة المصرية المجددة. وتعكس "العلاقات الطيبة"، التي يذكرها خطاب - أدون (انظر النقاش اللاحق للأمر) دون شك العلاقات القائمة على معاهدة رسمية دخلتها وقت ذاك كثير من المدن الفلسطينية الجنوبية تحت إمرة مصر (٤٧). إلاً أننا لا نعرف سوى أقل القليل عن مصير الساحل الفينيقي الجنوبي بعد الدمار الذي أنزله به حيش "أشور – بني – بعل" (حوالي ١٤٥ ق.م.)، ولكن قبل نهاية حكم "بيسماتيك" الأول بكل تأكيد كانت السيطرة المصرية قد امتدت حتى "صور" وربما حتى "أرفاد" كذلك(٤٨). بل وحتى هناك أدلة على تعيين بنية تحتية من المسئولين المطيين الولايات التوابع الجديدة في المشرق، فهناك رسول معروف، ربما ينتمي العصر الصاوي، يشمل زمامه "مكان - أعان Pekan-a'an الفلسطينية" أي "غزة"، وهناك نص يرجم إلى سنة ٦١٣ ق.م. يحتفي بذكرى دفن العجل "أبيس" (إله الخصوبة في الديانة المصرية القديمة. وقد سادت عبادته في منف . وكان في الأصل أحد تجليات إله النيل "حابي المترجم) ويخبرنا بأن رؤساء لبنان كانوا رعايا للقصر تحت إمرة أحد رجال البلاط الملكي الذي يعيِّن خصيصًا ارئاستهم، وكان بيت المقيم" (المصرى) يقوم بتحديد الضرائب المستحقة عليهم، بنفس المعايير التي تطبق مع أراضي مصر ((١٩).

شملت النتائج غير المنتظرة لاتساع الآفاق أمام مصر وتوسيع هيمنتها، تبادل قوة العمل مع الدول الخاضعة لمنطقة نفوذها لأغراض شبه عسكرية. وكان الزهو المعكوس من جانب المتعلمين والمثقفين المصريين خلال عصر الإمبراطورية قد أسهم لمدة طويلة في نمو روح تسفه وبرّدرى العسكروت (المنزعة العسكرية) في مصر، حتى أصبح يروج بين دوائر الكتاب قرب نهاية المملكة الحديثة صب الاحتقار على لقب ضابط الجيش. وصار بارزًا للغاية في الأدب ذلك الدور المسنود وقت ذاك النموذج الأصلى الجندى سيئ الحظ الذي يكلف بالخدمة في البلاد الأجنبية، إذ تحاصره كافة أنواع المصاعب التي لم تنجم عما قدمت يداه، حتى إن معظم المصريين، لم يروا، غداة سقوط "بيت

رعمسيس، في السلك العسكرى حتى مجرد سلك يمكن أن يقبلوا به كمهنة يمتهنونها في حياتهم، وارتضوا أن يتركوا امتهانه في أيدى الدخلاء الأجانب الذين يقيمون في مصر في أدنى المراتب الاجتماعية، ولم يكن هؤلاء ليمانعوا بالمرة في إنجاز الواجبات الخشنة لذلك السلك. ولقد تضافرت هذه الأعراف التي لا ترحب بالانضراط في فنون الحرابة في مصر، مع ندرة الحديد والأسلحة الحديثة في إنتاج جيش نيلي أدنى كفاءة، بكل تأكيد، من القوات المسلحة في غرب أسيا. ومما لا شك فيه أن "بيسماتيك" أدرك ذلك، ومن هنا نبع استعداده لاستثجار أفضل المحاربين المتوفرين وقت ذاك. ولقد رأينا قبوله الجنود الأيونيين، الورثة الثقافيين والعسكريين لشعوب البحر الجيدي التسليح، أولئك الذين كانوا قد تركوا مثل ذلك الانطباع الإيجابي في الذاكرة المصرية قبل ذلك بستة قرون (١٠٠). لكنه تمنى أيضًا جلب قوات عسكرية من فلسطين وسوريا، فهي أكثر براية من المصريين بتكتيكات الأشوريين البارعة وتسليحهم الأكثر تفوقًا.

فى غضون ذلك أصبحت مصر الصاوية رب عمل مرغوباً بدرجة عالية من جانب الأسيويين وكذلك من جانب اليونانيين، وجاء السوريون حيث وجدناهم يعيشون فى تجمعات خاصة فى "مجدول" و"أتريب" و"منف" وطيبة" و"أسوان" وفى معسكرات مخصوصة فى الدلتا، ومع أن كثيراً من الأدلة المفصلة التى نحوزها بخصوص حياة ووظائف هذه التجمعات مستقاة من الرسائل الخاصة التى ترجع إلى أحفادهم بعد ذلك بقرنين خلال العصر الفارسى، إلا أننا نستطيع رغم ذلك أن نستقرئها فى سبيل إلقاء بعض الضوء على فترة الأصل. ولعله من الواضح، إذن، أن الوظيفة الأولى لكل هذه البيوب كانت شبه عسكرية، رغم عدم وجود أى موانع أمامهم إذا أرادوا الانخراط فى الأعمال التجارية(١٥). لكنهم كانوا منظمين على هيئة "حاميات"(١٦) وكانوا يتلقون رواتبهم من المفزانة الملكية (=العامة). ومع أنهم لم يتخلوا عن تنظيمهم الداخلى رواتبهم من المفزانة الملكية (=العامة). ومع أنهم لم يتخلوا عن تنظيمهم الداخلى الخاص ونظامهم القيادى، إلا أن المصريين أصروا على تعيين ضباطهم هم كى يكونوا همزة الوصل (عنضباط اتصال) بين المانبين في كل حامية(١٥). ولما كان الأجانب يتمتعون بدرجة معينة من الاستقلال الذاتي، وعلاوة على ذلك أثبتوا مراراً وتكراراً أنهم عاجزون عن الامتثال النظام، فلقد كانت مهمة ضابط الاتصال المصرى صبعبة تماماً.

وتلقى نتفة مفعمة بأنين مكتوم من ذكريات قائد مصدى كلف بهذه المهمة بين قوة عسكرية أجنبية على الحدود الجنوبية بعض الضوء على هذه النقطة: صاغ القائد المصدى شكواه الشجية في خطاب إلى إلهه على هذا النحو: "عندما انتشلتني من الموقف الصعب الذي تسببت لى فيه قوات الآسيوبين واليونانيين والسوريين وغيرهم الذين كانوا قد بيتوا النية على الهرب إلى السودان، ولكن رئيسهم أقنعهم بالعدول، في أخر لحظة، عن الخطة(١٥).

كان لندو غربيًا لو أفلتت "يهودا" دون سواها من نفس الجاذبية المغناطيسية التي مدتها مصر الصاوية إلى سبائر مناطق شرق البحر المتوسط. وحقيقة الأمر أن الأدلة واضحة لا لبس فيها البتة. فإحدى البرديات التي ترجم إلى القرن الخامس ق.م. وكشفت عنها عمليات التنقيب التي جرت في الحي اليهودي بجزيرة 'إليفانتين' بجنوب مصر، تقرر أن الضريح المحلى الذي بنته الحامية كان لا يزال قائمًا في الرجود عندما أنزل تقمبيز الهزيمة بمصر في سنة ٥٢٥ ق.م. (٥٥) واوح/صادود الاعتماد للسنة التاسعة للفرعون "بيسماتيك" الأول (٥٦ ق.م.) يورد بالفعل أشياء لا بأس بها عن مستوطنات 'شاسو الجنوب' في الدلتا(٢٥). ولعل العرف الذي تأتى هذه التلميحات انعكاسًا له، مدان على وجه خاص، إن لم نقل على وجه جاف في سفر "تثنية الاشتراع ١٧: ١٦ لا يستكثر (أي الملك) من الخيل، ولا يرجم الشعب إلى مصر كي يستكثر من الخيل." ولما كان من غير المشكوك فيه أن "سفر التشريم" الذي قد عثر عليه في معبد "أورشليم" في السنة الثامنة عشرة من حكم "يوشيًّا".Josiah (حوالي ٦٢٣ ق.م.) كان رواية مبكرة من "تثنية الاشتراع"، فلابد أن إرسال أبناء "يهودا" إلى مصر كان سياسة ملكية في الفترة رمن الحديث - خلال المقدين الأوليين لحكم "يوشيًا" -وربما كان ذلك ساريًا بالفعل تحت حكم "منسِّي" و"عمون". وعلى أي حال هذه الفترة كانت معاصرة من بدء سياسة "التوسع في اتجاه الشمال" Drang nach Norden، تلك التي انتهجتها الأسرة السادسة والعشرون،

فى سياق إعادة "بيسماتيك" تأكيد السيطرة المصرية على الساحل المشرقي، استخدم أيضًا قوات المرتزقة التي جلبها في تزويد المعاقل التي أقامها بالرجال. وكان

أحد هذه المعاقل قد ظهر النور خلال عمليات التنقيب التي جرت في "مصد هاشفياهو ً Mesad Hashavyahu على بعد غير بعيد من "أشدود" على الساحل. وهنا نجد الفخار اليوناني الذي يرجع إلى الفترة الواقعة ما بين ٦٢٥ حتى ٦٠٠ ق.م. يدل على وجود مقيمين هيلينيين، (٥٧) مع أن الوثائق التي كشف عنها هذا الموقع تشير إلى مُجتمع محلى تربطه عادات نعرفها من "التوراة". وإلى الجنوب الشرقي ظهرت إلى النور قطع ممائلة من الفخار في "تل الملاح" Tel Melah في 'النقب". وفي نفس المنطقة أ في قلعة "أرد" عند حدود "يهودا" تذكر الأرشيفات التي خرجت من باطن الأرض خلال عمليات التنقيب التي قام بها 'أهاروني' Aharoni قوات عسكرية من الـ 'كيتيم' Kittiyim ، وهو الاسم الذي تطلقه "التوراة" على اليونانيين، الذين كانت سلطات "يهودا" توزع عليهم حصيص تموين (٨٨). ويبدو من الأصوب، عوضاً عن القول بأن "يهودا" التي كانت واقعة في أعماق البلاد ويعيدة عن الساحل قد وضعت في خدمتها جنودًا يونانيين، أن نفسر وجودهم في هذه المنطقة كنتيجة للتغلغل الإمبراطوري لمصر. هل كانت "يهودا" التي كانت تحت حكم "يوشيًّا"، قد وقعت معاهدة مع "بيسماتيك"، ويموجبها عانت من الهبوط إلى منزلة التابم، هذه نقطة لا تزال محل نقاش: "التوراة" لا تذكر مثل هذه المعاهدة، ولكن اتفاقًا من نوع ما قد يكون أقدر على تفسير أداء أبناء "يهودا" خدمتهم العسكرية في مصر نظير إرسالها (=أي مصر) الخيول وتزويدها الحاميات هناك بقوات يونانية.

شهدت سنة فى تطهير العبادة فى مملكته، التى كان قد بلغ من العمر إحدى وعشرين سنة فى تطهير العبادة فى مملكته، التى كان قد نجح فى إيقافها على قدميها قبل عدة شهور وحسب، وفى مصر كانت ميريت - نيت (= حبيبة الإلهة نيت بالمصرى)، ابنة بيسماتيك الأول تعانى من رمد فى عينيها فى هذه السنة، وتتضرع إلى أمين - حوتب بن هابو الطبيب المقدس كى ينقذها من بلائها. وفى "بابل شهدت تلك السنة: ٧٢٧ ق.م، وفاة "كاندالانو" Kandalanu نائب الملك (= المندوب السامى) الذى كان الأشوريون قد عينوه فى هذا المنصب قبل عقدين. وأكثر بعداً عن أرض الوطن، شهدت هذه السنة استمرار هيمنة "المسيثيان" فى الشمال، والصعود المطرد لنجم "الميدين" فى

"زاجروس"، واستيلاء "بيرياندر" Periander الكورنثى على السلطة هناك، والقضاء المبرم على الانقلاب الذي دبره "سيلون" Cylon في "أثينا"، بل والأشد أهمية بالنسبة السائر أرجاء العالم القديم: كانت تلك السنة هي التي شهدت رحيل "أشور - بني - معل"(١٠).

مع أننا نستطيع، خلال الاستفادة من حكمتنا المتأخرة في عصرنا الحديث، أن نقول بانتفاء الخطأ في تقييم مغزى هذا الصادث، إلا أنه ليس من المرجع أن يكون معاصروه قد اقتنصوا على الفور ما الذي يعنيه بالنسبة لتوازن القوى في ذلك الوقت. فلقد أخذت القلاقل تتفجر بشكل متفاقم كلما أخذ الملك المريض يقترب من نهايته، وعقب رحيله ألقى عصيان خطير بظلال الارتباك على صعود ابنه للعرش. فلقد اندلع وقت ذاك تمرد "بابل"، الذي لاحت نذره قبل رحيل "كانكالانو" Kanklanu بقوة غير مسبوقة. وفي نوفمبر/هاتور سنة ٦٢٦ ق.م. استولى شخص "كلداني" Chaidaean هو "نابوبولاسر" المهاوم المضاور المهاوم المضاورين "بابل"، وعلى امتداد سنتين صد الهجوم المضاد للجيش الأشوري. وبطول سنة ٦٢٣ ق.م. صار واضحاً أن الشورة قد ضمنت النجاح: تحررت "بابل" وأصبحت قوة متعاظمة، بينما نزات هزيمة فادحة بـ "أشور" وأخذت تمر بأزمة على مستوى القيادة (١٠٠).

سرعان ما أعقب ذلك رد فعل العناصر القومية داخل مجال النفوذ الخاص ب أشور"، إذ ظل البعض على ولائه القديم، بينما انصاز أخرون إلى المتمردين البابليين. وفي الغرب انتهز "يوشيًا" الموقف في سنة ٦٢٣ ق.م. كي يضم مقاطعة ساميرينا "Samerina الأشورية، (١٦) ويحمل إصلاحاته في مجال العبادة إلى حد أقصى، وهو الأمر الذي كان في العصور الماضية ليستوجب تدخل السلطات الأشورية بفرض المظر (١٦). وكان رد "يهودا"، في أرجع الأحوال، على الموقف الدولي نموذجًا لل جرى في كل مكان آخر في فلسطين وسوريا، عندما زالت حاميات "آشور" وحكامها ومحيت كافة رموز الهيمنة الأشورية.

أما رد فعل مصر، من جانب أخر، فكان غير منتظر، وفي نفس الوقت ثاقب البصيرة. فلقد كانت الرؤية العالمية مختلفة بصورة ملحوظة على ضفاف النيل

عما كانت عليه عند نفس نقطة الاستشراف قبل جيلين عندما ارتك الأشوريون فظائعهم ضد مدن مصر. الآن وصلت "أشور" مشارف الزوال. وجاء أولئك الذين سيحلون محل 'أشور من بين صفوف البرابرة الذين لم يصقلهم تعليم من أي نوع، من 'الكلدانيين' و"الميديين" و"السيثيان" الذين كانوا قد برهنوا منذ وقت طويل على المدى الذي قد يصل إليه سلوكهم الفظ تجاه الثقافات القديمة الراقية، تلك الثقافات المتمدينة في الشرق الأدنى. وأصبح توازن القوى في غرب أسيا، الذي ظل ساكنًا لما يصل إلى ثلاثة قرون مهددًا الآن بالانقلاب رأسًا على عقب مع جلب عواقب، لا يستطيع أن يتكهن بها أحد، في المنطقة التي تنطوي على أهمية قصوي لـ "أمير - تاجر"، وعلى التجارة والمبادلات التجارية، ويبدو في أرجح الاحتمالات، بالتالي، أنها الرغبة في الحفاظ على استمرار الوضع الدولي، على ما هو عليه status quo، أكثر من أي حب له أنشور مي التي دفعت 'بيسماتيك' العجوز إلى الإقدام على مثل تلك الخطوات العسكرية المذهلة التي تميَّز بها العقد الأخير من حياته. فلقد كان البابليون، مثلما كان عليه الحال في السنوات التي أعقبت سنة ٦٢٣ ق.م.، يواصلون رد الأشوريين على أعقابهم على ضفاف 'دجلة'، كي يحتلوا مواقع تمكنهم من تشكيل تهديد خطير لقلب أراضي الإمبراطورية السابقة، وهو الأمر الذي قرر معه 'بيسماتيك' ألا يقف على الحياد وأن ينهض دون توان كي يساعد قاهريه السابقيس. وفي أواخر معيف سنة ٦١٦ ق.م.، وبينما كان تابويولاسس" Nabopolasser وقواته يجتاحون بالاد أواسط "الفرات"، ظهرت تجريدة مصرية كي تأخذ، بالتعاون مع القوات الأشورية، في مطاردة البابليين الذين لجنوا إلى الانسحاب في منتصف الطريق أسفل 'الفرات'. حقًا لم يحدث اشتباك وكلا الجانبين انسحب بنظام تام، ولكن مصر كانت قد كشفت عن زندها.

أثبتت السنوات الأربع التالية أنها حاسمة بالنسبة لنتائج الأعمال الحربية (٦٢). ففى سنة ١٧٤ ق.م.اكتسبع "سياكساريس" Cyaxares وقواته الميدية Median مدينة أشور" بصورة مفاجئة، ثم وقع معاهدة تحالف مع "نابوبولاسر". وفي مايو/بشنس سنة ٢٧٢ق.م. فرضت القوات البابلية والميدية وقوات "السيثيان" المشتركة الحصار على "سين - شار - إشكون" Sin-shar-Ishkun، ملك "أشور" في عاصمته في "نينوي. وفي

أغسطس/مسرى من نفس السنة سقطت العاصمة الأشورية وضحى الملك سين - شار - إشكون بحياته داخل قصره، وأسلم الغالبون المدينة للسلب والنهب والتدمير بلا رحمة أو شفقة. ومع أن فلول العائلة المالكة تحت ظل ولى العهد "أشور - أوباليت الثانى فرت غربًا كى تقيم حكومة فى المنفى فى حران "Harran إلا أن "آشور" لم يعد لها وجود ك "أمة - دولة"، ولم يذرف عليها أحد، على وجه التقريب، دمعة أسف واحدة. ويل المدينة الوحشية التى طالما تلطخت أيديها بالدماء، كل شيء فيها مفعم بالأكاذيب والغنائم!...ليس هناك ما يخفف آلام جرحك، فجرحك غائر. كل من يسمع أخبارك يصفق بيديه شماتة فيك، فمن ذا الذى لم تنزل به شرورك التى لم تنقطع يومًا؟ (١٤)

يصعب علينا فهم حالة السكون التي لزمتها مصر خلال هذه الفترة حيث لم يرد ذكر لأي قوات مصرية في التأريخ البابلي البنود المدرجة من سنة ٦١٥ حتى ١١٦ ق.م. ولعله من المؤكد أن الأشوريين كانوا ليستفيدوا من العون المصري، حتى ولو أن مصيرهم النهائي، ربما، ما كان إلا أن يتأخر قليلاً. إذ ينبغي علينا، أن نضع حقيقتين الثنين، على وجه الإحتمال، في الصببان:

الأولى: بالنسبة لتجريدة عسكرية مصرية كى تؤدى مهمتها فى أعالى نهر "الفرات، مثلما كان عليه الحال فى سنة ٢١٦ ق.م. فهذا أمر قابل التنفيذ بل ويحمل فرصة النجاح: كان الساحل المشرقى الخاضع للسيطرة المصرية قريب المنال، بينما شكّل نهر "الفرات" خطًا يمكن الدفاع عنه، ويستطيع المرء الانسحاب خلفه إذا اضطر إلى الانسحاب. من جانب أخر، كان النهوض إلى مساعدة "أشور" و"نينوى" على "دجلة" فى أعماق الشرق لا يعنى سوى دعوة النكبة، خصوصاً فى ضوء السيطرة التى يتمتع بها "الميديون" و"السيثيان" على سهول "ميزوبوتاميا" (= بلاد الرافدين).

الثانية: في سنة ٦١٥ ق.م. كان الفرعون "بيسماتيك" الأول يقترب في أرجع الاحتمالات من السنة السبعين من عمره، وربما يكون قد وقع فريسة المرض (٢٠٠). ولا يستطيع المرء إلا أن يتخيل كم أثرت تجريدة سنة ٢١٦ ق.م.التي لم تحرز نجاحًا، على حاكم طاعن في السن، فلقد ظل كل قرار سياسي يتخذه يتميَّز طوال خمسين سنة قضاها في عرش مصر، بالحذر والتحوط. وربما يكون 'بيسماتيك" قد تنبأ بالانهبار الوشيك

لحليفه الذي ظل كذلك أي حليفًا حتى وقت ذاك، وأحجم عن دفع قواته الدفاع عن قضية خاسرة.

مع 'رحيل الفرعون 'بيسماتيك' في سنة ١٠٠ ق.م. استؤنفت سياسة التدخل. وحتى قبيل وفاته ربما يكون 'بيسماتيك' الأول قد فوض قوات الحاميات على اغتداد الساحل (الفينيقي؟) كي تتحرك إلى حران لتسناعد 'أشور - أوباليت' -Ashur الساحل (الفينيقي؟). وقد قضى الفرعون العجوز أيامه الأخيرة متنقلاً بين حامياته في شرق الدلتا (١٦). وهذه حقيقة لا نستطيع تفسيرها إلا على أنها تشير إلى أن جلالته كان لا يزال مهمومًا بإرسال التجاريد العسكرية إلى خارج البلاد. وعلى أي حال، كان ابنه وخليفته "نيخو" الثاني يحبذ إلى حد بعيد تجديد التدخل العسكري.

حظى الفرعون نيخو الثانى، من بين سائر فراعنة الأسرة السادسة والعشرين بإعلام سيئ والأدق بنسوأ إعلام (١٨). ولما كان تيخو منذ البدء رجل أفعال لا أقوال، وموهوبًا بخيال خصب ربما أخصب مما كان يملكه معاصروه، فلقد صادفه سوء حظ مكن للانطباع بأنه فاشل: بحكمة متأخرة نستطيع أن نقول إن نزعته للفعل صنورت على أنها تهور، وخياله الخصب بأنه لا يعدو كونه أحلامًا غير واقعية. وإذا كنا نستطيع أن نرصد قدرا ما من الميل نحو التسلط (بالتضافر مع طبع مجبول على الانفعال؟) في السجلات الشحيحة التي تركها وراءه، فإن ذلك يجب أن يتوازن عن طريق لمحة قصيرة لصورته في الأدب الفولكلوري، تلك الصورة التي تكشف عن قاض كريم النفس يقضى بالعدل (١٩).

لم تكن الشهور الأولى من الحكم الجديد لتبشر بالخير. فلقد ثبت، فيما يبدو، أن القوة العسكرية التى أرسلها إلى "حران" لمساعدة "أشور - أوباليت" الثانى كانت صغيرة للغاية في مواجهة الواقع، وفي أكتوبر/بابة سنة ٦١٠ ق.م.عندما تقدمت قوات البابليين و"السيثيان" جنبًا إلى جنب، هرب ملك "أشور" وحلفاؤه عبر نهر "الفرات"، تاركين المدينة كي تسقط في أيدي "نابوبولاسر" (١٠٠). وكان ذلك ثقيلاً على فؤاد "نيخو"، الذي قضى فصل الشتاء في حشد تجريدة عسكرية أكبر من كل ما أرسل حتى ذلك الوقت إلى أسيا (١٠) وصارت في ربيع سنة ٢٠٩ ق.م. جاهزة للانطلاق. وكان الدرب

على امتداد الساحل يسير في نفس المسار منذ ٠٥٠ سنة أي منذ الفاتح الأكبر الفرعون "تحوت - موسى" الثالث، ويمر عبر سيناء إلى "غزة" خلال فلاسطين Philistine وسهل "شارون" إلى سلسلة جبال "الكرمل"، وعبر المر الذي يخترقها إلى وادى الأردن، وعلى غرار ما حدث مع الفاتح الجليل الذي سبقه على هذا الدرب، تكبد هو الآخر كمينًا على غير انتظار.

سالت كميات كبيرة من الحبر في سبيل محاولة التوصل إلى الدافع الذي فرض الهجوم الذي شنه "يوشياً" على القوات المصرية عند "مجدو" Megiddo) وكننا إذا نظرنا إلى الأمر من نقطة الاستشراف (= وجهة النظر) لربيع سنة ٢٠٩ ق.م. فإن هذا الهجوم يكتسب معنى بارزًا للعيان. ففي بحر خمس سنوات لم يتعرض تحالف البابليين والميديين و"السيثيان" لأي هزيمة، بل وكان قد شن هجومًا لا يقاوم على الأشوريين، ولم يستطع هؤلاء الأشوريون أن يفعلوا شيئًا سوى الانسحاب: كانت أشور" و"نينوي" قد اكتسحتا معًا، وجرى الآن التخلي عن حران. ولقد أثبت المصريون أنهم غير قادرين على تحويل مجرى الآن التخلي عن حران. ولقد أثبت غير فعال، وهذه المرة وهي الثانية، في غضون شهور من القرار الخطير الذي اتخذه عوجة قادمة من آفاق المستقبل، ولدة قرن، زد على ذلك، منذ المفاتحات التي بدأها موجة قادمة من آفاق المستقبل، ولدة قرن، زد على ذلك، منذ المفاتحات التي بدأها مروجة قادمة من آفاق المستقبل، ولدة قرن، زد على ذلك، منذ المفاتحات التي بدأها مروجة قادمة من آفاق المستقبل، ولدة قرن، زد على ذلك، منذ المفاتحات التي بدأها شريكًا في وحدة المصالح مع "بابل" في إطار السياسات الدولية. ولقد رأى "يوشيًا" في نفسه حليقًا لقوات الحق في سبيل تدميرها النهائي لـ "أشور".

حاق الفشل بالتدخل الذي قاده "يوشيًا" عند ممر "مجدو"، ولو أنه كان عمالاً جسورًا، ولكنه فشل وحصد معه روح ملك لا يتجاوز من العمر تسعة وثلاثين سنة. ولابد أن هذا الفشل أصاب "يهودا" بالصدمة والفزع: كثير من الملوك يخسرون المعارك ولكن قليلين منهم يخسرون حياتهم أيضنًا في سياق ذلك. وعندما دخل جثمان "يوشيًا" "أورشليم"، تفجرت ثورة هائلة استولى العامة فيها على السلطة كي يضعوا: "يهوأحاز"، كالماهاد، أحد أبناء "يوشيًا" الصغار على العرش (١٤٧). وكان هذا العمل متعمدًا حيث

يهدف إلى إزاحة ولى العهد وأكبر أبناء يوشيًا": إلياقيم Eliakim، الذي يرجع أصل جده إلى منطقة الجليل (٢٠١) وهو "بيديا" Pediah الذي حمل اسمًا يشبه أسماء المسريين، واتضح فيما بعد، أن الرجل كان يمثل جناحًا يضمر ميولاً مناصرة لمصر داخل بلاط "يهودا".

لم تصل أنباء هذه الأحداث من فورها إلى "نيخو". وأولا ذلك لكان زحفه في اتجاه الشمال قد مضى دون عائق، ويحلول أواخر يونيو/بؤونة كان قد انضم إلى قوات أشور – أوياليت Ashur-uballit حيث عبرا سويًا نهر "الفرات" وفرضا الحصار على حران (٧٧). ولكن حصار المدينة لمدة أربعة شهور انتهى إلى الفشل في الاستيلاء عليها، إلا أن "نيخو" كان قد أقام قبل نهاية الحصار مقرًا له في "ربلة" Riblah في قلب سوريا وشرع في إعادة تنظيم المنطقة حتى "كركميش" Carchemish في أعماق الشمال كولاية نابعة لمصر. وإلى "ربلة" استدعى في أواخر الصيف الحكام المحليين في فلسطين وسوريا، وربطهم بالتاج المصرى بأداء يمين الولاء، وبالمعامدات والالتزامات الضريبية. وإذا حكمنا استنادًا إلى نموذج "يهودا"، فلقد وجدت الأحزاب الموالية لمصر التشجيع. ولما لم يكن الفرعون "نيفو" ينظر بعين العطف إلى "يهواحاز"، فلقد أدى ذلك التشجيع. ولما لم يكن الفرعون "نيفو" ينظر بعين العطف إلى "أورشليم"، بعد أن غير إلى خلعه عن العرش وإرساله مكبلاً بالقيود إلى مصر، وتنصيب أخيه الأكبر "إلياقيم" له السمه إلى: "يهوياقيم" مالماله المالكم الجديد إلى "أورشليم"، بعد أن غير "المقررة. ولم يكن في وسعه أن يقوم بذلك دون عون، في وجه العداء الذي يمور في جوانب الشعب، وقد يحق لنا هنا أن نرجع أنه انتفع بخدمات قوات مصرية.

أيقظت الأحداث البالغة الأهمية التي شهدتها سنة ١٠٩ق.م. في دولة "يهودا" صراعًا فسنويًا ظل خامداً لمدة ثلاثين سنة. كأن السكان المطيون العاديون المعادون للأشوريين، وبالتالي في هذه الحالة معادون للمصريين أيضًا، وفي ظل التوصيف الراهن اسياسات الشرق الأدنى، مؤيدون للبابليين، قد فقدوا زعيمهم الظاهر "يهواَحاز" الشاب: كان أخوه الأصغر "متنياح" Mattaniah، الذي اتضع، كما سنرى من سير الأحداث، أنه كان في الأصل مؤيدًا للبابليين، لم يكن ليتجاوز عشر سنوات

من عمره، ولم تكن السياسة قد حنكته بعد. ومع ذلك فلقد أكد أبناء المستويات العليا في البلاط الملكي، بقيادة الابن الأكبر لم "يوشيًا" الملك "يهوياكيم Jehoiakim باعتزاز ميولهم الموالية لمصر، الآن، بعد أن اتجه نجمها نحو الصعود. ولكن الوضع كان لا يزال ملتبساً سريع التقلب والموقف السياسي الذي اتخذته "يهودا" ينضع بالرياء: (ما أبعد ضلالك بتغييرك طريقك، إنك ستخزين من مصر كما خزيت من "أشور"!)(٧٩).

واضع هذه الكلمات، الذي ريما يكون قد صنَّف نفسه بين عامة الناس، يتعيُّن علينا رفعه إلى مرتبة أعظم الشعراء التراجيديين (=كتاب المراثي) الأكثر موهبة ألذى أنجبهم العبرانيون القدماء طوال تاريخهم، وهو مؤسس مفهوم لاهوتي لم يتجاوز سموه مثيل في تاريخ اليهودية بأسره. انحدر "إرميا"، وهذا هو اسمه، من عائلة ريفية من الكهنة تقيم في "عناثوث" Anathoth الواقعة شمالي "أورشليم"،(^^) ولم ينتقل بسهولة بين السكان الراقيين للعاصمة حيث استمر يعيش كشخص ريفي لا يستطيع الاقتراب من حياة البلاط. ولما كان "إرميا" قد ولد في سنة ٦٢٧ ق.م.أي في السنة الثالثة عشرة لـ بوشيًا" على العرش(٨١). فلقد نشأ "إرميا" النبي وترعرع في ذلك الجو الجامح الذي تميِّز بتحطيم الصور والتماثيل (=الأصنام)، أي في جو الإصلاح، ومع أن عائلته نفسه لا بد وأن تكون قد حرمت من حقوقها الرعوية إلى حد ما، في ظل عملية تركيز العبادة في محبيد "أورشليم"، إلاّ أنه، مع ذلك تربي على تأييد ذلك "الإصبلام" لمضيمينه الأخلاقي. ومع ذلك فإن عبادة المعبد الراقية بطقوسها وأضاحيها، قد أودعت في سفر "الأحبار" في وقت لاحق بأوصاف دقيقة، ولكن "إرميا" النبي قال بانتفاء الحاجة إليها ومضى إلى حد القول بافتقارها إلى أي أساس في تقاليد الأمة. ولقد صنُّور 'إرميا' النبي، "يهوه" وهو يقول للشعب: "استمروا في تقريب قرابينكم المحروقة وأضاحيكم وأكلوا اللحم! ولكنني لم أتحدث مع جدودكم ولم أصدر أي وصبية في اليوم الذي أخرجتكم فيه من مصر، بشأن حرق القرابين أو الأضاحي! (^(٨٢) هل شرع "إرميا" النبي يفصم عن مثل هذه الأقوال العلنية قبل رحيل "يوشيًّا"، تظل نقطة محل نقاش،^(٨٢) ولكنه من المؤكد أن أحداث سنة ٦٠٩ ق.م. استدعت سيلاً منهمراً من مثل تلك الأقوال.

تعرف معظم الجماعات العرقية في العالم القديم، بما في ذلك المصريون، تلك الظاهرة الاجتماعية التي تنطوي على رجل مقدس يلعب دور الناطق باسم الإله، خلال

الشطر الأعظم من فترات التاريخ. وسواء أكان ذلك الرجل المقدس هو "الساحرالمقرئ في مصر، أو الرائي أو النبي في دول غرب اسيا، أو النبي- الكاهن في
بلاد الرافدين، (١٨) فإن هذا الناطق المقدس بلسان الإله يؤدي نفس الوظيفة: يمتلك
قدرات غير طبيعية يستطيع الجميع، بسهولة، أن يتعرفوا عليها، كما يمتلك موهبة
طلاقة اللسان، وفي غالب الأحيان يصطدم بالسلطات خلال دفاعه عن قضية
المضطهدين. فالنبي هو صمام الأمان المجتمع.

استدعت السرعة التي كانت تتغير بها التحالفات السياسية للأمم المختلفة اعتبارًا من سنة ٦٢٣ق.م. زيادة كبيرة في عدد مثل هؤلاء الأنبياء. ويعضهم مثل صفنيا" Zephaniah صبوا لعناتهم، وقد استحثهم تدمير "نينوي"، (٨٥) على أولئك الذين برتكبون المظالم الاجتماعية، وابتهجوا لاحتمال وقوع غزو كلداني عما قريب، كما لو كان هذا الغزو هو الأداة التي اختارها الإله لمعاقبة "يهودا (٨٦)، وبعضهم الأخر، ولو أنهم كانوا قليلين، وجههوا، في ضوء حرصهم على تشجيع الإحباط العام الناجم عن وصول "يهويناقيم" Jeholakim إلى الحكم، نقدهم العلني اللاذع نحو موضوع أكثر حساسية بكثير: استمرار 'أورشليم'، بمعبدها، على قيد البقاء. فم 'أوريا' النبي Uriah في "كريات يريم" Kirjat Jearim) و"إرميا" النبي في "أورشليم" (٨٨) فتحا معًا فرجة في ساحة منبر عمومي كي تنفذ منها التكهنات بالمسير المحتوم، إلا أن التحالف الموالي لمسرالذي شكُّه "بهوياقيم" Jehoiakim، من سنة ٦٠٩ هتى ه٦٠ق.م. كان يركب قمة موجة عالية، فضلاً عن أنه لقى التشجيع خلال الأعمال النشيطة التي أقدم عليها الفرعون الجديد، ولم يكن باديًا عليه أي على تحالف "يهوياقيم" أنه قد يتسامح مم مثل تلك المعارضة الصنادرة من صنفوف العوام، فلقد أصندر "يهوياقيم" ملك "أورشليم". أواميره بإلقياء القيض على "أوريا"، وعندما في هذا النبي إلى منصير، التنمس ملك "أورشليم" من المسريين الإذن بترحيله، واقتيد "أوريا" المسكين عائدًا إلى بلاده كي ينزل في حقه حكم الإعدام^(٨٩). وأولا تدخل "أهيكيام" Ahikam الضيابط الملكي وهو. تدخل جاء في حينه، لكان 'إرميا' النبي قد لقى بالتأكيد نفس المصير (١٠).

كانت الرياح، في حقيقة الأمر، قد تحولت لصالح "نيخو". فمع أن حصاره لـ "حران" انتهى إلى الفشل، إلا أن حجم الجيش الذى استطاع أن يحشده، بهر بالضرورة "نابوبولاسر"، فحتى سبتمبر/توت ظل البابليون يحجمون عن المضى قدمًا في سبيل تحقيق أهدافهم في غرب بلاد الرافدين (= ميزوبوتاميا). ولم يذكر "التأريخ البابلي" وجود أي تجريدة (=حملة عسكرية موفدة خارج الوطن، المترجم) مصرية حتى سنة ٢٠٦ ق.م،، وبالتالي فالاحتمال الأرجع أن تكون حملة "نيخو" في سنة ٢٠٦ ق.م. والحامية التي تركها وراءه كافيتين لتدعيم صمود سوريا في وجه التهديد الجديد الذي شكلته "بابل".

انتهز "الفرعون "نيخو" هاتين السنتين والنصف (خريف ١٠٥ حتى ربيع ٦٠٦ ق.م.) في بدء العمل في عدد من المشاريع الجديدة. وكان وقت ذاك أن طرأت على ذهنه فكرة ري وادي طومبلات عن طريق شق مجري مائي، "قناة الشهرق" من منتصف بحيرة 'خاروم' Kharom، على وجه الاحتمال وبطولها حتى الطرف الشمالي لـ خليج السويس (١١). وعلى ضفتها الشمالية على بعد حوالي أربعة وعشرين كيلو مترًا من الخليج ، أقام "نيخر" حصنًا حدوديًا ومستودعًا يسمَّى بيت أتوم ، وهو إله يرتبط بصورة حميمة بهذه الرقعة الشرقية من البلاد، ولما كان الاسم باللغة المصرية هو "بير-أتوم فلقد ظهر على وجه السرعة في أسماء الأماكن باللغة العبرية كـ "فيثوم"، وذكرته 'التوراة في وقت لاحق كاسم لاحدى المدينتين اللتين بناهما الإسرائيليون خالال عبوديتهم في مصر(٩٢). وتلخص الغرض من هذه العملية الطموحة التي قام بها الفرعون في تمكينه من العمل طلق اليدين على ضفاف النيل وسواحل البحر الأحمر، وربما الفتح مسالك جديدة الشن الهجوم على "بلاد الرافدين" (= ميزوبوتاميا). وفي سبيل هذه الغاية نصب التريرمات (= سفن قديمة تحمل مجاديف على ثلاثة جوانب. المترجم) التي مينمها نجارو السفن اليونانيون^(٢٣) في الأحواض التي أنشئت على سياحل البحر الأحمر (٩٤). ولقد كُلُّفت على وجه الاحتمال بأداء عمليات خاصة في خليج "العقبة" وجنوبًا حتى مضيق "باب المندب". وكانت إستراتيجية "نيخو" سديدة، إن لم نقل بارعة، في وجه التوسيم البابلي، ولكنها أسفرت عن نتائج تجارية غير منتظرة. فكما سبق لنا أن ذكرنا، ظهر، طاقم البحارة الفينيقيين الذي كان يعمل في خدمة "نيخو" وأرسل لأداء

مهمة ما جنوبًا فى البحر الأحمر، بعد ذلك بثلاث سنوات فى البحر المتوسط، بالدوران حول أفريقيا (٩٥). وهذا الإنجاز لا يستطيع أن يدهش سوانا نحن المحدثين. إلا أن فتع "بونت" Pwenet القديمة فى شرق أفريقيا والتجارة التى نجمت عن ذلك فى البضائع الإستوائية بالنسبة للقدماء كان، بالضرورة، على جانب عظيم من الأهمية.

إلى جانب التجهيز للحرب، استغل تيخو سنواته الأولى بالطريقة القديمة قدم الزمان، التي تركها وراهم الفراعنة المصريون الأتقياء: أن يجعل عمليات التشييد تقف مرة أخرى على قدم وساق. ففي السنة التي أعقبت تنصيبه (أي سنة ١٠٩ق.م. وبعد عودته مباشرة من سوريا) افتتح حارة جديدة في محاجر 'طرة' كي يستخرج منها أحجار البناء (١٩٠).

وفي سنة ٢٠٧ ق.م. عاد تابوبولاسر ملك بابل إلى شن الهجوم في غرب بلاد الرافدين (= ميزوبوتاميا) (١٠٠). فلم يستطع البابليين أن يطيقوا وجود حامية مصرية قوية في تكركميش ، طالما ستبقى بلاد الرافيدن في قبضتهم خالية من التدخل الخارجي. إلا أن محاولة اقتلاع شوكة المصريين، مع ذلك، عن طريق هجوم جبهوى على تكركميش قد لا يصادفها النجاح، وبالتالي اكتفى تابوبولاسر بالسعى بادئ ذي بدء نحو عزل الحامية عن طريق دفع رأس رمح عبر شمال سوريا موغلاً باتجاه الجنوب. وفي سبيل هذه الغاية قاد قواته في مطلع خريف سنة ٢٠٠ ق.م. عبر نهر الفرات على بعد حوالي خمسة وأربعين كيلومتراً جنوبي تكركميش واستولى على مدينة تكوموخ المستشعر تابوبولاسر راحة البال، فعاد إلى بابل في فبراير/أمشير مناك، وعندئذ استشعر نابوبولاسر راحة البال، فعاد إلى بابل في فبراير/أمشير سنة ٢٠٠ ق.م. غير أن نيخو لم يكن على استعداد لأن يترك طعنة العدو دون رد. فاستدعى الجيش في ربيع سنة ٢٠٠ ق.م. وأرسله من فوره إلى شمال سوريا، وسرعان ما ألقى الجيش المصري حصاره حول تكوموخ واستولى عليها في أواخر الصيف، بعد أن دام الحصار أربعة شهور. وفي عمل ينم عن الوحشية وفي نفس الوقت يشير أيضاً أن دام الحصار أربعة شهور. وفي عمل ينم عن الوحشية وفي نفس الوقت يشير أيضاً إلى تصميمه، أسلم "نيخو" الحامية البابلية لحد السيق (١٠٠).

اكتسبت الحرب الآن قوة دفع ذاتية: لم يكن أى طرف من الطرفين راغبًا في التراجع، وفي غضون بضعة أسابيع وحسب من سقوط "كوموخ" شن "نابوبولاسر" هجومًا مضادًا. ويحلول مطلع أكتوبو/بابة عسكرت قواته في قروماتي "Gurumati على نهر "الفرات" جنوبي "كوموخ" وأخذ البابليون يغيرون عبر النهر. لكن هذه الغارات لم تضعف مركز المصريين. وحقيقة الأمر عندما ترك "نابوبولاسر" جيشه في "قروماتي" في أواخر يناير/طوبة كي يعود إلى "بابل" عبرت الحامية المصرية التي تتمركز في كركميش" على وجه السرعة وزحفت على "قروماتي"، كي تجبر القوات البابلية على الفرار في اتجاه الجنوب الشرقي.

اعتبارًا من هذه النقطة يبدو أن "الوثوب الحيوى" للبابليين قد عاد مرة أخرى إلى الانتعاش، فلقد كان ذلك هو المرة الأخيرة التي يظهر فيها "نابوبولاسر" في ساحة القتال، وقد يشى انسحابه المفاجئ إلى "بابل" في شتاء ٥٠٥ق.م. بأن مرضاً ما ألم به. وعلى أي حال، احتل موقعه ابنه الأكبر ولى العهد "نبوخدرصر" احتل عملياته. إلا أن الشانى الذي كان في عون والده طوال السنتين السابقتين خلال عملياته. إلا أن "نبوخدرصر" اكتسب، نتيجة لذكره بصورة ملتبسة في "التوراة"، صيتًا ماسخًا كطاغية، ولكن ليس هناك في السجل التاريخي، إلا أقل القليل، مما يوحي بأنه كان أسوأ أو أحسن في سلوكه الأخلاقي، من أي ملك أخر في ذلك العصر. ولكن حظه العاثر شاء أن يكون الملك الذي دمر - لسبب يمت بصلة لأعراف تلك الأيام - "أورشليم" وأنهى وجود "يهودا"، وألف سفر "الأسر البابلي" (على سبيل المجاز وحده فليس هناك، كما هو معروف سفر بها الاسم. المترجم) ولعل هذا هو السبب الذي يقف وراء تلقيه "إعلامًا سيئًا" بصورة فاحشة.

يشى أول عمل يقوم به تبوخدرصر فى مستهل حياته فى ربيع سنة ١٠٥ق.م. بروح شاب متحمس فى مقتبل العمر، وبعبقرية فى ميدان القتال، وربما تكون الفظائع التى وقعت فى كوموخ قد حركت عنده فى تلك اللحظة رغبة فى الانتقام. ولقد شهد شهر أبريل/برمودة سنة ١٠٥ ق.م. حشد الجيش المصرى وزحفه باتجاه الشمال وكان جيشاً كبير العدد وبالإضافة إلى ذلك كان يضم القوات المساعدة التى كان بوسع مصر الصاوية أن تفضر بها: النوبيين والليبيين واليونانيين – الأبونيين السؤال الذى

يدور حول ما إذا كان "نيخو" الثانى على رأس القيادة وحاضراً بشخصه خلال للعركة التى دارت رحاها في وقت لاحق أمر ليس معروفًا في الوقت الحاضر، و"التأريخ البابلي" مهشم (= لنتذكر أن التدوين البابلي كان على ألواح الطين المحروق. المترجم) عند النقطة التي كان الكاتب ليذكر اسمه فيها (۱۰۰۰). غير أن "يوسيفوس" اليهودي يقرر أن "نيخو" كان حاضرًا مناك (۱۰۰۱). في حين أن إشارة "إرميا" النبي مبهمة تقيد معنى وعكسه (۱۰۰۱). ولكن في ضوء النتيجة التي أسفرت عنها الأعمال الحربية في تلك السنة، يبدو من الصعب أن نتصور كيف كان له "نيخو" أن ينجو من مصير الهلاك الذي حل بقواته دون أي إشارة في أي موضع إلى القرار المشين. أما الاشتباك نفسه فيرد وصفه في "التأريخ البابلي" على هذا النحو: (۱۰۲)

"في السنة الحادية والعشرين مكث في بلاده ملك "أكاد" (أي: "نابوبولاسر") وحشد ابنه الأكبر وولى عهده 'نبوخدرصر" جيش ("أكاد") وتولى قيادة قواته. وانطلق نحو "كركميش" التي تقع على ضفاف نهر "الفرات"، وعبر النهر قبال جيش(؟) مصر الذي كان مستكنًا في "كركميش"... واشتبك الجيشان في المعركة وفر جيش مصر من وجهه، وأنزل به (الهزيمة) وأباده تمامًا. أما فلول جيش مصر (التي ...) هزيمة أسرعت، قبل حتى أن تشترك في المعركة، وفي "حمات" التقي بهم جيش "أكاد" وهزمهم هزيمة قاسية حتى إنه لم يعد منهم أحد إلى بلاده."

هذه رواية واضحة كل الوضوح، ولكن كيف تأتى للبابليين أن ينزلوا بالمصريين تلك الهزيمة الفادحة؟ ألم يبلُ المصريون بلاء أكثر من حسن فى المواجهات السابقة، وهل يكفى أن تمر أربع سنوات كيلا يشرُفوا صيتهم مرة أخرى أمام نفس الأعداء؟

نستطيع أن نورد ثلاثة عوامل لتفسير مقترح لهذا النصر المثير وغير المنتظر الذي أحرزه البابليون. أولاً: كان لتغيير القيادة أثره المبهج، بكل وضوح، على القوات البابلية، ونستقى من كافة الروايات أن "نبوخدرصير" كان تكتيكيًا بارعًا، وإذا لم يكن نيخو" على رأس قواته، فإن البابليين يكونون قد تفوقوا على المصريين فيما يتعلق بالقيادة الميدانية. ثانيًا: قد نفترض أن تقدم "نبوخدرصير" كان أسرع كثيرًا مما توقع المصريون، ثالثًا: لابد أن الهجوم المباشر الذي استهدف مقر الجيش المصري في

'كركميش' انطوى على مفاجأة كاملة، نظرًا لأن 'نابوبولاسر' كان قد تجنب خلال المواجهات السابقة أن يدخل في مثل هذه المقامرة.

يسمع سير المعركة، كما ورد وصفه فى "التأريخ البابلي" باحتمالين فى إعادة بناء ما دار. إما أن الهجوم البابلي كان من السرعة بحيث لم يستطع الشطر الأعظم من الجيش المصرى، الذى كان معسكرًا بالفعل في "كركميش" أن يلقى بنفسه في صفوف المعركة بسرعة كافية، بل وأصابه الذعر وفر في إتجاه الجنوب. أو أن القوات الرئيسية للتجريدة المصرية، التي انطلقت باتجاه الشمال من الدلتا، لم تصل في الوقت المناسب، بل اعترضت بعد معركة "كركميش" قرب "حمات" وقضي عليها.

فى الحالتين كانت النتيجة واحدة: إنتهت بصورة دائمة السيطرة المصرية على أعماق سوريا، البعيدة عن الساحل. وبتمثل إشارة على الخسائر المخيفة التى تكبدها "نيخو" فى القدرة التى حازها "نبوخدرصئر" على أن يزحف على رأس قواته على سبيل التنزه حول سوريا من خريف سنة ٥٠٦ق.م. (بعد وفاة والده) حتى يناير/طوية سنة ١٠٠ق.م. وأن يقوم بنفس العمل موغلاً فى أعماق الجنوب اعتباراً من يونيو/بؤونة ١٠٠ق.م، ولم يكن فى حوزة مصدر ما تستطيع أن تعوق به زحفه ذاك. ولقد ابتهج "رميا" النبى وتهلل الهزيمة التى حلت بـ "نيخو"، ووجه إلى مصدر توبيخًا ساخرًا على هذا النحو: "اصعدى إلى "جلعاد" وخذى بلسانًا، أيتها العذراء بنت مصد! إنك باطلاً تكثرين من الأدوية إذ لا شفاء لك، قد سمعت الأمم بهوانك، وملا صياحك الأرض، لأن الجبار عثر بالجبار فسقطا كلاهما معًا! "(١٠٠١). ولما جرف حجم النصر البابلى "إرميا" النبى، أعلن أن "نبوخدرصر" هو يد (=أداة) الإله، وتنبأ، بثقة كاملة، بدمار كل الدول فى العالم(١٠٠٠). وبدت هذه الهزيمة كانكسار كامل للمتعاطفين مع مصر الذين كانوا يشكلون حاشية "بهوياقيم"، ملك "أورشليم".

راقبت دول فلسطين تقدم البابليين خلال سوريا الذي بدأ في يونيو/بؤونة 3٠١قم. بقلق متزايد(١٠١). أما بالنسبة لـ "نبوخدرصر" وقواته فكانوا يتقدمون، بوضوح، جنوبًا، متجاوزين "فينيقيا" وفلسطين الداخلية (=البعيدة عن الساحل) كي يهاجموا الولايات المصرية في جنوب السهل الساحلي. ولابد أن الالتماسات التي

تلقاها "نيخو" من المدن الساحلية كى يعمل شيئًا من أجلها كانت بلا حصر. ولحسن المحظ ظهر أحد هذه الإلتماسات فى شكل رسالة باللغة الأرامية على ورقة بردى، كان "أدون" Adon ملك "إكرون" Ekron الذى وقعت مدينته على طريق الزحف البابلى قد بعث بها إلى "نيحو" (۱۷۰). وكان "أدون" يستنجد بالمعاهدة التى وقعها مع مصر، ويطالب بإرسال قوات مصرية لعجزه عن التصدى للعدر الذى كان قد وصل بالفعل إلى أبيك" Aphek (سهل شارون) ومما لا شك فيه أن رؤساء دول أخرين فى المنطقة مثل أجا" Aga رئيس "عشقلون" و"يهوياقيم" نفسه سارعوا بإرسال رسائل مشابهة، راجين العون، (۱۸۰۸) ولكن "نيخو" لم يعد قادرًا على تلبية تلك الرجاءات. وعندما دخل الجيش البابلى سهل فلسطين أعلن "يهوياقيم" الصيام فى "أورشليم". الآن لم يعد مما يشفى الغليل أن يلقى مؤيدو "بابل" خطبًا فى ذات الوقت الذى كانت فيه حكومة "يهودا" قد دخلت مرحلة الاحتضار an extremis. ومع ذلك اختار "إرميا" النبى هذه المناسبة، أى فى نوفمبر/هاتور سنة ١٠٤ ق.م. كى يعهد إلى تلميذه "باروخ" مهمة قراءة كتاب أي فى نوفمبر/هاتور سنة ١٠٤ ق.م. كى يعهد إلى تلميذه "باروخ" مهمة قراءة كتاب وسرعان ما صودر الكتاب وأتلف بعد قراعه أمام الملك، واختفى كل من "إرميا" وباروخ" عن الأنظار ورصدت السلطات مكافأة لمن ياتى برأسيهما.

في نفس الوقت، وفي نفس الشهر، فرض "نبوخدرصر" الحصار على "عشقلون". وقبل نهاية ديسمبر/ كياك استولى عليها وأسلمها للندمير التام (۱۱۰). وكان "أنتيمينيداس" Antimenidas، وهو جندى يونانى مرتزق وشقيق الشاعر "ألكايوس" تمجيدًا في خدمة الجيش البابلى خلال تلك المناسبة، وتصف نتفة من كتابات "ألكايوس" تمجيدًا لعودة شقيقه إلى أرض الوطن، المصير الرهيب الذي آلت إليه المدينة، فكثير من سكانها أرسلوا إلى "بيت هاديس" (=الآخرة اليونانية. المترجم)(۱۱۱). أما الباقى بمن فيهم الملك "أجا" فلقد جرى ترحيلهم إلى "بابل"، حيث استمرت جالية مغتربة تعيش هناك وتسمى نفسها (أبناء) "عشقلون" في القرن التالي(۱۱۲). والأطلال غير المأهولة التي قامت كماؤي للحيوانات البرية لما يزيد على مئة سنة كانت لتقف كشاهد صامت على الاجتياح العنيف الذي أقدم عليه البابليون.

فى بناير/طوبة ١٠٢ق.م، غادر "نبوخدرصر" مدينة "عشقلون" وشق طريقه عائدًا إلى "بابل"، ولكنه عاد بعد ثلاثة شهور ونصف بمعدات الصمار (١١٢). وإذا كانت السطور غير الكاملة من "التأريخ البابلي"، كما يبدو في أرجح الاحتمالات، سوف تشير هنا، في حالة ترميمها، إلى "غزة (١١٤) فإن استراتيجية "نبوخدرصر" تكون واضحة بما يقشعر له البدن: كان عاقدًا العزم على تحييد وإخضاع السهل الفلسطيني والطريق الساحلي المؤدى إلى مصر، بصورة كاملة وذلك خلال المحق الكامل وترحيل قطاعات واسعة من السكان المحليين. ولقد سقطت "غزة" فيما يبدو مؤكدًا، وعقب ذلك بوقت وجيز ظهرت جالية منفية من أبنائها في "بابل" (١١٥). وارتمت "فلاسطين" Philistia

نستطيع أن نتخيًّا، بسهولة، الأثر الناجم عن هذه الانتصارات الساهقة و"الاجتياح البابلي" على أيهودا". إلا أن "نبوخدرصر" لم يكن قد صرف النظر بعد عن أعماق البلاد (=البعيدة عن الساحل) ـ ولو أن إستراتيجيته الشاملة استلزمت منه إخضاع الطريق البحري Via Maris اشن هجوم مباشر على مصر ـ واكن "بهوياقيم" لم يشك بالمرة في أن البابليين سوف يسحبون معدات الحصار ، إن عاجلاً أوأجلاً، في أتجاه الشرق ويصعدون بها الجبال نحو أورشليم ويبدو في أرجع الاحتمالات أن سنة ١٠١ق.م. هي التي شهدت استسلام "يهوياقيم"، فور ظهور الجيش البابلي في الغرب، وإرساله الجزية المنتظرة منه إلى تبوخدرصر في مقره(١١٦). وكانت هذه هي اللحظة بالتحديد التي اختارها "نبوخدرصيّر" للمجابهة مع مصر، و"التأريخ البابلي" -The Baby lonian Chronocle لا يخبرنا بالشهر الذي انطلق فيه البابليون، ولكنه من المحتمل أن يكون ذلك متأخرًا عما كان معتادًا، وريما حدث ذلك نحو نهاية فصل الصيف. وقد تكون تسوية الأمور مع "يهودا"، التي ريما تكون قد انطوت على زحف قام به "نبوخدرصيّر" نحو أورشليم"، بصورة رسمية كي يقبل من "يهوياقيم" فروض الطاعة والولاء، قد شغلته حتى دخلت شهور الخريف، ولم تحتشد قواته حتى أواخر نوفمبر/هاتور عند نقطة الانطلاق في مكان ما على السهل الساحلي كي تندفع نحو مصر. ودخل 'إرميا' النبي في نوية من نويات السرور. فالملك، عدوه المعتمد فقد اعتباره والحزب الموالي لمصر فقد

جدارته بالتصديق أو مصدوقيته، وصارت نبوهاته على وشك التحقق بحذافيرها، لأن "نبوخدرصر" أعد العدة لتدمير مصر. يقول "إرميا" النبى بسخرية وشماتة: "حضروا حقائبكم للنفى يا أهل مصر! لأن "منف" سوف يحل بها الخراب وتغدو أطلالاً لا يقطنها أحد! ثم فى تقليد (=معارضة) لأسطورة "يو": 10 (=ابنة "إناخوس" إله النهر فى "أرجوس"، التى هام "ريوس" بها حبًا وحولها إلى بقيرة بيضاء خوفًا عليها من غضب نوجته "هيرا" ولكن الزوجة الفيورة سلطت عليها فى نهاية المطاف حشرة الشعران فهامت على وجهها فى سائر أرجاء العالم وفقًا للأساطير اليونانية. المترجم)(١١٧) يقول: "بقيرة جميلة تلك هى مصر، ولكن شعرائة هبطت عليها من الشمال. جنودها المجلوبون (=المرتزقة) يرتعون فى قلبها مثل عجول معلوفة، نعم! لقد استداروا وولوا الفرار معًا، ولم يصمدوا ..اسوف يك الخزى ابنة مصر، ولسوف تقع أسيرة فى أيدى أناس من الشمال. "(١١٨))

كانت أكثر من ستين سنة قد مرت منذ وطأت قوة غازية الطريق المتد جنوبي "غزة" إلى شرق الدلتا، ولكن خلال حكم الأسرة الصاوية أدى الاهتمام بالحدود الشمالية الشرقية إلى بناء حدود أكثر أمنًا بكثير من الحدود التي كان على "أشورببني-بعل" أن يعبرها. وكان "أشورببني- بعل" ووالده "إزارهادون" قد دخلا الدلتا دون أن يعترضهما أحد على وجه التقريب، ولم يخوضا أولى اشتباكاتهما، إلا داخل الأراضى المصرية. والآن كانت المستوطنات والمعاقل الصاوية مصفوفة على الحدود الشرقية والطريق الموصل إلى "غزة". وإلى الجنوب مباشرة من هذا الطريق، عند أو قرب "رفح"، كانت تقوم مدينة بانحسى (۱۲۱۰). وعلى الشريط المتد بين بحيرة "البردويل" والبحر المتوسط كان يقوم وقت ذاك ضريح ومستوطنة مدينة "بعل صافون" Pelusium وعلى بعد خمسة وثلاثين كيلو مترا إلى الغرب كانت تقوم مدينة "بيلوزيوم" والاتجاه عند مصب فرع النيل الواقع في أقصى الشرق (۱۲۱). وعندما يحود الطريق في الاتجاه الجنوبي الغربي، أسفل الضفة اليمني لفرع "بيلوزيوم"، يقابل المرء، على بعد لا يتجاوز شمانية كيلو مترات من "بيلوزيوم"، "البرج"، وما أدراك ما البرج، حصن "مجدول" الجيد للتصصين، الذي كان يشكل، وقت ذاك، ومنذ صعود الأسرة السادسة والعشرين إلى التحصين، الذي كان يشكل، وقت ذاك، ومنذ صعود الأسرة السادسة والعشرين إلى التحصين، الذي كان يشكل، وقت ذاك، ومنذ صعود الأسرة السادسة والعشرين إلى

سدة الحكم، الحصن الحصين للحدود الشمالية الشرقية والمدخل الذي يقود إلى مصر ذاتها(١٣٢). وكان الصصن الذي يرجع إلى الملكة الصديثة، وأدى هذه الوظيفة: "صبائل" Sile لا يزال يقف على بعد اثنين وثلاثين كيلومتراً في عمق الجنوب الغربي. وكان لقب الكاهن الأعلى للمدينة - "المقاتل، مالك الأسباب" - يستدعى إلى الذهن الأغراض العسكرية للموقع الذي وقع عليه الاختيار المستوطنة،(١٢٢) وهو حصن "خنرت"(١٢٤) كان قد ظل بقف هناك لحماية مستودع"،(١٢٥) وعند هذه النقطة تبدأ الرقعة المليئة مالمستنقعات من الدلتا، كي تمتد غريًا وفيما وراء النهر. واثنان وثالثون كيلو مترًا أخرى إلى الغرب مباشرة تأتى بالمسافر داخل رؤية مدينة "دفناى" Daphnae الجيدة التحصين بحاميتها من القوات اليونانية، وأربعون كيلو متراً أخرى إلى الجنوب الغربي تحمل المرء إلى مدينة "وس - خبرى" التي كانت قد شهدت قبل سبعين سنة دخول "إزارهابون" إلى مصر(١٢٦). وإذا كان المسافر، أو التجريدة يتحلى أو تتحلى بالجسارة الكافية عندما يكون لا يزال في فلسطين كي يشق طريقه في أعماق البلاد، خلال قادش - برنيع ، ثم غربًا عبر ممر 'متلا'، فإنه أو إنها تكون قد اقتربت من مصر خلال برية السور" wasteland of the Wall ـ أي المسحراء الواقعة إلى الشرق مباشرة من "الإسماعيلية" (حاليًا) حيث كانت تبدأ التحصينات المصرية(١٢٧). وهنا يكون عليهم أن يمروا ب بحيرة العقرب (١٢٨) (جزء ما من البحيرات المرة الحديثة) ويسيروا بمحاذاة "جبل مريم" حيث كانت تقوم على وجه الاحتمال مراكز للمراقبة منذ وقت طويل، (١٢٩) ويأتوا وجهًا لوجه أمام مدينة فيثوم الحصينة التي كانت قد بُنيت في الأونة الأخيرة، وإذا لم تجد رحلتهم تحديًا عند هذه النقطة، فإن طابية "بي- سويدو" على بعد أربعين كيل مترًا إلى الغرب كانت لتختم على دخولهم النهائي إلى الدلتا ذاتها.

في حالة ما إذا كان "نبوخدرصير" قد تجنب الطريق الذي يمر عبر أعماق البلاد وفضل أن يقود قواته بثقة كبيرة على امتداد الساحل. في هذه الحالة، مع ذلك، لم يكن ليكسب عنصر المفاجأة الذي ساعده في معركة "كركميش". وأعطت المراكز المتقدمة "نيخو" إنذارًا كافيًا. وعندما أصبح البابليون في مدى البصر من "مجدول"، (١٢٠) وجدوا المصربين مصطفين لقتالهم.

يشكل "التأريخ البابلي" و هيرودوت كل ما نملك من مصادر عن المعركة. ولكنهما موجزان مقتضبان. يقول "التأريخ": (۱۳۱) في شهر "كيسلف" Kislev (نوفمبر/هاتور- ديسمبر/كياك سنة ١٠١ق.م.) قاد جيشه وزحف على مصر. وسمع ملك مصر بالأمر فحشد جيشه. وفي معركة مكشوفة تطاعن كل من المصريين والبابليين وأنزل كل منهم هلاكًا فادحًا بالآخر، وعاد "نبوخدرصر" هو وقواته إلى أبابل". ويسجل "هيرودوت" أن "نيخو": "هاجم "السوريين (هكذا!) عن طريق البر وأنزل بهم الهزيمة عند "ماجدواوس" Magdolus.

تعد هذه المعركة هزيمة منكرة لجيوش البابليين، وكان أن استبد الذهول بـ "إرميا" النبى وسائر الذى تنبأوا بسوء المعاقبة (المحسريين). فلم يقاتل المحسريون تنبوت تبوخدرمنر حتى أوصلوه إلى درجة الشلل التام وحسب، بل وانتهز الفرعون "نيخو" الفرصة التى سنح بها تقهقر البابليين (فى تحد لرأى "إرميا" النبى فيه)(١٣٢) كى يواصل تقوقه ويستولى على غزة، التى فقدت تحميناتها خلال الحصار الذى كانت قد وقعت تحته فى الأونة الأخيرة(١٣٢). وهنا يتسامل المرء إلى أى حد يرجع الفضل فى هذا النصر المزدوج إلى وجود القوات اليونانية المعاونة (المرتزقة)، خصوصاً وأن تنبخو أهدى الدرع الذى استخدمه فى القتال إلى معبد أبوالو فى "برانشيداى" تنبخو أهدى الدرع الذى استخدمه فى القتال إلى معبد أبوالو فى "برانشيداى"

غدت مجدول في ذاكرة البابليين تعنى فقدان الرجال والعتاد، ولم يعد من المكن تصور أن تتجدد الأعمال الحربية مرة أخرى في المستقبل المنظور. وفي الحقيقة لزم نبوخدرصر بيته في بابل اعتباراً من يناير/طوبة سنة ١٠٠ ق.م. حتى أواخر نوف مبر/كياك سنة ٩٩٥ ق.م. من أجل جمع عجلاته الحربية وخيوله باعداد كبيرة (١٠٥). وبناء على ذلك أوقف يهوياقيم جزيته وبدأ مرة أخرى يبدى أيات الود تجاه مصر (١٣٦). وبدا أن اتجاه الرياح تحول بكل تأكيد، ضد بابل وعندما عاد نبوخدرصر مرة أخرى في ديسمبر/كياك سنة ٩٩٥ ق.م. إلى الظهور في الغرب، كان استعراضاً هزيلاً للقوة. ففي هذه المناسبة لم يستطع البابليون الذي تجمعوا عند القادش أن يقوموا إلاً ببضع غارات تأديبية في قلب الصحراء كي يخمدوا القلاقل التي

يحدثها العرب(١٣٧). ولما كان "إرميا" النبي على استعداد دائم لانتهاز أى حدث لإنذار الجميع بالفناء النهائى، فلقد تنبًا بدمار "قيدار"(١٣٨). ولكن "نبوخدرصر" اضطر للعودة ألى "بابل" فى شهر مارس/برمهات سنة ٩٨٥ ق.م. تاركًا وراءه قوة عسكرية صغيرة للتوغل أكثر جنوبًا لشن غارات محدودة على حدود "يهودا"(١٣٩)، وطوال فصلى الصيف والخريف لم يطأ أرض فلسطين قدم جيش أجنبي.

ولكن الأمر كان أمر وقت ليس إلاً، وذلك لأن نبوخدرصيُّر مسمم على معاقبة "يهودا" على مروقها. وفي أواخر نوفمبر/ هاتور سنة ٩٩٥ ق.م. حُشدت الجيوش في سهول "أكأد"، وبدأ الزحف الطويل في اتجاه الغرب. ولم تكد تمر بضعة أيام، وعلى وجه الاحتمال قبل أن تصل أنباء الزحف البابلي إلى "يهودا"، رحل "يهوياقيم" يوم ٦ ديسمبر/كياك عن عمر لا يتجاوز ستًا وثلاثين سنة(١٤٠). وكان ولى العهد صبيًا لايتجاوز من العمر ثماني سنوات (١٤١)، "يهوياقين" الذي صعد إلى العرش في حينه، غير مدرك للكارثة التي كانت على وشك أن تقم. فالحصار المفاجئ وغير المنتظر الذي فرضه البابليون على المدينة شكل بالضرورة صدمة عنيفة لكل من البلاط وسكان المدينة الذين لم يكونوا، على استعداد للصمود تحت المصار لمدة طويلة. و"التأريخ البابلي" جيِّد الحفظ عند هذه النقطة ويوفر لنا إشارة نادرة ونفيسة في أن واحد، إلى حادث تصورُه التوراة على هذا النحو: "في السنة السابعة (أي في سنة ٩٨٥–٩٧٥ ق.م.) في شهر "كيسليف" (نوفمبر/هاتور- يستمبر/كتاك) حشد ملك "أكاد" قواته وزحف إلى 'بلاد-خاتى' (أي فلسطين وسوريا) وفرض الحصار على مدينة 'يهودا'. وفي اليوم الثاني من شهر "آدار" (١٦ مارس/برمهات سنة ٩٧ ق.م.) استولى على المدينة وألقى القبض على الملك"(١٤٢) فلقد فتح الملك الصنفير السن "يهوياقين" Jehoiachin أبواب المدينة، واستسلم لمحاصريه بعد أن دام حصارهم المدينة شهرين اثنين لا أكثر، وبعد أن أقنعه بذلك، بكل تأكيد، كل من والدته ورجال بلاطه دفعًا لتفشى المجاعة في المدينة من ناحية ولكي يضمن معاملة كريمة لرعاياه من ناحية أخرى (١٤٢). وصم ما ارتأه 🔭 الناصحون: حظى "يهوياقين" وبالاطه بمعاملة طيبة إلى حد معقول، ولكن "نبوخدرصيّر" (نهب الخزانة والمعبد، ثم استلم جزية ثقيلة من المدينة وأرسل كل ذلك إلى "بابل")(١١٤٠) وإذا كان لنا أن نحكم استنادًا إلى السجلات الأشد حصافة التي تركها وراءه 'إرميا" النبى (٥٦: ٢٨-, ٣٠٠.) حول الطبقة العليا في 'أورشليم'، بما فيها، دون شك عدد لا بأس به من العائلات التي تنتمي للحزب الموالي لمصر، فلقد انتزعهم البابليون من مواطنهم وحملوهم كاسرى إلى 'بابل'.

وعلى نحو ما انتهى إليه الأمر، نجا "يهوياقين" نجاة المحظوظين من الكارثة التى جات فى طياتها نهاية "يهودا". إلا أنه ظل رهن الاعتقال، هو وإخوته فى "بابل"، وتكفلت الدولة بنفىقاتهم، كما نستقى من قوائم الحصص التى وصلت إلى أيدينا بالقلم المسمارى، تلك التى تذكر أن ("الملك "يهوياقين"، ملك "ياهودا") حصل على عشرة "سيلا" aila (وحدة من المكاييل البابلية. المترجم) من الزيت (١٤٠٠). ولما كان باقى أعضاء العائلة المائكة قد لقوا حتفهم خلال التدمير النهائي له "أورشليم" في سنة ٦٨٥ق.م.، فلقد وجد "يهوياقين" نفسه وقد تركزت فيه أمال "يهودا"، بصفته الوريث الشرعي الوحيد الملك (١٤٠١). وفي النهاية، وعندما بلغ من العمر خمسة وأربعين سنة، أطلق خليفة "بوخدرصر" سراحه من السجن، وعاش أيامه الأخيرة في حالة معيشية ميسورة نسبيًا في بلاط "بابل" (١٤٠٠).

كانت الضرية الخاطفة التي وجبهها "نبوخدرصبّر" إلى "أورشليم" عبارة عن مقامرة، فبعد هزيمة سنة ٦٠٠ ق.م. (على أيدى المصريين، المترجم) لم يعد ملك "بابل" يتمتع بالقوة في الغرب، ولابد أنه فطن إلى ضعفه، وتتوفر هنا كل الأسباب التي تدعو إلى الاعتقاد بأن "نيخو" قد يواصل نجاحاته ويزحف بهمة ونشاط إلى داخل سوريا، ومن المؤكد أن ظهور "تبوخدرصر" متوغلاً في أعماق جنوب المشرق إلى هذا الحد، كان ليستدعى، على وجه السرعة مقدم القوات المصرية.

إلاَّ أن "نبوخدرصر قيم، بصورة صحيحة، قدرة خصمه: انشغل الفرعون "نيخو" بأمور أخرى في أماكن أخرى، ولم يزحف لنجدة "أورشليم" (١٤٨).

بدت أحداث السنوات التالية وكأنها تؤكد الظنون التي ترى أن "بابل" قد بالغت في التوسع إلى حد لا تحتمله قدراتها، وأن الهزيمة التي منيت بها أمام أعتاب مصر

أصابتها بوهن شديد. وفي يناير/طوبة سنة ٩٦ ق.م. لم يستطع 'نبوخدرصر' أن يقوم بأكثر من جولة تفتيشية لمدة شهر واحد، لم تأخذه جنوبًا إلى أبعد من 'كركميش'، وفي ديسمبر/كياك من نفس السنة غزت القوات العيلامية بلاد 'بابل'(١٤١). ومع أن الهجوم العيلامي باء بالفشل، إلا أن 'نبوخدرصر' فقد بصفة جزئية اعتباره، وانتشر التذمر بين صفوف الجيش. وفي ديسمبر/كياك سنة ٩٥ ق.م. تفجر العصيان في داخل 'بابل'، وهو العصيان الذي أخمده الحاكم بعد مرور شهرين، ولو أن ذلك جرى عبر سفك دماء غزيرة. حقًا قام "نبوخدرصر" بجولة في سوريا عند انحناءة السنة كي يجمع الجزية، إلا أن الأمر لابد وأن يكون قد بدا من وجهة نظر الساحل المشرقي، أن نجم 'نبوخدرصر' قد غرب.

شهدت "أورشليم" فورة من النشاط الدبلوماسى، فى ظل التنافس الذى دب بين مؤيدى أبابل ومعارضيها على جذب أسماع الشعب إليهم، ولما نظر "إرميا" النبى ورأى المشهد الدولى ماثلاً تحت أنفه باستمرار، ولو أن الحمية كانت دافعه أكثر من سابق العلم، فلقد تنبّأ بمصير الهلاك المحتوم الذى ينتظر "عيلام" Elam في سنة ٩٦ ه ق.م.

"هكذا قال رب الجنود! هانذا أحطم قدوس عيلام رأس قدرتهم، وأجلب على عيلام الرياح الأربع من أقطار السماء الأربعة وأذريهم... وأحل بعيلام الأدبع النعر أمام أعدائهم... وأجلب عليهم الشر... وأطلق في إثرهم السيف إلى أن أفنيهم، وأجعل عرشى في عيلام وأهلك من هناك الملك والرؤساء، يقول الرب (١٠٠٠) ولكن الدمار الموعود فشل في التحقق، وجهرت الطائفة التي تعارض بابل بموقفها عاليًا. وبدأ الانبياء والعرافون والحالمون البصارون يعظون شعبهم على هذا النحو: ان تدخلوا في خدمة ملك بابل النبي وهو حانانيا النبي من جعبون النبي (=الناف) الذي يحمله إرميا النبي كدرس عملى مثير الشفقة، وتنبأ على هذا النحو: مكذا تكلم رب الجنود إله إسرائيل قائلاً: قد كسرت نير (= ناف) ملك بابل". في سنتين من الزمان أرد إلى هذا الموضع كل أنية بيت الرب التي أخذها الموضع من يهودا الذين ذهبوا إلى "بابل"... وأرد إلى هذا الموضع وذهب بها إلى "بابل"... وأرد إلى "بابل"... وأرد إلى هذا الموضع وذهب بها إلى "بابل"... وأرد إلى هذا الموضع وذهب بها إلى "بابل"... وأرد إلى "بابل"... وأرد إلى هذا الموضع وذهب بها إلى "بابل"... وأرد إلى "بابل"... وأرد إلى "بابل"... وأرد إلى هذا الموضع وذهب بها إلى "بابل"... وأرد إلى المرد إلى المرد إلى المرد إلى "بابل"... وأرد إلى المرد إلى المرد المرد المرد إلى المرد إلى

لقد كانت الرياح تملأ أشرعة الوطنيين: لم تكن المسألة إلا مسألة وقت قبل سحق "بابل". ففى خريف سنة ٩٤ ق.م، على وجه الاحتمال، وفى ظل الآمال التى أنعشتها الهبة التى كانت قد تفجّرت فى "بابل" قبل عدة شهور، عقد "صدقيًا" اجتماعًا ضم مبعوثى الدول المجاورة: "إيدوم" (= أدوم") و"مواب" و"عمون" و"صور" و"صيدا" (= صيدون" فى إحدى ترجمات دار "الكتاب المقدس" بالشرق الأوسط، إلى العربية. المترجم)(١٥٠١). وكان الهدف، بكل وضوح، هو العصيان، وينفس الدرجة من الوضوح كان "صدقيًا" مستعدًا للرهان على الحاكم المصرى الجديد.

كان الفرعون 'نيخو' الثانى قد رحل في خريف سنة ٩٥٥ ق.م. (١٥٤) تاركًا وراءه ثلاث بنات وولد واحد، وهو 'بيسماتيك' الثانى الذي خلف أباه (١٠٥٠). وكانت الأنشطة المصرية قد تركزت، منذ النصر المشجّع الذي أحرزه المصريون في سنة ٢٠٠ ق.م.، على مجال آخر المصالح، في الجنوب، ربما في ضوء الإجماع العام بأن الحدود الشمالية أصبحت الآن أمنة. وكانت الأسرة الخامسة والعشرون قد استمرت في الحقاظ على نفسها كالسلطة الحاكمة على مناطق شاسعة في السودان من عاصمتها التقليدية في نباتا 'نباتا ولم يكن هناك شيء البتة يستطيع أن يصرف حكام 'نباتا' عن النظر إلى عودتهم النهائية إلى أحضان مصر كأمر حتمى لا فرار منه. وبناء عليه كان 'بيسماتيك' الأول قد وجد لزامًا عليه أن يحصن الحدود الجنوبية عند جزيرة 'إليفانتين'(١٥٠٠). وأن ينصب حامية قوية هناك، وهي الحامية التي ضمت، كما سبق لنا أن رأينا، عنصراً يهودياً.

وكان من حسن حظ الفراعنة الصاوبين، أن الخلفاء المباشرين لـ "تانوتامان" ظلوا مستكنين في معقلهم الجنوبي، ولكن تحت ظل حكم "أنلاماني" Antamani (٦٢٣- ٥٩٥ ق.م. على وجه التقريب) بدأ الكوشيون، في التحرك شمالاً، وقد تكون النكسات التي منى بها المصريون في أسيا قد شجعتهم في هذا السبيل، كي يؤدبوا، كما بدا في الظاهر، رجال القبائل الذين يشنون غاراتهم انطلاقًا من الصحراء الشرقية، (١٥٨). وليس في وسعنا أن نتأكد، ولكن يبدو أن التجريدة النهرية التي وجهها الفرعون "نيخو" الشاني، في أواخر حكمه في اتجاه الجنوب من جزيرة "إليفانتين" ضد "القواسين النوبيين" كانت ردًا على هذا الخطر. وتحيطنا علمًا كتلة من الحجر اكتشفها الألمان في

'إليفانتين' بـ 'الخيول والعجلات الحربية (؟)' وكذلك بـ 'الأسطول الذى شق طريقه باتجاه الجنوب، حاملاً إياهم، على صفحة النيل. وتقود هذا الأسطول الصغير الذى يضم نحو ثمانى عشرة سفينة على الأكثر، سفينة أمير البحار الملكية (؟) التى تسمى باسم: ('نيخو' شبه الروح)، كما كان يشمل أيضاً منقولات كبيرة وصغيرة (101).

تلقى فى صدورنا الطبيعة الشظوية (=من شظايا) للنقش بالشك فى النتيجة التى أسفرت عنها هذه التجريدة، ولكن الأخطار التى كانت محدقة بمصر ظلت على ما هى عليه، طالما استمرت القوات الكوشية تحتل مواقع متقدمة ضد مصر، ومن الواضح أن ضربة وقائية توجهها قوة ساحقة باتت مطلوبة، وسنحت فرصة فى سنة ٩٣ ق.م، عندما رحل أنلامانى وتفجرت مشكلة داخلية حول خلافته. وصار لزامًا استشارة نبوءة (= وحى) آمون- رع لتحديد من الأمراء يستحق الجلوس فى العرش، ووقع الاختيار الإلهى على أسبيلتا Aspelta، الشقيق الأصغر لـ أنلامانى الذى اصطدم، لاسباب مجهولة، مع كهنة آمون (١٦٠).

لم تكد تمر عدة شهور روقعت الضربة. ففى سنة ٩٣ ق.م. أى فى السنة الثالثة من حكم "بسماتيك" الشاب، احتشدت تجريدة ضخمة من مجندين مصريين تحت قيادة الجنرال "أمازيس" Amasis ("خنوم- إيب- رع" بالمصرى. المترجم) المفوض الملكي (١٦١). وقوات المرتزقة من الأيونيين والدوريين من أبناء اليونان والفينيقيين تحت إمرة الجنرال، "بوتاسيمتو" Potasimto (١٦٢). وقد صحب "بيسماتيك" الجيش بشخصه حتى جزيرة "إليفانتين" حيث مكث منتظرًا عودته. ولقد صورت صواديد/ألواح النصر التي أقيمت عند "طيبة" والشلال الأول، الفرعون الشاب عند نهاية شهر أكتوبر/بابة "برطب كعبيه" عند جزيرة "إليفانتين" ويقوم بالتنزه، كيفما اتفق، حتى زفت إليه الأنباء (١٦٢). " ثم أخذ جلالته يتجول خلال مواطن الطيور وحيوانات الصيد في بحيرة "فر- إيب- رع" وطاف بخلجانها وأسرع في سيره على جزرها وضفافها، وعاين غابات "أرض الإله" وأشجارها... وعندئذ جاء من أخبر جلالته أن "الجيش الذي أرسلته إلى النوبة وصل وأسرعات "بنوبز" وسلاء وهي أراض لا تصلح كميدان قتال، فهو مكان لا يعرف الخيول. وقد تغلب النوبيون الذي تدفقوا من كل صوب وحدب عليه، وقد امتلأت قلوبهم الخيول. وقد تغلب النوبيون الذي تدفقوا من كل صوب وحدب عليه، وقد امتلأت قلوبهم الخيول. وقد تغلب النوبيون الذي تدفقوا من كل صوب وحدب عليه، وقد امتلأت قلوبهم

بالغطرسة! ويمضى النص بعد هذه النقطة، بصورة مضطربة، كى يعزو النصر الذى حققه المصريون إلى وجود جلالته فى أرض المعركة، ولكن صادودًا/لوحًا مهشمًا يرجع إلى أسوان يعزو المجزرة التى تكبدها الأعداء إلى جيش جلالته (١٦٤) ومضى المصريون قدمًا كى يحتلوا "دنقلة" ويسلموا "نباتا" للحريق، بل وواصلوا تقدمهم أكثر فأكثر نحو ميروى وعاد الجيش بعد أن أقام الأن الحاميات بصفة دائمة جنوبى الشلال الأول(١٦٠). منحدرًا مع تيار النهر بخطى متمهلة، وقد نقش بعض الجنود أسماءهم بالإضافة إلى نُبذ عن شخصياتهم عند أبوسمبل بينما كانوا يتسكعون على طريقة السياح عند الصرح العظيم الذى بناه الفرعون "رعمسيس" الثاني. حقًا خسرت الأسرة الخامسة والعشرون أربعة آلاف ومائتي جندي وقعوا في الأسر وعدد آخر غير محدد سقطوا قتلي، ولكن "كوش" ما كانت لتشكل تهديدًا خطيرًا بعد ذلك لصر.

لابد أن أنباء هذا النصر، الذي استمر ذكره على الأسنة لمدة طويلة عبر أجيال وأجيال، تركت أثراً عميقاً هز المشاعر في الشرق الأدنى، وخصوصاً في "يهودا". فلابد أن يكون "نبوخدرصر" قد أخذ علماً بالمداولات التي كان "صدقيًا" يجريها مع الدول المحيطة في جنوب المشرق، فلقد استدعى ملك "بابل" ملك "يهودا" وعددًا من وزرائه إلى عاصمته كي يعنفهم (١٦٦). ولكن "نبوخدرصر" لم يضعهم رهن الاعتقال وعادوا إلى أورشليم ون تأخير كي يستمعوا إلى أنباء النصر الذي حققه المصريون. زد على ذلك أورشليم الثاني، مع كل وهنه، كان عاقدًا العزم على متابعة انتهاج سياسة نشطة تجاه غرب أسيا. وفور عودته من "النوبة" قام بوضع الخطط لتجريدة ممائلة في الشمال.

"الآن في السنة الرابعة من حكم الفرعون "بيسماتيك" الثاني، "نفر- إيب- رع" أرسلت الرسائل إلى المعابد الكبرى في مصر العليا ومصر السفلي على هذا النحو الفرعون له العمر والرخاء والعافية! سوف يتوجه إلى أرض فلسطين (خارو) فدعوا الكهنة يأتون مع باقة من ألهة مصر الأخذها إلى بلاد فلسطين مع الفرعون!"(١٦٧) وما تلا ذلك كان تقدمًا حفه النصر قام به الملك والبلاط والكهنة والجيش إلى مدن فلاسطين و"يهودا"،(١٦٨) وعلى ما انتهى إليه الأمر لم يصادف أي تحد من جانب "بابل". وكان "بيسماتيك" قد سلك، بكل تأكيد، نفس الدرب الذي سار فيه أسلافه العديدون، وتابع

مسيرته صاعدًا مع الساحل حتى مدن "فينيقيا" مثل "صور" و"بيبلوس". ولابد أنه هدف من وراء ذلك أن يرفع الروح المعنوية المقاومة المستعرة ضد البابليين من جهة وأن يدعم التحالفات أكثر من جمع الجزية من ناحية أخرى، وفي هذا الصدد لابد وأن يكون قد حقق نجاحًا باهرًا. وكان لزامًا على المدن—المالك الفينيقية أن توفر، كدأبها منذ زمن سحيق، الأخشاب المنشورة اللازمة لبناء السفن. وكانت "يهودا" انتشكّل مركز المعارضة لد "نبوخدرصر" ملك "بابل"، وكان في طوعها أن تأمل، دون جامح خيال، في الفوز، خصوصًا وأن مصر التي كانت قد حققت التو نصرًا مبينًا تقف وراها. وحتى أبابل نفسها كان المنفيون من أبناء "يهودا" بسئّلون "حزقيا" النبي عن متى سيعوبون إلى ديارهم (١٢١). وكانت التكهنات المتفائلة قد راجت وسط الجالية التي تعيش في المنفى بأن نجم "بابل" على وشك الانحدار، وأن المنفيين سوف يطلق أسروهم سراحهم عما قريب (١٧٠). وحتى مع أن "إرميا" النبي استمر يستهجن، بأسلوبه الجامح، أي مشاعر جماعية تتعلق بالأمل، إلا أن تجربته مع البربرية البابلية دفعته هو الآخر، أي دمغ هذه الأداة الغامضة بمصير الهلاك المحتوم في نهاية المطاف، تلك الأداة التي سبق له أن تصور أن "السيد الإله" سلطها على شعبه المختار (١٧٠).

ولكن الأحداث أخذت مرة أخرى منعطفًا غريبًا. رحل الفرعون "نيخو" في لحظة غير مواتية، إذ حرم رحيله جنوب المشرق من حليف موثوق منه في نفس الوقت الذي بدا فيه أن الضعف يحاصر "نبوخدرصر". والآن، في سنة ٩٩١ ق.م. سقط "بسماتيك" مريضاً عقب عودته من تجريدته الفلسطينية(١٧٢١)، (وكانت الوفاة لتحضره في غضون سنتين) وربما يكون قد قضى وقته خاملاً منذ هذه اللحظة كي يدخل في حالة تسوء بشكل مطرد. وفي نهاية الأمر لفظ أنفاسه الأخيرة في مطلع فبراير/أمشير ٩٨٥ ق.م. وصعد ابنه واح- إيب- رع (أي واسع هو قلب رع و أبرييز باليوناني، و حفراء اللعبري. المترجم)

تعورنا الآن أراء المعاصرين وتوقعاتهم، ولكننا نظن أننا لا نبعد كثيرًا عن الحقيقة إذا قلنا إن صعود "أبرييز" إلى الحكم كان نعمة من وجهة نظر المصريين واليهود على حد سواء(١٧٣). ولما كان شابًا يافعًا في مطلع العشرينيات من عمره عندما جلس في

عرش مصر، فلقد شرع فى مواصلة انتهاج السياسات العامة التى تصورها والده وتقوم على المبادرة فى غرب أسيا. ويسجل ميرودوت أن أبرييز قاد تجريدة إلى صيدا ، وتمشيا مع ما نعرفه عن روح الإقدام التى تمتع بها الفرعون الشاب، ينبغى أن يكون قد أنجز هذه المهمة فى السنة الأولى من حكم، ويتحديد أكثر، فى أواخر ربيع سنة ٨٩٥ ق.م. وصيفها على وجه الاحتمال(١٧٤). وإذا كان صدقيا قد عد عد القاتل الذى ألم بهدف الإصلاح. المترجم) عن طريق استجوابه فى بابل من جانب والمرض القاتل الذى ألم به بسماتيك الثانى من جانب آخر، فلابد أن احتمال الانتصارات التى تعد بها همة الفرعون الشاب الذى جلس التو فى عرش مصر، قد أسرعت بنبضه وشجعته على اتخاذ قراره الأخير والمشئوم فى وقت واحد. إذ قبيل نهاية صيف سنة وهمق. كان صدقيًا قد تنصل بصفة رسمية، من أى ولاء لـ بابل ، ربما يكون قد جدده خلال الاجتماع مع نبوخدرصر (١٠٥٠). كان السهم قد نفذ،

أثبت نبوخدرصر مرة أخرى، وعلى امتداد الشهور التالية، أنه يتفوق على معاصريه في الفهم الإستراتيجي بل والتكتيكات الجسورة كذلك. وقد تكون "بابل" قد عوضت إلى حد كبير خسائرها الناجمة عن عصيان سنة ٥٩٥ ق.م. لا نستطيع الجزم بشيء محدد في هذا الصدد، نظراً لأن تاريخنا الذي يُغطى السنوات التي تبدأ من سنة ٤٩٥ ق.م. لا يزال رهن البحث ولكن همة الفرعون "أبرييز" وطاقته بدتا أرجح من أي ميزة ربما يكون "نبوخدرمر" قد ظفر بها من قبل.

لعله من المحتمل أن تبويخدرصر أقدم على خطوته في أواخر خريف سنة ٨٨٥ ق.م. فلقد زحفت القوات البابلية إلى داخل قلب سوريا، وأقام "نبوخدرصر مقر قيادته في "ربلة (١٧١) حيث قصد أن يدير عملياته، وجرى تقسيم الجيش، فتوجه طابور إلى جبال لبنان كي يتصدى لتحركات "أبرييز" على امتداد الساحل، وأرسل الطابور الآخر كي يحاصر "أورشليم بهدف القضاء، مرة وإلى الأبد، على كل منطقة عازلة كانت تحتفظ بها مصر على حدوده)(١٧٧). إلا أن الجهود التي بذلها "نبوخدرصر على طول الساحل اللبناني لم تكن حاسمة. مع أنه زعم أنه خلص البلاد من "العدو" (=المصريين)، وأنه جلب الخشب المنشور لأعمال البناء التي كانت جارية في "بابل"، وأنه فرض

الحصار على "صور"، وهو عمل "جمَّد" جزءًا من قواته المقاتلة في حصار ممدود وغير مجد (١٧٨). زد على ذلك أن أسطول "أبرييز" استطاع أن يروح ويغدو كما يحلو له على طول الساحات المدينة المحاصرة.

على أن التجريدة التي أرسلت إلى "يهودا" عانت في البداية من التقدم العسير. كان مدقيًّا قد استطاع إرسال رسالة موجزة إلى مصر قبل إطباق القوات البابلية عليه وتطويقها للمدينة في يناير/طوية ٨٨ه ق.م.(١٧١) ولقد أسفرت عمليات التنقيب التي جرت في "لاخيش" بين الخربين العالميتين الأولى والثانية عن كشف مهم يتمثل في خبيئة من إحدى وعشرين شقفة منقوشة باللغة العبرية، تحمل الرسائل المستعجلة من أحد المواقع المتقدمة إلى قائد "لاخيش"(١٨٠). ولما كانت هذه الشقف ترجع إلى تاريخ هذا الحصار الأخير لـ "أورشليم"، فإنها تقدم صورة حية، وفي حقيقة الأمر مبهرة للأتفاس من حالة الارتباك واليأس التي صاحبت الحادث، وتتضمن إحدى أوائل هذه الرسائل، وبالتحديد رقم ٣ تقريرًا يقول إن تقائد الجنود، وهو كونياه = بن إيل اثاثان المنود، وهو كونياه = بن إيل اثاثان (= ألياناتان) قد هبط كي يتوجه إلى مصر (١٨١١). ولابد أن النجاح حالف كونياه في مهمته في مصر، وذلك لأنه سرعان ما غادر الفرجون "أبرييز" وجيشه مصر في خريف سنة ٨٨٥ ق.م. على وجه الاحتمال، وشقوا طريقهم خلال الساحل نحو "أورشليم". واقد تعرفنا جيدًا على بعض ضباط الفرعون عن طريق مجموعة التماثيل التي تركوها وراءهم، ولا يجد المرء أمامه إلا أن يتسامل كم عبد الذين صاحبوا سيدهم الفرعون في حملته المشدّومة. فهناك ("نفر- إيب- رع- ناخت" قائد المشاة، رسول جلالته الذي يقاتل نيابة عنه في كافة البلدان الأجنبية... ومراقب باب البلدان الشمالية")(١٨٢) و أمون - تف - ناخت قائد الحرس الخاص لجلالته وقائد القوات - الصفوة (١٨٢). وقد يكون هناك أيضًا 'بوتاسيمتو' Potasimto الذي كان قد عاد من الحملة النوبية: هو أيضًا "قاتل نيابة عن سيده في كافة البلدان الأجنبية (١٨٤) على نحو ما فعل العديد من القادة الآخرين الذين برجعون إلى ذلك التاريخ أو تاريخ مقارب(١٨٠).

ولكن انخراط هؤلاء الأقطاب في إغاثة المدينة المحاصرة كان قصير العمر. فلقد انسحبت القوات البابلية على وجه السرعة من حول "أورشليم" وأسرعت في اتجاه

الغرب داخل السهل الساحلى (۱۸۳). وكان زحفها من السرعة وجبهتها من الرهبة حتى إن "أبرييز" لم ير بقواته محدودة العدد التي جاء بها (۱۸۷)، أي فرصة سواء الزحف صاعدًا نحو "أورشليم" أو أي إمكانية واقعية الفوز على العدو في معركة مكشوفة. وكان أن انسحب المصريون وقد جللهم الخزي. وأخذت المدن تستسلم، مدينة بعد أخرى في "شيفيلاه" ولم يستمر صامدًا منها سوى "لاخيش" و"عزيقة" Azekah (۱۸۸۱) واستأنف البابليون حصارهم العاصمة اليهودية. كان أجلها المحتوم قد تقرر.

وأصبحت صبيحات الأنبياء صرخة مدوية. اختفى من بينهم المتفائلون. وأطلق 'إرميا' النبى نبوءاته بشأن المصير المنتظر حتى بصورة أشد احتدادًا عن ذى قبل، وقام المسئولون المدنيون والعسكريون بإيداعه السجن دون إبطاء،(١٨٩) ولو أن الملك الرعديد والمتردد استمر يسأله، في السر، النصح (١٩٠١). وحتى في 'بابل' جاء توبيخ حزقيال' النبى، الذي كان يعيش هناك في المنفى، لـ 'أبرييز' سيئ الحظ: 'الفرعون الذي حمل ضمن ألقابه كنية "قوى الذراع" كسر السيد الإله ذراعه (١٩٠١).

ومع أن العسكريين رأوا لزامًا عليهم أن يواصلوا الحرب وأن يعاملوا المنشقين باعتبارهم خونة (۱۹۲)، كان كل أمل حقيقى قد تبدد الآن، ما لم تجازف مصر بتكرار المحاولة. فلقد كانت دول الضفة من الصغر بحيث لا تستطيع تقديم أى مساعدة فعالة، مع أنها دأبت على توفير ملاذ الهاربين من "يهودا" (۱۹۲) وفي الفصل الأخير من فصول الدراما التي تترى أمام أعيننا، وقفوا موقف المتفرج (۱۹۲). واستبد اليأس بـ "صدقيًا" فأعتق جميع العبيد، ربما لكي يوفر عناصر جديدة التجنيد في سلك الجيش (۱۹۵۰)، وطلب النصح من "إرميا" النبي في المجال السياسي (۱۹۵). ولكن كل ذلك راح سدى. واستمرت أعداد كبيرة من السكان يهربون إلى "بابل"، وبمرور الوقت أنشبت المجاعة والوياء مخالبهما في "أورشليم".

حلت النهاية في غضون ثمانية شهور أو نحو ذلك بالحصار الذي فرضه البابليون مرة أخرى، ولطالما عرَّفنا الجسمور (= مجموعة كتأبات في موضوع معين، من "جسم"، المترجم) التاريخي من النصوص الميزوبوتاميانية (=البابلية-الأشورية) بمعدات الحصار المتقدمة التي كان بوسع البابليين والأشوريين أن يأتوا بها كي يطلقوها ضد مدينة ما،

وكانت تلك التقنيات التي تستخدم الأبراج وكيمان الحصار و'أكباش الحرب" (=ألات حربية قديمة تشبه المنجنيق. المترجم) قد انتقات غربًا منذ وقت طويل، على نحو ما نستدل من مسادود/لوح "بي-عنضي". وفي طوعنا أن نتخيًّل جيدًا أنه سم مقدم ربيم سنة ٨٦ه ق.م. بدأت كيمان الحصيار ترتفع قبالة أسوار "أورشليم"، ريما على الجانب الشمالي أو الغربي (واريما على كليهما)، فهنا لم يكن وضع الأرض فيما وراء التحمينات شديد الانحدار، الأمر الذي يسهِّل الهجوم باستخدام معدات الحصار. (لوحة رقم ٢٥) ولقد شن البابليون هجومًا منسقًا، وساعدتهم فيه المجاعة التي أنهكت المدافعين عن المدينة، في شبهور الصيف، ريما بالقرب من مستودعات الماء التي أصبحت تعرف فيما بعد باسم بركة "بيتيسدا" Bethesda شمالي المعبد والقصر(١٩٧٧). وفي وضع النهار يوم ١٨ يوليو/ أبيب نقب البابليون السور ودخل المهاجمون المدينة (المحة رقم ٢٦)، وسرعان ما احتلت القيادة البابلية "البوابة السطى"(١١٨) وانهارت الدفاعات وتمزقت أوصال الحكومة. وفي نفس ليلة ذلك اليوم هرب الملك وعائلته وفلول جبشه عبر البوابة الجنوبية للمدينة الأصلية أي مدينة "داود" إلى وادى "قيدرون" ومنه إلى مسحراء "يهودا". لكنهم لم يشقوا طريقهم إلى ممسر: كل طرق الومسول إلى "سيناء" كانت مقطوعة. وعوضيًا عن مصير اتجهوا إلى وادى الأردن وبالل "عمون" فيما ورائها، حيث كان بوسم بعليس" Ba'alis، ملك "عمون" أن يمنصهم بكل تأكيد ملاذًا. ولكن ذلك لم يحدث. فلقد طارد البابليون ملك "أورشليم" وأتباعه وألقوا القيض عليهم قرب "أريجا" ونقلوهم إلى مقر "نبوخدرصيّر" في سوريا. وهناك سمل البابليون عينيُّ "صدقدًا" وأسلموا عائلته لحد السيف. وبعد ذلك بشهر واحد التهمت السنة النيران "أورشليم" وأخذ البابليون سكانها أسرى وثرواتها غنائم.

خنام

كانت أحداث سنة ٨٦، ق.م. التى لم تفسر فى عصرها إلا كمرحلة فى عملية القضاء على دول جنوب المشرق لتبرهن على أنها تشكل حداً فاصلاً يتسم بالعمق فى تاريخ العبرانيين. وقامت فلول الجالية التى عادت إلى أورشليم من منفاها فى بابل عند نهاية القرن كبداية جديدة ومختلفة بصورة ملحوظة عما سارت عليه الأمور من قبل على المستوى السياسى والثقافي والديني، وبالنسبة لنا نحن المحدثين تعد يهودية عزرا أو تحميا قريبة منا ومفعمة بالحياة، أما ديانة عاموس أو إرميا النبي فغريبة وتكاد أن تكون قبل—تاريخية.

أصبحت لحظة الصدق بالنسبة لصر على وشك الهبوط، في سنة ٥٢٥ ق.م، عندما اجتاحت إمبراطورية قبير ليديانية Median التي كانت تواصل توسعها، قوات بيسماتيك الثالث، ولكن بالنسبة للمجتمع الذي ازدهر على ضفاف وادى النيل كانت الصدمة الثقافية أقل تأثيراً. حقًا كانت الدولة قد فقدت استقلالها وكانت قد هبطت إلى مستوى مقاطعة نائية في إمبراطورية عالمية شاسعة، ولكن الإدارة والديانة والتعبير الثقافي لم يتغير منها شيء إلا بدرجة محدودة إلى حد بعيد. ولا يستطيع سوى الخبراء وحدهم أن يميزوا بين التماثيل ونصوص الآداب التي ترجع إلى القرن الخامس وتلك التي تعود إلى القرن السابع أو السادس، وبينما كان القرن الرابع ليقذف لنا بمتمردين مصريين يستواون على التاج ويعلنون أنفسهم فراعنة، إلا أن نظمهم التي لم تعمر طويلاً، كانت امتدادات وحسب للتجربة التي قام بها الفراعنة المعاويون الأسبق زمنًا.

كان مقدرًا لهزيمتي سنة ٨٦٥ و ٢٥٥ ق.م. السياسيتين أن تتركا في نهاية المطاف تأثيرًا ضارًا على الحياة الثقافية في كل من مصر والمشرق على حدُّ سواء. وكان الصيت الذي بلغته مصر في البحث "الميتافزيقي" فيما لا يمكن التكهن بكنهه على وجه التحديد، ذلك الصبيت الذي جاء بالعديد من اليونانيين عند أقدام الكاهن المسرى، قد تلاشى في القرنين الخامس والرابع بينما أفسح الانبهار اليوناني المجال للاحتقار. وعلى نفس المنوال قرَّمت الذري التي وصل إليها الأنبياء العبرانيون على المستوى الأخلاقي واللاموتي قبل "النفي" المدارك التي حققها في نفس المجالات، مجتمع المعبد الثاني، ذلك المجتمع الذي نحا نحو التقييد وانغمس وعيه في الطقوس. وأدت سيطرة الأجانب على شنون مصر و"يهودا" إلى دفع شريحة الإنتاجينسية (=المثقفين) إلى موقف الدفاع. ففي مصر وبالتأكيد اعتبارًا من الغزو اليوناني بدأ مسئولو المعبد الذين انكفاوا على أنفسهم، وفي ظل الفقدان المتزايد لرعاية السلطات ومخصصاتها لهم، أخذوا ينظرون إلى أنفسهم بصفتهم ممثلين لآخر مستودع ومعقل للأنماط القديمة التي عرفتها العصور الفرعونية. وفي "يهودا" في جهد يتسم بالرجعية في البقاء "محلك سر"، قام الحكماء الكهنوتيون للمجتمع بالربط بين الأرثوذكسية (= أصولية ما قبل الأصولية. المترجم) وبين القومية كي ينتجوا تصلُّب المكابيين (= أسرة يهودية متزمتة قادت وحكمت أورشليم اعتبارًا من سنة ١٦٤ ق.عم. أي قبل العصر المألوف. وقد بني أبناؤها المعبد وشناوا منصبي الكاهن الأعلى والصاكم المطلق معًا لعدة أجيال. المترجم) ووحشية المتحمسين. وقد نلاحظ تيارات تسفيه الآخر، على أكمل وجه، في كل من مصر ويهودا في الأدب الذي أنتجه كل منهما: المعبد المصرى، الحكمة الملغزة النقوش المشفَّرة، والمجتمع اليهودي، "المشناة" Mishnah ولكن أيًّا منهما لم يجد له دورًا في عالم الهيلينية الجديد،

قد يكون في طوع المرء أن يقول أو يكاد أن يقول إن: 'الإله مات'. ربطت أرباب 'طيبة' وأمنف' وكذلك 'أورشليم' و صور'، التي ظلت حتى تلك اللحظة محلية ضيقة الأفق نفسها بالمقاومة القومية، وبهذا الربط كانت قد اختطت مصيرها بيدها. وأصبحت زماماتها البلدية التي دامت على هذا النحو خلال القرنين اللذين شهدا منعطف الحقبة

الحالية مواطن للمشاعر المتعصبية قوميًا، مثل طيبة و أورشليم التي استبدت بهما النشوة في أداء بور القلاع المحامسرة التي تدافع عن النظام القديم الذي كان قد وقع وقت ذاك تحت وطأة الهجوم.

إلا أن "آمون" ويهوه" كانا قد انتهيا إلى الفشل. وأثبتت كل من مصر وغرب آسيا أنهما عاجزتان عن الوقوف في وجه الهجوم الذي شنه اليونانيون والرومان في ميدان القتال، وكان أن تراجعتا أيضاً في ميدان الأفكار. وكاتت المقاومة دون جدوى: بحلول نهاية القرن الأول وقف معبد "آمون" مهجوراً، وبيت "يهوه" في أطلاله التي آل إليها بعد التدمير. ولم تثبت "الهجمات المضادة" التي قام بها الأدب أنها أي شيء آخر أكثر من محاولات تدعو للشفقة لاستنزال اللعنات على المدسين "خا – ستيو" (الأجانب) أو الحقراء "كتيم" (الأيونانيين والرومان). وكان أفضل ما يستطيع مثل هذا الأدب الشعبي أن يعطيه هو الوعد بغد قادم أكثر إشراقاً، أي بثمل خافت مينوس منه. الرئويون الكاحو الوجوه، ذلك الإحباط الذي تعانى منه الثقافات التي جُردت مما كان الرئويون الكالحو الوجوه، ذلك الإحباط الذي تعانى منه الثقافات التي جُردت مما كان

ومع ذلك ففى ظل هذا الغسق الطويل والمأسوف عليه لغروب هذه المجتمعات القديمة فى شرق البحر المتوسط، ربما يكون السكان المحليون قد وجدوا ما يعزيهم ويرضى أفئدتهم فى إنجاز باهر. فحيثما فشلت الآلهة القومية، بدأت الآلهة الشعبية Numina popull فى ممارسة إغراء لا يُقاوم على الغزاة الأوروبيين، وفى نهاية المطاف تخلت عن أى ولاء ربما تكون قد أظهرته تجاه مجامعها الإلهية (القومية. المترجم). ولم يستطع "زيوس" أن يتبارى مع "سيرابيس"، ولا "أثينا" مع "سيبيل" Cybele فالأممالدول التى تتبعنا معا تاريخها الطويل والمتعرج كانت قد ماتت فى ذلك الوقت، ولم تعد توفر الأمان أو التحقق-الذاتي للمجتمعات التي كانت قد تعايشت معها ذات يوم. ووجد الفرد نفسه مضطراً الآن إلى البحث عن الخلاص فى مكان أخر، خارج نطاق الجماعة، وخارج نطاق الجماعة، وخارج نطاق الأمة. وأصبح وقد وجد نفسه وحده فى عالم شجاع جديد، لا يهتم له أو به أحد. وكان أن انتزعت الحاجة الشخصية التي اتضحت على هذا النحو جوابًا، في ضوء

ما يهم جماهير العالم المُتهلُين (=الذي صبغته الهيلينية)، ومن مصدر واحد: دائرة الألهة المتجسدة، "المتأنسنة" التي ملأت الفراغ الروحي في كل نفس من النفوس. وعلى غرار ما عاني البشر، عانوا أي الآلهة هم أيضًا، وعلى غرار ما يموت الفانون، واجهوا هم أيضًا الموت والحساب وتطلب هذا التوازي اتحادًا روحيًا، واستدعى التقوى والتوبة. ولا يستطيع ذلك الاتحاد بين المقدس والخلاص أن يتم إلاً في "الأسرار"، وحدها دون سواها.

لا تنزال النتائج مستمرة معنا. فنعمة الإنقاذ التى تسبغها "إيزيس" أو "مسيح" أو "مسيح" أو "ميثرا" Mithra غلبت ما عداها في سائر أرجاء عالم البحر المتوسط للإمبراطورية الرمانية العالمية، بل وانحدرت، في صورة محورة إلى القرن العشرين. ولكن كل ذلك قصة أخرى.

الهوامش

- (۱) تنعكس صورة مصر السياسية بأحسن ما تتعكس به عند مطلع الأسرة السائسة و المشرين في السجانت التي بونها أشور –بعل (=أشوريانيبال)، انظر على وجه الخصوص النقاش الذي أداره:

 A.J.Spalinger,JAOS 94 (1974),316-28;K.A.Kitchen The Third Intermediate Period in Egypt (Warminster,1973),394-403.
 - (٢) حول الحكم الأشوري في مصر، انظر:

H.Lewy, JNES 11 (1952), 280, n.83; B.Oded, Mass Deportations and Depotees in the Neo-Assyrians Empire (Wiesbaden, 1979), 45 and n.30; M.Elat, JAOS 98 (1978), 26.

(٢) حول بيسمانيك الأول ر إنجازاته، انظر:

Kilchen, Third Intermediate Period,399-404; A.J. Spalinger, JARCE 13 (1976),133-47; idem, Orientalia 47 (1978), 12-20; idem, LdÄ 4 (1982), 1164-69.

- H.D.Meulenaere, Herodotos over de 26ste Dynastie (Louvain, 1951). (£)
- Herodotus,2.151-52 see A.B.Lloyd , Herodotus Book II A Commentary (Leid- (*) en,1988),3:130-32.See also my discussion,p.383.

انظر أيضًا مناقشتي ص ٣٨٣ (من النص الأصلي)

- (١) لا يزال الدر التاريخي الذي لعبه 'تانونامان' طي النموض، و مع ذلك يجدر بالقارئ أن ينظر: D.B.Redford LdA 4 (1982),368-69;S.M.Burstein, JSSEA 14 (1984),31-34,Lloyd, Herodotus 3:130.
 - (V) حول مرتتو-إم-حات انظر:

J.Leclant, Montuemhat 4ème prophète d'Amon, prince de la ville (Cairo,1961); M.L.Biebrier,Ld? 4 (1982),204.

- A.J.Spalinger,JAOS 98 (1978),400-409. (A)
- G.Roux, Ancient Iraq (Harmondsworth, 1966), 300-301. (1)
 - R.A.Camonos,JEA 50 (1964),71-101. (\.)
 - H.Goedicke MDAIK 18 (1962),pl.1. (\\)
- Spalinger, JAOS 98 (1978), 402-3; J. Boardman, The Greeks Overseas (Lon- (\)) don, 1980), 112-13.

- J.Yoyotte, Mélanges Maspero (Cairo, 1961), 4:142-51. (\r)
- Cf.Spalinger,Orientalia 47 (1978),12-13;D.B.Redford, Pharaonic King-fists, Annals (18) and Day-books (Toronto,1986),328-31.
 - (۱۵) حول 'صابس' (منالحجر حاليا) انظر:

I. Habachi, ASAE 42 (1943), 369ff.; R.El-Sayed, Documents relatifs à Sais et ses divinités (Cairo,1982); J. Baines and J.Malek, Atlas of Ancient Egypt (Oxford, 1980),170.

و مع ذلك غييدو أن 'منف' ظلت على وجه الاحتمال، مركز الإدارة، انظر:

A.B.Lloyd, in Ancient Egypt, A Social History (Cambridge, 1983, 332.

(١٦) حول راجيات الحاكم (nomarch) أنظر:

Herodotus, 2.177; Aristotle, Oeconomica 1351a16-1352; Diodorus, 1.73.1; Stabo, 17.1.13, 54.

(١٧) انظر: ص ٢٣٤ و ما بعدها (من النص الأمملي)

(۱۸) أحمد قشرى أواحات مصر"، القامرة ، ۱۹۷۳) ١: ١٥٠ و ما بعدها، (القاهر١٩٧٤،) ٢: ٦٤-١٥٠، (١٨) احمد قشرى أواحات مصر"، القامرة ١٩٧٠)

D.B.Redford, JSSEA 7 (1977), 7-9.

(١٩) انظر ص. ٤٤٧ و مابعدها (من النص الأصلى)

Herodotus, 2.158-59; A.B.Lloyd, JEA 63 (1977), 142ff.; idem, Herodotus, 3:149-51. (1-)

(۲۱) حول تجارة أصايس انظر:

E.Drioton and J.Vandier, L'Égypte4 (Paris, 1962), 583-84.

(٢٢) حول 'نقراطيس' (عنقراش حاليا) و بشيرها "معسكر المليزيانيين انظر:

Strabo 17.1.18;F.K.Kientz,Die Politischen Geschichte Ägyptens vom 7. Bis zum 4.Jahrhundert (Berlin,1953),38;A.Bernard. Le Delta égyptien d'apres textes grecs (Cairo,1970),799ff.;Boardman, Greeks Overseas,118-35; Herodotus, 2.178; Lloyd, Herodotus,3:222-4.

- P.Rylands IX, vii. 14-15. (۲۲)
 - ANET2,294. (Y£)
 - (۲۵) حول حکم "منسی"، انظر:

E.Nielson, in Fourth World Congress of Jewish Studies (Jerusalem, 1967), 1.103-6; B.Oded, in J.H.Hayes and J.M.Miller, eds., Israelite and Judaean History (Philadephia, 1977), 452-58; J.H.Hayes and J.M.Miller, A History of Ancient Israel and Juda (Philadelphia, 1986), 365-76.

S.M.Olyan, Asherah and the Cult of Yahweh in Israel (Atlanta, 1988) انظر: (٢٦) انظر: (٢٦) منطلاع على مراجم في المرضوع.

R.A.S.MacAlister, The Excavations of Gezer (London,1911),1:23ff, (۲۷) في سنة ٢٤٦ق.م. كان لا يزال مناك حاكم أشوري في "السامرة"، انظر:

R.A.Heshaw, JAOS 88 (1968), 478.

ظلت 'أشور' قادرة على إنفاذ حمادت انتقامية إلى وقت متأخر يقع حول سنة ٦٤٤، انظر: - A.Malamat,JANES 5 (1973),270,n.12.

Roux, Ancient Iraq,302;J.M.Myers, in H.Goedicke,ed.,Near Eastern Studies in (YA) Honor of William Foxwelf (Baltimore,1971),379.

M.Broshi,IEJ 24 (1974),21-26. (٢٩)

K.Kenyon,PEQ (1967),65ff.;(1968),97ff,in M.Avi-Yonah,ed., Encyclopedia of Ar- (1-) chaeological Excavations in the the Holy Land (Jerusalem, 1975),2:595-97.

(٣١) حول "الكيمزيين" الذين تشير إليهم "التوراة" باسم "جومر"، انظر:

I.Waterman,Royal Correspondence of the Assyrian Empire (Ann Arbor, Mich.,1930-1936),nos.146,197;I.G.Hartman, JNES 21 (1962),25ff.;M.Van Loon, JNES 29 (1970),67;H.Cazelles, in L.G.Purdue and B.W.Kovacs,eds.,A Prophet to the Nations (Winona Lake,ind.,1979),136,141-43, and passim; OCD2,240.

التأريخ الذي تقول به التقاليد هنا و هو ٦٥٢ ق.م. تعرض في الأونة الأخيرة للجدل الماد، وفي سبيل الاطلاع على موجز سريع لهذه المشكلة التأريضية، انظر: ... (1978) 98 (1978) 89 (1978) (٣٢) Roux, Ancient Iraq,295.

H.R.Hall, The Ancient History of the Near East (London, 1950), 495-96. (77)

Transaltion of A. de Selincourt, Herodotus. The Histories (Harmondsworth, (71) 1954),84-85 (1.104-6).

Herodotus, 1.105-6; Lloyd, Herodotus Book II.A Commentary (Leiden 1975), 1:78. (To)

(٣٦) قارن أوراق كل من:

H.H.Rowley and H.Cazelles in Purdue and Kovacs, Prophet; see also Hayes and Miller, A History, 382-85; A.Malamat, in The Age of the Monarchies. Political History (Jerusalem, 1979), 4:349, n.4; A.R.Millard, in J.Ruffle, ed., Glimpses of Ancient Egypt (Westminster, 1979), 119-22.

M.Van Loon, Urartian Art:Its Distinctive Traits in the Light of Recent Excavations (TV) (Istanbul, 1966),21-22.

D.J.Wiseman, Chronicles of Chaldean Kings (London, 1956). (YA)

(٢٩) لم نظهر إلى النور بعد، تلك الألواح التي تغطى السنوات رهن المديث.

Hieronymus Chronikon (ed.Helms),p.96;R.Labat, Journal Asiatique (1961), 1-12. (1-)

(٤١) سفر اللوك الثاني ٢١: ٣٢- ٢٤، و حول 'شعب الأرض' انظر المراجع للذكورة عند كل من: E.Lipiniski, in The Land of Israel: Crossroads of Civilization (Louvain,1985),104 and n.34,T.Ishida,VT Suppl.40 (1986-106.

بينما قد يعكس الممل الذي أقدموا عليه موقفا معاديا لمصر (Malamat,JANES 5 (1973),271;idem, VT Suppl.218 (1975), 126),

لا أن من سوء الفهم أن تنتقذ هذا المسطلع المهرد كمرادف لأى نوع من 'حزب' يحمل أهدافا سياسية. (٤٢) عن تاريخ يدور حول سنة ٤٦٠ ق.م. لتغلفل السيثيان، انظر:

H.Kees, in Pauly-Wissowa-Kroll, RE2 II,2 (Stuttgart, 1923), 1923), 1868ff.

Boardman, Greeks Overseas,132-35;cf.also E.Oren, BASOR 256(1986),7-44. (£7)

Herodolus,2:157;Lloyd, Herodolus,3:146-48.H.Tadmur (BA 29{1966}, 102) (£٤) ثادمور يقترح أن رقم ٢٩٠ الذي يشير عند "هيروبوت" إلى طول مدة الحصار بالسنين، يقف كسنة الحكم بالنسبة له "بيسماتيك" الأول أي سنة ١٦٥ق م، و الحقيقة أن الهيمنة التقليدية له "السيشيان" التي بلغت "٢٨" سنة، يمكن أن تفهم، مع هذا التاريخ، كي تشير إلى أن السنوات التي أعقبت المراجهة المصرية -- السيثيانية هي التي نجع "بيسماتيك" خلالها في الاستيلاء على المدينة، انظر:

A.Malamat, JNES (191950), 25-26, 42.

قد نجد انعكاسا للاستيلاء على الموقع في التدمير الذي حل بالطبقة رقم .VII ; T.Dothan, Atiqot 9-10(1971)21-115.

D.B.Redford, JAOS 90 (1970), 477. (£a)

و حول سيطرة "بيسماتيك" الأول على الساحل الفلاسطيني، انظر:

G.Steindorff, JEA 25 (1939), 30-33; Malamat, The Age of the Monarchies, 4:1,205; idem, VT Suppl. 28 (1975), 125.

Cf.E.Chassinat, Le temple d'Edfu (Cairo,1892-1934),1:30,7:165; E. Chassinat (£1) and F.Daumas, Le temple de Dendera (Cairo,1934-1978), 2:200,4:66,etc.

W.Moran, JNES 22 (1963),173ff. (£V)

P-M VII,393;J.J.Katzenstein, History of Tyre (Jerusalem,1973), 299, n. (£A) 24;313.n.100.

See n.45. (£1)

(٥٠) حول تقاليد استمرار شعرب البحر على قيد البقاء في مصر خلال الفترة التأخرة، انظر:

J.Yoyotte,RdE 12 (1952),92-93;Edfu,4:236;9:pl.90.

E.Bresciani, La lettere aramaiche di Hermopoli,366-67;B.Porter and (+1) J.Greenfield,ZAW 80 (1968),225.

Dgl:cf.J.A.Fitzmyer,in Albright Festschrift,148. (a1)

Kientz, Geschichte,41ff.;J.Leclant,BIFAO 50 (1951),171,n.2;H.De Meule- (aT) naere,BIFAO 63(1965),21ff.

- H.Schaefer, Klio 4 (1904), 157, pl.2; J. Vercoutter, BIFAO 48 (1949), 175. (61)
 - Cf.ANET2,492. (00)
 - Caminos, JEA 50 (1964), 94-95. (61)
- J.Naveh,IEH 12 (1962),89ff.;Tadmur,BA 29 (1966),102;Strange,Studia (oV)
- Y.Aharoni IEJ 16 (1966),4ff.;4ff;idem,Arad Inscriptions (Jerusalem, 1981), 12-13 (ه) and passim (ر في مراضع منفرقة من النص تلذكرر) .
 - R.Borger,JCS 19 (1965),59ff.;idem,fraq 27 (1965),135ff. (61)
 - Roux, Ancient Iraq,33ff. (3.)
 - (٦١) سفر الملوك الثاني ٢٢: ١٥-٢٠
- (٦٢) قارن، ضمن أفعال أخرى، استنصاله لعبادة النجوم و عبادة الشمس في معبد "أورشليم": "الملوك" الثاني
 ٦٢: ١٠٥ ١٢ ا
 - Wiseman, Chronicles, 57ff. (٦٢)
 - Nahum 3:1,19. (\text{\text{1}})
 - (٦٥) هناك بعض الأدلة على وجود هذا المرض في العائلة (قارن:

H.Wiid, MDIAK 16(1958), pl.33; Aelian, 10.21),

و لكن ليس معروفا ما إذا كان الملك قد تأثر به أم لا.

(٦٦) ليس هناك سبب وجيه يدعونا إلى الاعتقاد بأن القوة المذكورة في التأريخ في سنة ٦٠٠ كانت أكثر بحال من الأحوال، من مفرزة تتكون من الجنود الذين أتاحتهم الظروف: ستُحبوا و جُمعوا من الحاميات التي كانت متمركزة بالفعل، في المناطق التي تسبطر عليها مصر من سوريا، و السؤال حول ما إذا كان المصرون قد سلكوا طريق البحر، يفقد بالتالي مغزاه: انظر:

Freedy and Redford, JAOS 90 (1970),482, Malamat, JANES 5 (1973),273, n.23.

- انظر: Daphnae، تأسيسا على الحقيقة التي تقول إن بيت التحنيط كان قائما في زمام "دافناي". Daphnae، انظر: (٦٧) W.Erichsen,Eine neue demotische Erzahlung (Copenhagen, 1942),24,pl.3:3.
 - (٦٨) للاطلاع على موجز لمكم 'نيمو' الثاني، انظر:

Lloyd, Herodotus,3:149-64; Spalinger, Orientalia 47 (1978), 19-21; D.B. Redford, LdÄ 4 (1982), 369-71;

للاطلاع على تصوير جدارى نادر لهذا الملك/الفرعون، انظر:

B.V.Bothmer, Egyptian Scuipture of the Late period (Brooklyn, 1960), pl.39.

- (٦٩) قارن الملك/ الفرعون ("نيخر" الثاني بصورة شمعنية) الذي يلعب دورا قضائيا في القصمة المؤقة الإنسال التي نشرها: (رواية) Erichsen,Erzalung.
 - Wiseman, Chronicles,63;Malamat,JANES 5 (1973),274-75. (V-)
 - Cf.the locution used in BM 21901 obv.66 umman Mi-sir-ma-at-tu. (Y1)

(٧٢) قارن، غيمن أخرين:

Malamat, JANES 5 (1973), 267-78; idem, in W. Claassen, ed., Text and Context (Sheffield, 1988), 120-22; Hayes and Miller, A. History, 402.

- (٧٢) سفر اللوك الثاني ٢٠: ١٢--,١٣
 - (٧٤) سفر اللوك ٢٢: ٢١، ٣١
- (٧٥) ولد في سنة ٦٣٤قم. على وجه التقريب عندما كان والده في الرابعة عشر، انظر سفر الملوك الثاني الثاني
 - Malamat, VT Suppl.28 (1975), 126-27; idem, The Age of Monarchies, 4:206-7. (V1)
 - Wiseman, Chroncles, 63. (vv)
 - (٧٨) سفر 'الملوك' الثاني ٢٣: ٣٣-. ٢٤
 - (۷۹) سفر 'إرميا' ۲: ،۲٦
- H.H.Rowley, in Perdue and Kovacs, A Prophet to the Nations (Winona (٨٠) الدملاع على مصدر و نقاشات),37ff. (اللاملاع على مصدر و نقاشات)
- (٨١) هذه تبدو لي نتيجة صائبة استنادا إلى تحليل سفر 'إرميا' ١٠١-٤ و ارتباط الآية رقم ٢ وبالتحديد، تلك التسى تقول إن 'إرميا' دعى من جانب الوحى، لأول مرة، في السنة الثالثة عشرة من حكم 'يوشيا'، ويتعبير 'التوراة: (و كانت كلمة الرب إليه، أي إلى 'إرميا'، في السنة ...)، بعد تفسيرا واضحا للآية رقم ٤: قبلما صورتك في البطن عرفتك و قبلما خرجت من الرحم قدستك. جعلتك نبيا للشعرب'. قارن:
- J.P.Hyatt,Interpretor's Bible.Jeremiah (New York, 1956),779,798.
- (۸۲) 'إرمياً' ۷: ۲۱,۰۲۱
- Rowley, in Perdue and Kovacs, Prophet,35ff. (AT)
 - (٨٤) انظر، ضمن آخرين،:

R.J.Williams,JAOS 101 (1981),1-19;H.P.Muller,ThWAT 5,nos.1-2 (1984),140-63; idem,BN 29 (1985),22-27;G.Dossin, Sur Le prophetisme à Mari (Paris,1966); B.Utfenheimer,VT Suppl. 40(1988),257-69.

- Cf.Zeph.2:13-15. (A₀)
- (٨٦) ميقرق ١: ٦-١٠، ٢: ٦-١١
 - (۸۷) [رمیا ۲۲: ۲۰
 - (٨٨) 'إرميا' ٢٦: ١ و ما بعدها.
 - (۸۹) "إيميا" (۲۱: ۲۱–۲۳
 - (٩٠) "إرميا" ٢٦: ٢٢
 - (٩١) قارن معادود/ اوح فيشم:

10 (Urk II,90);Herodotus,2.158, 4.39;Pliny, Natural History 6.165ff.; Diodorus,3.43.5;cf.J.Ball, Egypt in the Classical Geographers (Cairo,1942), 130.

J.Leclant, Supplement au dictionnaire de la Bible 42 (1967),1-6;Redford, Ldà 4 (11) (1982),1054-58;

أصبح الآن من المؤكد أن أساس مدينة "فيثوم" يرجع إلى السنوات الأولى من حكم "نيخو" الثاني، و ذلك يفضل الاستكشافات الأخيرة التي قام بها:

J.S.Holladay: The Wady Tumilat Project. The Excavations of Tell el-Maskhuta (Malibu, Calif.,1982).

- A.B.Lloyd,JH\$ 95 (1975),45ff. (5T)
 - Herodotus, 2.158, 4.39. (%)
- Herodotus, 4.42.2-4; A.B.Lloyd, JEA 63 (1977), 148-55. (%)
 - G.Daressy.ASAE 11 (1911),260. (11)
 - Wiseman, Chronicles, 21,65. (5V)
- (٩٨) ليس مناك ما يدعل إلى الاستنتاج (Wiseman,ibid.,21) بأن المحاصرين المصريين لم يكرنوا يمثلون كامل القوات التي كانت تحت يد "نيخل": ففئرة الحصار (الربيع-الصيف) تنطوى ، بالضرورة، على رجود تجريدة عسكرية.
- (٩٩) 'إرميا' ٤٦: ٩ و حول الترس اليوناني الذي كشفت عنه المقريات في كركميش'، انظر: L.Woolley, Carchmish (London, 1921),2:123ff.

و حول كلمة "Pul" الليبية، انظر من ٤٠٤ (من النص الأصلي).

Wiseman, Chronicles, 84. (1...)

Antiquities Judaical 10.6. (\.\)

(۱۰۲) 'إرميا' ۲:٤٦

BM 21946 obv.1ff.(Wiseman, Chronicles,66). (1-7)

(١٠٤) 'إرميا' ٤٦: ١١-٢٠، بصفة عامة، قارن: 38ff),38ff (١٩٤٥) C.F.Whiteley,ZAW 80

(۱۰۵) 'إرميا" ۲۵: ۹، ۱۷–۲۹

Wiseman, Chronicles,28,68. (1-1)

J.Fitzmyer, Biblica 46 (1965),41ff.;42,n.1, (\-Y)

للاطلاع على ببليوجرافيا عن هوية الكاتب، انظر:.52-36,(1981) B.Porten,BA 44

(١٠٨) شقفة مهشمة من "أرد" تذكر ملك مصر ربما ترجع إلى هذه الفترة، انظر:

Y.Yadin,IEJ 26 (1976),9ff.;but see A.Malamat, in Classen,ed.,Text and Context,120-22.

(١٠٩) نجده مرمىوفا بصورة مفعمة بالحياة في "إرميا" ٣٦، انظر:

A.Malamat, IEJ 6 (1956), 252; idem, IEJ 18(1968), 141; idem, VT Suppl. 28(1975), 130-31.

Wiseman, Chronicles,68; Hayes and Miller, A History, 406. (11-)

J.D.Quin, BASOR 164 (1961), 19-20. (111)

Wiseman, Chronicles, 28-29, 70. (117)

Malamat, JANES 5 (1973), n.33; idem, VT Suppl.28(19755), 131, n.18. (\\\)

Sadok, BASOR;230(1978),61;1.Ephal, Orientalia 47 (1978),80. (\\o)

Cf. Josephus, Antiquitates Jud 10.6.1 (\\\\)

قارن "يوسيفوس" في (Antiquilates Jud) حيث يرجع خضوع "يهودا" للهيمنة الباباية إلى السنة الثامنة من حكم "يهرياقيم"، انظر:

Wiseman, Chroncles, 70; H. Tadmor, JNES 15 (1956), 229, n. 22.

(١١٧) انظر: من رقم ٤١٢ و ما بعدها.(من النص الأصلي)

(۱۱۸)]رسیا ۶۱: ۲۲-۲۱ تظر:

J.P.Hyatt,JBL 75 (1956),282-83;J.G.Snaith,JSS 16 (1971).15ff.;Malamat,JNES 5 (1973),267ff.

P.Demot. Cairo 31169 (iii),23;A.H.Gardiner,JEA 6 (1920), 110,113, H.Gauthier (\\\) Dictionnaire des noms géographiques dans les textes hieroglyphiques (Cairo,1925-1931),3: 22.

D.B.Redford,in A.F.Rainey,ed., Egypt, Israel, Sinai (Jerusalem, 1987), 143- (۱۲۰) 44.nn, 15-16.

P.Montet, Géographiquie de L'Égypte ancienne (Paris, 1957), 1:199. (\Y\)

(١٢٢) يقع أثل الهر" و موقع | T.21 إلى الشمال، انظر:

Gautier, Dictionnaire,3:21;G.Daressy,Sphinx 14 (1910),169;P.Dernot. Cairo 31169 iii 20 للإطلاع على رصف المرقمين، انظر:

J.Ciedat,BIFAO 18 (1920),193-94;Oren BASOR 256 (1984),7-44;cf.for the garrison J.A.Filzmyer,JNES 21 (1962),19.

G.Daressy, BIFAO 11 (1914), 29ff., 36, Montet, Géographie 1:189ff. (\YY)

Gautier, Dictionnaire 2:121; Cairo 29306. (\Y1)

Gautier, Dictionnaire 1:163; Nitocris stela, 25; O. Koeloed Petersen, Les Stèles (\\Yo) égyptiennes (Copenhagen, 1948) pl. 54.

انتلر الفصل الثاني عشر رقم ١٩٤٤ موقعها في (P.Demot.Cairo 31169) يضعها في السياق، انتلر: النظر الفصل الثاني عشر رقم ١٩٤٤ موقعها (١٤٤٤). Wes-khupri (ii,22), "House of the Valley" (ii,23), the Pelusiem branch (ii,24), Fak-us(?) (ii,25)...Bubastis (iii,6).

سقوط الـ W (أن ν+w) يتاظر غياب الـ "W" (أن ν+w) في النقش الأكادي الماصر، قارن: Silkanni for W3srkn, Hophra or Uhpara for W³h-ib-r،, Ενμωνθ for Wn-mntw etc. On Shur,see J.Cledat, BIFAO 16 (1916),215;18 (1920),169;N.Na'aman, Tel (17V) Aviv 7 (1980),95-110;A.F.Rainey, Tel Aviv 9 (1982),132-33.

Chassinat, Edfu, 4:28. (11A)

J.Cledat,BIFAO 1 (1900),110-11;idem,RT 32 (1910),193-94). (\Y\)

(١٢٠) قارن "هيروبوت" ٢-١٥٩ وهي الفقرة التي يشير فيها إلى الاشتباك الحالي، و ليس إلى ذلك الاشتباك الذي حدث في سنة ٦٠٩ ق.م.، انظر:

Malamat, JANES 5 (1973), 275-76 and n. 30; l. Lipinski, AION 22 (1972), 235ff.

Wiseman, Chronicles, 70. (171)

(١٣٢) لعب "إرميا" (٤٦-١٧) لعبة "الجناس" على اسم "نيخو": جهير" الفم الذي يقع منه الزال.(على وجه Ma?ebir/Whm-ib-r

(١٣٣) يشير "هيروبوت" (٢-٩٥١) إلى الاستيلاء على تكانيثس": Kadytis عقب معركة "مجدر" مباشرة. و الاسم، وهو 'غزة" مشتق، بوضوح، خلال مصدر مصري. قارن:

M.A.Meyer, History of the City of Gaza (New York, 1907), 38; BA 29 (1966), 102; Malamat, JANES 5 (1973), 275-76. Lipiniski, AION 22 (1972), 236-37; H.J. Katzenstein, VT 33 (1983), 249-50; Lloyd, Herodotus, 3:162-63.

Herodotus, 2.159. (\TE)

Wiseman, Chronicles, 31,70. (170)

(١٣٦) سنفر الللوك الثاني ٢٤: ١، قارن:

D.N.Freedman,BA 19 (1956),54;J.P.Hyatt.JBL 75 (1956),281;Tadmor,JNES 15 (1956), 229.

Wiseman, Chronicles, 31,70. (NTV)

(١٣٨) سفر 'إرميا'89: ٢٨-٣٢، قارن:

Tadmor, JNES 15 (1956), 230; Malamat, IEJ 6 (1956), 254-55; Hyatt, JBL 75 (1956), 283; W.J. Dumbrell, BASOR 203 (1971), 39.

(۱۲۹) آللوك الثاني ۲۱: ۲، انظر: Freedman,BA 19 (1956),55,n.18

(۱٤٠) انظر سفر "أخبار الأيام" الثاني ٣٦: ٩، الذي يحدد ثلاثة شهور و عشرة أيام كالفترة التي انقضت بين وفاة "يهوياقيم" و سقوط "أورشليم" يوم ١٦ مارس/أمشيو، قارن:

Hyatt, JBL 75 (1956), 278-79; Freedman, 8A 19 (1956), 55, n. 22.

(١٤١) في ضوء الحادث، يتعين تفضيل سفر "أخبار الأيام" الثاني هنا على السجل الذي يضمه سفر "الملوك" الثاني ٢٤: ٨ الذي يقول إن "يهوياقيم" كان في الثامنة عشرة من عمره عندما جلس في العرش.

Wiseman, Chronicles,72. (111)

(١٤٢) قارن سفر 'الملوك' الثاني ٢٤: ١٠-١٧. ، 1956),279. Hyatt,JBL 75 (1956),279.

- Wiseman, Chronicles,72. (\11)
- E.Weider, Mélanges Dussaud (Paris, 1939), 2:923ff. (\10)
- (١٤٦) حول استمرار ولاء 'أورشليم' لـ 'يهوياقيم' حتى قبل سنة ٨٦ه ق.م.، انظر:

H.G.May, JNES 4 (1945), 221, n.21.

- (١٤٧) سفر 'لللوك' الثاني ٢٥: ٢٧-٢٠
- (١٤٨) انظر من ٤٦٢ (من النص الأصلي)
 - Wiseman, Chronicles, 72. (111)
- (۱۵۰) 'إرميا' ٤٩: ٣٥-, ٢٨ تحدد تاريخ الوحى بـ 'مطلع حكم 'صدقبا' ملك 'يهودا'(آية رقم ٣٤) وأوجبته، بوضوح، أحداث سنة ٩٩٦، انظر:

Tadmor, JNES 15 (1956), 230, n. 27; Hyatt, JBL 75 (1956), 283.

- (۱۵۱) ارمیا ۲۷: ۹
- (١٥٢) 'إرميا" ٢٨: ٢-٤
- (١٥٣) تقول الترجمة السبعينية للعهد القديم من العبرية لليونانية عن 'إرميا' ٢٧: ١ 'في السنة الرابعة من حكم 'صدقيا'، انظر:.58,(1956) Hyatt,JBL 75 (1956,281;Freedman,BA 19
 - لبس مناك سبب يدعر إلى رفض تاريخية الحادث.
 - Kienitz, Geschiche, 158 (101)
 - (بین ٤ مایو/ بشنس و ۲۲ نوفمبر/بابة)، و حول التواریخ بعد تصحیحها، انظر:

Lloyd, Ancient Egypt, A Social History, 281.

- R.ei-Sayed, BIFAO 74 (1974),35. (\aa)
- A.J.Arkell, A History of the Sudan to 1821 (London,1961), 138ff.; W.B. Em- (\o\) ery,Egypt in Nubia (London,1965),222ff.
- H.Ranke.ZÄS 44 (1901),42-43;De Meulenaere, BIFAO 63 (1965),21ff.; Lloyd (\av) Herodotus ,2:126-30.
 - M.F.L.MacAdam, The Temple of Kawa (Oxford,1949);1:46ff. (NoA)
 - MDAIK 31 (1975), pl.28(b);K.Jansen-Winkeln,GM 109 (1989),31. (\ o \)
- لابد أن هذه الحملة انطلقت في أواخر حكمه، بعد سنة ٦٠٠ ق.م. فقبل هذا الوقت كانت تمركات "نيخر"، فيما يبدر جليا، غاية في الوضوح.
 - Arkell, Sudan, 144. (17.)
 - See Bothmer, Egyptian Sculpture of the Late Period,pls. 48-49. (\7\)
- S.Raite,BIFAO 61 (1962),43-53; S.Pernigotti, StudClassOriental 17 (1968), (131) 251ff.
 - H.S.K.Bakry, Oriens Antiquus 6 (1967),22ff. (177)

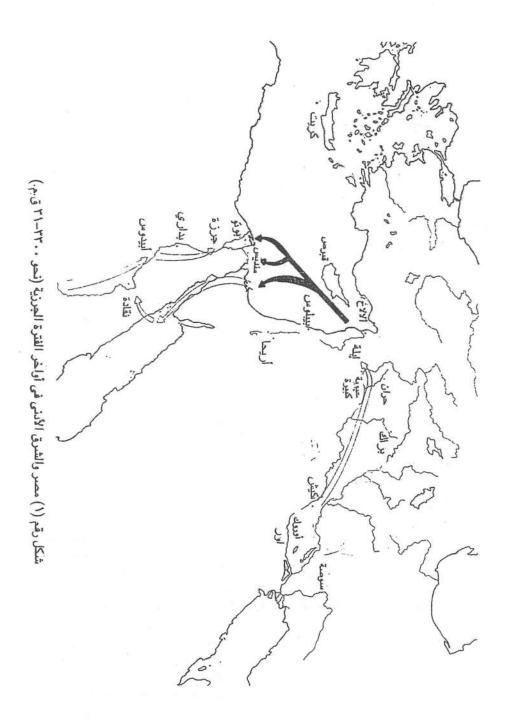
- L.Habachi, Oriens Antiquus 13 (1974), pl. 20(b). (171)
 - Arkell, Sudan,145. (17a)
- (١٦٦) 'إرميا" ١٥: ٩ه ، انظر: .6-305) M.Greenberg,JBI 76 (1957),305-6.
- P.Ryalnds IX,14:16-19;K.S.Freedy and D.B.Redford,JAOS 90 (1970), 479ff. (171)
 - J.Yoyotte,VT 1 (1951),143, Freedy and Redford,JAOS 90 (1970) 479ff. (13A)
 - Ezek,20:1ff.;Freedy and Redford, JAOS 90 (1970),480. (134)
 - (۱۷۰) قارن 'إرميا' ۲۹: ۲۱-۲۲، ۲۲-۲۲
 - (۱۷۱) قارن ارمیا ۵۰: ۸۱
 - . P.Rynaids IX,15:8-9. (1V1)
- Herodotus (2.161) conveys an early (and favorable) judgment of the (1VT) reign:Lloyd,Herodotus,3:170
- تنقل إلينا الفقرة رقم ١٦١ الواردة في الكتاب الثاني له "هيروبوت" رأيا مبكرا (و محبذا) في الحكم، انظر: Lloyd, Herodolus, 3:170.
- (۱۷٤) نص وادى بريسا الذى يرجع إلى تبوخدرمس ويسجل عملياته الحربية في لبنان في الفترة بين مدر الدي بريسا الذي يرجع إلى تبوخدرمس ويسجل عملياته الحربية في لبنان في الفترة بين مدر المدر المدرد الإمام ويجبر السكان المحليين على الفرار (ANET2,307) ولم يكن ذلك العدو سوى مصر و للاطلام على وأي مخالف الظر 12-11-12 Lloyd, Herodolus, 3:171
 - Freedy and Redford, JAOS 90 (1970), 480 and n. 100. (\vo)
 - (۱۷٦) قارن آرمیا ۲۹: ه
 - (۱۷۷) في سبيل نقاش مع المراجع، انظر:

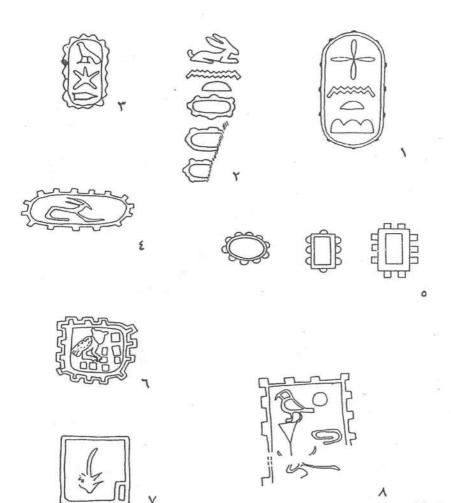
Freedy and Redford, JAOS 90 (1970), 481ff, ;B.Oded, in Hyatt and Miller, Israelite and Judaean History, 472ff.

- Josephus, Contra Apionem 1.21; ANET2, 307. (1VA)
 - May, JNES 4 (1945),218-19. (1V1)
- H.Torczyner, The Lachish Ostraca (London,1938); W.F.Albright, in ANET2,321-22 (\lambda.)
 - ANET2,322. (\A\)
 - Cairo 895. (\AY)
 - Z.Saad, ASAE 38 !1941), 386. (117)
 - A.Rowe, ASAE 38 (1938), 170. (1AL)
 - Cf.Cairo1209;H.Gauthier,ASAE 22 (1922),97. (\As)
 - (١٨٦) "إرميا" (١٨٦)

- A.Malamat,IEJ 18 (1968),151. (\AY)
 - · (۱۸۸) ارمیا ۲۶: ۷، ANET2,322 -۷
 - (١٨٩) أرميا ٤٧٠: ١٥-٢١
 - (۱۹۰) إرميا ۲۸: ۱۶-۲۸
- (۱۹۱) حُرقیال ۳۰: ۲۰ و ما بعدها، و انظر:
- Malamat, IEJ (1968), 152; Freedy and Redford, JAOS 90 (1970), 482-83; J.K. Hoffner, JSSEA 11 (1981), 166-70; idem, Biblica 67 (1986), 378-87.
 - (۱۹۲) قارن 'إرميا' ۲۸: ٤، انظر: .322 ANET
 - M.Noth, A History of Israel (London, 1959),292. ١٤٠ ١٠٤ ١٠٤ إرميا ٤٠٠ الروانظر: ١٩٤٥)
 - J.R.Barlett,PEQ 114 (1982),13ff. (111)
 - (ه ۱۹) "إرميا" ٢٤: ٨-٨، انظر: 153 (1963) 413 M.David,OTS (1948,63ff.;Malamat(IEJ 18(1963) 53: ٨-٨٠، انظر: مناوته تاريخ تحرير العبيد إلى ما قبل الحركة المضادة الذي قام بها "أبرييز".
 - (١٩٦) 'إرميا' ٢٨: ١٤ ن ما بعدها.
- (١٩٧) حول قطع الأهجار بشكل متسرع و نصب المافعين عن المدينة لدفاعاتهم في الناهيتين الشمالية والمورية، انظر. 54-53, (1979) A.D.Tushingham, ZDPV 95 (1979).
 - (۱۹۸) إرميا ۲۹: ۲، قارن:
- N.Avigad, in Biblical Archaeology Today (Jerosalem, 1985),471-72.

ملحق اللوحات والأشكال





شکل رقم (۲)

أحواش مسورة ترجع إلى الملكة القديمة

١ - ختم الجرار يرجع إلى المملكة القديمة .

٢ - نقش من مقبرة "ويني" بـ "أبيدوس" خلال حكم "ميري-ان-رع" .

٣ - جزء من تمثال يرجع إلى الأسرة الثانية عشرة لمنظم "القبائل" في معبد هرم "تيتم

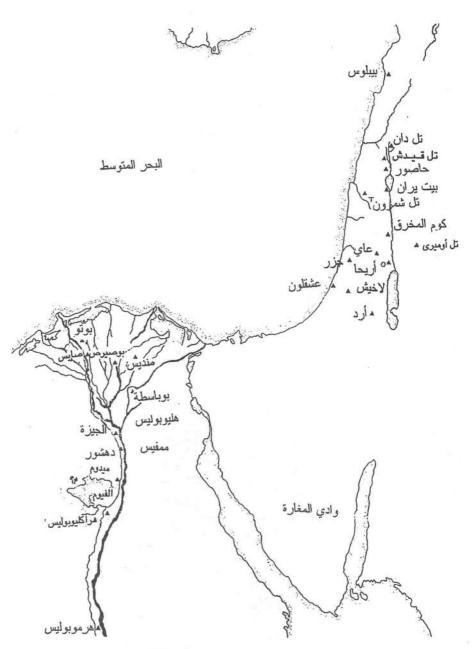
٤ - لوح خشبي يرجع إلى الأسرة الأولى من "أبيدوس".

ه - من "نصوص الأهرام" ١٨٣٧ أ-ب (بيبي الثاني فقط) .

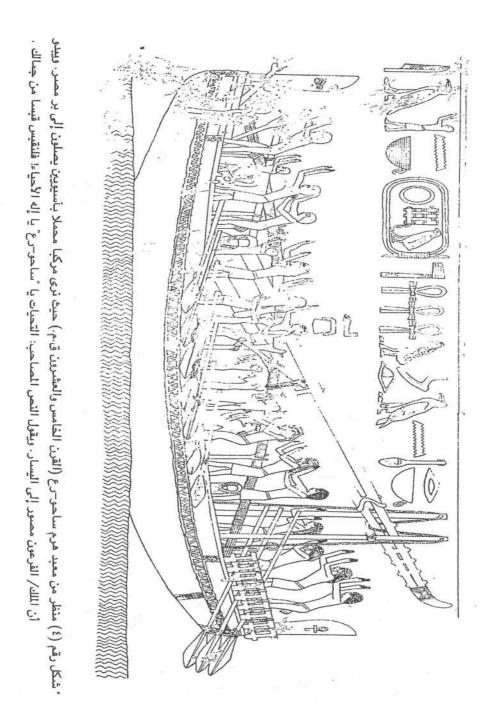
٦ - شطفة من لوحة ألوان من الحجر .

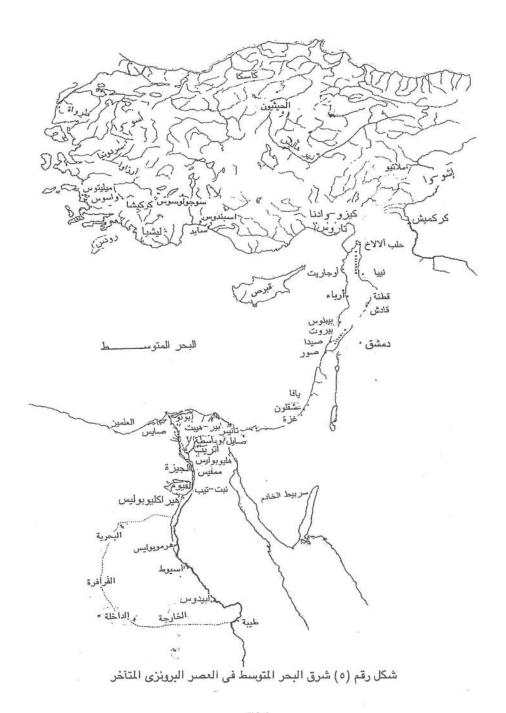
٧ - بطاقة من خشب "أوديمو" من "أبيدوس" .

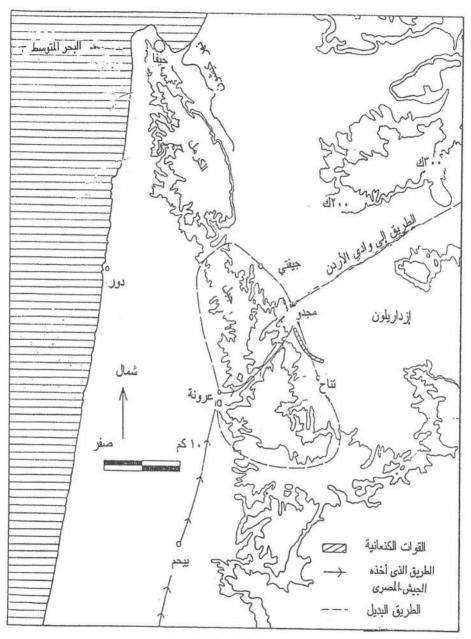
٨ - بطاقة من خشب "حور- أها" من "أبيدوس".



شكل رقم (٣) مصر والمشرق في الألف الثالث ق.م.





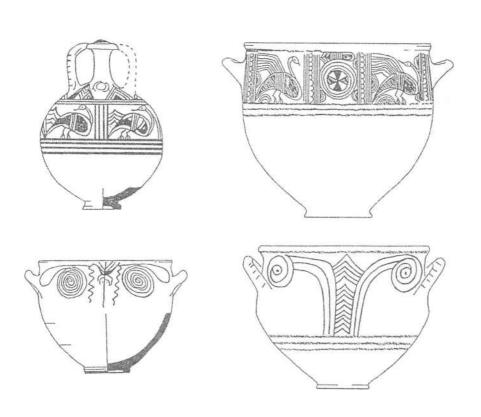


شكل رقم (٦) معركة "مجدو"

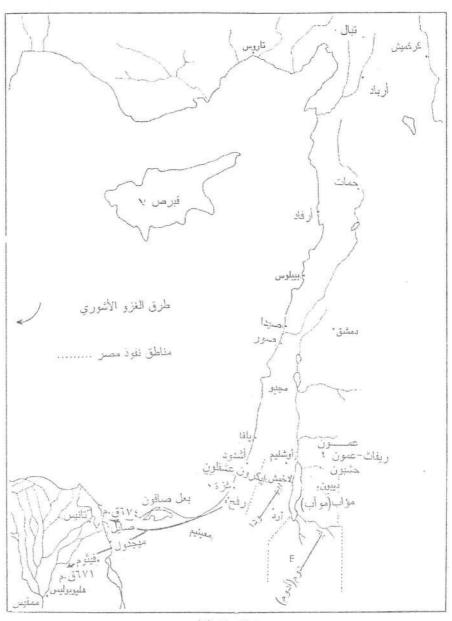


شكل رقم (٧) أزياء متميزة في شرق البحر المتوسط خلال العصر البرونزي المتأخر

- ١ لفاع كنعانى مع عباءة شتوية وطاقية للرأس .
 - ٢ جلابية شمال سوريا وطاقية رأس .
- ٣ جلابية كنعانية ولفاع وعصابة للرأس (مقابر "طيبة") .
- ٤ زى كنعاني أصيل (القرن الثاني عشر ق.م.) (مقابر "طيبة") .
 - ه سيدة كنعانية ترتدى فستانا بهداديب (مقابر "طيبة") .
- ٦ محارب فلاسطيني يرتدي على رأسه عرف حصان (؟) خوذة ، نقبة ، ودرعا. (مدينة "هايو") .
 - ٧ محاربون من قبائل "الشاسو" يرتدون العمامة والنقبة (بيت الوالي مصر) .

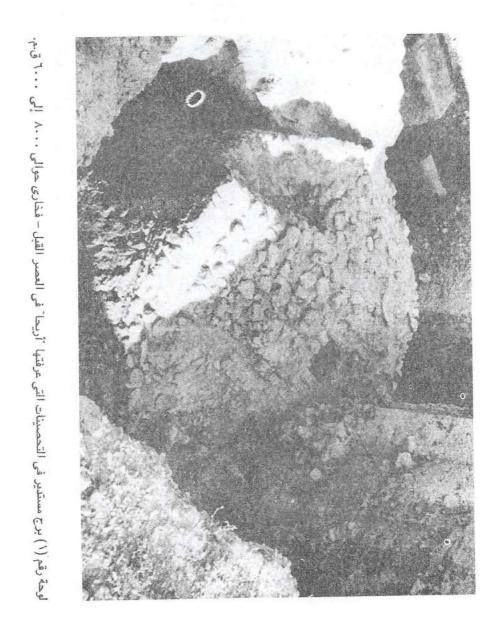


شكل رقم (٨) فخار فلاسطينى، وأساليب التزيين مستقاة من تقاليد الخزف التي عرفتها الحقبة الهيلادية IIIC في جزر بحر "إيجة"، مع بعض التأثر بالنماذج القبرصية.



شكل رقم (٩) المشرق في القرن السابع ق.م.

شكل رقم (١٠) التجارة في النصف الأول من الألف الأول ق.م.



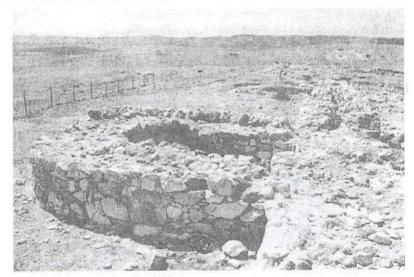


وتمثال بارز لامرأة وقد رفعت ذراعيها فوق رأسها، الأمر الذي يجعلنا نرجح استنادًا إلى نماذج أخرى، بأنها إلهة.



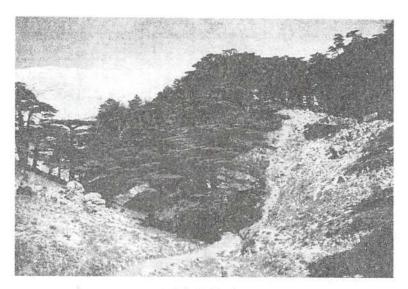
لوحة رقم (٣)

صلاية "المدينة"، إلى اليسار نجد سلسلة من المستوطنات المستطيلة الشكل والمحصنة وقد وقعت تحت هجوم أشخاص محليين يرتبطون بالملكية. وربما تشير أسماء "المدينة"، مع أننا لسنا متأكدين منها ، إلى منطقة "بوتو" بشمال غرب الدلتا. وإلى اليمين نجد مواشى وحميرا وأغناما وبعض الشجيرات ، الأمر الذي يعيد إلى الأنهان موطنا ساحليا ، على نحو ما يشير الرمز الهيروغليفى "تيحينو" (=ليبيا).



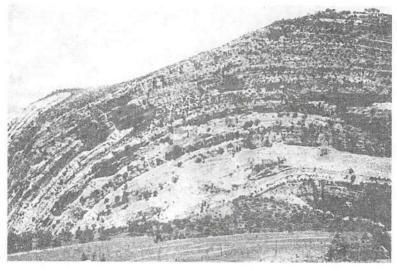
لوحة رقم (٤)

جانب من تحصينات أرد" عند الحقبة رقم EBI في النقب (من القرن العشرين إلى القرن الثامن والعشرين ق.م.) وتنتمى الأبراج شبه المستديرة إلى نوع طالما صوره المصريون في رسوماتهم المدن الأسيوية.

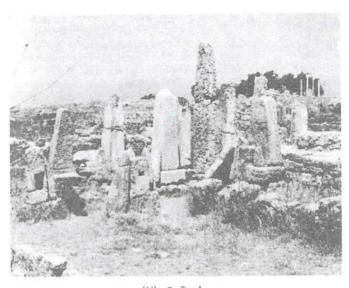


لوحة رقم (٥)

دغل من شجر الصنوبر في الجبال الواقعة شرقى "بيبلوس". وقد أدى التحطيب الذي لا يكل ولا يمل خلال العصور القديمة والوسيطة الذي قام به أبناء شرق المتوسط طلبا للأخشاب اللازمة لبناء السفن بالمنطقة إلى أن أصبحت جرداء تمامًا أو تكاد.



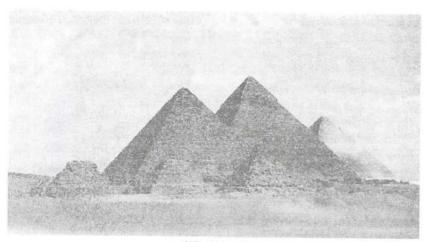
لوحة رقم (٦) جبال لبنان شمال شرقى بيروت.



لوحة رقم (٧) ما يسمى بـ "معبد المسلة" (العصر البرونزى الوسيط) فى "بيبلوس"، مع أن الوظيفة التعبدية (؟) لهذا الشكل لا تزال رهن الشك، إلا أنه يسهل تخمين الإلهام المصرى الذي يقف وراءه.



لوحة رقم (٨) بناء يرجع إلى مطلع العصر البرونزى، يتكون من أحجار نصف منحوتة فى "التل" (="عاى" فى التوراة) شمالى "أورشليم" وتشير تكنيكات البناء ووجود المرمر إلى قيام اتصال مع مصر.

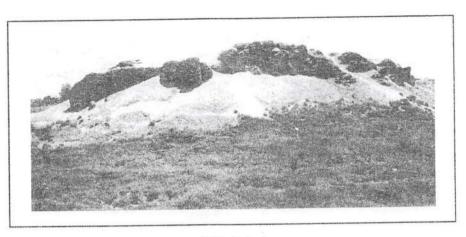


لوحة رقم (٩)

أهرامات الجيزة التي ترجع إلى الأسرة الرابعة كما تلوح إلى الناظر إليها من الجنوب. ومع أن كساء الصخور الخارجي منزوع الآن، إلا أنها ترمز ، دون زيادة أو نقصان، إلى أوج القوة التي حارتها المملكة القديمة خلال القرن السادس والعشرين.ق.م



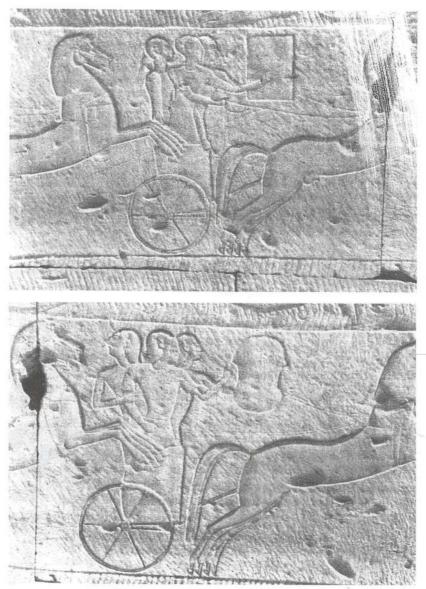
لوحة رقم (١٠) البوابة الجنوبية لدينة "سيخيم" (= شكيم التوراتية) في العصر البرونزي الوسيط.



لوحة رقم (١١) سور مستحكم من الرمال المكومة والحجارة، "تل اليهودية" ولقد كانت مستوطنة هكسوسية تقع على بعد نحو ستة عشر كيلو مترا شمالي شمال شرق "أون" (=هيليويوليس)

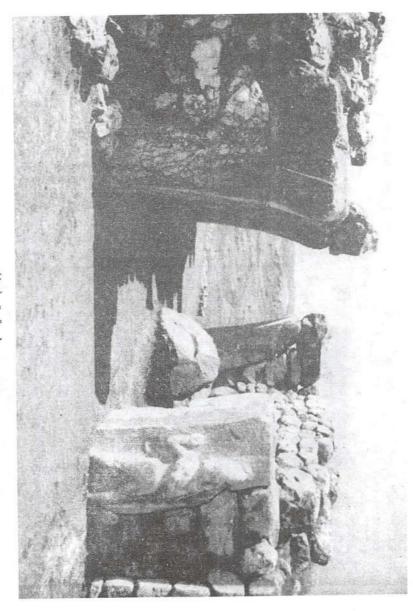


لوحة رقم (١٢) رأس مومياء "سقن-ن-رع" وها هي تكشف عن الإصابات القاتلة التي أسفرت عن وفاته في خضم المعارك الطاحنة ضد الهكسوس.



اللوحتان (١٤،١٣)

الحيثيون وحلفاؤهم من أبناء شمال سوريا، ولنلاحظ الشخص ذا التروس الثماني وحلق الشعر بحيث يترك قلة الرأس عارية. معبد "أبيدوس" الذي بناه الفرعون "رعمسيس" الثاني في القرن الثالث عشرق.م



لوحة رقم (١٥) بوابة "المحارب" في "هاتوساس" عاصمة الحيثين ("بوغاز كوي" حاليا) في آسيا الصغري .

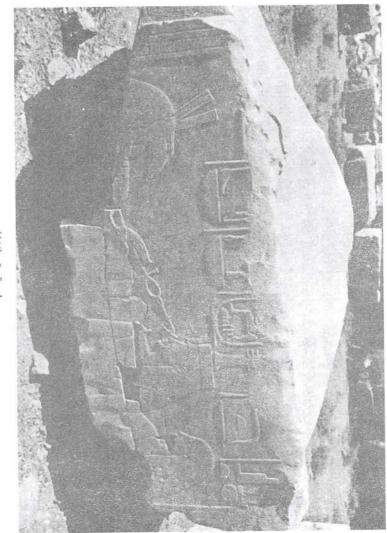
749



لوحة رقم (١٦)

عضادة باب من الحجر الجيرى ترجع إلى معبد الكرنك (مطلع الأسرة الثامنة عشرة) تصور مطارح مشخصة في أسيا وقد جاءت وهي تحمل القرابين، وبذلك تسجل حملة مصرية في آسيا. والشخصية المصورة هي شخصية "فيديم" أي "الشرق".



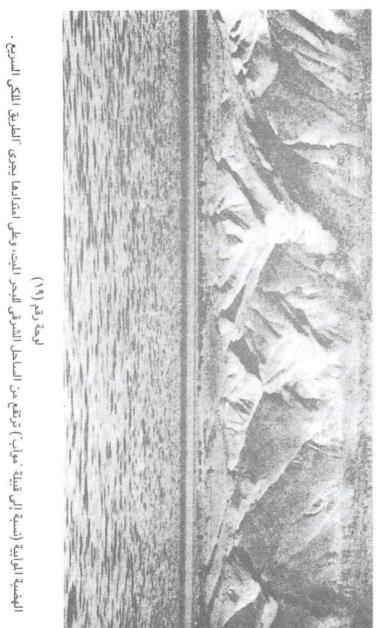


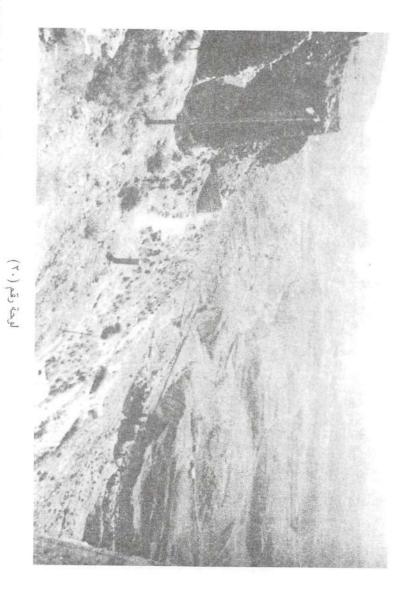
الحياة والسلطان.



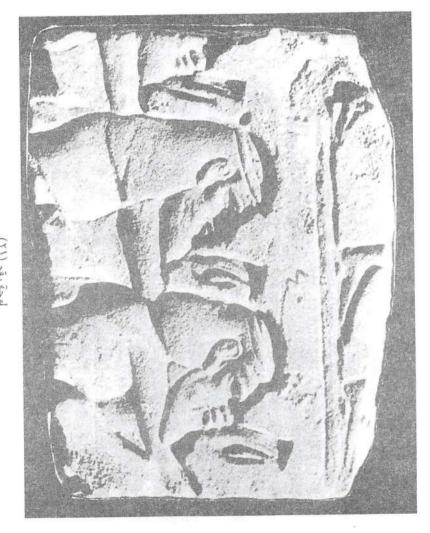
لوحة رقم (١٨)

هجوم يشنه المصريون تحت قيادة الفرعون "رعمسيس الثانى" على المدينة السورية "دابور". ويتراكب الحدث خلال الحصار: رجال يُدفعون إلى داخل المدينة في فرارهم أمام الجيش المتقدم، قوات الصدمة (=الصاعقة) ينصبون السلالم، المدافعون يقاومون، وفي نهاية الأمر يستسلمون ويحرقون بخور الخضوع والابتهال.

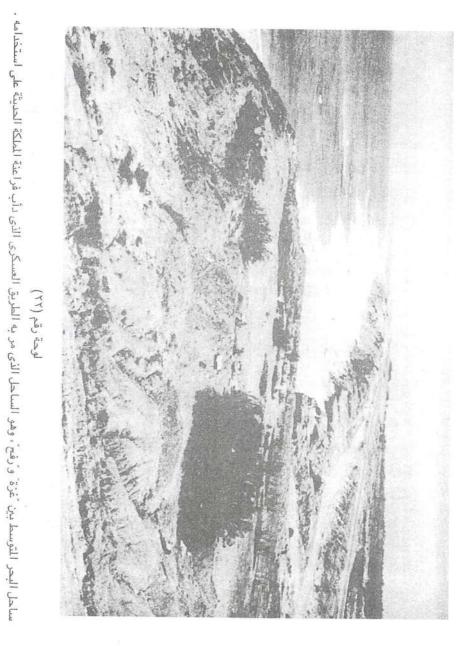


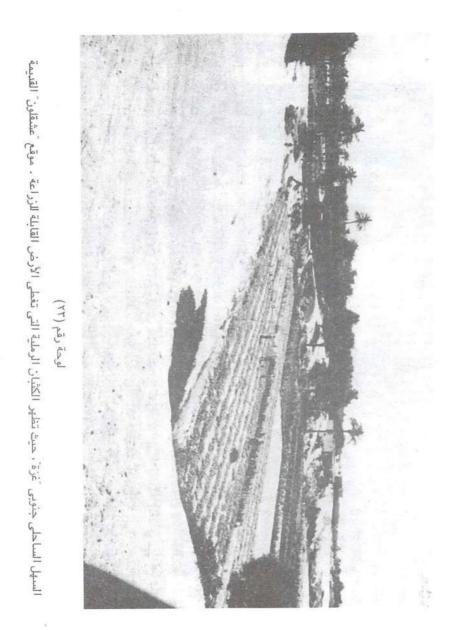


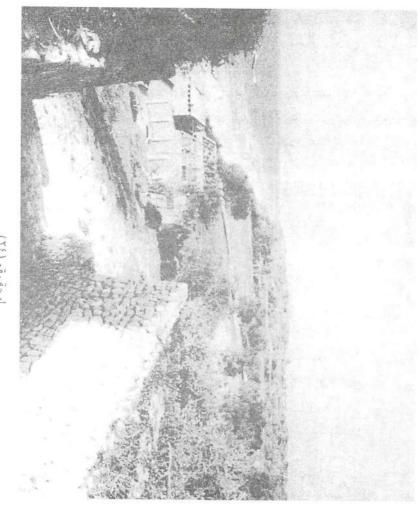
وادى الكراك يمضى باتجاه الشرق من "كراك" إلى البحر الميت. وخالل هذا الوادى يسير معير مرور (= ترانزيت) يربط مرتفعات الضفة الغربية بــــّعربة" و "النقب" .



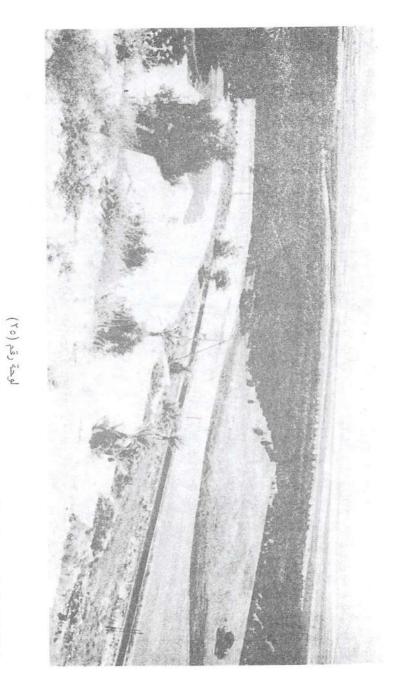
755







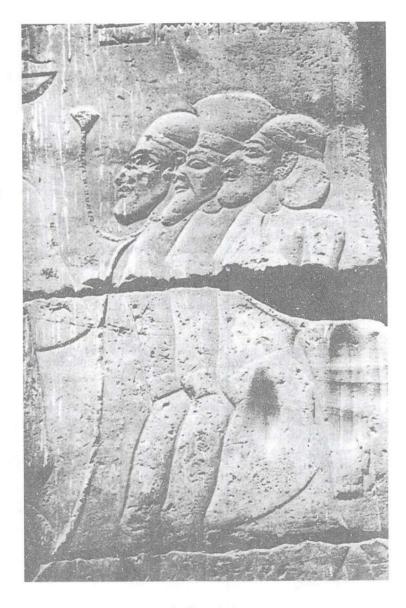
لوحة رقم (٢٤) موقع عشقلون القديمة



سهل "إزداريلون" يطل في اتجاه شمالي شرقي من ربوة مجدو ، حيث كان المزارعون يحصدون محصول القمح لبلاط الفرعون وكان المصريون قد اتخذوا معسكر الحصار الذي فرضوه عل حصن مجدو" خالال الحملة الأولى لـ" تحوت – موسى" الثالث في مقدمة الموقع.



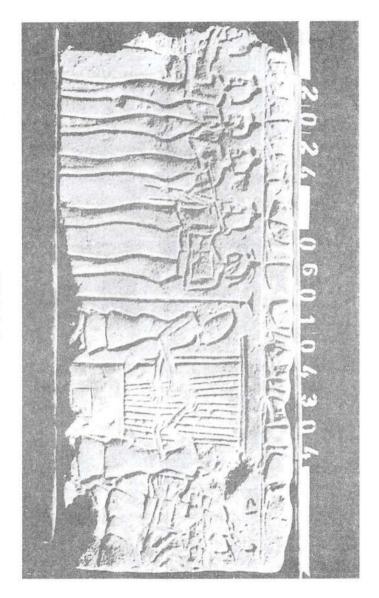
لوحة رقم (٢٦) جانب من مشاة الجيش المصرى وراكبى العجلات الحربية في معركة كادش (نحو ١٣٠٠ق.م.). معبد "أبيدوس" الذي بناه الفرعون "رعمسيس الثاني" .



لوحة رقم (٢٧) سجينان كنعانيان يقفان على جانبى أسير فلسطينى، المعبد الجنائزى الذى يرجع إلى الفرعون "رعمسيس" الثالث. مدينة "هابو".



يرجع لـ أخناتون في طيبة (مطلع القرن الرابع عشر ق.م.)

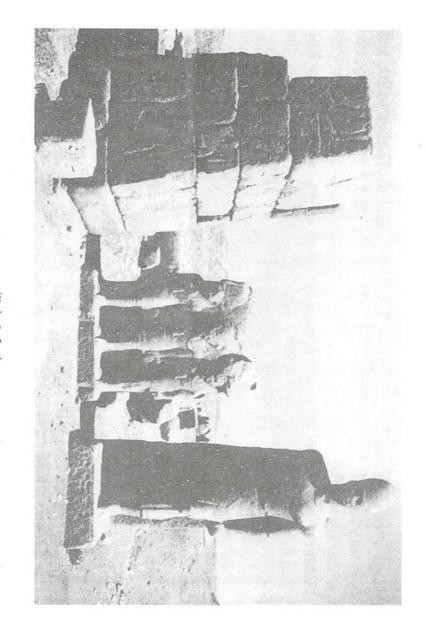


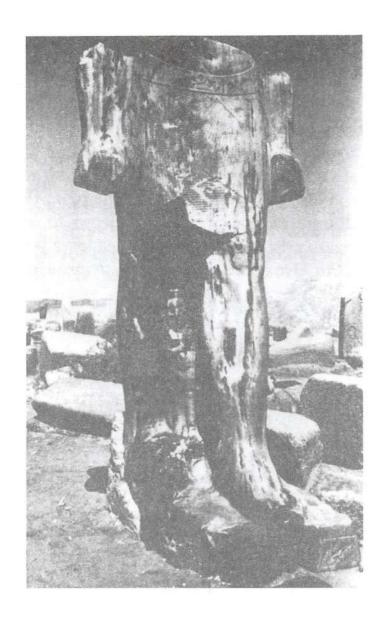
لوحة رقم (٢٩)

على "هارب" ضخم يقف منتصبا وقيشارة إلى اليمين. وقد تشير ذقونهم الحليقة النباعمة وملابس النساء التي يرتدونها إما إلى أنهم موسيقيون في بلاط "أخناتون". ونجد فتيات مصريات يؤدين أغاني إلى اليسار، بينما يعزف موسيقيون أسيويون (من "ميتاني" أم من "خاتي"؟) خصيان أو مختثو اللبس.

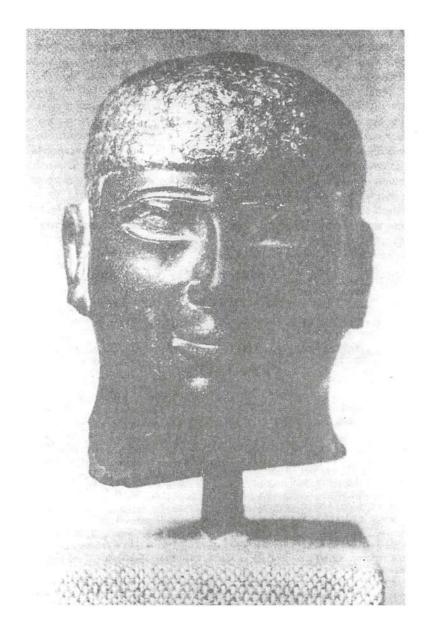
763







لوحة رقم (٢١) جذع وقدما تمثال ضخم للفرعون "رعمسيس" الثاني يرجع في الأصل إلى "بي- رعمسيس"، وهي موجودة حاليا في "تانيس"

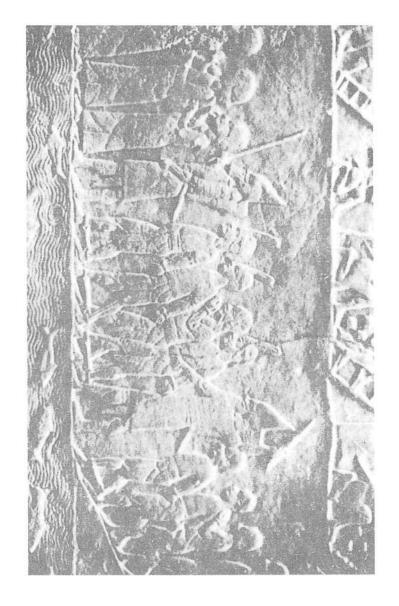


لوحة رقم (٢٢) رأس من حجر "الشست" الصلب لأحد فراعنة الأسرة الخامسة والعشرين ، قد يكون "ساباكو" ..

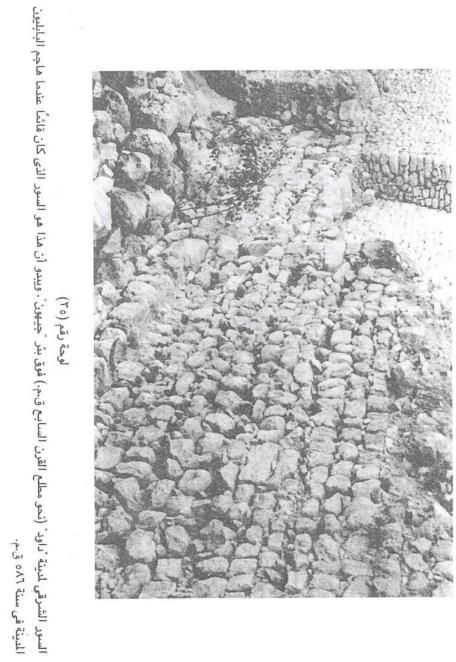


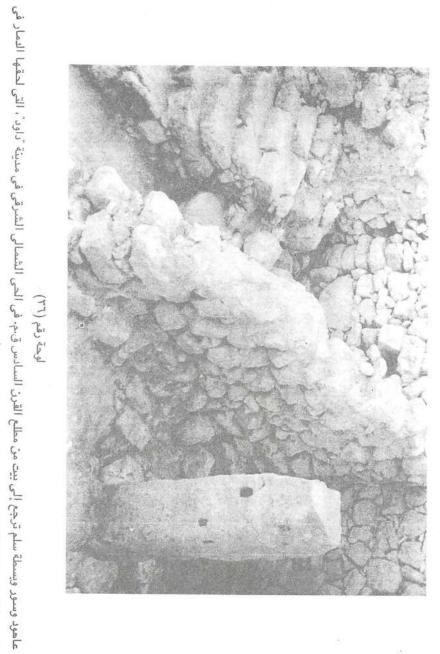
لوحة رقم (٢٢)

هجوم آشوري على مدينة محصنة، قد تكون مصرية. وبينما نجد بعض الجنود يصعدون على سلالم الحصار كي يشتبكوا مع المدافعين عن المدينة، نرى الجنود الحفارون يعملون في السفح على تقويض الأساسات، ونلاحظ الأسوار المحطمة والفتحة التي تشبه الصرح إلى اليمين.



لوحة رقم (٣٤) جنوب أشوريون يقودون أسرى خارجين من المدينة الواقعة تحت الحصار . وتشير الهيئة "السودانية" للأسرى إلى اليمين والنقب (جمع نقبة) علاوة على الريش الذي يعلو عصابة رأس الأسرى ذوى الرتب العالية في الوسط إلىّ بيئة الأسرة الخامسة والعشرين ،





الهجوم البابلي سنة ٨٦٥ ق.م.

اللؤلف في سطور

دونالد ريدفورد

- حصل على الليسانس والماجستير والدكتوراه من قسم دراسات الشرق الأدنى بجامعة "تورنتو" في كندا.

- السيرة الأكاديمية:

عمل محاضراً بجامعة "براون" بالولايات المتحدة من سنة ١٩٥٩ إلى ١٩٦١ ، ثم أستاذ مساعدًا (٢٩-١٩٨٦) ، ومشاركًا (٥٥-١٩٦٩) ، وأستاذًا (٢٩-١٩٨٦)

كما عمل أستاذًا زائرًا يجامعة "بن جوريون" بالنقب ١٩٨٦

وأستاذًا زائرًا بجامعة بنسيلفانيا ١٩٩٥–١٩٩٦

وأستاذًا بجامعة بنسيلفانيا الأميرية ١٩٩٨ حتى الأن(٠).

- المسيرة الأثرية:

• مشرف موقع ، حفائر المعهد البريطاني للأركيولوجيا . أورشليم ١٩٦٤ و١٩٦٥ و ١٩٦٧ .

- إبيجرافر، حفائر جمعية استكشاف مصر في "بوتو" بمصر السفلي.
- مدير حفاشر جامعة "تورونتو" و "صنى" برمنجهام في معبد أوزيريس. الكرنك ١٩٦٨ .

(*) وقت ترجمة هذا الكتاب .

مدير مشروع معبد أخناتون التابع لجامعة "بنسيلفانيا" ١٩٧٢--١٩٧٧ مدير حفائر شرق الكرنك ١٩٧٥--١٩٩١ مدير مسح أسماء الأماكن بالأردن ١٩٨١ مدير حفائر في "منديس" بمصر السفلي ١٩٩١- حتى الآن(١٠). إبيجرافر مسح مقبرة "طيبة" ١٩٩٦ حتى الآن(١٠).

أهم الأعمال المنشورة:

- History&Chronology of the Egyptian 18th Dynasty, Seven Studies, Toronto.1967.
- A Study of the Biblical Joseph Story, Leiden, 1970.
- The Akhnaten Temple Project I, Initial Discoveries, Warminster, 1977.
- Pharaohic King-lists, Annals and Day-books, Mississuaga, 986.
- Akhnaten, the Heretic King, Princeton, 1984.
- The Akhnaten Temple Project II, Rwd-mnw&the Inscriptions, Toronto, 1988.
- Egypt, Canaan &Israel in Ancient Times, Princeton 1993.
- Plus over 200 articles and book reviews in over 25 years.

(٠) وقت ترجمة هذا الكتاب.

المترجم في سطور

بيومى قنديل

- * ليسانس أداب قسم اللغة الإنجليزية وأدابها. جامعة القاهرة. سنة ١٩٦٤.
- * دراسات حرة للماجستير بمعهد الدراسات القبطية لثلاث سنوات ٨٨/٨٨/ ١٩٩٠
 - * عضونقابة المنحفيين .
 - * عضو اتحاد الكتاب.
 - * عضو جمعية الآثار القبطية.
 - عضو جمعية القاهرة للغويين.

أهم الأعمال المترجمة :

- (١) محاكمة ريجان " (مجموعة من كبار الحقوقيين الدوليين)
 - (٢) "المايم والبانتومايم" (الألف كتاب الثاني . هيئة الكتاب)
- (٢) أخناتون ذلك الفرعون المارق". دونالد ريدفورد (دار نشر خاصة)
- (٤) قصة خروج بنى إسرائيل من مصر فى الميزان، أوراق سنة علماء فى المصريات والآثار إلى مؤتمر عقدته جامعة "براون" بـ "رود أيلاند" بالولايات المتحدة حول "تاريخية" سفر الخروج فى سنة ١٩٩٧ ونشرت فى ١٩٩٧

أهم الأعمال المؤلفة:

- (١) ضم القمح ليلا (مجموعة قصص قصيرة. هيئة الكتاب)
- (٢) أمونة تخاوى الجان (مجموعة قصص قصيرة. دار نشر خاصة)

- (٣) عصفور الجنة (مسرحية الأطفال. المسرح القومي للأطفال)
 - (٤) العيد الكبير (مسرحية حول أسطورة إيزيس وأوزيريس)
 - (ه) كل شيء ن كان (ديوان شعر. نشر خامي)
 - (٦) حاضر الثقافة في مصر (دراسة، دار نشر خاصة)
 - (V) الترجمة فن (دراسة. نشر خاص)
 - (٨) عصافير الصدف (رواية)

بالإضافة إلى عشرات الأعمال الأخرى .

التصميم الاساسى للفلاف: أسامـة العـبـد

الإشـــراف القني: حـسن كـامـل

تم طبع هذا الكتاب من نسخة قديمة مطبوعة